

جَدِّ الْأَنْوَارِ

الْجَامِعَةُ لِلدِّرَاسَةِ الْخَبِيرَةِ الْأُثْمَةِ الْأَطَهَرَةِ

تَأَلَّفَ

الْعَلَمُ الْعَلَامَةُ الْحَبِيبَةُ الْأَبْتَرُ الْمَوْحِي

الْشَيْخُ مُحَمَّدُ بَاقٍ الْمَجْلِسِيُّ

الْكِتَابُ الثَّانِي

الْمَوْصُفُ

طَبْعَةٌ مَصْنُوعَةٌ وَمُرَتَّبَةٌ عَلَى مَسَبِّ رَتَلِ الْأَنْوَارِ

مَجَامِرُ الْإِخْوَانِ

الْجَامِعَةُ لِلدِّينِ الْخَبِيرِ الْأَمَّةِ لِأَطَهَارِ

تَأَلَّفَتْ

الْعَلَمَةُ الْعَالِمَةُ الْحَبِيبَةُ الْأَمَّةُ الْمُؤَلَّى

الْشَيْخُ مُحَمَّدُ بَاقِرُ الْمَجْلِسِيِّ

الْكِتَابُ الثَّانِي

الترغيب



طبعة مطبعة ورعية على مسرر نائب الصنف



جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة احياء الكتب الإسلامية

ایران قم المقدسه ارم ۴ پلاك ۱۳۵

۰۰۹۸۲۵۱ ۷۷۱۹۶۵۷ - ۰۰۹۸۲۵۱ ۲۹۳۶۳۵۲

◆ بحار الانوار ج ۲
◇ تأليف علامه مجلسي
◆ انتشارات نور وحي
◇ چاپخانه دفتر تبليغات
◆ چاپ اول ۱۳۸۸
◇ قيمت دوره
◆ شابك دوره
◇ شابك
◆ صفحه آرا
◇ ناظر چاپ

۲۰۰۰ عدد
۳۳۰/۰۰۰ تومان
۹۷۸-۹۶۴-۲۵۹۲-۳۶۴
۹۷۸-۹۶۴-۲۵۹۲-۳۷-۱
جواد رحمتی
روح الله گلستانی

مجلسی، محمد باقر بن محمد تقی، ۱۰۳۷-۱۱۱۱ق.
[بحار الانوار]
بحار الانوار الجامعة الدرر اخبار الائمة الاطهار علیهم السلام / تأليف
محمد باقر مجلسی: تحقيق مؤسسه احیاء الكتب الاسلاميه -
قم: نور وحي، ۱۴۳۰ق. = ۱۳۸۸ج ۲
- (دوره) 4 - 36 - 2592 - 964 - ISBN 978
- (شابك) 1 - 37 - 2592 - 964 - ISBN 978
فهرست نویسی بر اساس اطلاعات فیما
کتابنامه. مندرجات: ج ۲. توحيد.
۱. احاديث شيعه قرن ۱۲ق. الف. موسسه احیاء الكتب الاسلاميه.
ب. عنوان
BP۱۳۶/ م۳ ۳۱۳۸۸
۲۹۷/۲۱۲

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا
مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تَجَارَةً لَّن تَبُورَ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِ الْمَوْحِدِينَ وَفَخِرَ الْعَارِفِينَ مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّاهِرِينَ الْغَرَامِيَامِينَ

كتاب التوحيد: وهو المجلد الثاني من كتاب بحار الأنوار تأليف المذنب الخاطي الخاسر محمد المدعو بباقر ابن مروج أخبار الأئمة الطاهرين ومحبي آثار أهل بيت سيد المرسلين ﷺ أجمعين محمد الملقب بالتقي حشره الله تعالى مع مواليه شفعاء يوم الدين.

باب ١ ثواب الموحدين والعارفين وبيان وجوب المعرفة وعلته وبيان ما هو حق معرفته تعالى

١- يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] حمزة بن محمد بن أحمد بن جعفر العلوي عن علي بن إبراهيم عن إبراهيم بن إسحاق النهاوندي عن عبد الله بن حماد الأنصاري عن الحسين بن يحيى بن الحسين عن عمرو بن طلحة عن أسباط بن نصر عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ والذي بعثني بالحق بشيرا لا يعذب الله بالنار موحدا أبدا وإن أهل التوحيد ليشفعون فيشفعون ثم قال ﷺ إنه إذا كان يوم القيامة أمر الله تبارك وتعالى بقوم ساءت أعمالهم في دار الدنيا إلى النار فيقولون يا ربنا كيف تدخلنا النار وقد كنا نوحدك في دار الدنيا وكيف تحرق بالنار ألسنتنا وقد نطق بتوحيدك في دار الدنيا وكيف تحرق قلوبنا وقد عقدت على أن لا إله إلا أنت أم كيف تحرق وجوهنا وقد عرفناها^(١) لك في التراب أم كيف تحرق أيدينا وقد رفعناها بالدعاء إليك فيقول الله جل جلاله عبادي ساءت أعمالكم في دار الدنيا فجزاؤكم نار جهنم فيقولون يا ربنا عفوك أعظم أم خطيئتنا فيقول تبارك وتعالى بل عفوي فيقولون رحمتك أوسع أم ذنوبنا فيقول عز وجل بل رحمتي فيقولون إقرارنا بتوحيدك أعظم أم ذنوبنا فيقول تعالى بل إقراركم بتوحيدي أعظم فيقولون يا ربنا فليسعنا عفوك ورحمتك التي وسعت كل شيء فيقول الله جل جلاله ملائكتي وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أحب إلي من المقرين بتوحيدي وأن لا إله غيري وحق علي أن لا أصلي أهل توحيد ي أدخلوا عبادي الجنة^(٢).

بيان: قوله وحق علي الظاهر أنه اسم أي واجب ولازم علي ويمكن أن يقرأ على صيغة الماضي المعلوم والمجهول قال الجوهرية قال الكسائي يقال حق لك أن تفعل هذا وحققت أن تفعل هذا

(١) العفر: ظاهر التراب، وعفره في التراب: مرغه فيه أو دسه. لسان العرب ٢٨٢:٩.

(٢) التوحيد: ٢٩ ب ١ ح ٣١. أمالي الصدوق ٢٤٣ م ٤٩ ح ١٠.

بمعنى وحق له أن يفعل كذا وهو حقيق به ومحقوق به أي خليف له وحق الشيء يحق بالكسر أي وجب^(١) وقال يقال صليت الرجل نارا إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها فإن ألقيته فيها إلقاء كأنك تريد الإحراق قلت أصليته بالالف وصليته تصلية وقال صلي فلان النار يصلي صليا احترق^(٢).

٢-يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] الحسن بن عبد الله بن سعيد عن محمد بن أحمد بن حمدان القشيري^(٣) عن أحمد بن عيسى الكلابي عن موسى بن إسماعيل بن موسى بن جعفر عن أبيه عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه عن علي^(٤) في قول الله عز وجل: «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ»^(٥)، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول إن الله عز وجل قال ما جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة^(٦).

ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] شيخ الطائفة عن الحسين بن عبيد الله الفضاري عن الصدوق بالإسناد مثله^(٧).
ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن أحمد بن إسحاق بن عباس بن إسحاق بن موسى بن جعفر عن أبيه عن جده عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه عن أمير المؤمنين^(٨) مثله^(٩).

٣-ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن جعفر بن محمد بن جعفر العلوي عن محمد بن علي بن الحسن بن زيد عن الرضا عن أبيه^(١٠) قال قال رسول الله ﷺ التوحيد ثمن الجنة الخير^(١١).
٤-ع: [علل الشرائع] ل: [الخصال] في خبر أسماء النبي وأوصافه^(١٢) وجعل اسمي في التوراة أحميد فبالتوحيد حرم أجساد أمتي على النار^(١٣).

٥-ثو: [تواب الأعمال] يد: [التوحيد] ابن الوليد عن سعد عن أحمد بن هلال عن ابن فضال عن أبي حمزة عن أبي جعفر^(١٤) قال سمعته يقول ما من شيء أعظم ثوابا من شهادة أن لا إله إلا الله لأن الله عز وجل لا يعدله شيء ولا يشركه في الأمر أحد^(١٥).

بيان: لعل التعليل مبني على أنه إذا لم يعدله تعالى شيء لا يعدل ما يتعلق بألوهيته وكمالها وحدانيته شيء إذ هذه الكلمة الطيبة أدل الأذكار على وجوده وحدانيته وانصافه بالكمالات وتنزهه عن النقائص ويحتمل أن يكون المراد أنها لما كانت أصدق الأقوال فكانت أعظمها ثوابا.

٦-يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن الأسدي عن النخعي عن التوفلي عن محمد بن سنان عن المفضل قال قال أبو عبد الله^(١٦) إن الله تبارك وتعالى ضمن للمؤمن ضمانا قال قلت وما هو قال ضمن له إن هو أقر له بالربوبية ولمحمد^(١٧) بالنبوة ولعلي^(١٨) بالإمامة وأدى ما افترضه عليه أن يسكنه في جواره قال قلت فهذه والله هي الكرامة التي لا يشبهها كرامة الآدميين قال ثم قال أبو عبد الله^(١٩) اعملوا قليلا تنتعموا كثيرا^(٢٠).

٧-يد: [التوحيد] الهمداني عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن إبراهيم بن زياد الكرخي عن أبي عبد الله عن أبيه عن جده^(٢١) قال قال رسول الله ﷺ من مات ولا يشرك بالله شيئا أحسن أو أساء دخل الجنة.

يد: [التوحيد] القطان عن السكري عن الجوهري عن جعفر بن محمد بن عمار عن أبيه عن جعفر بن محمد عن أبيه عن النبي^(٢٢) مثله^(٢٣).

٨-يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن أبي الخطاب عن ابن أسباط عن البطاني عن أبي بصير عن أبي عبد الله^(٢٤) في قول الله عز وجل: «هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ»^(٢٥) قال: قال الله تبارك وتعالى أنا أهل أن أتقى وعبد الله ﷺ.

(١) الصحاح: ١٤٦١. (٢) الصحاح: ٢٤٠٣ وفيه: كأنك تريد إحراقه.

(٣) في المصدر: محمد بن أحمد بن حمران القشيري. (٤) الرحمن: ٦٠.

(٥) التوحيد: ٢٨ ب ٢٨ ج ٢٩ أ أمالي الصدوق: ٣١٦ ب ٦١ ج ٧.

(٦) أمالي الطوسي: ٤٤٢ ج ١٥.

(٧) أمالي الطوسي: ٥٨٠ م ٥٨٠ م مرفوعاً إلى السجادة والسند المذكور ليس موجوداً فيه.

(٨) أمالي الطوسي: ٥٨٠ م ٥٨١ ج ٤.

(٩) علل الشرائع: ١٢٨ ج ١٠٦ أ ٣. الخصال: ٤٢٥ ج ١٠ أ ١ وفيه: وأحميد وهو من التوحيد.

(١٠) تواب الأعمال و عقاب الأعمال: ٢٢. التوحيد: ١٩ ج ١.

(١١) التوحيد: ١٩ ج ١ وفيه. وأدى ما افترض عليه. (١٢) التوحيد: ٣٠ ج ١ ب ٣٢.

(١٣) المدر: ٥٦.

لا يشرك بي عبدي شيئا وأنا أهل إن لم يشرك بي عبدي شيئا أن أدخله الجنة وقال ﷺ إن الله تبارك وتعالى أقسم بعزته وجلاله أن لا يعذب أهل توحيده بالنار أبداً.^(١)

٩- يد: [التوحيد] السناني عن الأسدي عن النخعي عن التوفلي عن علي بن سالم^(٢) عن أبي بصير قال قال أبو عبد الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى حرم أجساد الموحدين على النار.^(٣)

١٠- ثو: [ثواب الأعمال] يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن الحسين بن سيف عن أخيه علي عن أبيه سيف بن عميرة عن الحجاج بن أرطاة عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال الموحجتان من مات يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له دخل الجنة ومن مات يشرك بالله شيئا يدخل النار.

١١- ثو: [ثواب الأعمال] لي: [الأمالي للصديق] يد: [التوحيد] بالإسناد المتقدم عن سيف عن الحسن بن الصباح عن أنس عن النبي ﷺ قال كل جبار عنيد من أبي أن يقول لا إله إلا الله.^(٤)

بيان: إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾.^(٥)

١٢- يد: [التوحيد] أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الخوزي عن إبراهيم بن محمد بن مروان الخوزي عن أحمد بن عبد الله الجويري ويقال له الهروي والثوري والشيباني عن الرضا علي بن موسى عن أبيه عن آبائه عن علي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ ما جزاء من أتمم الله عز وجل عليه بالتوحيد إلا الجنة.^(٦)

١٣- يد: [التوحيد] وبهذا الإسناد قال قال رسول الله ﷺ إن لا إله إلا الله كلمة عظيمة كريمة على الله عز وجل من قالها مخلصا استوجب الجنة ومن قالها كاذبا عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار.^(٧)

بيان: قوله ﷺ ومن قالها كاذبا أي في الأخبار عن الإذعان لها والتصديق بها.

١٤- ن: [عيون أخبار الرضا] يد: [التوحيد] محمد بن علي بن الشاه عن محمد بن عبد الله النيسابوري قال حدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عباس الطائي بالبصرة^(٨) قال حدثني أبي في سنة ستين ومائتين قال حدثني علي بن موسى الرضا ﷺ سنة أربع وستين^(٩) ومائة قال حدثني أبي موسى بن جعفر قال حدثني أبي جعفر بن محمد قال حدثني أبي محمد بن علي قال حدثني أبي علي بن الحسين قال حدثني أبي الحسين بن علي قال حدثني أبي علي بن أبي طالب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ يقول الله جل جلاله لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي.^(١٠)

١٥- ن: [عيون أخبار الرضا] يد: [التوحيد] محمد بن الفضل النيسابوري عن الحسن بن علي الخزرجي عن أبي الصلت الهروي قال كنت مع علي بن موسى الرضا ﷺ حين رحل من نيسابور وهو راكب بغلة شهباء فإذا محمد بن رافع وأحمد بن حرب ويحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وعدة من أهل العلم قد تعلقوا بلجام بغلته في المربعة فقالوا بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك فأخرج رأسه من العمارية وعليه مطرف خز ذو وجهين وقال حدثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر قال حدثني أبي الصادق جعفر بن محمد قال حدثني أبي أبو جعفر محمد بن علي باقر علم الأنبياء قال حدثني أبي علي بن الحسين سيد العابدين قال حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين قال حدثني أبي علي بن أبي طالب ﷺ قال سمعت النبي ﷺ يقول قال الله جل جلاله إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني ومن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل في حصني ومن دخل في حصني أمن من عذابي.^(١١)

(١) التوحيد: ١٩ - ٢٠ ج ١ ح ٦.

(٢) علي بن سالم، ذكره الشيخ في أصحاب الإمام الصادق ﷺ ولقبه بالكوفي: ٢٤٤ رقم ٣٤٧.

(٣) التوحيد: ٢٠ ج ١ ح ٧. (٤) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢١.

(٥) إبراهيم: ١٥. (٦) التوحيد: ٢٢ ج ١ ح ١٧.

(٧) التوحيد: ٢٣ ج ١ ح ١٨.

(٨) في العيون هكذا جاء السند: محمد بن علي بن الشاه، عن أبي القاسم عبد بن أحمد بن العامر الطائي.

(٩) هكذا في النسخ، وفي التوحيد: أربع وتسعين، وهو الأصح: حسب الظاهر.

(١٠) عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢: ١٤٤ ج ٣٧ ح ٢، التوحيد: ٢٤ ج ١ ح ٢١.

(١١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢: ١٤٣ ج ٣٧ ح ١ وفيه: سمعت جبرائيل يقول: قال الله جل جلاله.

بيان: قال الجوهري الشبهة في الألوان البياض الذي غلب على السواد^(١) وقال المربع موضع القوم في الربيع خاصة^(٢) أقول يحتمل أن يكون المراد بالمربعة الموضع المتسع الذي كانوا يخرجون إليه في الربيع للتنزه أو الموضع الذي كانوا يجتمعون فيه للعب من قولهم ربع الحجر إذا أشأله ورفع لإظهار القوة وسمعت جماعة من أفاضل نيسابور أن المربعة اسم للموضع الذي عليه الآن نيسابور إذ كانت البلدة في زمانه عليه السلام في مكان آخر قريب من هذا الموضع واثارها الآن معلومة وكان هذا الموضع من أعمالها وقراها وإنما كان يسمى بالمربعة لأنهم كانوا يقسمونه بالرباع الأربعة فكانوا يقولون ربع كذا وربع كذا وقالوا هذا الاصطلاح الآن أيضا دائر بيننا معروف في دفاتر السلطان وغيرها وقال الجوهري المطرف والمطرف واحد المطارف وهي أردية من خز مربعة لها أعلام قال الفراء وأصله الضم لأنه في المعنى مأخوذ من أطرف أي جعل في طرفيه العلمان ولكنهم استقلوا الضمة فكسروه^(٣).

١٦- **ثو:** [ثواب الأعمال] مع: [معاني الأخبار] ن: [عيون أخبار الرضا] ي: [التوحيد] ابن المتوكل عن الأسدي عن محمد بن الحسين الصوفي^(٤) عن يوسف بن عقيل عن إسحاق بن راهويه قال لما وافى أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور وأراد أن يخرج منها إلى المأمون اجتمع عليه أصحاب الحديث فقالوا له يا ابن رسول الله ترحل عنا ولا تحدثنا بحديث فنستفيده منك وكان قد قعد في العمارية فأطلع رأسه وقال سمعت أبي موسى بن جعفر يقول سمعت أبي جعفر بن محمد يقول سمعت أبي محمد بن علي يقول سمعت أبي علي بن الحسين يقول سمعت أبي الحسين بن علي بن أبي طالب يقول سمعت أبي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول سمعت جبرئيل يقول سمعت الله جل جلاله يقول لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن عذابي قال فلما مرت الراحلة نادانا بشروطها وأنا من شروطها^(٥).

قال الصدوق رحمه الله من شروطها الإقرار للرضا عليه السلام بأنه إمام من قبل الله عز وجل على العباد مفترض الطاعة عليهم^(٦).

١٧- **يد:** [التوحيد] أبو نصر محمد بن أحمد بن تميم السرخسي عن محمد بن إدريس الشامي عن إسحاق بن إسرائيل عن جرير^(٧) عن عبد العزيز عن زيد بن وهب عن أبي ذر رحمه الله قال خرجت ليلة من الليالي فإذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده ليس معه إنسان فظننت أنه يكره أن يمشي معه أحد قال فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرأيتي فقال من هذا قلت أبو ذر جعلني الله فداك قال يا أبا ذر تعال فمشيت معه ساعة فقال إن المكثرين هم الأقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيرا فنفع فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيرا قال فمشيت معه ساعة فقال اجلس هاهنا وأجلسني في قاع حوله حجارة فقال لي اجلس حتى أرجع إليك قال وانطلق في الحرة حتى لم أره و توارى عني فأطال اللبث ثم إنني سمعته صلى الله عليه وآله وهو مقبل وهو يقول وإن زنى وإن سرق قال فلما جاء لم أصبر حتى قلت يا نبي الله جعلني الله فداك من تكلمه في جانب الحرة فإني ما سمعت أحدا يرد عليك شيئا قال ذاك جبرئيل عرض لي في جانب الحرة فقال بشر أمتك أنه من مات لا يشرك بالله عز وجل شيئا دخل الجنة قال قلت يا جبرئيل وإن زنى وإن سرق قال نعم وإن شرب الخمر.

قال الصدوق رحمه الله يعني بذلك أنه يوفق للتوبة حتى يدخل الجنة^(٨).

بيان: قال الجزري فيه المكثرون هم المقلون إلا من نفع فيه يمينه وشماله أي ضرب يديه فيه بالعطاء النفخ^(٩) الضرب والرمي^(١٠).

أقول: يظهر من الأخبار أن الإخلال بكل ما يجب الاعتقاد به وإنكاره يوجب الخروج عن الإسلام

(٢) الصحاح: ١٢١٢ وفيه: منزل القوم.

(٤) في العيون: محمد بن الحسين الصولي.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ٢: ١٤٤ ح ٣٧ ع ٤.

(٨) التوحيد: ٢٥ - ٢٦ ب ١ ح ٢٤.

(١٠) النهاية ٥: ٨٩.

(١) الصحاح: ١٥٩.

(٣) الصحاح: ١٣٩٤.

(٥) ثواب الأعمال و عقاب الأعمال: ٢٦.

(٧) وفي نسخة، وكذا في التوحيد: عن جرير.

(٩) في «ط»: نفخ.

داخل في الشرك والتوحيد الموجب لدخول الجنة مشروط بعدمه فلا يلزم من ذلك دخول المخالفين الجنة وأما أصحاب الكبار من الشيعة فلا استبعاد في عدم دخولهم النار وإن عذبوا في البرزخ وفي القيامة مع أنه ليس في الخبر أنهم لا يدخلون النار وقد ورد في بعض الأخبار أن ارتكاب بعض الكبار وترك بعض الفرائض أيضاً داخلان في الشرك فلا ينبغي الاعتراض بتلك الأخبار والاجترأ بها على المعاصي وعلى ما عرفت لا حاجة إلى ما تكلفه الصدوق عليه السلام.

١٨- ما: [الأمالي للطوسي] محمد بن أحمد بن الحسن بن شاذان عن أبيه عن محمد بن الحسن عن سعد بن عبد الله عن محمد بن عيسى عن علي بن بلال عن محمد بن بشير الدهان ^(١) عن محمد بن سماعة قال سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له أخبرني أي الأعمال أفضل قال توحيدك لربك قال فما أعظم الذنوب قال تشبيهك لخالقك ^(٢).

١٩- يد: [التوحيد] أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب الأنطاقي عن أحمد بن الحسن بن غزوان عن إبراهيم بن أحمد عن داود بن عمرو عن عبد الله بن جعفر عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ بينما رجل مستلق على ظهره ينظر إلى السماء وإلى النجوم ويقول والله إن لك لرباً هو خالقك اللهم اغفر لي قال فنظر الله عز وجل إليه فغفر له ^(٣).

قال الصدوق رحمه الله وقد قال الله عز وجل: «أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» ^(٤). يعني بذلك أو لم يتفكروا ^(٥) في ملكوت السماوات ^(٦) والأرض وفي عجائب صنعها ولم ينظروا في ذلك نظر مستدل معتبر فيعرفوا بما يرون ما أقامه الله عز وجل من السماوات والأرض مع عظم أجسامها وثقلها على غير عمد وتسكينه إياها بغير آلة فيستدلوا بذلك على خالقها ومالكها ومقيمها أنه لا يشبه الأجسام ولا ما يتخذه الكافرون إلهاً من دون الله عز وجل إذ كانت الأجسام لا تقدر على إقامة الصغير من الأجسام في الهواء بغير عمد وبغير آلة فيعرفوا بذلك خالق السماوات والأرض وسائر الأجسام ويعرفوا أنه لا يشبهها ولا تشبهه في قدرة الله وملكه وأما ملكوت السماوات والأرض فهو ملك الله لها واقتداره عليها وأراد بذلك ألم ينظروا ويتفكروا في السماوات والأرض في خلق الله عز وجل إياها على ما يشاهدونها عليه فيعلموا أن الله عز وجل هو مالكها والمقدر عليها لأنهما مملوكة مخلوقة وهي في قدرته وسلطانه وملكه فجعل نظرهم في السماوات والأرض في خلق الله لها نظراً في ملكوتها وفي ملك الله لها لأن الله عز وجل لا يخلق إلا ما يملكه ويقدر عليه وعنى بقوله: «وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ» يعني من أصناف خلقه فيستدلوا به على أن الله خالقها وأنه أولى بالإلهية من الأجسام المحدثه المخلوقة ^(٧).

٢٠- يد: [التوحيد] عبد الحميد بن عبد الرحمن عن أبي يزيد بن محبوب المزني عن الحسين بن عيسى البسطامي عن عبد الصمد بن عبد الوارث عن شعبة عن خالد الحذاء عن أبي بشير العنبري ^(٨) عن حمران بن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ من مات وهو يعلم أن الله حق دخل الجنة ^(٩).

٢١- يد: [التوحيد] الحسن بن علي بن محمد العطار عن محمد بن محمود عن حمران عن مالك بن إبراهيم عن حصين عن الأسود بن هلال عن معاذ بن جبل قال كنت ردف ^(١٠) النبي ﷺ قال يا معاذ هل تدري ما حق الله عز وجل على العباد يقولها ثلاثاً قال قلت الله ورسوله أعلم فقال رسول الله ﷺ حق الله عز وجل على العباد أن لا يشركوا به شيئاً ثم قال ﷺ هل تدري ما حق العباد على الله عز وجل إذا فعلوا ذلك قال قلت الله ورسوله أعلم قال أن لا يعذبهم أو قال أن لا يدخلهم النار ^(١١).

(١) في المصدر: محدث بن بشر الدهان.

(٢) التوحيد: ٢٦ ب ١ ذيل ح ٢٥.

(٣) في «أ»: و تفكروا.

(٤) التوحيد: ٢٦ ب ١ ذيل ح ٢٥.

(٥) التوحيد: ٢٩ ب ١ ح ٣٠.

(٦) في هامش «أ»: الردف بالكسر: الراكب خلف الراكب كالرديف والتردد .. القاموس ٣: ١٤٧.

(٧) التوحيد: ٢٨ ب ١ ح ٢٨.

٢٢-ن: [عيون أخبار الرضا^(١)] أبو نصر أحمد بن الحسين عن أبي القاسم محمد بن عبيد الله عن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر عن أبيه علي بن محمد النقي عن أبيه^(٢) عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه عن النبي^(٣) عن جبرئيل سيد الملائكة قال قال الله سيد السادات جل وعز إني أنا الله لا إله إلا أنا من أقر لي بالتحديد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي^(٤)

٢٣-ن: [عيون أخبار الرضا^(٥)] ع: [علل الشرائع] في علل الفضل عن الرضا^(٦) فإن قال قائل لم أمر الله الخلق بالإقرار بالله وبرسله وحججه وبما جاء من عند الله عز وجل قيل لعل كثيرة منها أن من لم يقر بالله عز وجل لم يجتنب معاصيه ولم ينته عن ارتكاب الكبائر ولم يراقب أحدا فيما يشتهي ويستلذ من الفساد والظلم فإذا فعل الناس هذه الأشياء وارتكب كل إنسان ما يشتهي ويهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين وثوب بعضهم على بعض ففصبا الفروج والأموال وأباحوا الدماء والنساء وقتل بعضهم بعضا من غير حق ولا جرم فيكون في ذلك خراب الدنيا وهلاك الخلق وفساد الحرث والنسل ومنها أن الله عز وجل حكيم ولا يكون الحكيم ولا يوصف بالحكمة إلا الذي يحظر الفساد ويأمر بالصلاح ويزجر عن الظلم وينهى عن الفواحش ولا يكون حظر الفساد والأمر بالصلاح والنهي عن الفواحش إلا بعد الإقرار بالله عز وجل ومعرفة الأمر والنهي فلو ترك الناس بغير إقرار بالله ولا معرفته^(٧) لم يثبت أمر بصلاح ولا نهى عن فساد إذ لا أمر ولا نهي ومنها أنا وجدنا الخلق قد يفسدون بأمور باطنية مستورة عن الخلق فلو لا الإقرار بالله عز وجل وخشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته وإرادته يراقب أحدا في ترك معصية وانتهاك حرمة وارتكاب كبيرة إذا كان فعله ذلك مستورا عن الخلق غير مراقب لأحد وكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين فلم يكن قوام الخلق وصلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يَغْلُمُ السِّرَّ وَأَخْفَى أمر بالصلاح ناه عن الفساد ولا تخفى^(٨) عليه خافية ليكون في ذلك انزجار لهم عما يخلون به من أنواع الفساد.

فإن قال فلم وجب عليهم الإقرار والمعرفة بأن الله تعالى واحد أحد قيل لعل منها أنه لو لم يجب عليهم الإقرار والمعرفة لجاز أن يتوهما مدبرين أو أكثر من ذلك وإذا جاز ذلك لم يهتدوا إلى الصانع لهم من غيره لأن كل إنسان منهم كان لا يدري لعله إنما يعبد غير الذي خلقه ويطيع غير الذي أمره فلا يكونون على حقيقة من صانعهم وخالقهم ولا يثبت عندهم أمر أمر ولا نهى ناه إذ لا يعرف الأمر بعينه ولا الناهي من غيره ومنها أن لو جاز أن يكون اثنين لم يكن أحد الشريكين أولى بأن يعبد ويطاع من الآخر وفي إجازة أن يطاع ذلك الشريك إجازة أن لا يطاع الله وفي أن لا يطاع الله عز وجل الكفر بالله وبجميع كتبه ورسله وإثبات كل باطل وترك كل حق وتحليل كل حرام وتحريم كل حلال والدخول في كل معصية والخروج من كل طاعة وإباحة كل فساد وإبطال كل حق ومنها أنه لو جاز أن يكون أكثر من واحد لجاز لا بليس أن يدعي أنه ذلك الآخر حتى يضاد الله تعالى في جميع حكمه ويصرف العباد إلى نفسه فيكون في ذلك أعظم الكفر وأشد النفاق.

١٢-ن: فإن قال فلم وجب عليهم الإقرار بالله بأنه ليس كَيْفِيَّةً شَيْءٌ قيل لعل منها أن يكونوا قاصدين نحوه بالعبادة والطاعة دون غيره غير مشتبه عليهم أمر ربهم وصانعهم ورازقهم ومنها أنهم لو لم يعلموا أنه ليس كَيْفِيَّةً شَيْءٌ لم يدروا لعل ربهم وصانعهم هذه الأصنام التي نصبها لهم آبائهم والشمس والقمر والنيان إذا كان جائزا أن يكون عليهم مشتبه^(٩) وكان يكون في ذلك الفساد وترك طاعته كلها وارتكاب معاصيه كلها على قدر ما يتناهى إليهم من أخبار هذه الأرباب وأمرها ونهيها ومنها أنه لو لم يجب عليهم أن يعرفوا أن ليس كَيْفِيَّةً شَيْءٌ لجاز عندهم أن يجري عليه ما يجري على المخلوقين من العجز والجهل والتغير والزوال والفناء والكذب والاعتداء ومن جازت عليه هذه الأشياء لم يؤمن فتاؤه ولم يوثق بعدله ولم يحقق قوله وأمره ونهيته وعدده وعييده وثوابه وعقابه وفي ذلك فساد الخلق وإبطال الربوبية^(١٠)

(١) في «أ»: ولا معرفة.

(٢) في نسخة: مشبهاً، وكذا في علل الشرائع.

(٣) عيون أخبار الرضا^(٤): ٤: ١٤٤ ب ٣٧ ح ٣.

(٤) في «أ»: ولا يخفى.

(٥) عيون أخبار الرضا^(٦): ٢: ١٠٦ ب ٣٤ ح ١.

٢٤- ثواب الأعمال: أبي عن سعد عن ابن عيسى و ابن هاشم و الحسن بن علي الكوفي جميعا عن الحسين بن سيف عن أبيه عن أبي حازم المدني عن سهل بن سعد الأنصاري قال سألت رسول الله عن قول الله عز وجل: ﴿وَمَا كُنْتُ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَاهُ﴾^(١). قال كتب الله عز وجل كتابا قبل أن يخلق الخلق بألفي عام في ورق آس ثم وضعها على العرش ثم نادى يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي أعطيتكم قبل أن تسألوني و غفرت لكم قبل أن تستغفروني فمن لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا و أن محمدا عبدي و رسولي أدخلته الجنة برحمتي.^(٢)

٢٥- سنن: [المحاسن] الرشاء عن أحمد بن عائد عن أبي الحسن السواق عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال يا أبان إذا قدمت الكوفة فارو هذا الحديث من شهد أن لا إله إلا الله مخلصا وجبت له الجنة قال قلت له إنه يأتيني كل صنف من الأصناف فأروني لهم هذا الحديث قال نعم يا أبان إنه إذا كان يوم القيامة و جمع الله الأولين و الآخرين فيسلب منهم لا إله إلا الله إلا من كان على هذا الأمر.^(٣)

سنن: [المحاسن] ابن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام عن أبان بن تغلب مثله.^(٤)

٢٦- سنن: [المحاسن] صالح بن السندي عن جعفر بن بشر عن الصباح الحذاء عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا كان يوم القيامة نادى مناد من شهد أن لا إله إلا الله فدخل الجنة قال قلت فعلى متخاصم الناس إذا كان من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة فقال إنه إذا كان يوم القيامة نسوها.^(٥)

٢٧- صح: [صحيفة الرضاء] عن الرضاء عن آبائه عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ يقول الله عز وجل لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي.^(٦)

٢٨- ضا: [فقه الرضاء] نروي أن رجلا أتى أبا جعفر عليه السلام فسأله عن الحديث الذي روي عن رسول الله ﷺ أنه قال من قال لا إله إلا الله دخل الجنة فقال أبو جعفر عليه السلام الخبر حق فولي الرجل مدبرا فلما خرج أمر برده ثم قال يا هذا إن لا إله إلا الله شروطا ألا و إنني^(٧) من شروطها.^(٨)

٢٩- غو: [غوالي اللثالي] قال النبي ﷺ من قال لا إله إلا الله دخل الجنة و إن زنى و إن سرق.^(٩)

٣٠- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن أحمد بن عيسى بن محمد عن القاسم بن إسماعيل عن إبراهيم بن عبد الحميد عن معتب مولى أبي عبد الله عليه السلام عنه عن أبيه عليه السلام^(١٠) قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله هل للجنة من ثمن قال نعم قال ما ثمنها قال لا إله إلا الله يقولها العبد مخلصا بها قال و ما إخلاصها قال العمل بما بعثت به في حقه و حب أهل بيتي قال فذاك أبي و أمي و إن حب أهل البيت لمن حققها قال إن جهم لأعظم حقها.^(١١)

٣١- كنز الكواجكي: روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بتوحيده من بين الجوارح.

٣٢- ضا: [فقه الرضاء] [إن أول ما افترض الله على عباده و أوجب على خلقه معرفة الوجدانية قال الله تبارك و تعالي ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(١٢) يقول ما عرفوا الله حق معرفته.^(١٣)

٣٣- و نروي عن بعض العلماء عليه السلام أنه قال في تفسير هذه الآية: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^(١٤)، ما جزاء من أنعم الله عليه بالمعرفة إلا الجنة.^(١٥)

(١) القصص: ٤٦.

(٢) ثواب الاعمال و عقاب الاعمال: ٣٠ ب ١٥ ح ٢ و فيه: ورق آس أنتبه.

(٣) المحاسن: ٣٢ - ٣٣ ثواب، ب ١٩ ح ٢٣.

(٤) المحاسن: ١٨١، فوة: ب ٤٣ ح ١٧٤.

(٥) صحيفة الإمام الرضاء: ٧٩ ح ١.

(٦) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضاء: ٣٩٠ ب ١١٠.

(٧) في المصدر: عن أبيه، عن جابر بن عبد الله الأنصاري.

(٨) كذا: قال: حب أهل بيتك لمن حققها قال: أجل إن جهم.

(٩) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضاء: ٦٥.

(١٠) الانعام: ٩١.

(١١) الرحمن: ٦٠.

٣٤- وأروي أن المعرفة الصديق والتسليم والإخلاص في السر والعلانية. وأروي أن حق المعرفة أن تطيع ولا تصي وتشكر ولا تكفر.^(١)

٣٥- مص: [مصباح الشريعة] قال الصادق عليه السلام العارف شخصه مع الخلق وقلبه مع الله لو سها قلبه عن الله طرفه عين لمات شوقاً إليه والعارف أمين ودائع الله وكنز أسرارهِ ومعدن نوره ودليل رحمته على خلقه ومطية علومه وميزان فضله وعدله قد غني عن الخلق والمراد الدنيا فلا مونس له سوى الله ولا نطق ولا إشارة ولا نفس إلا بالله والله من الله ومع الله فهو في رياض قدسه متردد ومن لطائف فضله إليه متزود والمعرفة أصل فرعه الإيمان.^(٢)

٣٦- جع: [جامع الأخبار] جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قال ما رأس العلم قال معرفة الله حق معرفته قال وما حق معرفته قال أن تعرفه بلا مثال ولا شبه وتعرفه إليها واحداً خالفاً قادراً أولاً وآخراً وظاهراً وباطناً لا كفو له ولا مثل له فذاك معرفة الله حق معرفته.

٣٧- جع: [جامع الأخبار] قال النبي صلى الله عليه وآله أفضلكم إيماناً أفضلكم معرفة.^(٣)

٣٨- أقول: روى الصدوق رحمه الله في كتاب صفات الشيعة عن أبيه عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن ابن أبي عمير رفعه إلى أحدهم عليه السلام أنه قال بعضكم أكثر صلاة من بعض وبعضكم أكثر حجا من بعض وبعضكم أكثر صدقة من بعض وبعضكم أكثر صياماً من بعض وأفضلكم أفضلكم معرفة.^(٤)

٣٩- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] جماعة عن أبي المفضل عن الليث بن محمد العنبري عن أحمد بن عبد الصمد عن خاله أبي الصلت الهروي قال كنت مع الرضا عليه السلام لما دخل نيسابور وهو راكب بغلة شهية وقد خرج علماء نيسابور في استقباله فلما صار إلى المربعة تعلقوا بلجام بغلته وقالوا يا ابن رسول الله حدثنا بحق آبائك الطاهرين حديثاً عن آبائك صلوات الله عليهم أجمعين فأخرج رأسه من الهودج وعليه مطرف خز فقال حدثني أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد بن علي عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين سيد شباب أهل الجنة عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله قال أخبرني جبرئيل الروح الأمين عن الله تقدست أسماؤه وجل وجهه قال إني أنا الله لا إله إلا أنا وحدي عبادي فاعبدوني وليعلم من لقيني منكم بشهادة أن لا إله إلا الله مخلصاً بها أنه قد دخل حصني ومن دخل حصني أمن عذابي قالوا يا ابن رسول الله وما إخلاص الشهادة لله قال طاعة الله ورسوله ولاية أهل بيته عليه السلام.^(٥)

علة احتجاب الله عز وجل عن خلقه

باب ٢

١- ع: [علل الشرائع] الحسين بن أحمد عن أبيه عن محمد بن بندار عن محمد بن علي عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام لم احتجب الله فقال أبو الحسن عليه السلام إن الحجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فأما هو فلا يخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار قال فلم لا تدركه حاسة البصر قال للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار ثم هو أجل من أن تدركه الأبصار أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل قال فحده لي قال إنه لا يعد قال لم قال لأن كل محدود متناه إلى حد فإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان فهو غير محدود ولا متزائد ولا متجزئ ولا متوهم.^(١)

(١) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ٦٥.

(٢) مصباح الشريعة: ١٩١ ب ٩١ وفيه: والعارف أمين وقائع الله وكنز أسرارهِ ومعدن أنوارهِ.

(٣) جامع الأخبار: ٨ ب ٨.

(٤) صفات الشيعة: ٩٣ ح ٢٨ وفيه: وأفضلكم أفضلكم معرفة.

(٥) أمالي الطوسي: ٦٠٠ ح ٧ وفيه: فلما سار إلى المرتعة. (٦) علل الشرائع: ١١٩ ب ٩٨ ح ١.

٢-ع: [علل الشرائع] علي بن حاتم عن القاسم بن محمد عن حمدان بن الحسين عن الحسين بن الوليد عن عبد الله بن سنان عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لعلي بن الحسين عليه السلام لأي علة حجب الله عز وجل الخلق عن نفسه قال لأن الله تبارك وتعالى بناهم بنية على الجهل فلو أنهم كانوا ينظرون إلى الله عز وجل لما كانوا بالذين ^(١) يهابونه ولا يعظمونه نظير ذلك أحذكم إذا نظر إلى بيت الله الحرام أول مرة عظمه فإذا أتت عليه أيام وهو يراه لا يكاد أن ينظر إليه إذا مر به ولا يعظمه ذلك التعظيم ^(٢).

بيان: لعل المراد بالنظر الألفاظ الخاصة التي تستلزم غاية العرفان والوصول أي لو كانت مبذولة لعامة الناس لكانت لعدم استحقاقهم ذلك مورثاً لتهاونهم بربهم أو النظر إلى آثار عظمته التي لا تظهر إلا للأنبياء والأوصياء عليهم السلام كنزول الملائكة وعروجهم ومواقفهم ومنازلهم والعرش والكسي واللوح والقلم وغيرها على أنه يحتمل أن يكون دليلاً آخر مع التنزل عن استحالة إدراكه بالبصر على وفق الأفهام العامة.

باب ٣

إثبات الصانع والاستدلال بعجائب صنعه على وجوده وعلمه وقدرته وسائر صفاته

الآيات:

البقرة: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ٢٢.

«و قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ الْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَع النَّاسَ وَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَخْرَجَ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَ بَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَ تَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَ السَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ١٦٤.

يونس: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَّقُونَ﴾ ٦.

«و قال: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ مَا تُغْنِي الْآيَاتِ وَ التَّذَرُّعُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ١٠١.

الروعد: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بَلَاءً رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَ هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْهَارًا وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رِزْقَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْثِي اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ وَ فِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُّتَبَاوِرَاتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرُوعٌ وَ نَخِيلٌ صُفْوَانٌ وَ غَيْرُ صُفْوَانٍ يَسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَ نَفَضَلُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ ٢ - ٤.

إبراهيم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَ سَخَّرَ لَكُمْ النَّهَارَ وَ سَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَ أَنَا كُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَ إِنْ تَعَدَّوْا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ ٣٢ - ٣٤.

الحجر: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ زَيَّنَّاها لِلنَّاطِرِينَ وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَ الْفَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُزْرُونَ وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لِنُسْئِلُهُ لِرِزْقَيْنِ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نَنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَافِحٍ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا كُفُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾ ١٦ - ٢٣.

النحل: ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَلِيَةِ إِنَّا بِشَيْءِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَّحِيمٌ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٤ - ٨ .

«وَقَالَ تَعَالَى» هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ثَبَّتَ لَكُمْ بِهِ الرِّزْقَ وَ الرَّيْثُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ مِنْ كُلِّ الشَّجَرِ أَنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَ شَجَرٌ لَكُمْ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْجُودُومُ مُسْحَرَاتٍ بَأَمْرِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَذَكِّرُونَ وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَبْلًا ثَلَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ مُوَازِرَةً فِيهِ وَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَ الْفَى فِي الْأَرْضِ رِوَايَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَ عَلَامَاتٍ وَ بِاللَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ١٠ - ١٦.

«وَقَالَ تَعَالَى» ﴿۷۰﴾ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهِ بِهِ الْأَرْضُ بِعَدِّ مِثْقَالِهَا فَانْبَعَثَ مِنْ تَحْتِهَا أَشْجَارٌ مُبْتَدِلَةٌ فِي الْأَشْجَارِ وَأَنْجَابِ النَّاسِ لَعِبْرَةٌ لِيُذَكَّرَ مِنْهَا إِيَّاكَ لِأَنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿۷۱﴾

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِالنِّعْمَةِ اللَّهُ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ ٧٢.

«وَقَالَ تَعَالَى» «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بَطُونِ أَهْمَتِكُمْ لَمْ تَغْلَمُونِ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُعْصِيكُهُمْ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَتَانَا وَمَنْعَا إِلَى حِمْنٍ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ٧٨ - ٨١.

الإِسْرَاءُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا أَفْضَالًا مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصْلَانُهُ تَفْصِيلًا﴾ ١٢.

«وَقَالَ تَعَالَى: «رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَنْتَعُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ اغْرَضْنَاهُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» ٦٦ - ٦٧.

[illegible]

الأنبياء: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ يُمَيِّدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفًّا مُحَافَظًا لَهُمْ إِنَّهَا كَمِعْصُونٌ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كَلْ فِي فَلَكَ يَسْتَحْسِنُونَ﴾ ٣٠-٣٣.

المؤمنون: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ فَانْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ تَحْتِهَا وَأَغْنَاهُ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَشَجَرَةً تُخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغَ لِلْكَافِلِينَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ﴾ ١٨ - ٢٢.

«وَقَالَ تَعَالَى» هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ

«وَقَالَ تَعَالَى» قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ» ٨٤ - ٨٩.

النور: «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجَعُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ
بِمَا يَفْعَلُونَ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَوِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا
فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكِيدُ
سَنَا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْإِنْبَارِ يَغْلِقُ اللَّهُ الثَّلَاثَ وَالنَّهَارَ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَبْصَارِ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ
يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
قَدِيرٌ» ٤١ - ٤٥.

الفرقان: وَالْم تَرَى إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَا إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَ النَّوْمَ سُبَاتًا وَ جَعَلَ النَّهَارَ نَشُورًا وَ هُوَ الَّذِي أَوْسَلَ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَ أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا يُخْشِي بِهِ بَلَدَهُ مَبْنًى وَ نُسْقِيهِ مِمَّا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَ إِنَابَسَىٰ كَثِيرًا ٤٥ - ٤٩.

«وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَحْجُورًا وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ ٥٣ - ٥٤.

«وَقَالَ تَعَالَى: «تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا» ٦١ - ٦٢.

الشعراء: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنتَبْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ رَوْحٍ كَرِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ» - ٧٨.

القصص: «قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرَ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِاللَّيْلِ تَسْكُونُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» - ٧٦ - ٧٣.

العنكبوت: ﴿خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤٤
 «وَقَالَ تَعَالَى» وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْبَاهُ بِهَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ٦٣.

«وَقَالَ تَعَالَى» فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَا إِلَهُهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾
الروم: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاجْتَنَابَ السَّيِّئَاتِ وَالْوَاكِنَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَاجْتِاعُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُسْمِعُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ يَرْبِكُمْ بِالْبَرَقِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانُونَ» ٢٠ - ٢٦.

«وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: «وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُمْسِكَاتٍ وَلِيَذِيقَكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَلِتَجْرِيَ الْفُلُكُ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» ٤٦.

«وَقَالَ تَعَالَى» اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتَنِيثُ سُحُبًا فَيَنْسِفُهَا فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَ يَجْعَلُ لَكُمْ سَفِينًا فَتَرَى الْوُدُقَ يُخْرَجُ مِنْ جَلْبَاهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَنْسَبِسِرُونَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُغِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُعْجَى الْمُؤْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»

«وَقَالَ تَعَالَى» «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ» ٥٤.

لَقَمَان: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأَرْضَ زَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» ١٠ - ١١.

«وَقَالَ تَعَالَى» «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَ يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْصَبُ إِلَيْهِ لَمَ يَرِيكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَاطِلٌ دَعَا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ» ٢٩ - ٣٢. التنزيل (١): «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرَيْرِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ» ٢٧.

فاطر: «الْحَدِّ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولَى أَجْنَحَةٍ مَتْنَنٌ وَ ثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ١ - ٢.

«وَقَالَ تَعَالَى:» «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا» ١١.

«وَقَالَ تَعَالَى:» «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَ حُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَ غَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَ الدَّوَابِّ وَ الْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» ٢٧ - ٢٨.

يس: «وَأَيُّ لَهِمُ الْأَرْضِ الْمَيْتَةِ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ بَأْكُلُونَ وَ جَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَ فَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَ مَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ مِمَّا لَا يَعْلَمُونَ وَ آيَةُ لَهِمُ اللَّيْلِ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ فِي ظُلُمٍ وَ الشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ غَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ وَ آيَةُ لَهِمُ آبَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمَشْحُونِ وَ خَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ وَ إِنَّ نَاشِئُهُمْ فَلَا ضَرِيحَ لَهُمْ وَ لَا هُمْ يَنْقُذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَ مَنَاعًا إِلَىٰ جِئِن» ٣٣ - ٤٤.

«وَقَالَ تَعَالَى» «أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ وَ ذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَ مِنْهَا يَأْكُلُونَ وَ لَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَ مَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ» ٧١ - ٧٣.

«وَقَالَ سُبْحَانَهُ» «أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ» ٧٧.

الصفات: «فَاسْتَشْفَيْهِمْ أَهْمُ أَشَدَّ خَلَقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ» ١١.

الزمر: «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَ يَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَ سَخَّرَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاسِيٌ نُصَرِّفُوه» ٥ - ٦.

«وَقَالَ تَعَالَى» «أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنْبَاعٍ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفًى ثُمَّ يُعَجِّلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولَى الْأَلْبَابِ» ٢١.

المؤمن (١): «هُوَ الَّذِي يَرِيكُمْ آيَاتِهِ وَ يُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَ مَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُبِينُ» ١٣.

«وَقَالَ تَعَالَى» «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ لَتَسْكُنُوا فِيهِ وَ النَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرُ

النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صَوْرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قُلْ إِنِّي نَبِيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبُيُوتَاتُ مِنْ رَبِّي وَأَمُرْتُ أَنْ أُسَلِّمَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكَوُنُوا شُعُوبًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَّقِيَ مِنْ قَبْلِ وَلِيَبْلُغُوا أَجْلًا مُسَمًّى وَلِلَّهِمْ تَغْيِيلُونَ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِذَا قُضِيَ أَمْرُ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٦٨-٦٩﴾.

«و قال عز وجل» «اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمُ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِتَبْلُغُوا عَلَيْهَا حَاجَةً فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ وَرَبُّكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ» ٦٩ - ٨١.

السجدة (٨١): «قُلْ أَنتُمُ التَّكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَانَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمِئِذٍ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَعْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩-١٢﴾.

«و قال تعالى» «سُبِّحَهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ» ٥٣ - ٥٤.

حمصق (٥٤): «فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّوكُمْ فِيهِ» ١١.

«و قال تعالى» «وَمِنْ آيَاتِهِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتِّ يَوْمَاتٍ وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ» ٢٩.

«و قال سبحانه» «وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَغْلَامِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلِلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ أَوْ يُوقِفُهُمْ إِنَّمَا كَسَبُوا وَنَعَفَ عَنْ كَثِيرٍ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» ٣٢ - ٣٥.

الزخرف: «وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» ٩ - ١٤.

الجاثية: «إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُتُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَضَرِّيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ٣ - ٥.

«و قال تعالى» «اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمِمَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ» ١٢ - ١٣.

«و قال سبحانه» «وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُبْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» ٢٤.

الذاريات: «وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ» ٢٠ - ٢١.

«و قال جل وعلا» «وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِإِبْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ قَرَشْنَاهَا فَتَعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا رَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» ٤٧ - ٤٩.

الطور: «أَمْ خَلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ» ٣٥ - ٣٦.

الرحمن: «الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ١ - ٣. «إِلَى آخِرِ الْآيَاتِ».

الواقعة: «نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تُمْنُونَ أَلَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوبِينَ عَلَى أَنْ يُبَدَّلَ أَمْنَالَكُمْ وَتُسَبِّحَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَلَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ إِنَّمَا لَمْعُهُمْ نَارٌ مِمَّنْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ فَأَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ أَلَنْتُمْ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ الْغُرْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ جَحَاحًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ فَأَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ أَلَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمُنَاعًا لِّلْمُغْفِينَ فَنَسِحْ بِإِسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ٥٧-٧٤.

الطلاق: «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» ١٢.

الملك: «الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاطُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ رِئَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِضَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ» ٣-٥.

«وقال تعالى: «أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُعْسِكُهُنَّ إِلَى الْاَرْضِ مِنْهُنَّ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ» ١٩.

«وقال سبحانه» «أَمْنَ هَذَا الَّذِي يَزْرَعُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» ٢١.

«وقال تعالى» «قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ» ٢٣ - ٢٤.

«وقال سبحانه» «قُلْ هُوَ الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْحَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ» ٢٩ - ٣٠.

المرسلات: «الَّذِي يَخْلُقُكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْفَادِرُونَ وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ يُجْعَلِ الْأَرْضُ كِفَاتًا أَحْيَاءَ وَأَمْواتًا وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَاسِيَّ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فَرَاتًا وَيَلَّ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ» ٢٠ - ٢٨.

النبا: «الَّذِي يُجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا» ٦ - ١٦.

النازعات: «أَلَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكُهَا فَسَوَّاهَا وَأَعْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءً وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَوْسَادًا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» ٢٧ - ٣٣.

عبس: «فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَّبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا وَعَبَا وَقَضْبًا وَرَزَقْنَاهُ وَنَحَلْنَاهُ وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ» ٢٤ - ٣٢.

الغاشية: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ» ١٧ - ٢٠.

١- ج: (الإحتجاج) عن أمير المؤمنين صلوات الله عليه و لو فكروا في عظيم القدرة و جسيم النعمة لرجعوا إلى الطريق و خافوا عذاب الحريق و لكن القلوب عليلة و الأبصار مدخولة (١) أفلا ينظرون إلى صغير ما خلق كيف أحكم خلقه و أتقن تركيبه و فلق له السمع و البصر و سوى له العظم و البشر انظروا (٢) إلى النملة في صغر جنتها و لطافة هيأتها لا تكاد تتال بلحظ البصر و لا بمستدرك الفكر كيف دبت على أرضها و ضنت على رزقها (٣) تنقل الحبة إلى حجرها و تعدها في مستقرها تجمع في حجرها لبردها و في ورودها لصودرها (٤) مكفول برزقها مرزوقة بوقفها لا

(٢) في «أ»: و انظروا.

(٤) و في نسخة، و كذا في المصدر: بصدرها.

(١) و في نسخة: و البصائر مدخولة.

(٣) في «أ» و المصدر: وصيت.

يغفلها المنان ولا يحرمها الديان و لو في الصفا اليابس و الحجر الجامس لو فكرت في مجاري أكلها و في علوها و سفلها و ما في الجوف من شراسيف بطنها و ما في الرأس من عينها و أذنهما لتقصيت من خلقها عجبا و لقيت من وصفها تعباً فتعالى الذي أقامها على قوائمها و بناها على دعائمها لم يشركه في فطرها فاطر و لم يعنه على خلقها قادر. و لو ضربت في مذاهب فكرك لتبلغ غاياته ما دلتك الدلالة إلا على أن فاطر النملة هو فاطر النحلة لدقيق تفصيل كل شيء و غامض اختلاف كل حي و ما الجليل و اللطيف و الثقيل و الخفيف و القوي و الضعيف في خلقه إلا سواء كذلك السماء و الهواء و الريح و الماء فانظر إلى الشمس و القمر و النبات و الشجر و الماء و الحجر و اختلاف هذا الليل و النهار و تفجر هذه البحار و كثرة هذه الجبال و طول هذه القلال و تفرق هذه اللغات و الألسن المختلفة فالويل لمن أنكر المقدر و جحد المدبر زعموا أنهم كالنبات ما لهم زارع و لا لاختلاف صورهم صانع لم يلجئوا إلى حجة فيما ادعوا و لا تحقيق لما وعوا و هل يكون بناء من غير بان أو جنانية من غير جان.

و إن شئت قلت في الجرداء إذ خلق لها عينين حمراوين و أسرج لها حدقتين قمرارين و جعل لها السمع الخفي و فتح لها الفم السوي و جعل لها الحس القوي و نابين بهما تقرض و منجلين بهما تقبض ترهبها الزراع في زرعهم و لا يستطيعون ذبها و لو أجلبوا بجمعهم حتى ترد الحرث في نزواتها و تقضي منه شهواتها و خلقها كله لا يكون إصعبا مستدقة فتبارك الذي يسجد له من في السماوات و الأرض طوعاً و كرهاً و يعفر له خدا و وجها و يلقى بالطاعة إليه سلما و ضعفا و يعطي له القياد رهبة و خروفا فالطير مسخرة لأمره أحصى عدد الريش منها و النفس و أرسى قوائمها على الندى و اليبس قدر أقاتها و أحصى أجناسها فهذا غراب و هذا عقاب و هذا حمام و هذا نعام دعا كل طائر باسمه و كفل له برزقه و أنشأ السحاب الثقال فأطفل ديمها و عدد قسمها قبل الأرض بعد جنوفها و أخرن نبتها بعد جدوها^(١).

إيضاح: مدخولة أي معبوبة من الدخل بالتحريك و هو العيب و الغش و الفساد و فلق أي شق و البشر ظاهر جلد الإنسان و لا بمستدرك الفكر إما مصدر ميمي أي بإدراك الفكر أو اسم مفعول من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف^(٢) أي بإدراك الفكر الذي يدركه الإنسان^(٣) بغاية سعيه أو اسم مكان و الباء بمعنى في أي في محل إدراكه و الغرض المبالغة في صغرها بحيث لا يمكن إدراك تفاصيل أعضائه بالنظر و لا بالنكر كيف دبت أي نشأت و ضنت بالضاد المعجمة و النون أي بخلت و في بعض النسخ صبت بالضاد المهملة و الباء الموحدة على بناء المجهول إما على القلب أي صب عليها الرزق أو كناية عن هجومها و اجتماعها على رزقها بإلهامها تعالى فكانها صبت على الرزق و يمكن أن يقرأ على بناء المعلوم من الصبابة و هي حرارة الشوق لصدرها الصدر بالتحريك رجوع المسافر من مقصده و الشاربة من الورد أي تجمع في أيام التمكن من الحركة لأيام العجز عنها فإنها تخفي في شدة الشتاء لعجزها عن البرد و المنان هو كثير المن و العطاء و الديان القهار و القاضي و الحاكم و السانئ و المجازي و الصفا مقصورا جمع الصفاة و هي الحجر الصلد الضخم الذي لا يثبت و الجامس اليابس الجامد قال الخليل في كتاب العين جمس الماء جمد و صخرة جامسة لزمت مكانا انتهى^(٤) و الضمير في علوها و سفلها إما راجع إلى المجاري أو إلى النملة أي ارتفاع أجزاء بدنها و انخفاضها على وجه تقتضيه الحكمة و قال الجوهري الشراسيف مقاط الأضلاع و هي أطرافها التي تشرف على البطن و يقال الشرسوف غضروف معلق بكل ضلع مثل غضروف الكتف لقصيت من خلقها عجبا القضاء بمعنى الأداء أي لأدبت عجبا و يحتمل أن يكون بمعنى الموت أي لقصيت نحيك من شدة تعجبك و يكون عجباً مفعولاً لأجله و لو ضربت أي سرت كما قال تعالى: «إذا ضربتم في الأرض»^(٥). غاياته أي غايات فكرك إلا سواء أي في دقة الله و غموض الخلقة أو في الدلالة على الفاطر و كمال قدرته و علمه و القلال بالكسر جمع قلة بالضم و هي أعلى الجبل زعموا أنهم كالنبات أي كما زعموا في النبات أو كنبات لا زارع له حيث لا ينسب

(١) الاحتجاج: ٢٠٤ - ٢٠٥. (٢) و في نسخة: الموصوف الخاص.

(٣) كذا في «أ» و في «ط»: أي بإدراك الفكر الذي يدركه الانسان.

(٤) كتاب العين ٦: ٦٠.

(٥) النساء: ١٠١.

إلى الزارع وإن نسب إلى ربه تعالى لما وعوا أي جمعوا وحفظوا وأسرج لها حدقتين أي جعلهما مضيقتين كالسراج ويقال حدقة قمرأ أي منيرة كما يقال ليلة قمرأ أي نيرة بضوء القمر بهما تقرر بفساد الرأ أي تقطع والمنجل كمنبر حديدية يقضب بها الزرع شهت بها يداها والذب الدفع والمنع في نزواتها أي ونباتها وخلقتها كله الواو حالية سلما بالكسر وبالتحريك أي استسلاما و اقتيادا وأرسى أي أثبت أي جعل لها رجلين يمكنها الاستقرار بهما على الأراضي اليابسة والندية والهطل تتابع المطر والديم بكسر الدال وفتح الياء جمع الديمة بالكسر وهي المطر الذي ليس فيه رعد ولا برق والجذوب قلة النبات والزرع.

٢- ج: [الإحتجاج] عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ﴾^(١). قال: فمن لم يدره خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ودوران الفلك بالشمس والقمر والآيات العجيبات على أن وراء ذلك أمرا هو أعظم منه فهو في الآخرة أعمى قال فهو عما لم يعاين أعمى وأصل سبيلا.^(٢)

بيان: لعل المراد على هذا التفسير فهو في أمر الآخرة التي لم ير آثارها أشد عمى وضلالة.

٣- ج: [الإحتجاج] روي عن هشام بن الحكم أنه قال كان من سؤال الزنديق الذي أتى أبا عبد الله عليه السلام قال ما الدليل على صانع العالم فقال أبو عبد الله عليه السلام وجود الأفاعيل التي دلت على أن صانعها صنعها ألا ترى أنك إذا نظرت إلى بناء مشيد مبني علمت أن له بانيا وإن كنت لم تر الباني ولم تشاهده قال وما هو قال هو شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي شيء إلى إثباته وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا يغيره الزمان.

قال السائل: فإن لم نجد موهوما إلا مخلوقا قال أبو عبد الله عليه السلام لو كان ذلك كما تقول لكان التوحيد منا مرتفعا^(٣) فإنما لم نكلف أن نعتقد غير موهوم لكننا نقول كل موهوم بالحواس مدرك بها تحده الحواس ممثلا فهو مخلوق ولا بد من إثبات صانع الأشياء خارجا من الجهتين المذمومتين إحداهما النفي إذ كان النفي هو الإبطال والعدم والجهة الثانية التشبيه بصفة المخلوق الظاهر التركيب والتأليف فلم يكن بد من إثبات الصانع لوجود المصنوعين والاضطرار منهم إليه أنهم مصنوعون وأن صانعهم غيرهم وليس مثلهم إذ كان مثلهم شبيها بهم^(٤) في ظاهر التركيب والتأليف فيما يجري عليهم من حدوثهم بعد أن لم يكونوا وتنقلهم من صغر إلى كبير وسواد إلى بياض وقوة إلى ضعف وأحوال موجودة لا حاجة بنا إلى تفسيرها لثباتها وجودها.

قال السائل: فأنت قد حددته إذا ثبت وجوده.

قال أبو عبد الله عليه السلام: لم أحده ولكن أثبتته إذ لم يكن بين الإثبات والنفي منزلة قال السائل فقلوه: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾^(٥) قال أبو عبد الله عليه السلام: بذلك وصف نفسه وكذلك هو مستول على العرش بائن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملا له ولا أن العرش محل له لكننا نقول هو حامل للعرش وممسك للعرش ونقول في ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٦). فثبتنا من العرش والكرسي ما ثبتته ونفيًا أن يكون العرش والكرسي^(٧) حاويا له وأن يكون عز وجل محتاجا إلى مكان أو إلى شيء مما خلق بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترتفعوا أيديكم إلى السماء وبين أن تخفضوها نحو الأرض قال أبو عبد الله عليه السلام ذلك في علمه وأحاطته وقدرته سواء ولكنه عز وجل أمر أوليائه وعباده برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبتته القرآن والأخبار عن الرسول ﷺ حين قال ارفعوا أيديكم إلى الله عز وجل وهذا تجمع عليه فرق الأمة كلها.^(٨)

(٢) الإحتجاج: ٣٢١.

(١) الاسراء: ٧٢.

(٣) وفي نسخة: لكان التوحيد عنّا مرتفعا.

(٤) وفي نسخة: إذا كان مثلهم شبيها بهم. وفي «أ»: إذا كان مثلهم شبيها بهم.

(٦) البقرة: ٢٥٥.

(٥) طه: ٥.

(٨) الإحتجاج: ٣٢١ - ٣٢٢.

(٧) في أ: أو الكرسي.



يد: [التوحيد] الدقاق عن أبي القاسم العلوي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم مثله مع زيادة أثبتها في باب احتجاج الصادق على الزنادقة.^(١)

بيان: قوله ﷺ وأنه شيء بحقيقة الشيئية المراد بالشيئية إما الوجود أو معنى مساو له و على التقديرين فالمراد إما بيان عينية الوجود أو قطع طمع السائل عن تغفل كنهه تعالى بل بأنه شيء و أنه بخلاف الأشياء و الجس بالجسم المس قوله فإننا لم نجد موهوما إلا مخلوقا أي يلزم مما ذكرت أنه لا تدركه الأوهام أن كل ما يحصل في الوهم يكون مخلوقا فأجاب ﷺ بما حاصله أن مرادنا أنه تعالى لا يدرك كنه حقيقته القول و الأوهام و لا يتمثل أيضا في الحواس إذ هو مستلزم للتشبيه بالمخلوقين و لو كان كما توهمت من أنه لا يمكن تصويره تعالى بوجه من الوجوه لكان تكليفنا بالتصديق بوجوده و توحيده و سائر صفاته تكليفا بالمحال إذ لا يمكن التصديق بشئ شيء بدون تصور ذلك الشيء فهذا القول مستلزم لنفي وجوده و سائر صفاته عنه تعالى بل لا بد في التوحيد من إخراجهم عن حد النفي و التعطيل و عن حد التشبيه بالمخلوقين ثم استدلل ﷺ بتركيبهم و حدودهم و تغير أحوالهم و تبدل أوضاعهم على احتياجهم إلى صانع منزعه عن جميع ذلك غير مشابه لهم في الصفات الإمكانية و إلا لكان هو أيضا مفتقرا إلى صانع لا شريك علة الافتقار.

قوله: فقد حددته إذا ثبتت وجوده أي إثبات الوجود له يوجب التحديد إما بناء على توهم أن كل موجود لا بد أن يكون محدودا بحدود جسمانية أو بحدود عقلانية أو باعتبار التحدد بصفة هو الوجود أو باعتبار كونه محكوما عليه فيكون موجودا في الذهن محاطا به فأجاب ﷺ بأنه لا يلزم أن يكون كل موجود جسما أو جسمانيا حتى يكون محدودا بحدود جسمانية و لا أن يكون مركبا حتى يكون محدودا بحدود عقلانية أو لا يلزم كون حقيقته حاصلة في الذهن أو محدودة بصفة فإن الحكم لا يستدعي حصول الحقيقة في الذهن و الوجود ليس من الصفات الموجودة المعنوية التي تحد بها الأشياء.

٤-ج: [الإحتجاج] عن هشام بن الحكم قال دخل ابن أبي العجاء على الصادق ﷺ فقال له الصادق يا ابن أبي العجاء أمصنوع أنت أم غير مصنوع قال لست بمصنوع فقال له الصادق ﷺ فلو كنت مصنوعا كيف كنت تكون فلم يحر ابن أبي العجاء جوابا و قام و خرج.^(٢)

يد: [التوحيد] الهمداني عن علي بن أبيه عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام مثله.

بيان: لما كان التصديق بوجود الصانع تعالى ضروريا نبه ﷺ بأن العقل يحكم بديهته بالفرق بين المصنوع وغيره و فيك جميع صفات المصنوعين فكيف لم تكن مصنوعا.

٥-ج: [الإحتجاج] دخل أبو شاعر الديصاني و هو زنديق على أبي عبد الله ﷺ فقال له يا جعفر بن محمد دلني على معبودي فقال أبو عبد الله ﷺ فإذا غلام صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال أبو عبد الله ﷺ يا غلام البيضة فنأوله إياها فقال أبو عبد الله ﷺ يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق و تحت الجلد الرقيق ذبابة مائعة و فضة ذائبة فلا الذهبية المائعة تختلط بالفضة الذائبة و لا الفضة الذائبة تختلط بالذهبية المائعة فهي على حالها لم يخرج منها خارج^(٣) مصلح فيخبر عن إصلاحها و لم يدخل فيها داخل مفسد فيخبر عن إفسادها لا يدري للذكر خلقت أم للأنثى تتلفق عن مثل ألوان الطواويس أترى لها مدبرا قال فأطرق مليا ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أشهد أن محمدا عبده و رسوله و أنك إمام و حجة من الله على خلقه و أنا تائب مما كنت فيه.^(٤)

٦-يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن محمد بن أبي إسحاق الخفاف عن عدة من أصحابنا أن عبد

(١) التوحيد: ٢٤٣ ب ٢٦ ح ١.

(٢) الإحتجاج: ٣٣٣ مع اختلاف طيف.

(٤) الإحتجاج: ٣٣٣ مع اختلاف يسير.

(٣) في «أ»: لم يخرج خارج منها.

الله الديصاني أتى باب أبي عبد الله عليه السلام فاستأذن عليه فأذن له فلما قعد قال له يا جعفر بن محمد دلني على معبودي فقال له أبو عبد الله عليه السلام ما اسمك فخرج عنه و لم يخبره باسمه فقال له أصحابه كيف لم تخبره باسمك قال لو كنت قلت له عبد الله كان يقول من هذا الذي أنت له عبد فقالوا له عد إليه فقل بذلك على معبودك و لا يسألك عن اسمك فرجع إليه فقال له يا جعفر دلني على معبودي و لا تسألني عن اسمي فقال له أبو عبد الله عليه السلام اجلس و إذا غلام صغير إلى آخر الخبر.^(١)

بيان: قد أوردنا الخبر بتمامه في باب القدرة و تقرير استدلاله عليه السلام أن ما في البيضة من الإحكام و الإقتان و الاشتغال على ما به صلاحها و عدم اختلاط ما فيها من الجسمين السالبين و الحال أنه ليس فيها حافظ لها من الأجسام فيخرج مخبرا عن صلاحها و لا يدخلها جسماني من خارج فيفسدها و هي تتفلق عن مثل ألوان الطواويس يدل على أن له مبدأ غير جسم و لا جسماني و لا يخفى لطف نسبة الإصلاح إلى ما يخرج منها و الإفساد إلى ما يدخل فيها لأن هذا شأن أهل الحصن الحافظين له و حال الداخل فيه بالقهر و الغلبة.

٧-ج: [الإحتجاج] عن عيسى بن يونس قال كان ابن أبي العوجاء من تلامذة الحسن البصري فأنحرف عن التوحيد فقبل له تركت مذهب صاحبك و دخلت فيما لا أصل له و لا حقيقة قال إن صاحبي كان مخطئا يقول طورا بالقدر و طورا بالجبر فما أعلمه اعتقد مذهباً دام عليه فقدم مكة تمردا و إنكارا على من يحج و كان يكره العلماء مجالسته و مساءلته لخبث لسانه و فساد ضميره فأتى أبا عبد الله فجلس إليه في جماعة من نظرائه فقال يا أبا عبد الله إن المجالس بالأمانات و لا يد لكل من به سؤال أن يسأل أفتأذن لي في الكلام فقال الصادق عليه السلام تكلم بما شئت فقال إلى كم تدوسون هذا البيدر^(٢) و تلذذون بهذا الحجر و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر^(٣) و تهزلون حوله كهرولة البعير إذا نفران من فكر في هذا و قدر علم أن هذا فعل أسسه غير حكيم و لا ذي نظر فقل فإنك رأس هذا الأمر و سنامه و أبوك أسه و نظامه فقال أبو عبد الله عليه السلام إن من أضله الله و أعمى قلبه استوخم الحق و لم يستعذ به و صار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره و هذا بيت استعبد الله به عباده ليختر طاعتهم في إتيانه فتحتم على تعظيمه و زيارته و جعله محل أنبيائه و قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه و طريق يؤدي إلى غفرانه منصوب على استواء الكمال و مجتمع العظمة و الجلال خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام فأحق من أطيع فيما أمر و انتهى عما نهى عنه و زجر الله المنشئ للأرواح و الصور فقال ابن أبي العوجاء ذكرت الله فأحلت على غائب فقال أبو عبد الله عليه السلام ويلك كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد و إليهم أقرب من حبل الوريد يسمع كلامهم و يرى أشخاصهم و يعلم أسرارهم.

٢٤-ج: فقال ابن أبي العوجاء فهو في كل مكان أليس إذا كان في السماء كيف يكون في الأرض و إذا كان في الأرض كيف يكون في السماء فقال أبو عبد الله عليه السلام إنما وصفت المخلوق الذي إذا انتقل من مكان اشتغل به مكان و خلا منه مكان فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه فأما الله العظيم الشأن الملك الديان فلا يخلو منه مكان و لا يشتغل به مكان و لا يكون إلى مكان أقرب منه إلى مكان.^(٤)

لي: [الأمالي للصدوق] ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن أبي أحمد محمد بن زياد الأزدي عن الفضل بن يونس مثله.^(٥)

ع: [علل الشرائع] الهمداني و المكتب و الوراق جميعا عن علي عن أبيه عن الفضل مثله.^(٦)

٨-يد: [التوحيد] الدقاق عن حمزة بن القاسم العلوي عن البرمكي عن داود بن عبد الله عن عمرو بن محمد عن عيسى بن يونس مثله و زاد في آخره و الذي بعثه بالآيات المحكمة و البراهين الواضحة و أيده بنصره و اختاره

(١) التوحيد: ١٢٣ - ١٢٤ ح ٩ ج ١. (٢) البيدر: الموضع الذي يداس فيه الطعام «الصحاح: ٥٨٧».

(٣) المدر: قطع الطين اليابس، و قيل: الطين الطلك الذي لا رمل فيه، واحده مدره. لسان العرب ١٣: ٥٣.

(٤) الإحتجاج: ٣٣٥ - ٣٣٦. (٥) أمالي الصدوق: ٤٩٤ م ٩٠ ح ٤.

(٦) علل الشرائع: ٤٠٣ ح ١٤٢ ج ٤ و فيه إضافة إلى ما في الأمالي: لخبث لسانه، و فساد ضميره.

لتبليغ رسالته صدقنا قوله بأن ربه بعثه وكلمه فقام عنه ابن أبي العوجاء وقال لأصحابه من ألقاني في بحر هذا؟ وفي رواية ابن الوليد: من ألقاني في بحر هذا سألتكم أن تلتمسوا لي خمرة فألقيتوني على جمرة قالوا ما كنت في مجلسه إلا حقيرا قال إنه ابن من حلق رءوس من ترون.^(١)

بيان: الطوب بالضم الآخر وطعام وخيم غير موافق واستوخمه أي لم يستمرنه ولم يستعذبه أي لم يدرك عذوبته وحاصل ما ذكره ﷺ أنه تعالى إنما استعبدكم بذلك ليختبرهم في إطاعتهم له والاختبار فيما خفي وجه الحكمة فيه على أكثر العقول مع أن لخصوص هذا المكان الشريف مزايا وشرائط لكونه محل الأنبياء وقبلة المصلين وسابقا في الخلق على جميع الأرض وقد أشار ﷺ بقوله فهو شعبة مع الفقرات التي بعدها إلى ما جعل الله فيه من الكمالات المعنوية والأسرار الخفية حيث جعله محلا لقربه ورضوانه ومهبطا لرحماته وغفرانه وما أفاض عليه من أنوار جبروته وأخفى فيه من أسرار ملكوته والاستواء الاعتدال والوريد هو العرق الذي في صفحة العنق ويقطعه نزول الحياة ففي التشبيه به دون سائر الأعضاء إشعار بكيفية قربه بأن قربه قرب بالعلية والتأثير فيما بعدها من الفقر إشارة إلى جهة أخرى من قربه وهي الإحاطة العلمية والخمرة بالضم حصيرة صغيرة من السعف أي طلبت منكم أن تطلبوا لي خصما لعب به كالخمرة فألقيتوني على جمرة ملهته.

٩-ج: [الاحتجاج] وروي أن الصادق ﷺ قال لا بن أبي العوجاء إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول^(٢) نجونا ونجوت وإن يكن الأمر كما نقول نجونا وهلك.^(٣)

١٠-ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] م: [تفسير الإمام ﷺ] ج: [الاحتجاج] وبالإسناد عن أبي محمد ﷺ أنه قال في تفسير قوله تعالى: «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا»^(٤). الآية: جعلها ملائمة لطباتكم موافقة لأجسادكم لم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم ولا شديدة البرودة فتجمدكم ولا شديدة طيب الريح فتصدع هاماتكم^(٥) ولا شديدة التنن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم وشديدة الصلابة تمنعكم عليكم في حركتكم وأبنيتكم ودفن موتاكم ولكنه جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به و تتماسكون و تتماسك عليها أبدانكم وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحركتكم وقبوركم وكثير من منافعكم فذلك جعل الأرض فراشا لكم ثم قال: «وَالسَّمَاءَ بَنَاءً» يعني سقفا من فوقكم محفوظا يدبر فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم ثم قال: «وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» يعني المطر ينزله من علا ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوداكم ثم فرقه رذاذا وإبلا وهطلا وطلا لتنشفه أرضكم ولم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة تفسد أرضكم وأشجاركم وزروعكم وثماركم ثم قال «فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ» يعني مما يخرج من الأرض رزقا لكم. «قُلْ لَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا» أي أشباها وأمثالا من الأصنام التي لا تعقل ولا تسمع ولا تبصر ولا تقدر على شيء وَأَنْتُمْ تَقْلُمُونَ أَنَّهَا لَا تقدر على شيء من هذه النعم الجليلة التي أنعمها عليكم ربكم.^(٦)

بيان: الهضاب جمع الهضبة وهي الجبل المنبسط على الأرض أو جبل خلق من صخرة واحدة^(٧) والرذاذ كسحاب المطر الضعيف أو الساكن الدائم الصغار القطر والوابل المطر الشديد الضخم القطر^(٨) والهطل المطر الضعيف الدائم وتتابع المطر المتفرق العظيم القطر^(٩) والطل المطر الضعيف أو أخف المطر وأضعفه أو الندى أو فوقه ودون المطر^(١٠) كل ذلك ذكرها الفيروزآبادي.

١١-يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] العطار عن سعد عن ابن هاشم عن علي بن

(١) الترجيد: ٢٥٤ ب ٣٦ ح ٤. (٢) ما بين القوسين سقط في «أ».

(٣) الاحتجاج: ٣٣٦ وفيه: وإن يكن الامر كما نقول وهو كما نقول نجونا وهلك.

(٤) البقرة: ٢٢.

(٥) الهامة: رأس كل شيء من الروحانيين (أي ذوى الارواح) لسان العرب ١٥: ١٦٢.

(٦) عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ١٢٥ ح ١١. (٧) القاموس المحيط ١: ١٤٥.

(٨) القاموس المحيط ١: ٣٧٧. (٩) القاموس المحيط ٤: ٧٠.

(١٠) القاموس المحيط ٤: ٧.

معبود عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام أنه دخل عليه رجل فقال له يا ابن رسول الله ما الدليل على حدوث العالم فقال أنت لم تكن ثم كنت وقد علمت أنك لم تكون نفسك ولا كونك من هو مثلك. (١)
ج: [الإحتجاج] مرسلًا مثله. (٢)

١٢- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام ماجيلويه عن عمه أبي سمينة محمد بن علي الكوفي الصيرفي عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال دخل رجل من الزنادقة على الرضا عليه السلام وعنده جماعة فقال له أبو الحسن عليه السلام أرأيت إن كان القول قولكم وليس هو كما تقولون ألسنا وإياكم شرعا سواء ولا يضرك ما صلينا وصننا وزكينا وأقرنا فسكت فقال أبو الحسن عليه السلام إن يكن القول قولنا وهو كما تقول (٣) أستم قد هلكتم ونجونا قال رحمك الله فأوجدني كيف هو وأين هو قال ويحك إن الذي ذهبت إليه غلط هو أين الأين وكان ولا أين وهو كيف الكيف وكان ولا كيف فلا يعرف بكيفية ولا بأينونية ولا بحاسة ولا يقاس بشيء قال الرجل فإذا إن لا شيء إذا لم يدرك بحاسة من الحواس فقال أبو الحسن عليه السلام ويحك لما عجزت حواسك عن إدراكه أنكرت ربوبيته ونحن إذا عجزت حواسنا عن إدراكه أيقنا أنه ربنا وأنه شيء بخلاف الأشياء قال الرجل فأخبرني متى كان قال أبو الحسن عليه السلام أخبرني متى لم يكن فأخبرك متى كان قال الرجل فما الدليل عليه قال أبو الحسن عليه السلام إني لما نظرت إلى جسدي فلم يمكنني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنفعة إليه علمت أن لهذا البنيان بانيا فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من الآيات العجيبات المتقانات علمت أن لهذا مقدرًا ومنشأ قال الرجل فلم احتجب فقال أبو الحسن عليه السلام إن الحجاب على الخلق لكثرة ذنوبهم فأما هو فلا تخفى عليه خافية في آناء الليل والنهار قال فلم لا تدركه حاسة البصر قال للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الأبصار منهم ومن غيرهم ثم هو أجل من أن يدركه بصر أو يحيط به وهم أو يضبطه عقل قال فحده لي فقال لا حد له قال ولم قال لأن كل محدود متناه إلى حد وإذا احتمل التحديد احتمل الزيادة وإذا احتمل الزيادة احتمل النقصان فهو غير محدود ولا متزائد ولا متناقص ولا متجزئ ولا متوهم قال الرجل فأخبرني عن قولكم إنه لطيف وسميع وبصير وعليم وحكيم أيكون السميع إلا بالأذن والبصير إلا بالعين واللطيف إلا بعمل اليدين والحكيم إلا بالصنعة فقال أبو الحسن عليه السلام إن اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئًا فيلطف في اتخاذه فيقال ما أظف فلانا فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف إذ خلق خلقًا لطيفًا وجليلا وركب في الحيوان منه أرواحها وخلق كل جنس متبائن من جنسه في الصورة ولا يشبه بعضه بعضًا فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته ثم نظرنا إلى الأشجار وحملها أطايبها المأكولة منها وغير المأكولة فقلنا عند ذلك إن خالقنا لطيف لا كلف خلقه في صنعتهم وقلنا إنه سميع لأنه لا يخفى عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرة إلى أكبر منها في برها وبحرها ولا تشبه عليه لغاتها فقلنا عند ذلك إنه سميع لا ياذن وقلنا إنه بصير لا يبصر لأنه يرى أثر الذرة السحماء في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء و يرى ديبب النمل في الليلة الدجّة و يرى مضارها ومنافعها وأثر سفادها وقراخها ونسلها فقلنا عند ذلك إنه بصير لا كيصّر خلقه قال فما برح حتى أسلم وفيه كلام غير هذا. (٤)

ج: [الإحتجاج] رواه مرسلًا عن محمد بن عبد الله الخراساني إلى آخر الخبر. (٥)

بيان: أوجدني أي أفدني كيفيته ومكانه وأظفني بمطلبي الذي هو العلم بهما هو أين الأين أي جعل الأين أينا بناء على مجعولية الماهيات أو أوجد حقيقة الأين وكذا الكيف والكيفية والأينونية الاتصاف بالكيف والأين قوله فإذا إنه لا شيء هذا السائل لما كان وهمه غالبًا على عقائه زعم أن الموجود ما يمكن إحساسه فنفي الوجود عنه تعالى بناء على أنه عليه السلام نفى عنه أن يحس فأجاب عليه السلام بأنك جعلت تعاليه عن أن يدرك بالحواس دليلًا على عدمه ونحن إذا عرفناه بتعاليه عن

(١) التوحيد: ٢٩٣ ح ٤٢ ج ٣. أمالي الصدوق: ٢٨٨ م ٥٦ ح ٦. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٢٢ ج ١١ ح ٣٢.

(٢) الإحتجاج: ٣٩٦. (٣) في أ: هو قولنا وكما تقول. وكذا في عيون الأخبار.

(٤) الإحتجاج: ٣٩٦ - ٣٩٧.

(٥) التوحيد: ٢٥٠ ب ٣٦ ج ٣.

أن يدرك بالحواس أبقنا أنه ربنا بخلاف شيء من الأشياء إذا المحسوسية تستلزم أمورا كل منها مناف للرؤية على ما برهن عليه في محله قوله فأخبرني متى كان الظاهر أنه سأل عن ابتداء كونه وجوده و يحتمل أن يكون السؤال عن أصل زمان وجوده تعالى فعلى الأول حاصل جوابه ﷺ أن ابتداء الزمان إنما يكون لحادث كان معدوما ثم صار موجودا وهو تعالى يستحيل عليه العدم و على الثاني فالمراد أن الكائن في الزمان إنما يكون فيه بتغير و تبدل في ذاته و صفاته لأن الزمان نسبة المتغير إلى المتغير فيكون بحال في زمان لا يكون كذلك في زمان آخر وهو متعال عن التغير في الذات و الصفات قوله فلم احتجب توهم السائل أن احتجابه تعالى عبارة عن كونه وراء حجاب فأجاب ﷺ بأننا غير محجوبين عنه لإحاطة علمه بنا و كنه ذاته و صفاته محجوبة عنا لعجزنا و قصورنا عن إدراكه بأن يكون المراد بالذنوب الحجب الظلمانية الإمكانية و يحتمل أن يكون المراد أن عدم ظهوره تعالى على عامة الخلق كظهوره على أوليائه لغاية المعرفة إنما هو لذنوبهم التي حالت بينهم و بين تلك المعرفة وإلا فهو تعالى قد تجلى لأوليائه فظهر لهم ظهورا فوق الإحساس و الجواب عن الإحساس ظاهر إذ الفرق بينه و بين خلقه وهو كونه غير جسم ولا جسماني ولا حاصل في جهة و مكان هو الذي صار سببا لعدم إمكان رؤيته قوله فحده يحتمل أن يكون المراد التحديد بالحدود الجسمانية فحاصل جوابه ﷺ أن الحد نهاية لشيء ذي مقدار يمكن أن ينتهي إلى نهاية أخرى بعد تلك النهاية فيزيد مقداره و مثل هذا يمكن نقصانه لكون المقادير قابلة للانقسام فيكون ذا أجزاء فيكون محتاجا إلى أجزائه فيكون ممكنا فلا يكون صانعا بل يكون مصنوعا أو احتمال النقص ينافي الكمال الذي يحكم الوجدان باتصاف الصانع به و السحما السوداء و الدجته بكسر الجيم أي المتغيمة المظلمة و سيأتي تفسير آخر الخبر في باب معاني الأسماء قوله و فيه كلام غير هذا أي قيل إنه لم يسلم أو في الخبر تنمة تركناها.

١٣- لي: [الأمالي للصدوق] أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال دخل أبو شاذان الديصاني على أبي عبد الله الصادق ﷺ فقال له إنك أحد النجوم الزواهر و كان أبواك بدورا بواهر و أمهاتك عقيلات عباهر و عنصرك من أكرم العناصر و إذا ذكر العلماء فبك تنني الخناصر فخيرني أيها البحر الخضم الزاخر ما الدليل على حدوث العالم فقال الصادق ﷺ يستدل عليه بأقرب الأشياء قال و ما هو قال فدعا الصادق ﷺ بيضة فوضعها على راحته ثم قال هذا حصن ملموم داخله غرقى رقيق تطيف به فضة سائلة و ذهب مائعة ثم تنفق عن مثل الطائوس أدخلها شيء قال لا قال فهذا الدليل على حدوث العالم قال أخبرني فأوجزت و قلت فأحسنيت و قد علمت أنا لا تقبل إلا ما أدركناه بأبصارنا أو سمعناه بأذاننا أو لمسناه بأفئتنا أو شممناه بمنائنا أو ذقناه بأفواها أو تصور في القلوب بيانا و استنبطته الروايات إيقانا فقال الصادق ﷺ ذكرت الحواس الخمس و هي لا تنفع شيئا بغير دليل كما لا تقطع الظلمة بغير مصباح.^(١)

يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن علي بن منصور عن هشام بن الحكم مثله.^(٢)

بيان: قال الجوهري العقيلة كريمة الحي و الدرة عقيلة البحر^(٣) و قال الفيروزآبادي المعهر الممتلي الجسيم و العظيم الناعم الطويل من كل شيء كالعباهر فيها و بهاء الجامعة للحسن و الجسم و الخلق انتهى^(٤) و العنصر الأصل قوله فبك تنني الخناصر أي أنت تعد أولا قبلهم لكونك أفضل و أشهر منهم وإنما يبدأ في العد بالعنصر و الثني العطف و الخضم بكسر الخاء و فتح الضاد المشددة الكثير العطاء و قال الجوهري زخر الوادي إذا امتد جدا و ارتفع يقال بحر زاهر^(٥) و قال كتيبة ملمومة مضمومة بعضها إلى بعض^(٦) و قال الغرقى قشر البيض التي تحت القبيض^(٧) و القبيض

(١) أمالي الصدوق: ٢٨٨ م ٥٦ ح ٥ و فيه: عرق رقيق.

(٢) التوحيد: ٢٩٢ ب ٤٢ ح ١.

(٣) القاموس المحيط ٧: ٨٧.

(٤) الصالح: ٢٠٣٢.

(٥) الصالح: ١٧٧٠.

(٦) الصالح: ٦٦٩.

(٧) الصالح: ٦٢.

ما تفلق من قشور البيض^(١) قوله ﷺ و هي لا تنفع شيئا بغير دليل أي هي عاجزة تتوقف إدراكها على شرائط فكيف تنفي ما لم تدركه بحسك^(٢) كما أن البصر لا يبصر الأشياء بغير مصباح و يحتمل أن يكون المراد بالدليل العقل أي لا تنفع الحواس بدون دلالة العقل فهو كالسراج لإحساس الحواس و أنت قد عزلت العقل و حكمه و اقتضت على حكم الحواس.

١٤-م: [تفسير الإمام ﷺ] ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] محمد بن القاسم المفسر عن يوسف بن محمد بن زياد و علي بن محمد بن سيار^(٣) عن أبيهما عن الحسن بن علي عن أبيه علي بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه الرضا علي بن موسى عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ قال قال أمير المؤمنين ﷺ في قول الله عز و جل: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٤) - قال - هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً لَعَنُوا بِهِ وَتوصلوا به إلى رضوانه و تتوقوا به من عذاب نيرانه ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ أَخَذَ فِي خَلْقِهَا وَ إِنْقَانَهَا فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ و لعلمه بكل شيء علم المصالح فخلق لكم كل ما في الأرض لمصالحكم يا بني آدم.^(٥)

٤١

١٥-ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] الطالقاني عن ابن عقدة عن علي بن الحسن بن فضال عن أبيه عن أبي الحسن الرضا ﷺ قال قلت له لم خلق الله عز و جل الخلق على أنواع شتى و لم يخلقهم نوعا واحدا فقال لثلاث يقع في الأوهام أنه عاجز فلا تقع صورة في وهم ملحد إلا و قد خلق الله عز و جل عليها خلقا و لا يقول قائل هل يقدر الله عز و جل على أن يخلق على صورة كذا و كذا إلا وجد ذلك في خلقه تبارك و تعالى فيعلم بالنظر إلى أنواع خلقه أنه على كل شيء قدير.^(٦)

١٦-م: [تفسير الإمام ﷺ] مع: [معاني الأخبار] محمد بن القاسم المفسر عن يوسف بن محمد بن زياد و علي بن محمد بن سيار و كانا من الشيعة الإمامية عن أبيهما عن الحسن بن علي بن محمد في قول الله عز و جل بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فقال الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج و الشدائد كل مخلوق عند انقطاع الرجاء من كل من دونه و تقطع الأسباب من جميع من سواه تقول بسم الله أي أستعين على أمور كلها بالله الذي لا تحق العبادة إلا له المغيث إذا استغيث و المجيب إذا دعي و هو ما قال رجل للصادق ﷺ يا ابن رسول الله دلني على الله ما هو فقد أكثر علي المجادلون و حيروني فقال له يا عبد الله هل ركبت سفينة قط قال نعم قال فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك و لا سباحة تغنيك^(٧) قال نعم قال فهل تعلق قلبك هنالك أن شيئا من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك قال نعم قال الصادق فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجى و على الإغاثة حيث لا مغيث.^(٨)

بيان: قال الفيروز آبادي أنه إليه كفرح فزع و لا ذ و ألله أجاره و آمنه.^(٩)

١٧-ل: [الخصال] القامي و ابن مسرور عن محمد بن جعفر بن بطنة عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله ﷺ قال سمعت أبي يحدث عن أبيه ﷺ أن رجلا قام إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال له يا أمير المؤمنين بما عرفت ربك قال بفسخ العزم^(١٠) و نقض الهمم لما أن هممت حال بيني و بين هي و عزمت فخالفت القضاء عزمي فعملت أن المدبر غيري قال فيما ذا شكرت نعمة الله قال نظرت إلى بلاء قد صرفه عني و أبلى به غيري فعملت أنه قد أنعم علي فشكرته قال فيما ذا أحببت لقاءه قال لما رأيته قد اختار لي دين ملائكتك و رسله و أنبيائه علمت أن الذي أكرمني بهذا ليس ينساني فأحببت لقاءه.^(١١)

٤٢

(١) الصحاح: ١١٠٤.

(٢) قال العلامة الطباطبائي في هامش «ط»: بل المراد أن الحواس انما لها الإدراك التصوري و أما التصديق و الحكم فللعقل.

(٣) في العيون: علي بن محمد بن سيار و هو تصحيف ظاهر. (٤) البقرة: ٢٩.

(٥) التفسير المنسوب للإمام العسكري ﷺ: ٢١٥ ح ١٩. عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢: ١٥ ب ٣٠ ح ٢٩ و فيه: و لتوصلوا به إلى رضوانه.

(٦) عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢: ٨١ ب ٣٢ ح ١. (٧) في «ل» و «ا» و لا سباحة تغنيك.

(٨) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ: ٢١ - ٢٢ ح ٥. معاني الأخبار: ٤ ب ٥ ح ٥ و فيه.

(٩) القاموس المحيط: ٤: ٢٨٢. (١٠) و في نسخة بفسخ الهمم.

(١١) الخصال: ٣٣ ح ١ و فيه: و نقض الهمم، لما أن هممت فحال بيني.

يد: [التوحيد] الهمداني عن علي بن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام (١).

١٨- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن محمد بن علي الكوفي عن عبد الرحمن بن محمد بن أبي هاشم عن أحمد بن محسن الميثمي قال كنت عند أبي منصور المتطيب فقال أخبرني رجل من أصحابي قال كنت أنا و ابن أبي العوجاء و عبد الله بن المقفع في المسجد الحرام فقال ابن المقفع ترون هذا الخلق و أومى بيده إلى موضع الطواف ما منهم أحد أوجب له اسم الإنسانية (٢) إلا ذلك الشيخ الجالس يعني جعفر بن محمد عليه السلام فأما الباقر فرعاع و بهائم فقال له ابن أبي العوجاء و كيف أوجبت هذا الاسم لهذا الشيخ دون هؤلاء قال لأنني رأيت عنده ما لم أر عندهم فقال ابن أبي العوجاء ما بد من اختيار ما قلت فيه منه فقال له ابن المقفع لا تفعل فإني أخاف أن يفسد عليك ما في يدك فقال ليس ذا رأيك و لكنك تخاف أن يضعف رأيك عندي في إحلالك إياه المحل الذي وصفت فقال ابن المقفع أما إذا توهمت علي هذا فقم إليه و تحفظ ما استطعت من الزلل و لا تثن عنناك إلى استرسال يسلمك إلى عقاب و سمه ما لك أو عليك قال فقام ابن أبي العوجاء و بقيت و ابن المقفع فرجع إلينا و قال يا ابن المقفع ما هذا ببشر و إن كان في الدنيا روحاني يتجسد إذا شاء ظاهرا و يتروح إذا شاء باطنا فهو هذا فقال له و كيف ذاك قال جلست إليه فلما لم يبق عنده غيري ابتدأني فقال إن يكن الأمر علي ما يقول هؤلاء و هو على ما يقولون يعني أهل الطواف فقد سلموا و عطبتهم و إن يكن الأمر كما تقولون و ليس كما تقولون فقد استويتهم و هم قفلت له يرحمك الله و أي شيء نقول و أي شيء يقولون ما قلتي و قولهم إلا واحدا فقال كيف يكون قولك و قولهم واحدا و هم يقولون إن لهم معادا و ثوابا و عقابا و يدينون بأن للسماء إلهها و أنها عمران و أنتم تزعمون أن السماء خراب ليس فيها أحد قال فاعتنتها منه قفلت له ما منعه إن كان الأمر كما تقول أن يظهر لخلقهم و يدعوه إلى عبادته حتى لا يختلف منهم اثنان و لما احتجب عنهم و أرسل إليهم الرسل و لو بأشهرهم بنفسه كان أقرب إلى الإيمان به فقال لي و إليك و كيف احتجب عنك من أراك قدرته في نفسك نشوؤك و لم تكن و كبرك بعد صغرك و قوتك بعد ضعفك و ضعفك بعد قوتك و سقمك بعد صحتك و صحتك بعد سقمك و رضاك بعد غضبك و غضبك بعد رضاك و حزنك بعد فرحك و فرحك بعد حزنك و حبك بعد بغضك و بغضك بعد حبك و عزمك بعد إباتك و إباطك بعد عزمك و شهوتك بعد كراهتك و كراهتك بعد شهوتك و رغبتك بعد رهبتك و رهبتك بعد رغبتك و رجاؤك بعد يأسك و يأسك بعد رجاؤك و خاطرك بما لم يكن في وهمك و عزوب ما أنت معتقده من ذنك و ما زال يعد على قدرته التي في نفسي التي لا أدفعها حتى ظننت أنه سيظهر فيما بيني و بينه (٣).

بيان: قال الجزري رعا ع الناس أي غوغاؤهم و سقاطهم و أخلاطهم الواحد رعاة (٤) قوله و لا تنن من الشني و هو العطف و الميل أي لا ترخ عنناك إليه بأن تميل إلى الرفق و الاسترسال و التساهل فتقبل منه بعض ما يلقي إليك فيسلمك من التسليم أو الإسلام إلى عقاب أي يعقلك بتلك المقدمات التي تسلمت منه بحيث لا يبقى لك مفر كالبعير المعقول قوله و سمه ما لك أو عليك.

نقل عن الشيخ البهائي قدس الله روحه أنه من السوم من سام البائع السلعة يسوم سوما إذا عرضها على المشتري و ساهما المشتري بمعنى استأهما و الضمير راجع إلى الشيخ على طريق الحذف و الإيصال و الموصول مفعول.

و يروي عن الفاضل التستري نور ضريحه أنه كان يقرأ اسمه بضم السين و فتح الميم المشددة أمرا من سم الأمر يسمه إذا سيره و نظر إلى غوره و الضمير راجع إلى ما يجري بينهما و الموصول بدل عنه و قبل هو من (٥) سممت سمك أي قصدت قصدك و الهاء للسكت أي أقصد ما لك و ما عليك و أظهر أنه من وسم يسمة بمعنى الكي (٦) و الضمير راجع إلى ما يريد أن يتكلم به أي اجعل على

(١) في نسخة: و جب له اسم الإنسانية.

(٢) التوحيد: ٢٣٦ - ٢٣٣ ح ١. (٣) التوحيد ١٢٥ - ١٢٦ ب ح ٤ و فيه: فقد استويتهم أنتم و هم، وكذا: يكون قولك و قولهم واحداً و هم يقولون، وكذا: و عزوب ما أنت معتقده عن ذنك، و ما زال يعد على قدرته التي هي في نفسي .. (٤) النهاية ٢٣٤: ٢٣٤.

(٥) و في «أ»: من هو.

(٦) قال في هامش «ط»: بل أظهر أنه أمر من التسمية كناية عن تعيين ما هو مقبول عنده من المقدمات و ما ليس بمقبول.

ما تريد أن تتكلم به علامة لتعلم أي شيء لك و أي شيء عليك فالموصول بدل من الضمير قوله ﷺ وهو على ما يقولون اعترض ﷺ الجملة الحالية بين الشرط و الجزاء للإشارة إلى ما هو الحق و لنلا يتوهم أنه ﷺ في شك من ذلك و العطب الهلاك قوله ليس فيها أحد أي لها أو عليها أو بالظرفية المجازية لجريان حكمه و حصول تقديره تعالى فيها و حاصل استدلاله ﷺ أنك لما وجدت في نفسك آثار القدرة التي ليست من مقدوراتك ضرورة علمت أن لها بارئاً قادراً و كيف يكون غائباً عن الشخص من لا يخلو الشخص ساعة عن آثار كثيرة يصل منه إليه.

١٩- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصغار عن ابن عيسى عن أبيه عن سعيد بن جناح عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله ﷺ قال ما خلق الله خلقاً أصغر من البعوض و الجرجس أصغر من البعوض و الذي يسمونه الولع أصغر من الجرجس و ما في القليل شيء إلا و فيه مثله و فضل على القليل بالجناحين.^(١)

بيان: قال الفيروز آبادي الجرجس بالكسر البعوض الصغار انتهى^(٢) فالمراد أن الجرجس أصغر من سائر أصناف البعوض ليتوافق أول الكلام و كلام أهل اللغة على أنه يحتمل أن يكون الحصر في الأول إضافياً كما أن الظاهر أنه لا بد من تخصيصه بالطيور إذ قد يحس من الحيوانات ما هو أصغر من البعوض إلا أن يقال يمكن أن يكون للبعوض أنواع صغار لا يكون شيء من الحيوانات أصغر منها و الولع هنا بالغين المعجمة و في الكافي بالمهمله^(٣) و هما غير مذكورين فيما عندنا من كتب اللغة و الظاهر أنه أيضاً صنف من البعوض و الغرض بيان كمال قدرته تعالى فإن القدرة في خلق الأشياء الصغار أكثر و أظهر منها في الكبار كما هو المعروف بين الصناع من المخلوقين فتبارك الله أحسن الخالقين.

٢٠- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني بإسناده رفع الحديث أن ابن أبي العجاء حين كلمه أبو عبد الله ﷺ عاد إليه في اليوم الثاني فجلس و هو ساكت لا ينطق فقال أبو عبد الله ﷺ كأنك جئت تعيد بعض ما كنا فيه فقال أردت ذلك يا ابن رسول الله فقال أبو عبد الله ﷺ ما أعجب هذا تنكر الله و تشهد أنني ابن رسول الله فقال العادة تحملي على ذلك فقال له العالم ﷺ فما يمنعك من الكلام قال إجلالاً لك^(٤) و مهابة ما ينطق لساني بين يديك فإني شاهدت العلماء و ناظرت المتكلمين فما تداخلني هيبة قط مثل ما تداخلني من هيبتك قال يكون ذلك و لكن أفتح عليك سؤالاً و أقبل عليه فقال له أمصنوع أنت أو غير مصنوع فقال عبد الكريم بن أبي العجاء بل أنا غير مصنوع فقال له العالم ﷺ فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون فبقي عبد الكريم ملياً لا يحير جواباً و ولع بخشبة كانت بين يديه و هو يقول طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن كل ذلك صفة خلقه^(٥) فقال له العالم ﷺ فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الأمور فقال له عبد الكريم سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك و لا يسألني أحد بعدك عن مثلها فقال له أبو عبد الله ﷺ هيك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنك لا تسأل فيما بعد على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك لأنك تزعم أن الأشياء من الأول سواء فكيف قدمت و أخرت ثم قال يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل هل في الكيس دينار فنفيت كون الدينار في الكيس فقال لك قائل صف لي الدينار و كنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس و أنت لا تعلم قال لا فقال أبو عبد الله ﷺ فالعالم أكبر و أطول و أعرض من الكيس فلعل في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة فانقطع عبد الكريم و أجاب إلى الإسلام بعض أصحابه و بقي معه بعض فعاد في اليوم الثالث فقال أقلب السؤال فقال له أبو عبد الله ﷺ أسأل عما شئت فقال ما الدليل على حدوث الأجسام فقال إني ما وجدت شيئاً صغيراً و لا كبيراً إلا و إذا ضم إليه مثله صار أكبر و في ذلك زوال و انتقال عن الحالة الأولى و لو كان قديماً ما زال و لا حال لأن الذي يزول و يحول يجوز أن يوجد و يبطل فيكون بوجوده بعد عدمه دخول في الحدوث و في كونه في الأزل دخوله في القدم و لن تجتمع صفة الأزل و

٤٥

٤٦

(٢) القاموس المحيط ٢: ٢١١.

(٤) في نسخة: إجلال لك.

(١) التوحيد: ٢٨٣ ح ٣٩ ج ١.

(٣) الكافي ٨: ٢٤٨ ح ٣٤٨.

(٥) و في نسخة: كل ذلك صفة خلقه.

الحدوث والقدم والعدم في شيء واحد فقال عبد الكريم هيك علمت في جري الحاليتين والزمانيين على ما ذكرت واستدللت على حدوثها فلو بقيت الأشياء على صغرها من أين كان لك أن تستدل على حدوثها فقال العالم عليه السلام إنما نتكلم على هذا العالم الموضوع فلو رفعناه ووضعنا عالماً آخر كان لا شيء أدل على الحدث من رفعنا إياه ووضعنا غيره ولكن أجبتك^(١) من حيث قدرت أن تلزمنا ونقول^(٢) إن الأشياء لو دامت على صغرها لكان في الوهم أنه متى ما ضم شيء^(٣) إلى مثله كان أكبر وفي جواز التغيير عليه خروجه من القدم كما بان في تغييره دخوله في الحدث^(٤) ليس لك وراء شيء يا عبد الكريم فانقطع وخزي.

فلما أن كان من العام القابل التقى معه في الحرم فقال له بعض شيعته إن ابن أبي العوجاء قد أسلم فقال العالم عليه السلام هو أعمى من ذلك لا يسلم فلما بصر بالعالم قال سيدي ومولاي فقال له العالم عليه السلام ما جاء بك على هذا الموضع فقال عادة الجسد وسنة البلد ولنبصر ما الناس فيه من الجنون والحلق ورمي الحجارة فقال له العالم أنت بعد على عتوك وضلالك يا عبد الكريم فذهب يتكلم فقال له لا جدال في الحج ونقض ردائه من يده وقال إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا ونجوت وإن يكن الأمر كما تقول وهو كما تقول نجونا وهلكت فأقبل عبد الكريم على من معه فقال وجدت في قلبي حرارة^(٥) فردوني فردوه ومات لا رحمه الله.^(٦)

ج: [الإحتجاج] روي مرسل بعض الخبر.

تنوير:

لا يحير جواباً بالمهمة أي لا يقدر عليه والولوع بالشيء الحرص عليه والمبالغة في تناوله قوله كل ذلك صفة خلقه أي خلق الخالق والصانع ويمكن أن يقرأ بالتاء أي صفة المخلوقة والحاصل أنه لما سأل الإمام عليه السلام عنه أنك لو كنت مصنوعاً هل كنت على غير تلك الأحوال والصفات التي أنت عليها الآن أم لا أقبل يتفكر في ذلك فنتبه أن صفاته كلها صفات المخلوقين وكانت معاندته مانعة عن الإذعان بالصانع تعالى فبقي متحيراً فقال عليه السلام إذا رجعت إلى نفسك وجدت في نفسك صفة المخلوقين فلم لا تدعن بالصانع فاعترف بالعجز عن الجواب وقال سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك قوله عليه السلام هيك أي افرض نفسك أنك علمت ما مضى وسلمنا ذلك لك قال الفيروزآبادي هبني فعلت أي أحسبني فعلت واعدني كلمة للأمر فقط وحاصل جوابه عليه السلام أولاً أنك بنيت أمورك كلها على الظن والوهم لأنك تقطع بأنك لا تسأل بعد ذلك عن مثلها مع أنه لا سبيل لك إلى القطع به. و أما قوله عليه السلام على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك يحتمل وجوها:

الأول: أن يكون المراد أن تفكك للصانع مبني على أنك تزعم أن لا عليه بين الأشياء ولا نسبة الوجود والعدم إليها على السواء والاستدلال على الأشياء الغير المحسوسة إنما يكون بالعلية والمعلولية فكيف حكمت بعدم حصول الشيء في المستقبل فيكون المراد بالتقدم والتأخر العلية والمعلولية أو ما يساوقهما.

الثاني: أن يكون مبني على ما لعلمهم كانوا قائلين به وربما أمكن إلزامهم بذلك بناء على نفي الصانع من أن الأشياء متساوية غير متفاوتة في الكمال والنقص فالمراد أنك كيف حكمت بتفضيلي على غيري وهو مناف للمقدمة المذكورة فالمراد بالتقدم والتأخر ما هو بحسب الشرف.

الثالث: أن يكون مبني على ما ينسب إلى أكثر الملاحظة من القول بالكمون والبروز أي مع قولك بكون كل حقيقة حاصلة في كل شيء كيف يمكنك الحكم بتقدم بعض الأشياء على بعض في الفضل والشرف.

قوله عليه السلام: وفي ذلك زوال وانتقال حاصل استدلاله عليه السلام إما راجع إلى دليل المتكلمين من أن عدم الانفكاك عن الحوادث يستلزم الحدث أو إلى أنه لا يخلو إما أن يكون بعض تلك الأحوال الزائلة المتغيرة قديماً أم لا بل يكون

(١) وفي نسخة: أجيبك.

(٢) وفي نسخة: فنقول.

(٣) وفي نسخة: ما ضم شيء منه إلى شيء منه.

(٤) وفي نسخة: كما أن في تغييره دخوله في الحدث.

(٥) كذا في «أ» وفي المصدر. وفي «ط»: حرارة.

(٦) التوحيد: ٢٩٦ - ٢٩٧ ب ٤٢ ح ٦ وفيه: وفي كونه في الأولى دخوله في عدم، ولن تجتمع صفة الأزل والعدم في شيء واحد.

كلها حوادث وكل منها محال أما الأول فلما تقرر عند الحكماء من أن ما ثبت قدمه امتنع عدمه وأما الثاني فللزوم التسلسل بناء على جريان دلائل إبطاله في الأمور المتعاقبة ويمكن أن يكون مبنيا على ما يظهر من الأخبار الكثيرة من أن كل قديم يكون واجبا بالذات ولا يكون المعلول إلا حادثا ووجوب الوجود ينافي التغير ولا يكون الواجب محلا للحوادث كما برهن عليه ثم قال ابن أبي العوجاء لو فرضنا بقاء الأشياء على صغرها لم يمكنك الاستدلال على حدوثها بالتغير فأجاب عليه أولا على سبيل الجدل بأن كلامنا كان في هذا العالم الذي نشاهد فيه التغيرات فلو فرضت رفع هذا العالم ووضع عالم آخر مكانه لا يعتريه التغير فزوال هذا العالم دل على كونه حادثا وإلا لما زال وحوادث العالم الثاني أظهر ثم قال ولكن أجيبك من حيث قدرت بتشديد الدال أي فرضت لأن تلزمننا أو بالتخفيف أي زعمت أنك تقدر أن تلزمننا وهو بأن تفرض في الأول مكان هذا العالم عالما لا يكون فيه التغير فنقول يحكم العقل بأن الأجسام يجوز عليها ضم شيء إليها وقطع شيء منها وجواز التغير عليه يكفي لحدوثها بنحو ما مر من التقرير.

٢١- يد: [التوحيد] ابن إدريس عن أبيه عن ابن هشام عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال سئل أبو عبد الله عليه قليل له بم عرفت ربك قال بفسخ العزم ونقض الهم عزمت ففسخ عزمي وهمت فنقض همي. (١)

٢٢- يد: [التوحيد] المكتب عن الأسدي عن البرمكي عن محمد بن عبد الرحمن الخزاز عن سليمان بن جعفر عن علي بن الحكم عن هشام بن سالم قال حضرت محمد بن نعمان الأحول فقام إليه رجل فقال له بم عرفت ربك قال بتوفيقه وإرشاده وتعريفه وهدايته قال فخرجت من عنده فقلت هشام بن الحكم فقلت له ما أقول لمن يسألني فيقول لي بم عرفت ربك فقال إن سألت سائل فقال بم عرفت ربك قلت عرفت الله جل جلاله بنفسه لأنها أقرب الأشياء إلي وذلك أنني أجدها أبعاضا مجتمعة وأجزاء مؤتلفة ظاهرة التركيب متينة الصنعة مبنية على ضروب من التخطيط والتصوير زائدة من بعد نقصان وناقصة من بعد زيادة قد أنشئ لها حواس مختلفة وجوارح متباعدة من بصر وسمع وذائق ولامس مجبولة على الضعف والنقص والمهانة لا تترك واحدة منها مدرك صاحبها ولا تقوى على ذلك عاجزة عن اجتلاب المنافع إليها ودفع المضار عنها واستحال في العقول وجود تأليف مؤلف له وثبات صورة لا مصور لها فعلمت أن لها خالقا خلقها ومصورا صورها مخالفا لها في جميع جهاتها (٢) قال الله جل جلاله: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. (٣)

٢٣- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن الحسين بن المأمون القرشي عن عمر بن عبد العزيز عن هشام بن الحكم قال قال لي أبو شاعر الديصاني إن لي مسألة تستأذن لي على صاحبك فإني قد سألت عنها جماعة من العلماء فما أجابوني بجواب مشيع فقلت هل لك أن تخبرني بها فلعل عندي جوابا ترضيه فقال إني أحب أن ألقى بها أبا عبد الله عليه فاستأذنت له فدخل فقال له أتأذن لي في السؤال فقال له سل عما بدا لك فقال له ما الدليل على أن لك صناعا فقال وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين إما أن أكون صنعتها أنا فلا أدخل من أحد معنيين إما أن أكون صنعتها و كانت موجودة أو صنعتها و كانت معدومة فإن كنت صنعتها و كانت موجودة فقد استغثت بوجودها عن صنعتها وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئا فقد ثبت المعنى الثالث أن لي صناعا وهو الله رب العالمين فقام وما أجاب جوابا. (٤)

بيان: هذا برهان متين مبني على توقف التأثير والإيجاد على وجود الموجد والمؤثر والضرورة الوجدانية حاکمة بحقيقتها ولا مجال للعقل في إنكارها.

٢٤- يد: [التوحيد] أبي و ابن الوليد معا عن أحمد بن إدريس ومحمد الطار عن الأشعري عن سهل عن محمد بن الحسين عن علي بن يعقوب الهاشمي عن مروان بن مسلم قال دخل ابن أبي العوجاء على أبي عبد الله عليه فقال أليس تزعم أن الله خالق كل شيء فقال أبو عبد الله عليه بلى فقال له أنا أخلق فقال له كيف تخلق قال أحدث في الموضع ثم أثبت عنه فيصير دوابا فأكون أنا الذي خلقتها فقال أبو عبد الله عليه أليس خالق الشيء يعرف كم خلقه قال له بلى قال

تتعرف الذكر منها من الأنثى و تعرف كم عمرها فسكت. (١)

٢٥- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن محمد بن حماد عن الحسن بن إبراهيم عن يونس بن عبد الرحمن عن يونس بن يعقوب قال قال لي علي بن منصور قال لي هشام بن الحكم كان زنديق بمصر يبلغه عن أبي عبد الله عليه السلام فخرج إلى المدينة لينظره فلم يصادفه بها فقبل له هو بمكة فخرج الزنديق إلى مكة ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام فقاربنا الزنديق ونحن مع أبي عبد الله عليه السلام في الطواف فضرب كتفه كتف أبي عبد الله عليه السلام فقال له جعفر عليه السلام ما اسمك قال اسمي عبد الملك قال فما كنتك قال أبو عبد الله قال فمن الملك الذي أنت له عبد أمن ملوك السماء أم من ملوك الأرض وأخبرني عن ابنك أعبد إله السماء أم عبد إله الأرض فسكت فقال له أبو عبد الله عليه السلام قل ما شئت تخصم قال هشام بن الحكم قلت للزندق أما ترد عليه فقيح قولي فقال له أبو عبد الله عليه السلام إذا فرغت من الطواف فاتنا فلما فرغ أبو عبد الله عليه السلام أتاه الزنديق فقعده بين يديه ونحن مجتمعون عنده فقال للزندق أتعلم أن للأرض تحتها و فوقها قال نعم قال فدخلت تحتها قال لا قال فما يدريك بما تحتها قال لا أدري إلا أنني أظن أن ليس تحتها شيء قال أبو عبد الله عليه السلام فالظن عجز ما لم تستيقن قال أبو عبد الله عليه السلام فصعدت إلى السماء قال لا قال فتدري ما فيها قال لا قال فعجبا لك لم تبلغ المشرق و لم تبلغ المغرب و لم تنزل تحت الأرض و لم تصعد إلى السماء و لم تجز هنالك فتعرف ما خلقهن و أنت جاحد ما فيهن و هل يجحد العاقل ما لا يعرف فقال الزنديق ما كلمني بهذا أحد غيرك قال أبو عبد الله عليه السلام فأنت في شك من ذلك فلعل هو أو لعل ليس هو قال الزنديق و لعل ذلك فقال أبو عبد الله عليه السلام أيها الرجل ليس لمن لا يعلم حجة على من يعلم فلا حجة للجاهل يا أبا أهل مصر تفهم عني فإنا لا نشك في الله أبدا أما ترى الشمس والقمر والليل والنهار يلجان ليس لهما مكان إلا مكانهما فإن كانا يقدران على أن يذهبا لا يرجعان فلم يرجعان و إن (٢) لم يكونا مضطرين فلم لا يصير الليل نهارا و النهار ليلا اضطرا و الله يا أبا أهل مصر إلى دوامهما والذي اضطرها أحكم منهما وأكبر منهما قال الزنديق صدقت ثم قال أبو عبد الله عليه السلام يا أبا أهل مصر الذي تذهبون إليه و تظنون به الوهم فإن كان الدهر يذهب بهم لم لا يردهم و إن كان يردهم لم لا يذهب بهم القوم مضطرون يا أبا أهل مصر السماء مرفوعة و الأرض موضوعة لم لا تسقط السماء على الأرض و لم لا تنحدر الأرض فوق طباقها فلا يماسكان و لا يتماسك من عليهما فقال الزنديق أمسكهما و الله ربهما و سيدهما فأمّن الزنديق على يدي أبي عبد الله عليه السلام فقال له حمران بن أعين جعلت فداك إن أمّنت الزنادقة على يدك فقد أمّنت الكفار على يدي أبيك فقال المؤمن الذي آمن على يدي أبي عبد الله عليه السلام اجعلني من تلامذتك فقال أبو عبد الله عليه السلام لهشام بن الحكم خذ إليك فعلمه فعلمه هشام فكان معلم أهل مصر و أهل الشام و حسنت طهارته حتى رضي بها أبو عبد الله عليه السلام. (٣)

ج: [الاحتجاج] عن هشام بن الحكم مثله. (٤)

إيضاح: قوله عليه السلام فمن الملك لعله عليه السلام سلك أولا في الاحتجاج عليه مسلک الجدل لبنائه على الأمر المشهور عند الناس أن الاسم مطابق لمعناه و يحتمل أن يكون على سبيل المطابقة و المزاح ليبان عجزه عن فهم الواضحات و رد الجواب عن أمثال تلك المطالبات أو يكون منها على ما ارتكز في العقول من الإذعان بوجود الصانع و إن أنكروه ظاهرا لكفرهم و عنادهم ثم ابتداء عليه السلام بإكثار الخصم و إخراجهم منه إلى الشك لتستعد نفسه لقبول الحق فأزال إنكاره بأنه غير عالم بما تحت الأرض و ليس له سبيل إلى الجزم بأن ليس تحتها شيء ثم زاده بيانا بأن السماء التي لم يصعدها كيف يكون له الجزم و المعرفة بما فيها و ما ليس فيها و كذا المشرق و المغرب فلما عرف قبح إنكاره و تنزل عنه و أقر بالشك بقوله و لعل ذلك أخذ عليه السلام في هدايته و قال ليس للشك دليل و للجاهل حجة فليس لك إلا طلب الدليل فاستمع و تفهم فإنا لا نشك فيه أبدا و المراد بولوج الشمس و القمر غروبهما أو دخولهما بالحركات الخاصة في بروجهما و بولوج الليل و النهار

(٢) في «أ» فان.

(٤) الاحتجاج: ٣٣٤ - ٣٣٥.

(١) التوحيد: ٢٩٥ ب ٤٢ ح ٥.

(٣) التوحيد: ٢٩٤ - ٢٩٥ ب ٤٢ ح ٤.

دخول تمام كل منهما في الآخر أو دخول بعض من كل منهما في الآخر بحسب الفصول.

وحاصل الاستدلال أن لهذه الحركات انضباطا واتساقا واختلافا وتركيبا فالانضباط يدل على عدم كونها إرادية كما هو المشاهد من أحوال ذوي الإرادات من الممكنات والاختلاف يدل على عدم كونها طبيعية فإن الطبيعة العادة للشعور لا تختلف مقتضياتها كما نشاهد من حركات العناصر كما قالوا إن الطبيعة الواحدة لا تقتضي التوجه إلى جهة والانصراف عنه ويمكن أن يقال حاصل الدليل راجع إلى ما يحكم به الوجدان من أن مثل تلك الأفعال المحكمة المثقنة الجارية على قانون الحكمة لا يصدر عن الدهر والطابع العادة للشعور والإرادة وإلى هذا يرجع قوله ﷺ إن كان الدهر يذهب بهم أي الدهر العديم الشعور كيف يصدر عنه الذهاب الموافق للحكمة ولا يصدر عنه بدله الرجوع أو المراد أنه لم يقتضي طبعه ذهاب شيء ولا يقتضي رده وبالعكس بناء على أن مقتضيات الطابع تابعة لتأثير الفاعل القادر القاهر ويمكن أن يكون المراد بالذهاب بهم إعدامهم وبرداهم وإجداهم والمراد بالدهر الطبيعة كما هو ظاهر كلام أكثر الدهرية أي نسبة الوجود والعدم إلى الطابع الإمكانية على السواء فإن كان الشيء يوجد بطبعه فلم لا يعدم فترجع أحدهما ترجيح بلا مرجح بحكم العقل باستحائنه ويجري جميع تلك الاحتمالات في قوله ﷺ السماء مرفوعة إلى آخر كلامه وقوله ﷺ لم لا تسقط السماء على الأرض أي لا تتحرك بالحركة المستقيمة حتى تقع على الأرض وقوله ولم لا تنحدر الأرض أي تتحرك إلى جهة تحت حتى تقع على أطباق السماء أو المراد الحركة الدورية فيغرق الناس في الماء فيكون ضمير طباقها راجعا إلى الأرض وطباق الأرض أعلاها أي تنحدر الأرض بحيث تصير فوق ما علا منها الآن قوله ﷺ فلا يتماكان أي في صورة السقوط والانحدار أو المراد فظهر أنه لا يمكنهما التمسك بأنفسهما بل لا بد من ماسك يمسكهما.

أقول: تفصيل القول في شرح تلك الأخبار الغامضة يقتضي مقاما آخر وإنما نشير في هذا الكتاب إلى ما لعله يتيسر به أولو الأذهان الثاقبة من أولي الألباب. وسنبسط الكلام فيها في كتاب مرآة العقول إن شاء الله تعالى.

٥٤
٣

٢٦-م: [تفسير الإمام ﷺ] قال الإمام ﷺ لما توعده رسول الله ﷺ اليهود والنواصب في جحد النبوة والخلافة قال مردة اليهود وعاة النواصب من هذا الذي ينصر محمدا وعليهما قاتل الله عز وجل: «إِنَّ فِي خَلْقِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» (١) بلا عمد من تحتها ولا علاقة من فوقها تحبسها من الوقوع عليكم وأنتم يا أيها العباد والإماء أسراي وفي قبضي الأرض من تحتكم لا منجى لكم منها إن هربتم والسماء من فوقكم ولا محيص لكم عنها إن ذهبت فإن شئت أهلكتكم بهذه وإن شئت أهلكتكم بتلك ثم ما في السماوات من الشمس المنيرة في نهركم لتنتشروا في معاشكم ومن القمر المضيء لكم في ليلى لتبصروا في ظلماته وإجاؤكم بالاستراحة بالظلمة إلى ترك مواصلة الكد الذي ينهك أبدانكم «وَإِخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ» المتتابعين الكادين عليكم بالعجائب التي يحدثها ربكم في عالمه من إسعاد وإشقاء وإعزاز وإذلال وإغناء وإفقار وشف وشتاء وخريف وربيع وخصب وقحط وخوف وأمن. «وَإِنَّ الْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ» التي جعلها الله مطاياكم لا تهدأ ليلا ولا نهارا ولا تقتضيكم علقا ولا ماء وكفاكم بالرياح مئونة تسيرها بقواكم التي كانت لا تقوم بها لو ركبت عنها الرياح لتمام مصالحكم ومنافعكم وبلوغ الحوائج لأنفسكم «وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ» وإبلا وهطلا ورذاذ لا ينزل عليكم دفعة واحدة فيغرقكم ويهلك معاشكم لكنه ينزل متفرقا من علا حتى ترم الأوهاد والتلال والتلاع (٢)، «فَأَخْبَأَ بِهِ الْأَرْضُ بُعْدَ مَوْتِهَا» فيخرج نباتها وثمارها وحبوبها «وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ» منها ما هو لأكلكم ومعاشكم ومنها سباع ضارية حافظة عليكم لأنعامكم لئلا تشذ عليكم خوفا من افتراسها لها «وَوَضَعْنَا رُبَّهَا»

٥٥
٣

(١) البقرة: ١٦٤.

(٢) القلعة: أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل. والقلعة: مجرى الماء من أعلى الوادي إلى بطون الأرض. والجمع القلاع ولسان العرب ٤: ٤٣.

المرية لحبوبيكم المبلغة لشاركم النافية لركد الهواء والإقتران عنكم و «السحاب المستخر بين السماء والأرض» يحمل أمطارها ويجري بإذن الله ويصبها من حيث يؤمر «لآيات» دلائل واضحات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» يستفكرون بعقولهم أن من هذه العجائب من آثار قدرته قادر على نصرة محمد وعلي وآلهما عليه السلام على من يشاء^(١)

بيان: الكاديين من الكد بمعنى الشدة والإلحاح في الطلب كناية عن عدم تحلفهما والبء في قوله عليه السلام بالعجائب بمعنى مع وقوله والأقتران كأنه جمع الفترة بمعنى الغيرة أي يذهب الأغربة والأبخرة المجتمعة في الهواء الموجبة لكثافتها وتغنها والضهير في قوله أمطارها إما راجع إلى الأرض أو إلى السحاب للجمعية.

٢٧- جمع: [جامع الأخبار] سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن إثبات الصانع فقال البعرة تدل على البعير والروثة تدل على الحمير و آثار القدم تدل على المسير فهيكلك علوي بهذه اللطافة ومركز سفلي بهذه الكثافة كيف لا يدلان على اللطيف الخبير^(٢)

٢٨- وقال عليه السلام يصنع الله يستدل عليه و بالعقول تعتقد معرفته و بالتفكر تثبت حجته معروف بالدلالات مشهور بالبينات^(٣)

٢٩- جمع: [جامع الأخبار] سئل أمير المؤمنين صلوات الله عليه ما الدليل على إثبات الصانع قال ثلاثة أشياء تحويل الحال و ضعف الأركان و نقض الهمة^(٤)

أقول: سيأتي ما يناسب هذا الباب في أبواب الاحتجاجات وأبواب المواعظ والخطب والحكم إن شاء الله تعالى ولذكر بعد ذلك توحيد المفضل بن عمر و رسالة الإهليلجة المرويتين عن الصادق عليه السلام لاشتغالهما على دلائل و براهين على إثبات الصانع تعالى و لا يضر إرسالهما لاشتهار انتسابهما إلى المفضل و قد شهد بذلك السيد بن طاوس وغيره^(٥) و لا ضعف محمد بن سنان و المفضل لأنه في محل المنع بل يظهر من الأخبار الكثيرة علو قدرهما وجلالتهما مع أن متن الخبرين شاهدا صدق على صحتها وأيضاً هما يشتعلان على براهين لا تتوقف إفادتهما العلم على صحة الخبر.

الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر

باب ٤

١- روى محمد بن سنان قال حدثنا المفضل بن عمر قال كنت ذات يوم بعد العصر جالسا في الروضة بين القبر والمنبر وأنا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمدا عليه السلام من الشرف والفضائل و ما منحه وأعطاه و شرفه به و حباه مما لا يعرفه الجمهور من الأمة و ما جهلوه من فضله و عظيم منزلته و خطر مرتبته فاني لكذلك إذ أقبل ابن أبي العجاء فجلس بحيث أسمع كلامه فلما استقر به المجلس إذا رجل من أصحابه قد جاء فجلس إليه فتكلم ابن أبي العجاء فقال لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله و حاز الشرف بجميع خصاله و نال الحظوة في كل أحواله فقال له صاحبه إنه كان فيلسوفا ادعى المرتبة العظمى و المنزلة الكبرى و أتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول و ضلت فيها الأحلام و غاصت الأبواب على طلب علمها في بحار الفكر فرجعت خاسئات و هي حسير فلما استجاب لدعوته العقلاء و الفصحاء و الخطباء دخل الناس في دينه أفواجا فقرن اسمه باسم ناموسه فصار يهتف به على رؤوس الصوامع في جميع البلدان و المواضع التي انتهت إليها دعوته و علت بها^(٦) كلمته و ظهرت فيها حجته برا و بحرا و سهلا و جبلا في كل يوم و ليلة خمس مرات مرددا في الأذان و الإقامة ليتجدد في كل ساعة ذكره لئلا يخلو أمره فقال ابن أبي

(١) التفسير المنسوب للامام العسكري عليه السلام: ٥٧٥ - ٥٧٦ ح ٣٣٨.

(٢) جامع الاخبار: ٧ ب ١.

(٣) أوردنا ذلك فيما سبق في مقدمة الكتاب فراجع.

(٤) جامع الاخبار: ٧ ب ١.

(٥) جامع الاخبار: ٩ ب ١.

(٦) في المصدر: علتها.

العجاء دع ذكر محمد ﷺ فقد تحير فيه عقلي و ضل في أمره فكري و حدثنا في ذكر الأصل الذي يمشي به ثم ذكر ابتداء الأشياء و زعم أن ذلك بإهمال لا صنعة فيه و لا تقدير و لا صانع له و لا مدبر بل الأشياء تتكون من ذاتها بلا مدبر و على هذا كانت الدنيا لم تزل و لا تزال.

بيان: الحوز الجمع و كل من ضم إلى نفسه شيئا فقد حازه و الخطوة بالضم و الكسر و الحاء المهملة و الظاء المعجمة المكانة و المنزل و الفيلسوف العالم و خساء البصر أي كل و الناموس صاحب السر المطلع على أمرك أو صاحب سر الخير و جبرئيل ﷺ و الحاذق و من يلطف مدخله ذكرها الفيروز آبادي^(١) و مراده هنا الرب تعالى شأنه و حمل ذكره خفي و الخامل الساقط الذي لا نباهة له و قوله الذي يمشي به أي يذهب إلى دين محمد ﷺ و غيره بسببه أو يهتدي به كقوله تعالى ﴿تَوَرَّأَ يَمْشِي فِي النَّاسِ﴾^(٢). و في بعض النسخ يسمي إما بالتشديد أي يذكر اسمه أو بالتخفيف أي يرتفع الناس به و يدعون الانتساب إليه.

٥٨

قال المفضل: فلم أملك نفسي غضبا و غيظا و حقا فقلت يا عدو الله ألدت في دين الله و أنكرت البارئ جل قدسه الذي خلقك في أحسن تقويم و صورك في أتم صورة و نطقك في أحوالك حتى بلغ بك إلى حيث انتهيت فلو تفكرت في نفسك و صدقك لطيف حسك لوجدت دلائل الربوبية و آثار الصنعة فيك قائمة و شواهد جل و تقدس في خلقك واضحة و براهينه لك لاتحة فقال يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك فإن ثبت لك حجة تبعاك و إن لم تكن منهم فلا كلام لك و إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا و لا بمثل دليلك يجادلنا و لقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت فما أفحش في خطابنا و لا تعدى في جوابنا و إنه للحليم الرزين العاقل الرصين لا يعتره خرق و لا طيش و لا نزق و يسمع كلامنا و يصغي إلينا و يستعرف حجتنا حتى استفرغنا ما عندنا و ظننا أننا قد قطعناه أدهض حجتنا بكلام يسير و خطاب قصير يلزما به الحجة و يقطع العذر و لا نستطيع لجوابه ردا فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه.

بيان: و صدقك بالتخفيف أي قال لك صدقا لطيف حسك أي حسك اللطيف أي لم يلبس على حسك غرائب صنع الله فيك لمعادتك للحق و في بعض النسخ حسنك فالمراد بصدق الحسن ظهور ما أخفى الله فيه منه على الناظر و على الوجهين يمكن أن يقرأ صدقك بالتشديد بتكلف لا يخفى على المتأمل و الرزين الوقور و الرصين بالصاد المهملة الحكم الثابت و الخرق بالضم ضد الرفق و النزق الطيش و الخفة عند الغضب و قوله استفرغنا لعله من الإفراغ بمعنى الصب قال الفيروز آبادي استفرغ مجهوده بذل طاقته^(٣) و الإحاض الإبطال.^(٤)

٥٩

قال المفضل: فخرجت من المسجد محزونا مفكرا فيما بلى به الإسلام و أهله من كفر هذه العصابة و تعطيلها فدخلت على مولاي صلوات الله عليه فرآني منكسرا فقال ما لك فأخبرته بما سمعت من الدهريين و بما رددت عليهما فقال لأتقين إليك من حكمة البارئ جل و علا و تقدس اسمه في خلق العالم و السباع و البهائم و الطير و الهوام و كل ذي روح من الأنعام و النبات و الشجرة المثمرة و غير ذات الثمر و الحبوب و البقول المأكول من ذلك و غير المأكول ما يعتبر به المعتبرون و يسكن إلى معرفته المؤمنون و يتحير فيه الملحدون فبكر علي غذا.

قال المفضل: فانصرفت من عنده فرحا مسرورا و طالت على تلك الليلة انتظارا لما وعدني به فلما أصبحت غدوت فاستودن لي فدخلت و قمت بين يديه فأمرني بالجلوس فجلست ثم نهض إلى حجره كان يخلو فيها فنهضت بنهوضه فقال اتبعني فتبعته فدخل و دخلت خلفه فجلست بين يديه فقال يا مفضل كأي بك و قد طالت عليك هذه الليلة انتظارا لما وعدتك فقلت أجل يا مولاي فقال يا مفضل إن الله كان و لا شيء قبله و هو باق و لا نهاية له فله الحمد على ما ألهمنا و له الشكر على ما منحنا و قد خضنا من العلوم بأعلاها و من المعالي بأسناها و اصطفانا على جميع الخلق بعلمه و جعلنا مهيمين عليهم بحكمه فقلت يا مولاي أتأذن لي أن أكتب ما تشرحه و كنت

(١) القاموس المحيط ٢: ٢٦٦ و فيه: صاحب السر المطلع على باطن أمرك.

(٢) القاموس المحيط ٣: ١١٥.

(٣) الانتقام: ١٢٢.

(٤) القاموس المحيط ٢: ٣٤٢.

أعددت معي ما أكتب فيه فقال لي افعَل.^(١)

بيان: أسناها أي أرفها أو أضوؤها والمهيمن الأمين والمؤمن والشاهد.

يا مفضل: إن الشكاك جهلوا الأسباب والمعاني في الخلقة و قصرت أفهامهم عن تأمل الصواب والحكمة فيما ذرأ^(٢) البارئ جل قدسه وبرأ^(٣) من صنوف خلقه في البر والبحر والسهل والوعر فخرجوا بقصر علومهم إلى الجحود وبضعف بصائرهم إلى التكذيب والعنود حتى أنكروا خلق الأشياء و ادعوا أن كونها^(٤) بالإهمال لا صنعة فيها ولا تقدير ولا حكمة من مدبر ولا صانع تعالى الله عما يصفون و قاتلهم الله أنى يؤفكون فهم في ضلالهم وعماهم وتجيرهم^(٥) بمنزلة عيمان دخلوا دارا قد بنيت أتقن بناء وأحسنه وفرشت بأحسن الفرش وأفخره وأعد فيها ضروب الأطعمة والأشربة والملابس والمآرب التي يحتاج إليها لا يستغني عنها ووضع كل شيء من ذلك موضعه على صواب من التقدير وحكمة من التدبير فجعلوا يترددون فيها يمينا وشمالا و يطوفون بيوتها إدبارا وإقبالا محجوبة أبصارهم عنها لا يبصرون بنية الدار^(٦) وما أعد فيها وربما عثر بعضهم بالشئ الذي قد وضع موضعه أعد للحاجة إليه وهو جاهل بالمعنى^(٧) فيه ولما أعد ولما جعل كذلك فتذمر وتسخط و ذم الدار و بانيتها فهذه حال هذا الصف في إنكارهم ما أنكروا من أمر الخلقة وثبات الصنعة^(٨) فإنهم لما غربت^(٩) أذهانهم عن معرفة الأسباب والعلل في الأشياء صاروا يجولون في هذا العالم حيارى ولا يفهمون ما هو عليه من إتقان خلقته وحسن صنعته وصواب تهيشته وربما وقف بعضهم على الشيء لجهل^(١٠) سببه والإرب فيه فيسرع إلى ذمه وصفه بالإحالة والخطأ كالذي أقدمت عليه المانوية^(١١) الكفرة و جاهرت به الملحدة المارقة الفجرة وأشباههم من أهل الضلال المعلنين أنفسهم بالمحال فيحق على من أنعم الله عليه بمعرفته و هدايته و فقهه لتأمل التدبير في صنعة الخلائق والوقوف على ما خلقوا له من لطيف التدبير وصواب التعبير^(١٢) بالدلالة القائمة الدالة على صانعها أن يكثر حمد الله مولاه على ذلك و يرغب إليه في الثبات عليه و الزيادة منه فإنه جل اسمه يقول: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^(١٣).

بيان: قاتلهم الله أي قتلهم أو لعنهم أنى يؤفكون كيف يصرفون عن الحق وقال الجوهري ظل يتذمر على فلان إذا تكرر له وأوعده انتهى^(١٤) و غربت بمعنى غابت و الإرب بالفتح والكسر الحاجة وصفه بالإحالة أي بأنه يستحيل أن يكون له خالق مدبر أو يستحيل أن يكون من فعله تعالى والمانوية فرقة من الثنوية أصحاب ماني الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير وأحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية وكان يقول بنبوة المسيح على نبينا وآله وعليه السلام ولا يقول بنبوة موسى على نبينا وآله وعليه السلام وزعم أن العالم مصنوع مركب من أصليين قديمين أحدهما نور والآخر ظلمة وهؤلاء ينسبون الخيرات إلى النور والشور إلى الظلمة وينسبون خلق السباع والمؤذيات والعقارب والحيات إلى الظلمة فأشار^(١٥) إلى فساد وهمهم بأن هذا لجهلهم بمصالح هذه السباع والعقارب والحيات التي يزعمون أنها من الشرور التي لا يليق بالحكيم خلقها قوله^(١٦) المعلنين أي الشاغلين أنفسهم عن طاعة ربهم بأمور يحكم العقل السليم باستحالتهم قال الفيروز آبادي علله بطعام وغيره تعليلاً شغله به.^(١٥)

(١) في المصدر: افعَل يا مفضل.

(٢) (البارئ): هو الذي خلق الخلق لا عن مثال. ولهذه اللفظة من الاختصاص بخلق الحيوان ما ليس لها بغيره من المخلوقات و قلما تستعمل في غير الحيوان. لسان العرب ١: ٣٥٤.

(٤) في المصدر: أن تكونها..

(٦) في هامش «ط»: و في نسخة: هيئة الدار.

(٨) و في نسخة: و اثبات الصفة.

(٩) و في نسخة: عزيت كما هو الميث في المصدر. و في نسخة أخرى: غبت. و في ثالثة: و عرت.

(١٠) في المصدر: و صواب هيته. و ربما وقف بعضهم على الشيء بجهل سببه.

(١١) في «أ» المانية. والاشهر. ما في المتن.

(١٢) في المصدر: و صواب التقدير.

(١٤) (١٤) الصحاح: ٦٦٥.

(١٥) قال العلامة الطباطبائي في هامش «ط»: الذي وصف^(١٦) به هذا الدليل هو أنه أول الأدلة أي أقرب الأدلة منا إذا اردنا التفهم بالاستدلال.

و ما كونه اقراءها كما ذكره رحمه الله فلعل هناك ما هو أقوى منه و ان كان أبعد من أنها من كما بين في محله.

يا مفضل: أول العبر والأدلة^(١) على الباري جل قدسه تهئية هذا العالم وتأليف أجزائه ونظمها على ما هي عليه فإنك إذا تأملت العالم بفكره وميزته بعقلك^(٢) وجدته كالبيت المبني المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده فالسما من رفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالسباط والنجوم منضودة^(٣) كالمصابيح والجواهر مخزونة كالذخائر وكل شيء فيها لشأنه معد والإنسان كالمملك ذلك البيت والمخول جميع ما فيه و ضروب النبات مهياة لآربه و صنوف الحيوان مصروفة في مصالحه و منافعه ففي هذا دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتقدير و حكمة و نظام و ملائمة و أن الخالق له واحد و هو الذي ألفه و نظمه بعضا إلى بعض جل قدسه و تعالى جده و كرم وجهه و لا إله غيره تعالى عما يقول الجاحدون و جل و عظم عما ينتحله الملاحدون.

بيان: قال الفيروز آبادي نضد متاعه ينضده جعل بعضه فوق بعض فهو منضود انتهى^(٤) و التحويل الإعطاء و التملك قوله ﷺ و أن الخالق له واحد أقول أشار ﷺ بذلك إلى أقوى براهين التوحيد^(٥) و هو أن اختلاف أجزاء العالم و احتياج بعضها إلى بعض و انتظام بعضها ببعض يدل على وحدة مدبرها كما أن ارتباط أجزاء الشخص بعضها ببعض و انتظام بعض أعضائه مع بعض يدل على وحدة مدبره و قد قيل في تطبيق العالم الكبير على العالم الصغير لطائف لا يسع المقام ذكرها و ربما يستدل عليه أيضا بما قد تقرر من أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما عللة للأخر أو هما معلولا عللة ثالثة و سيأتي الكلام فيه في باب التوحيد.

نبتدي يا مفضل: بذكر خلق الإنسان فاعتبر به فأول ذلك ما يدبر به الجنين في الرحم و هو محبوب في ظلمات ثلاث ظلمة البطن و ظلمة الرحم و ظلمة المشيمة حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء و لا دفع أذى و لا استجلاب منفعة و لا دفع مضرة فإنه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النبات فلا يزال ذلك غذاؤه حتى إذا كمل خلقه و استحكم بدنه و قوي أديمه على مباشرة الهواء و بصره على ملاقة الضياء هاج الطلق بأمه فأزعجه أشد إزعاج و أغنفه حتى يولد و إذا ولد صرف ذلك الدم الذي كان يغذوه من دم أمه إلى ثديها فانقلب^(٦) الطعم و اللون إلى ضرب آخر من الغذاء و هو أشد موافقة للمولود من الدم فيوافيه في وقت حاجته إليه فعين يولد قد تلمظ و حرك شفتيه طلبا للرضاع فهو يجد ثديي أمه كالإدواتين المعلقتين لحاجته إليه فلا يزال يغتذي^(٧) باللبن ما دام رطب البدن رقيق الأمعاء لين الأعضاء حتى إذا تحرك و احتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتد و يقوى بدنه طلعت له الطواحن من الأسنان و الأضراس ليضمغ^(٨) به الطعام فليلين عليه و يسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتى يدرك فإذا أدرك و كان ذكرا طلع الشعر في وجهه فكان ذلك علامة الذكر و عز الرجل الذي يخرج به من حد الصباء و شبه النساء و إن كانت أنثى يبقى وجهها نقياً من الشعر لتبقى لها البهجة و النضارة التي تحرك الرجال لما فيه دوام النسل و بقاؤه.

بيان: الأديم الجلد و الطلق وجع الولادة و يقال أزعجه أي قلعه عن مكانه و يقال تلمظ إذا أخرج لسانه فمسح به شفتيه و تلمظت الحية إذا أخرجت لسانها كتلمظت الأكل و الإداة بالكسر إنشاء صغير من جلد يتخذ للماء و الطواحن الأضراس و يطلق الأضراس غالبا على المآخير و الأسنان على المقاديم كما هو الظاهر هنا و إن لم يفرق اللغويون بينهما و المراد بالطواحن هنا جميع الأسنان و الإساغة الأكل و الشرب بسهولة.

اعتبر يا مفضل: فيما يدبر به الإنسان في هذه الأحوال المختلفة هل ترى يمكن^(٩) أن يكون بالإهمال أفرأيت لو لم يجر إليه ذلك الدم و هو في الرحم ألم يكن سيذوى و يجف كما يجف النبات إذا فقد الماء و لو لم يزعجه المخاض عند استحكامه ألم يكن سيبقى في الرحم كالموود في الأرض و لو لم يوافقه اللبن مع ولادته ألم يكن سيموت جوعا أو يغتذي بغذاء لا يلائمه و لا يصلح عليه بدنه و لو لم تطلع عليه^(١٠) الأسنان في وقتها ألم يكن سيمتنع عليه مضغ

(١) في المصدر: أول العبر والدلالة.

(٢) في المصدر: و خبرته بعقلك.

(٣) في المصدر: والنجوم مضئية.

(٤) القاموس المحيط ١: ٣٥٤.

(٥) القاموس المحيط ١: ٣٥٤.

(٦) في المصدر: ثديها وانقلب.

(٧) في المصدر: فلا يزال يغتذي.

(٨) في المصدر: لضمغ بها.

(٩) في المصدر: هل ترى مثله يمكن.

(١٠) في المصدر: و لو لم تطلع له.

الطعام وإساعته أو يقيمه على الرضاع فلا يشد^(١) بدنه ولا يصلح لعل ثم كان تشتغل^(٢) أمه بنفسه عن تربية غيره من الأولاد ولو لم يخرج الشعر في وجهه في وقته ألم يكن سيقى في هيئة الصبيان والنساء فلا ترى له جلاله ولا وقاره. فقال المفضل: قلت يا مولاي فقد رأيت من يبقى على حاله ولا ينبت الشعر في وجهه وإن بلغ حال الكبر^(٣) فقال ذلك بما قدمت أيديهم^(٤) وإن الله ليس بظلام للعبيد فمن هذا الذي يرصده حتى يوافيه بكل شيء من هذه المآرب إلا الذي أنشأه خلقا بعد أن لم يكن ثم توكل له بمصلحته بعد أن كان فإن كان الإهمال يأتي بمثل هذا التدبير فقد يجب أن يكون العمد والتقدير آتيان بالخطأ والمحال لأنهما ضد الإهمال وهذا فطبع من القول وجه من قائله لأن الإهمال لا يأتي بالصواب والتضاد لا يأتي بالنظام تعالى الله عما يقول الملحدون علوا كبيرا ولو كان المولود يولد فهما عاقلان لأنكر العالم عند ولادته ولبقى حيران تائه العقل إذا رأى ما لم يعرف وورد عليه ما لم ير مثله من اختلاف صور العالم من البهائم والطير إلى غير ذلك مما يشاهده ساعة بعد ساعة ويوما بعد يوم واعتبر ذلك بأن من سبي من بلد إلى بلد وهو عاقل يكون كالواله الحيران فلا يسرع في تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبى^(٥) صغيرا غير عاقل ثم لو ولد عاقلان يجد غضاضة إذا رأى نفسه محمولا مرضعا معصبا بالخرق مسجى في المهد لأنه لا يستغني عن هذا كله لركة بدنه ورطوبته حين يولد ثم كان لا يوجد له من الحلاوة والوقع من القلوب ما يوجد للطفل فصار يخرج إلى الدنيا غبيا غافلا عما فيه أهله فيلقى الأشياء بذهن ضعيف ومعرفة ناقصة ثم لا يزال يتزايد في المعرفة قليلا قليلا وشيئا بعد شيء وحالا بعد حال حتى يألف الأشياء ويتمرن ويستمر عليها فيخرج من حد التأمل لها والحيرة فيها إلى التصرف والاضطراب^(٦) إلى المعاش بعقله وحيلته وإلى الاعتبار والطاعة والسهو والغفلة والمعصية وفي هذا أيضا وجوه أخر فإنه لو كان يولد تام العقل مستقلا بنفسه لذهب موضع حلاوة تربية الأولاد وما قدر أن يكون للوالدين في الاشتغال بالولد من المصلحة وما يوجب تربية للآباء على الأبناء من المكلفات^(٧) بالبر والطف عليهم عند حاجتهم إلى ذلك منهم ثم كان الأولاد لا يألفون آباءهم ولا يألف الآباء أبنائهم لأن الأولاد كانوا يستغنون عن تربية الآباء وحياتهم فيتفرون عنهم حين يولدون فلا يعرف الرجل أباه وأمه ولا يتمتع من نكاح أمه وأخته وذوات المحارم منه إذا كان لا يعرفهن وأقل ما في ذلك من القباحة بل هو أشنع وأعظم وأفظع وأقبح وأبشع لو خرج المولود من بطن أمه وهو يعقل أن يرى منها ما لا يحل له ولا يحسن به أن يراه أفلا ترى كيف أقيم كل شيء من الخلقة على غاية الصواب وخلا من الخطأ دقيقة وجليهة؟

بيان: أفرأيت أي أخبرني قال الزمخشري لما كانت مشاهدة الأشياء ورؤيتها طريقا إلى الإحاطة بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا رأيت بمعنى أخبر انتهى^(٨) ويقال ذوى العود أي ببس والموود الذي دفن في الأرض حيا كما كان المشركون يفعلون في الجاهلية ببناتهم قوله ﷺ أو يقيمه أي عدم طلوع الأسنان قوله ﷺ ذلك بما قدمت أيديهم يحتمل أن يكون هذا التعذيب الآباء وإن كان الأولاد يؤجرون لقباحة منظرهم أو للأولاد لما كان في علمه تعالى صدورهم عنهم باختيارهم ويرصده أي يرقبه قوله ﷺ فإن كان الإهمال أي إذا لم يكن الأشياء منوطة بأسبابها ولم ترتبط الأمور بعلمها فكما جاز أن يحصل هذا الترتيب والنظام التام بلا سبب فجاز أن يصير التدبير في الأمور سببا لاختلالها وهذا خلاف ما يحكم به عقول كافة الخلق لما نرى من سعيهم في تدبير الأمور وذمهم من يأتي بها على غير تأمل وروية ويحتمل أن يكون المراد أن الوجدان يحكم بتضاد آثار الأمور المتضادة وربما أمكن إقامة البرهان عليه أيضا فإذا أتى الإهمال بالصواب يجب أن يأتي ضده وهو التدبير بالخطأ وهذا أفظع وأشنع والمراد بالمحال الأمر الباطل الذي لم يأت على وجهه الذي ينبغي أن يكون عليه قال الفيروز آبادي المحال من الكلام بالضم ما عدل عن وجهه انتهى^(٩) والتية الضلال والحيرة والغضاضة بالفتح الذلة والمنقصة وقوله ﷺ

(١) في المصدر: فلا يشد.

(٢) في المصدر: تشتغل. وفي المصدر: يشغل.

(٣) في المصدر: وإن بلغ الكبر.

(٤) في المصدر: أيديهم.

(٥) في المصدر: فلا يسرع إلى تعلم الكلام وقبول الأدب كما يسرع الذي يسبى.

(٦) في المصدر: إلى التصرف والاضطراب.

(٧) وفي نسخة: من المكافأة. وكذا في المصدر.

(٨) الفائق في غريب الحديث: نسخه ليست لدينا.

(٩) القاموس المحيط ٣: ٣٧٤.

معصبا أي مشدودا والتسجبة التغطية بثوب يمد عليه والغبي على فصيل قليل الفطنة والاعتبار من العبرة و ذكر في مقابلة السهو والفلة وقوله ما قدر وما يوجب كلاهما معطوفان على موضع وقوله من المكلفات بيان لما يوجب أي لذهب^(١) التكاليف المتعلقة بالأولاد بأن ييروا آباءهم و يعطفوا عليهم عند حاجة الآباء إلى تربيتهم وإعانتهم لكبرهم وضعفهم جزاء لما قاسوا من الشدائد في تربيتهم قوله أن يرى خبر لقوله أقل ما في ذلك.

اعرف يا مفضل: ما للأطفال في البكاء من المنفعة واعلم أن في أدمعة الأطفال رطوبة إن بقيت فيها أحدث عليهم أحداثا جليلة وعلا عظيمة من ذهاب البصر وغيره فالبكاء^(٢) يسيل تلك الرطوبة من رءوسهم فيعيقهم ذلك الصحة في أبدانهم والسلامة في أبصارهم أفليس قد جاز أن يكون الطفل ينتفع بالبكاء والداء لا يعرفان ذلك فهما دائبان ليسكتانه^(٣) ويتوخيان في الأمور مرضاته لئلا يبكي وهما لا يعلمان أن البكاء أصح له وأجمل عاقبة^(٤) فهكذا يجوز أن يكون في كثير من الأشياء منافع لا يعرفها القائلون بالإهمال ولو عرفوا ذلك لم يقضوا على الشيء أنه لا منفعة فيه من أجل أنهم لا يعرفونه ولا يعلمون السبب فيه فإن كل ما لا يعرفه المنكرون يعلمه العارفون^(٥) و كثير مما يقصر عنه علم المخلوقين محيط به علم الخالق جل قدسه وعلت كلمته فأما ما يسيل من أفواه الأطفال من الريق ففي ذلك خروج الرطوبة التي لو بقيت في أبدانهم لأحدثت عليهم الأمور العظيمة كمن تراه قد غلبت عليه الرطوبة فأخرجته إلى حد البله والجنون والتخليط إلى غير ذلك من الأمراض المختلفة^(٦) كالفالج واللقوة وما أشبههما فجعل الله تلك الرطوبة تسيل من أفواههم في صغرهم لما لهم في ذلك من الصحة في كبرهم فتفضل على خلقه بما جهلوه ونظر لهم بما لم يعرفوه ولو عرفوا نعمه عليهم لشغلهم ذلك عن التماذي^(٧) في معصيته فسبحانه ما أجل نعمته وأسبغها على المستحقين وغيرهم من خلقه وتعالى عما يقول المبطلون علوا كبيرا.

بيان: الدؤب الجذ والتعب والتوخي التحري والقصد وقوله ﷺ كل ما لا يعرفه أي مما لا يقصر عنه علم المخلوقين ويقال أبطل أي جاء بالباطل.

انظر الآن يا مفضل كيف جعلت آلات الجماع في الذكر والأنثى جميعا على ما يشاكل ذلك^(٨) فجعل للذكر آلة ناشئة تمتد حتى تصل النقطة إلى الرحم إذا كان محتاجا إلى أن يقذف ماءه في غيره وخلق للأنثى وعاء قعر ليشتمل على الماءين جميعا ويحتمل الولد ويتسع له ويصونه حتى يستحكم ألبس ذلك من تدبير حكيم لطيف سبحانه وتعالى عما يشركون.

بيان: المشاكلة المشابهة والمناسبة واسم الإشارة راجع إلى ما مضى من التدبير في الخلق ويحتمل إرجاعه إلى الجماع.

فكر يا مفضل في أعضاء البدن أجمع وتدبير كل منها للإرب فاليدان للعلاج والرجلان للسعي والعينان للاهتمام والقم للاغتذاء والمعدة للهضم والكبد للتخليص والمنافذ لتنفيذ الفضول والأوعية لحملها والفرج لإقامة النسل وكذلك جميع الأعضاء إذا تأملتها^(٩) وأعملت فكرك فيها ونظرك^(١٠) وجدت كل شيء منها قد قدر لشيء على صواب وحكمة.

قال المفضل: فقلت يا مولاي إن قوما يزعمون أن هذا من فعل الطبيعة فقال سلمه عن هذه الطبيعة أي شيء له علم وقدرة على مثل هذه الأفعال أم ليست كذلك فإن أوجبوا لها العلم والقدرة فما يمنعم من إثبات الخالق فإن هذه صنعتها وإن زعموا أنها تفعل هذه الأفعال بغير علم ولا عمد وكان في أفعالها ما قد تراه من الصواب والحكمة علم أن هذا الفعل للخالق الحكيم وأن الذي سموه طبيعة هو سنة^(١١) في خلقه الجارية على ما أوجراها عليه.

(٢) في المصدر: والبكاء.

(٤) في المصدر: وأجل عاقبة.

(٦) في المصدر: الأمراض المتلفة.

(٨) في المصدر: ما يشاكل ذلك عليه.

(١٠) في «أ»: وأعملت فكرك فيها ونظرت.

(١) كذا في «ط» و «أ» وفي المصدر: لذهبت.

(٣) كذا في «أ» و في المصدر: وفي «ط»: ليسكتانه.

(٥) و في نسخة: يعرفه العارفون.

(٧) في المصدر: لشغلهم ذلك من التماذي.

(٩) في المصدر: إذا تأملتها.

(١١) في المصدر: فان الذي سموه طبيعة هو سنته.

إيضاح: قوله ﷺ فما يمنعمهم لعل المراد أنهم إذا قالوا بذلك فقد أثبتوا الصانع فلم يسمونه بالطبيعة وهي ليست بذات علم وإرادة وقدرة قوله ﷺ علم أن هذا الفعل أي ظاهر بطلان هذا الزعم والذي صار سبباً لذهولهم أن الله تعالى أجرى عادته بأن يخلق الأشياء بأسبابها فذهبوا إلى استقلال تلك الأسباب في ذلك وبعبارة أخرى إن سنة الله وعادته قد جرت لحكم كثيرة أن تكون الأشياء بحسب بادي النظر مستندة إلى غيره تعالى ثم يعلم بعد الاعتبار والتفكير أن الكل مستند إلى قدرته وتأثيره تعالى وإنما هذه الأشياء وسائل وشرائط لذلك فلذا تحيروا في الصانع تعالى فالضمير المنصوب في قوله أجراها راجع إلى السنة وضمير عليه راجع إلى الموصول.

فكرو بما يفضل في وصول الغذاء إلى البدن وما فيه من التدبير فإن الطعام يصير إلى المعدة فتطبخه وتبعث بصفوة إلى الكبد في عروق رقاق واشجة بينها^(١) قد جعلت كالمصفي للغذاء لكيلا يصل إلى الكبد منه شيء فينكاهها وذلك أن الكبد رقيقة لا تحتمل العنف ثم إن الكبد تقبله فيستحيل بلطف التدبير دماً وينفذ إلى البدن كله في مجاري مهينة لذلك بمنزلة المجاري التي تهياً للماء حتى يطرد^(٢) في الأرض كلها وينفذ ما يخرج منه من الغيث والفضول إلى مفايض قد أعدت لذلك فما كان منه من جنس المرة الصفراء جرى إلى المرارة وما كان من جنس السوداء جرى إلى الطحال وما كان من البلة والرطوبة جرى إلى المثانة فتأمل حكمة التدبير في تركيب البدن ووضع هذه الأعضاء منه مواضعها وإعداد هذه الأوعية فيه لتحمل تلك الفضول لئلا تنتشر في البدن فتسقمه وتنهكه فتبارك من أحسن التقدير وأحكم التدبير وله الحمد كما هو أهله ومستحقه.

قال المفضل: قللت صف نشوء^(٣) الأبدان ونموها حالا بعد حال حتى تبلغ التمام والكمال. فقال ﷺ:

أول ذلك تصوير الجنين في الرحم حيث لا تراه عين ولا تناله يد ويدبره حتى يخرج سوياً مستوفياً جميع ما فيه قوامه وصلاحه من الأحشاء والجوارح والعوامل إلى ما في تركيب أعضائه من العظام واللحم والشحم والمخ والعصب والعروق والغضاريف فإذا خرج إلى العالم تراه كيف ينمي^(٤) بجميع أعضائه وهو ثابت على شكل وهيئة لا تتزايد ولا تنقص إلى أن يبلغ أشده إن مد في عمره أو يستوفي مدته قبل ذلك هل هذا إلا من لطيف التدبير والحكمة؟ يا مفضل: انظر إلى ما خص به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضيلاً^(٥) على البهائم فإنه خلق ينتصب قائماً ويستوي جالساً ليستقبل الأشياء بيديه وجوارحه ويمكنه العلاج والعمل بهما فلو كان مكبواً على وجهه كذات^(٦) الأربع لما استطاع أن يعمل شيئاً من الأعمال.

بيان: قال الفيروز آبادي وشجت العروق والأغصان اشتبكت^(٧) وقال نكا القرحة كمنع قشرها قبل أن تبرأ فندبت انتهى^(٨) والمفايض في بعض النسخ بالفاء أي مجاري من فاض الماء وفي بعضها بالغين من غاض الماء غيضاً أي نضب وذهب في الأرض والمغيض المكان الذي يغيض فيه وإلى في قوله إلى ما في تركيب بمعنى «مع». وقال الفيروز آبادي: الغضروف: كل عظم رخو يؤكل وهو مارن الأنف^(٩) وبعض الكتف وروس الأضلاع ورهابة الصدر وداخل فوق الأذن انتهى^(١٠) وقوله تتزايد ولا تنقص أي النسبة بين الأعضاء وبلوغ الأشد وهو القوة أن يكتهل ويستوفي السن الذي يستحكم فيها قوته وعقله وتميزه.

انظر الآن يا مفضل إلى هذه الحواس التي خص بها الإنسان في خلقه وشرف بها على غيره كيف جعلت العينان

(١) في المصدر: عروق دقاق واشجة بينهما.

(٢) يمكن أن تقرأ بالنون المفتوحة والشين الساكنة والهزة بدون الواو.

(٤) في المصدر: ينمو.

(٥) في المصدر: انظر يا مفضل ما خص به الإنسان في خلقه تشريفاً وتفضلاً.

(٦) في المصدر: كذوات.

(٧) الكلام مذكور بمعناه العام في القاموس ١: ٢١٩، والنص يعود للجوهري في الصحاح: ٣٤٧.

(٨) القاموس المحيط ١: ٣٢.

(٩) المارن: قيل طرف الأنف، وقيل ما لان من الأنف، وقيل ما لان من الأنف متحدراً عن العظم وفضل عن القصبة. لسان العرب ١٣: ٨٧.

(١٠) القاموس المحيط ٣: ١٨٥، وفيه: كل عظم رخص يؤكل.

في الرأس كالمصاييح فوق المنارة ليتمكن من المطالعة الأشياء و لم تجعل في الأعضاء التي تحتها كاليدين و الرجلين فتعرضها^(١) الآفات و تصيبها من مباشرة العمل و الحركة ما يغلها و يؤثر فيها و ينقص منها و لا في الأعضاء التي وسط البدن كالبطن و الظهر فيعسر تقلبها و اطلاعها نحو الأشياء فلما لم يكن لها في شيء من هذه الأعضاء موضع كان الرأس أسنى المواضع للحواس و هو بمنزلة الصومعة لها فجعل الحواس خمسا تلقى خمسا لكي لا يفوتها شيء من المحسوسات فخلق البصر ليدرك الألوان فلو كانت الألوان و لم يكن بصر يدركها لم يكن منفعة فيها^(٢) و خلق السمع ليدرك الأصوات فلو كانت الأصوات و لم يكن سمع يدركها لم يكن فيها إرب و كذلك سائر الحواس ثم هذا يرجع متكافئا فلو كان بصر و لم يكن ألوان^(٣) لما كان للبصر معنى و لو كان سمع و لم يكن أصوات^(٤) لم يكن للسمع موضع فانظر كيف قدر بعضها يلقي بعضها فجعل لكل حاسة محسوسا يعمل فيه و لكل محسوس حاسة تدركه و مع هذا فقد جعلت أشياء متوسطة بين الحواس و المحسوسات لا يتم الحواس إلا بها^(٥) كمثل الضياء و الهواء فإنه لو لم يكن ضياء يظهر اللون للبصر لم يكن البصر يدرك اللون و لو لم يكن هواء يؤدي الصوت إلى السمع لم يكن السمع يدرك الصوت فهل يخفى على من صح نظره و أعمل فكره أن مثل هذا الذي وصفت من تهية الحواس و المحسوسات بعضها يلقي بعضها و تهية أشياء آخر بها تتم الحواس لا يكون إلا بعد^(٦) و تقدير من لطيف خبير؟

٧٠

بيان: قوله ﷺ بعضها يلقي بعضها حال أو صفة بتأويل أو تقدير.

فكر يا مفضل فيمن عدم البصر من الناس و ما يناله من الخلل في أموره فإنه لا يعرف موضع قدمه^(٧) و لا يصير ما بين يديه فلا يفرق بين الألوان و بين المنظر الحسن و القبيح و لا يرى حفرة إن هجم عليها و لا عدوا إن أوى إليه بسيف و لا يكون له سبيل إلى أن يعمل شيئا من هذه الصناعات مثل الكتابة و التجارة و الصياغة حتى أنه لو لا نفاذ ذهنه لكان بمنزلة الحجر الملقى و كذلك من عدم السمع يختل في أمور كثيرة فإنه يفقد روح المخاطبة و المحاورة و بعدم لذة الأصوات و اللحن الشجية المطربة و يعظم^(٨) المثونة على الناس في محاورته حتى يتبرموا به و لا يسمع شيئا من أخبار الناس و أحاديثهم حتى يكون كالغائب و هو شاهد أو كالميت و هو حي فأما من عدم العقل فإنه يلحق بمنزلة البهائم بل يجهل كثيرا مما يهتدي إليه البهائم أفلا ترى كيف صارت الجوارح و العقل و سائر الخلال التي بها صلاح الإنسان و التي لو فقد منها شيئا لعظم ما يناله في ذلك من الخلل يوافي خلقه على التمام حتى لا يفقد شيئا منها فلم كان كذلك إلا لأنه خلق بعلم و تقدير؟^(٩)

بيان: روح المخاطبة بالفتح أي راحتها و لذتها و الشجو الحزن و لا يتوهم جواز الاستدلال به على عدم حرمة الغناء مطلقا لاحتمال أن يكون المراد الأفراد المحللة منها كما ذكرها الأصحاب و سيأتي ذكرها في بابها أو يكون فائدة إدراك تلك اللذة عظم الثواب في تركها لوجهه تعالى و قوله ﷺ يوافي خلقه خبر صارت.

قال المفضل: قللت فلم صار بعض الناس يفقد شيئا من هذه الجوارح فينال في ذلك^(١٠) مثل ما وصفته يا مولاي قال ﷺ ذلك للتأديب و الموعظة لمن يحل ذلك به و لغيره بسببه كما قد يؤدب الملوك^(١١) الناس للتنكيل و الموعظة فلا تنكر ذلك عليهم بل يحمدهم بل رأيهم و يصوب^(١٢) من تديبرهم ثم للذين ينزل^(١٣) بهم هذه البلايا من الثواب بعد الموت أن شكروا و أنابوا ما يستصغرون معه ما ينالهم منها حتى أنهم لو خيروا بعد الموت لاختاروا أن يردوا إلى البلايا ليزدادوا من الثواب.

٧١

(١) في المصدر: فتعرضها.

(٢) في المصدر: و لم تكن الألوان.

(٣) في المصدر: لا تتم الحواس إلا بها.

(٤) في المصدر: موضع قدميه.

(٥) في المصدر: و في نسخة إلا لأنه خلق بعلم و بقدر. و في المصدر: إلا أنه خلق بعلم و تقدير.

(٦) في المصدر: فينال في ذلك.

(٧) في المصدر: فينال في ذلك.

(٨) في المصدر: كما يؤدب الملوك.

(٩) في المصدر: و يتصوب.

(١٠) في المصدر: ثم للذين ينزل.

(١١) في المصدر: و يتصوب.

(١٢) في المصدر: ثم للذين ينزل.

(١٣) في المصدر: ثم للذين ينزل.

فكر يا مفضل في الأعضاء التي خلقت أفراداً وأزواجاً وما في ذلك من الحكمة والتقدير والصواب في التدبير فالرأس مما خلق فرداً ولم يكن للإنسان صلاح في أن يكون أكثر من واحد^(١) ألا ترى أنه لو أضيف إلى رأس الإنسان رأس آخر لكان ثقلاً عليه من غير حاجة إليه لأن الحواس التي يحتاج إليها مجتمعة في رأس واحد ثم كان الإنسان ينقسم قسمين لو كان له رأسان فإن تكلم من أحدهما كان الآخر معطلاً لا إرب فيه ولا حاجة إليه وإن تكلم منهما جميعاً بكلام واحد كان أحدهما فضلاً لا يحتاج إليه وإن تكلم بأحدهما بغير الذي تكلم به من الآخر لم يدر السامع بأي ذلك يأخذ وأشياء هذا من الأخلاط والبدان مما خلق أزواجاً ولم يكن للإنسان حير في أن يكون له يد واحدة لأن ذلك كان يخل به فيما يحتاج إلى معالجته من الأشياء ألا ترى أن التجار والبناء لو شلت إحدى يديه لا يستطيع أن يعالج صناعته وإن تكلف ذلك لم يحكمه^(٢) ولم يبلغ منه ما يبلغه إذا كانت له يدان يتعاونان على العمل^(٣).
أطل الفكر يا مفضل في الصوت والكلام وتهئية آلاته في الإنسان فالحنجرة كالأنبوبة لخروج الصوت واللسان والشفتان والأسنان لصياغة الحروف والنغم ألا ترى أن من سقطت أسنانه لم يبق السنين ومن سقطت شفتاه لم يصح القاء ومن ثقل لسانه لم يفصح الرأ وأشباه شيء بذلك المزمار^(٤) الأعظم فالحنجرة يشبه قصبه المزمار والرية يشبه الزق الذي ينفخ فيه لتدخل الريح والعضلات التي تقبض على الرية ليخرج الصوت كالأصابع التي تقبض على الزق حتى تجري الريح في المزمار والشفتان والأسنان التي تصوغ الصوت حروفاً ونغماً كالأصابع التي يختلف في فم المزمار فتصوغ صفيره ألحاناً غير أنه وإن كان مخرج الصوت يشبه المزمار بالدلالة والتعريف فإن المزمار بالحققة^(٥) هو المشبه بمخرج الصوت.

قد أنبتك بما في الأعضاء من الغناء في صناعة الكلام وإقامة الحروف وفيها مع الذي ذكرت لك مآرب أخرى فالحنجرة ليسلك فيها هذا النسيم إلى الرية فتروح على الفؤاد بالنفس الدائم المتتابع الذي لو احتبس^(٦) شيئاً يسيراً لهلك الإنسان وباللسان تذاق الطعوم فيميز بينها ويعرف كل واحد منها حلوها من مرها وحامضها من مزها مالحة من عذبا وطبيها من خبيثها وفيه مع ذلك معونة على إساعة الطعام والشراب والأسنان تمضغ الطعام حتى تلين ويسهل إساعته وهي مع ذلك كالسند للشفتين تمسكها وتدعمهما من داخل الفم واعتبر ذلك بأنك ترى من سقطت أسنانه مسترخي الشفة ومضطربها وبالشفتين يترشف^(٧) الشراب حتى يكون الذي يصل إلى الجوف منه يقصد وقد لا ينجح ثجا فيغص به الشارب أو ينكي في الجوف ثم هما بعد ذلك كالباب المطبق على الفم يفتحهما الإنسان إذا شاء ويطبهما إذا شاء فقيما وصفنا من هذا بيان أن كل واحد من هذه الأعضاء يتصرف وينقسم إلى وجوه من المنافع كما تتصرف الأداة الواحدة في أعمال شتى وذلك كالفأس يستعمل في التجارة والحفر وغيرها من الأعمال ولو رأيت الدماغ إذا كشف عنه لرأيت أنه قد لف بحجب بعضها فوق بعض لتصونه من الأغراض وتمسكه فلا يضطرب ولرأيت عليه الجمجمة بمنزلة البيضة كيما يفتته^(٨) هد الصدمة والصكة التي ربما وقعت في الرأس ثم قد جللت الجمجمة بالشعر حتى صار بمنزلة الفرو للرأس يستره من شدة الحر والبرد فمن حصن الدماغ هذا التحصين إلا الذي خلقه وجعله ينبوع الحس والمستحق للحيلة والصيانة بعلو منزلته من البدن وارتفاع درجته وخطر مرتبته^(٩)؟

بيان: التمر: بين الحلو والحامض والثلج والسيان والغصص أن يبق الشيء في الحلق فلم يكذب يسبغه والجمجمة عظم الرأس المشتمل على الدماغ والبيضة هي التي توضع على الرأس في الحرب وألفت الكسر وهد البناء كسره وضعفه وهدته المصيبة أي أوهنت ركنه والحيطة بالكسر الحيطة والرعاية.

تأمل يا مفضل الجفن على العين كيف جعل كالغشاء والأشعار كالأشراج وأولجها في هذا الغار وأظلمها بالحجاب وما عليه من الشعر.

(١) في المصدر: في أن يكون أنه أكثر من واحد.

(٢) في المصدر: إذا كانت يده يتعاونان على العمل.

(٣) في المصدر: يشبه المزمار بالآلة والتعريف فإن المزمار في الحقيقة.

(٤) وفي نسخة: لو حبس، وكذا في المصدر.

(٥) الرشف: المص، والرشيف: تناول الماء بالشفتين. لسان العرب ٥: ٢٢٠.

(٦) في المصدر: كيما تفيه.

(٧) في المصدر: وخطير مرتبته.

بيان: الجفن: غطاء العين من أعلى وأسفل والأشعار هي حروف الألفان التي عليها الشعر و الأشراج العرى وكأنه ﷺ شبه الأشعار بالعرى والخيط المشدود بها فإن بهما ترفع الأستار و تسدل عند الحاجة إليهما أو بالعرى التي تكون في العيبة من الأدم وغيره يكون فيها خيط إذا شدت به يكون ما في العيبة محفوظا مستورا وكلاهما مناسب والأول أنسب بالفشاء قال الجزري في حديث الأحفاد فأدخلت ثياب صوتي العيبة فأشرجتها يقال أشرجت العيبة وشرجتها إذا شدتها بالشرح وهي العرى انتهى^(١) وأولجها يعني أدخلها.

يا مفضل من غيب الفؤاد في جوف الصدر وكساء المدرعة التي هي غشاؤه وحصنه بالجوانح و ما عليها من اللحم والعصب لئلا يصل إليه ما ينكوه من جعل في الحلق منفذين أحدهما لمخرج الصوت و هو الحلقوم المتصل بالرية و الآخر منفذ الغذاء و هو المريء المتصل بالمعدة الموصل للغذاء إليها و جعل على الحلقوم طبقا يمنع الطعام أن يصل إلى الرية فيقتل من جعل الرية مروحة الفؤاد لا تفتت و لا تخل^(٢) لكيلا تحيز الحرارة في الفؤاد فتؤدي إلى التلف من جعل لمنافذ البول والغائط أشراجا تضبطهما لئلا يجريا جريانا دائما فيفسد على الإنسان عيشه فكم عسى أن يحصى المحصي من هذا بل الذي لا يحصى منه و لا يعلمه الناس أكثر من جعل المعدة عصبانية شديدة و قدرها لهضم الطعام الغليظ و من جعل الكبد رقيقة ناعمة لقبول الصفو اللطيف من الغذاء و لتهضم و تعمل ما هو أطف من عمل المعدة إلا الله القادر أترى الإهمال يأتي^(٣) بشيء من ذلك كلا بل هو تدبير من مدبر حكيم قادر عليم بالأشياء قبل خلقه إياها لا يعجزه شيء وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ.

٧٤

تبيان: الجوانح الأضلاع التي مما يلي الصدر وقوله ﷺ لا تخل من الإخلال بالشيء بمعنى تركه وقوله تحيز إما من الحيز أي تسكن أو من قولهم تحيزت الحية أي تلوت.

فكر يا مفضل لم صارت المخ الرقيق محصنا في أنابيب العظام لم ذلك إلا ليحفظه و يصونه لم صار الدم السائل محصورا في العروق بمنزلة الماء في الظروف إلا لتضبطه فلا يفيض لم صارت الأظفار على أطراف الأصابع إلا وقاية لها و معونة على العمل لم صار داخل الأذن ملتويا كهيئة الكوكب^(٤) إلا ليطرد فيه الصوت حتى ينتهي إلى السمع و ليتكسر حمة^(٥) الريح فلا ينكي في السمع لم حمل الإنسان على فخذه و أليته هذا اللحم إلا ليقيه من الأرض فلا يتألم من الجلوس عليهما^(٦) كما يألم من نحل جسمه و قل لحمه إذا لم يكن بينه و بين الأرض حائل يقيه صلابتها من جعل الإنسان ذكرا و أنثى إلا من خلقه متناسلا و من خلقه متناسلا إلا من خلقه مؤملا و من خلقه مؤملا و من أعطاه آلات العمل إلا من خلقه عاملا و خلقه عاملا إلا من جعله محتاجا و من جعله محتاجا إلا من ضربه بالحاجة و من ضربه بالحاجة إلا من توكل بتقويمه من خصه بالفهم إلا من أوجب له الجزاء و من وهب له الحيلة إلا من ملكه الحول و من ملكه الحول إلا من أزمه الحجة من يكفيه ما لا تبلغه حيلته إلا من لم يبلغ مدى شكره ففكر و تدبر ما وصفته هل تجد الإهمال على هذا النظام و الترتيب^(٧) تبارك الله عما يصفون.

٧٥

بيان: الكوكب المحبس و اطرد الشيء تبع بعضه بعضا و جرى و قال الجوهرى حمة الجوهرى حمة الحر مظمه^(٨) وقوله ﷺ إلا من خلقه مؤملا إشارة إلى أن الأمل و الرجاء في البقاء هو السبب لتحصيل النسل و لذا جعل الإنسان ذا أمل لبقاء نوعه قوله ﷺ إلا من ضربه بالحاجة أي سبب له أسباب الاحتياج و خلقه بحيث يحتاج قوله ﷺ إلا من توكل بتقويمه أي تكفل برفع حاجته و تقويم أوده^(٩) و الحول القوة.

أصف لك الآن يا مفضل الفؤاد، اعلم أن فيه ثقباً موجهة نحو الثقب التي في الرية تروح عن الفؤاد حتى لو اختلفت

(١) النهاية ٢: ٤٥٦.

(٢) في «أ»: أترى من الإهمال يأتي.

(٣) في «أ»: و ليتكسر حمية، و في المصدر: وليكسر حمة.

(٤) في «أ»: و ليتكسر حمية، و في المصدر: وليكسر حمة.

(٥) في «أ»: و ليتكسر حمية، و في المصدر: وليكسر حمة.

(٦) في المصدر: هل تجد الإهمال يأتي على مثل هذا النظام و الترتيب؟

(٧) في المصدر: هل تجد الإهمال يأتي على مثل هذا النظام و الترتيب؟

(٨) الصراح: ١٩٠٦.

(٩) الاود: العوج لسان العرب ١: ٢٦٠.

تلك الثقب وترايل بعضها عن بعض لما وصل الروح إلى الفؤاد ولهلك الإنسان أفستجيز ذو فكر^(١) وروية أن يزعم أن مثل هذا يكون بالإهمال ولا يجد شاهدا من نفسه ينزعه عن هذا القول لو رأيت فردا من مصراعين فيه كلوب كنت تتوهم أنه جعل كذلك بلا معنى بل كنت تعلم ضرورة أنه مصنوع يلتقي فردا آخر فتبرزه^(٢) ليكون في اجتماعهما ضرب من المصلحة وهكذا تجد الذكر من الحيوان كأنه فرد من زوج مهيا^(٣) من فرد أنثى فليقتان لما فيه من دوام النسل وبقائه فتيا وخيبة وتعا لمنتحلي الفلسفة كيف عميت قلوبهم عن هذه الخلقة العجيبة حتى أنكروا التدبير والعهد فيها لو كان فرج الرجل مسترخيا كيف كان يصل إلى قعر الرحم حتى يفرغ النطفة فيه ولو كان منعظا^(٤) أبدا كيف كان الرجل يتقلب في الفراش أو يمشي بين الناس وشيء شاخص أمامه ثم يكون في ذلك مع قبح المنظر تحريك الشهوة في كل وقت من الرجال والنساء جميعا بقدر الله جل اسمه أن يكون أكثر ذلك لا يبدو للبصر في كل وقت ولا يكون على الرجال منه مثونة بل جعل فيه القوة على الانتصاب^(٥) وقت الحاجة إلى ذلك لما قدر أن يكون فيه دوام النسل وبقاؤه^(٦).

توضيح: قال الجوهري وزعته أزعه وزعا كفته انتهى^(٧) والكلوب بالشدديد حديدة معوجة الرأس وفي بعض النسخ كلون وهو فارسي قوله ﷺ مهيا^(٨) في بعض النسخ بالياء لفظة من تعليمية وفي بعضها بالنون فمن تعليمية أو ابتدائية أي إنما يتم عيشه بأنثى وعلى التقديرين يحتمل أن يكون بمعنى مع أن جوز استعماله فيه وقال الجوهري تبا فلان تنصبه على المصدر بإضمار فعل أي ألزمه الله هلاكا وخسرانا^(٩) وقال التعس الهلاك يقال تعسا فلان أي ألزمه الله هلاكا^(١٠).

اعتبر الآن يا مفضل بعظيم النعمة على الإنسان في مطعمه ومشربه وتسهيل خروج الأذى أيس من حسن التقدير في بناء الدار أن يكون الخلاء في أستر موضع فيها^(١١) فكذا^(١٢) جعل الله سبحانه المنفذ المهيأ للخلاء من الإنسان في أستر موضع منه فلم يجعله بارزا من خلفه ولا ناسرا من بين يديه بل هو مغيب في موضع غامض من البدن مستور محجوب يلتقي عليه الفخذان وتحجبه الأليتان بما عليهما من اللحم فيواربانه فإذا احتاج الإنسان إلى الخلاء وجلس تلك الجلسة ألقى ذلك المنفذ منه منصبا مهيا لا تحدار الثقل^(١٣) فتبارك الله من تظاهرت آلاؤه ولا تحصى نعمائوه.

بيان: ألقى أي وجد وقوله ﷺ منصبا إما من الانصباب كناية عن التدلي أو من باب التفعيل من النصب قال الفيروزآبادي نصب الشيء وضعه ورفع ضد كنصبه فانتصب وتنصب^(١٤).

فكروا يا مفضل في هذه الطواحن التي جعلت للإنسان فبعضها حداد لقطع الطعام وقرضه وبعضها عراض لمضغه ورضه فلم ينقص واحد من الصفتين إذ كان محتاجا إليهما جميعا.

تأمل واعتبر بحسن التدبير في خلق الشعر والأظفار فإنهما لما كانا مما يطول ويكثر حتى يحتاج إلى تخفيفه أولا فأولا جعلنا عديمي الحس لئلا يؤلم الإنسان الأخذ منهما ولو كان قص الشعر وتقليم الأظفار مما يوجد له مس من ذلك لكان الإنسان من ذلك^(١٥) بين مكروهين إما أن يدع كل واحد منهما حتى يطول فيثقل عليه وإما أن يخففه بوجع وألم يتألم منه.

قال المفضل: قلت فلم لم يجعل ذلك خلقه لا تزيد فيحتاج الإنسان إلى نقصان منه فقال ﷺ إن لله تبارك اسمه في ذلك على العبد نعم لا يعرفها فيحمد عليها^(١٦) أعلم أن آلام البدن وأدواء تخرج بخروج الشعر في مسامه و بخروج الأظفار من أناملها ولذلك أمر الإنسان بالنورة وخلق الرأس وقص الأظفار في كل أسبوع ليسرع الشعر و

(١) في المصدر: أفستجيز ذو فكرة.
(٢) وفي نسخة: كأنه فرد من زوج مهيا.
(٣) في المصدر: بل جعل فيه قوة الانصاب.
(٤) كذا في «أ» وفي المصدر: وفي «ط»: أن يكون فيه دوام النسل وبقاؤه.
(٥) الصحاح: ١٢٩٧.
(٦) كذا في «أ» وفي المصدر: وفي «ط»: أن يكون فيه دوام النسل وبقاؤه.
(٧) الصحاح: ٩٠.
(٨) وفي نسخة: في أستر موضع منها.
(٩) الثقل: ما سفل من كل شيء. لسان العرب ٢: ١٠٧.
(١٠) في المصدر: مما يوجد له ألم وقع من ذلك..
(١١) القاموس المحيط ١: ١٣٧.
(١٢) في المصدر: فيحمد عليها.

الأظفار في النبات فتخرج الآلام والأدواء بخروجها^(١) وإذا طالا تحيرا و قل خروجهما فاحتبست الآلام والأدواء في البدن فأحدثت عللا وأوجاعا ومنع مع ذلك الشعر من الموضع التي يضر بالإنسان ويحدث عليه الفساد والضرر لو نبت الشعر في العين ألم يكن سيعمي البصر و لو نبت في الفم ألم يكن سيفص^(٢) على الإنسان طعامه وشرا به و لو نبت في باطن الكف ألم يكن سيعوقه عن صحة اللمس وبعض الأعمال فلو نبت في فرج المرأة أو على ذكر الرجل ألم يكن سيفسد عليهما لذة الجماع فانظر كيف تنكب الشعر هذه الموضع لما في ذلك من المصلحة ثم ليس هذا في الإنسان فقط بل تجده في البهائم والسياب وسائر المتناسلات فإنك ترى أجسامهن^(٣) مجللة بالشعر و ترى هذه الموضع خالية منه لهذا السبب بعينه فتأمل الخلقة كيف تتحرز وجوه الخطأ والمضرة وتأتي بالصواب والمنفعة أن المنانية^(٤) وأشباههم حين اجتهدوا في عيب الخلقة^(٥) والعبد عابوا الشعر النابت على الركب والإبطين و لم يعلموا أن ذلك من رطوبة تنصب إلى هذه الموضع فينبت فيها الشعر كما ينبت العشب في مستنقع المياه أفلا ترى إلى هذه الموضع أستر وأهيا لقبول تلك الفضلة من غيرها ثم إن هذه تعد مما يحمل الإنسان من مثونة هذا البدن وتكاليفه لما له في ذلك من المصلحة فإن اهتمامه بتنظيف بدنه وأخذ ما يعلوه من الشعر مما يكسر به شرته ويكف عادتيه ويشغله عن بعض ما يخرج به إليه الفراغ من الأشر والبطالة تأمل الرقيق وما فيه من المنفعة فإنه جعل يجري جريانا دائما إلى الفم ليلب الحلق واللهاوت فلا يجف فإن هذه الموضع لو جعلت كذلك كان فيه هلاك الإنسان^(٦) ثم كان لا يستطيع أن يسبغ طعاما إذا لم يكن في الفم بلة تنفذه تشهد بذلك المشاهدة.

واعلم أن الرطوبة مطية الغذاء. و قد تجري من هذه البلة إلى موضع آخر من المرة فيكون في ذلك صلاح تام للإنسان و لو يست المرة لهلك الإنسان و لقد قال قوم من جهلة المتكلمين وضعة المتفلسفين بقلّة التميز وقصور العلم لو كان بطن الإنسان كهينة البقاء يفتحها الطبيب إذا شاء فيعاین ما فيه و يدخل يده فيعالج ما أراد علاجه ألم يكن أصلح من أن يكون مصمتا محجوبا عن البصر واليد لا يعرف ما فيه إلا بدلالات غامضة كمثل النظر إلى البول وحس العرق^(٧) و ما أشبه ذلك مما يكثر فيه الغلط والشبهة حتى ربما كان ذلك سببا للموت فلو علم هؤلاء الجهلة أن هذا لو كان هكذا كان أول ما فيه أنه كان يسقط عن الإنسان الوجل^(٨) من الأمراض والموت و كان يستشعر البقاء و يغتر بالسلامة فيخرجه ذلك إلى العتو والأشر^(٩) ثم كانت الرطوبات التي في البطن تترشح و تتحلل فيفسد على الإنسان مقعده و مرقده و ثياب بذلته وزينته^(١٠) بل كان يفسد عليه عيشه ثم إن المعدة والكبد والفؤاد إنما تفعل أفعالها بالحرارة الغريزية التي جعلها الله محتبسة في الجوف فلو كان في البطن فرج ينفث حتى يصل البصر إلى رؤيته و اليد إلى علاجه لوصل يرد الهواء إلى الجوف فمازج الحرارة الغريزية و بطل عمل الأحشاء فكان في ذلك هلاك الإنسان أفلا ترى أن كل ما تذهب إليه الأهوام سوى ما جاءت به الخلقة خطأ و خلط؟

إيضاح: الركب بالتحريك منبت العانة و مستنقع الماء بالفتح مجتمعه و شرة الشباب بالكسر حرصه و نشاطه و العادية الظلم والشر والأشر بالتحريك البطر و شدة الفرح واللهاوت جمع لهات و هي اللحمية في سقف أقصى الفم و قوله ﷺ من المرة بيان لموضع آخر و عتا عتوا استكبر و جاوز الحد و يقال تحلب العرق أي سال و الخلط المنطق الفاسد المضطرب.

فكروا مفضل في الأفعال التي جعلت في الإنسان من الطعام والنوم والجماع و ما دبر فيها فإنه جعل لكل واحد منها في الطباع نفسه محرك يقتضيه ويستحث به فالجوع يقتضي الطعام الذي به حياة البدن^(١١) و قوامه والكراتنضي النوم الذي فيه راحة البدن وإجمام قواه والشبق يقتضي الجماع الذي فيه دوام النسل و بقاؤه و لو كان الإنسان إنما يصير إلى أكل الطعام لمعرفته بحاجة بدنه إليه و لم يجد من طباعه شيئا يضطره إلى ذلك كان خليقا أن يتوانى عنه

(١) في «أ» و المصدر: فتخرج الآلام والأعداء بخروجهما.
(٢) في المصدر: فانك ترى أجسامها.
(٣) في المصدر: حين أجهد و اتى عيب الخلقة.
(٤) في «أ»: حسن. و في المصدر: جش.
(٥) الأشر: البطر. لسان العرب ١: ١٤٩.
(٦) في المصدر: الذي فيه راحة البدن.
(٧) في المصدر: سيفص.
(٨) في «ط»: هلاك الانسان.
(٩) الوجل: الفرز و الخوف. لسان العرب ١٥: ٢٢٢.
(١٠) في المصدر: ثياب بذلته وزينته.
(١١) في المصدر: سيفص.

أحيانا بالتثقل والكسل^(١) حتى ينحل بدنه فيهلك كما يحتاج الواحد إلى الدواء بشيء مما يصلح ببدنه^(٢) فيدافع به حتى يؤديه ذلك إلى المرض والموت وكذلك لو كان إنما يصير إلى النوم بالتفكير^(٣) في حاجته إلى راحة البدن وإجماع قواه كان عسى أن يتشاقق عن ذلك فيدمغه^(٤) حتى ينهك بدنه ولو كان إنما يتحرك للجماع بالرغبة في الولد كان غير بعيد أن يفتر عنه حتى يقل النسل أو ينقطع فإن من الناس من لا يرغب في الولد ولا يحفل به فانظر كيف جعل لكل واحد من هذه الأفعال التي بها قوام الإنسان وصلاحه محرك من نفس الطبع يحركه لذلك ويحدوه عليه و اعلم أن في الإنسان قوى أربعة قوة جاذبة تقبل الغذاء وتورده على المعدة وقوة ممسكة^(٥) تحبس الطعام حتى تفعل فيه الطبيعة فعلها وقوة هاضمة وهي التي تطبخه^(٦) وتستخرج صفوه وتبثه في البدن وقوة دافعة تدفعه وتحرر الثفل الفاضل بعد أخذ الهاضمة حاجتها تفكر في تقدير هذه القوى الأربعة التي في البدن وأفعالها وتقديرها للحاجة إليها والإرب فيها وما في ذلك من التدبير والحكمة ولو لا الجاذبة كيف يتحرك الإنسان لطلب الغذاء التي بها قوام البدن^(٧) ولو لا الماسكة كيف كان يلبث الطعام في الجوف حتى تهضمه المعدة ولو لا الهاضمة كيف كان ينطبخ حتى يخلص منه الصفو الذي يغذو البدن ويسد خلله ولو لا الدافعة كيف كان الثفل الذي تخلفه الهاضمة يندفع ويخرج أولا فأولا أفلا ترى كيف وكل الله سبحانه بلطيف صنعه وحسن تقديره هذه القوى بالبدن والقيام بما فيه صلاحه وسأمثل لك في ذلك مثالا إن البدن بمنزلة دار الملك وله فيها حشم^(٨) وصبية وقوام موكلون بالدار فواحد لإقضاء^(٩) حوائج الحشم وإيرادها عليهم وآخر لقبض ما يرد وخزنه إلى أن يعالج ويهيأ وآخر لعلاج ذلك وتهيته وتفريقه وآخر لتنظيف ما في الدار من الأقذار وإخراجه منها فالملك في هذا هو الخلاق الحكيم ملك العالمين والدار هي البدن والحشم هي الأعضاء والقوام هي هذه القوى الأربع^(١٠) ولعلك ترى ذكرنا هذه القوى الأربع وأفعالها بعد الذي وصفت فضلا وتزدادا وليس ما ذكرته من هذه القوى على الجهة التي ذكرت في كتب الأطباء ولا قولنا فيه كقولهم لأنهم ذكروها على ما يحتاج إليه في صناعة الطب وتصحيح الأبدان وذكرناها على ما يحتاج في صلاح الدين وشفاء النفوس من الغي كالذي أوضحته بالوصف الشافي والمثل المضروب من التدبير والحكمة فيها.

تبيين: الطعم بالضم الأكل والكر السهر والجمام بالفتح الراحة يقال جم الفرس جما وجما إذا ذهب إعياءه والشبق بالتحريك شدة شهوة الجماع وتواني في حاجته أي قصر ولا يحفل به أي لا يبالي به وتحدّر الثفل كتنصر أي ترسل وقوله ﷺ ولو لا الجاذبة يدل على أن لها مدخلا في شهوة الطعام وقوله ﷺ خلله كأنه بالضم جمع الخلّة وهي الحاجة أو بالكسر أي الخلال والفرج التي حصلت في البدن يتحلل الرطوبات وقوله ﷺ ولعلك ترى يحتمل أن يكون الغرض دفع توهم السائل كون ذكر التمثيل بعد ذكر القوى ومنافعها على الوجه الذي ذكره الأطباء واكتفوا به إطنابا وتكرارا وحاصله أن الأطباء إنما ذكروها على ما يحتاجون إليه في صناعته من ذكر أفعال تلك القوى وسبب تعطلها ولذا لم يحتاجوا إلى ذكر ما أوردنا من التمثيل ونحن إنما ذكرنا هذا التمثيل لتتضح دلالتها على صانعها ومديرها إذ هذه مقصودنا من ذكرها ويحتمل أن يكون الغرض رفع توهم أن ذكره هذه القوى بعد كونها مذكورة في كتب الأطباء فضل لا حاجة إليه بأن الغرض مختلف في بياننا وبيانهم وبذلك يختلف التقرير أيضا فلذا ذكرنا هاهنا بهذا التقرير الشافي فالضمير في قوله وصفت على بناء المجهول راجع إلى القوى والعائد محذوف أي وصفت به لكنه بعيد.

(١) في المصدر: والتثقل والكسل.

(٢) في المصدر: كما يحتاج الواحد إلى الدواء لشيء مما يصلح به بدنه.

(٣) في المصدر: بالتفكير.

(٤) في المصدر: فيدمغه.

(٥) في المصدر: وقوة ماسكة.

(٦) في المصدر: فلولا الجاذبة كيف كان يتحرك الإنسان للطلب للغذاء الذي به قوام البدن؟

(٨) حشم الرجل: خاصته الذين يخبضون له من عبيد أو أهل أو جيرة إذا أصابه أمر، وأيضا: عياله وقريبته. لسان العرب ٣: ١٩٢.

(٩) في المصدر: فواحد لإقضاء.

(١٠) في المصدر: ولحشم هم الأعضاء، والقوام هم هذه القوى الأربع.

تأمل يا مفضل هذه القوى التي في النفس وموقعها من الإنسان أعني الفكر والوهم والعقل والحفظ وغير ذلك أفرأيت لو نقص الإنسان من هذه الخلال الحفظ وحده كيف كانت تكون حاله وكم من خلل كان يدخل عليه في أموره ومعاشه وتجاريه إذا لم يحفظ ما له وعليه^(١) وما أخذه وما أعطى وما رأى وما سمع وما قال وما قيل له و لم يذكر من أحسن إليه ممن أساء به وما نفعه مما ضره ثم كان لا يهتدي لطريق لو سلكه ما لا يحصى ولا يحفظ علما ولو درسه عمره ولا يعتقد ديناً ولا ينتفع بتجربة ولا يستطيع أن يعتبر شيئا على ما مضى بل كان حقيقاً أن ينسلخ من الإنسانية أصلاً^(٢) فانظر إلى النعمة على الإنسان في هذه الخلال وكيف موقع الواحدة منها دون الجميع وأعظم من النعمة على الإنسان في الحفظ النعمة في النسيان فإنه لو لا النسيان لما سلا أحد عن مصيبة ولا انقضت له حسرة ولا مات له حقد ولا استمتع بشيء من متاع الدنيا مع تذكر الآفات ولا رجا غفلة من سلطان ولا فترة من حاسد أفلا ترى كيف جعل في الإنسان الحفظ والنسيان وهما مختلفان متضادان وجعل له في كل منهما ضرب من المصلحة وما عسى أن يقول الذين قسموا الأشياء بين خالقين متضادين في هذه الأشياء المتضادة المتباينة وقد تراها تجتمع على ما فيه الصلاح والمنفعة؟

بيان: دون الجميع أي فضلا عن الجميع ويقال سلا عنه أي نسيه وقد مضى منا ما يمكن أن يستعمل في فهم آخر الكلام في موضعين فتذكر.

انظر يا مفضل إلى ما خص به الإنسان دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدرة العظيم غناؤه أعني الحياء فلولاه لم يقر ضيف ولم يوف بالعداات ولم تقض الحوائج ولم يتحرر الجميل ولم يتنكب القبيح في شيء من الأشياء حتى أن كثيرا من الأمور المفترضة أيضا إنما يفعل للحياء فإن من الناس من لو لا الحياء لم يرع حق والديه ولم يصل ذا رحم ولم يؤد أمانة ولم يعف عن فاحشة أفلا ترى كيف وفي للإنسان جميع الخلال التي فيها صلاحه وتما أمره؟

بيان: إقراء الضيف ضيافتهم وإكرامهم والتنكب التجنب وفي على بناء المجهول من التوفية وهي إعطاء الشيء وأفيا.

تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدست أسماؤه به على الإنسان من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره وما يخطر بقلبه ونتيجة فكره^(٣) وبه يفهم عن غيره ما^(٤) في نفسه و لو لا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشيء ولا تفهم عن مخبر شيئا وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقيين وأخبار الباقيين للآتين وبها تخلد الكتب في العلوم والآداب وغيرها وبها يحفظ الإنسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب ولولاه لاتقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض وأخبار الغائبين عن أوطانهم و درست^(٥) العلوم وضاعت الآداب وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم وما روي لهم مما لا يسعهم جهله ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفتنة وليست مما أعطيه الإنسان من خلقه وطباعه وكذلك الكلام إنما هو شيء يصطلق عليه الناس فيجري بينهم ولهذا صار يختلف في الأمم المختلفة بالأسن مختلفة وكذلك الكتابة كتابتها العربي^(٦) والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الأمم إنما اصطلاحوا عليها كما اصطلاحوا على الكلام فيقال لمن ادعى ذلك أن الإنسان وإن كان له في الأمرين جميعا فعل أو حيلة فإن الشيء الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عز وجل في خلقه^(٧) فإنه لو لم يكن لسان مهياً للكلام و ذهن يهتدي به للأمور لم يكن ليتكلم أبداً ولو لم يكن له كف مهياً وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبداً واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة فأصل ذلك فطرة البارئ جل وعز وما تفضل به على خلقه فمن شكر أئيب وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ.

بيان: كلامه ها هنا مشعر بأن واضع اللغات البشر فتدبر.

(١) في المصدر: إذا لم يحفظ ما له وما عليه. (٢) سقطت كلمة «أصلاً» في المصدر.

(٣) في المصدر: من هذا النطق الذي يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، وينتج فكره.

(٤) في «أ»: عن غيرهما. (٥) درسته الريح درساً: أي محت. لسان العرب ٤: ٣٢٩.

(٦) في المصدر: في الأمم المختلفة، وكذلك لكاتبه العربي. (٧) وفي نسخة: في خلقه.

ذكر يا مفضل^(١) فيما أعطي الإنسان علمه و ما منع فإنه أعطي علم جميع^(٢) ما فيه صلاح دينه و دنياه فمما فيه صلاح دينه معرفة الخالق تبارك و تعالي بالدلائل و الشواهد القائمة في الخلق و معرفة الواجب عليه من العدل على الناس كافة و بر الوالدين و أداء الأمانة و مواساة أهل الخلّة و أشباه ذلك مما قد توجد معرفته و الإقرار و الاعتراف به في الطبع و الفطرة من كل أمة موافقة أو مخالفة و كذلك أعطي علم ما فيه صلاح دنياه كالزراعة و الغراس و استخراج الأرضين و اقتناء الأغنام و الأنعام و استنباط المياه و معرفة العقاقير التي يستشفى بها من ضروب الأسقام و المعادن التي يستخرج منها أنواع الجواهر و ركوب السفن و الفوص في البحر و ضروب الحيل في صيد الوحش و الطير و الحيتان و التصرف في الصناعات و وجوه المتاجر و المكاسب و غير ذلك مما يطول شرحه و يكثر تعداده مما فيه صلاح أمره في هذه الدار فأعطي علم ما يصلح به دينه و دنياه و منع ما سوى ذلك مما ليس في شأنه و لا طاقته أن يعلم كعلم الغيب و ما هو كائن و بعض ما قد كان أيضاً كعلم ما فوق السماء و ما تحت الأرض و ما في ليج البحار و أقطار العالم و ما في قلوب الناس و ما في الأرحام و أشباه هذا مما حجب على الناس علمه و قد ادعت طائفة من الناس هذه الأمور فأبطل دعواهم ما بين من خطئهم^(٣) فيما يقضون عليه و يحكمون به فيما ادعوا علمه^(٤) فانظر كيف أعطي الإنسان علم جميع ما يحتاج إليه لدينه و دنياه و حجب عنه ما سوى ذلك ليعرف قدره و نقصه و كلا الأمرين فيهما صلاحه^(٥).

تأمل الآن يا مفضل ما ستر عن الإنسان علمه من مدة حياته فإنه لو عرف مقدار عمره و كان قصير العمر لم يتهنأ بالعيش مع ترقب الموت و توقعه لوقت قد عرفه بل كان يكون بمنزلة من قد فني ماله أو قارب الفناء فقد استشعر الفقر و الوجل من فناء ماله و خوف الفقر على أن الذي يدخل على الإنسان من فناء العمر أعظم مما يدخل عليه من فناء المال لأن من يقل ماله يأمل أن يستخلف منه فيسكن إلى ذلك و من أيقن بفناء العمر استحکم عليه اليأس و إن كان طويل العمر ثم عرف ذلك وثق بالبقاء^(٦) و انهمك في اللذات و المعاصي و عمل على أنه يبلغ من ذلك شهوته ثم يتوب في آخر عمره و هذا مذهب لا يرضاه الله من عباده و لا يقبله.

أ لا ترى لو أن عبداً لك عمل على أنه يسخطك سنة و يرضيك يوماً أو شهراً لم تقبل ذلك منه و لم يحل عندك محل العبد الصالح دون أن يضر طاعتك و نصحك في كل الأمور و في كل الأوقات على تصرف الحالات^(٧). فإن قلت: أوليس قد يقيم الإنسان على المعصية حيناً ثم يتوب فتقبل توبته قلنا إن ذلك شيء يكون من الإنسان لغلبة الشهوات و تركه مخالفتها من غير أن يقدرها في نفسه و يبني عليه أمره فيصفع الله عنه و يتفضل عليه بالمغفرة فأما من قدر أمره على أن يعصي ما بدا له ثم يتوب آخر ذلك فإنما يحاول خديعة من لا يخادع بأن يتسلف التلذذ في العاجل و يعد و يعني نفسه التوبة في الآجل و لأنه لا يفي بما يعد من ذلك فإن النزوع من الترفة و التلذذ و معاناة التوبة و لا سيما عند الكبر و ضعف البدن أمر صعب و لا يؤمن على الإنسان مع مدافعتة بالتوبة أن يرهقه الموت فيخرج من الدنيا غير تائب كما قد يكون على الواحد دين إلى أجل و قد يقدر على قضائه فلا يزال يدافع بذلك حتى يحل الآجل و قد نفذ المال فيبقى الدين قائماً عليه فكان خير الأشياء للإنسان أن يستر عنه مبلغ عمره فيكون طول عمره يترقب الموت فيترك المعاصي و يؤثر العمل الصالح.

فإن قلت: و ها هو الآن قد ستر عنه مقدار حياته و صار يترقب الموت في كل ساعة يقارف الفواحش و ينتهك المحارم قلنا إن وجه التدبير في هذا الباب هو الذي جرى عليه الأمر فيه فإن كان الإنسان مع ذلك لا يرعوي و لا ينصرف عن المساوي فإنما ذلك من مرجه و من قساوة قلبه لا من خطإ في التدبير كما أن الطبيب قد يصف للمريض ما ينتفع به فإن كان المريض مخالفاً لقول الطبيب لا يعمل بما يأمره و لا ينتهي عما ينهاه عنه لم ينتفع بصفته و لم يكن الإساءة في ذلك للطبيب بل للمريض حيث لم يقبل منه و لئن كان الإنسان مع ترقبه للموت كل ساعة لا يمتنع

(١) و في نسخة: فُكر يا مفضل. و كذا في المصدر.

(٢) في المصدر: أعطى جميع علم.

(٣) و في نسخة: ما بين من خطئهم.

(٤) في المصدر: و كلا الأمرين فيها: صلاحه.

(٥) و في نسخة: على تصرف الآيات.

(٦) كذا في النسخ و الظاهر: ثم لو عرف ذلك وثق بالبقاء.

عن المعاصي فإنه لو وثق بطول البقاء كان أخرى بأن يخرج إلى الكباثر الفظيعة فترقب الموت على كل حال خير له من الثقة بالبقاء ثم إن ترقب الموت وإن كان صنف من الناس يلهون عنه ولا يتعظون به فقد يتعظ به صنف آخر منهم ويزرعون عن المعاصي ويزرعون العمل الصالح ويجودون بالأموال والعقائل النفيسة في الصدقة على الفقراء والمساكين فلم يكن من العدل أن يحرم هؤلاء الانتفاع بهذه الخصلة لتضييع أولئك حظهم منها.

بيان: انهمك الرجل في الأمر أي جد و لجح والتسلف الاقتراض كأنه يجري معاملة مع ربه بأن يتصرف في اللذات عاجلا و يعد ربه في عوضها التوبة ليؤدي إليه آجلا و في بعض النسخ يستسلف وهو طلب بيع الشيء سلفا.

والمعانة: مقاساة العناء والمشقة ويرهقه أي يغشاه و يلحقه و انتهاك المحارم المبالغة في خرقةها وإتباها و الارعواء الكف عن الشيء وقيل الندم على الشيء و الانصراف عنه وتركه والمرح شدة الفرح وقال الفيروزآبادي العقلية من كل شيء أكرمه و كريمة الإبل^(١) و قال العقال ككتاب زكاة عام من الإبل.^(٢)

فكر يا مفضل في الأحلام كيف دبر الأمر فيها فمزج صادقها بكاذبها فإنها لو كانت كلها تصدق لكان الناس كلهم أنبياء و لو كانت كلها تكذب لم يكن فيها منفعة بل كانت فضلا لا معنى له فصارت تصدق أحيانا فينتفع بها الناس في مصلحة يهتدى لها أو مضرة يتحذر منها^(٣) و تكذب كثيرا لثلا يعتمد عليها كل الاعتقاد.

فكر في هذه الأشياء التي تراها موجودة معدة في العالم من مآربهم فالتراب للبناء و الحديد للصناعات و الخشب للسفن و غيرها و الحجارة للأرحاء^(٤) و غيرها و النحاس للأواني و الذهب و الفضة للمعاملة و الجواهر للذخيرة^(٥) و الجيوب للغذاء و الثمار للتفكه و اللحم للمأكل و الطيب للتلذذ و الأدوية للتصحيح و الدواب للحمولة و الحطب للتوقد و الرماد للكلس و الرمل للأرض و كم عسى أن يحصي المحصي من هذا و شبهه أرأيت لو أن داخلا دخل دارا فنظر إلى خزائن مملوءة من كل ما يحتاج إليه الناس و رأى كل ما فيها مجموعا معدا لأسباب معروفة لكان يتوهم^(٦) أن مثل هذا يكون بالإهمال و من غير عمد فكيف يستجيز قائل أن يقول هذا في العالم^(٧) و ما أعد فيه من هذه الأشياء.

بيان: التفكه التنعم الكلس بالكسر الصاروخ^(٨) قوله ﷺ للأرض أي لفرشها.

اعتبر يا مفضل بأشياء خلقت لمآرب الإنسان و ما فيها من التدبير^(٩) فإنه خلق له الحب لطعامه و كلف طحنه و عجنه و خبزه و خلق له الوبر لكسوته فكلف ندفه و غزله و نسجه و خلق له الشجر فكلف غرسها و سقيها و القيام عليها و خلقت له العقاقير لأدوية فكلف لقطها و خلطها و صنعها و كذلك تجد سائر الأشياء على هذا المثال فانظر كيف كفي الخلق التي لم يكن عنده فيها حيلة و ترك عليه في كل شيء من الأشياء موضع عمل و حركة لما له في ذلك من الصلاح لأنه لو كفي هذا كله حتى لا يكون له في الأشياء موضع شغل و عمل لما حملته الأرض أشرا و بطرا و بلغ به كذلك إلى أن يتعاطى أمورا فيها تلف نفسه و لو كفي الناس كل ما يحتاجون إليه لما تهنئوا بالعيش و لا وجدوا له لذة ألا ترى لو أن أمرا نزل يقوم فأقام حيناً بلغ جميع ما يحتاج إليه من مطعم و مشرب و خدمة لتبرم بالفراق و نازعته نفسه إلى التشاغل بشيء فكيف لو كان طول عمره مكفيا لا يحتاج إلى شيء و كان من صواب التدبير في هذه الأشياء التي خلقت للإنسان أن جعل له فيها موضع شغل لكيلا تبرمه البطالة و لتكفه عن تعاطي ما لا يناله و لا خير فيه إن ناله.

و اعلم يا مفضل إن رأس معاش الإنسان و حياته الخبز و الماء فانظر كيف دبر الأمر فيهما فإن حاجة الإنسان إلى الماء أشد من حاجته إلى الخبز و ذلك أن صبره على الجوع أكثر من صبره على العطش و الذي يحتاج إليه من الماء

(١) القاموس المحيط ٤: ١٩.

(٢) و في نسخة: يتحذر منها.

(٣) جمع للرحى و هي الطاحون.

(٤) في المصدر: و الذهب و الفضة للمعاملة، و الذخيرة.

(٥) في المصدر: أكان يتوهم.

(٦) في المصدر: أن يقول هذا من صنع الطبيعة في العالم.

(٧) في «أ»: و ما أعد فيه من التدبير.

(٨) في «أ»: و ما أعد فيه من التدبير.

أكثر مما يحتاج إليه من الخبز لأنه يحتاج إليه لشربه ووضوئه وغسله وغسل ثيابه وسقي أنعامه وزرعه فجعل الماء مبدولاً لا يشتري لتسقط عن الإنسان الثمونة في طلبه وتكلفه وجعل الخبز متعذراً لا ينال إلا بالحيلة والحركة ليكون للإنسان في ذلك شغل يكفه عما يخرج به إليه الفراغ من الأشر والعبث ألا ترى أن الصبي يدفع إلى المؤدب وهو طفل لم يكمل ذاته للتعليم^(١) كل ذلك ليشغل عن اللعب والعبث اللذين ربما جنيا عليه وعلى أهله المكروه العظيم وهكذا الإنسان لو خلا من الشغل لخرج من الأشر والعبث والبطر إلى ما يعظم ضرره عليه وعلى من قرب منه واعتبر ذلك بمن نشأ في الجدة ورفاهية العيش والترفة والكفاية وما يخرج به ذلك إليه.

اعتبر لم لا يتشابه الناس واحد بآخر كما يتشابه الوحوش والطيور وغير ذلك فإنك ترى السرب من الطيأ والقطا تشابه حتى لا يفرق بين واحد منها وبين الأخرى وترى الناس مختلفة صورهم وخلقهم حتى لا يكاد اثنان منهم يجتمعان في صفة واحدة والعلة في ذلك أن الناس محتاجون إلى أن يتعارفوا بأعيانهم وحلاهم لما يجري بينهم من المعاملات وليس يجري بين البهائم مثل ذلك فيحتاج إلى معرفة كل واحد منها بعينه وحليته^(٢) ألا ترى أن التشابه في الطيور والوحش لا يضرهما شيئا وليس كذلك الإنسان فإنه ربما تشابه التوأمان^(٣) تشابها شديدا فتعظم الثمونة على الناس في معاملتهما حتى يعطى أحدهما بالآخر ويؤخذ أحدهما بذنب الآخر وقد يحدث مثل هذا في تشابه الأشياء فضلا عن تشابه الصورة فمن لطف لعباده^(٤) بهذه الدقائق التي لا تكاد تخطر بالبال حتى وقف بها على الصواب إلا من وسعت رحمته كل شيء لو رأيت تمثال الإنسان مصورا على حائط فقال لك قائل إن هذا ظهر هاهنا^(٥) من تلقاء نفسه لم يصنعه صانع أكنت تقبل ذلك بل كنت تستهزئ به فكيف تنكر هذا في تمثال مصور جماد ولا تنكر في الإنسان الحي الناطق لم صارت أبدان الحيوان وهي تغتذي أبدا لا تنمي بل تنتهي إلى غاية من النمو ثم تقف ولا تتجاوزها لو لا التدبير في ذلك فإن من تدبير الحكيم فيها أن يكون أبدان كل صنف منها على مقدار معلوم غير متفاوت في الكبير والصغير^(٦) وصارت تنمي حتى تصل إلى غايتها ثم يقف ثم لا يزيد والغذاء مع ذلك دائم لا ينقطع ولو كانت تنمي نموا دائما^(٧) لعظمت أبدانها واشتهت مقاديرها حتى لا يكون لشيء منها حد يعرف لم صارت أجسام الإنس خاصة تنقل عن الحركة والمشى ويجفو عن الصناعات اللطيفة إلا لتعظيم الثمونة فيما يحتاج إليه الناس للملبس والمضجع والتكفين وغير ذلك لو كان الإنسان لا يصيبه ألم ولا وجع بم كان يرتدع عن الفواحش ويتواضع لله ويتعطف على الناس أما ترى الإنسان إذا عرض له وجع خضع واستكان ورغب إلى ربه في العافية وبسط يديه بالصدقة^(٨) ولو كان لا يألم من الضرب بم كان السلطان يعاقب الدعار^(٩) ويذل العصاة المردة وبم كان الصبيان يتعلمون العلوم والصناعات وبم كان العبيد يذلون لأربابهم ويذعنون لطاعتهم أفليس هذا توبيخ لابن أبي العوجاء وذويه اللذين جحدوا التدبير والمانوية^(١٠) الذين أنكروا الألم والوجع لو لم يولد من الحيوان إلا ذكر^(١١) فقط أو إناث^(١٢) فقط ألم يكن النسل منقطعاً وبد مع ذلك أجناس الحيوان فصار بعض الأولاد يأتي ذكورا وبعضها يأتي إناثا ليدوم التناسل ولا ينقطع لم صار الرجل والمرأة إذا أدركا نبتت لهما العانة ثم نبتت للحية للرجل وتخلت عن المرأة^(١٣) لو لا التدبير في ذلك فإنه لما جعل الله تبارك وتعالى الرجل قيما وربيها على المرأة وجعل المرأة عرسا وخولا للرجل أعطى الرجل للحية لما له من العزة والجلالة والهيبة ومنعها المرأة لتبقى لها نظارة الوجه والبهجة التي تشاكل المفاكهة والمضاجعة أفلا ترى الخلقة كيف يأتي بالصواب في الأشياء وتخلل مواضع الخطأ فتعطى وتمنع على قدر الإرب والمصلحة بتدبير الحكيم عز وجل؟

(١) في «أ»: لم تكمل ذاته من التعليم.

(٢) في المصدر: لا يضرهما شيئا. وليس كذلك الإنسان فإنه ربما تشابه التوأمان.

(٣) في المصدر: عن تشابه الصور. فمن لطف بعباده.

(٤) في المصدر: في الكبير والصغير.

(٥) في المصدر: وبسط يديه بالصدقة.

(٦) في نسخة: الدغار. والدغار جمع داعر وهو الرجل: الخبيث المفسد. لسان العرب ٤: ٣٥٢.

(٧) في «أ»: المانية.

(٨) في المصدر: أو أنثى.

(٩) في المصدر: إذا أدركا نبتت لهما العانة ثم نبتت للحية للرجل وتخلت عن المرأة.

(١٠) في نسخة: ذكورا.

بمان: جنى الذنب عليه يجنيه جنابة جره إليه والجدة بالتخفيف الغناء قوله ﷺ في تشابه الأشياء أي قد يشبه مال شخص بمال شخص آخر كقثوب أو نعل أو دينار أو درهم فيصير سببا للاشتباه والتشاجر والتنازع فضلا عن تشابه الصورة فإنه أعظم فسادا والمراد أن الناس كثيرا ما يشبه عليهم أمر رجلين لتشابه لباسهما ومركوبهما وغير ذلك فيؤخذ أحدهما بالآخر فكيف مع تشابه الصورة قوله ﷺ واشتهت مقاديرها أي لم يعرف غاية ما ينتهي إليه مقداره فيشبهه الأمر عليه فيما يريد أن يهينه لنفسه من دار ودابة وثياب وزوجة قوله ﷺ ويجفو أي يبعد ويجتنب ولا يداوم على الصناعات اللطيفة أي التي فيها دقة ولطافة قال الجزري وفي الحديث اقرءوا القرآن ولا تنفجوا عنه أي تعاهدوه وتبعدوا^(١) عن تلاوته انتهى.^(٢)

والحاصل أن الله تعالى جعل الإنسان بحيث تنقل عن الحركة والمشى قبل سائر الحيوانات وتكل عن الأعمال الدقيقة لتعظم عليه مثونة تحصيل ما يحتاج إليه فلا يبطر ولا يبطي أو ليكون لهذه الأعمال أجر فيصير سببا لمعايش أقوام يزاولونها والدعار في بعض النسخ بالمهمله من الدعر محرقة الفساد والفسق والخبث وفي بعضها بالمعجمة من الدغرة وهي أخذ الشيء اختلاسا والعرس بالكسر امرأة الرجل والخول محرقة ما أعطاك الله من النعم والعبيد والإماء والمفاكة الممازحة والمضاحكة قوله ﷺ وتخلل مواضع الخطأ يحتمل أن تكون الجملة حالية أي تأتي بالصواب مع أنها تدخل مواضع هي مظنة الخطأ من قولهم تخللت القوم أي دخلت خلالهم ويحتمل أن يكون المراد بالتخلل التخلف أو الخروج من خلالها لكن تطبيقهما على المعاني اللغوية يحتاج إلى تكلف.

٩٠ قال المفضل: ثم حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلي غدا إن شاء الله فانصرفت من عنده مسرورا بما عرفته مبتهجا بما أوتيته حامدا لله على ما أنعم به علي شاكرا لأنعمه على ما منحتني بما عرفنيه مولاي وتفضل به علي فبت في ليلتي مسرورا بما منحنيه مجبورا بما علمنيه.

ثم المجلس الأول و يتلوه المجلس الثاني من كتاب الأدلة على الخلق والتدبير والرد على القائلين بالإهمال ومنكري العمدة برواية المفضل عن الصادق صلوات الله عليه وعلى آبائه.

قال المفضل: فلما كان اليوم الثاني بكرت إلى مولاي فاستودن لي فدخلت فأمرني بالجلوس فجلست فقال الحمد لله مدير الأدوار^(٣) ومعيد الأكوار طبقا عن طبق وعالما بعد عالم لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى عدلا منه تقدست أسماؤه وجلت آلاؤه لا يظلم الناس شيئا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ يشهد بذلك قوله جل قدسه ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^(٤)؛ في نظران لها في كتابه الذي فيه تبيان كل شيء و لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ولذلك قال سيدنا محمد صلوات الله عليه وآله إنما هي أعمالكم ترد إليكم ثم أشرق هنية ثم قال^(٥) يا مفضل الخلق حيارى عمهون سكارى في طغيانهم يترددون وبشياطينهم وطواغيتهم يقتدون بصراء عمي لا يصرون نطقا بكم لا يعقلون سمعاء صم لا يسمعون رضوا بالدون وحسبوا أنهم مهتدون حادوا عن مدرجة الأكياس ورتعوا في مرعى الأرجاس الأنجاس كأنهم من مفاجأة الموت آمنون وعن المجازات مزحزون يا ويلهم ما أشقاهم وأطول عنائهم وأشد بلاءهم يَوْمَ لا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَ لا هُمْ يُنصَرُونَ إِلَّا مَنْ رَجِمَ اللَّهُ.

قال المفضل: فبكيت لما سمعت منه فقال لا تيك تخلصت إذ قبلت ونجوت إذ عرفت ثم قال أبتدئ لك بذكر الحيوان ليتضح لك من أمره ما وضع لك من غيره.

فكر في أبنية أبدان الحيوان وتهيتها على ما هي عليه فلا هي صلاب كالحجارة ولو كانت كذلك لا تنتني^(٦) ولا تتصرف في الأعمال ولا هي على غاية اللين والراخوة فكانت لا تتحمل ولا تستقل بأنفسها فجعلت من لحم رخو

(١) كذا في «أ» وفي المصدر. و ما في «ط»: تعاهدوه وتبعدوا. (٢) النهاية ١: ٢٨١.

(٣) وفي نسخة: الحمد لله مدير الأدوار.

(٤) الزلزلة: ٧ - ٨.

(٥) في المصدر: ثم أشرق الإمام هنية وقال.

(٦) في المصدر: لحم رخو ينتني.

تتسنى تتداخله عظام صلاب يمسكه عصب و عروق تشده و يضم بعضه إلى بعض و غلفت^(١) فوق ذلك بجلد يشتمل على البدن كله و من أشباه ذلك هذه التماثيل التي تعمل من العيدان و تلف بالخرق و تشد بالخيوط و يطلى فوق ذلك بالصمغ فيكون العيدان بمنزلة العظام و الخرق بمنزلة اللحم و الخيوط بمنزلة العصب و العروق و الطلا بمنزلة الجلد فإن جاز أن يكون الحيوان المتحرك حدث بالإهمال من غير صانع جاز أن يكون ذلك في هذه التماثيل الميتة فإن كان هذا غير جائز في التماثيل فبالحرى أن لا يجوز في الحيوان.

و فكر^(٢) بعد هذا في أجساد الأنعام فإنها حين خلقت على أبدان الإنس من اللحم و العظم و العصب أعطيت أيضا السمع و البصر ليبلغ الإنسان حاجته فإنها لو كانت عمية صما^(٣) لما انتفع بها الإنسان و لا تصرفت في شيء من مآربه ثم منعت الذهن و العقل لتدل للإنسان فلا تمتنع عليه إذا كدها الكد الشديد و حملها الحمل الثقيل.

فإن قال قائل: إنه قد يكون للإنسان عيب من الإنس يذلون و يذعنون بالكد الشديد و هم مع ذلك غير عديمي العقل و الذهن فيقال في جواب ذلك أن هذا الصنف من الناس قليل فأما أكثر الناس فلا يذعنون بما تدعن به الدواب من الحمل و الطحن و ما أشبه ذلك و لا يغرون بما يحتاج إليه منه^(٤) ثم لو كان الناس يزاولون مثل هذه الأعمال بأبدانهم لشغلوا بذلك عن سائر الأعمال لأنه كان يحتاج مكان الجمل الواحد و البغل الواحد إلى عدة أناسي فكان هذا العمل يستفرغ الناس حتى لا يكون فيهم عنه فضل لشيء من الصناعات مع ما يلحقهم من التعب^(٥) الفادح في أبدانهم و الضيق و الكد في معاشهم.

إيضاح: مدير الأدوار لعل فيه مضافا محذوفا أي ذوي الأدوار أو الإسناد مجازي و في بعض النسخ بالياء الموحدة و هو أضره و الأكوار جمع كور بالفتح و هو الجماعة الكثيرة من الأبل و القطيع من الغنم و يقال كل دور كور و المراد إما استئناف قرن بعد قرن و زمان بعد زمان أو إعادة أهل الأكوار و الأدوار جميعا في القيامة و الأول أظهر و قال الجزري قيل للقرن طبق لأنهم طبق للأرض ثم يفرضون فيأتي طبق آخر^(٦) قوله ﷺ في نظائر أي قالها في ضمن نظائر لها أو مع نظائرها قوله ﷺ إنما هي أي المثوبات و العقوبات أعمالكم أي جزاؤها و العمه التحير و التردد و الحيد الميل و المدرجة المذهب و المسلك و زحزحه أبعد و الانتشاء الانعطاف و الميل قوله ﷺ و لا يغرون في بعض النسخ بالغين المعجمة و الراء المهملة على بناء المفعول من قولهم أغريت الكلب بالصيد أي لا يؤثر فيهم الإغراء و التحريض على جميع الأعمال التي يحتاج إليها الخلق من ذلك العمل الذي تأتي به الدواب و في بعضها بالغين المهملة و الزاي المعجمة من عزي من باب تعب أي صبر على ما نابه و الأول أظهر و الفادح من قولهم فدحه الدين أثقله ثم اعلم أنه ينبغي حمل السؤال على أنه كان يمكن أن يكتفى بخلق الحيوانات لأن بعضهم ينقادون و يطيعون بعضا فالجواب منطبق من غير تكلف.

فكر بما يفضل في هذه الأصناف الثلاثة من الحيوان و في خلقها على ما هي عليه بما فيه صلاح كل واحد منها فالإنس لما قدروا أن يكونوا ذوي ذهن و فطنة و علاج لمثل هذه الصناعات من البناء و التجارة و الصياغة^(٧) و غير ذلك خلقت لهم أكف كبار ذوات أصابع غلاظ ليتمكنوا من القبض على الأشياء و أوكدها هذه الصناعات و آكلات اللحم لما قدر أن يكون معاشها من الصيد خلقت لهم أكف لطاف مدجمة^(٨) ذوات برائن و مخالب تصلح لأخذ الصيد و لا تصلح للصناعات و آكلات النبات لما قدر أن يكونوا لا ذات صنعة و لا ذات صيد خلقت لبعضها أظلاف^(٩) تقيها خشونة الأرض إذا حاول طلب الرعي^(١٠) و لبعضها حوافر ململمة ذوات قعر كأخص القدم تنطبق على الأرض لينتهي للركوب و الحمولة تأمل التدبير في خلق آكلات اللحم من الحيوان حين خلقت ذوات أسنان

(١) في «أ»: و عليت فوق ذلك.

(٢) و في نسخة: فإنها لو كانت عمية صما.

(٣) في المصدر: مع ما يلحقه من التعب.

(٤) و في نسخة: والخياطة. وكذا في المصدر.

(٥) مفردا: الظلف: و هو ظفر كل ما جتر يقال رجل الإنسان و قدمه، و حافر الفرس، و خف البعير و النعامة، و ظلف البقرة و الشاة.

(٦) في المصدر: إذا حاولت طلب الرعي.

حداد^(١) وبراثن شداد و أشداق و أفواه واسعة فإنه لما قدر أن يكون طعمها اللحم خلقت خلقة تشاكل ذلك و أعينت بسلاح و أدوات تصلح للصيد و كذلك تجد سباع الطير ذوات مناقير و مخالب مهياة لفعلها و لو كانت الوحوش ذوات مخالب كانت قد أعطيت ما لا يحتاج إليه لأنها لا تصيد و لا تأكل اللحم و لو كانت السباع ذوات أظلاف كانت قد منعت ما تحتاج إليه أغني السلاح الذي به تصيد و تتعيش^(٢) أفلا ترى كيف أعطي كل واحد من الصنفين ما يشاكل صنفه و طبقته بل ما فيه بقاؤه و صلاحه.

انظر الآن إلى ذوات الأربع كيف تراها تتبع أماتها مستقلة بأنفسها لا تحتاج إلى الحمل و التربية كما تحتاج أولاد الإنس فمن أجل أنه ليس عند أمهاتها ما عند أمهات البشر من الرفق و العلم بالتربية و القوة عليها بالأكف و الأصابع المهية لذلك أعطيت النهوض و الاستقلال بأنفسها و كذلك ترى كثيرا من الطير كمثل الدجاج و الدراج و القيق تدرج و تلتقط حين ينقاب عنها البيض^(٣) فأما ما كان منها ضعيفا لا نهوض فيه كمثل فراخ الحمام و البمام و الحمر فقد جعل في الأمهات فضل عطف عليها فصارت تمنح الطعام في أفواهها بعد ما تربيها حواصلها فلا تزال تغذوها حتى تستقل بأنفسها و لذلك لم ترزق الحمام فراخا كثيرة مثل ما ترزق الدجاج لتقوى الأم على تربية فراخها فلا تفسد و لا تموت فكل أعطي بقسط من تدبير الحكيم اللطيف الخبير.

انظر إلى قوائم الحيوان كيف تأتي أزواجا لتهيأ للمشي و لو كانت أفرادا لم تصلح لذلك لأن الماشي ينقل قوائمه^(٤) و يعتمد على بعض فذو القائمتين ينقل واحدة و يعتمد على واحدة و ذو الأربع ينقل اثنين و يعتمد على اثنين^(٥) و ذلك من خلاف لأن ذا الأربع لو كان ينقل قائمين من أحد جانبيه و يعتمد على قائمين من الجانب الآخر. لما يثبت على الأرض كما لا يثبت السري و ما أشبهه^(٦) نصار ينقل اليمنى من مقاديمه مع اليسرى من مآخيره و ينقل الآخرين أيضا من خلاف فيثبت على الأرض و لا يسقط إذا مشى.

أما ترى الحمار كيف يذل للطنن و الحمولة و هو يرى الفرس مودعا منعما و البعير لا يطيعه عدة رجال لو استعصى كيف كان يتقاد للصبى و الثور الشديد كيف كان يذعن لصاحبه حتى يضع النير على عنقه و يحرث به و الفرس الكريم يركب السيوف و الأسلحة بالمئات لفارسه و القطيع من الغنم يرعاه رجل واحد^(٧) و لو تفرقت الغنم فأخذ كل واحد منها في ناحية لم يلحقها و كذلك جميع الأصناف مسخرة^(٨) للإنسان فيم كانت كذلك^(٩) إلا بأنها عدمت العقل و الروية فإنها لو كانت تعقل و تروي في الأمور^(١٠) كانت خليفة أن تلوي على الإنسان في كثير من مآربه حتى يمتنع الجمل على قائده و الثور على صاحبه و تتفرق الغنم عن راعيها و أشباه هذا من الأمور و كذلك هذه السباع لو كانت ذات عقل و روية فتوازرت على الناس كانت خليفة أن تجتاحهم فمن كان يقوم للأسد و الذئب و النمورة و الدببة لو تعاونت و تظاهرت على الناس أفلا ترى كيف حجر ذلك عليها و صارت مكان ما كان يخاف من أقدمها و نكاتها تهاب مساكن الناس و تحجم عنها ثم لا تظهر و لا تنشر لطلب قوتها إلا بالليل فهي مع صولتها كالخائف للإنس^(١١) بل مقموعة ممنوعة منهم و لو لا ذلك لساورتهم في مساكنهم و ضيعت عليهم ثم جعل في الكلب من بين هذه السباع عطف على مالكة و محامة عنه و حفاظ^(١٢) له فهو ينتقل على الحيطان و السطوح في ظلمة الليل لحراسة منزل صاحبه و ذب الدغار عنه^(١٣) و يبلغ من محبته لصاحبه أن يبذل نفسه للموت دونه و دون ماشيته و ماله و يألف غاية الإلف حتى يصير معه على الجوع و الجفوة فلم طبع الكلب على هذا الإلف^(١٤) إلا ليكون حارسا للإنسان له عين بأنياب و مخالب و نباح هائل ليذعر منه السارق و يتجنب الواضع التي يحميها و يخفها.

٩٤

٩٥

(١) في «ط»: حيث جعلت ذوات أسنان حداد.

(٢) في المصدر: تنقاب عنها البيضاء.

(٣) في المصدر: ينقل أثنين و يعتمد على اثنين.

(٤) في المصدر: يرعاه واحد.

(٥) في المصدر: المسخرة للإنسان كانت كذلك.

(٦) في المصدر: و لا تنشر لطلب قوتها إلا بالليل. فهي مع صولتها كالخائف من الإنس.

(٧) في المصدر: و حافظ.

(٨) و في نسخة: و ذب الدغار عنه. و الدغار من دغر عليه دغراً أى: اقتحم من غير تثبت. لسان العرب ٤: ٣٦٤.

(٩) في المصدر: على هذا الإلف و المحبة.

(١٠) في المصدر: الذى تصيد به و تتعيش.

(١١) كذا في النسخ و الظاهر أن الصحيح: ينقل بعض قوائمه.

(١٢) في المصدر: لم يثبت على الأرض كما يثبت السري، و ما أشبهه.

(١٣) كذا في «أ» و في المصدر: و في «ط»: جميع الاصناف مسخرة.

(١٤) في المصدر: و تتروى في الأمور.

بيان: وأوكدها أي أوكد الأشياء وأوجها إلى هذا النوع من الخلق هذه الصناعات ويحتمل إرجاع الضمير إلى جنس البشر فيكون فعلاً أي أزمها أو ألهمها هذه الصناعات ولا يبعد إرجاعه إلى الألف أيضاً قوله مدمجة أي انضم بعضها إلى بعض قال الجوهري دمج الشيء دمجاً إذا دخل في الشيء واستحكم فيه وأدمجت الشيء إذا لففته في ثوب^(١) وفي بعض النسخ مدمجة بالباء و الحاء المهملة ولعل المراد موجعة من قولهم دبح تدبيحاً أي بسط ظهره و طأطأ رأسه وهو تصحيف و البرائن من السباع و الطير بمنزلة الأصابع من الإنسان و المخلب ظفر البرثن و الململم بفتح اللامين المجتمع المدور المصوم و الأخص من باطن القدم ما لا يصيب الأرض و الشدق جانب الفم و الطعم بالضم الطعام و الأمات جمع الأم و قيل إنما تستعمل في البهائم و أما في الناس فيقال أمهات و يقال قاب الطير يبيضته فلحقها فانقابت و البهام حمام الوحش و الحر بضم الحاء و فتح الميم طائر و قد يشدد الميم و يقال مع الرجل الطعام من فيه إذا رمى به و المودع من الخيل يفتح الدال المستريح و نير الفدان بالكسر الخشبة المعترضة في عنق الثورين قوله يتركب السيوف أي يستقبلها بجرأة كأنه يركبها أو بمعنى يتركب مواجهتها و المواتاة الموافقة و الدبية كعنية جمع الدب و يقال أحجم القدم عنه أي نكصوا و تأخروا و تهيّبوا أخذه و ساوره و أثبه و يقال حاميت عنه أي منعت منه و العين بالفتح الغلط في الجسم و الخشونة و الخفر المنع.

يا مفضل تأمل وجه الدابة كيف هو فإنك ترى العينين شاخصتين أمامها لتبصر ما بين يديها ثلثا تصدم حائطا أو تردى في حفرة و ترى الفم مشقوقا شقا في أسفل الخطم و لو شق كمكان الفم من الإنسان في مقدم الذقن لما استطاع أن يتناول به شيئا من الأرض ألا ترى أن الإنسان لا يتناول الطعام بفيه و لكن بيده تكرمه له على سائر الأكلات فلما لم يكن للدابة يد تتناول بها العلف جعل خطمها مشقوقا من أسفل ليقبض به على العلف ثم تقضمه و أعينت بالبحفلة تتناول بها ما قرب و ما بعد.^(٢)

اعتبر بذنبها و المنفعة لها فيه فإنه بمنزلة الطبق على الدبر و الحياء جميعا يواريهما و يستترهما و من منافعها فيه أن ما بين الدبر و مراقي البطن منها و ضرر يجتمع عليه الذباب و البعوض فجعل لها الذنب كالمذبة تدب بها عن ذلك الموضع و منها أن الدابة تستريح إلى تحريكه و تصريفه يمنة و يسره فإنه لما كان قيامها على الأربع بأسرها و شغلت القدمتان بحمل البدن عن التصرف و التقلب كان لها في تحريك الذنب راحة و فيه منافع أخرى يقصر عنها الوهم يعرف مواقعها في وقت الحاجة إليها فمن ذلك أن الدابة ترتطم في الوحل فلا يكون شيء أعون على نهوضها من الأخذ بذنبها و في شعر الذنب منافع للناس كثيرة يستعملونها في ما ربحهم ثم جعل ظهرها مسطحا مبطوحا على قوائم أربع ليتمكن من ركوبها و جعل حياها بارزا من ورائها ليتمكن الفحل من ضربها و لو كان أسفل البطن كمكان الفرج من المرأة لم يتمكن الفحل منها ألا ترى أنه لا يستطيع أن يأتيها فكاحا كما يأتي الرجل المرأة.

تأمل مشفر الفيل و ما فيه من لطيف التدبير فإنه يقوم مقام اليد في تناول العلف و الماء و ازدادها^(٣) إلى جوفه و لو لا ذلك ما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض لأنه ليست له رقبة يمدحها كسائر الأنعام فلما عدم العنق أعين مكان ذلك بالخرطوم الطويل ليسدله فيتناول به حاجته فمن ذا الذي عوضه مكان العضو الذي عدمه^(٤) ما يقوم مقامه إلا الرءف بخلقه و كيف يكون هذا بالإهمال كما قالت الظلمة؟

فإن قال قائل: فما باله لم يخلق ذا عنق كسائر الأنعام قيل له إن رأس الفيل و أذنيه أمر عظيم و ثقل ثقيل و لو كان ذلك على عنق عظيمة لهدأ و أوهنها فجعل رأسه ملصقا بجسمه لكيلا ينال منه ما وصفنا و خلق له مكان العنق هذا المشفر ليتناول به غذاءه فصار مع عدمه العنق مستوفيا ما فيه بلوغ حاجته.

انظر الآن كيف جعل حياء الأنتى من الفيلة في أسفل بطنها فإذا حاجت للضراب. ارتفع و برز حتى يتمكن الفحل من ضربها فاعتبر كيف جعل حياء الأنتى من الفيلة على خلاف ما عليه في غيرها من الأنعام ثم جعلت فيه هذه الخلعة لينتهي للأمر الذي فيه قوام النسل و دوامه.

(١) الصحاح: ٣١٥ - ٣١٦. (٢) في المصدر: تتناول بها ما قرب و ما بعد.

(٣) زرد اللقمة يزردها زرداً، أي يلمها. و الازدراء: الابتلاع الصحاح: ٤٨٠.

(٤) في المصدر: مكان العضو الذي عدم.

فكر في خلق الزرافة واختلاف أعضائها وشبهها بأعضاء أصناف من الحيوان فرأسها رأس فرس وعنقها عنق جمل وأظلافها أظلاف بقرة وجلدها جلد نمر وزعم ناس من الجهال بالله عز وجل أن نتاجها من فحول شتى قالوا وسبب ذلك أن أصنافا من حيوان البر إذا وردت الماء تنزوا^(١) على بعض السائمة^(٢) وينتج مثل هذا الشخص الذي هو كالملتقط من أصناف شتى وهذا جهل من قائله وقلة معرفته^(٣) بالبراري جل قدسه وليس كل صنف من الحيوان يلقي كل صنف فلا الفرس يلقي الجمل ولا الجمل يلقي البقر وإنما يكون التلقيح من بعض الحيوان فيما يشاكله و يقرب من خلقه كما يلقي الفرس الحمارة فيخرج بينهما البغل و يلقي الذئب الضبع فيخرج بينهما السمع^(٤) على أنه ليس يكون في الذي يخرج من بينهما عضو من كل واحد منهما كما في الزرافة عضو من الفرس و عضو من الجمل و أظلاف من البقرة بل يكون كالمتوسط بينهما الممتزج منهما كالذي تراه في البغل فإنك ترى رأسه وأذنيه وكفله^(٥) و ذنبه و حوافره وسطا بين هذه الأعضاء من الفرس والحمارة وشحيجه كالممتزج من سهيل الفرس ونهيق الحمارة فهذا دليل على أنه ليست الزرافة من لقاح أصناف شتى من الحيوان كما زعم الجاهلون بل هي خلق عجيب من خلق الله للدلالة على قدرته التي لا يعجزها شيء و ليعلم أنه خالق أصناف الحيوان كلها يجمع بين ما يشاء من أعضائها في أيها شاء و يفرق ما شاء منها في أيها شاء و يزيد في الخلقة ما شاء و ينقص منها ما شاء دلالة على قدرته على الأشياء و أنه لا يعجزه شيء أراداه جل و تعالى فأما طول عنقها والمنفعة لها في ذلك فإن منشأها ومرعاها في غياطل ذوات أشجار شاهقة ذاهبة طولا في الهواء فهي تحتاج إلى طول العنق لتناول بفيها أطراف تلك الأشجار فتقوت من ثمارها.

تأمل خلق القرد وشبهه بالإنسان في كثير من أعضائه أعني الرأس والوجه والمنكبين والصدر وكذلك أحشائه شبيهة أيضا بأحشاء الإنسان و خص من ذلك^(٦) بالذنب والفتنة التي بها يفهم عن سائسه^(٧) ما يومي إليه و يحكي كثيرا مما يرى الإنسان يفعل حتى أنه يقرب من خلق الإنسان و شمالكه في التدبير في خلقته على ما هي عليه أن يكون عبرة للإنسان في نفسه فيعلم أنه من طينة البهائم و نسخها إذا كان يقرب من خلقها هذا القرب و إنه لو لا فضيلة فضله الله بها في الذهن والعقل والنطق كان كبعض البهائم على أن في جسم القرد فضولا أخرى يفرق بينه و بين الإنسان كالخطم والذنب المسدل والشعر المجلل للجسم كله وهذا لم يكن مانعا للقرد أن يلحق بالإنسان لو أعطى مثل ذهن الإنسان وعقله ونطقه والفصل الفاصل بينه و بين الإنسان بالصحة^(٨) هو النقص في العقل والذهن والنطق.

بيان: شخص البصر ارتفع وشخص الرجل بصره إذا فتح عينيه والخطم بالفتح من كل طائر منقاره و من كل دابة مقدم أنفه وفمه وقضم كسمع أكل بأطراف أسنانه والجحفة بمنزلة الشفة للبالغ والحيير والخيول وهي بتقديم الجيم على الحاء المهملة والطبق محركة غطاء كل شيء والحياء الفرج والمراد بمرآقي البطن ما ارتفع منه من وسط أو قرب منه والوض الدرر والمذبة بكسر الميم ما يذب به الذباب وبطحه ألقاه على وجهه وكفحته كفحا وكفاحا إذا استقبلته والمشفر من البعير كالجحفة من الفرس وقال الجوهرى الزرافة والزرافة بفتح الزاي وضما مخففة الفاء دابة يقال لها بالفارسية أشتراو غاو وپلنگ^(٩) وقال الفيروز آبادي السمع بكسر السين وسكون الميم ولد الذئب من الضبع لا يموت حتف أنفه كالحية وعدوه أسرع من الطير وثبته تزيد على ثلاثين ذراعا^(١٠) و قال شحيح البغل والحمارة صوته^(١١) والغياطل جمع الغيطل وهو الشجر الكثير الملتف^(١٢) قوله ﷺ أن يكون أي خلق كذلك لأن يكون عبرة للإنسان والسنخ بالكسر الأصل قوله بالصحة هو النقص

(١) النزو: الوثبان. ومنه نزو التيس. ولا يقال اللالشاة والدواب والبر في معنى السفاد. لسان العرب ١٤: ١١٤.

(٢) سامت الراعية والماشية والغنم سوما: رعت حيث شاءت فهي سائمة. لسان العرب ٦: ٤٤٠.

(٣) في المصدر: وقلة معرفة.

(٤) في المصدر: فيخرج من بينهما السمع.

(٥) الكفل (بالتحريك): العجز. لسان العرب ١٢: ١٢٨.

(٦) يقال: هو يسوس الدواب إذا قام عليها وراضا. لسان العرب ٦: ٤٣٠.

(٨) في المصدر: بينه و بين الانسان في الحقيقة.

(٩) الضحاح: ١٣٦٩ والشتراو بالفارسية: البعير، والكاو (المعجمة): البقرة و پلنگ (بالياء والكاف المعجمتين): النمر.

(١٠) القاموس المحيط ٣: ٤٣.

(١١) القاموس المحيط ٤: ٢٥.

(١٢) القاموس المحيط ١: ٢٠٢.

في العقل أي الفصل الصحيح الذي يصلح واقعا أن يكون فاصلا وفي أكثر النسخ وهو وعلى هذا لا يبعد أن تكون تصحيف الفحة أي قلة الحياة.

انظر يا مفضل إلى لطف الله جل اسمه بالبهائم كيف كسيت أجسامهم هذه الكسوة من الشعر والوبر والصوف ليقها من البرد وكثرة الآفات وألبست قوائمها الأظلاف والحوافر والأخفاف ليقها من الحفا إذ كانت لا أيدي لها ولا أكف ولا أصابع مهيأة للغزل والنسج فكفوا بأن جعل كسوتهم في خلقتهم باقية عليهم ما بقوا لا يحتاجون إلى تجديدها والاستبدال بها فأما الإنسان فإنه ذو حيلة وكف مهيأة للعمل فهو ينسج ويغزل ويتخذ لنفسه الكسوة ويستبدل بها حالا بعد حال وله في ذلك صلاح من جهات من ذلك أنه يشتغل بصناعة اللباس عن العبث وما يخرج به إليه الكفاية ومنها أنه يستريح إلى خلع كسوته إذا شاء وليسها إذا شاء ومنها أن يتخذ لنفسه من الكسوة ضروبا لها جمال وروعة فيتخذ بلبسها وتبديلها وكذلك يتخذ بالرفق من الصنعة ضروبا من الخفاف والتعال يقي بها قدميه في ذلك معاش لمن يعمل من الناس ومكاسب يكون فيها معاشهم^(١) ومنها أقواتهم وأقوات عيالهم فصار الشعر والوبر والصوف يقوم للبهائم مقام الكسوة والأظلاف والحوافر والأخفاف مقام الحذاء.

بيان: قال الجوهرى قال الكسائي رجل حاف بين الحفوة والحفاء بالمد وهو الذي يمشي بلا خف ولا نعل وقال وأما الذي حفي من كثرة المشي أي رقت قدمه أو حافره فإنه حاف بين الحفاء مقصورا وأحفاء غيره انتهى^(٢) قوله ﷺ وروعه من قولهم راعني الشيء أعجبني.

فكر يا مفضل في خلقة عجيبة جعلت في البهائم فإنهم يوارون أنفسهم إذا ماتوا كما يوارى الناس موتاهم وإلا فأين جيف هذه الوحوش والسباع وغيرها لا يرى منها شيء وليست قليلة فتخفى لقلتها بل لو قال قائل إنها أكثر من الناس لصدق فاعتبر ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الطباء والمها والحمر^(٣) والوعول والأيتال وغير ذلك من الوحوش وأصناف السباع من الأسد والضباع والثئاب والنمور وغيرها وضروب الهوام والحشرات ودواب الأرض وكذلك أسراب الطير من الغربان والقطا والإوز والكرابي والحمام وسباع الطير جميعا وكلها لا يرى منها شيء إذا ماتت إلا الواحد بعد الواحد يصيده قانص أو يفترسه سبع فإذا أحسوا بالموت كمنوا في مواضع خفية فيموتون فيها ولو لا ذلك لامتألت الصحاري منها حتى تفسد رائحة الهواء ويحدث الأمراض والبواء فانظر إلى هذا الذي يخلص إليه الناس وعملوه بالتمثيل الأول الذي مثل لهم كيف جعل طبعها وادكارا في البهائم^(٤) وغيرها ليسلم الناس من مرة ما يحدث عليهم من الأمراض والفساد.

توضيح: السرب بالكسر والسرية القطيع من الطباء والقطا والخيل ونحوها والجمع أسراب والمها البقرة الوحشية والجمع مها والوعل بالفتح وكنتف تيس الجبل والجمع وعال وعول والأيل بضم الهمزة وكسرهما وفتح الياء المشددة وكسيد الذكر من الأوعال ويقال هو الذي يسمى بالفارسية كوزن والجمع أيايل والقانص الصائد وخلص إليه وصل والمراد بالتمثيل ما ذكره الله تعالى في قصة قابيل والعرة الأذى.

فكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفنا من الله عز وجل لهم ثلثا يخلو من نعمه جل وعز أحد من خلقه لا يعقل وروية فإن الأيل يأكل الحيات فيعطش عطشا شديدا فيمتنع من شرب الماء خوفا من أن يدب السم في جسمه فيقتله ويقف على الغدير وهو مجهود عطشا فيعج عجيجا عاليا ولا يشرب منه ولو شرب لمت من ساعته فانظر إلى ما جعل من طباع هذه البهيمة من تحمل الظماء الغالب^(٥) خوفا من المضرة في الشرب وذلك مما لا يكاد الإنسان العاقل المميز يضبطه من نفسه والتعلب إذا أعوزه الطعم تماوت ونفخ بطنه حتى يحسبه الطير ميتا فإذا وقعت عليه لتنهشه وتب عليها فأخذها فمن أعان الثعلب القديم النطق والروية بهذه الحيلة إلا من توكل بتوجيه الرزق له من هذا وشبهه فإنه لما كان الثعلب يضعف عن كثير مما يقوى عليه السباع من مساورة

(١) في المصدر: فيها معاشهم.

(٢) في المصدر: فاعتبر في ذلك بما تراه في الصحاري والجبال من أسراب الطباء والمها والحمر من الوحوش.

(٣) كذا في «أ» وفي المصدر: وما في «ط»: وادكارا في البهائم.

(٤) في المصدر: الظماء الغالب الشديدة.

الصيد أعين بادها، والظنّة والاحتياط لِمَعاشه والدلفين يلتصق صيد الطير فيكون حيلته في ذلك أن يأخذ السمك فيقتله و يشرحه حتى يطفو على الماء يكمن تحته و يثور الماء الذي عليه حتى لا يتبين شخصه فإذا وقع الطير على السمك الطافي وثب إليها فاصطادها فانظر إلى هذه الحيلة كيف جعلت طبعاً في هذه البهيمة لبعض المصلحة؟

قال المفضل: قلت خبرني يا مولاي عن التنين والسحاب فقال ﷺ إن السحاب كالموكل به يختطفه حيثما تفرقه كما يختطف حجر المغناطيس الحديد فهو لا يطلع رأسه في الأرض خوفاً من السحاب ولا يخرج إلا في القَيْظ مرة إذا صحت السماء فلم يكن فيها نكتة من غيمة قلت فلم وكل السحاب بالتنين يرصده ويختطفه إذا وجده قال ليدفع عن الناس مضرة.

بيان: قوله لا يعقل وروية لعل المراد أن هذه الأمور من محض لطفه تعالى حيث يلهمهم ذلك لا يعقل وروية وفي أكثر النسخ لا يعقل ورويته وهو تصحيف والمراد معلوم والجهد الطاقة والمشقة أي أصابته مشقة عظيمة من العطش والعجيج الصباح ورفع الصوت وأعوزه الشيء أي احتاج إليه والتماوت إظهار الموت حيلة والمساورة هي الوشوب على وجه الصيد وقال الفيروزآبادي الدلفين بالضم دابة بحرية تنجي الغريق^(١) وقوله ﷺ يثور الماء أي يهيج ويحركه والتنين حية عظيمة معروفة وتفرقه أي وجده والقَيْظ صميم الصيف من طلوع التريا إلى طلوع سهيل والصحو ذهاب الغيم.

قال المفضل: قلت: قد وصفت لي مولاي من أمر البهائم ما فيه معتبر لمن اعتبر فصفت لي الذرة^(٢) والنمل و الطير فقال ﷺ:

١٠٢ يا مفضل تأمل وجه الذرة الحقيرة الصغيرة هل تجد فيها نقصاً عما فيه صلاحها^(٣) فمن أين هذا التقدير والصواب في خلق الذرة إلا من التدبير القاتم في صغير الخلق وكبيره؟

انظر إلى النمل واحتشادها في جمع القوت وإعداده فإنك ترى الجماعة منها إذا انقلبت الحب إلى زيتتها بمنزلة جماعة من الناس ينقلون الطعام أو غيره بل للنمل في ذلك من الجد والتشمير ما ليس للناس مثله أما تريهم يتعاونون على النقل كما يتعاون الناس على العمل ثم يعمدون إلى الحب فيقطعونه قطعاً لكيلاً ينبت فيفسد عليهم فإن أصابه ندى أخرجه فنشروه حتى يجف ثم لا يتخذ النمل الزبية إلا في نشر من الأرض كي لا يفيض السيل فيغرقها فكل هذا منه بلا عقل ولا روية بل خلقه خلقاً عليها لمصلحة لطفاً من الله عز وجل.

انظر إلى هذا الذي يقال له الليث وتسميه العامة أسد الذباب وما أعطي من الحيلة والرفق في معاشه فإنك تراه حين يحس بالذباب قد وقع قريباً منه تركه ملياً حتى كأنه موات لا حراك به فإذا رأى الذباب قد أطمأن وغفل عنه دب دبيباً دقيقاً^(٤) حتى يكون منه بحيث يناله وثبة^(٥) ثم يثب عليه فيأخذه فإذا أخذه اشتمل عليه بجسمه كله مخافة أن ينجو منه فلا يزال قابضاً عليه حتى يحس بأنه قد ضعف واسترخى ثم يقبل عليه فيفترسه ويحيا بذلك منه فأما العنكبوت فإنه ينسج ذلك النسج فيتخذة شركاً ومصيدة للذباب ثم يكمن في جوفه فإذا نشب فيه الذباب أجال عليه يلدغه ساعة بعد ساعة فيعيش بذلك منه كذلك يحكي صيد الكلاب والفهود وهكذا يحكي صيد الأشراك والحيائل^(٦).

١٠٣ فانظر إلى هذه الدويبة الضعيفة كيف جعل في طبعها ما لا يبلغه الإنسان إلا بالحيلة واستعمال آلات فيها^(٧) فلا تزدر بالشيء إذا كانت العبرة فيه واضحة كالذرة والنملة وما أشبه ذلك فإن المعنى النفيس قد يمثّل بالشيء الحقير فلا يضع منه ذلك كما لا يضع من الدينار وهو من ذهب أن يوزن بمثقال من حديد.

(١) القاموس المحيط ٣: ١٤٦.

(٢) الذرة، واحدة الذر وهو: صغار النمل، أو النمل الأحمر الصغير، وفَرَّقَ صاحب اللسان الذر عن سائر النمل بكونه بعض فيؤذى وقد يقل. لسان العرب ٥: ٣٣.

(٣) في «أ»: نقصاً عما فيها صلاحها.

(٤) وفي نسخة: دب دبيباً رقيقاً. ودب دبباً: مشى على هيته. لسان العرب ٤: ٢٧٥.

(٥) في المصدر: تتاله وثبته.

(٦) في المصدر: فذلك يحكي صيد الكلاب والفهود، وهذا يحكي صيد الإشرار والحيائل.

(٧) في المصدر: واستعمال الآلات فيها.



بيان: الاحتشاد الاجتماع والزينة بالضم الحفرة والنشر بالفتح وبالتحريك المكان المرتفع وقال الجوهري الليث الأسد وضرب من العناكب يصطاد الذباب بالوثب انتهى^(١) والموات بالفتح ما لا روح فيه ويقال ما به حراك كسحاب أي حركه والشرك بالتحريك حباله الصائده ويقال أحال عليه بالسوط يضربه أي أقبل قوله ﷺ فكذلك أي كفعل الليث وقوله هكذا أي كالعنكبوت والازدراء الاحتقار قوله ﷺ فلا يضع منه أي لا ينقص من قدر المعنى النفيس تمثيله بالشئء الحقير قال الميرور: يادي وضع منه حط من قدره^(٢).

تأمل يا مفضل جسم الطائر وخلقته فإنه حين قدر أن يكون طائرا في الجو خفف جسمه وأدمج خلقه فاقصر به من القوائم الأربع على اثنتين ومن الأصابع الخمس على أربع ومن منفذين للزبل والبول على واحد يجمعهما ثم خلق ذا جو جو محدد ليسهل عليه أن يخرق الهواء كيف ما أخذ فيه كما جعل السفينة بهذه الهيئة لتشق الماء وتنفذ فيه وجعل في جناحيه وذنبه ريشات طوال متان لينهض بها للطيران وكسي كله الريش ليدخله الهواء^(٣) فيقله ولما قدر أن يكون طعمه الحب واللحم يبلعه بلعا بلا مضغ تنقص من خلقه الأسنان وخلق له منقار صلب جاس يتناول به طعمه فلا ينسجج من لقط الحب ولا يتقصف من نهش اللحم ولما عدم الأسنان وصار يزدرد الحب صحيحا واللحم غريضا أعين بفضل حرارة في الجوف تطحن له الطعم طحنا يستغني به عن المضغ واعتبر ذلك بأن عجم العنب وغيره يخرج من أجواف الإنس صحيحا ويطحن في أجواف الطير لا يرى له أثر ثم جعل مما يبيض بيضا ولا يلد ولادة لكيلا يثقل عن الطيران فإنه لو كانت القراخ في جوفه تمكث حتى تستحكم لأثقلته وعاقته عن النهوض والطيران فجعل كل شيء من خلقه مشاكلا للأمر الذي قدر أن يكون عليه ثم صار الطائر السائح في هذا الجو يقعد على بيضه فيحضنه أسبوعا وبعضها أسبوعين وبعضها ثلاثة أسابيع حتى يخرج الفرج من البيضة ثم يقبل عليه فيزقه الريح لتسرع حوصلته للغذاء ثم يربيه ويغذيه بما يعيش به فمن كلفه أن يلقط الطعم^(٤) ويستخرجه بعد أن يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه ولأي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذي روية ولا تفكر ولا يأمل في فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العز والرفد وبقاء الذكر فهذا هو فعل^(٥) يشهد بأنه معطوف على فراخه لعله لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفا من الله تعالى ذكره.

انظر إلى الدجاجة كيف تهيج لحضن البيض والتفريخ وليس لها بيض مجتمع ولا وكر^(٦) موطأ بل تتبع وتنتفخ وتقوي وتمتنع من الطعام حتى يجمع لها البيض فتحضنه وتفرخ فلم كان ذلك منها إلا لإقامة النسل ومن أخذها بإقامة النسل ولا روية ولا تفكر^(٧) لو لا أنها مجبولة على ذلك.

اعتبر بخلق البيضة وما فيها من المح الأصفر الخاثر والماء الأبيض الرقيق فيعضه لينتشر منه الفرج وبعضه ليغذي به^(٨) إلى أن تنقاب عنه البيضة وما في ذلك من التدبير فإنه لو كان نشوء الفرج في تلك القشرة المستحصنة التي لا مساغ لشيء إليها لجعل معه في جوفها^(٩) من الغذاء ما يكتفي به إلى وقت خروجه منها كمن يحبس في حبس حصين لا يوصل إلى من فيه فيجعل معه من القوت ما يكتفي به إلى وقت خروجه منه.

فكر في حوصلة الطائر وما قدر له فإن مسلك الطعم إلى القانصة ضيق لا ينفذ فيه الطعام إلا قليلا قليلا فلو كان الطائر لا يلقط حبة ثانية حتى تصل الأولى إلى القانصة لطال عليه ومتى كان يستوفي طعمه فإنما يختلسه اختلاسا لشدة الحذر فجعلت الحوصلة كالمخلدة المعلقة أمامه ليوعي فيها ما أدرك من الطعم بسرعة ثم تنفذه إلى القانصة على مهل وفي الحوصلة أيضا خلعة أخرى فإن من الطائر ما يحتاج إلى أن يرق فراخه فيكون رده للطعم من قرب أسهل عليه.

توضيح: أقله أي حملة ورفعه وجسا كدعا صلب وبيس ويقال سحجت جلده فانسحج أي قشرته فانقشر والتقصف التكسر والغريض الطري أي غير مطبوخ والعجم بالتحريك النوى و

(١) اصحاب: ٢٩٢. (٢) القاموس المحيط ٣: ٩٨.

(٣) في المصدر: ليتداخله الهواء.

(٤) وفي نسخة: فهذا من فعله.

(٥) في المصدر: روية لها ولا تفكير.

(٦) في المصدر: القشرة المستحصنة التي لا مساغ لشيء إليها جعل معه في جوفها.

(٧) في المصدر: يلقط الطعم والحب.

(٨) في نسخة: يغذي به. وفي المصدر: يغذي به.

حَضَن الطائر بيضته يحضنه إذا ضمه إلى نفسه تحت جناحه و زق الطائر فرخه يَزَقه أي أطعمه به
و تقوتي أي تصيح و الملح يضم الميم و الحاء المهملة صفة البيض و في بعض النسخ بالحاء
المعجمة و قال الأصمعي أخشرت الزبد تركته خائراً و ذلك إذا لم تذبه و تتقاب أي تتفلق.

قال المفضل: قلت يا مولاي إن قوما من المعطلة يزعمون أن اختلاف الألوان و الأشكال في الطير إنما يكون من
قبل امتزاج الأخطاط و اختلاف مقاديرها بالمرج و الإهمال فقال.

يا مفضل هذا الوشي الذي تراه في الطواويس و الدراج و التدرج على استواء و مقابلة كنحو ما يخط بالأقلام
كيف يأتي به الامتزاج المهمل على شكل واحد لا يختلف و لو كان بالإهمال لعدم الاستواء و لكن مختلفا.

تأمل ريش الطير كيف هو فإنك تراه منسوجا كنسج الثوب من سلوك دقاق قد ألف بعضه إلى بعض كتأليف الخيط
إلى الخيط و الشعرة إلى الشعرة ثم ترى ذلك النسج إذا مددته يفتح قليلا و لا ينشق لتداخله الريح فيقل الطائر إذا
طار و ترى في وسط الريشة عمودا غليظا متينا قد نسج عليه الذي هو مثل الشعر ليسكسه بصلابته و هو القصبه التي
هو في وسط الريشة و هو مع ذلك أجوف ليخف على الطائر و لا يعوقه عن الطيران.

بيان: المرج بالتحريك الفساد و الاضطراب و الاختلاط و في بعض النسخ بالزاي المعجمة و
الأول أظهر و الوشي نقش الثوب و يكون من كل لون و السلوك جمع السلك و هو جمع السلكة
بالكسر الخيط يخط بها.

هل رأيت يا مفضل هذا الطائر الطويل الساقين و عرفت ما له من المنفعة في طول ساقيه فإنه أكثر ذلك في
ضحضاح من الماء فتراه بساقين طويلين كأنه ربيثة فوق مرقب و هو يتأمل ما يدب في الماء فإذا رأى شيئا مما
يتقوت به خطا خطوات رقيقاً^(١) حتى يتناوله^(٢) و لو كان قصير الساقين و كان يخطو نحو الصيد ليأخذه يصيب بطنه
الماء فيثور و يذعر منه فيتفرق عنه^(٣) فخلق له ذلك العمودان ليدرك بهما حاجته و لا يفسد عليه مطلبه.

تأمل ضروب التدبير في خلق الطائر فإنك تجد كل طائر طويل الساقين طويل العنق و ذلك ليتمكن من تناول
طعمه من الأرض و لو كان طويل الساقين قصير العنق لما استطاع أن يتناول شيئا من الأرض و ربما أعين مع طول
العنق^(٤) بطول المناكير ليزداد الأمر عليه سهولة له و إمكانا أفلا ترى أنك لا تفتش شيئا من الخلقه إلا وجدته على
غاية الصواب و الحكمة؟

توضيح: ماء ضحضاح أي قريب القعر و الربيثة بالهمز العين و الطليعة الذي ينظر للقوم لئلا
يدهمهم عدو و لا يكون إلا على جبل أو شرف و المرقب الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب و
الذعر الخوف.

انظر إلى العصافير كيف تطلب أكلها بالنهار فهي لا تفقده و لا هي تجده مجموعا معدا بل تناله بالحركة و الطلب و
كذلك الخلق كله فسبحان من قدر الرزق كيف قوته^(٥) فلم يجعل مما لا يقدر عليه إذ جعل للخلق حاجة إليه و لم
يجعله مبذولا و ينال^(٦) بالهويناء إذ كان لإصلاح في ذلك فإنه لو كان يوجد مجموعا معدا كانت البهائم تتقلب عليه و لا
تنقلع^(٧) حتى تبشم قتهلك و كان الناس أيضا يصيرون بالفراغ إلى غاية الأشر و البطر حتى يكثر الفساد و يظهر الفواحش.

أعلمت ما طعم هذه الأصناف من الطير التي لا تخرج إلا بالليل كمثل البوم و الهام و الخفاش قلت لا يا مولاي
قال إن معاشها من ضروب تنتشر في هذا الجو من البعوض و الفراش و أشباه الجراد و اليعاسيب و ذلك أن هذه
الضروب ماثوثة في الجو لا يخلو منها موضع و اعتبر ذلك بأنك إذا وضعت سراجا بالليل في سطح أو عرصة دار
اجتمع عليه من هذا شيء كثير^(٨) فمن أين يأتي ذلك كله إلا من القرب؟

(١) و في نسخة: خطوات رقيقات. (٢) كذا في «أ» و في «ط»: خطا خطوات رقيقاً يتناوله.

(٣) في المصدر: فيفرق عنه.

(٤) و في نسخة: أعين على طول العنق. و في المصدر: و ربما أعين مع العنق.

(٥) و في نسخة: فسبحان من قدر الرزق كيف قدره. و في «أ»: فسبحان من قدره الرزق كيف قوته. و في المصدر: كيف فرقه.

(٦) في «ط»: و ينال. (٧) في المصدر: كانت البهائم تتقلب عليه و لا تنقلع عنه.

(٨) في المصدر: اجتمع عليه من هذه الضروب شيء كثير.

فإن قال قائل: إنه يأتي من الصحاري والبراري قيل له كيف يوافي تلك الساعة من موضع بعيد وكيف يبصر من ذلك البعد سراجا في دار محفوفة بالدور فيقصد إليه مع أن هذه عيانا تنهاقت على السراج من قرب فيدل ذلك على أنها منتشرة في كل موضع من الجو فهذه الأصناف من الطير تلتبسها إذا خرجت فتتقوت بها.

فانظر كيف وجه الرزق لهذه الطيور التي لا تخرج إلا بالليل من هذه الضروب المنتشرة في الجو واعرف مع ذلك المعنى في خلق هذه الضروب المنتشرة التي عسى أن يظن ظان أنها فضل لا معنى له خلق الخفاش خلقه عجيبة بين خلقه الطير وذوات الأربع أقرب وذلك أنه ذو أذنين ناشزتين وأسنان وبر وهو يلد ولادا ويرضع ويبول ويمشي إذا مشى على أربع وكل هذا خلاف صفة الطير ثم هو أيضا مما يخرج بالليل ويتقوت مما يسري في الجو من الفرائس وما أنشبهه وقد قال قائلون إنه لا طعم للخفاش وإن غذاءه من النسيم وحده وذلك يفسد ويطل من جهتين إحداها خروج ما يخرج منه من الثفل والبول^(١) فإن هذا لا يكون من غير طعم والأخرى أنه ذو أسنان ولو كان لا يطعم شيئا لم يكن للأسنان فيه معنى وليس في الخلقة شيء لا معنى له وأما المآرب فيه فمعروفة حتى أن زبله يدخل في بعض الأعمال^(٢) ومن أعظم الإرب فيه خلقته العجيبة الدالة على قدرة الخالق جل شأنه وتصرفها فيما شاء كيف شاء لضرب من المصلحة.

فأما الطائر الصغير الذي يقال له ابن تمره فقد عشن في بعض الأوقات في بعض الشجر فنظر إلى حية عظيمة قد أقبلت نحو عشه فاغرة فالتبعه^(٣) فبينما هو يتقلب ويضطرب في طلب حيلة منها إذا وجد حسكة^(٤) فحملها فالتفها في فم الحية فلم تزل الحية تلتوي وتتقلب حتى ماتت فأرأت لو لم أخبرك بذلك كان يخطر ببالك أو ببال غيرك أنه يكون من حسكة مثل هذه المنفعة العظيمة أو يكون من طائر صغير أو كبير مثل هذه الحيلة اعتبر بهذا وكثير من الأشياء تكون فيها منافع لا تعرف إلا بحادث يحدث به أو خبر يسمع به.

انظر إلى النحل واحتشاده في صناعة العسل وتهية البيوت المسدسة وما ترى في ذلك اجتماعه من دقائق الفطنة^(٥) فإنك إذا تأملت العمل رأيته عجيبا لطيفا وإذا رأيت المعمول وجدته عظيما شريفا موقعه من الناس وإذا رجعت إلى الفاعل ألقيته غيبا جاهلا بنفسه فضلا عما سوى ذلك ففي هذا أوضح الدلالة على أن الصواب والحكمة في هذه الصنعة ليس للنحل بل هي للذي طبعه عليها وسخره فيها لمصلحة الناس.

انظر إلى هذا الجراد ما أضعفه وأقواه فإنك إذا تأملت خلقه رأيته^(٦) كأضعف الأشياء وإن دلفت عساكره نحو بلد من البلدان لم يستطع أحد أن يحميه منه ألا ترى أن ملكا من ملوك الأرض لو جمع خيله ورجله ليحمي بلاده من الجراد لم يقدر على ذلك أفليس من الدلائل على قدرة الخالق أن يبعث أضعف خلقه إلى أقوى خلقه فلا يستطيع دفعه انظر إليه كيف ينساب على وجه الأرض مثل السيل فيغشى السهل والجبل والبدو والحضر حتى يستر نور الشمس بكثرة فلو كان هذا مما يصنع بالأيدي متى كان يجتمع منه هذه الكثرة وفي كم من سنة^(٧) كان يرتفع فاستدل بذلك على القدرة التي لا يتوهدا شيء ويكثر عليها^(٨).

تأمل خلق السمك ومشاكلته للأمر الذي قدر أن يكون عليه فإنه خلق غير ذي قوائم لأنه لا يحتاج إلى المشي إذا كان مسكنه الماء وخلق غير ذي رية لأنه لا يستطيع أن يتنفس وهو منعفس في اللجة وجعلت له مكان القوائم أجنحة شداد يضرب بها في جانبيه كما يضرب الملاح بالمجاديف من جانبي السفينة وكسي جسمه قشورا متانا متداخلة كتداخل الدروع والجواشن^(٩) لتقيه من الأوقات فأعين بفضل حس في الشم لأن بصره ضعيف والماء يحجبه فصار يشم الطعم من البعد البعيد فينتجعه^(١٠) وإلا فكيف يعلم به وبموضعه واعلم أن من فيه إلى صماخيه^(١١) منافذ

(١) في المصدر: إحداها خروج الثفل والبول منه. (٢) ذكر الديميري جملة أدوية طبية تسفاد منه. حياة الحيوان ١: ٢٩٧.

(٣) في المصدر: فاغرة فالتبعه ليتبعه.

(٤) الحسكة: الشوكة. لسان العرب ٣: ١٧٥.

(٥) وفي نسخة: وماترى في اجتماعه من دقائق الفطنة. وفي المصدر: وفي ذلك من دقائق الفطنة.

(٦) في «هـ»: إذا تأملت خلقته رأيته.

(٧) في المصدر: وفي كم سنة.

(٨) كذا في «هـ» وفي المصدر: وما في «ط»: ويكثر عليها. (٩) جمع جوشن وهو: الدرع. مجمع البحرين ٦: ٢٢٥.

(١٠) في المصدر: فينتجعه فينتجعه.

(١١) في المصدر: وأعلم أن من فيه إلى صماخه. الصماخ: قبة الأذن. ويقال: إن الصماخ هو الأذن نفسها. لسان العرب ٧: ٤٠٣.

فهو يحب الماء وبقيه و يرسله من صماخيه فتروح إلى ذلك^(١) كما يتروح غيره من الحيوان إلى تنسم هذا النسيم. فكر الآن في كثرة نسله و ما خص به من ذلك فإنك ترى في جوف السمكة الواحدة من البيض ما لا يحصى كثرة و العلة في ذلك أن يتسع لما يغتذي به من أصناف الحيوان فإن أكثرها يأكل السمك حتى أن السباع أيضا في حافات الأجام عاكفة على الماء أيضا كي ترصد السمك فإذا مر بها خطفته فلما كانت السباع تأكل السمك و الطير يأكل السمك و الناس يأكلون السمك و السمك يأكل السمك كان من التدبير فيه أن يكون على ما هو عليه من الكثرة. فإذا أردت أن تعرف سعة حكمة الخالق و قصر علم المخلوقين فانظر إلى ما في البحار من ضروب السمك و دواب الماء و الأصناف التي لا تحصى و لا تعرف منافعها إلا الشيء بعد الشيء يدركه الناس بأسباب تحدث مثل القرمز فإنه إنما عرف الناس صبغه بأن كلبه تجول على شاطئ البحر فوجدت شيئا من الصنف الذي يسمى الحلزون فأكلته فاختضب خطمها بدمه فنظر الناس إلى حسنة فاتخذوه صبغا و أشياء هذا مما يقف الناس عليه حالا بعد حال و زمانا بعد زمان.

١١٠ قال المفضل حان وقت الزوال فقام مولاي ﷺ إلى الصلاة و قال بكر إلي غدا إن شاء الله تعالى فانصرفت و قد تضاعف سروري بما عرفنيه مبتهجا بما منحنيه حامدا لله على ما أتانيه فبت ليلتي مسرورا مبتهجا.

بيان: البشم محركة النخمة و السامة^(٢) بشم كفرح و أبشمه الطعام و الفراش هي التي تقع في السراج و يعسوب أمير النحل و طائر أصفر من الجراد أو أعظم و قوله ﷺ ناشرتين بالمعجمة أي مرتعتين و في بعض النسخ بالمهملة أي مبسوطتين و السري السير بالليل و قال الفيروز آبادي و الثمرة ككبرة و ابن تمرة طائر أصفر من العصفور انتهى و ففر فاه أي فتحه و الحسك محركة نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم قوله ﷺ غبيا جاهلا أي ليس له عقل يتصرف في سائر الأشياء على نحو تصرفه في ذلك الأمر المخصوص فظهر أن خصوص هذا الأمر إلهام من مدير حكيم أو خلقة و طبيعة جبله عليها ليصدر عنه خصوص هذا الأمر لما فيه من المصلحة مع كونه غافلا عن المصلحة أيضا و لعل هذا يؤيد ما يقال إن الحيوانات العجم غير مدركة للكليات و يقال دلفت الكتبية في الحرب أي تقدمت و يقال دلفناهم فالعساكر تحتمل الرفع و النصب و الرجل بالفتح جمع راجل خلاف الفارس و انساب جرى و مشى مسرعا و لا يتوذا أي لا يثقلها و لجة الماء معطمه و المجذاف ما تجري به السفينة و انتجع طلب الكلاء في موضعه و حافات الأجام جوانبها و عكف على الشيء أقبل عليه مواظبا و قال الفيروز آبادي القرمز صبغ أرمني يكون من عصارة دود في أجسامهم^(٣) و قال الحلزون محركة دابة تكون في الرمث أي بعض مراعي الإبل و يظهر من كلامه ﷺ اتحادهما و يحتمل أن يكون المراد أن من صبح الحلزون^(٤) تفتنوا بأعمال القرمز للصبي لتشابههما تم المجلس الثاني.

المجلس الثالث:

١١١ قال المفضل: فلما كان اليوم الثالث بكرت إلى مولاي فاستوذن لي فدخلت فأذن لي بالجلوس فجلست فقال ﷺ الحمد لله الذي اصطفانا و لم يصطف علينا اصطفانا بعلمه و أيدنا بحلمه من شذ عنا فالتار مأواه و من تفيأ بظل دوحتنا فالجنة مثواه قد شرحت لك يا مفضل خلق الإنسان و ما دبر به و تنقله في أحواله و ما فيه من الاعتبار و شرحت لك أمر الحيوان و أنا ابتدئ الآن بذكر السماء و الشمس و القمر و النجوم و الفلك و الليل و النهار و الحر و البرد و الرياح و الجواهر الأربعة الأرض و الماء و الهواء و النار و المطر و الصخر و الجبال و الطين و الحجارة و المعادن و النبات و النخل و الشجر و ما في ذلك من الأدلة و العبر.

فكر في لون السماء و ما فيه من صواب التدبير فإن هذا اللون أشد الألوان موافقة للبصر و تقوية حتى أن من صفات الأطباء لمن أصابه شيء أضر ببصره إيمان النظر إلى الخضرة و ما قرب منها إلى السواد و قد وصف الحذاق

(١) في المصدر: فيتروح إلى ذلك.

(٢) سقطت كلمة السامة من نسخة «ا»، يقال: بشمت منه: أي سئمت. لسان العرب ١: ٤١٧.

(٣) في «ا»: و يحتمل أن يكون المراد من صبح الحلزون.

(٤) القاموس المحيط ٢: ١٩٤.

منهم لمن كل بصره الاطلاع في إجابة^(١) خضراء مملوءة ماء فانظر كيف جعل الله جل و تعالى أديم السماء بهذا اللون الأخضر إلى السواد ليمسك الأبصار المنقلبة عليه فلا ينكي فيها بطول مباشرتها له فصار هذا الذي أدركه الناس بالفكر و الروية و التجارب يوجد مفروغا منه في الخلقة جُكْمَةً بالِقَّةً ليعتبر بها المعتبرون و يفكر فيها الملحدون فاتْلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفِّكُونُ.

بيان: اصطفانا بعلمه أي اختارنا و فضلنا على الخلق بأن أعطانا من علمه ما لم يعط أحدا و أيدنا بحلمه أي قوانا على تبليغ الرسالة بما حلائنا به من حلمه لنصبر على ما يلقانا من أذى الناس و تكذيبهم و الدوحة الشجرة العظيمة و الصخر الحجر العظام و أديم السماء وجهها كما يطلق أديم الأرض على وجهها و يمكن أن يكون ﷺ شبهها بالأديم و قوله ﷺ جُكْمَةً بالِقَّةً بالرفع خبر مبتدأ محذوف أو بالنصب بالحالية أو بكونه مفعولا لأجله.

فكر يا مفضل في طلوع الشمس و غروبها لإقامة دولتي النهار و الليل فلو لا طلوعها لبطل أمر العالم كله فلم يكن الناس يسعون في معاشهم و يتصرفون في أمورهم و الدنيا مظلمة عليهم و لم يكونوا يتهنئون بالعيش^(٢) مع فقدم لذة النور و روحه و الإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره و الزيادة في شرحه بل تأمل المنفعة في غروبها فلو لا غربها لم يكن للناس هدة و لا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدى و الراحة لسكون أبدانهم و جموع حواسهم و انبعاث القوة الهاضمة لهضم الطعام و تنفيذ الغذاء إلى الأعضاء ثم كان الحرص يستحملهم من مداومة العمل و مطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم فإن كثيرا من الناس لو لا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم^(٣) لم يكن لهم هدة و لا قرار حرصا على الكسب و الجمع و الادخار ثم كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضائها و تحمي كل ما عليها من حيوان و نبات فقدراها الله بحكمته و تديره تطلع و تغرب و قتا بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم ثم يغيب عنهم مثل ذلك ليهدوا و يقرؤا فصار النور و الظلمة مع تضادهما متقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم و قوامه.

ثم فكر بعد هذا في ارتفاع الشمس و انحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة و ما في ذلك من التدبير و المصلحة ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر و النبات فيتولد فيهما مواد الثمار و يستكشف^(٤) الهواء فينشأ منه السحاب و المطر و تشد أبدان^(٥) الحيوان و تقوى و في الربيع تتحرك و تظهر المواد المتولدة في الشتاء فيطلع النبات و تنور الأشجار و يهيج الحيوان للفساد و في الصيف يحتمد الهواء فتتضج الثمار و تتحلل فضول الأبدان و يجف وجه الأرض فتهيأ للبناء و الأعمال و في الخريف يصفو الهواء و يرتفع الأمراض و يصح الأبدان و يمتد الليل فيمكن فيه بعض الأعمال لطوله و يطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو نقصت لذكرها لطلال فيها الكلام.

فكر الآن في تنقل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة و ما في ذلك من التدبير فهو الدور الذي تصح به الأزمنة الأربعة من السنة الشتاء و الربيع و الصيف و الخريف و يستوفيا على التمام و في هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلات و الثمار و تنتهي إلى غاياتها ثم تعود فيستأنف النشوء و النمو ألا ترى أن السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل فبالسنة و أخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كل وقت و عصر من غابر الأيام و بها يحسب الناس الأعمال^(٦) و الأوقات الموقته للديون و الإجازات و المعاملات و غير ذلك من أمورهم و بمسير الشمس يكمل السنة و يقوم حساب الزمان على الصحة.

انظر إلى شروقها على العالم كيف دبر أن يكون فإنها لو كانت تبرز في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها و منفتها إلى كثير من الجهات لأن الجبال و الجدران كانت تحجبها عنها فجعلت تطلع في أول النهار من المشرق فتشرق على ما قابها من وجه المغرب ثم لا تزال تدور و تمشي جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب فتشرق على ما استر عنها في أول النهار فلا يبقى موضع من المواضع إلا أخذ بقسطه من المنفعة منها و الإرب التي

(١) الإجابة (بالكسر و التشديد): واحدة الاجابين، و هي المكن، والذي يغسل فيه الثياب. مجمع البحرين ٦: ١٩٧.

(٢) في «أ» و المصدر: يهنون.

(٣) في المصدر: يهنون.

(٤) في المصدر: يتكشف.

(٥) في «أ» و في المصدر: و تشد أبدان.

(٦) و في نسخة: و بها يحسب الناس الأعمال.

قدرت له و لو تخلفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء^(١) أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجلية^(٢) التي لم تكن عندهم فيها حيلة فصار تجري على مجاريها لا تعتل^(٣) و لا تتخلف عن مواقيتها لصالح العالم و ما فيه بقاءه.

استدل بالقرم فيه دلالة جلية تستعملها العامة في معرفة الشهور و لا يقوم عليه حساب السنة لأن دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة و نشوء الثمار و تصرمها و لذلك صارت شهور القمر و سنوه تتخلف عن شهور الشمس و سنيها و صار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرة بالشتاء و مرة بالصيف.

فكر في إنارته في ظلمة الليل و الإرب في ذلك فإنه مع الحاجة إلى الظلمة لهذه الحيوان و برد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها فلا يمكن فيه شيء من العمل لأنه ربما احتاج الناس إلى العمل بالليل لصيق الوقت عليهم في تقصي الأعمال بالنهار^(٤) أو لشدة الحر و إفراطه فيعمل في ضوء القمر أعمالا شتى كحرث الأرض و ضرب اللبن و قطع الخشب و ما أشبه ذلك فجعل ضوء القمر معونة للناس على معاشهم إذا احتاجوا إلى ذلك و أنسا للسائرين و جعل طلوعه في بعض الليل دون بعض و نقص مع ذلك من نور الشمس و ضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار و يمتنعوا من الهدء^(٥) و القرار فيهلكهم ذلك و في تصرف القمر خاصة في مهله^(٦) و محاقه و زيادته و نقصانه و كسوفه من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرف له هذا التصريف لصالح العالم ما يعتبر به المعبرون.

إيضاح: الدولة بالفتح و الضم انقلاب الزمان و دالت الأيام دارت و الله يداولها بين الناس و هذا كمنع هدها و هدها سكن و يقال نكيت في العدو نكاية إذا قتلت فيهم و جرحت و جثم الإنسان و الطائر و النعام بجثم جثما و جثوما لزم مكانه لم يبرح و المراد جثومهم في الليل و النظار التعاون و نور الشجر أي أخرج نوره و حدم النار شدة احتراقها و التقصي بلوغ أقصى الشيء و نهايته و الغابر الباقي و الماضي و المراد هنا الثاني و بزغت الشمس بزوغا شرقت أو البزوغ ابتداء الطلوع و قال الجوهري اعتل عليه و اعتله إذا اعتاقه عن أمر انتهى^(٧) و ليلة داجية أي مظلمة.

فكر يا مفضل في النجوم و اختلاف مسيرها ببعضها لا تافق مراكزها من الفلك و لا تسير إلا مجتمعة و بعضها مطلقه تنتقل في البروج و تترق في مسيرها فكل واحد منها يسير سيرين مختلفين أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب و الآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرحي فالرحي تدور ذات اليمين و النملة تدور ذات الشمال و النملة في تلك تحرك حركتين مختلفتين إحداها بنفسها فتوجه أمامها و الأخرى مستكرهة مع الرحي تجذبها إلى خلفها فأسأل الزاعمين أن النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد و لا صانع لها ما منعها أن تكون كلها راتبة أو تكون كلها منتقلة فإن الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن و تقدير ففي هذا بيان أن مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد و تدبير و حكمة و تقدير و ليس بإهمال كما تزعم المعطلة.

فإن قال قائل و لم صار بعض النجوم راتبا و بعضها منتقلا قلنا إنها لو كانت كلها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدل بها من تنقل المنتقلة و مسيرها في كل برج من البروج كما قد يستدل على أشياء^(٨) مما يحدث في العالم ينتقل الشمس و النجوم في منازلها و لو كانت كلها منتقلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف و لا رسم يوقف عليه لأنه إنما يوقف بمسير المنتقلة منها^(٩) ينتقلها في البروج الراتبة كما يستدل على سير السائر على الأرض بالمنازل التي يجتاز عليها و لو كان تنقلها بحال واحدة لا تخط نظامها و بطلت المآرب فيها و لساغ لقائل أن يقول إن كيونتها^(١٠)

(١) في «أ»: بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء.

(٢) وفي نسخة: أفلا يرى الناس كيف كان يكون الناس هذه الأمور الجلية. وفي المصدر: أفلا ترى كيف كان يكون الناس هذه الأمور الجلية.

(٣) كذا في النسخ. وفي المصدر: فصار تجري على مجاريها لا تفتل.

(٤) وفي نسخة: في تقصي بعض الأعمال بالنهار. وفي المصدر: في بعض الأعمال في النهار.

(٥) وفي نسخة: خاصة في تهله.

(٦) وفي «أ»: و تمنعوا من الهدوء.

(٧) الصحاح: ١٧٧٤ وفيه: اعتل عليه بعله.

(٨) في المصدر: كما يستدل بها على أشياء.

(٩) في المصدر: إنما يوقف عليه بمسير المنتقلة منها.

(١٠) وفي نسخة: إن كيونيتها.

على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفا ففي اختلاف سيرها وتصرفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

فكر في هذه النجوم التي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كممثل الثريا والجوزاء والشعرين وسهيل فإنها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كل واحد واحتجابها في وقت غير وقت الآخر ليتنفع الناس بما يدل عليه كل واحد منها على حدته وكما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش^(١) ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة فإنها بمنزلة الأعلام التي يهتدي بها الناس في البر والبحر للطرق المجهولة وذلك أنها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاءوا وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجبين نحو الإرب والمصلحة وفيهما مآرب أخرى علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البر والبحر وأشياء مما يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحر والبرد وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار^(٢) الموحشة واللجج الهائلة مع ما في ترددها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر فإنها تسير أسرع السير وأحنه.

أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منا حتى يتبين لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف^(٣) الأبصار بوجهها وشعاعها كالذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالى واضطربت في الجو وكذلك أيضاً لو أن أناساً كانوا في قبة مكللة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حيثما لحارت أبصارهم حتى يخلوا لوجوههم فانظر كيف قدر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضر في الأبصار وتنكأ فيها وبأسرع السرعة لكيلا تتخلف عن مقدار الحاجة في مسيرها وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسد الأضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه فتأمل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدة لحاجة إليها وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب التي وصفنا.

فكر في هذا الفلك بشمس وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم في هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض^(٤) وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالذي بينت وشخصت^(٥) لك آنفاً وهل يخفى على ذي لب أن هذا تقدير مقدر وصواب وحكمة من مقدر حكيم؟

فإن قال قائل إن هذا شيء اتفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شيء من آله^(٦) مقدراً بعضه يلتقي بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يشبه هذا القول لو قاله وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه أفينكر أن يقول في دولاب خشب^(٧) مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من الأرض أنه كان بلا صانع ومقدر ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنه شيء اتفق أن يكون بلا صنعة ولا تدبير^(٨) لو اعتل هذا الفلك كما تعتل الآلات التي تتخذ للصناعات وغيرها أي شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه؟

(١) وفي المصدر: وما جعلت الثريا وأشباهها تظهر حيناً وتحتجب حيناً لضرب من المصلحة وكذلك جعلت بنات نعش.

(٢) القفر: الخلاء من الأرض. وقيل: مفازة لا نبات بها ولا ماء. لسان العرب ١١: ٢٥٢.

(٣) في المصدر: ألم تكن ستخطف.

(٤) في «أ»: وهذه الأزمان الأربعة من المتوالية على الأرض. وفي المصدر: وهذه الأزمان الأربعة المتوالية من التنبيه على الأرض.

(٥) وفي نسخة: كالذي بينت ولخصت لك آنفاً.

(٦) في المصدر: في دولاب يراه ويدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات فترى كل شيء من آله.

(٧) وفي نسخة: في دولاب خشب.

(٨) كذا في النسخ، وفي «أ» وفي المصدر: بلا صنعة ولا تقدير.

بيان: قوله ﷺ لا تفارق مراكزها لعل المراد أنه ليس لها حركة بينة ظاهرة كما في السيارات أو لا تختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسرة لها و يحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج التي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها وعليه ينبغي أن يحمل قوله ﷺ وبعضها مطلقة تنتقل في البروج أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بينة يعرفه كل أحد والأول أظهر كما سيظهر من كلامه ﷺ قوله فإن الإهمال معنى واحد يحتمل أن يكون المراد أن الطبيعة أو الدهر الذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثرين كل منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مر أو المراد أن العقل يحكم بأن هذين الأمرين المستقيمين الجاريين على قانون الحكمة لا يكون إلا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم أو المراد أن الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلة و ترجيح الأمر الممكن من غير مرجح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما فلم صارت إحداها راتبة و الأخرى منتقلة و لم لم يعكس الأمر و الأول أظهر كما لا يخفى قوله ﷺ لبطلت الدلالات ظاهره كون الأوضاع النجومية علامات للحوادث قوله ﷺ في البروج الراتبة يدل ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنه ﷺ راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بقاء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج و لو يقر بها منها لكنه بعيد قوله ﷺ و الشعريين قال الجوهري الشعري الكوكب الذي يطلع بعد الجوزاء و طلوعه في شدة الحر و هما الشعريان و الشعري العبور التي في الجوزاء و الشعري القيصاء التي في الذراع تزعم العرب أنهما أختا سهل انتهى^(١) و القفار جمع قفر و هو الخلأ من الأرض و خطف البرق البصر ذهب به و وهج النار بالنسكين توقدها و قوله حيثما أي مسرعاً و تجافى أي لم يلزم مكانه و برح مكانه زال عنه.

فكر بامفضل في مقادير النهار و الليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق فصار منتهى كل واحد منهما إذا امتد إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أفرايت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كل ما في الأرض من حيوان و نبات؟

أما الحيوان فكان لا يهدأ و لا يقر طول هذه المدة و لا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار و لا الإنسان كان يفر عن العمل و الحركة و كان ذلك سهيلكها^(٢) أجمع و يؤديها إلى التلف و أما النبات فكان يطول عليه حر النهار و هج الشمس حتى يجف و يحترق و كذلك الليل لو امتد مقدار هذه المدة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة و التصرف في طلب المعاش حتى تموت جوعاً و تخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتى يعفن و يفسد كالذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

اعتبر بهذه الحر و البرد كيف يتعواران العالم و يتصرفان هذا التصرف من الزيادة و النقصان و الاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة و ما فيها من المصالح ثم هما بعد دباغ الأبدان التي عليها بقاؤها و فيها صلاحها^(٣) فإنه لو لا الحر و البرد و تداولهما الأبدان لفسدت و أخوت و انتكثت.

فكر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدرج و الترسل فإنك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء و الآخر يزيد مثل ذلك حتى ينتهي كل واحد منهما منتهاه في الزيادة و النقصان و لو كان دخول إحداها على الأخرى مفاجأة لأضر^{١١٩} ذلك بالأبدان و أسقمها كما أن أحكم لو خرج من حمام حار إلى موضع البرودة لضره ذلك و أسقم بدنه فلم جعل الله عز و جل هذا الترسل في الحر و البرد إلا للسلامة من ضر المفاجأة و لم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضر المفاجأة لو لا التدبير في ذلك فإن زعم زاعم أن هذا الترسل في دخول الحر و البرد إنما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع و الانحطاط^(٤) سئل عن العلة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها و انحطاطها فإن اعتل في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلة في ذلك فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول حتى

(١) في المصدر: و كان ذلك ينهكها.

(٢) الصالح: ٦٩٩ وفيه: القيصاء بالغين المعجمة.

(٣) في «أ» و المصدر: مسير الشمس في ارتفاعها و انحطاطها.

(٤) في المصدر: و فيها صلاحها.

استقر على العمد والتدبير لو لا الحر لما كانت الثمار الجاسية المرة تنضج فتلين و تعذب حتى يتفكه بها رطبة و يابسة و لو لا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا و يربع الربيع الكثير الذي يتسع للقوت و ما يرد في الأرض للبذر أفلا ترى ما في الحر و البرد من عظيم الغناء و المنفعة و كلاهما مع غنائه و المنفعة فيه يؤلم الأبدان و يمضها و في ذلك عبرة لمن فكر و دلالة على أنه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم و ما فيه.

بيان: قوله ﷺ لا يجاوز ذلك أي في معظم المعمورة و قال الفيروز آبادي خوت الدار تهمدت و النجوم خيا أمحلت فلم تمطر كأخوت^(١) و قال المنتكث المهزول^(٢) و قال الترسيل الرفق و التؤدة^(٣) انتهى قوله ﷺ بعد ما بين المشرقين أي المشرق و المغرب كناية عن عظم الدائرة التي يقطع عليها البروج أو مشرق الصيف و الشتاء و الأول أظهر قوله ﷺ الجاسية أي الصلبة و يتفكه بها أي يتمتع بها و الربيع النماء و الزيادة و قال الجوهري أمضني الجرح إمضاضا إذا أوجعك و فيه لغة أخرى أمضني الجرح و لم يعرفها الأصمعي^(٤).

و أنبهك يا مفضل على الريح و ما فيها ألتست ترى ركودها إذا ركدت كيف يحدث الكرب الذي يكاد أن يأتي على النفوس و يحرض الأصحاء^(٥) و ينهك المرضى و يفسد الثمار و يعفن البقول و يعقب الوباء في الأبدان و الآفة في الغلات ففي هذا بيان أن هبوب الريح من تدبير الحكيم في صلاح الخلق.

و أنبهك عن الهواء بخلة أخرى فإن الصوت أثر يؤثر اصطكاك الأجسام في الهواء و الهواء يؤديه إلى المسماع و الناس يتكلمون في حوائجهم و معاملاتهم طول نهارهم و بعض ليهم فلو كان أثر هذا الكلام يبقى في الهواء كما يبقى الكتاب في القرائط لا متلا العالم منه فكان يكرههم و يفدحهم و كانوا يحتاجون في تجديده و الاستبدال به إلى أكثر مما يحتاج إليه في تجديد القرائط لأن ما يلقى من الكلام^(٦) أكثر مما يكتب فجعل الخلاق الحكيم جل قدسه هذا الهواء قرطاسا خفيا يحمل الكلام ريشا يبلغ العالم حاجتهم ثم يمحي فيعود جديدا نقياً و يحمل ما حمل أبدا بلا انقطاع و حسبك بهذا النسيم المسمى هواء عبرة و ما فيه من المصالح فإنه حياة هذه الأبدان و الممسك لها من داخل بما تستنشق منه و من خارج بما تبشر من روجه و فيه تطرد هذه الأصوات فيؤدى بها من البعد البعيد و هو الحامل لهذه الأرباح^(٧) ينقلها من موضع إلى موضع.

أ لا ترى كيف تأتيك الراحة من حيث تهب الريح فكذلك الصوت و هو القابل لهذا الحر و البرد اللذين يتعاقبان على العالم لصلاحه^(٨) و منه هذه الريح الهابة فالريح تروح عن الأجسام و تزجي السحاب من موضع إلى موضع ليعم نفعه حتى يستكثف فيمطر و تنفضه حتى يستخف فيفتشى و تلقح الشجر و تسيّر السفن و ترخي الأطعمة و تبرد الماء و تشب النار و تجفف الأشياء الندية و بالجملة أنها تحيي كلما في الأرض فلو لا الريح لذوي^(٩) النبات و مات الحيوان^(١٠) و حمت الأشياء و فسدت.

توضيح: ركود الريح سكونها و الحرض فساد البدن و يقال نهكته الحمى أي أضنته و هزلته و قوله ﷺ و الهواء يؤديه يدل على ما هو المنصور من تكييف الهواء بكيفية الصوت على ما فصل في محله و يقال كربه الأمر أي شق عليه و فدحه الدين أي أثقله و ريشما فعل كذا أي قدر ما فعله و يبلغ إما على بناء المجرد فالعالم فاعله أو على التفعيل فالهواء فاعله و الروح بالفتح الراحة و نسيم الريح و اطرد الشيء تبع بعضه بعضا و جرى و الأرباح جمع للريح و تزجي السحاب على بناء الإفعال أي تسوغه و تنفضه أي تفرقه و التفشي الانتشار و ترخي الأطعمة على التفعيل أو الإفعال أي تصيرها رخوة لطيفة و تشب النار أي توقدها.

(٢) القاموس المحيط ١: ٨٨٢.

(٤) الصحاح: ١١٠٦.

(٥) في المصدر: و يمرض الأصحاء. و أحرشته: أفسدته «الفردات في غريب القرآن: ١١٤».

(٦) في المصدر: لأن ما يلفظ من الكلام.

(٧) في المصدر: يؤدي البعد البعيد. و هو الحامل لهذه الأرباح.

(٨) و في نسخة: اللذين يعقبان على العالم لصلاحه.

(٩) في المصدر: ولما ت الحيوان.

(١) القاموس المحيط ٤: ٣٢٨.

(٣) القاموس المحيط ٣: ٣٩٥.

(٥) في المصدر: و يمرض الأصحاء. و أحرشته: أفسدته «الفردات في غريب القرآن: ١١٤».

(٦) في المصدر: لأن ما يلفظ من الكلام.

(٧) في المصدر: يؤدي البعد البعيد. و هو الحامل لهذه الأرباح.

(٨) و في نسخة: اللذين يعقبان على العالم لصلاحه.

(٩) في المصدر: ولما ت الحيوان.

فكر يا مفضل فيما خلق الله عز وجل علته هذه الجواهر الأربعة ليتسع ما يحتاج إليه منها فمن ذلك سعة هذه الأرض وامتدادها فلو لا ذلك كيف كانت تتسع لمساكن الناس ومزارعهم ومراعيهم ومنابت أخشابهم وأحطابهم والقائقر العظيمة والمعادن الجسيمة غنائها ولعل من ينكر هذه القلوات الخاوية والقفار الموحشة فيقول ما المنفعة فيها فهي مأوى هذه الوحوش ومحالها ومرعاها ثم فيها بعد متنفس^(١) ومضطرب للناس إذا احتاجوا إلى الاستبدال بأوطانهم فكم بيداء وكم دفدفت حالت قصورا وجنايا بانتقال الناس إليها وحلولهم فيها ولو لا سعة الأرض وفسحتها لكان الناس كمن هو في حصار ضيق لا يجد مندوحة عن وطنه إذا حزبه أمر^(٢) يضطره إلى الانتقال عنه.

ثم فكر في خلق هذه الأرض على ما هي عليه حين خلقت راتبة راکنة فتكون موطناً مستقراً للأشياء فيتمكن الناس من السعي عليها في مآربهم والجلوس عليها لراحتهم والنوم لهدئهم والإتيان لأعمالهم فإنها لو كانت رجراجة متكئة^(٣) لم يكونوا يستطيعون أن يتقنوا البناء والتجارة والصناعة وما أشبه ذلك بل كانوا لا يهتمون بالعيش والأرض ترج من تحتهم واعتبر ذلك بما يصيب الناس حين الزلازل على قلة مكثها حتى يصيروا إلى ترك منازلهم والهرب عنها.

فإن قال قائل: فلم صارت هذه الأرض تزلزل قيل له إن الزلزلة وما أشبهها موعظة وتهييب يهرب بها الناس ليرعوا وينزعوا عن المعاصي وكذلك ما ينزل بهم من البلاء في أبدانهم وأموالهم يجري في التدبير على ما فيه صلاحهم واستقامتهم ويدخر لهم إن صلحوا من الثواب والعوض في الآخرة ما لا يعدله شيء من أمور الدنيا وربما عجل ذلك في الدنيا إذا كان ذلك في الدنيا صلاحاً للخاصة والعامة.

ثم إن الأرض في طباعها الذي طبعها الله عليه باردة يابسة وكذلك الحجارة وإنما الفرق بينها وبين الحجارة فضل يبس في الحجارة أفرأيت لو أن اليبس أفرط على الأرض قليلاً حتى تكون حجراً صلباً أكانت تثبت هذا النبات الذي به حياة الحيوان وكان يمكن بها حرث أو بناء أفلا ترى كيف تنصب^(٤) من يبس الحجارة وجعلت على ما هي عليه من اللين والرخاوة ولهيأ للاعتماد^(٥)؟

ومن تدبير الحكيم جل وعلا في خلقه الأرض أن مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب فلم جعل الله عز وجل كذلك إلا لينحدر المياه على وجه الأرض فتسقيها وترويهما ثم تفيض آخر ذلك إلى البحر فكأنما يرفع أحد جانبي السطح^(٦) ويخفض الآخر لينحدر الماء عنه ولا يقوم عليه كذلك جعل مهب الشمال أرفع من مهب الجنوب لهذه العلة بينها ولو لا ذلك لبقى الماء متحيراً على وجه الأرض فكان يمنع الناس من أعمالها^(٧) ويقطع الطرق والمسالك ثم الماء لو لا كثرت تدفقه في العيون والأودية والأنهار لضاق عما يحتاج الناس إليه^(٨) لشربهم وشرب أنعامهم ومواشيهم وسقي زروعهم وأشجارهم وأصناف غلاتهم وشرب ما يرده من الوحوش والطيور والسباع وتقلب فيه الحيتان ودواب الماء وفيه منافع آخر أنت بها عارف وعن عظم موقعها غافل فإنه سوى الأمر الجليل المعروف من غنائها في إحياء جميع ما على الأرض من الحيوان والنبات يمزج بالأشربة قليلين^(٩) وتطيب لشاربها وبه تنظف الأبدان والأمتعة من الدرن الذي يغشاها وبه يبل التراب فيصلح للاعمال^(١٠) وبه يكف عادية النار إذا اضطربت وأشرف الناس على المكروه وبه يسف الغصان ما غص به وبه يستحم المتعب^(١١) الكال فيجد الراحة من أوصابه إلى أشباه هذا من المآرب التي تعرف عظم موقعها في وقت الحاجة إليها.

فإن شككت في منفعة هذا الماء الكثير المترام في البحار وقلت ما الإرب فيه فاعلم^(١٢) أنه مكتنف ومضطرب

(١) في المصدر: ومحالها ومراعيها ثم فيها بعد متنفس.

(٢) في المصدر: رجراجة متكئة.

(٣) في «أ»: وليهيأ للاعتماد، وفي المصدر: وتلتهيأ للاعتماد.

(٤) كذا في النسخ والنظار: فكما يرفع أحد جانبي السطح. وهو ما عليه المصدر.

(٥) وفي نسخة: فكان يمنع الناس من أعمالها.

(٦) في المصدر: يمزج بالأشربة قلند.

(٧) في المصدر: على المكروه، وبه يستحم المتعب.

(٨) في المصدر: فاعلم^(١٢) أنه مكتنف ومضطرب.

(٩) في «أ»: والمصدر: إذا أجزته. والمؤدى واحد.

(١٠) وفي نسخة: نقصت. كذا ما عليه المصدر.

(١١) في المصدر: عما يحتاج إليه الناس.

(١٢) وفي نسخة: فيصلح للأعمال. وكذا ما في المصدر.

(١٣) في المصدر: فاعلم.

ما لا يحصى من أصناف السمك و دواب البحر و معدن اللؤلؤ و الياقوت و العنبر و أصناف شتى تستخرج من البحر و في سواحلها نبات العود و اليلنجوج و ضروب من الطب و العقاقير ثم هو بعد مركب الناس و محلل لهذه التجارات التي تجلب من البلدان البعيدة كمثل ما يجلب من الصين إلى العراق و من العراق إلى العراق^(١) فإن هذه التجارات لو لم يكن لها محل إلا على الظهر لبارت^(٢) و بقيت في بلدانها و أيدي أهلها لأن أجر حملها كان يجاوز أثمانها^(٣) فلا يتعرض أحد لحملها و كان يجتمع في ذلك أمان أحدهما فقد أشياء كثيرة تعظم الحاجة إليها و الآخر انقطاع معاش من يحملها و يعيش بفضلها و هكذا الهواء لو لا كثرت و سعته لاختنق هذا الأنام من الدخان و البخار التي يتحير فيه و يعجز عما يحول إلى السحاب و الضباب أولا أولا و قد تقدم من صفته ما فيه كفاية.

و النار أيضا كذلك فإنها لو كانت ميثوبة كالنسيم و الماء كانت تحرق العالم و ما فيه و لم يكن بد^(٤) من ظهورها في الأحيان لغنائها في كثير من المصالح فجعلت كالمخزونة في الأخشاب^(٥) تلتبس عند الحاجة إليها و تمسك بالمادة و الحطب ما احتيج إلى بقائها لئلا تخبو^(٦) فلا هي تمسك بالمادة و الحطب فتعظم الميثونة في ذلك و لا هي تظهر ميثوبة فتحرق كل ما هي فيه بل هي على تهينة و تقدير اجتمع فيها الاستمتاع بمنافعها و السلامة من ضررها ثم فيه خلة أخرى و هي أنها مما خص به الإنسان دون جميع الحيوان لما له فيها من المصلحة فإنه لو فقد النار لعظم ما يدخل عليه من الضرر في معاشه فأما البهائم فلا تستعمل النار و لا تستمتع بها و لما قدر الله عز و جل أن يكون هذا هكذا خلق للإنسان كفا و أصابع مهياة لفتح النار و استعمالها و لم يعط البهائم مثل ذلك لكنها أعينت بالصبر على الجفاء و الخلل في المعاش لئلا ينالها في فقد النار ما ينال الإنسان^(٧).

و أنبئك من منافع النار على خلقة صغيرة عظيم^(٨) موقعها و هي هذا المصباح الذي يتخذها الناس فيقضون به حوائجهم ما شاءوا من ليهم و لو لا هذه الخلقة لكان الناس تصرف أعمارهم بمنزلة من في القبور فمن كان يستطيع أن يكتب أو يحفظ أو ينسج في ظلمة الليل و كيف كانت حال من عرض له و جع في وقت من أوقات الليل فاحتاج أن يعالج ضمادا أو سوفاف^(٩) أو شيئا يستشفى به فأما منافعها في نضج الأطعمة و ذفاء الأبدان و تجفيف أشياء و تحليل أشياء و أشباه ذلك فأكثر من أن تحصى و أظهر من أن تخفى.

بيان: العقاقير أصول الأدوية و الغناء بالفتح المنفعة و الخاوية الخالية و الفدقد الفلاة و المكان الصلب الغليظ و المرتفع و الأرض المستوية و الفسحة بالضم السعة و يقال لي عن هذا الأمر مندوحة و مندوح أي سعة و حربه أمر أي أصابه و الراتبة الثابتة و الراتكة الساكنة و هذا هدهد و هدوء سكن و قوله ﷺ رجراجة أي متزلزلة متحركة و التكفي الانقلاب و التسمال و التسمال و التحرك و الارتجاج الاضطراب و الارعوا الرجوع عن الجهل و الكف عن القبيح و الصل و يكسر الصلب الأمس قوله ﷺ كيف تنصب كذا في أكثر النسخ و التنصب يكون بمعنى الرفع و الوضع و لعل المراد هنا الثاني و الظاهر أنه تصحيف نقصت أو نحوه قوله ﷺ إن مهب الشمال أرفع أي بعد ما خرجت الأرض من الكروية الحقيقية صار ما يلي الشمال منها في أكثر المعمورة أرفع مما يلي الجنوب و لذا ترى أكثر الأنهار كدجلة و الفرات و غيرها تجري من الشمال إلى الجنوب و لما كان الماء الساكن في جوف الأرض تابعا للأرض في ارتفاعه و انخفاضه فلذا صارت العيون المتفتحة تجري هكذا من الشمال إلى الجنوب حتى تجري على وجه الأرض و لذا حكموا بغوبة الشمال على الجنوب في حكم اجتماع البئر و البالوعة و إذا تأملت فيما ذكرنا يظهر لك ما بينه ﷺ من الحكم في ذلك و أنه لا ينافي كروية الأرض و التدفق التنصب قوله ﷺ فإنه سوى الأمر الجليل الضمير راجع إلى الماء و هو اسم إن و يمزج خبره أي للماء سوى النفع الجليل المعروف و هو كونه

(١) في نسخة و كذا في المصدر: من العراق إلى الصين. (٢) البائر: الكاسد، و سوق باثرة: أي كاسدة. لسان العرب ١: ٥٣٥.
(٣) في المصدر: لأن أجر حملها يجاوز أثمانها. (٤) في المصدر: و لما لم يكن.
(٥) و في نسخة: في الأجسام.
(٦) خبت النار و الحرب تخبو خبوا: سكنت و طفت و خمد لهما. لسان العرب ٤: ٢٢.
(٧) في المصدر: ما ينال الإنسان عند فقدها. (٨) في «ا»: خلقة: غيرة عظيمة، و هو تصحيف ظاهر.
(٩) السوفاف (فتح السين): كل دواء يؤخذ غير معجون. لسان العرب ٦: ٢٨٢.

سببا لحياة كل شيء منافع أخرى منها أنه يمزج مع الأشربة وقال الجوهري الحميم الماء الحار و قد استحضمت إذا اغتسلت به ثم صار كل اغتسال استحماما بأي ماء كان انتهى^(١) والوصب محرقة المرض والمكتنف بفتح النون من الكنف بمعنى الحفظ والإحاطة واكتنفه أي أحاط به و يظهر منه أن نوعا من الياقوت يتكون في البحر وقيل أطلق على المرجان مجازا ويحتمل أن يكون المراد ما يستخرج منه بالفصوص وإن لم يتكون فيه والبلنجوج عود البخور ومن العراق أي البصرة وإلى العراق أي الكوفة أو بالعكس قوله ﷺ ويعجز أي لو لا كثرة الهواء لعجز الهواء عما يستحيل الهواء إليه من السحاب والضباب التي تتكون من الهواء أولا أولا أي تدريجا أي كان الهواء لا يفي بذلك أو لا يتسع لذلك الضباب بالفتح ندى كالغيم أو سحاب رقيق كال دخان والأحاسين جمع أحياح وهو جمع حين بمعنى الدهر والزمان قوله ﷺ فلا هي تمسك بالمادة والحطب أي دائما بحيث إذا انطفأت لم يمكن إعادتها^(٢) والمادة الزيادة المتصلة والمراد هنا الدهن ومثله ودفاء الأبدان بالكسر دفع البرد عنها^(٣)

فكرو بما مفضل في الصحو والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم^(٤) لما فيه صلاحه ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساد لا ترى أن الأمطار إذا توالى عفتت البقول والخضر واسترخت أبدان الحيوان وخسر الهواء فأحدث ضروبا من الأمراض وفسدت الطرق والمسالك وأن الصحو إذا دام جفت الأرض واحترق النبات وغضب ماء العيون والأودية فأضر ذلك بالناس و غلب اليبس على الهواء فأحدث ضروبا أخرى من الأمراض فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء ودفع كل واحد منهما عادية^(٥) الآخر فصلحت الأشياء واستقامت.

فإن قال قائل ول ما لا يكون في شيء من ذلك مضرة البتة قيل له ليمض ذلك الإنسان^(٦) ويؤلمه بعض الألم فيروعى عن المعاصي فكما أن الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرة الشبعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه كذلك إذا طغى وأشر احتاج إلى ما يعضه ويؤلمه ليرعوى ويقصر عن مساويه ويثبت على ما فيه حظ و رشفه ولو أن ملكا من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت فأين هذا من مطرة رواء إذ يعمر به البلاد^(٧) ويزيد في الغلات أكثر من قناطير الذهب والفضة في أقاليم الأرض كلها. أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر^(٨) ويسخط إثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلا بمحمود العاقبة وقلة معرفة^(٩) لعظيم الغناء والمنفعة فيها تأمل نزوله على الأرض والتدبير في ذلك فإنه جعل ينحدر عليها من علو ليتفشى^(١٠) ما غلظ وارتفع منها فيرويه ولو كان إنما يأتيها من بعض نواحيها لما علا على المواضع المشرقة منها و يقل ما يزرع في الأرض. ألا ترى أن الذي يزرع سيبا^(١١) أقل من ذلك فالأمطار هي التي تطبق الأرض وربما تزرع هذه البراري الواسعة و سفوح الجبال وذراها فتغل الغلة الكثيرة و بها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مثونة سباق الماء من موضع إلى موضع وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم حتى يستأثر بالماء ذوو العزة والقوة ويحرم الضعفاء. ثم إنه حين قدر أن ينحدر على الأرض انحدارا جعل ذلك قطرا شبيها بالرش ليغور في قطر^(١٢) الأرض فيرويهما و لو كان يسكبهما انسكابا كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثم كان يحطم الزرع القائمة^(١٣) إذا اندقق عليها فصار ينزل نزولا رقيقا^(١٤) فينبث الحب المزروع ويحيي الأرض والزرع القائم وفي نزوله أيضا مصالح أخرى فإنه

(١) الصحاح: ١٩٠٤. (٢) في «أ»: إذا نظفت.

(٣) في «أ»: رفع البرد عنها. (٤) في المصدر: يتعاقبان على هذا العالم.

(٥) رددت عنى عتادية فلان: أي: حدته و غضبه، وعادية الرجل: عدوه عليك بالكروه. لسان العرب ٩: ٩٥.

(٦) في نسخة: يمض ذلك الانسان. هـ. ومضني الجرح وأمضني: ألمني وأوجعني. لسان العرب ١٣: ١٢٨.

(٧) في المصدر: إذ يعم به البلاد. (٨) في المصدر: لا قدر لها فيذمر.

(٩) في «أ» والمصدر: على العظيم نفعه جيلا محمداً لعاقبته وقلة معرفته.

(١٠) في «أ» وفي المصدر: ليتفشى. وقال المصنف في بيانه أنه هو الأظهر.

(١١) سيج: الماء الظاهر الجاري على وجه الأرض. لسان العرب ٦: ٤٥١.

(١٢) كذا في «أ» وفي المصدر. وفي «ط»: ليغور في قطر. (١٣) في المصدر: يحطم الزرع القائمة.

(١٤) وفي نسخة: فصار ينزل نزولا رقيقا.



١٧٧ يلين الأبدان و يجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك و يغسل ما يسقط على الشجر و الزرع من الداء المسمى بالبرقان إلى أشياء هذا من المنافع.

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدة ما يقع منه أو برد يكون فيه تحطم الغلات و بخوره يحدثها في الهواء فيولد كثيرا من الأمراض في الأبدان و الآفات في الغلات قيل بلى قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان و كفه عن ركوب المعاصي و التماذي فيها فيكون المنفعة فيما يصلح له من دينه أرجح مما عسى أن يرزأ من ماله.

بيان: يعتقن أي يأتي كل منهما عقيب صاحبه و خسر الهواء بكسر الصاد المهملة يقال خسر يومنا أي اشتد برده و ماء خاصر بارد و في أكثر النسخ بالحاء المهملة و السين من حسر أي كل و هو لا يستقيم إلا بتكلف و تجوز و في بعضها بالخاء المعجمة و التاء المثلثة من قولهم خسر اللين خسر إذا غلظ و البشع الكريه الطعم الذي يأخذ بالحل و القنطار معيار و يروى أنه ألف و مائتا أوقية و يقال هو مائة و عشرون رطلا و يقال هو ملء مسك الثور ذهباً قوله ^(١) و يذهب له به الصوت أي يملأ صيته كرمه و جوده الآفاق و الذمر الملامة و التهديد قوله لينفشي التفتشي الاتساع و الأظهر لينشى بالغين المعجمة كما في بعض النسخ و الحطم الكسر و الاندفاق الانصباب و البرقان آفة للزرع و قوله مما عسى أن يرزأ من الرزء المصيبة.

انظر يا مفضل إلى هذه الجبال المركومة من الطين و الحجارة التي يحسبها الغافلون فضلا لا حاجة إليها و المنافع فيها كثيرة فمن ذلك أن يسقط عليها الثلوج فيبقى في قلالها لمن يحتاج إليه و يذوب ما ذاب منه فتجري منه العيون الغزيرة التي تجتمع منها الأنهار العظام و ينبت فيها ضروب من النبات و العقاقير التي لا ينبت مثلها في السهل و يكون فيها كهوف و مقابيل ^(٢) للوحوش من السباع العادية و يتخذ منها الحصون و القلاع المنيع للتحرز من الأعداء و ينحت منها الحجارة للبناء و الأرحاء ^(٣) و يوجد فيها معادن لضروب من الجواهر و فيها خلال أخرى لا يعرفها إلا المقدر لها في سابق علمه.

تفسير: المقابيل في بعض النسخ بالقاف و كأنه من القيلولة و في بعضها بالغين و لعله من الغيل الشجر الملف و في بعض كتب اللغة المغالة المش و في بعض النسخ معاقل جمع المعقل و هو الملجأ.

فكر يا مفضل في هذه المعادن و ما يخرج منها من الجواهر المختلفة مثل الجص و الكلس و الجبس ^(٤) و الزرائخ و المترك و القونيا ^(٥) و الزبيق و النحاس و الرصاص و الفضة و الذهب و الزبرجد و الياقوت و الزمرد و ضروب الحجارة و كذلك ما يخرج منها من القار و الموميا ^(٦) و الكبريت و النفط و غير ذلك مما يستعمله الناس في مآربهم فهل يخفى على ذي عقل أن هذه كلها ذخائر ذخرت للإنسان في هذه الأرض ليستخرجها فيستعملها عند الحاجة إليها ثم قصرت حيلة الناس عما حاولوا من صنعتها على حرصهم و اجتهداهم في ذلك فإنهم لو ظفروا بما حاولوا من هذا العلم كان لا محالة سيظهر و يستفيض في العالم حتى تكثر الذهب و الفضة و يسقطا عند الناس فلا يكون لهما قيمة و يبطل الانتفاع بهما في الشراء و البيع و المعاملات و لا كان يجيء ^(٧) السلطان الأموال و لا يدخرهما أحد للأعقاب و قد أعطي الناس مع هذا صنعة الشبه من النحاس و الزجاج من الرمل و الفضة من الرصاص و الذهب من الفضة و أشياء ذلك مما لا مضرة فيه.

فانظر كيف أعطوا إرادتهم فيما لا ضرر فيه و منعوا ذلك فيما كان ضارا لهم لو نالوه و من أوغل في المعادن انتهى إلى واد عظيم يجري منصلتا بماء غزير لا يدرك غوره و لا حيلة في عبوره و من ورائه أمثال الجبال من الفضة.

(١) مفرد مقيل: و هو الموضع. لسان العرب ١١: ٣٧٤.

(٢) مفرد الرحي: و هي ما يطحن به. لسان العرب ٥: ١٧٦.

(٣) في «أ»: الجبين.

(٤) في نسخة: القونيا. و في أخرى: التوتيا. و هو ما في المصدر.

(٥) لعل المراد الموم و هو الشمع. لسان العرب ١٣: ٢٢٤.

(٦) كذا في «أ» و ما في المصدر في «ط»: يجيء. و ما أثبتناه هو الأوفق لاتساجامه مع بيان المصنف الآتي.

تفكر الآن في هذا من تدبير الخالق الحكيم فإنه أراد جل ثناؤه أن يرى العباد قدرته و سعة خزائنه ليعلموا أنه لو شاء أن يمنحهم كالجبال من الفضة لفعل لكن لا صلاح لهم في ذلك لأنه لو كان فيكون فيها كما ذكرنا سقوط هذا الجوهر عند الناس و قلة انتفاعهم به و اعتبر ذلك بأنه قد يظهر الشيء الطريف مما يحدثه الناس من الأواني و الأمثلة فما دام عزيزا قليلا فهو نفيس جليل أخذ الثمن فإذا فشا و كثر في أيدي الناس سقط عندهم و خست قيمته و نفاسة الأشياء من عزتها.

بيان: الكلس بالكسر الصاروج و الجبس بالكسر الجص و في أكثر النسخ الجبسين و لم أجده فيما عندنا من كتب اللغة لكن في كتب الطب كما في أكثر النسخ و المرتك كمقعد المرادسج و القونيا بالباء الموحدة أو الياء المثناة من تحت و لم أجدهما في كتب اللغة لكن في القاموس القوة القطعة من الحديد أو الصفر يرفع بها الإناء^(١) و في بعض النسخ و التوتياء و في كتب اللغة أنه حجر يكتحل به^(٢) و القار القير و جبي الخراج جباية جمعه و الإيغال المبالغة في الدخول و الذهاب و انصلت مضى و سقى.

فكر يا مفضل: في هذا النبات و ما فيه من ضروب المآرب فالثمار للغذاء و الأتيان للعلف و الحطب للوفود و الخشب لكل شيء من أنواع التجارة و غيرها و اللحاء و الورق و الأصول و العروق و الصمغ لضروب من المنافع رأيت لو كنا نجد الثمار التي نغتذي بها مجموعة على وجه الأرض و لم تكن تنبت على هذه الأغصان الحاملة لها كم كان يدخل علينا من الخلل في معاشنا و إن كان الغذاء موجودا فإن المنافع بالخشب و الحطب و الأتيان و سائر ما عددناه كثيرة عظيم قدرها جليل موقعها هذا مع ما في النبات من التلذذ بحسن منظرة و نضارته التي لا يعد لها شيء من مناظر العالم و ملاهي.

بيان: لحاء الشجرة بالكسر قشرها.

فكر يا مفضل: في هذا الربيع الذي جعل في الزرع فصارت الحبة الواحدة تخلف مائة حبة و أكثر و أقل و كان يجوز أن يكون الحبة تأتي بمثلها^(٣) فلم صارت تربع هذا الربيع إلا ليكون في الغلة متسع لما يرد في الأرض من البذر و ما يتقوت الزراع إلى إدراك زرعها المستقبل؟

ألا ترى أن الملك لو أراد عمارة بلد من البلدان كان السبيل في ذلك أن يعطى أهله ما يذرونه في أرضهم و ما يقوتهم إلى إدراك زرعهم فانظر كيف تجد هذا المثال قد تقدم في تدبير الحكيم فصار الزرع يربع هذا الربيع ليفي بما يحتاج إليه للوقت و الزراعة و كذلك الشجر و الثبت و النخل يربع الربيع الكثير فإنك ترى الأصل الواحد حوله من فراخه أمرا عظيما فلم كان كذلك إلا ليكون فيه ما يقطعه الناس و يستعملونه في مآربهم و ما يرد فيغرس في الأرض و لو كان الأصل منه يبقى منفردا لا يفرخ و لا يربع لما أمكن أن يقطع منه شيء لعمل و لا لغرس ثم كان إن أصابته آفة انقطع أصله فلم يكن منه خلف.

تأمل نبات هذه الحبوب من العدس و الماش و الباقلاء و ما أشبه ذلك فإنها تخرج في أوعية مثل الخرائط لتصونها و تحجيبها من الآفات إلى أن تشد^(٤) و تستحكم كما قد تكون المشيمة على الجنين لهذا المعنى بعينه فأما البر^(٥) و ما أشبهه فإنه يخرج مدرجا في قشور صلاب على رءوسها مثال الأسنة من السنبل ليمنع الطير منه ليتوفر على الزراع. فإن قال قائل أو ليس قد ينال الطير من البر و الحبوب قيل له بلى على هذا قدر الأمر فيها لأن الطير خلق من خلق الله و قد جعل الله تبارك و تعالی له فيما تخرج الأرض حظا و لكن حضنت الحبوب بهذه الحجب لئلا يتمكن الطير منها كل التمكن فيعيب فيها و يفسد الفساد الفاحش فإن الطير لو صادف الحب بارزا ليس عليه شيء يحول دونه لأكب عليه حتى ينسفه أصلا فكان يعرض من ذلك أن يبشم الطير فيموت و يخرج الزراع^(٦) من زرعه صفرا فجعلت عليه هذه الواقيات لتصونه فينال الطائر منه شيئا يسيرا يتقوت به و يبقى أكثره للإنسان فإنه أولى به إذ كان هو الذي

(١) القاموس المحيط ٤: ٢٦٤.

(٢) انظر لسان العرب ٧: ٦٢.

(٣) في المصدر: و كان يجوز للحبة أن تأتي بمثلها.

(٤) و في «ط»: تشد.

(٥) البر: الحنطة. لسان العرب ١: ٣٧٣.

(٦) كذا في «أ» و في المصدر. و في «ط» و يخرج الزراع.

كدح فيه و شقي به و كان الذي يحتاج إليه أكثر مما يحتاج إليه الطير.

١٢٣ تأمل الحكمة في خلق الشجر و أصناف النبات فإنها لما كانت تحتاج إلى الغذاء الدائم كحاجة الحيوان و لم يكن لها أفواه كأفواه الحيوان و لا حركة تنبثق بها لتناول الغذاء جعلت أصولها مركوزة في الأرض لتتزع منها الغذاء فتؤديه إلى الأغصان و ما عليها من الورق و الثمر فصارت الأرض كالأم المربية لها و صارت أصولها التي هي كالأفواه ملتقمة للأرض لتتزع منها الغذاء كما يرضع أصناف الحيوان أمهاتها.

ألا ترى إلى عمد القساطيط و الخيم كيف تمد بالأطبان من كل جانب لتثبت منتصبه فلا تسقط و لا تميل فهكذا تجد النبات كله له عروق منتشرة في الأرض ممتدة إلى كل جانب لمسكه و تقيمه و لو لا ذلك كيف كان يثبت هذا النخل الطوال و الدوح العظام في الريح العاصف فانظر إلى حكمة الخلقة^(١) كيف سبقت حكمة الصناعة فصارت الحيلة التي تستعملها الصناع في ثبات القساطيط و الخيم متقدمة في خلق الشجر لأن خلق الشجر قبل صنعة القساطيط و الخيم ألا ترى عمدها و عيدانها من الشجر فالصناعة مأخوذة من الخلقة.

بيان: ينسفه بالكسر أي يقلعه و بشم الحيوان بشما من باب تعب اتخم من كثرة الأكل و الكدح العمل و السعي و الشقا الشدة و العسر شقي كرضي و الدوح بفتح الدال و سكون الواو جمع الدوحة و هي الشجرة العظيمة.

تأمل يا مفضل خلق الورق فإنك ترى في الورقة شبه العروق ميثوثة فيها أجمع فمنها غلاظ ممتدة في طولها و عرضها و منها دقاق تتخلل الغلاظ^(٢) منسوجة نسجا دقيقا معجما لو كان مما يضع بالأيدي كصناعة البشر لما فرغ من ورق شجرة واحدة في عام كامل و لا احتيج إلى آلات و حركة و علاج و كلام فصار يأتي منه في أيام قاتل من الربيع ما يملأ الجبال و السهل و بقاع الأرض كلها بلا حركة و لا كلام إلا بالإرادة النافذة في كل شيء و الأمر المطاع.

و اعرف مع ذلك العلة في تلك العروق الدقاق فإنها جعلت تتخلل الورقة بأسرها لتسقيها و توصل الماء إليها بمنزلة العروق الميثوثة في البدن لتوصل الغذاء إلى كل جزء منها و في الغلاظ منها معنى آخر فإنها تمسك الورقة بصلابتها و متانتها لئلا تنهكت و تتمزق فترى الورقة شبيهة بورقة معمولة بالصنعة من خرق قد جعلت فيها عيدان ممدودة في طولها و عرضها لتتماسك فلا تضطرب فالصناعة تحكي الخلقة و إن كانت لا تدركها على الحقيقة.

١٢٤ فكر في هذا العجم و النوى و العلة فيه فإنه جعل في جوف الثمرة ليقيم مقام الغرس إن عاق دون الغرس عائق كما يحرز الشيء النفس الذي تعظم الحاجة إليه في مواضع آخر فإن حدث على الذي في بعض المواضع منه حادث وجد في موضع آخر ثم بعد يسلك بصلابته رخاوة الثمار و رقتها و لو لا ذلك لتشدخت و تفسخت و أسرع إليه الفساد^(٣) و بعض يؤكل و يستخرج دهنه فيستعمل منه ضروب من المصالح و قد تبين لك موضع الإرب في العجم و النوى.

فكر الآن في هذا الذي تجده فوق النواة من الرطبة و فوق العجم من العناية فما العلة فيه و لما ذا يخرج في هذه الهيئة و قد كان يمكن أن يكون مكان ذلك ما ليس فيه مأكلا كمثل ما يكون في السرو و الدلب^(٤) و ما أشبه ذلك فلم صار يخرج فوقه هذه المطاعم اللذيذة إلا ليستمتع بها الإنسان؟

فكر في ضروب من التدبير في الشجر فإنك تراه يموت في كل سنة موته فيحتبس الحرارة الغريزية في عوده و يتولد فيه مواد الثمار ثم تحيا و تنتشر فتأتيك بهذه الفواكه نوعا بعد نوع كما تقدم إليك أنواع الأطيخة^(٥) التي تعالج بالأيدي واحدا بعد واحد فترى الأغصان في الشجر تتلماك بشمارها حتى كأنها تناولكها عن يد و ترى الرياحين تتلماك في أفنانها^(٦) كأنها تجتئك بأنفسها فلن هذا التقدير إلا لمقدر حكيم و ما العلة فيه إلا تفكية الإنسان بهذه الثمار و الأنوار^(٧) و العجب من أناس جعلوا مكان الشكر على النعمة جحود المنعم بها!

١٢٥ اعتبر بخلق الرمانة و ما ترى فيها من أثر العمد و التدبير فإنك ترى فيها كأمثال التلال من شحم مركوم في

(١) في المصدر: فانظر إلى حكمة الخالق.

(٢) في المصدر: وأسرع إليها الفساد.

(٣) في المصدر: كما تقدم إليك أنواع الاخصة.

(٤) في المصدر: تفكه الإنسان بهذه الثمار و الانوار.

(٥) في المصدر: و ترى الرياحين تتلماك في أفنانها.

نواحيها و حبا مرصوفا رصفا كنجو ما ينضد بالأيدي و ترى الحب مقسوما أقساما و كل قسم منها ملفوفا بلفائف من حجب منسوجة أعجب النسج و أنطفه و قشره يضم ذلك كله فمن التدبير في هذه الصنعة أنه لم يكن يجوز أن يكون حشو الرمانة من الحب وحده و ذلك أن الحب لا يمد بعضه بعضا فجعل ذلك الشحم خلال الحب ليمده بالغذاء لا ترى أن أصول الحب مركوزة في ذلك الشحم ثم لف بتلك اللفائف لتضمه و تمسكه فلا يضطرب و غشي فوق ذلك بالقشرة المستحصنة ليصونه و يحصنه من الآفات فهذا قليل من كثير و هي وصف الرمان^(١) و فيه أكثر من هذا لمن أراد الإطناب و التذرع في الكلام و لكن فيما ذكرت لك كفاية في الدلالة و الاعتبار.

بيان: قوله ﷺ معجما لعل المراد شدة ارتباطها قال الفيروز آبادي باب معجم كمبرم مقفل انتهى^(٢) و يحتمل أن يكون كناية عن خفائها كقوله ﷺ صلاة النهار عجماء و قوله ﷺ إن عاق دون الغرس أي غرس الأغصان عائق تغرس النوى بدلها و الشدخ الكسر و الغمز و المشدخ هو بسر يغمز و يبسس للشتاء و الدلب بالضم الضمار قوله ﷺ فيحبس الحرارة الفريزية يدل على أن الحرارة الفريزية لا يختص بالحيوان بل يوجد في النبات أيضا كما صرح به جماعة من المحققين و يقال رصفت الحجارة في البناء رصفا أي ضمنت بعضها إلى بعض و استحصف استحكم و التذرع كثرة الكلام و الإفراط فيه.

فكر يا مفضل في حمل الیقطين الضعيف مثل هذه الثمار الثقيلة من الدباء و القثاء و البطيخ و ما في ذلك من التدبير و الحكمة فإنه حين قدر أن يحتمل مثل هذه الثمار^(٣) جعل نباته منبسطا على الأرض و لو كان ينتصب قائما كما ينتصب الزرع و الشجر لما استطاع أن يحمل مثل هذه الثمار الثقيلة و لينصف قبل إدراكها و انتهائها إلى غايتها^(٤) فانظر كيف صار يمتد على وجه الأرض ليلقي عليها ثمارها فتحملها عنه^(٥) فترى الأصل من القرع و البطيخ مفترشا للأرض ثماره ماثوثة عليها و حواله كأنه هرة ممتدة و قد اكتنتفتها إجراؤها لترضع منها.

و انظر كيف صارت الأصناف توافي في وقت المشاكل لها من حمارة الصيف و وقدة الحر فتلقاها النفوس بانسراح و تنشق إليها و لو كانت توافي في الشتاء لوافقت من الناس كراهة لها و اقشعرارها منها مع ما يكون فيها من المضرة للأبدان ألا ترى أنه ربما أدرك شيء من الخيار في الشتاء فيمتنع الناس من أكله إلا الشره الذي لا يمتنع من أكل ما يضره و ليستوخم مغيبته^(٦).

توضيح: قال الفيروز آبادي الیقطين ما لا ساق له من النبات و نحوه^(٧) و القصف الكسر^(٨) و قال الجوهرى الجرو و الجرو و الجرو ولد الكلب و السباع و الجمع أجر و أصله أجر و أجر على أفعل و جراء و جمع الجراء أجرية و الجرو و الجروة الصغير من القثاء انتهى^(٩) و الحمارة بتخفيف الميم و تشديد الراء و قد يخفف في الشعر شدة الحر و في الأساس ما لي أراك تشرح إلى كل رتبة و هو إظهار الرغبة إليها^(١٠) و فيه هو شره العين يطعم في كل ما يراه يرمي نفسه عليه و يتمناه انتهى و استوخمه لم يجده مربيا موافقا و المغيبة العاقبة.

فكر يا مفضل في النخل فإنه لما صار فيه إناث يحتاج إلى التلقيح جعلت فيه ذكورة للقاء من غير غراس فصار الذكر من النخل بمنزلة الذكر من الحيوان الذي يلقي الإناث لتحمل و هو لا يحمل.

تأمل خلقة الجذع كيف هو فإنك تراه كالمنسوج نسجا من غير خيوط ممدودة^(١١) كالسدى^(١٢) و أخرى معه

(١) كذا في «أ.» و في «ط» فهذا قليل من وهي وصف الرمانة. (٢) القاموس المحيط ٤: ٢٤٤.

(٣) في «أ» والمصدر: أن يحمل مثل هذه الثمار.

(٤) في المصدر: ليلقي عليها ثماره فتحملها عنه.

(٥) كذا في «أ.» و في «ط.» و ليستوخم مغيبته، و في المصدر: و يسقم معدته.

(٦) القاموس المحيط ٤: ٢٦٢.

(٧) القاموس المحيط ٣: ١٩١.

(٨) أساس البلاغة: ٢٣٢.

(٩) في المصدر: نسجا من خيوط ممدودة.

(١٠) السدى: خلاف لحمه التوب، و قيل أسفله، و قيل: ما منه. لسان العرب ٦: ٢٢١ - ٢٢٢.

معتزة كاللحمة^(١) كنحو ما ينسج بالأيدي وذلك ليشتد ويصلب ولا ينقص من حمل القنوان الثقيلة^(٢) وهر الرياح العواصب^(٣) إذا صار نخلة وليتها للسقوف والجسور وغير ذلك مما يتخذ منه إذا صار جذعا وكذلك ترى الخشب مثل النسج فإنك ترى بعضه مداخلا بعضا طولا وعرضا^(٤) كدخال أجزاء اللحم وفيه مع ذلك متانة ليصلح لما يتخذ منه من الآلات فإنه لو كان مستحصفا كالبحجارة لم يمكن أن يستعمل في السقوف وغير ذلك مما يستعمل فيه الخشبة كالأبواب والأسرة والتوابيت وما أشبه ذلك ومن جسيم المصالح في الخشب أنه يطفو على الماء فكل الناس يعرف هذا منه وليس كلهم يعرف جلالة الأمر فيه فلو لا هذه الخلقة كيف كانت هذه السفن والأطراف تحمل أمثال الجبال من الحمولة وأنى كان ينال الناس هذا الرفق^(٥) وخفة المثونة في حمل التجارات من بلد إلى بلد وكانت تعظم المثونة عليهم في حملها حتى يلقي كثير مما يحتاج إليه في بعض البلدان مفقودا أصلا أو عسرا وجوده. ففكر في هذه العقاقير وما خص بها كل واحد منها من العمل في بعض الأدوية فهذا يغور في المفاسل فيستخرج الفضول الغليظة مثل الشيطرج وهذا ينزف المرأة السوداء مثل الأفيون ومن هذا ينفي الرياح مثل السكينج وهذا يحلل الأورام وأشياء هذا من أفعالها فمن جعل هذه القوى فيها إلا من خلقها للمنفعة ومن فطن الناس بها^(٦) إلا من جعل هذا فيها ومتى كان يوقف على هذا منها بالعرض والاتفاق كما قال قائلون وهب الإنسان فطن لهذه الأشياء بذهنه ولطيف رويته وتجارب فالبهائم كيف فطنت لها حتى صار بعض السباع يتداوى من جراحة إن أصابته ببعض العقاقير فيبرأ وبعض الطير يحتقن من الحصر يصيبه بماء البحر فيسلم وأشياء هذا كثير ولعلك تشكك في هذا النبات النابت في الصحاري والبراري حيث لا أنس ولا أنيس فظن أنه فضل لا حاجة إليه وليس كذلك بل هو طعم لهذه الوحوش وجبه علف للطير وعوده وأفئانه حطب فيستعمله الناس وفيه بعد أشياء تعالج به الأبدان وأخرى تدبج به الجلود وأخرى تصبغ به الأمتعة وأشياء هذا من المصالح ألست تعلم أن أحسن النبات^(٧) وأحقره هذا البردي وما أشبهها ففيها مع هذا من ضروب المنافع فقد يتخذ من البردي القراطيس التي يحتاج إليها الملوك والسوقة والحصر التي يستعملها كل صف من الناس وليعمل منه الغلف التي يوقى بها الأواني ويجعل حشوا بين الظروف في الأسفاط^(٨) لكيلا تعيب وتنكسر وأشياء هذا من المنافع.

فاعتبر بما ترى من ضروب المآرب في صغير الخلق وكبيره وبما له قيمة وما لا قيمة له وأحسن من هذا وأحقره الزبل والعذرة التي اجتمعت فيها الخساسة والنجاسة معا وموقعها من الزروع والبقول والخضر أجمع المواقع الذي لا يعدله شيء حتى أن كل شيء من الخضر لا يصلح ولا يزكو إلا بالزبل والسماد الذي يستقذره الناس ويكرهون الدنو منه واعلم أنه ليس منزلة الشيء على حسب قيمته بل هما قيمتان مختلفتان بسوقين وربما كان الخسيس في سوق المكتسب نفيسا في سوق العلم فلا تستصغر العبرة في الشيء لصغر قيمته فلو فطنوا طالبوا الكيمياء^(٩) لما في العذرة لا شتروها بأنفس الأثمان وغالوا بها.

قال المفضل: و حان وقت الزوال فقام مولاي إلى الصلاة وقال بكر إلي غدا إن شاء الله فانصرفت وقد تضاعف سروري بما عرفنيته مبتهجا بما آتانيه حامدا لله على ما منحنية فبت ليلتي مسرورا.

بيان: قوله ﷺ ليصلح بيان لما يتحصل مما مر لا للمثانة فقط والتزح التزح قوله ﷺ هب الإنسان أي سلمنا أنه كذلك والحصر بالضم اعتقال البطن والسوقة بالضم الرعية للواحد والجمع والمذكر والمؤنث والغلف بضمه وبضمين وكركع جمع غلاف والزبل بالكسر السرقة وقال الفيروز آبادي السمد السرقين برماد^(١٠) وقال الجزري هو ما يطرح في أصول الزرع والخضر من

(١) اللحمة: ماسرى بين السدين، ويقال: كما تخالط اللحمة سدى الثوب حتى يصير كاللحم الواحد. لسان العرب ١٢: ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) في المصدر: القنوت الثقيلة. وما في المتن هو الاصح. القنوان جمع القنوت: وهو العنق بما فيه من الرطب. لسان العرب ١١: ٣٣١.

(٣) كذا في «أ»، وفي المصدر. وفي «ط»: الرياح العواصب. (٤) في المصدر: ترى بعضه مداخلا بعضا طولا وعرضا.

(٥) في نسخة: هذا الرفق. وفي المصدر كذا. (٦) في المصدر: ومن فطن الناس لها.

(٧) كذا في «أ» والمصدر. وفي «ط»: ألست تعلم أن أحسن النبات.

(٨) في «أ»: الأسفاط، وهو تصحيف. والأسفاط: جمع سبط وهو: الذي يعنى فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء. لسان العرب ٦: ٢٨٠.

(٩) في المصدر: فلو فطن طالبوا الكيمياء.

العذرة والزبل ليجود نباته^(١) أقول يدل ظاهراً على جواز استعمال العذرات النجسة في ذلك و ربما يستدل به على تطهير الاستحالة.

المجلس الرابع:

قال المفضل: فلما كان اليوم الرابع بكرت إلى مولاي فاستوذن لي فأمرني بالجلوس فجلست فقال ﷺ منا التمجيد والتسبيح والتعظيم والتقديس للأسم الأقدم والنور الأعظم العليّ العلام ذي الجلال والإكرام ومنشئ الأنام ومقتي العوالم والدهور^(٢) و صاحب السر المستور والغيب المحظور والاسم المخزون والعلم المكنون و صلواته وبركاته على مبلغ وحيه ومؤدي رسالته الذي ابتعته بشيراً وَ نَذِيراً وَ دَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَ سِزَاجاً مُنِيراً لِيَهْدِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يَخْشِيَ مَنْ حَيٍّ عَنْ بَيِّنَةٍ فعليه وعلى آله من بارئه الصلوات الطيبات والتهيات الزاكيات والناميات وعليه ﷺ والرحمة والبركات في الماضين والغابرين أبد الأبدين ودهر الداهرين وهم أهله ومستحقه^(٣).

قد شرحت لك يا مفضل من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد في الإنسان والحيوان والنبات والشجر وغير ذلك مما فيه عبرة لمن اعتبر وأنا أشرح لك الآن الآفات الحادثة في بعض الأزمان التي اتخذها أناس من الجهال ذريعة إلى جحود الخالق والخلق والعمد والتدبير وما أنكرت المعطلة والمنانية^(٤) من المكاره والمصائب وما أنكروه من الموت والفناء وما قاله أصحاب الطباع ومن زعم أن كون الأشياء بالعرض والاتفاق ليتسع ذلك القول في الرد عليهم فَاَتْلُهُمُ اللَّهُ أُنَى يُؤْكُونُ؟.

اتخذ أناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان كمثل الوباء واليرقان والبرد والجراذ ذريعة إلى جحود الخلق والتدبير والخالق^(٥) فيقال في جواب ذلك إنه إن لم يكن خالق ومدير فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا وأقطع فمن ذلك أن يسقط السماء على الأرض وتهوي الأرض فتذهب سفلاً وتختلف الشمس عن الطلوع أصلاً وتجف الأنهار والعيون حتى لا يوجد ماء للشفة وتركذ الريح حتى تحم الأشياء وتفسد ويفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء والجراذ وما أشبه ذلك ما بالها لا تدوم وتمتد حتى تجتاح كل ما في العالم بل تحدث في الأحايين ثم لا تلبث أن ترفع أفلا ترى أن العالم يصاب ويحفظ من تلك الأحداث الجليلة التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره ويلذع أحياناً بهذه الآفات السييرة لتأديب الناس وتقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم فتكون وقوعها بهم موعظة وكشفها عنهم رحمة.

وقد أنكرت المعطلة ما أنكرت المنانية^(٦) من المكاره والمصائب التي تصيب الناس فكلاهما يقول إن كان للعالم خالق رءوف رحيم فلم يحدث فيه هذه الأمور المكروهة والقائل بهذا القول يذهب به إلى أنه ينبغي أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافياً من كل كدر ولو كان هكذا كان الإنسان سيخرج من الأشر والعتو إلى ما لا يصلح في دين ودنيا كالذي ترى كثيراً من المترفين ومن نشأ في الجدة والأمن يخرجون إليه حتى أن أحدهم ينسى أنه بشر أو أنه مريبوب أو أن ضرراً يمسسه أو أن مكروها ينزل به أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفاً أو يواسي فقيراً أو يرثي لمبتلى أو يتحنن على ضعيف أو يتعطف على مكروب فإذا عضته المكاره وجد مضضها انتظ وأبصر كثيراً مما كان جهله وغفل عنه ورجع إلى كثير مما كان يجب عليه والمنكرون لهذه الأمور المؤذية بمنزلة الصبيان الذين يذمون الأدوية المرة البشعة ويتسخطون من المنع من الأطعمة الضارة ويتكروهن الأدب والعمل ويحبون أن يتفرغوا للهو والبطالة وينالوا كل مطعم ومشرب ولا يعرفون ما تؤديهم إليه البطالة من سوء النشوء والعادة وما تعقبهم الأطعمة اللذيذة الضارة من الأدواء والأسقام وما لهم في الأدب من الصلاح وفي الأدوية من المنفعة وإن شاب ذلك بعض الكراهة.

(١) النهاية ٢: ٣٩٩.

(٢) كذا في نسخة، وفي المصدر. وفي «أ»: ومعنى العوالم والدهور. وفي «ط»: ومعنى العوالم والدهور.

(٣) في المصدر: وهم أهله ومستحقوه.

(٤) الظاهر: المنانية.

(٥) في المصدر: إلى جحود الخالق والتدبير والخلق.

(٦) كذا في النسخ والظاهر: المنانية. وفي المصدر: وقد أنكرت المنانية.

فإن قالوا و لم لم يكن الإنسان معصوما من المساوي حتى لا يحتاج إلى أن. يلذعه بهذه المكاره^(١) قيل إذا كان يكون غير محمود على حسنة يأتيها و لا مستحق للثواب عليها.

فإن قالوا و ما كان يضره أن لا يكون محمودا على الحسنات مستحقا للثواب بعد أن يصير إلى غاية النعيم و اللذة قيل لهم اعرضوا على امرئ صحيح الجسم و العقل أن يجلس منعما و يكتفى كل ما يحتاج إليه بلا سعي و لا استحقاق فانظروا هل تقبل نفسه ذلك^(٢) بل ستجدونه بالقليل مما يناله بالسعي و الحركة أشد اغتباطا و سرورا منه بالكثير مما يناله بغير الاستحقاق و كذلك نعيم الآخرة أيضا يكمل لأهله بأن ينالوه بالسعي فيه و الاستحقاق له فالنعمة على الإنسان في هذا الباب مضاعفة بأن أعد له الثواب الجزيل على سعيه في هذه الدنيا و جعل له السبيل إلى أن ينال بسعي و استحقاق^(٣) فيكمل له السرور و الاغتباط بما يناله منه.

فإن قالوا أو ليس قد يكون من الناس من يركن إلى ما نال من خير و إن كان لا يستحقه فما الحجة في منع من رضي أن ينال نعيم الآخرة على هذه الجملة^(٤) قيل لهم إن هذا باب لو صرح للناس لخرجوا إلى غاية الكلب و الضراوة على الفواحش و انتهاك المحارم فمن كان يكف نفسه عن فاحشة أو يتحمل المشقة في باب من أبواب البر لو وثق بأنه صائر إلى النعيم^(٥) لا محالة أو من كان يأمن على نفسه و أهله و ماله من الناس لو لم يخافوا الحساب و العقاب^(٦) فكان ضرر هذا الباب سينال الناس في هذه الدنيا قبل الآخرة فيكون في ذلك تعطيل العدل و الحكمة معا و موضع للظن على التدبير بخلاف الصواب^(٧) و وضع الأمور غير مواضعها.

و قد يتعلق هؤلاء بالآفات التي تصيب الناس فتعم البر و الفاجر أو يبتلى بها البر و يسلم الفاجر منها فقالوا كيف يجوز هذا في تدبير الحكيم و ما الحجة فيه فيقال لهم إن هذه الآفات و إن كانت تنال الصالح و الطالح جميعا فإن الله جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما أما الصالحون فإن الذي يصيبهم من هذا يردهم^(٨) نعم ربهم عندهم في سالف أيامهم فيحذوهم ذلك على الشكر و الصبر و أما الطالحون فإن مثل هذا إذا نالهم كسر شرتهم و ردعهم عن المعاصي و الفواحش و كذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا في ذلك أما الأبرار فإنهم يغتبطون بما هم عليه من البر و الصلاح و يزدادون فيه رغبة و بصيرة و أما الفجار فإنهم يعرفون رافة ربهم^(٩) و تطوله عليهم بالسلاطة من غير استحقاقهم^(١٠) فيحضم ذلك على الرافة بالناس و الصفح عن أساء إليهم.

و لعل قائلا يقول إن هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق و الفرق و السيل و الخسف فيقال لهم إن الله جعل في هذا أيضا صلاحا للصنفين جميعا أما الأبرار فلما هم في مفارقة هذه الدنيا من الراحة من تكليفها و النجاة من مكارهها و أما الفجار فلما هم في ذلك من تمحيص أوزارهم و حبسهم عن الزدياد منها و جملة القول أن الخالق تعالى ذكره بحكمته و قدرته قد صرف هذه الأمور كلها إلى الخيرة و المنفعة فكما أنه إذا قطعت الريح شجرة أو قطعت نخلة أخذها الصانع الرقيق و استعملها في ضروب من المنافع فكذلك يفعل المدبر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم و أموالهم فيصيرها جميعا إلى الخيرة و المنفعة.^(١١)

فإن قال: و لم يحدث^(١٢) على الناس قيل له لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامة فيبائع الفاجر في ركوب المعاصي و يفتر الصالح عن الاجتهاد في البر فإن هذين الأمرين جميعا يغلبان على الناس في حال الخفض و الدعة^(١٣) و هذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم^(١٤) و تنبههم على ما فيه رشدهم فلو أدخلوا منها لقلوا في الطغيان و

(١) في المصدر: أن تلذعه هذه المكاره.

(٢) في المصدر: أن ينال ذلك بسعي و استحقاق.

(٣) في المصدر: لوثق بأنه صائر إلى النعيم.

(٤) في «أ»: خلاف الصواب.

(٥) و في نسخة: فإنهم يعرفون رحمة ربهم.

(٦) في المصدر: إلى الخير و المنفعة.

(٧) خفض: لين العيش و سعته، و الدعة مثله. لسان العرب ٤: ٥٥٤.

(٨) و في نسخة: و هذه الحوادث التي تحدث عليهم تروعه.

(٩) في المصدر: فانظروا هل تقبل نفسه ذلك.

(١٠) و في نسخة: على هذه الخلقة.

(١١) في المصدر: لو لم يخاف الحساب و العقاب.

(١٢) كذا في النسخ و الظاهر: يذكروهم، و في المصدر: يردهم.

(١٣) و في نسخة: من غير استحقاق.

(١٤) في «أ»: فلم يحدث.

المعصية كما على الناس^(١) في أول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان وتطهير الأرض منهم.

و مما ينتقده الجاحدون للعهد^(٢) والتقدير الموت والفناء فإنهم يذهبون إلى أنه ينبغي أن يكون الناس مخلصين في هذه الدنيا مبرئين من الآفات فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايته فينظر ما محصوله أفرأيت لو كان كل من دخل العالم ويدخله يبقون ولا يموت أحد منهم ألم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن والمزارع والمعاش^(٣) فإنهم والموت يفنيهم أولاً وأولاً يتنافسون في المساكن والمزارع حتى ينشأ بينهم في ذلك الحروب ويسفك فيهم الدماء فكيف كانت تكون حالهم لو كانوا يولدون ولا يموتون وكان يغلب عليهم الحرث والشره وقساوة القلوب قلوبهم لا يفهمون لما قنع الواحد منهم بشيء ينال^(٤) ولا أفرج لأحد عن شيء يسأله ولا سلا عن شيء مما يحدث عليه ثم كانوا يملون الحياة وكل شيء من أمور الدنيا كما قد يمل الحياة من طال عمره حتى يتمنى الموت والراحة من الدنيا.

فإن قالوا إنه كان ينبغي أن يرفع عنهم المكاره والأوصاب حتى لا يتمنوا الموت ولا يشتاقوا إليه فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتو والأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدين والدنيا وإن قالوا إنه كان ينبغي أن لا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن والمعاش^(٥) قيل لهم إذا كان يحرم هذا الخلق دخول العالم والاستمتاع بنعم الله وماهية في الدارين جميعاً إذا لم يدخل العالم إلا قرن واحد لا يتوالدون ولا يتناسلون.

فإن قالوا: كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق ويخلق إلى انقضاء العالم يقال لهم رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن والمعاش عنهم ثم لو كانوا لا يتوالدون ولا يتناسلون لذهب موضع الأنس بالقرابات وذوي الأرحام والانتصار بهم عند الشدائد وموضع تربية الأولاد والسرور بهم ففي هذا دليل على أن كلما تذهب إليه الأهوام سوى ما جرى به التدبير خطأ وسفاه من الرأي والقول^(٦).

ولعل طاعنا يطعن على التدبير من جهة أخرى فيقول كيف يكون هاهنا تدبير ونحن نرى الناس في هذه الدنيا من عز بز فالقوي يظلم والضعيف يظلم ويسأم الخسف^(٧) والصالح فقير مبتلى والفاسق معافي موسع عليه ومن ركب فاحشة أو انتهك محرماً لم يعاجل بالعقوبة فلو كان في العالم تدبير لجرت الأمور على القياس القائم فكان الصالح هو المرزوق والطالح هو المحروم وكان القوي يمنع من ظلم الضعيف والمتهتك للمحارم يعاجل بالعقوبة فيقال في جواب ذلك إن هذا لو كان هكذا لذهب موضع الإحسان الذي فضل به الإنسان على غيره من الخلق وحمل النفس على البر والعمل الصالح احتساباً للتوابع وثقة بما وعد الله منه ولصار الناس بمنزلة الدواب التي تساس بالعصا والعلف ويلمع لها بكل واحد منهما ساعة فساعة فتستقيم على ذلك ولم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسية إلى حد البهائم ثم لا يعرف ما غاب ولا يعمل إلا على الحاضر^(٨) وكان يحدث من هذا أيضاً أن يكون الصالح إنما يعمل الصالحات للرزق والسعة في هذه الدنيا ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يعف عن ذلك^(٩) لترقب عقوبة تنزل به من ساعته حتى يكون أفعال الناس كلها تجري على الحاضر لا يشوبها شيء من اليقين بما عند الله ولا يستحقون ثواب الآخرة والتعظيم الدائم فيها مع أن هذه الأمور التي ذكرها الطاعن من الغنى والفقير والعافية واليأس ليست بجارية على خلاف قياسه بل قد تجري على ذلك أحياناً والأمر المفهوم فقد ترى كثيراً من الصالحين يرزقون المال لضروب من التدبير وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح وترى كثيراً من الفساق يعاجلون بالعقوبة إذا تفاقم طغيانهم وعظم ضررهم على الناس وعلى أنفسهم كما عوجل فرعون بالغرق وبخت نصر بالتيه وبلييس بالقتل وإن أهل بعض الأشرار بالعقوبة وأخر بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد لم يكن هذا مما

(١) في المصدر: فلو خلوا منها لغوا في الطغيان والمعصية كما غلا الناس.

(٢) في «أ»: و مما يعتقد الجاحدون للعهد. (٣) في المصدر: المزارع والمعاش.

(٤) في المصدر: بشيء ينال. (٥) في المصدر: المساكن والمعاش.

(٦) في المصدر: ويسالم الخسف. (٧) في المصدر: وهو تصحيف.

(٨) في المصدر: ولا يعمل الا على الحاضر من نعيم الدنيا.

(٩) في المصدر: إنما يعمل للرزق والسعة في هذه الدنيا. ويكون الممتنع من الظلم والفواحش إنما يكف عن ذلك.

الثاني: أن يكون السؤال مبنيا على فرض العصمة في بعضهم وهم الذين يطلبون الشواب ولا يريدون استحقاقه كما هو ظاهر السياق ويكون حاصل الجواب أنه لو كان المجبور على الخيرات مثابا فمقتضى العدل أن يكون غير المجبور الطالب للخير والاستحقاق غير معاقب على حال وإلا لكان له الحجة على ربه بأنك لم تعصمني كما عصمت غيري ومنعت عني اللطف بالبلايا والصوارف عن المعاصي في الدنيا ثم تعذبني على المعاصي، فعلى هذا فلو علم غير المعصومين ذلك لدعاهم الدواعي النفسانية إلى غاية الفساد وهذا وجه وجيه لكن يحتاج إلى طي بعض المقدمات.

الثالث: أن يكون السؤال مبنيا على ذلك الفرض أيضا لكن يكون الجواب مبنيا على أنه قد يستلزم المحال فيقضى إذا الكلام في هذا النوع من الخلق المسمى بالإنسان الذي اقتضت الحكمة أن يكون قد ركبت فيه أنواع الشهوات والدواعي فلو فرضته على غير تلك الحالة لكان من قبيل فرض الشيء إنسانا وملكا وهما لا يجتمعان فعلى هذا يلزمه أيضا لفرض كونه إنسانا أن يدعو عدم خوف العقاب والفراغ إلى الأشر والبطر وأنواع المعاصي وحاصله يرجع إلى تغيير الجواب الأول إلى جواب آخر لا يرد عليه السؤال على غاية اللطف والدقة.

والردع: الكف والمنع وقوله يغتبطون على البناء للفاعل من الاغتباط وهو حسن الحال بحيث يتمنى غيره حاله والحض الحث والتحريض وتمحيص الأوزار تنقيصها أو إزالتها قوله ﷺ فإن قال ولم يحدث على الناس^(١) أقول لما كان آخر الكلام موهبا لأن هذه الأمور بعد حدودها يصيرها الله تعالى إلى الحكمة والصلاح سأل ثانيا ما السبب في أصل الحدث^(٢) حتى يحتاج إلى أن يجعله الله صلاحا ويحتمل أن يكون مراده أنا علمنا أن في وجودها صلاحا فهل في عدمها فساد والجواب على التقديرين ظاهر وقال الفيروز آبادي عوز الشيء كفرح لم يوجد وأعوزه الشيء احتاج إليه والدهر أحوج^(٣) وقال تناسبا تضاموا وتعلق بعضهم ببعض ونشبه الأمر كلزم^(٤) زنة ومعنى^(٥) وقال أفرجوا عن الطريق والقتيل انكشفوا وعن المكان تركوه انتهى والمراد هنا عدم التخلية بين أحد وبين ما يريد قوله ﷺ ولا سلا عن شيء أي لا ينسي ويتسلى عن شيء من المصائب^(٦) إذ تذكر الموت تزول شدة المحن من قولهم سلا عن الشيء أي نسيه وقال الجوهري يزه يزه بزا سلبه وفي المثل من عز بز أي من غلب أخذ السلب^(٧) وقال سامه^(٨) خسفا وخسفا بالضم أي أولاه ذل^(٩) وقال الفيروز آبادي لمع بيده أشار^(١٠) وقال تفاقم الأمر عظم^(١١) قوله ﷺ وبخت نصر بالنبي أقول لعله إشارة إلى ما ذكره جماعة من المؤرخين أن ملكا من الملائكة لطم بخت نصر لطمته ومسحه وصار في الوحش في صورة أسد وهو مع ذلك يعقل ما يفعله الإنسان ثم رده الله تعالى إلى صورة الإنس وأعاد إليه ملكه فلما عاد إلى ملكه أراد قتل دانيال فقتله الله على يد واحد من غلمانه^(١٢) وقيل في سبب قتله أن الله أرسل عليه بعوضة فدخلت في منخره وصعدت إلى رأسه فكان لا يقر ولا يسكن حتى يندق رأسه فمات من ذلك و بلييس غير معروف عند المؤرخين والتطاول هنا مبالغة في الطول بمعنى الفضل والإحسان ودخلة الرجل مثله نيته ومذهبه وجمع أمره وبطانته قوله ﷺ والشاهد المحنة أي بالشاهد يمكن امتحان الغائب.

(١) في «أ»: فلم يحدث على الناس.
(٢) القاموس المحيط ٢: ١٩١.
(٣) القاموس المحيط ١: ١٣٧.
(٤) الصراح: ٨٦٥.
(٥) الصراح: ١٣٥٠.
(٦) القاموس المحيط ٤: ١٦٢.
(٧) من الواضح مدى الاختلاط والوهن في هذا النقل. وما في الروايات يتناقض بعض ما نقل.

(٢) في «أ»: في أصل الحدث.

(٤) كذا في النسخ، والظاهر: كلزمه وهو ما في المصدر.

(٦) في «أ»: ويتسلى عن المصائب.

(٨) كذا في «أ» وفي المصدر. وفي «ط»: سلمه.

(١٠) القاموس المحيط ٣: ٨٤.

معنى قولنا استتر أنه لطف عن مدى ما تبلغه الأوهام كما لطفت النفس و هي خلق من خلقه و ارتفعت عن إدراكها بالظفر. فإن قالوا و لم تطف؟ و تعالى عن ذلك علوا كبيرا كان ذلك خطأ من القول لأنه لا يليق بالذي هو خالق كل شيء إلا أن يكون مبينا لكل شيء متعاليا عن كل شيء سبحانه و تعالى.

فإن قالوا: كيف يعقل أن يكون مبينا لكل شيء متعاليا^(١) قيل لهم الحق الذي تطلب معرفته من الأشياء هو الأربعة أوجه فأولها أن ينظر أوجود هو أم ليس بوجود و الثاني أن يعرف ما هو في ذاته و جوهره و الثالث أن يعرف كيف هو و ما صفته و الرابع أن يعلم لما ذا هو و لأية علة فليس من هذه الوجوه شيء يمكن المخلوق أن يعرفه من الخالق حق معرفته غير أنه موجود فقط فإذا قلنا كيف و ما هو فممتنع علم كنهه و كمال المعرفة به و أما لما ذا هو فساقط في صفة الخالق لأنه جل ثناؤه علة كل شيء و ليس شيء بعلة له ثم ليس علم الإنسان بأنه موجود يوجب له أن يعلم ما هو كما أن علمه بوجود النفس لا يوجب أن يعلم ما هي و كيف هي و كذلك الأمور الروحانية اللطيفة.

فإن قالوا: فأنتم الآن تصفون من قصور العلم عنه وصفا حتى كأنه غير معلوم قيل لهم هو كذلك من جهة إذا رام العقل معرفة كنهه و الإحاطة به و هو من جهة أخرى أقرب من كل قريب إذا استدل عليه بالدلائل الشافية فهو من جهة كالواضح لا يخفى على أحد و هو من جهة كالغامض لا يدركه أحد و كذلك العقل أيضا ظاهر بشواهد و مستور بذاته. فأما أصحاب الطبايع فقالوا إن الطبيعة لا تفعل شيئا لغير معنى و لا تتجاوز عما فيه تمام الشيء في طبيعته و زعموا أن الحكمة تشهد بذلك^(٢) فقيل لهم فمن أعطى الطبيعة هذه الحكمة و الوقوف على حدود الأشياء بلا مجاوزة لها و هذا قد تعجز عنه العقول بعد طول التحارب فإن أوجبوا للطبيعة الحكمة و القدرة على مثل هذه الأفعال فقد أقروا بما أنكروا لأن هذه هي صفات الخالق و إن أنكروا أن يكون هذا للطبيعة فهذا وجه الخلق يهتف بأن الفعل لخالق الحكيم^(٣) و قد كان من القدمات طائفة أنكروا العمد و التدبير في الأشياء و زعموا أن كونها بالعرض و الاتفاق و كان مما احتجوا به هذه الآفات التي تلد غير مجرى العرف^(٤) و العادة كالإنسان يولد ناقصا أو زائدا إصبعا أو يكون المولود مشوها مبذل الخلق فجعلوا هذا دليلا على أن كون الأشياء ليس بعدم و تقدير بل بالعرض كيف ما اتفق أن يكون و قد كان أرسطاطاليس رد عليهم فقال إن الذي يكون بالعرض و الاتفاق إنما هو شيء يأتي في القرط مرة لأعراض تعرض للطبيعة فتزيلها عن سبيلها و ليس بمنزلة الأمور الطبيعية الجارية على شكل واحد جريا دائما متتابعا.

و أنت يا مفضل ترى أصناف الحيوان أن يجري أكثر ذلك على مثال و منهاج واحد كالإنسان يولد و له يدان و رجلان و خمس أصابع كما عليه الجمهور من الناس فأما ما يولد على خلاف ذلك فإنه لعله تكون في الرحم أو في المادة التي ينشأ منها الجنين كما يعرض في الصناعات حين يتعمد الصانع الصواب في صناعته فيعوق دون ذلك عائق في الأداة أو في الآلة التي يعمل فيها الشيء فقد يحدث مثل ذلك في أولاد الحيوان للأسباب التي وصفنا فيأتي الولد زائدا أو ناقصا أو مشوها و يسلم أكثرها فيأتي سويا لا علة فيه فكما أن الذي يحدث في بعض الأعمال الأعراض^(٥) لعله فيه لا توجب عليها جميعا الإهمال و عدم الصانع كذلك ما يحدث على بعض الأفعال الطبيعية لعائق يدخل عليها لا يوجب أن يكون جميعها بالعرض و الاتفاق فقول من قال في الأشياء إن كونها بالعرض و الاتفاق من قبل أن شيئا منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض^(٦) له خطأ و خلط.

فإن قالوا: و لم صار مثل هذا يحدث في الأشياء قيل لهم ليعلم أنه ليس كون الأشياء باضطراب من الطبيعة و لا يمكن أن يكون سواه كما قال قائلون بل هو تقدير و عمد من خالق حكيم إذ جعل الطبيعة تجري أكثر ذلك على مجرى و منهاج معروف و يزول أحيانا عن ذلك لأعراض تعرض لها فيستدل بذلك على أنها مصرفة مدبرة فقيرة إلى إبداء الخالق و قدرته في بلوغ غايتها و إتمام عملها فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

(١) في المصدر: متعاليا عن كل شيء.

(٢) كذا في «أ» و في المصدر. و في «ط»: لخالق حكيم.

(٤) في المصدر: و كان مما احتجوا به هذه الآيات التي تكون على غير مجرى العرف.

(٥) و في نسخة: فكما أن الذي يحدث في بعض الاعمال الاعراض. و في المصدر: بعض أعمال الاعراض.

(٦) في المصدر: من قبيل أن شيئا منها يأتي على خلاف الطبيعة يعرض.

يا مفضل خذ ما آتيتك واحفظ ما منحتك وكن لربك من الشاكرين ولآلائه من الحامدين ولأوليائه من المطيعين فقد شرحت لك من الأدلة على الخلق والشواهد على صواب التدبير والعمد قليلا من كثير وجزاء من كل قدر به وفكر فيه واعتبر به فقلت بمعونتك يا مولاي أقوى على ذلك وأبلغه إن شاء الله فوضع يده على صدري فقال احفظ بمشية الله ولا تنس إن شاء الله.

فخررت مغشيا علي فلما أفقت قال كيف ترى نفسك يا مفضل فقلت قد استغثت بمعونة مولاي وتأييده عن الكتاب الذي كتبه وصار ذلك بين يدي كأنما أقرؤه من كفي ولمولاي الحمد والشكر كما هو أهله ومستحقه. فقال: يا مفضل فرغ قلبك واجمع إليك ذهنك وعقلك وطماننتك فسألني إليك من علم ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله بينهما وفيهما من عجائب خلقه وأصناف الملائكة وصفوفهم ومقاماتهم ومراتبهم إلى سدة المنتهى وسائر الخلق من الجن والإنس إلى الأرض السابعة السفلى وما تحت الثرى حتى يكون ما وعيته جزءا من أجزاء انصرف إذا شئت مصاحبا مكلو^(١) فأنت منا بالمكان الرفيع وموضعك من قلوب المؤمنين موضع الماء من الصدى ولا تسألن عما وعدتك حتى أحدث لك منه ذكرا. قال المفضل: فانصرفت من عند مولاي بما لم ينصرف أحد بمثله.

بيان: جاش البحر والقدر وغيرهما يجيش جيشا غلا قوله ﷺ قال أصحاب الهندسة أقول المشهور بين متأخريهم أن جرم الشمس مائة وستة وستون مثالا وربع وثمان لجرم الأرض وما ذكره ﷺ لعله كان مذهب قدمائهم مع أنه قريب من المشهور والاختلاف بين قدمائهم ومتأخريهم في أمثال ذلك كثير قوله ﷺ الحق الذي أي الأمور الحققة الثابتة التي تتطلب معرفتها من بين الأشياء وفي بعض النسخ لحق أي ما يحق وينبغي أن تتطلب معرفته من أحوال الأشياء هو أربعة أوجه قال الجوهري قولهم لقيته في الفرط بعد الفرط إلى الحين بعد الحين^(٢) والصدى بالفتح العطش^(٣).

ثم اعلم أن بعض تلك الفقرات تومئ إلى تجرد النفس والله يعلم وحججه صلوات الله عليهم أجمعين.

باب ٥ الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالأهليلجة

١- حدثني محرز بن سعيد النحوي بدمشق قال حدثني محمد بن أبي مسهر^(٤) بالرملة عن أبيه عن جده قال كتب المفضل بن عمر الجعفي إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ﷺ يعلمه أن أقواما ظهروا من أهل هذه الملة يجحدون الربوبية ويجادلون على ذلك ويسأله أن يرد عليهم قولهم ويحتج عليهم فيما ادعوا بحسب ما احتج به على غيرهم فكتب أبو عبد الله ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أما بعد وفقنا الله وإياك لطاعته وأوجب لنا بذلك رضوانه وبرحمته وصل كتابك تذكر فيه ما ظهر في ملتنا وذلك من قوم من أهل الإلحاد بالربوبية قد كثرت عدتهم واشتدت خصومتهم وتساءل أن أصنع للرد عليهم والنقض لما في أيديهم كتابا على نحو ما رددت على غيرهم من أهل البدع والاختلاف ونحن نحمد الله على النعم السابقة والحجج البالغة والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة فكان من نعمه العظام وآلائه الجسام التي

(١) كلاك الله كلامه: أي حفظك وحرسك والمفعول منه مكلو. لسان العرب ١٢: ١٢٢.

(٢) الصحاح: ١١٤٨.

(٣) الصحاح: ٢٣٩٩.

(٤) وفي نسخة: محمد بن أبي مشتهر.

أنعم بها تقريره قلوبهم برؤيته وأخذهم ميثاقهم بمعرفته وإنزاله عليهم كتاباً فيه شفاء لما في الصدور من أمراض الخواطر ومشتبهات الأمور ولم يدع لهم ولا شيء من خلقه حاجة إلى من سواه واستغنى عنهم وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيداً. ولعمري ما أني الجهال من قبل ربهم وإنهم ليرون الدلالات الواضحات والعلامات البينات في خلقهم وما يعاينون في ملكوت السماوات والأرض والصنع العجيب المتقن الدال على الصانع ولكنهم قوم فتحوا على أنفسهم أبواب المعاصي وسهلوا لها سبيل الشهوات فغلبت الأهواء على قلوبهم واستحوذ الشيطان بظلمهم عليهم وكذلك طبع الله على قلوب الْمُتَعَذِّينَ والعجب من مخلوق يزعم أن الله يخفى على عباده وهو يرى أثر الصنع في نفسه بتركيب يبهر^(١) عقله وتأليف يبطل^(٢) حجته ولعمري لو تفكروا في هذه الأمور العظام لعابنوا من أمر التركيب البين ولف التدبير الظاهر وجود الأشياء مخلوقة بعد أن لم تكن ثم تحولها من طبيعة إلى طبيعة وصنعة بعد صنعة ما يدلهم ذلك على الصانع فإنه لا يخلو شيء منها من أن يكون فيه أثر تدبير وتركيب يدل على أن له خالقاً مدبراً وتأليف بتدبير يهدي إلى واحد حكيم.

وقد وافاني كتابك ورسمت لك كتاباً كنت نازعت فيه بعض أهل الأديان من أهل الإنكار وذلك أنه كان يحضرنى طبيب من بلاد الهند وكان لا يزال ينازعني في رأيه ويجادلني على ضلالتة فيينا هو يوماً يدق إهليلجة ليخلطها دواء احتجت^(٣) إليه من أدويته إذ عرض له شيء من كلامه الذي لم يزل ينازعني فيه من ادعائه أن الدنيا لم تزل ولا تزال شجرة تنبت وأخرى تسقط نفس تولد وأخرى تلتف وزعم أن انتحالي المعرفة لله تعالى دعوى لا بينة لي عليها ولا حجة لي فيها وأن ذلك أمر أخذته الآخر عن الأول والأصغر عن الأكبر وأن الأشياء المختلفة والمتلفة والباطنة والظاهرة إنما تعرف بالحواس الخمس نظر العين وسمع الأذن وشم الأنف^(٤) وذوق الفم ولمس الجوارح ثم قاد منطقته على الأصل الذي وضعه فقال لم يقع شيء من حواسي على خالق يؤدي إلى قلبي إنكاراً لله تعالى.

ثم قال أخبرني بم تحتج في معرفة ربك الذي تصف قدرته وربوبيته وإنما يعرف القلب الأشياء كلها بالدلالات الخمس التي وصفت لك قلت بالعقل الذي في قلبي والدليل الذي احتج به في معرفته.

قال فأني يكون ما تقول وأنت تعرف أن القلب لا يعرف شيئاً بغير الحواس الخمس فهل عاينت ربك ببصر أو سمعت صوته بإذن أو شممته بنسيم أو ذقت بهق أو مسسته بيد فأدى ذلك المعرفة إلى قلبك قلت رأيت إذ أنكرت الله وجدته^(٥). لأنك زعمت أنك لا تحسه بحواسك التي تعرف بها الأشياء وأقررت أنا به هل بد من أن يكون أحدنا صادقاً والآخر كاذباً قال لا.

قلت: رأيت إن كان القول قولك فهل يخاف على شيء مما أخوفك به من عقاب الله قال لا. قلت: أفرأيت إن كان كما أقول والحق في يدي ألسنت قد أخذت فيما كنت أحاذر من عقاب الخالق بالثقة وأنت قد وقعت بجحودك وإنكارك في الهلكة قال بلى.

قلت: فأينا أولى بالحزم وأقرب من النجاة قال أنت إلا أنك من أمرك على ادعاء وشبهة وأنا على يقين وثقة لأنني لا أرى حواسي الخمس أدركتها وما لم تدركه حواسي فليس عندي بوجود.

قلت: إنه لما عجزت حواسك عن إدراك الله أنكركت وأنا لما عجزت حواسي عن إدراك الله تعالى صدقت به قال وكيف ذلك قلت لأن كل شيء جرى فيه أثر تركيب لجسم أو وقع عليه بصر للون فما أدركته الأبصار وناثه الحواس فهو غير الله سبحانه لأنه لا يشبهه الخلق وإن هذا الخلق ينتقل بتغيير وزوال وكل شيء أشبه التغيير والزوال فهو مثله وليس المخلوق كالخالق ولا المحدث كالمحدث.

شرح: قوله ﷺ والبلاء المحمود عند الخاصة والعامة أي النعمة التي يحمدها ويقربها الخاص والعالم لنا وهو العلم أو النعم التي شملت الخاص والعالم كما سيفصله ﷺ بعد ذلك قوله ﷺ ما أني

(١) بهر بهيره بهراً: قهره، وعلاه وغلبه وبهرت فلانة النساء: غلبتهن حسناً، وبهر القمر النجوم بهوراً: غمرها بضوته. لسان العرب ١: ٥١٥.

(٢) وفي نسخة: تأليف يبطل جوده.

(٣) وفي نسخة: أحتاج.

(٤) في (٥): «أذا أنكرت الله وجدته».

(٥) في (١): «وشم النسيم».

الجهال أي ما أتاهم الضرر والهلاك إلا من قبلهم قال الفيروز آبادي أني كعني أشرف عليه العدو (١) وقال الجزري في حديث أبي هريرة في العودي إني قلت أنبت أي ذهبت وتغير عليك حسك فتوهمت ما ليس بصحيح صحيحاً (٢) قوله ﷺ استحوذ الشيطان أي غلب واستولى قوله ﷺ وصنية أي إحسان وباحتمل أن يراد بها هنا الخلقة المصنوعة قوله ﷺ لجسم بفتح اللام أي البتة هو جسم وكذا قوله للون ويدل على أن التركيب الخارجي إنما يكون في الجسم وأن المبصر بالذات هو اللون قوله ﷺ أشبه التغير أي المتغير أو ذا التغير بتقدير مضاف.

متن: قال إن هذا القول و لكني لمنكر ما لم تدركه حواسي فتؤديه إلى قلبي فلما اعتصم بهذه المقالة و لزم هذه الحجة قلت ما إذا أبيت إلا أن تعصم بالجهالة و تجعل المحازرة حجة فقد دخلت في مثل ما عبت و امتثلت ما كرهت حيث قلت اني اخترت الدعوى لنفسى لأن كل شيء لم تدركه حواسي عندي بلا شيء.

قال: وكيف ذلك قلت لأنك نعمت علي الادعاء و دخلت فيه قاعدت أمرا لم تحط به خيرا و لم تقله علما فكيف استجرت لنفسك الدعوى في إنكارك الله و دفعك أعلام النبوة و الحجة الواضحة و عبتها علي أخبرني هل أخطت بالجهات كلها و بلغت منتهاها قال لا قلت فهل رقيت إلى السماء التي ترى أو أُنحدرت إلى الأرض السفلى فجلت في أقطارها(٣) أو هل خضت في غمرات البحور(٤) و اخترقت نواحي الهواء فيما فوق السماء و تحتها إلى الأرض و ما أسفل منها فوجدت ذلك خلاء من مديبر حكيم عالم بصير قال لا قلت فما يدريك لعل الذي أنكره قلبك هو في بعض ما لم تذكره حواسك و لم يحط به علمك.

قال: لا أدري لعل في بعض ما ذكرت مدبرا و ما أدري لعله ليس في شيء من ذلك شيء قلت أما إذ خرجت من حد الانكار إلى منزلة الشك فاني أرجو أن تخرج إلى المعرفة.

قال: فإنما دخل علي الشك لسؤالك إياي عما لم يحظ به علمي و لكن من أين يدخل علي اليقين بما لم تدره حواسي قلت من قبل أهليلجتك هذه.

قال: ذاك إذا أثبت للحجة لأنثما من آداب الطب الذي أذعن بمعرفته^(٥) قلت إنما أردت أن آتيك به من قبلها لأنثما أقرب الأشياء إليك و لو كان شيء أقرب إليك منها لأنثيك من قبله^(٦) لأن في كل شيء أثر تركيب و حكمة و شاهدا يدل على الصعوبة الدالة على من صنعها و لم تكن شيئاً و يهلكها حتى لا تكون شيئاً قلت فأخبرني هل ترى هذه اهليجة قال نعم.

قلت: أفترى غيب ما في جوفها قال لا قلت أفتشهد أنها مشتملة على نواة ولا تراها قال ما يديرني لعل ليس فيها شيء. قلت أفترى أن خلف هذا القشر من هذه الإهليلجة غائب لم تره من لحم أو ذي لون قال ما أدري لعل ما ثم غير ذي لون ولا لحم قلت أفترى أن هذه الإهليلجة التي تسميها الناس بالهند موجودة لاجتماع أهل الاختلاف من الأمم على ذكرها قال ما أدري لعل ما اجتماعوا عليه من ذلك باطل قلت أفترى أن الإهليلجة في أرض تنبت قال تلك الأرض وهذه واحدة وقد رأيتهما قلت أفما تشهد بحضور هذه الإهليلجة على وجود ما غاب من أشباهها قال ما أدري لعله ليس في الدنيا إهليلجة غيرها فلما اعتصم بالجهالة قلت أخبرني عن هذه الإهليلجة أترى أنها خرجت من شجرة أو تقول إنها هكذا وجدت قال لا بل من شجرة خرجت قلت فهل أدركت حواسك الخمس ما غاب عنك من تلك الشجرة قال لا قلت فما أراك إلا قد أفترت بوجود شجرة لم تدركها حواسك قال أجل ولكني أقول إن الإهليلجة والأشياء المختلفة^(٧) شيء لم تزل تدرك^(٨) فهل عندك في هذا شيء ترد به قلبي قلت نعم أخبرني عن هذه الإهليلجة هل كنت عاينت شجرتها وعرفتها قبل أن تكون هذه الإهليلجة فيها قال نعم قلت فهل كنت تعاین هذه الإهليلجة قال لا قلت فما تعلم أنك كنت عاينت الشجرة وليس فيها الإهليلجة ثم عدت إليها فوجدت فيها الإهليلجة أفما تعلم أنه قد حدث فيها ما لم تكن قال ما أستطيع أن أنكر ذلك ولكني أقول إنها كانت فيها متفرقة قلت فأخبرني هل رأيت تلك

(١) القاموس المحيط ٤: ٢٩٩.

(٢) النهاية ١ : ٢٢.

(٤) و في نسخة: هل غصت في غمرات البحور.

(٥) وفي نسخة: لأنها من أداة الطب الذي أدعى معرفته.

(۸) ف. «أ»: شيء لم ينال.

(۸) فی «أ»: شیء لم یزل.

الإلهيلجة التي تنبت منها شجرة هذه الإلهيلجة قبل أن تغرس قال نعم قلت فهل يحتمل عقلك أن الشجرة التي تبلغ أصلها و عروقها و فروعها و لحاؤها و كل ثمرة جنب و ورقة سقطت ألف ألف رطل كانت كامنة في هذه الإلهيلجة قال ما يحتمل هذا العقل ولا يقبله القلب قلت أفرت أنها حدثت في الشجرة قال نعم ولكني لا أعرف أنها مصنوعة فهل تقدر أن تقرني بذلك قلت نعم أرأيت أنني إن أريتك تدبيرا أنقر أن له مدبرا و تصورا أن له مصورا قال لا بد من ذلك.

قلت: أأست تعلم أن هذه الإلهيلجة لحم ركب على عظم فوضع في جوف متصل^(١) بغصن مركب على ساق يقوم على أصل فيقوى بعروق من تحتها على جرم متصل ببعض بعض قال بلى قلت أأست تعلم أن هذه الإلهيلجة مصورة بتقدير و تخطيط و تأليف و تركيب و تفصيل متداخل بتأليف شيء في بعض شيء به طبق بعد طبق و جسم على جسم و لون مع لون أبيض في صفة و لين على شديد^(٢) في طباع متفرقة و طرائق مختلفة و أجزاء مؤتلفة مع لحاء تسقيها و عروق يجري فيها الماء و ورق يسترها و تقيها من الشمس أن تحرقها و من البرد أن يهلكها و الريح أن تذبلها قال أفليس لو كان الورق مطبقا عليها كان خيرا لها قلت الله أحسن تقديرا لو كان كما تقول لم يصل إليها ريح يروحها و لا يبرد يشدها و لعفت عند ذلك و لو لم يصل إليها حر الشمس لما نضجت و لكن شمس مرة و ريح مرة و برد مرة قدر الله ذلك بقوة لطيفة و دبره بحكمة بالغة.

قال: حسبي من التصوير فسر لي التدبير الذي زعمت أنك ترينه قلت أرأيت الإلهيلجة قبل أن تعقد إذ هي في قمعها ماء بغير نواة و لا لحم و لا قشر و لا لون و لا طعم و لا شدة قال نعم قلت أرأيت لو لم يرق الخالق ذلك الماء الضعيف الذي هو مثل الخردلة في القلة و الذلة و لم يقوه بقوته و يصوره بحكمته و يقدره بقدرته هل كان ذلك الماء يزيد على أن يكون في قمعه غير مجموع بجسم و قمع و تفصيل فإن زاد ماء متراكبا غير مصور و لا مخطط و لا مدبر بزيادة أجزاء و لا تأليف أطباق قال قد أريتني من تصوير شجرتها و تأليف خلقتها و حمل ثمرتها و زيادة أجزائها و تفصيل تركيبها أوضح الدلالات و أظهر البينة على معرفة الصانع و لقد صدقت بأن الأشياء مصنوعة و لكني لا أدري لعل الإلهيلجة و الأشياء صنعت أنفسها قلت أو لست تعلم أن خالق الأشياء و الإلهيلجة حكيم عالم بما عاينته من قوة تدبيره قال بلى قلت فهل ينبغي للذي هو كذلك أن يكون حدثا قال لا قلت أفأست قد رأيت الإلهيلجة حين حدثت و عاينتها بعد أن لم تكن شيئا ثم هلك كأن لم تكن شيئا قال بلى و إنما أعطيتك أن الإلهيلجة حدثت و لم أعطك أن الصانع لا يكون حادثا لا يخلق نفسه قلت ألم تعطيني أن الحكيم الخالق لا يكون حدثا و زعمت أن الإلهيلجة حدثت فقد أعطيتني أن الإلهيلجة مصنوعة فهو عز و جل صانع الإلهيلجة و إن رجعت إلى أن تقول إن الإلهيلجة صنعت نفسها و دبرت خلقها فما زدت أن أفرت بما أنكرت و وصفت صانعا مدبرا أصبت صفته و لكنك لم تعرفه فسميته بغير اسمه قال كيف ذلك قلت لأنك أفرت بوجود حكيم لطيف مدبر فلما سألتك من هو قلت الإلهيلجة قد أفرت بالله سبحانه و لكنك سميته بغير اسمه و لو عقلت و فكرت لعلمت أن الإلهيلجة أنقص قوة من أن تخلق نفسها و أضعف حيلة من أن تدبر خلقها.

قال هل عندك غير هذا قلت نعم أخبرني عن هذه الإلهيلجة التي زعمت أنها صنعت نفسها و دبرت أمرها كيف صنعت نفسها صغيرة الخلقة صغيرة القدرة ناقصة القوة لا تتمتع أن تكسر و تعصر و تؤكل و كيف صنعت نفسها مفضولة مأكولة مرة قبيحة المنظر لا بهاء لها و لا ماء قال لأنها لم تقو إلا على ما صنعت نفسها أو لم تصنع إلا ما هويت قلت أما إذ أبيت إلا التماذي في الباطل فأعلمني متى خلقت نفسها و دبرت خلقها قبل أن تكون أو بعد أن كانت فإن زعمت أن الإلهيلجة خلقت نفسها بعد ما كانت فإن هذا لمن أبين المحال كيف تكون موجودة مصنوعة ثم تصنع نفسها مرة أخرى فيصير كلامك إلى أنها مصنوعة مرتين و لئن قلت إنها خلقت نفسها و دبرت خلقها قبل أن تكون إن هذا من أوضح الباطل و أبين الكذب لأنها قبل أن تكون ليس بشيء فكيف يخلق لا شيء شيئا و كيف تعيب قولي إن شيئا يصنع لا شيئا و لا تعيب قولك إن لا شيء يصنع لا شيئا فانظر أي القولين أولى بالحق قال قولك قلت فما يمنعك منه قال قد قبلته و استبان لي حقه و صدقه بأن الأشياء المختلفة و الإلهيلجة لم يصنعن أنفسهن و لم يدبرن خلقهن و لكنه تعرض لي أن الشجرة هي التي صنعت الإلهيلجة لأنها خرجت منها قلت فمن صنع الشجرة قال الإلهيلجة الأخرى

قلت اجعل لكلامك غاية انتهى إليها فإما أن تقول هو الله سبحانه فيقبل منك وإما أن تقول الإلهيلجة فنسألك.

قال: سل قلت أخبرني عن الإلهيلجة هل تنبت منها الشجرة إلا بعد ما ماتت وبلت وبادت قال لا قلت إن الشجرة بقيت بعد هلاك الإلهيلجة مائة سنة فمن كان يحميمها ويزيد فيها ويدر خلقها ويربيها وينبت ورقها ما لك بد من أن تقول هو الذي خلقها ولئن قلت الإلهيلجة وهي حية قبل أن تهلك وتبلى وتصير ترابا وقد ربت الشجرة وهي ميتة إن هذا القول مختلف قال لا أقول ذلك قلت أفتر بأن الله خلق الخلق أم قد بقي في نفسك شيء من ذلك قال إني من ذلك على حد وقوف ما أتخلص إلى أمر ينفذ لي فيه الأمر قلت أما إذ أبيت إلا الجهالة وزعمت أن الأشياء لا يدرك إلا بالحواس فإني أخبرك أنه ليس للحواس دلالة على الأشياء ولا فيها معرفة إلا بالقلب فإنه دليلها ومعرفها الأشياء التي تدعي أن القلب لا يعرفها إلا بها.

شرح: قوله ﷺ وامثلت قال الفيروز آبادي امثلت طريقته تبعها فلم يعدها^(١) قوله نعمت علي أي عبت وكرهت قوله من لحم قال الفيروز آبادي لحم كل شيء له^(٢) قوله تلك الأرض أي أشار إلى الأرض وقال أفر بوجود هذه الأرض التي أرى والإلهيلجة الواحدة التي في يدي قوله كانت فيها متفرقة لعله اختار مذهب أنكساغورس ومن تبعه من الدهرية القائلين بالكمون والبروز وأن كل شيء كامن ويومئ إليه جوابه قوله ﷺ في قمعها قال الفيروز آبادي القمع محركة بشرة تخرج في أصول الأشعار وقال القمع بالفتح والكسر وكعب ما الترق بأسفل التمرة والبسرة ونحوهما انتهى^(٣) وعلى التقديرين استعير لما يبدو من الإلهيلجة ابتداء في شجرها من القشرة الرقيقة الصغيرة التي فيها ماء والأول أبلغ قوله ﷺ غير مجموع بجسم أي هل كان يزيد بغير أن يضم إليه جسم آخر من خارج أو قمع آخر مثله أو بغير قمعه أي قلعه وتفصيله أي تفريقه ليدخل فيه شيء أو يضم إلى شيء قوله ﷺ فإن زاد أي فإن سلم أنه كان يمكن أن يزيد بطبيعته بغير ما ذكر كانت زيادته ماء متراكبا بعضه فوق بعض فقط كما كان أولا لا يتخلط وتصور وتديير وتأليف إذ يحكم العقل بدبيته أن مثل تلك الأفاعيل المختلفة المنطبقة على قانون الحكمة لا تصدر عن طبيعة عادمة للشعور والإرادة قوله ﷺ فهل ينبغي إشارة إلى ما يحكم به الوجدان من أن من كان على هذا المبلغ من العلم والحكمة والتدبير لا يكون ممكنا محدثا محتاجا في العلم وسائر الأمور إلى غيره إلا أن يفيض عليه من العالم بالذات وهو إقرار بالصانع قوله ولم أعطك غفل الهندي عما كان يلزم من اعترافه قوله ﷺ وإن رجعت أي إن قلت إن الصانع القديم الحكيم هو طبيعة الإلهيلجة صنعت هذا الشخص منها فقد أقررت بالصانع وسميته الطبيعة إذ هي غير حكيم ولا ذات إرادة فقد أقررت بالصانع وأخطأت في التسمية أو المراد أنك بعد الاعتراف بالخالق الحكيم القديم لو قلت إنه هذه الإلهيلجة فقد أقررت بما أنكرت أي نقضت قولك الأول وقلت بالتقيضين ولا يحمل لتصحيحه إلا أن تقول سميت ما أقررت به بهذا الاسم وهذا لا يضرنا بعد ما تبسّر لنا من إقرارك ويحتمل أن يكون هذا كلاما على سبيل الاستظهار في المجادلة أي إن تنزلنا عما أقررت به من قدم الحكيم وحدث الإلهيلجة يكفينا إقرارك بكون الخالق حكيما إذ معلوم أنها ليست كذلك فقد سميت الصانع الحكيم بهذا الاسم قوله ﷺ مفضولة إذ ظاهر أن كثيرا من المخلوقات أفضل وأشرف منها قوله ﷺ هو الذي خلقها أي لا بد أن يكون مربيا هو خالقها فإن قلت إن الخالق والمربي واحد وهي الإلهيلجة خلقت عند كونها حية وربت بعد موتها فالقول مختلف إذ خلقها تدريجي وعند خلق أي مقدار من الشجرة لا بد من انقلاب بعضها شجرة فلم تكن الإلهيلجة باقية بعد تمام خلق ذلك المقدار والخلق والتربية مزوجان لا يصلح القول بكونها حية عند أحدهما ميتة عند الآخر ويحتمل أن يكون المراد أن القول بأن الخالق والمربي واحد والقول بأن الإلهيلجة بعد موتها ربت متنافيان لأن موتها عبارة عن استحالتها بشيء آخر فالمربي شيء آخر سوى الإلهيلجة وفي بعض النسخ وقد رأيت الشجرة قوله.

١٦٠

ما أنتخلص أي ما أصل إلى أمر يجري فيه أمري أي حكمي و يمكنني أن أحكم بصحته ثم لما علم ^{١٦١} أن سبب توقفه اقتضاره على حكم الحواس بين ^{١٦٢} أن الحواس داخلية تحت حكم العقل و لا بد من الرجوع إلى العقل في معرفة الأشياء.

متن: فقال أما إذ نطق بهذا فما أقبل منك إلا بالتخليص و التفحص منه ^(١) بإيضاح و بيان و حجة و برهان قلت فأول ما أبدأ به أنك تعلم أنه ربما ذهب الحواس أو بعضها و دبر القلب الأشياء التي فيها المصرة و المنفعة من الأمور العلانية و الخفية فأمر بها و نهى فنفذ فيها أمره و صح فيها قضاؤه.

قال: إنك تقول في هذا قولاً يشبه الحجة و لكني أحب أن توضحه لي غير هذا الإيضاح قلت أأست تعلم أن القلب يبقى بعد ذهاب الحواس قال نعم و لكن يبقى بغير دليل على الأشياء التي تدل عليها الحواس قلت أفأست تعلم أن الطفل تضعه أمه مضغة ليس تدله الحواس على شيء يسمع و لا يبصر و لا يذاق و لا يلمس و لا يشم قال بلى قلت فأية الحواس دلته على طلب اللبن إذا جاع و الضحك بعد البكاء إذا روي من اللبن و أي حواس سباع الطير و لاقط الحب منها دلها على أن تلقى بين أفرأخا اللحم و الحب فتتهوى سباعها إلى اللحم و الآخرون إلى الحب و أخبرني عن فراخ طير الماء أأست تعلم أن فراخ طير الماء إذا طرحت فيه سبحت و إذا طرحت فيه فراخ طير البر غرقت و الحواس واحدة فكيف انتفع بالحواس طير الماء و أعانته على السباحة و لم تنتفع طير البر في الماء بحواسها و ما بال طير البر إذا غمستها في الماء ساعة ماتت و إذا أمسكت طير الماء عن الماء ساعة ماتت فلا أرى الحواس في هذا إلا منكسراً عليك و لا ينبغي ذلك أن يكون إلا من مدبر حكيم جعل للماء خلقاً و للبر خلقاً.

أما أخبرني ما بال الذرة التي لا تعين الماء قط تطرح في الماء فتسحق و تلقى الإنسان ابن خمسين سنة من أقوى الرجال و أعقلهم لم يتعلم السباحة فيغرق كيف لم يدلّه عقله و لبه و تجاربه و بصره بالأشياء مع اجتماع حواسه و صحتها أن يدرك ذلك بحواسه كما أدركته الذرة إن كان ذلك إنما يدرك بالحواس أفليس ينبغي لك أن تعلم أن القلب ^{١٦٢} الذي هو معدن العقل في الصبي الذي وصفت و غيره مما سمعت من الحيوان هو الذي يهيج الصبي إلى طلب الرضاع و الطير اللاقط على لقط الحب و السباع على ابتلاع اللحم؟

قال: لست أجد القلب يعلم شيئاً إلا بالحواس قلت أما إذ أبيت إلا التزوع إلى الحواس فإنا لنقبل نزوعك إليها بعد رفضك لها و نجيبك في الحواس حتى يتقرر عندك أنها لا تعرف من سائر الأشياء إلا الظاهر مما هو دون الرب الأعلى سبحانه و تعالى فأما ما يخفى و لا يظهر فليست تعرفه و ذلك أن خالق الحواس جعل لها قلباً احتج به على العباد و جعل للحواس الدلالات على الظاهر الذي يستدل بها على الخالق سبحانه فنظرت العين إلى خلق متصل ببعضه ببعض فدلّت القلب على ما عاينت و تفكر القلب حين دلته العين على ما عاينت من ملكوت السماء و ارتفاعها في الهواء بغير عمد يرى و لا دعائم تمسكها لا تؤخر مرة فتتكشط و لا تقدم أخرى فتزول و لا تهبط مرة فتدنو و لا ترتفع أخرى فتأني ^(٢) لا تتغير لطول الأمد و لا تخلق لاختلاف الليالي و الأيام و لا تتداعى منها ناحية و لا ينهار منها طرف مع ما عاينت من النجوم الجارية السبعة المختلفة بمسيرها لدوران الفلك و تنقلها في البروج يوماً بعد يوم و شهراً بعد شهر و سنة بعد سنة منها السريع و منها البطيء و منها المعتدل السير ثم رجوعها و استقامتها و أخذها عرضاً و طولاً و خنوسها عند الشمس و هي مشرقة و ظهورها إذا غربت و جرى الشمس و القمر في البروج دائبين لا يتغيران في أزمنتها و أوقاتها يعرف ذلك من يعرف بحساب موضوع و أمر معلوم بحكمة يعرف ذوو الألباب أنها ليست من حكمة الإنس و لا تفتيش الأوهام و لا تقليد التفكير فعرف القلب حين دلته العين على ما عاينت أن لذلك الخلق و التدبير و الأمر العجيب صانعاً يمسك السماء المنطقية أن تهوي إلى الأرض و أن الذي جعل الشمس و النجوم فيها خالق السماء ثم نظرت العين إلى ما استقلها من الأرض فدلّت القلب على ما عاينت فعرف القلب بعقله أن ممسك الأرض الممتدة ^(٣) أن تزول أو تهوي في الهواء و هو يرى الريشة يرمى بها فتسقط مكانها و هي في الخفة على ما هي عليه هو الذي يمسك السماء التي فوقها و إنه لو لا ذلك لخسفت بما عليها من ثقلها و ثقل الجبال و الأنعام

(٢) و في نسخة: فتأني فلا تری.

(١) في «أ» و التفحص منه.

(٣) و في نسخة: أن ممسك الأرض الممهده.

والأشجار والبحور والرمال فعرق القلب بدلالة العين أن مدبر الأرض هو مدبر السماء ثم سمعت الأذن صوت الرياح الشديدة العاصفة واللبنة الطيبة وعانت العين ما يقطع من عظام الشجر ويهدم من وثيق البنيان وتسفى^(١) من ثقال الرمال تخلي منها ناحية وتصبها في أخرى بلا سائق تبصره العين ولا تسمعه الأذن ولا يدرك بشيء من الحواس وليست مجسدة تلمس ولا محدودة تعين فلم تزد العين والأذن وسائر الحواس على أن دلت القلب أن لها صانعا وذلك أن القلب يفكر بالعقل الذي فيه فيعرف أن الريح لم تتحرك من تلقائها وأنها لو كانت هي المتحركة لم تكف عن التحرك ولم تهدم طائفة وتعفى أخرى ولم تقلع شجرة وتدع أخرى إلى جنبها ولم تصب أرضا وتصرف عن أخرى فلما تفكر القلب في أمر الريح علم أن لها محركا هو الذي يسوقها حيث يشاء ويسكنها إذا شاء ويصيب بها من يشاء ويصرفها عن من يشاء فلما نظر القلب إلى ذلك وجدها متصلة بالسماء وما فيها من الآيات فعرق أن المدبر القادر على أن يمسك الأرض والسماء هو خالق الريح ومحركها إذا شاء وممسكها كيف شاء ومسلطها على من يشاء وكذلك دلت العين والأذن القلب على هذه الزلزلة وعرف ذلك بغيرهما من حواسه حين حركته فلما دل الحواس على تحريك هذا الخلق العظيم من الأرض في غلظها ونقلها وطولها وعرضها وما عليها من ثقل الجبال والمياه والأنام وغير ذلك وإنما تتحرك في ناحية ولم تتحرك في ناحية أخرى^(٢) وهي ملتحمة جسدا واحدا وخلقها متصلا بلا فصل ولا وصل تهدم ناحية وتخسف بها وتسلم أخرى فعندها عرف القلب أن محرك ما حرك منها هو ممسك ما أمسك منها وهو محرك الريح وممسكها وهو مدبر السماء والأرض وما بينهما وإن الأرض لو كانت هي المزلزلة لنفسها لما تزلزلت ولما تحركت ولكنه الذي دبرها وخلقها حرك منها ما شاء ثم نظرت العين إلى العظيم من الآيات من السحاب المسخر بين السماء والأرض بمنزلة الدخان لا جسد له يلمس بشيء من الأرض والجبال يتخلل الشجرة فلا يحرك منها شيئا ولا يهضر منها غصنا ولا يعلق منها بشيء يعترض الركبان فيحول بعضهم من بعض من ظلمته وكثافته^(٣) ويحتمل من ثقل الماء وكثرته ما لا يقدر على صفته مع ما فيه من الصواعق الصادعة والبروق اللامعة والرعد والتلج والبرد والجليد ما لا تبلغ الأوهام صفته ولا تهتدي القلوب إلى كنه عجائبه فيخرج مستقلا في الهواء يجتمع بعد تفرقه^(٤) ويلتحم بعد تزايله تفرقه الرياح^(٥) من الجهات كلها إلى حيث تسوقه بإذن الله ربها يسفل مرة ويعلو أخرى متمسك بما فيه من الماء الكثير الذي إذا أُرْجَاهُ^(٦) صارت منه البحور يمر على الأراضي الكثيرة والبلدان المتناحية لا تنقص منه نقطة^(٧) حتى ينتهي إلى ما لا يحصى من الفراسخ فيرسل ما فيه قطرة بعد قطرة وسيل بعد سيل متتابع على رسله حتى ينقع البرك وتمتلئ الفجاج وتعلي الأودية بالسيل كأمثال الجبال غاصة بسيلوها مصمخة الآذان لدويها وهديرها^(٨) فتحيها بها الأرض الميتة فتصبح مخضرة بعد أن كانت مغبرة ومعشبة بعد أن كانت مجدبة قد كسيت ألوانا من نبات عشب ناضرة زاهرة مزينة معاشا للناس والأنعام فإذا أفرغ الغمام ماءه أقلع وتفرق وذهب حيث لا يعاين ولا يدرى أين توارى فأدت العين ذلك إلى القلب فعرق القلب أن ذلك السحاب لو كان بغير مدبر وكان ما وصفت من تلقاء نفسه ما احتمل نصف ذلك من الثقل من الماء وإن كان هو الذي يرسله لما احتمله ألفي فرسخ أو أكثر ولأرسله فيما هو أقرب من ذلك ولما أرسله قطرة بعد قطرة بل كان يرسله إرسالا فكان يهدم البنيان ويفسد النبات ولما جاز إلى بلد وترك آخر دونه فعرق القلب بأعلام المنيرة الواضحة أن مدبر الأمور واحد وأنه لو كان اثنين أو ثلاثة لكان في طول هذه الأزمنة والأبد والدهر اختلاف في التدبير وتناقض في الأمور ولتأخر بعض وتقدم بعض ولكان تسفل بعض ما قد علا ولعل بعض ما قد سفل ولطلع شيء وغاب فتأخر عن وقته أو تقدم ما قبله فعرق القلب بذلك أن مدبر الأشياء ما غاب منها وما ظهر هو الله الأول خالق السماء وممسكها وفارش الأرض وداحيها وصانع ما بين ذلك مما عدنا وغير ذلك مما لم يحص.

(١) أصل السف: ما يطير من غبار الدقيق إذا نخل والتراب إذا نثر. مجمع البحرين ٥: ٧١.

(٢) وفي نسخة: وإنما تحرك ناحية وتمسك عن أخرى. (٣) وفي نسخة: فيحول بين بعضهم وبين بعض من ظلمته وكثافته.

(٤) وفي نسخة: يتفجر بعد تمسكه.

(٥) وفي نسخة: دفع الشيء، كما تزجي البقرة ولدها أي تسوفه. ويقال: أزعجت الشيء، أي دافعت بقليله، وزجيت الشيء: دفعته يرفق. لسان العرب ٦: ٢٣ - ٢٤.

(٦) وفي نسخة: لا تنظر منه قطرة.

(٨) وفي نسخة: ومصممة الآذان لدويها وهديرها.

وكذلك عاينت العين اختلاف الليل والنهار دائنين جديدين لا يبيلان في طول كرههما ولا يستغيران لكثرة اختلافهما ولا ينقصان عن حالهما النهار في نوره وضيائه والليل في سواده وظلمته يلج أحدهما في الآخر حتى ينتهي كل واحد منهما إلى غاية محدودة معروفة في الطول والقصر على مرتبة واحدة ومجرى واحد مع سكون من يسكن في الليل وانتشار من ينتشر في الليل وانتشار من ينتشر في النهار وسكون من يسكن في النهار ثم الحر والبرد وحلول أحدهما بعقب الآخر حتى يكون الحر بردا والبر حرا في وقته وإبانة فكل هذا مما يستدل به القلب على الرب سبحانه وتعالى فعرف القلب بعقله أن مدبر هذه الأشياء هو الواحد العزيز الحكيم الذي لم يزل ولا يزال وأنه لو كان في السماوات والأرضين آلهة معه سبحانه لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلفسد كل واحد منهم على صاحبه.

وكذلك سمعت الأذن ما أنزل المدير من الكتب تصديقا لما أدركته القلوب بعقولها وتوفيق الله إياها وما قاله من عرفه كنه معرفته بلا ولد ولا صاحبة ولا شريك فأدت الأذن ما سمعت من اللسان بمقالة الأنبياء إلى القلب.

شرح: قوله ﷺ ربما ذهب الحواس إما بالنوم كما سيأتي أو بآفة فإن العقل لا محالة يذله على أن يشير إلى بعض ما يصلحه ويطلب ما يقيمه بأي وجه كان على أن ذهاب الحواس الخمس لا ينافي بقاء النطق قوله ﷺ إلا النزوع إلى الحواس أي الاشتياق إليها والحاصل أننا نوافقك ونستدل لك بما تدل عليه الحواس وإن كنت رفضتها وتركتها وسلمت فيما مضى كونها معزولة عن بعض الأشياء فنقول إن حكم العقل بوجود الصانع إنما هو من جهة ما دلته الحواس عليه مما نشاهده من آثار صنعه تعالى قوله ﷺ فننكشط الانكشاف والافتقار وقوله تعالى ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾^(١) أي قلعت كما يقلع السقف ولعل المراد بالتأخر تأخر ما يحاذي رءوسنا بحيث يرى ما وراءه وبالتقدم أن يتحرك جميعها حركة أينية حتى يخرج من بينها ويحتل أن يكون المراد فيها معاً أمّا الأول أو الثاني ويكون التعبير عن أحدهما بالانكشاف وعن الآخر بالزوال لمحض تفنن العبارة وعلى التقادير المراد بالزوال الزوال عنا وعن محاذاتنا قوله ﷺ ولا يتداعى قال الجوهري تداعت الحيطان للخراب أي تهدمت^(٢) وقال انهيار أي انهدم^(٣) قوله ﷺ ثم رجوعها إشارة إلى ما يعرض للمتحرية من الرجعة والاستقامة والإقامة وقوله ﷺ وأخذها عرضاً وطولاً إشارة إلى كونها تارة عن جنوب المعدل وتارة عن شمالها وكون بعضها تارة عن جنوب منطقة البروج وتارة عن شمالها وإلى حركة المائل^(٤) في السفليين وعرض الوراب والانحراف والاستواء فيها^(٥) وإلى ميل الذورة والحضيض في المتحرية وخنوسها غيبتها واستئثارها تحت شعاع الشمس قوله ﷺ المنطقية أي المحيطة بجميع الخلق وفي بعض النسخ المظلة واستقلها أي حملها ورفعها قوله ﷺ متصلة بالسما أي داخله في ذلك النظام شبيهة بها فيه قوله ﷺ يلمس بشيء لعل المراد الاصطكاك الذي يحصل منه صوت وفي بعض النسخ كشيء ويحتل أن يكون تصحيف يشبه بشيء وقال الفيروز آبادي الهصر الجذب والإمالة والكسر والدفع والإدناء وعطف شيء رطب كغصن ونحوه وكسره من غير بينونة^(٦) وقال الجليلد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد انتهى^(٧) وقوله ﷺ أزجأه أي دفعه والرسل بالكسر التآني والرفق وبتنق بآلاء على المعلوم أو بالتاء على المجهول والبرك كعنب جمع بركة وهي معروفة والفجاج بالضم الطريق الواسع بين جبلين وبالكسر جمع الفج بمعناه والاعتلاء الارتفاع وقوله ﷺ غاصة أي ممتلئة والمصخرة لعلها مشتقة من الصماخ أي تؤدي الصماخ والأظهر مصممة قوله ﷺ من نبات بالإضافة على أن يكون مصدراً أو بالتثنية ليكون عشب بدل بعض له والإقلاع عن الأمر الكف عنه والكر الرجوع قوله ﷺ مع سكون من يسكن في الليل أي جمل في معظم المعمورة طول كل منهما وقصره على

١٦٦
٣

١٦٧
٣

(١) التكوين: ١١. (٢) الصحاح: ٢٣٣٧. (٣) الصحاح: ٨٥٦. (٤) في «ا» وتارة عن شمالها، وإلى حركة المائل. (٥) في نسخة: وعرض الوراب والانحراف والاتواء فيها. (٦) القاموس المحيط ٢: ١٦٧. (٧) القاموس المحيط ١: ٢٩٤.

حد محدود لا يتجاوزه لئلا تفوت مصلحة كل منهما من السكون في الليل والانتشار في النهار و
يحتمل أن يكون إشارة إلى أصل الحكمة في حصول الليل والنهار قوله ﷺ وانتشار من ينتشر في
الليل كالخفاش والبوضة و سائر ما ينتشر في الليل من الهوام والخالخاف والمساfer الذي تصلحه
حركة الليل قوله إذا ذُهب أي لو كان معه آلهة كما يقولون لذهب كل إله منهم بما خلقه واستبد به و
امتاز ملكه عن ملك الآخرين و وقع بينهم التجاذب والتغالب كما هو حال ملوك الدنيا إذ يستحيل
كونهما واجبين كاملين وهذا شأن الناقص و يحتمل أن يكون الغرض نفي الآلهة الناقصة الممكنة
التي جعلوها شريكا للواجب تعالى شأنه وسيأتي الكلام فيه في باب التوحيد و في بعض النسخ
هكذا و لعل بعضهم على بعض و لأفسد كل واحد منهم على صاحبه وكذلك سمعت الأذن ما أنزل
الله من كتبه على ألسن أنبيائه تصديقا لما أدركنه العقول بتوفيق الله إياها و عون لها إذا أرادت ما
عنده أنه الأول لا شبيه له و لا مثل له و لا ضد له و لا تحيط به العيون و لا تدركه الأوهام كيف هو
لأنه لا كيف له و إنما الكيف للمكيف المخلوق المحدود المحدث غير أنا نؤمن أنه معروف بخلقه
موجود بصنعه فتبارك الله و تعالى اسمه لا شريك له فعرف القلب بعقله أنه لو كان معه شريك كان
ضيفا ناقصا و لو كان ناقصا ما خلق الإنسان و لاختلفت التدابير و انتقضت الأمور مع النقص الذي
يوصف به الأرباب المتفردون و الشركاء المتعانتون قال قد أتيتني.

متن: فقال قد أتيتني من أبواب لطيفة بما لم يأتني به أحد غيرك إلا أنه لا يمنعني من ترك ما في يدي إلا الإيضاح
و الحجة القوية بما وصفت لي و فسرت قلت أما إذا حجبت عن الجواب^(١) و اختلف منك المقال فسيأتيك من الدلالة
من قبل نفسك خاصة ما يستبين لك أن الحواس لا تعرف شيئا إلا بالقلب فهل رأيت في المنام أنك تأكل و تشرب
حتى وصلت لذة ذلك إلى قلبك قال نعم قلت فهل رأيت أنك تضحك و تبكي و تجول في البلدان التي لم ترها و التي
قد رأيتها حتى تعلم معالم ما رأيت منها قال نعم ما لا أحصي قلت هل رأيت أحدا من أقاربك من أخ أو أب أو ذي
رحم قد مات قبل ذلك حتى تعلمه و تعرفه كمعرفتك إياه قبل أن يموت قال أكثر من الكثير قلت فأخبرني أي حواسك
أدرك هذه الأشياء في منامك حتى دلت قلبك على معاينة الموتى و كلامهم و أكل طعامهم و الجولان في البلدان و
الضحك و البكاء و غير ذلك قال ما أقدر أن أقول لك أي حواسي أدرك ذلك أو شيئا منه و كيف تدرك و هي بمنزلة
الميت لا تسمع و لا تبصر قلت فأخبرني حيث استيقظت أُلست قد ذكرت الذي رأيت في منامك تحفظه و تقصه بعد
يقظك على إخوانك لا تنسى منه حرفا قال إنه كما تقول و ربما رأيت الشيء في منامي ثم أمسي حتى أراه في
يقظتي كما رأيت في منامي قلت فأخبرني أي حواسك قررت علم ذلك في قلبك حتى ذكرته بعد ما استيقظت قال إن
هذا الأمر ما دخلت فيه الحواس قلت أفليس ينبغي لك أن تعلم حيث بطلت الحواس في هذا أن الذي عاين تلك
الأشياء و حفظها في منامك قلبك الذي جعل الله فيه العقل الذي احتج به على العباد قال إن الذي رأيت في منامي
ليس بشيء إنما هو بمنزلة السراب الذي يعاينه صاحبه و ينظر إليه لا يشك فيه أنه ماء فإذا انتهى إلى مكانه لم يجده
شيئا فما رأيت في منامي فبهذه المنزلة!

قلت: ^(٢) كيف شبهت السراب بما رأيت في منامك من أكلك الطعام الحلو و الحامض و ما رأيت من الفرح و
الحزن قال لأن السراب حيث انتهيت إلى موضعه صار لا شيء و كذلك صار ما رأيت في منامي حين انتهيت قلت
فأخبرني إن أتيك بأمر وجدت لذته في منامك و خفق لذلك قلبك أُلست تعلم أن الأمر على ما وصفت لك؟ قال: بلى.
قلت: فأخبرني هل احتملت قط حتى قضيت في امرأة نهمتك عرفتها أم لم تعرفها قال بلى ما لا أحصيه قلت أُلست
وجدت لذلك لذة على قدر لذتك في يقظك فتنتبه و قد أنزلت الشهوة حتى تخرج منك بقدر ما تخرج منك في اليقظة
هذا كسر لحجبتك في السراب قال ما يرى المحتلم في منامه شيئا إلا ما كانت. حواسه دلت عليه في اليقظة قلت ما
زدت على أن قويت مقاتلي و زعمت أن القلب يعقل الأشياء و يعرفها بعد ذهاب الحواس و موتها فكيف أنكرت أن
القلب يعرف الأشياء و هو يقظان مجتمعة له حواسه و ما الذي عرفه إياها بعد موت الحواس و هو لا يسمع و لا يبصر

و لكننت حقيقاً أن لا تنكر له المعرفة و حواسه حية مجتمعة إذا أقررت أنه ينظر إلى المرأة بعد ذهاب حواسه حتى نكحها و أصاب لذته منها فينبغي لمن يعقل حيث وصف القلب بما وصفه به من معرفته بالأشياء و الحواس ذاهية أن يعرف أن القلب مدبر الحواس و مالکها و راسها و القاضي عليها فإنه ما جهل الإنسان من شيء فما يجهل أن اليد لا تقدر على العين أن تغلقها و لا على اللسان أن تقطعه و أنه ليس يقدر شيء من الحواس أن يفعل بشيء من الجسد شيئاً بغير إذن القلب و دلالاته و تدبيره لأن الله تبارك و تعالی جعل القلب مدبراً للجسد به يسمع و به يبصر و هو القاضي و الأمير عليه و لا يتقدم الجسد إن هو تأخر و لا يتأخر إن هو تقدم و به سمعت الحواس و أبصرت إن أمرها انتشرت و إن نهاها انتهت و به ينزل الفرح و الحزن و به ينزل الأمل إن فسد شيء من الحواس بقي على حاله و إن فسد القلب ذهب جميعاً حتى لا يسمع و لا يبصر.

قال: لقد كنت أظنك لا تتخلص من هذه المسألة و قد جئت بشيء لا أقدر على رده قلت و أنا أعطيك تصاديق ما أنبأتك به و ما رأيت في منامك في مجلسك الساعة قال أفعل فإني قد تحيرت في هذه المسألة قلت أخبرني هل تحدث نفسك من تجارة أو صناعة أو بناء أو تقدير شيء و تأمر به إذا أحكمت تقديره في ظنك قال نعم قلت فهل أشركت قلبك في ذلك الفكر شيئاً من حواسك قال لا قلت أفلا تعلم أن الذي أخبرك به قلبك حق قال اليقين هو فزدي ما يذهب الشك عني و يزيل الشبه من قلبي.

شرح: خفق القلب اضطرابه و النهمة بلوغ الهمة في الشيء و التهم بالتحريك إفراط الشهوة في الطعام أقول قد عرفت أن القلب يطلق في مصطلح الأخبار على النفس الناطقة و لما كان السائل منكراً لإدراك ما سوى الحواس الظاهرة نهى عليه السلام على خطئه بمدركات الحواس الباطنة التي هي آلات النفس.

أقول: ذكر السيد بن طاووس قدس الله روحه في كتاب النجوم من هذه الرسالة جملة ليست فيما عندنا من النسخ فلنذكرها.

١٧٠
٣

قلت: أخبرني هل يعرف أهل بلادك علم النجوم قال إنك لغافل عن علم أهل بلادك بالنجوم قلت و ما بلغ من علمهم بها فقال إنا نخبرك عن علمهم بخصلتين تكفي بهما عما سواهما قلت فأخبرني و لا تخبرني إلا بحق قال بديني لا أخبرك إلا بحق و بما عانيت قلت هات.

قال: أما إحدى الخصلتين فإن ملوك الهند لا يتخذون إلا الخصيان قلت و لم ذاك قال لأن لكل رجل منهم منجماً حساباً فإذا أصبح أتى باب الملك فقااس الشمس و حسب فأخبره بما يحدث في يومه ذلك و ما حدث في ليلته التي كان فيها فإن كانت امرأة من نسائه قارفت شيئاً يكرهه أخبره فقال فلان قارف كذا و كذا مع فلانة و يحدث في هذا اليوم كذا و كذا.

قلت: فأخبرني عن الخصلة الأخرى قال قوم بالهند بمنزلة الخناقين عندكم يقتلون الناس بلا سلاح و لا خنق و يأخذون أموالهم قلت و كيف يكون هذا قال يخرجون مع الرفقة و التجار بقدر ما فيها من الرجال فيمشون معهم أياماً ليس معهم سلاح و يحدثون الرجال و يحسبون حساب كل رجل من التجار فإذا عرف أجمعهم موضع النفس من صاحبه و كز كل واحد منهم صاحبه الذي حسب به في ذلك الموضع فيقع جميع التجار موتى قلت إن هذا أرفع من الباب الأول إن كان ما تقول حقاً قال أحلف لك بديني أنه حق و لربما رأيت ببلاد الهند قد أخذ بعضهم و أمر بقتله. قلت: فأخبرني كيف كان هذا حتى اطلعوا عليه قال بحساب النجوم قلت فما سمعت كهذا علماً قط و ما أشك أن واضعه الحكيم العليم فأخبرني من وضع هذا العلم الدقيق الذي لا يدرك بالحواس و لا بالعقول و لا بالفكر قال حساب النجوم وضعته الحكماء و توارثه الناس.^(١)

متن: قلت: أخبرني هل يعلم أهل بلادك علم النجوم قال إنك لغافل عن علم أهل بلادك بالنجوم فليس أحد أعلم بذلك منهم قلت أخبرني كيف وقع علمهم بالنجوم و هي مما لا يدرك بالحواس و لا بالفكر قال حساب وضعته

١٧١
٣

(١) ترج المهوم في تأريخ علماء النجوم: ١١ - ١٢ و الكلام المنقول في تغيرات لفظية عدة إلا أنها غير مخلة بالمعنى.

الحكماء و توارثته الناس فإذا سألت الرجل منهم عن شيء قاس الشمس ونظر في منازل الشمس والقمر وما للطالع من النحوس وما للباطن من السعود ثم يحسب ولا يخطئ ويحمل إليه المولد فيحسب له ويخبر بكل علامة فيه بغير معاينة و ما هو مصيبة^(١) إلى يوم يموت قلت كيف دخل الحساب في مواليد الناس قال لأن جميع الناس إنما يولدون بهذه النجوم و لو لا ذلك لم يستقم هذا الحساب فمن ثم لا يخطئ إذا علم الساعة واليوم والشهر والسنة التي يولد فيها المولد قلت لقد توصفت علماً عجيباً^(٢) ليس في علم الدنيا أدق منه و لا أعظم إن كان حقاً كما ذكرت يعرف به المولد الصبي و ما فيه من العلامات و منتهى أجله و ما يصيبه في حياته أو ليس هذا حساباً تولد به جميع أهل الدنيا من كان من الناس قال لا أشك فيه قلت فعال نظربقولنا كيف علم الناس هذا العلم و هل يستقيم أن يكون لبعض الناس إذا كان جميع الناس يولدون بهذه النجوم و كيف عرفها بسعودها و نحوسها و ساعاتها و أوقاتها و دقائقها و درجاتها و بطيئها و سريعها و مواضعها من السماء و مواضعها تحت الأرض و دلالتها على غامض هذه الأشياء التي وصفت في السماء و ما تحت الأرض فقد عرفت أن بعض هذه البروج في السماء و بعضها تحت الأرض و كذلك النجوم السبعة منها تحت الأرض و منها في السماء فما يقبل عقلي أن مخلوقاً من أهل الأرض قدر على هذا قال و ما أنكرت من هذا قلت إنك زعمت أن جميع أهل الأرض إنما يتولدون بهذه النجوم فأرى الحكيم الذي وضع هذا الحساب بزعمك من بعض أهل الدنيا و لا شك إن كنت صادقاً أنه ولد ببعض هذه النجوم و الساعات و الحساب الذي كان قبله إلا أن تزعم أن ذلك الحكيم لم يولد بهذه النجوم كما ولد سائر الناس قال و هل هذا الحكيم إلا كسائر الناس قلت أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أنها قد خلقت قبل هذا الحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا الحساب و قد زعمت أنه ولد ببعض هذه النجوم قال بلى.

قلت: فكيف اهتدى لوضع هذه النجوم و هل هذا العلم إلا من معلم كان قبلهما و هو الذي أسس هذا الحساب الذي زعمت أنه أساس المولود و الأساس أقدم من المولود و الحكيم الذي زعمت أنه وضع هذا إنما يتبع أمر معلم هو أقدم منه و هو الذي خلقه مولوداً ببعض هذه النجوم^(٣) و هو الذي أسس هذه البروج التي ولد بها غيره من الناس فواضع الأساس ينبغي أن يكون أقدم منها هب إن هذا الحكيم عمر مذ كانت الدنيا عشرة أضعاف هل كان نظره في هذه النجوم إلا كنظرك إليها معلقة في السماء أو تراه كان قادراً على الدنو منها و هي في السماء حتى يعرف منازلها و مجاريها ونحوسها و سعودها و دقائقها و بايتها تكسف الشمس والقمر و بايتها يولد كل مولود و أيها السعد و أيها النحس و أيها البطيء و أيها السريع ثم يعرف بعد ذلك سعود ساعات النهار و نحوسها و أيها السعد و أيها النحس و كم ساعة يمكث كل نجم منها تحت الأرض و في أي ساعة تغيب و أي ساعة تطلع و كم ساعة يمكث طالعا و في أي ساعة تغيب و كم استقام لرجل حكيم كما زعمت من أهل الدنيا أن يعلم علم السماء مما لا يدرك بالحواس و لا يقع عليه الفكر و لا يخطر على الأوهام و كيف اهتدى أن يقيس الشمس حتى يعرف في أي برج و في أي برج القمر و في أي برج من السماء هذه السبعة السعود و النحوس و ما الباطن و هي معلقة في السماء و هو من أهل الأرض لا يراها إذا توارت بضوء الشمس إلا أن تزعم أن هذا الحكيم الذي وضع هذا العلم قد رقي إلى السماء و أنا أشهد أن هذا العالم لم يقدر على هذا العلم إلا بمن في السماء لأن هذا ليس من علم أهل الأرض.

قال: ما بلغني أن أحداً من أهل الأرض رقي إلى السماء قلت فلعل هذا الحكيم فعل ذلك و لم يبلغك قال و لو بلغني ما كنت مصدقاً قلت فأنا أقول قولك هبه رقي إلى السماء هل كان له بد من أن يجري مع كل برج من هذه البروج و نجم من هذه النجوم من حيث يطلع إلى حيث يغيب ثم يعود إلى الآخر حتى يفعل مثل ذلك حتى يأتي على آخرها فإن منها ما يقطع السماء في ثلاثين سنة و منها ما يقطع دون ذلك و هل كان له بد من أن يجول في أقطار السماء حتى يعرف مطالع السعود منها و النحوس و البطيء و السريع حتى يحصي ذلك أو هبه قدر على ذلك حتى فرغ مما في السماء هل كان يستقيم له حساب ما في السماء حتى يحكم حساب ما في الأرض و ما تحتها و أن يعرف ذلك مثل ما قد عاين في السماء لأن مجاريها تحت الأرض على غير مجاريها في السماء فلم يكن يقدر على أحكام حسابها و

(٢) و في نسخة: لقد وصفت علماً عجيباً.

(١) في «أ»: بكل علامة فيه، و ما هو مصيبة.

(٣) في «ط»: هذا النجوم، و ما أشتبهه من «أ».

دقاتها و ساعاتها إلا بمعرفة ما غاب عنه تحت الأرض منها لأنه ينبغي أن يعرف أي ساعة من الليل يطلع طالها و كم يمكث تحت الأرض و أية ساعة من النهار يغيب غائبها لأنه لا يعاينها و لا ما طلع منها و لا ما غاب و لا بد من أن يكون العالم بها واحدا و إلا لم ينتفع بالحساب ألا تزعم أن ذلك الحكيم قد دخل في ظلمات الأرضين و البحار فصار مع النجوم و الشمس و القمر في مجاريها على قدر ما سار في السماء حتى علم الغيب منها و علم ما تحت الأرض على قدر ما عاين منها في السماء.

قال: و هل أرتيتي أجبتك إلى أن أحدا من أهل الأرض رقي إلى السماء و قدر على ذلك حتى أقول إنه دخل في ظلمات الأرضين و البحور قلت فكيف وقع هذا العلم الذي زعمت أن الحكماء من الناس وضعوه و أن الناس كلهم مولودون به و كيف عرفوا ذلك الحساب و هو أقدم منهم.

أقول: في نسخة السيد بن طاوس هاهنا زيادة:

قال: رأيت إن قلت لك إن البروج لم تزل و هي التي خلقت أنفسها على هذا الحساب ما الذي ترد علي^(١) قلت أسألك كيف يكون بعضها سعدا و بعضها نحسا و بعضها مضيئا و بعضها مظلما و بعضها صغيرا و بعضها كبيرا؟

قال: كذلك أرادت أن تكون بمنزلة الناس فإن بعضهم جميل و بعضهم قبيح و بعضهم قصير و بعضهم طويل و بعضهم أبيض و بعضهم أسود و بعضهم صالح و بعضهم طالح قلت فالعجب منك إنني أراودك منذ اليوم على أن تقر بصانع فلم تجبني إلى ذلك حتى كان الآن أقدرت بأن القردة و الخنازير خلقن أنفسهن!

قال: لقد بهتني بما لم يسمع الناس مني قلت أفمنكر أنت لذلك قال أشد إنكار قلت فمن خلق القردة و الخنازير إن كان الناس و النجوم خلقن أنفسهن فلا بد من أن تقول إنهن من خلق الناس أو خلقن أنفسهن أفتقول أنها من خلق الناس قال لا قلت فلا بد من أن يكون لها خالق أو هي خلقت أنفسها فإن قلت إنها من خلق الناس أقرت أن لها خالقا فإن قلت لا بد أن يكون لها خالق فقد صدقت و ما أعرفنا به و لئن قلت إنهن خلقن أنفسهن فقد أعطيتني فوق ما طلبت منك من الإقرار بصانع ثم قلت فأخبرني بعضهم قبل بعض خلقن أنفسهن أم كان ذلك في يوم واحد فإن قلت بعضهم قبل بعض فأخبرني السماوات و ما فيها و النجوم قبل الأرض و الإنس و الذر خلقن أم بعد ذلك فإن قلت إن الأرض قبل أفلا ترى قولك إن الأشياء لم تزل قد بطل حيث كانت السماء بعد الأرض؟

قال: بلى و لكن أقول: معا جميعا خلقن قلت أفلا ترى أنك قد أقدرت أنها لم تكن شيئا قبل أن خلقن و قد أذهبت حجتك في الأثرية قال إني لعلى حد وقوف ما أدري ما أجيبك فيه لأنني أعلم أن الصانع إنما سمي صانعا لصناعته و الصناعة غير الصانع و الصانع غير الصناعة لأنه يقال للرجل الباني لصناعته البناء و البناء غير الباني و الباني غير البناء و كذلك الحارث غير الحرث و الحرث غير الحارث قلت فأخبرني عن قولك إن الناس خلقوا أنفسهم فبكمالهم خلقوها أرواحهم و أجسادهم و صورهم و أنفاسهم أم خلق بعض ذلك غيرهم قال بكمالهم لم يخلق ذلك و لا شيئا منهم غيرهم.

قلت: فأخبرني الحياة أحب إليهم أم الموت قال أو تشك أنه لا شيء أحب إليهم من الحياة و لا أبغض إليهم من الموت قلت فأخبرني من خلق الموت الذي يخرج أنفسهم التي زعمت أنهم خلقوها فإنك لا تنكر أن الموت غير الحياة و أنه هو الذي يذهب بالحياة فإن قلت إن الذي خلق الموت غيرهم فإن الذي خلق الموت هو الذي خلق الحياة و لئن قلت هم الذين خلقوا الموت لأنفسهم إن هذا لمحال من القول و كيف خلقوا لأنفسهم ما يكرهون إن كانوا كما زعمت خلقوا أنفسهم هذا ما يستنكر من ضلالك إن تزعم أن الناس قدروا على خلق أنفسهم بكمالهم و أن الحياة أحب إليهم من الموت و خلقوا ما يكرهون لأنفسهم!

قال: ما أجد واحدا من القولين يتقاد لي و لقد قطعتني علي قبل الغاية التي كنت أريدها قلت دعني فإن من الدخول في أبواب الجهالات ما لا يتقاد من الكلام و إنما أسألك عن معلم هذا الحساب الذي علم أهل الأرض علم هذه النجوم المعلقة في السماء.^(٢)

(١) في نسخة: ما الذي يرد علي.

(٢) فرج المهموم: ١٥ - ١٨ و فيه بعض اختصار و تغييرات لفظية عدة.

أقول: رجعنا إلى ما في النسخ المشهورة:

قال: ما أجد يستقيم أن أقول إن أحدا من أهل الأرض وضع علم هذه النجوم المعلقة في السماء قلت فلا بد لك أن تقول إنما علمه حكيم عليم بأمر السماء والأرض ومديرهما قال إن قلت هذا فقد أقررت لك بإلهك الذي تزعم أنه في السماء قلت أما أنك فقد أعطيتني أن حساب هذه النجوم حق وأن جميع الناس ولدوا بها قال الشك في غير هذا. قلت: وكذلك أعطيتني أن أحدا من أهل الأرض لم يقدر على أن يغيب مع هذه النجوم والشمس والقمر في المغرب حتى يعرف مجاريها ويطلع معها إلى المشرق قال الطلوع إلى السماء دون هذا قلت فلا أراك تجد بدا من أن تزعم أن المعلم لهذا من السماء قال لئن قلت إن ليس لهذا الحساب معلم لقد قلت إذا غير الحق ولئن زعمت أن أحدا من أهل الأرض علم ما في السماء وما تحت الأرض لقد أبطلت لأن أهل الأرض لا يقدر أن يعلم ما وصف لك من حال هذه النجوم والبروج بالعائنة والدنو منها^(١) فلا يقدر أن يعلم أهل الدنيا لا يكون عندنا إلا بالحواس وما يدرك علم هذه النجوم التي وصفت بالحواس لأنها معلقة في السماء وما زادت الحواس على النظر إليها حيث تطلع وحيث تغيب فأما حسابها ودقاتها ونحوسها وسعودها وبطيتها وسريعها وخنوسها ورجوعها فأنى تدرك بالحواس أو يهتدى إليها بالقياس؟

قلت: فأخبرني لو كنت متعلما مستوصفا لهذا الحساب من أهل الأرض أحب إليك أن تستوصفه وتتعلمه أم من أهل السماء قال من أهل السماء إذ كانت النجوم معلقة فيها حيث لا يعلمها أهل الأرض.

قلت: فافهم وأدق النظر وناصح نفسك ألست تعلم أنه حيث كان جميع أهل الدنيا إنما يولدون بهذه النجوم على ما وصفت في النحوس والسعود أنهن كن قبل الناس قال ما أمتنع أن أقول هذا قلت أفليس ينبغي لك أن تعلم أن قولك إن الناس لم يزالوا ولا يزالون قد انكسر عليك^(٢) حيث كانت النجوم قبل الناس فالتاس حدث بعدها ولئن كانت النجوم خلقت قبل الناس ما تجد بدا من أن تزعم أن الأرض خلقت قبلهم.

قال: ولم تزعم أن الأرض خلقت قبلهم قلت ألست تعلم أن لو لم تكن الأرض جعل الله لخلقها فراشا ومهادا ما استقام الناس ولا غيرهم من الأنام ولا قدروا أن يكونوا في الهواء إلا أن يكون لهم أجنحة قال وما ذا يغني عنهم الأجنحة إذا لم تكن لهم معيشة قلت ففي شك أنت من أن الناس حدث بعد الأرض والبروج قال لا ولكن على اليقين من ذلك.

قلت: أتيت أيضا بما تبصره قال ذلك أنفى^(٣) للشك عني قلت ألست تعلم أن الذي تدور عليه هذه النجوم والشمس والقمر هذا الفلك قال بلى قلت أفليس قد كان أساسا لهذه النجوم قال بلى قلت فما أرى هذه النجوم التي زعمت أنها مواليد الناس إلا وقد وضعت بعد هذا الفلك لأنه به تدور البروج وتسفل مرة وتصعد أخرى.

قال: قد جئت بأمر واضح لا يشك على ذي عقل أن الفلك الذي تدور به النجوم هو أساسها الذي وضع لها لأنها إنما جرت به قلت أقررت أن خالق النجوم التي يولد بها الناس سعودهم ونحوسهم هو خالق الأرض لأنه لو لم يكن خلقها لم يكن ذرة قال ما أجد بدا من إجابتك إلى ذلك قلت أفليس ينبغي لك أن يدلك عقلك على أنه لا يقدر على خلق السماء إلا الذي خلق الأرض والذرة والشمس والقمر والنجوم وأنه لو لا السماء وما فيها لهلك ذرة الأرض.

شرح: أن يكون لبعض الناس أي هذا العلم اعلم أن كلامه واحتجاجه عليه السلام ^(٤) مبني على أحد أمرين الأول ما يحكم به الوجدان من أن العلم بدقائق حركات هذه الكواكب وخواص آثارها والمناسبة بينها وبين ما هي علامة لحدوثها لا يتأتى إلا لخالقها الذي جعلها كذلك أو من ينتهي علمه إليه و معلوم أن ما هو الحق من هذه العلوم إنما وصل إلى الخلق من الأنبياء كما اعترفوا به ولما لم يحيطوا بجميع ذلك وضاع عنهم بعض ما استفادوا من الأنبياء عليهم السلام أيضا فلذا ترى الرياضيين يتحيرون في بعض الحركات التي لا تستقيم على أصولهم ويسمونها ما لا ينحل وترى المنجمين يخطئون في كثير من أحكامهم لذلك ثم ذكر عليه السلام على سبيل التنزل أنه لو سلمنا أنه يمكن أن يتيسر ذلك لمخلوق

(١) وفي نسخة: فافهم. وفي نسخة: قد أنكر عليك.

(٢) وفي نسخة: «أ»: أن كلامه في احتجاجه.

(٣) وفي نسخة: فافهم. وفي نسخة: فافهم.

(٤) وفي نسخة: قال: ذلك أنفى للشك عني.

من البشر فلا يتأتى ذلك إلا لمن كان معها في حركاتها و يعاشرها مدة طويلة ليعلم كيفية حركاتها و جرب بكثرة المعاشرة خواصها و آثارها.

و الثاني: أن يكون المراد أنك إذا اعترفت أن كل الخلق يولدون بهذه النجوم فلا يكون أحد منهم علة لها و لا آثارها لتقدمها عليهم و لا شك في أنه لا بد من حكيم عالم بجميع الأمور قادر عليها أسس ذلك الأساس و بنى عليها تلك الآثار و الأحكام التي أمكن للخلق بها استعمال ما لم يأت من الأمور فقد أقرت بالصانع فهو أول عالم بهذا العلم لا الحكيم الذي تزعم أنه يولد بتلك النجوم و يحتمل أن يكون المقصود من الكلام الإشارة إلى كلا الدليلين كما لا يخفى بعد التأمل قوله ﷺ مواضعها من السماء أي عند كونها فوق الأرض و مواضعها تحت الأرض أي بعد غروبها و استئثارها عنا بالأرض قوله ﷺ إلا بمن في السماء أي بمن أحاط علمه و قدرته و حكمه بالسماء و ما فيها قوله ﷺ فأنا أقول قولك أي أنا أعتقد ما قلت من أن الحكماء الذين تزعمهم عالمين به لم يرقوا إلى السماء أو أعتقد أنه لا يمكنهم أن يرقوا إلى السماء بأنفسهم بدون تعلق إرادة الرب تعالى به و مع ذلك فإن سلمناه فلا يكفي محض الصعود للإحاطة بذلك قوله ﷺ مع كل برج أي فيه أو بالحركة السريعة قوله ﷺ في ثلاثين سنة و هو زحل و هو أبطأ السيارات وإنما لم يتعرض للثوابت مع كونها أبطأ لأن مبنى أحكامهم على السيارات قوله ﷺ لأن مجاريها تحت الأرض لما ذكر ﷺ سابقا سيره مع الكواكب من الطلوع إلى الغروب أشار ﷺ هاهنا إلى أنه لا يكفي ذلك للعلم بجميع الحركات حتى يسير معها بعد الغروب فيحاذي ما تحت الأرض من البحار و المواضع المظلمة بالبخارات أو يسير مع سائر الكواكب عند كون الشمس فوق الأرض حتى يحاذي ما تحتها الظلمة ثم بين الحاجة إلى ذلك بأنه لا تكفي الإحاطة ببعض مسيرها للعلم بحركاتها لأن حركاتها الخاصة عندهم مختلفة بالنسبة إلى مركز العالم بسبب التدوير و الأفلاك الخارجة المراكز و غيرها فتارة تسرع و تارة تبطئ فلا تتأتى مقارنة بعض حركاتها ببعض.

١٧٨
٣

قوله ﷺ: كيف يكون بعضها سعاد أي يرجع قولك إلى أنها مع صفاتها وجدت من غير صانع فكيف صار بعضها هكذا و بعضها هكذا فترجح هذه الأحوال الممكنة و حصولها من غير علة مما يحكم العقل باستحالة أو المراد أنها لو كانت خالقة لأنفسها لكان كل منها يختار لنفسه أفضل الأحوال و أشرفها فكان جميعها على حالة واحدة هي أفضل الأحوال و هذا أظهر ثم لما لم يفهم السائل ذلك غير الكلام و صرفه إلى ما هو أوضح و قوله ﷺ قد أقررت أنها لم تكن شيئا إما مبني على أن الصنع و الخلق لا يتعلقان إلا بالحدث أو على ما كان ظاهر كلام السائل أن لوجودها مبدأ ثم إن السائل لما تفتن بفساد كون الشيء صانعا لنفسه رجع و أقر بأن العقل يحكم بديهته بأن المصنوع غير الصانع و الباني غير البناء و ما ذكره ﷺ من أن خالق الحياة و الموت لا بد أن يكون واحدا مما يحكم به الوجدان مع أن الظاهر من خالق الحياة من يكون مستقلا فيه و الموت ليس إلا رفع الحياة فلو كان مستندا إلى غيره لم يكن خالق الحياة مستقلا فيه.

قوله ﷺ: دون هذا أي أنا أنكر الصعود إلى السماء الذي هو أسهل مما ذكرت فكيف أقر به أو المراد أن الصعود إلى السماء أسهل علي من الإقرار بما ذكرت قوله ﷺ إهن كن قبل الناس أي بالعلية و السببية كما ظن السائل أو بالزمان أي تقدمها على كل شخص أو على الجميع بناء على لزوم التقدم على كل من الأشخاص التقدم على الجميع كما قيل أو على أنه ﷺ كان يعلم أن السائل كان قائلًا بذلك فذكره ﷺ لإلزامه عليه كما اعترف به و على الأول يكون المراد بقوله لم يزلوا و لا يزالون عدم استنادهم إلى علة و على الثاني فالمراد إما قدم مادتهم أو صورهم أيضا بناء على القول بالكومن و على الثالث فالمراد قدم نوعهم قوله ﷺ بعد هذا الفلك أي هي محتاجة إلى الفلك و الفلك متقدمة عليها بالعلية فلا يصح كون النجوم علة لها للزوم الدور قوله ﷺ لم يكن ذرة أي مذروء و مخلوق من الإنس.

١٧٩
٣

ثم أعلم أن حاصل استدلاله على ما ظهر لهذا القاصر هو أنه ﷺ لما قرر السائل سألًا على أن

النجوم ليست خالقة لأنفسها و آفا على أنها ليست مخلوقة للناس و غيرها مما يحدث بزعمه بتأثيرها لتأخرها عنها و على أن الأرض أيضا متقدمة على ما عليها من الخلق فلا تكون مخلوقة لما عليها و على أن الفلك لتقدمه على النجوم المتقدمة على الناس لا يجوز كونه مخلوقا لشيء منها استدلل عليه هاهنا على أنه لا بد أن يكون خالق السماء و الأرض و ما في السماء من الشمس و القمر و النجوم و ما على الأرض من الخلق واحداً.

أما اتحاد خالق الأرض و النجوم فيمكن تقريره بوجهين الأول أن الناس محتاجون إلى الأرض كما عرفت و طاهر أنها من أعظم مصالحهم فالوجدان الصحيح يحكم بأن من خلق شيئاً يعد له ما يصلحه و يهيئ له ما سيحتاج إليه فظهر أنه لا بد أن يكون خالق الناس و خالق الأرض واحداً و الناس بزعمكم مخلوقون للنجوم و لزمك القول بوجود خالق للنجوم فلا بد من القول بكون الأرض منسوبة إلى خالق النجوم إما بلا واسطة أو بواسطة النجوم أو غيرها فثبت المطلوب.

الثاني: أنا نرى التلازم بين الناس و الأرض لحكم العقل بأن كلا منهما يرتفع عند ارتفاع الآخر إذ الظاهر أن غاية خلق الأرض هو الإنسان و نحوه و هم محتاجون في أمورهم إليها و قد تقرر أن المتلازمين إما أن يكون أحدهما علة للآخر أو كل منهما معلول علة ثالثة و لا يجوز أن يكون الناس عللاً للأرض لما عرفت و لا معلولة لها لانتسابها عندك إلى النجوم فلا بد من أن يكونا معلولي علة واحدة و بأحد هذين التقريرين يثبت اتحاد خالق السماء و خالق هذه الأمور السابقة لا احتياج ما على الأرض من الخلق إلى السماء و ما فيها من النجوم و إليه أشار عليه بقوله و إنه لو لا السماء و ما فيها لهلك ذرة الأرض هذا ما أحاط به نظري العاثر و سيأتي في تضعيف كلامه عليه توضيح ما قلناه و التصريح ببعض ما قرناه و الله يعلم و حججه حقائق كلامهم و دقائق مرامهم ثم لا يتوهم متوهم من كلامه عليه أن للنجوم تأثيراً فإنه ظاهر أنه عليه إنما ذكرها لإزاما عليه و مماشاة معه لإتمام الحجة عليه بل لا يمكن الاستدلال على سعودها و نحوسها و كونها علامات للكائنات أيضا بهذا الوجه لكن ظاهره أن لها سعادة و نحوسة و أنها علامات و سيأتي القول في ذلك مفصلاً في كتاب السماء و العالم.

متن: قال أشهد أن الخالق واحد من غير شك لأنك قد أثبتني بحجة ظهرت لعقلي و انقطعت بها حجتي و ما أرى يستقيم أن يكون واضح هذا الحساب و معلم هذه النجوم واحداً من أهل الأرض لأنها في السماء و لا مع ذلك يعرف ما تحت الأرض منها إلا معلم ما في السماء منها و لكن لست أدري كيف سقط أهل الأرض على هذا العلم الذي هو في السماء حتى اتفق حسابهم على ما رأيت من الدقة و الصواب فإني لو لم أعرف من هذا الحساب ما أعرفه لأنكرته و لأخبرت أنه باطل في بدء الأمر فكان أهون علي.

قلت: فأعطني موثقاً أنا أعطيتك من قبل هذه الإلهيلية التي في يدك و ما تدعي من الطب الذي هو صناعتك و صناعة آباءك حتى يتصل الإلهيلية و ما يشبهها من الأدوية بالسماء لتدعن بالحق و لتتصفن من نفسك قال ذلك لك قلت هل كان الناس على حال و هم لا يعرفون الطب و منافع من هذه الإلهيلية و أشابها قال نعم.

قلت: فمن أين اهتموا له قال بالتجربة و طول المقايسة قلت فكيف خطر على أوهامهم حتى هموا بتجربته و كيف ظنوا أنه مصلحة للأجساد و هم لا يرون فيه إلا المضرة أو كيف عزموا على طلب ما لا يعرفون مما لا تدلهم عليه الحواس قال بالتجارب.

قلت: أخبرني عن واضح هذا الطب و واصل هذه العقائير المتفرقة بين المشرق و المغرب هل كان بد من أن يكون الذي وضع ذلك و دل على هذه العقائير رجل حكيم من بعض أهل هذه البلدان.

قال: لا بد أن يكون كذلك و أن يكون رجلاً حكيماً وضع ذلك و جمع عليه الحكماء فنظروا في ذلك و فكروا فيه بعقولهم قلت كأنك تريد الإنصاف من نفسك و الوفاء بما أعطيت من ميثاقتك فأعلمني كيف عرف الحكيم ذلك و هبه قد عرف بما في بلاده من الدواء و الزعفران الذي بأرض فارس أتراه اتبع جميع نبات الأرض فذاقه شجرة شجرة حتى ظهر على جميع ذلك و هل يدلك عقلك على أن رجلاً حكيماً قدروا على أن يتبعوا جميع بلاد فارس و نباتها

شجرة شجرة حتى عرفوا ذلك بحواسهم وظهروا على تلك الشجرة التي يكون فيها خلط بعض هذه الأدوية التي لم تدرك حواسهم شيئا منها و هبه أصاب تلك الشجرة بعد بحثه عنها و تتبعه جميع شجر فارس و نباتها كيف عرف أنه لا يكون دواء حتى يضم إليه الإلهيلج من الهند و المصطكى^(١) من الروم و المسك من التبت و الدارصيني من الصين و خصى بيدستر من الترك و الآفيون من مصر و الصبر من اليمن^(٢) و البورق من أرمينية^(٣) و غير ذلك من أخلاط الأدوية التي تكون في أطراف الأرض و كيف عرف أن بعض تلك الأدوية و هي عقاقير مختلفة يكون المنفعة باجتماعها و لا يكون منفعتها في الحالات بغير اجتماع أم كيف اهتدى لعنايت هذه الأدوية و هي ألوان مختلفة و عقاقير متباعدة في بلدان متفرقة فمنها عروق و منها لحاء و منها ورق و منها ثمر و منها عصير و منها مانع و منها صمغ و منها دهن و منها ما يعصر و يطبخ و منها ما يعصر و لا يطبخ مما سمي بلغات شتى لا يصلح بعضها إلا ببعض و لا يصير دواء إلا باجتماعها و منها مرائر السباع و الدواب البرية و البحرية و أهل هذه البلدان مع ذلك متعادون مختلفون متفرقون باللغات متغالبلون بالمناصب^(٤) و متحاربون بالقتل و السبي أفتى ذلك الحكيم تتبع هذه البلدان حتى عرف كل لغة و طاف كل وجه و تتبع هذه العقاقير مشرقا و مغربا آمنا صحيحا لا يخاف و لا يمرض سليما لا يعطب حيا لا يموت هاديا لا يضل قاصدا لا يجور حافظا لا ينسى نشيطا لا يعمل حتى عرف وقت أزمته و مواضع منابتها مع اختلاطها و اختلاف صفاتها و تباين ألوانها و تفرق أسمائها ثم وضع مثالها على شبهها و صفتها ثم وصف كل شجرة بنباتها و ورقها و ثمرها و ريحها و طعمها أم هل كان لهذا الحكيم بد من أن يتبع جميع أشجار الدنيا و بقولها و عروقها شجرة شجرة و ورقة ورقة شيئا شيئا فبهه وقع على الشجرة التي أراد فكيف دلته حواسه على أنها تصلح لدواء و الشجر مختلف منه الحلو و الحامض و المر و المالح.

و إن قلت: يستوصف في هذه البلدان و يعمل بالسؤال فأنى يسأل عما لم يعاين و لم يدرك بحواسه أم كيف يهتدي إلى من يسأله عن تلك الشجرة و هو يكلمه بغير لسانه و بغير لغته و الأشياء كثيرة فبهه فعل كيف عرف منافعها و مضارها و تسكينها و تهيجها و باردها و حارها و حلوها و مرارتها و حرافتها^(٥) و لينها و شديدها^(٦) فلئن قلت بالظن إن ذلك مما لا يدرك و لا يعرف بالطبائع و الحواس و لئن قلت بالتجربة و الشرب لقد كان ينبغي له أن يموت في أول ما شرب و جرب تلك الأدوية بجهالته بها و قلة معرفته بمنافعها و مضارها و أكثرها السم القاتل و لئن قلت بل طاف في كل بلد و أقام في كل أمة يتعلم لغاتهم و يجرب بهم أدويتهم تقتل الأول فالأول منهم ما كان تبلغ معرفته الدواء الواحد إلا بعد قتل قوم كثير فما كان أهل تلك البلدان الذين قتل منهم من قتل بتجربته بالذين ينقادونه بالقتل و لا يدعون أنه يجاورهم و هبه تركوه و سلموا لأمره و لم ينهوه كيف قوي على خلطها و عرف قدرها و وزنها و أخذ مثاقيلها و قرط قرايطها و هبه تتبع هذا كله و أكثره سم قاتل إن زيد على قدرها قتل و إن نقص عن قدرها بطل و هبه تتبع هذا كله و جال مشارق الأرض و مغاربها و طال عمره فيها تتبعه شجرة شجرة و بقعة بقعة كيف كان له تتبع ما لم يدخل في ذلك من مرارة الطير و السباع و دواب البحر هل كان بد حيث زعمت أن ذلك الحكيم تتبع عقاقير الدنيا شجرة شجرة و ثمرة ثمرة حتى جمعها كلها فمنها ما لا يصلح و لا يكون دواء إلا بالمرار هل كان بد من أن يتبع جميع طير الدنيا و سباعها و دوابها دابة دابة و طائرا طائرا يقتلها و يجرب مرارتها كما بحث عن تلك العقاقير على ما زعمت بالتجارب و لو كان ذلك فكيف بقيت الدواب و تناسلت و ليست بمنزلة الشجرة إذا قطعت شجرة نبتت أخرى و هبه أتى على طير الدنيا كيف يصنع بما في البحر من الدواب التي كان ينبغي أن يتبعها بحرا بحرا و دابة دابة حتى أحاط به كما أحاط بجميع عقاقير الدنيا التي بحث عنها حتى عرفها و طلب ذلك في غمرات الماء فإنك مهما جهلت شيئا من هذا فإنك لا تجهل أن دواب البحر كلها تحت الماء فهل يدل العقل و الحواس على أن هذا يدرك بالبحث و التجارب؟

قال: لقد ضيقت علي المذاهب فما أدري ما أجيبك به قلت فإني آتيك بغير ذلك مما هو أوضح و أبين مما

(١) المصطكى: العلك الرومي. لسان العرب ١٣: ١٢٤. (٢) الصبر و زان كفف: عصارة شجر مر. لسان العرب ٧: ٢٧٨.

(٣) قال في هامش «ط»: البُزْرُق بالفتح مغرب يوره: شيء يتكوّن مثل الملح في شطوط الانهار و المياه.

(٤) في نسخة: متقلبون بالمناصب. أو: متقلبون بالمناصب. كما هو في هامش «أ».

(٥) الخرافة: طعم يحرق اللسان و الفم. لسان العرب ٣: ١٣. (٦) في نسخة: ولينها و يابسها.

اقتصصت عليك ألت تعلم أن هذه العقاقير التي منها الأدوية والمرار من الطير والسباع لا يكون دواء إلا بعد الاجتماع قال: هو كذلك.

قلت: فأخبرني كيف حواس هذا الحكيم وضعت هذه الأدوية^(١) مثاقيلها وقراريطها فإنك من أعلم الناس بذلك لأن صناعتك الطب وأنت تدخل في الدواء الواحد من اللون الواحد زنة أربع مائة مثقال ومن الآخر مثاقيل و قراريط فما فوق ذلك ودونه حتى يجيء بقدر واحد معلوم إذا سقيت منه صاحب البطنة بمقدار عقد بطنه وإن سقيت صاحب القولنج أكثر من ذلك استطقت^(٢) بطنه وألأن فكيف أدركت حواسه على هذا. أم كيف عرفت حواسه أن الذي يسقي لوجع الرأس لا ينحدر إلى الرجلين والاندحار أهون عليه من الصعود والذي يسقي لوجع القدمين لا يصعد إلى الرأس وهو إلى الرأس عند السلوك أقرب منه وكذلك كل دواء يسقي صاحبه لكل عضو لا يأخذ إلا طريقه في العروق التي تسقى له وكل ذلك يصير إلى المعدة ومنها يتفرق أم كيف لا يسفل منه ما صعد ولا يصعد^(٣) منه ما انحدر أم كيف عرفت الحواس هذا حتى علم أن الذي ينبغي للأذن لا ينفع العين وما ينتفع به العين لا يغني من وجع الأذن وكذلك جميع الأعضاء يصير كل داء منها إلى ذلك الدواء الذي ينبغي له بعينه فكيف أدركت العقول والحكمة والحواس هذا وهو غائب في الجوف والعروق في اللحم وفوقه الجلد لا يدرك بسمع ولا ببصر ولا بشم ولا بلمس ولا بذوق؟

قال: لقد جئت بما أعرفه^(٤) إلا أننا نقول إن الحكيم الذي وضع هذه الأدوية وأخلطها كان إذا سقى أحدا شيئا من هذه الأدوية فمات شق بطنه وتبع عروقه ونظر مجاري تلك الأدوية وأتى المواضع التي تلك الأدوية فيها قلت فأخبرني ألت تعلم أن الدواء كله إذا وقع في العروق اختلط بالدم فصار شيئا واحدا قال: بلى.

قلت: أما تعلم أن الإنسان إذا خرجت نفسه برد دمه وجمد قال بلى قلت فكيف عرف ذلك الحكيم دواء الذي سقاه للمريض بعد ما صار غليظا عبيط ليس بأمشاج يستدل عليه بلون فيه غير لون الدم قال لقد حملتني على مطية صعبة ما حملت على مثله قط ولقد جئت بأشياء لا أقدر على ردها.

شرح: قوله ﷺ خلط بعض هذه الأدوية الخلط بالكسر ما يخلط بالشيء أي ما يدخل في بعض هذه الأدوية المركبة قوله ﷺ ثم وضع مثالها على شبهها أي ضم كلما وجد من كل نوع إلى مثله لأنه يشبهه ويوافقه في الصفة أو ترك الأشياء التي تشبه ما يريد به وإن كانت موافقة له في الصفات فإن كثيرا من العقاقير تشبه بغيرها لاتفاقهما في كثير من الصفات قوله ﷺ فكيف بقيت لعل المفروض أن ذلك كان في مبادئ خلق العالم لقد علم ذلك العلم فيلزم من التجارب الكثيرة فناء الحيوانات لقلتها في تلك الأزمنة قوله ﷺ ليس بأمشاج أي أشياء مختلطة متميزة.

أقول: كلامه ﷺ يدل على أن خواص الأدوية وأجناسها ومنافعها ومناسبتها للأمراض إنما وصل إلى الخلق بإخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام ولم يصل الخلق إليها بعقولهم وتجاربهم.

مقن: قلت فأخبرني من أين علم العباد ما وصفت من هذه الأدوية التي فيها المنافع لهم حتى خلطوها وتبعوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرقة وعرفوا مواضعها ومعادنها في الأماكن المتباينة وما يصلح من عروقها وزنتها من مثاقيلها وقراريطها وما يدخلها من الحجارة ومرار السباع وغير ذلك قال قد أعيتت عن إجابتك لقموض مسانلك وإجائتك إياي إلى أمر لا يدرك علمه بالحواس ولا بالتشبيه والقياس ولا بد أن يكون وضع هذه الأدوية واضع لأنها لم تضع هي أنفسها ولا اجتمعت حتى جمعها غيرها بعد معرفته إياها فأخبرني كيف علم العباد هذه الأدوية التي فيها المنافع حتى خلطوها وطلبوا عقاقيرها في هذه البلدان المتفرقة؟

قلت: إني ضارب لك مثلا وناصب لك دليلا تعرف به واضع هذه الأدوية والدال على هذه العقاقير المختلفة وباني الجسد و واضع العروق التي يأخذ فيها الدواء إلى الداء قال فإن قلت ذلك لم أجد بدا من الانقياد إلى ذلك قلت فأخبرني عن رجل أنشأ حديقة عظيمة وبنى عليها حائطا وثيقا ثم غرس فيها الأشجار والأثمار والرياحين والبقول

(١) في «أ»: كيف حواس هذا الحكيم وضع هذه الادوية.

(٢) أطلقت الناقاة نطقت: أي حل عقالها. لسان العرب ٨: ١٨٨.

(٣) في «أ»: ولا يصعد منه.

(٤) في «أ»: لقد جئت بما أعرف.

و تعاهد سقيها و تربيتها و وقاها ما يضرها حتى لا يخفى عليه موضع كل صنف منها فإذا أدركت أشجارها و أُنعت أثمارها^(١) و اهتزت بقولها دفعت إليه^(٢) فسألته أن يطعمك لونا من الثمار و البقول سميته له أئراة كان قادرا على أن ينطلق قاصدا مستمرا لا يرجع و لا يهوي إلى شيء يمر به من الشجرة و البقول حتى يأتي الشجرة التي سألته أن أتيك بثمرها و البقلة التي طلبتها حيث كانت من أدنى الحديقة أو أقصاها فيأتيك بها قال نعم قلت أفرأيت لو قال لك صاحب الحديقة حيث سألته الثمرة ادخل الحديقة فخذ حاجتك فإني لا أقدر على ذلك هل كنت تقدر أن تنطلق قاصدا لا تأخذ بعينا و لا شمالا حتى تنتهي إلى الشجرة فتجتنى منها قال و كيف أقدر على ذلك و لا علم لي في أي مواضع الحديقة هي قلت أفليس تعلم أنك لم تكن لتصيبها دون أن تهجم عليها بتعسف و جولان في جميع الحديقة حتى تستدل عليها ببعض حواسك بعد ما تتصفح فيها من الشجرة شجرة شجرة و ثمرة ثمرة حتى تسقط على الشجرة التي تطلب ببعض حواسك أن تأتيها و إن لم ترها انصرفت؟

قال: و كيف أقدر على ذلك و لم أعاین مغرسها حيث غرست و لا منبتها حيث نبتت و لا ثمرتها حيث طلعت قلت فإنه ينبغي لك أن يدلك عقلك حيث عجزت حواسك عن إدراك ذلك أن الذي غرس هذا البستان العظيم فيما بين المشرق و المغرب و غرس فيه هذه الأشجار و البقول هو الذي دل الحكيم الذي زعمت أنه وضع الطب على تلك العقاقير و مواضعها في المشرق و المغرب و كذلك ينبغي لك أن تستدل بعقلك على أنه هو الذي سماها و سمى بلدتها و عرف مواضعها كمعرفة صاحب الحديقة الذي سألته الثمرة و كذلك لا يستقيم و لا ينبغي أن يكون الغارس و الدال عليها إلا الدال على منافعها و مضارها و قراريطها و مثاقيلها.

قال: إن هذا لكما تقول أفرأيت لو كان خالق الجسد و ما فيه من العصب و اللحم و الأمعاء و العروق التي يأخذ فيها الأدوية إلى الرأس و إلى القدمين و إلى ما سوى ذلك غير خالق الحديقة و غارس العقاقير هل كان يعرف زنتها و مثاقيلها و قراريطها و ما يصلح لكل داء منها و ما كان يأخذ في كل عرق؟

قال: و كيف يعرف ذلك أو يقدر عليه و هذا لا يدرك بالحواس ما ينبغي أن يعرف هذا إلا الذي غرس الحديقة و عرف كل شجرة و بقلة و ما فيها من المنافع و المضار قلت أفليس كذلك ينبغي أن يكون الخالق واحدا لأنه لو كان اثنين أحدهما خالق الدواء و الآخر خالق الجسد و الداء لم يهتد غارس العقاقير لإيصال دوائه إلى الداء الذي بالجسد مما لا علم له به و لا اهتدى خالق الجسد إلى علم ما يصلح ذلك الداء من تلك العقاقير فلما كان خالق الداء و الدواء واحدا أمضى الدواء في العروق التي برأ و صور إلى الداء الذي عرف و وضع فعلم مزاجها من حرها و بردها و لينها و شديدها و ما يدخل في كل دواء منه من القراريط و المثاقيل و ما يصعد إلى الرأس منها و ما يهبط إلى القدمين منها و ما يتفرق منه فيما سوى ذلك.

قال: لا أشك في هذا لأنه لو كان خالق الجسد غير خالق العقاقير لم يهتد واحد منهما إلى ما وصفت قلت فإن الذي دل الحكيم الذي وصفت أنه أول من خلط هذه الأدوية و دل على عقاقيرها المتفرقة فيما بين المشرق و المغرب و وضع هذا الطب على ما وصفت لك هو صاحب الحديقة فيما بين المشرق و المغرب و هو باني الجسد و هو دل الحكيم بوحى منه على صفة كل شجرة و بلدها و ما يصلح منها من العروق و الثمار و الدهن و الورق و الخشب و اللحاء و كذلك دله على أوزانها من مثاقيلها و قراريطها و ما يصلح لكل داء منها و كذلك هو خالق السباع و الطير و الدواب التي في مزارها المنافع مما يدخل في تلك الأدوية فإنه لو كان غير خالقها لم يدر ما ينفع به من مزارها و ما يضر و ما يدخل منها في العقاقير فلما كان الخالق سبحانه و تعالى واحدا دل على ما فيه من المنافع منها قسمه باسمه حتى عرف و ترك ما لا منفعة فيه منها فمن ثم علم الحكيم أي السباع و الدواب و الطير فيه المنافع و أيها لا منفعة فيه و لو لا أن خالق هذه الأشياء دله عليها ما اهتدى بها.

قال: إن هذا لكما تقول و قد بطلت الحواس و التجارب عند هذه الصفات قلت أما إذا صحت نفسك فتعال ننظر بعقولنا و نستدل بحواسنا هل كان يستقيم لخالق هذه الحديقة و غارس هذه الأشجار و خالق هذه الدواب و الطير و



الناس الذي خلق هذه الأشياء لمنافعهم أن يخلق هذا الخلق ويغرس هذا الغرس في أرض غيره مما إذا شاء منعه ذلك؟ قال: ما ينبغي أن تكون الأرض التي خلقت فيها الحديقة العظيمة وغرست فيه. الأشجار إلا لخلق هذا الخلق وملك يده قلت فقد أرى الأرض أيضاً لصاحب الحديقة لاتصال هذه الأشياء بعضها ببعض قال ما في هذا شك قلت فأخبرني وناصح نفسك أأست تعلم أن هذه الحديقة وما فيها من الخلقة العظيمة من الإنس والدواب والطيور والشجر والعقائير والثمار وغيرها لا يصلحها إلا شربها وريها من الماء الذي لا حياة لشيء إلا به قال بلى قلت فترى الحديقة وما فيها من الذرة خالقها واحد وخالق الماء غيره يحبس عنه هذه الحديقة إذا شاء ويرسله إذا شاء فيفسد على خالق الحديقة؟

قال: ما ينبغي أن يكون خالق هذه الحديقة وذارئ هذا الذرة الكثير وغارس هذه الأشجار إلا المدير الأول وما ينبغي أن يكون ذلك الماء لغيره وإن اليقين عندي لهو أن الذي يجري هذه المياه من أرضه وجباله لغارس هذه الحديقة وما فيها من الخليقة لأنه لو كان الماء لغير صاحب الحديقة لهلك الحديقة وما فيها ولكنه خالق الماء قبل الغرس والذرة وبه استقامت الأشياء وصلحت قلت أفأريت لو لم يكن^(١) لهذه المياه المنفجرة في الحديقة مغيض^(٢) لما يفضل من شربها يحبس عنه الحديقة أن يفيض عليها أليس كان يهلك ما فيها من الخلق على حسب ما كانوا يهلكون لو لم يكن لها ماء قال بلى ولكني لا أدري لعل هذا البحر ليس له حابس وأنه شيء لم يزل قلت أما أنت فقد أعطيتني أنه لو لا البحر ومغيض المياه إليه لهلكت الحديقة قال أجل قلت فإني أخبرك عن ذلك بما تستيقن بأن خالق البحر هو خالق الحديقة وما فيها من الخليقة وأنه جعله مغيضاً لمياه الحديقة مع ما جعل فيه من المنافع للناس.

قال: فاجعلني من ذلك على يقين كما جعلتني من غيره قلت أأست تعلم أن فضول ماء الدنيا يصير في البحر قال بلى قلت فهل رأيته زائداً قط في كثرة الماء وتتابع الأمطار على الحد الذي لم يزل عليه أو هل رأيته ناقصاً في قلة المياه وشدة الحر وشدة القحط قال لا قلت أفليس ينبغي أن يدلك عقلك على أن خالقه وخالق الحديقة وما فيها من الخليقة واحد وأنه هو الذي وضع له حداً لا يجاوزه لكثرة الماء ولا تقتله وأن مما يستدل على ما أقول إنه يقبل بالأمواج أمثال الجبال يشرف على السهل والجبل فلو لم تقبض أمواجه ولم تحبس في المواضع التي أمرت بالاحتباس فيها لأطبقت على الدنيا حتى إذا انتهت على تلك المواضع التي لم تزل تنتهي إليها ذلت أمواجه وخضع لإشرافه.

قال: إن ذلك لكما وصفت ولقد عاينت منه كل الذي ذكرت ولقد أتيتني ببرهان ودلالات وما أقدر على إنكارها ولا جودها لبیانها قلت وغير ذلك سأتيك به مما تعرف اتصال الخلق بعضه ببعض وأن ذلك من مدبر حكيم عالم قدير أأست تعلم أن عامة الحديقة ليس شربها من الأنهار والعيون وأن أعظم ما ينبت فيها من العقائير والبقول التي في الحديقة ومعاش ما فيها من الدواب والوحش والطيور البراري التي لا عيون لها ولا أنهار إنما يسقيه السحاب قال بلى قلت أفليس ينبغي أن يدلك عقلك وما أدركت بالحواس التي زعمت أن الأشياء لا تعرف إلا بها إنه لو كان السحاب الذي يحتمل من المياه إلى البلدان والمواضع التي لا تنالها ماء العيون والأنهار وفيها العقائير والبقول والشجر والأنعام لغير صاحب الحديقة لأمسكه عن الحديقة إذا شاء ولكان خالق الحديقة من بقاء خليقته التي ذرأ وبرأ على غرور وجل خائفاً على خليقته أن يحبس صاحب المطر الماء الذي لا حياة للخليقة إلا به؟

قال: إن الذي جئت به لواضح متصل بعضه ببعض وما ينبغي أن يكون الذي خلق هذه الحديقة وهذه الأرض وجعل فيها الخليقة وخلق لها هذا المغيض وأنبث فيها هذه الثمار المختلفة إلا خالق السماء والسحاب يرسل منها ما شاء من الماء إذا شاء أن يسقي الحديقة ويحيي ما في الحديقة من الخليقة والأشجار والدواب والبقول وغير ذلك إلا أنني أحب أن تأتيني بحجة أزداد بها يقيناً وأخرج بها من الشك قلت فإني أتيتك بها إن شاء الله من قبل إلهي لجتك واتصالها بالحديقة وما فيها من الأشياء المتصلة بأسباب السماء لتعلم أن ذلك بتدبير عليم حكيم.

قال: وكيف تأتيني بما يذهب عني الشك من قبل الإلهيلجة قلت فيما أريك فيها من إتقان الصنع وأثر التركيب المؤلف واتصال ما بين عروقها إلى فروعها واحتياج بعض ذلك إلى بعض حتى يتصل بالسماء قال إن أريتني ذلك

(١) في «أ»: رأيت لو لم يكن.

(٢) غاض الماء يغيض مغيضاً: تقص أو غار قذهب. أو قل فنبض. لسان العرب ١٠: ١٥٧.

لم أشك قلت ألتست تعلم أن الإلهيلجة نابتة في الأرض وأن عروقها مؤلفة إلى أصل وأن الأصل متعلق بساق متصل بالفضون والقصون متصلة بالفروع والفروع منظومة بالأكمام والورق ومليس ذلك كله الورق ويتصل جميعه بظل يقيه حر الزمان وبرده؟.

قال: أما الإلهيلجة فقد تبين لي اتصال لحائها وما بين عروقها وبين ورقها ومنبتها من الأرض فأشهد أن خالقها واحد لا يشركه في خلقها غيره لإتقان الصنع واتصال الخلق وانتلاف التدبير وإحكام التقدير قلت إن أريتك التدبير مؤتلفا بالحكمة والإتقان معتدلا بالصنعة محتاجا بعضه إلى بعض متصلا بالأرض التي رجت منه الإلهيلجة في الحالات كلها أقر بخلق ذلك قال إذن لا أشك في الوجدانية قلت فافهم واقفه ما أصف لك ألتست تعلم أن الأرض متصلة بإلهيلجتك وإلهيلجتك متصلة بالتراب والتراب متصل بالحر والبرد والحر والبرد متصلان بالهواء والهواء متصل بالرياح والرياح متصلة بالسحاب والسحاب متصل بالمطر والمطر متصل بالأزمنة والأزمنة متصلة بالشمس والقمر والشمس والقمر متصلتان بدوران الفلك والفلك متصل بما بين السماء والأرض صنعة ظاهرة وحكمة بالغة وتآليف متقن وتدبير محكم متصل كل هذا ما بين السماء والأرض لا يقوم بعضه إلا ببعض ولا يتأخر واحد منهما عن وقته ولو تأخر عن وقته لهلك جميع من في الأرض من الأنام والنباتات قال إن هذه الهي العلامات البينات والدلالات الواضحات التي يجري معها أثر التدبير بإتقان الخلق والتأليف مع إتقان الصنع لكني لست أدري لعل ما تركت غير متصل بما ذكرت قلت وما تركت قال الناس قلت ألتست تعلم أن هذا كله متصل بالناس سخره لها المدير الذي أعلمتك أنه إن تأخر شيء مما عدت عليك هلكت الخليفة وباد جميع ما في الحديقة وزهبت الإلهيلجة التي تزعم أن فيها منافع الناس؟.

قال: فهل تقدر أن تفسر لي هذا الباب على ما لخصت لي غيره قلت نعم أبين لك ذلك من قبل إلهيلجتك حتى تشهد أن ذلك كله مسخر لبني آدم قال وكيف ذلك قلت خلق الله السماء سقفا مرفوعا ولو لا ذلك أغتم خلقه لقربها وأحرقتهم الشمس لدنوها وخلق لهم شهباً ونجوما يهتدى بها في ظلمات البر والبحر لمنافع الناس ونجوما يعرف بها أصل الحساب فيها الدلالات على إبطال الحواس وجود معلمها الذي علمها عباده مما لا يدرك علمها بالعقول فضلا عن الحواس ولا يقع عليها الأوهام ولا يبلغها العقول إلا به لأنه العزيز الجبار الذي دبرها وجعل فيها سراجا وقمران منيرا يسبحان في فلك يدور بهما دائبين يطلعهما تارة ويؤفلهما^(١) أخرى فينبئ عليه الأيام والشهور والسنين التي هي من سبب الشتاء والصيف والربيع والخريف أزمنة مختلفة الأعمال أصلها اختلاف الليل والنهار اللذين لو كان واحد منهما سرمدا على العباد لما قامت لهم معاش أبدا فجعل مدبر هذه الأشياء وخالقها النهار مبصر والليل سكنا وأهبط فيهما الحر والبرد متبائنين لو دام واحد منهما بغير صاحبه ما نبتت شجرة ولا طلعت ثمرة ولهلكت الخليفة لأن ذلك متصل بالرياح المصرفة في الجهات الأربع باردة تبرد أنفاسهم وحارة تلتق أجسادهم وتدفع الأذى عن أبدانهم ومعاشهم ورطوبة ترطب طبائعهم ويبوسة تنشف رطوباتهم بها يأتلف المفترق وبها يتفرق الغمام المطبق حتى ينسبط في السماء كيف يشاء مدبره فيَجْعَلُهُ كَسَفًا^(٢) فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ بِقَدْرِ مَعْلُومٍ لِعِمَاشٍ مَفْهُومٍ وَأَرْزَاقٍ مَقْسُومَةٍ وَأَجَالٍ مَكْتُوبَةٍ وَلو احتبس عن أزمنته ووقته هلكت الخليفة وبست الحديقة فأنزل الله المطر في أيامه ووقته إلى الأرض التي خلقها لبني آدم وجعلها فرشا ومهادا وحبسها أن تزول بهم وجعل الجبال لها أوتادا وجعل فيها ينابيع تجري في الأرض بما نبتت فيها لا تقوم الحديقة والخليفة إلا بها ولا يصلحون إلا عليها مع البحار التي يركبونها ويستخرجون منها حلية يلبسونها ولحما طريا وغيره يأكلونه فعلم أن إله البر والبحر والسماء والأرض وما بينهما واحد حي قيوم مدبر حكيم وأنه لو كان غيره لاختلفت الأشياء.

وكذلك السماء نظير الأرض التي أخرج الله منها حَبًّا^(٣) وَعِنَبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَخَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا بتدبير مؤلف مبين بتصوير الزهرة والثمرة حياة لبني آدم ومعاشا يقوم به أجسادهم وتعيش بها أنعامهم التي جعل الله في أضوافها وأوبارها وأشغارها أنثاء وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ والانتفاع بها والبلاغ^(٤) على ظهورها معاشا لهم لا

(١) كسف السحاب: قطعه. لسان العرب ١٢: ٩٦.

(٢) من بلغ بمعنى وصل. لسان العرب ١: ٤٨٦.

(٣) أفل: غاب. لسان العرب: ١٦٧.

(٤) في «أ»: أخرج الذرة منها حبا.



يحيون إلا به و صلاحا لا يقومون إلا عليه و كذلك ما جهلت من الأشياء فلا تجهل أن جميع ما في الأرض شيئا شيء يولد و شيء ينبت أحدهما أكل و الآخر مأكل و مما يدلك عقلك أنه خلقهم ما ترى من خلق الإنسان و تهينة جسده لشهوة الطعام و المعدة لتطحن المأكول و مجاري العروق لصفوة الطعام و هيأ لها الأمعاء و لو كان خالق المأكول غيره لما خلق الأجساد مشتهية للمأكول و ليس له قدرة عليه.

قال: لقد وصفت صفة أعلم أنها من مدبر حكيم لطيف قدير عليم قد آمنت و صدقت إن الخالق واحد سبحانه و بحمده غير أنني أشك في هذه السمائم القاتلة أن يكون هو الذي خلقها لأنها ضارة غير ناعمة قلت: أليس قد صار عندك أنها من غير خلق الله قال نعم لأن الخلق عبيده و لم يكن ليخلق ما يضرهم قلت سأبصرك من هذا شيئا تعرفه و لا أنبيئك إلا من قبل إلهي ليجتلك هذه و علمك بالطلب قال هات قلت هل تعرف شيئا من النبات ليس فيه مضرة للخلق قال نعم: قلت ما هو؟ قال هذه الأطعمة قلت أليس هذا الطعام الذي وصفت يغير ألوانهم و يهيج أوجاعهم حتى يكون منها الجذام و البرص و السلالة^(١) و الماء الأصفر و غير ذلك من الأوجاع قال هو كذلك. قلت أما هذا الباب فقد انكسر عليك قال أجل قلت هل تعرف شيئا من النبات ليس فيه منفعة قال نعم.

قلت: أليس يدخل في الأدوية التي يدفع بها الأوجاع من الجذام و البرص و السلالة و غير ذلك و يدفع الداء و يذهب السقم مما أنت أعلم به لطول معالجتك قال إنه كذلك قلت فأخبرني أي الأدوية عندكم أعظم في السمائم القاتلة أليس الترياق. قال نعم هو رأسها و أول ما يفرغ إليه^(٢) عند نهش الحيات و لسع الهوام و شرب السمائم قلت أليس تعلم أنه لا بد للأدوية المرتفعة و الأدوية المحرقة في أخلاط الترياق إلا أن تطبخ بالأفاعي القاتلة قال نعم هو كذلك و لا يكون الترياق المنتفع به للدافع للسمائم القاتلة إلا بذلك و لقد انكسر على هذا الباب فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أنه خالق السمائم القاتلة و الهوام العادية و جميع النبات و الأشجار و غارستها و منبتها و باري الأفساد و سائق الرياح و مسخر السحاب و أنه خالق الأدوية التي تهيج بالإنسان كالسمائم القاتلة التي تجري في أعضائه و عظامه و مستقر الأدوية و ما يصلحها من الدواء العارف بالروح و مجري الدم و أقسامه في العروق و اتصاله بالعصب و الأعضاء و العصب و الجسد و أنه عارف بما يصلحه من الحر و البرد عالم بكل عضو بما فيه و أنه هو الذي وضع هذه النجوم و حسابها و العالم بها و الدال على نحوسها و سعدوها و ما يكون من الموالي و أن التدبير واحد لم يختلف متصل فيما بين السماء و الأرض و ما فيها فبين لي كيف قلت هو التأول و الآخر و هو اللطيف الخبير و أشياء ذلك قلت هو الأول بلا كيف و هو الآخر بلا نهاية ليس له مثل خلق الخلق و الأشياء لا من شيء و لا كيف بلا علاج و لا معاناة و لا فكر و لا كيف كما أنه لا كيف له و إنما كيف بكيفية المخلوق لأنه الأول لا بدء له و لا شبه و لا مثل و لا ضد و لا تد لا يدرك ببصر و لا يحس بلمس و لا يعرف إلا بخلقه تبارك و تعالى قال: فصف لي قوته قلت إنما سمي ربنا جل جلاله قويا للخلق العظيم القوي الذي خلق مثل الأرض و ما عليها من جبالها و بحارها و رمالها و أشجارها و ما عليها من الخلق المتحرك من الإنس و من الحيوان و تصريف الرياح و السحاب المسخر المقل بالماء الكثير و الشمس و القمر و عظمهما و عظم نورهما الذي لا تدركه الأبصار بلوغا و لا منتها و النجوم الجارية و دوران الفلك و غلظ السماء و عظم الخلق العظيم. و السماء المسقفة فوقنا راکدة في الهواء و ما دونها من الأرض المبسوطة و ما عليها من الخلق الثقيل و هي راکدة لا تتحرك غير أنه ربما حرك فيها ناحية و الناحية الأخرى ثابتة و ربما خسف منها ناحية و الناحية الأخرى قائمة يرينا قدرته و يدلنا بفعله على معرفته فلماذا سمي قويا لقوة البطش المعروفة من الخلق و لو كانت قوته تشبه قوة الخلق لوقع عليه التشبيه و كان محتملا للزيادة و ما احتمل الزيادة كان ناقصا و ما كان ناقصا لم يكن تاما و ما لم يكن تاما كان عاجزا ضعيفا و الله عز و جل لا يشبه بشيء و إنما قلنا إنه قوي للخلق القوي و كذلك قولنا العظيم و الكبير و لا يشبه بهذه الأسماء الله تبارك و تعالى.

قال: أفرأيت قوله: سمع بصير عالم قلت إنما يسمى تبارك و تعالى بهذه الأسماء لأنه لا يخفى عليه شيء مما لا تدركه الأبصار من شخص صغير أو كبير أو دقيق أو جليل و لا نصفه بصيرا بلطف عين كالمخلوق و إنما سمي سميعا لأنه ما يكون من نجوى ثلاثة إله هو زابِعُهُمْ و لا خسة إله هو سادِسُهُمْ و لا أدنى من ذلك و لا أكثر إله هو مَعَهُمْ أَيْنَ مَا

كَانُوا يَسْمَعُ النُّجُومَ وَدَيْبِ النَّمْلِ عَلَى الصَّفَا وَخَفَقَانِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ وَلَا شَيْءٌ مِمَّا أَدْرَكَهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ وَمَا لَا تَدْرِكُهُ الْأَسْمَاعُ وَالْأَبْصَارُ مَا جَلَّ مِنْ ذَلِكَ وَمَا دَقَّ وَمَا صَغَرَ وَمَا كَبَرَ وَلَمْ تَقْلُ سَمِيعًا بَصِيرًا كَالسَّمْعِ الْمَعْقُولِ مِنَ الْخَلْقِ وَكَذَلِكَ إِنَّمَا سَمِيَ عَلِيمًا لِأَنَّهُ لَا يَجْهَلُ شَيْئًا مِنَ الْأَشْيَاءِ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ عِلْمٌ مَا يَكُونُ وَمَا لَا يَكُونُ وَمَا لَوْ كَانَ كَيْفَ يَكُونُ وَلَمْ يَنْصَفْ عَلِيمًا بِمَعْنَى غَرِيزَةٍ يَعْلَمُ بِهَا كَمَا أَنَّ لِلْخَلْقِ غَرِيزَةً يَعْلَمُونَ بِهَا فِهَذَا مَا أَرَادَ مِنْ قَوْلِهِ عَلِيمٌ فَعَزَّ مِنْ جَلِّ عَنِ الصِّفَاتِ وَمَنْ نَزَهَ نَفْسَهُ عَنْ أَعْمَالِ خَلْقِهِ فِهَذَا هُوَ الْمَعْنَى وَلَوْ لَا ذَلِكَ مَا فَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ فَسَبَّحَانَهُ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ.

قال: إن هذا لكما تقول ولقد علمت أننا غرضي أن أسأل عن رد الجواب فيه عند مصرف يسبح عني^(١) فأخبرني لعلي أحكمه فيكون الحجة قد انشרכת للمتعتت المخالف أو السائل المرتاب أو الطالب المرتاد مع ما فيه لأهل الموافقة من الإزدياد فأخبرني عن قوله لطيف وقد عرف أنه للفعل ولكن قد رجوت أن تشرح لي ذلك بوصفك قلت إنما سميناه لطيفا للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف مما خلق من البعوض والذرة وما هو أصغر منهما لا يكاد تدركه الأبصار والعقول لصغر خلقه من عينه وسمعه وصورته لا يعرف من ذلك لصغره الذكر من الأنثى ولا الحديث المولود من القديم الوالد فلما رأينا لطف ذلك في صغره وموضع العقل فيه والشهوة للسفاد والهرب من الموت والحذب على نسله من ولده ومعرفة بعضها بعضا وما كان منها في ليج البحار وأعنان السماء والمفاوز والتفار وما هو معنا في منزلنا ويفهم بعضهم بعضا من منطقهم وما يفهم من أولادها وتلقاها الطعام إليها والماء علمنا أن خالقها لطيف وأنه لطيف بخلق اللطيف^(٢) كما سميناه قويا بخلق القوي.

قال: إن الذي جئت به لوضح فكيف جاز للخلق أن يتسموا بأسماء الله تعالى قلت إن الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه أباح للناس الأسماء وهبها لهم وقد قال القائل من الناس للواحد واحد ويقول لله واحد ويقول قوي والله تعالى قوي ويقول صانع والله صانع ويقول رازق والله رازق ويقول سميع بصير والله سميع بصير وما أشبه ذلك فمن قال للإنسان واحد فهذا له اسم وله شبيه والله واحد وهو له اسم ولا شيء له شبيه وليس المعنى واحدا وأما الأسماء فهي دلالتنا على المسمى لأننا قد نرى الإنسان واحدا وإنا نخبر واحدا إذا كان مفردا فعلم أن الإنسان في نفسه ليس بواحد في المعنى لأن أعضائه مختلفة وأجزائه ليست سواء ولحمه غير دمه وعظمه غير عصبه وشعره غير ظفره وسواده غير بياضه وكذلك سائر الخلق والإنسان واحد في الاسم وليس بواحد في الاسم والمعنى والخلق فإذا قيل له فهو الواحد الذي لا واحد غيره لأنه لا اختلاف فيه وهو تبارك وتعالى سميع وبصير وقوي وعزيز وحكيم وعليم فتعالى الله أحسن الخالقين.

قال: فأخبرني عن قوله رءوف رحيم وعن رضاه ومحبه وغضبه وسخطه قلت إن الرحمة وما يحدث لنا منها شفقة ومنها جود وإن رحمة الله ثوابه لخلقه والرحمة من العباد شيئا أحدهما يحدث في القلب الرأفة والرقعة لما يرى بالمرحوم من الضر والحاجة وضروب البلاء والآخر ما يحدث منا من بعد الرأفة واللفظ على المرحوم الرحمة منا ما نزل به وقد يقول القائل انظر إلى رحمة فلان وإنا يريد الفعل الذي حدث عن الرقة التي في قلب فلان وإنا يضاف إلى الله عز وجل من فعل ما حدث عنا من هذه الأشياء وأما المعنى الذي هو في القلب فهو منفى عن الله كما وصف عن نفسه فهو رحيم لرحمة رقة وأما الغضب فهو منا إذا غضبنا تغيرت طبائعنا وترتد أحيانا مفاصلنا وحالت أوتاننا ثم نجيء من بعد ذلك بالعقوبات فسمي غضبا فِهَذَا كَلَامُ النَّاسِ الْمَعْرُوفِ وَالْغَضَبُ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا فِي الْقَلْبِ^(٣) وَأَمَّا الْمَعْنَى الَّذِي هُوَ فِي الْقَلْبِ فَهُوَ مَنْفَى عَنِ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذَلِكَ رِضَا وَسَخَطُهُ وَرَحْمَتُهُ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ جَلَّ وَعَزَّ لَا شَبِيهَ لَهُ وَلَا مِثْلَ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

قال: فأخبرني عن إرادته قلت إن الإرادة من العباد الضمير وما يبدو بعد ذلك من الفعل وأما من الله عز وجل فالإرادة للفعل إحداثه إنما يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ بلا تعب ولا كيف.

قال: قد بلغت حسبك فهذه كافية لمن عقل وَ الْخَدُّ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الَّذِي هَدَانَا مِنَ الضَّلَالِ وَعَصَمَنَا مِنْ أَنْ

(٢) وفي «أ»: لطيف يخلق اللطيف.

(١) سنع لي رأي في كذا، أي عرض. الصحاح: ٣٧٧.

(٣) الظاهر أن ما سقط في العبارة.

نشبهه بشيء من خلقه و أن نشك في عظمته و قدرته و لطيف صنعه و جبروته جل عن الأشياء و الأضداد و تكبر عن الشركاء و الأنداد.

شرح: قوله ﷺ دفعت إليه على بناء المجهول أي دفعتك الحاجة و الضرورة إليه و في الأساس دفع فلان إلى فلان انتهى إليه ^(١) قوله ﷺ مغيض هو بفتح الميم و كسر الغين المعجمة موضع يجري إليه الماء و يغيب أو يجتمع فيه و في الثاني مصدر ميمي قوله ﷺ في الجهات الأربع أي الشمال و الجنوب و الصا و الديور و يحتمل أن يكون المراد المتغيرة بسبب الصفات الأربعة التي فسرنا ﷺ قوله ﷺ تلحق أجسادهم أي تسميها مستعارة من لقاح الشجر كما قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ﴾ ^(٢). و في أكثر النسخ بالفاء و هو بمعنى الإحراق فيكون كناية عن نضجها و الودق المطر قوله و قُصِبَ يعني الرطبة سميت بمصدر قضبه إذا قطعه لأنها تقضب مرة بعد أخرى و خدائق غلباً أي عظاما و صفت به الحدائق لتكافئها و كثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ مستعار من وصف الرقاب و آباً مرعى من آب إذا لم لأنه يؤم و ينتجع أو من آب لكذا إذا تهايل لأنه منتهى للرعي و فاكهة يابسة توب للشتاء و قال الجوهري الأثاث متاع البيت قال الفراء لا واحد له و قال أبو زيد الأثاث المال أجمع الإبل و الغنم و العبيد و المتاع الواحدة أثاثة انتهى ^(٣) و متاعاً أي شيئاً ينتفع به إلى حين إلى أن تقضوا منه أوطاركم أو إلى أن يبلى و يفنى أو إلى أن تموتوا قوله ﷺ و الانسحاق عطف على أوصافها أو في أوصافها قوله ﷺ و مستقر اسم مكان معطوف على الأنداء قوله ﷺ هو الأول بلا كيف أي كان أزلياً من غير انصاف بكيفية أو من غير أن تعرف كيفية أوليته بمقارنته زمان قديم بل بلا زمان قوله ﷺ لا من شيء و لا كيف أي لا من مادة و لا من شبه و مثال و تصور و خيال تمثل فيه كيفية الخلق ثم خلق على مثال ذلك كما في المخلوقين قوله ﷺ ثانياً و لا كيف أي ليس لخلقهم و إيجادهم كيفية كما في المخلوقين من حركة و مزاولة عمل فكما أنه لا كيف لذاته لا كيف لإيجادهم و إذا وصف خلقهم و إيجادهم بالكيف فهو يرجع إلى كيفية مخلوقه فإذا قيل كيف خلق الأشياء فالعنى الصحيح له كيف مخلوقاته لا أنه كيف كان فعله و إيجادهم و إليه أشار ﷺ بقوله و إنما الكيف بكيفية المخلوق ثم علل ذلك بأن هذه صفات المحدثين و هو الأول لا بد له و لا شبه فكيف يتصف بها قوله ﷺ الذي خلق خير مبتداً محذوف أي هو الذي و قوله ﷺ و تصريف الرياح عطف على الخلق العظيم و يحتمل العطف على قوله مثل الأرض قوله ﷺ بلوغاً و لا منتهى لعل المراد أنه لا يبلغ الأبصار إليهما و لا إلى منتهى نورهما أو منتهى جسمهما قوله ﷺ و عظم الخلق العظيم أي السماء أو ما عليها من الملائكة قوله و لا يشبه بهذه الأسماء على بناء المجهول من باب التفعيل أي لا يصير إطلاق هذه الأسماء عليه سبباً لأن يظن أنه شبيه بخلق قوله إنما غرضي أي غرضي من السؤال أن تجيب عما يعرض لي من إشكال يصرفني عن الحق يستحق و يظهر غني و في بعض النسخ عن رد الجواب فيه عند متعرف غني أي إني قد أمنت و أيقنت و إنما المقصود من السؤال أن أذكر على أن أجيب عن سؤال متعرف غني جاهل أحقق لأهديه إلى الحق و هو أظهر و الحذب العطف و الشفقة و لعل المراد بما في ^(٤) أعنان السماء ^(٥) ما يطير في الهواء و قد مر تفسير بعض الفقرات و سيأتي تفسير بعضها.

(١) أساس البلاغة: ١٣٢.

(٢) الحجر: ٢٢.

(٣) في «أ» و لعل المراد: إلى.

(٤) الصالح: ٢٧٢.

(٥) أعنان السماء نواحيها. لسان العرب ٩: ٤٤٠.

التوحيد ونفي الشريك ومعنى الواحد والأحد والصمد وتفسير سورة التوحيد

الآيات، البقرة: ﴿وَاللَّهُمَّ إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ١٦٣.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا^(١) يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا^(٢) لِلَّهِ ۚ﴾» ١٦٥.

«وَقَالَ سِيحَانَهُ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ٢٥٥.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ٢٨٤.

آل عمران: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ﴾ ٦٢.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ^(٣) أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ ٦٤^(٤).

النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ شُرَكَائِهِ وَ يَتَغَيَّرُ مَا دُونِ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى^(٥) إِثْمًا عَظِيمًا﴾ ٤٨.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنْسَانًا وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَرِيدًا﴾ ١١٦ - ١١٧.

«وَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ١٣٢.

أنعام: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ ضَالِّينَ لِمَا تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ^(٦) مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْتَسُونَ مَا تَشْرِكُونَ﴾ ٤٠ - ٤١.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ ٥٦.

الأعراف: ﴿مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ «في مواضع» ٥٩، ٦٥، ٧٣.

يونس: ﴿وَمَا يَتَّبِعِ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ ٦٦.

«وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأَمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْ أَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾ ١٠٤ - ١٠٦.

هود: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ﴾ ٢.

يوسف: ﴿مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾ ٣٨.

«وَقَالَ: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ أَزِيدُ الْكَافِرِينَ أَلْزَابًا مَمْلُوءَةً خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَقِيمَةٌ هِيَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٩ - ٤٠.

«وَقَالَ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ ١٠٦.

الرعد: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ لَهُمْ شَيْءًا إِلَّا كَبَاسِطٌ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ

(١) أي من الأصنام أو الرؤساء أو الأعم. يحبونهم أو يعظمونهم ويصفونهم كعظيمه تعالى والميل إلى طاعته منه.

(٢) قوله تعالى: أشد حبا لله أي لا تنقطع محبتهم لله، بخلاف محبة الابداد فانها لا غرض فاسدة تزول بأدنى سبب. «منه رحمه الله».

(٣) أي لا يختلف فيها الرسل والكتب. «منه رحمه الله».

(٤) أي أنزلتمكم الحجة فاعتزوا بأنا مسلمون دونكم، واعتزوا بأنكم كافرون بما نطق به الكتب وتطابق عليه الرسل. «منه رحمه الله».

(٥) لا افتراء يطلق على القول والفعل. «منه ربه».

(٦) فيكشف ما تدعونه إلى كشفه إن شاء أن يتفضل عليهم، ولا يشاء في الآخرة «منه رحمه الله».

بِإِلَهِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِنَّا فِي ضَلَالٍ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْعُدُوِّ
الْأَصَالِ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ فَنَعَمْ أَمْ لَا ضَرًّا أَعْلَى هَلْ
يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ
اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ١٤ - ١٤.

٢٠٠ «وَقَالَ» «قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابٌ» ٣٠.
«وَقَالَ» «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ
بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» ٣٣.
«وَقَالَ» «قُلْ إِنَّمَا أَمِِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أَشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابٌ» ٣٦.
إبراهيم: «وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» ٥٢.

النحل: «يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» ٢ - ٣.

«وَقَالَ تَعَالَى» «وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُونَ وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ
الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا
فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا أَفَسَوْفَ تَعْلَمُونَ وَتَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ^(١) نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ
ثَالِثًا لَتُسْأَلُنَّ عَنْهُمَا كُنْتُمْ تَفْتُرُونَ وَتَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» ٥١ - ٥٧.

الإسراء: «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» ٢٢ - ٢٣.
«وَقَالَ تَعَالَى» «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْلُقَ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَذْذُورًا» ٣٩.

«وَقَالَ تَعَالَى» «قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا لَا يَأْتِنَا^(٢) إِذَا لَا يَأْتِنَا^(٢) إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ
عُلُوًّا كَبِيرًا» ٤٢ - ٤٣.

«وَقَالَ تَعَالَى» «قُلْ أَدْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ
يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِذَا عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» ٥٦ - ٥٧.
الكهف: «فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ
دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونُ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ مِنْ رَبِّكَ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» ١٤ - ١٥.

«وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى» «لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكَ بِرَبِّي أَحَدًا» ٣٨.
«وَقَالَ تَعَالَى» «وَيَقُولُ يَا إِلَهَتِي لِمَ أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا» ٤٢.

«وَقَالَ تَعَالَى» «أَفَحَسِبَ^(٣) الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ» ١٠٢.
«وَقَالَ تَعَالَى» «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» ١١٠.

مريم: «وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا» ٨١ - ٨٢.

الأنبياء: «وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يَسُبُّونَ اللَّيْلَ وَ
النَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ أَمْ اتَّخَذُوا^(٤) آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ^(٥) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَقُولُ هُمْ يُسْأَلُونَ أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِي وَذِكْرٌ مِنْ

(١) قوله: لما لا يعلمون، أي لآلهتهم التي لا علم لها، فالضير لما أو للتي لا يعلمونها فيعتقدون فيها جهالات «منه رحمه الله».

(٢) أي يطلبوا إلى من هو من مالِك الملِك سبيلًا بالمعازة والمغالبة كما تفعل الملوك بعضهم مع بعض، أي بالتقرب إليه والطاعة لعلهم بقدرته وعجزهم «منه».

(٣) المفعول الثاني «لحسب» مقدر، أي نافعهم أو لا أعذبهم، أوسد «أن يتخذوا» مسد المفعولين. «منه رحمه الله».

(٤) معطوف على الموصولين أو مبتدأ، والاستحسان: الاعياد.

(٥) قوله: هم ينشرون أي الموتى، وهم وإن لم يقرؤوا بذلك لكن يلزم ذلك من ادعائهم كونها آلهة. (منه رحمه الله).

فَقِيلَ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿١٩-٢٥﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» وَوَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَخَذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنْفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْهَا مُصْحَبُونَ ﴿٤٢-٤٣﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» إِنَّا نَكْفِيكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هُوَ اللَّهُ مَا وَرَدُوهَا وَكُلُّ فِيهَا خَالِدُونَ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿٩٨-١٠١﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» قُلْ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيَّ أَنَّكُمْ إِلَهِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

الحج: ٢٠٢ «حُفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

«وَقَالَ» وَو يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾
المؤمنون: «وَمَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَنِ غَيْبِ عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَنِ غَيْبِ بَشْرِكُونَ ﴿٩١-٩٢﴾

«وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ» وَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٦-١١٧﴾

الفرقان: «وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

الشعراء: «فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾

النمل: «اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» قُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ سَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ أَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَبَائِثَ ذَاتِ نَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلِ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٣١﴾ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَ جَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَ جَعَلَ لَهَا رَوَاسِي ﴿٣٢﴾ وَ جَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِلِ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَ يُخْفِئُ السَّوءَ وَ يَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ﴿٤٤﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِقَلِيلًا مَا تَذْكُرُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَ مَنْ يُزَكِّكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ قُلْ هَانُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٩-٦٤﴾

القصاص: ٢٠٣ «وَو يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ وَ قِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُم فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ رَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٢-٦٤﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» وَو لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَ لَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٧-٨٨﴾

العنكبوت: «وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

(١) أى من عذابه، وقوله: لا يستطيعون استئنا في لابطال ما اعتقدوه ولا هم منا يصحبون أى لا يجارون من عذابنا ولا يصحبهم منا نصر. (منه رحمه الله)
(٢) أى يعدلون عن الحق. (منه رحمه الله)
(٣) أى جبالاً ثابتة، والبحران: العذب والمالح وبحرا فارس والروم. (منه رحمه الله)
(٤) قوله: خلفاء الارض وركم سكانها والتصرف فيها فمن قبلكم (منه رحمه الله) والظاهر: ومن قبلكم.
(٥) أى بالتجوم وعلامات الارض. بين يدى رحمته أى المظر من السماء والارض أى بأسبابها. (منه رحمه الله)

«وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ» ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَضَرِبَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَقْبَلُهَا إِلَّا الْعَالَمُونَ﴾ ٤١ - ٤٣.

الروم: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا^(١) دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا^(٢)﴾ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ وَإِذَا مَسَّ
النَّاسَ ضَرٌّ دَعَا رَبَّهُمْ مُبِينِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا ذُوقُوا مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا^(٣) بِمَا أَتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ أَمْ أُنْزِلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا^(٤) فَهُمْ يَنْكُرُونَ^(٥) بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ﴿٣١-٣٥﴾

«وَقَالَ تَعَالَى» اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَفْعَلُ مِنْ ذَلِكُمْ مِثْلَ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» ٤٠.

لقمان: «يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ» ۱۳.

«وَقَالَ» ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ ١٥.

سبأ: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَبْلُغُونَ مِنْقَالِ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرْكَ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ ٢٢.

«وَقَالَ تَعَالَى: «قُلْ أَرَأَيْتَ الَّذِينَ أَحَقُّنَا بِهِ شُرَكَاءَ كُلَّا بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ٢٧.

«وَقَالَ سُبْحَانَهُ»: «وَيَوْمَ يَخْسِرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَرَبُّكَ مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ» ٤٠-٤١.

فاطرو: ﴿وَمَا أَتَيْنَا النَّاسَ أَنْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ عَلَيْهِمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يُرْسِلُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا الْإِلَهُ فَأَنَّى تَوَفِّكُونَ﴾ ٣.

«وَقَالَ سَيَعَانَهُ» وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذَابٌ فَرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِنْ كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفَلَكَ فِيهِ مَوَاجِرَ لَيَسْتَفْتَا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ يُولِجُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَبُولِجُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى (٥) ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمُ اللَّهُ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَغْلِبُكُمْ مِنْ عَذَابِهِ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ (٦) وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِنْهُ خَبِيرٌ ١٢ - ١٤»

«وَقَالَ تَعَالَى» «قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْهُ لَا، إِنَّ عِدَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْأَغْرَارُ ۝ ٤٠»

يس: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُونَ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ حُتٌّ مُضَرَّوْنَ﴾ ٧٤ - ٧٥.

وَالصَّافَاتِ صَفًّا فَالْأَجْزَاتِ رَجْرًا فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا إِنَّ إِلَهُكُمْ لَوَاحِدٌ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا رَبُّ الْمَشَارِقِ ٥٠ - ٥١.

ص: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ٦٥ - ٦٦.

الزمر: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَانِّي تُصْرَفُونَ﴾. ٦.

«وَقَالَ تَعَالَى» وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِّلضَّلِ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ۝۸

«وَقَالَ تَعَالَى» ﴿قُلِ اللَّهُ أَغْنِيكَ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ﴿١٤ - ١٥﴾

(۱) تفرقهم اختلافهم فيما يعبدونه. (منه رحمه الله)

(۲) شیعاً ای فرقاً بشایع کل امامها. (منه رحمه الله)

(۳) ليكفروا: اللام للعافية (منه رحمه الله)

(٤) سلطاناً؛ أى حجة أو ذا سلطان، أى ملكاً، فعلم، الاول التكلم محاز (منه، رحمه الله)

(٥) الاجل المسمى مدة دوره أى منتهاء، أو يوم القامة. القطمير لغافة النواة. (منه رحمه الله)

(٦) قوله تعالى: (ولو سمعوا) أى على فرض المحال ما استجابوا لم لعدم قدرتهم على الانفعال، أو لتبريهم منكم مما تدعون لهم. (منه رحمه الله)

«و قال سبحانه» «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَ رَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» ٢٩.

«و قال تعالى» «قُلْ أَفَتَعْبِرُ اللَّهُ بِأَمْثَرِي أَعْبُدُ أَهْلَهَا الْجَاهِلُونَ وَ لَقَدْ أَوْحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَنْ أَشْرَكَتَ لِيَخْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ بَلِ اللَّهُ فَاعْبُدْ وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ» ٦٤ - ٦٦.

المؤمن: «ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَ إِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا» ١٢.

«و قال» «وَ اللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنْ اللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» ٢٠.

«و قال تعالى» «وَ يَا قَوْمِ مَا لِيَ أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَ تَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَ أَشْرَكَ بِهِ مَا نَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْغَيْرِزِ الْغَفَّارِ» ٤١ - ٤٢.

«و قال تعالى» «ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لََا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّقُوا اللَّهَ تَتَّقُونَ» ٦٢.

«إلى قوله تعالى» «هُوَ الْحَيُّ لََا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ» ٦٥.

«إلى قوله تعالى» «فَلَنَرَاوَا بَاسُنَا فَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَ كَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ» ٨٤.

السجدة: (١) «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحِي إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَ اسْتَغْفِرُوهُ وَ وَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ» ٦.

«إلى قوله تعالى» «قُلْ أَنتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَ تَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ» ٩.

«و قال تعالى» «وَ إِذْ جَاءَهُمْ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ مِنْ خَلْقِهِمْ لََا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ» ١٤.

«و قال تعالى» «وَ يَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَتَيْنَ شُرَكَائِي فَاَلُوا أَذْنَاكَ مَا مِثْنًا مِنْ شَهِيدٍ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَ ظَنُّوا مَا لَهُمْ مِنْ مَجِيسٍ».

٢٠٦ «و قال تعالى»: «وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ لََا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَ لََا لِلْقَمَرِ وَ اسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ فَإِنْ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَ النَّهَارِ وَ هُمْ لَا يَسْأَمُونَ» ٣٧ - ٣٨.

حمعسق: (٢) «أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَ هُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» ٩.

«و قال تعالى» «كَثِيرٌ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» ١٣.

الزخرف: «وَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَ قَوْمِهِ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ» ٢٦ - ٢٧.

«و قال تعالى» «وَ سَنَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ» ٤٥.

«و قال تعالى» «وَ لَمَّا ضَرَبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ وَ قَالُوا آلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» ٥٧ - ٥٨.

الجن: «وَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَ لَا مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» ١٠.

محمد: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ١٩.

ق: «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ» ٢٦.

الذاريات: «وَ لَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ» ٥١.

الطور: «أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ» ٤٣.

المنمنمة: «فَقَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَ الَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» ٤.

الجن: «قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَ لَا أَشْرِكُ بِهِ أَحَدًا» ٢٠.

الزمل: «رَبِّ الْمَشْرِقِ وَ الْمَغْرِبِ لََا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا» ٩.

التوحيد: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ».

(١-يد: [التوحيد] ل: [الخصال] الطالقاني عن محمد بن سعيد بن يحيى عن إبراهيم بن الهيثم البلدي عن أبيه عن المعافي بن عمران عن إسرائيل عن المقدام بن شريح بن هاني عن أبيه قال إن أعرابيا قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال يا أمير المؤمنين أقول إن الله واحد قال فحمل الناس عليه وقالوا يا أعرابي أما ترى ما فيه أمير المؤمنين من تقسم المقلب فقال أمير المؤمنين ﷺ دعوه فإن الذي يريدُه الأعرابي هو الذي نريده من القوم ثم قال يا أعرابي إن القول في أن الله واحد على أربعة أقسام فوجهان منها لا يجوز على الله عز وجل وجهان يشتان فيه فأما اللذان لا يجوزان عليه فقول القائل واحد يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز لأن ما لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد أما ترى أنه من كفر من قال إنه ثالث ثلاثة وقول القائل هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس فهذا ما لا يجوز لأنه تشبيه وجل ربنا وتعالى عن ذلك وأما الوجهان اللذان يشتان فيه فقول القائل هو واحد ليس له في الأشياء شبه كذلك ربنا وقول القائل إنه عز وجل أحدي المعنى يعني به أنه لا ينقسم في وجود ولا عقل ولا وهم كذلك ربنا عز وجل. (١)

مع: عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب بن نصر بن عبد الوهاب بن عطاء بن واصل السنجرى (٢) عن أبي الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة (٣) الشعراني العامري من ولد عمار بن ياسر عن أبي محمد عبيد الله بن يحيى بن عبد الباقي الآذني عن أبي المقدام بن شريح بن هاني عن أبيه مثله. (٤)

بيان: التقسم التفرق والمعنى الأول المنفي هو الوحدة العددية بمعنى أن يكون له ثان من نوعه والثاني أن يكون المراد به صفا من نوع فإن النوع يطلق في اللغة على الصف وكذا الجنس على النوع فإذا قيل لرومي مثلا هذا واحد من الناس بهذا المعنى يكون المعنى أن صف هذا صف من أصناف الناس أو هذا من صف من أصنافهم ويحتمل أن يكون المراد بالأول الذي له ثان في الإلهية وبالثاني الواحد من نوع داخل تحت جنس فالمراد أنه يريد به أي بالناس أنه نوع لهذا الشخص ويكون ذكر الجنس لبيان أن النوع يستلزم الجنس غالبا فيلزم التركيب من الأجزاء العقلية والمعنوية الميثتان الأول منهما إشارة إلى نفي الشريك والثاني منهما إلى نفي التركيب وقوله في وجود أي في الخارج.

٢-يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن محمد العطار عن ابن عيسى عن أبي هاشم الجعفري قال سألت أبا جعفر الثاني ﷺ ما معنى الواحد قال المجتمع عليه بجميع الألسن بالوحدانية. (٥)
سن: [المحاسن] أبي عن داود بن القاسم مثله. (٦)

٣-ج: [الإحتجاج] عن أبي هاشم الجعفري قال قلت لأبي جعفر الثاني ﷺ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ما معنى الأحد قال المجتمع عليه بالوحدانية أما سمعته يقول «وَلَيْزَنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ» (٧) بعد ذلك له شريك وصاحبة. (٨)

بيان: قوله ﷺ بعد ذلك استفهام على الإنكار أي كيف يكون له شريك وصاحبة بعد إجماع القول (٩) على خلافه.

٤-يد: [التوحيد] ابن عصام والدقاق عن الكليني عن علي بن محمد بن الحسن جميعا عن سهل عن أبي هاشم الجعفري قال سألت أبا جعفر الثاني ﷺ ما معنى الواحد قال الذي اجتماع الألسن عليه بالتوحيد كما قال عز وجل. «وَوَ»

(١) التوحيد: ٨٣ ج ٢ ح ٢. وفيه: فهذا ما لا يجوز عليه لانه تشبيه، الخصال: ٢ ج ١ ح ١.

(٢) كذا في «أ» وفي المصدر أيضاً. وفي «ط»: السنجرى. (٣) في المصدر: أحمد بن محمد بن عبد الله بن حمزة الشعراني.

(٤) معاني الأخبار: ٥ ج ٦ ح ٢. (٥) التوحيد: ٨٢ ج ٣ ح ١. معاني الأخبار: ٥ ج ٦ ح ١.

(٦) المحاسن: ٣٢٨ كتاب الملل ح ٣. (٧) العنكبوت: ٦١.

(٨) الإحتجاج: ٤٤١ وفيه: ثم يقولون بعد ذلك له شريك. (٩) كذا في «أ» وفي «ط»: إجماع القول على خلافه.

بيان: يحتمل تلك الأخبار وجوها.

الأول: أن يكون ﷺ أحال معنى الواحد على ما هو المعروف بين الناس وأعرض عنه واستدل عليه بما جيل عليه جميع العقول من الإذعان بتوحيده.

الثاني: أن يكون المراد به أن معنى الواحد هو الذي أقر به كل ذي عقل إذا صرف عنه الأغراض النفسانية.

الثالث: أن يكون هذا اللفظ بحسب الشرع موضوعا لهذا المعنى مأخوذا فيه إجماع الألسن.

ثم الظاهر أن يكون الآية احتجاجا على مشركي قريش حيث كانوا يقولون بأن الخالق لجميع المخلوقات هو الله تعالى ومع ذلك كانوا يعبدون الأصنام وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ وَيحتمل أن يكون المراد أن غرائز الخلق كلها مجبولة على الإذعان بتوحيده فإذا رجعوا إلى أنفسهم وتركوا العصبية والعناد يرون أنفسهم مدعنة بذلك وبينه على ذلك أنهم عند اضطرابهم في المهالك والمخاوف لا يلجئون إلا إليه كما نبه تعالى عليه في مواضع من القرآن المجيد والأول أظهر فإن للتوحيد ثلاثة معان الأول توحيد واجب الوجود والثاني توحيد صانع العالم ومدير النظام والثالث توحيد الإله وهو المستحق للعبادة وكان مشركو القريش مخالفين في المعنى الثالث.

٥- ج: [الإحتجاج] عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق الصادق ﷺ عن قول من زعم أن الله لم يزل معه طينة موزية فلم يستطع التفصي^(٢) منها إلا بامتزاجه بها ودخوله فيها فمن تلك الطينة خلق الأشياء قال سبحانه الله تعالى ما أعجز إلها يوصف بالقدرة لا يستطيع التفصي^(٣) من الطينة إن كانت الطينة حية أزلية فكانا إلهين قديمين فامتزجا ودبرا العالم من أنفسهما فإن كان ذلك كذلك فمن أين جاء الموت والفناء وإن كانت الطينة ميتة فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم والميت لا يحيى منه حي^(٤) هذه مقالة الديسانية أشد الزنادقة قولاً وأهمهم مثلاً نظروا في كتب قد صنفتها أولئهم وحبروها^(٥) لهم بألفاظ مزخرفة من غير أصل ثابت ولا حجة توجب إثبات ما ادعوا كل ذلك خلافاً على الله وعلى رسله وتكذيباً بما جاءوا به عن الله.

فأما من زعم أن الأبدان ظلمة والأرواح نور وأن النور لا يعمل الشر والظلمة لا تعمل الخير فلا يجب عليهم أن يلوموا أحداً على معصية ولا ركوب حرمة ولا إتيان فاحشة وإن ذلك على الظلمة غير مستنكر لأن ذلك فعلها ولا أن يدعو ربا ولا يتضرع إليه لأن النور رب والرب لا يتضرع إلى نفسه ولا يستعيز بغيره ولا لأحد من أهل هذه المقالة أن يقول أحسنت وأسأت لأن الإساءة من فعل الظلمة وذلك فعلها والإحسان من النور ولا يقول النور لنفسه أحسنت يا محسن وليس هناك ثالث فكانت الظلمة على قياس قولهم أحكم فعلاً وأتقن تدبيراً وأعز أركاناً من النور لأن الأبدان محكمة فمن صور هذا الخلق صورة واحدة على نعت مختلفة وكل شيء يرى ظاهراً من الظاهر والأشجار والثمار والطيور والدواب يجب أن يكون إلهاً ثم حبست النور في حبسها والدولة لها وما ادعوا بأن العقاب سوف تكون للنور فدعوى وينبغي على قياس قولهم أن لا يكون للنور فعل لأنه أسير وليس له سلطان فلا فعل له ولا تدبير وإن كان له مع الظلمة تدبير فما هو بأسير بل هو مطلق عزيز فإن لم يكن كذلك وكان أسير الظلمة فإنه يظهر في هذا العالم إحسان وخير مع فساد وشر فهذا يدل على أن الظلمة تحسن الخير وتفعله كما تحسن الشر وتفعله فإن قالوا محال ذلك فلا نور يثبت ولا ظلمة وبطلت دعواهم ويرجع الأمر إلى أن الله واحد وما سواه باطل فهذه مقالة ماني الزنديق وأصحابه.

وأما من قال النور والظلمة بينهما حكم فلا بد من أن يكون أكبر الثلاثة الحكم لأنه لا يحتاج إلى الحاكم إلا

(٢) تفصي من الشيء: تخلص. لسان العرب ١٠: ٢٧٦.

(٤) وفي نسخة: والميت لا يحيى منه حي.

(١) التوحيد: ٨٣ ب ٣ ح ٢.

(٣) تفصي من الشيء: تخلص. لسان العرب ١٠: ٢٧٦.

(٥) حَبَّرَ الكلام: حسنته. لسان العرب ٣: ١٥.

مغلوب أو جاهل أو مظلوم و هذه مقالة المدقونية^(١) و الحكاية عنهم تطول.

قال فما قصة ماني قال متفحص أخذ بعض المجوسية فشابها ببعض النصرانية فأخطأ الملتين و لم يصب مذهباً واحداً منهما و زعم أن العالم دبر من إلهين نور و ظلمة و أن النور في حصار من الظلمة على ما حكينا منه فكذبتهم النصراني و قبلته المجوس الخبير^(٢).

توضيح و تحقيق:

اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى إبطال مذاهب ثلاث فرق من الثنوية و لنحقق أصل مذاهبهم ليتضح ما أفاده عليه السلام في الرد عليهم.

الأول: مذهب الديسانية و هم أصحاب ديسان و هم أثبتوا أصليين نورا و ظلاما فالنور يفعل الخير قصدا و اختيارا و الظلام يفعل الشر طبعاً و اضطراراً فما كان من خير و نفع و طيب و حسن فمن النور و ما كان من شر و ضر و تن و قبح فمن الظلام و زعموا أن النور حي عالم قادر حساس دراك و منه تكون الحركة و الحياة و الظلام ميت جاهل عاجز جماد موات لا فعل لها و لا تمييز و زعموا أن الشر يقع منه طبعاً و زعموا أن النور جنس واحد و كذلك الظلام جنس واحد و أن إدراك النور إدراك متفق و أن سمعه و بصره هو حواسه و إنما قيل سمع بصير لاختلاف التركيب لا لأنها في نفسها شيان مختلفان.

و زعموا أن اللون هو الطعم و هو الرائحة و هو المجسة^(٣) و إنما وجده لونا لأن الظلمة خالطته ضرباً من المخالطة و وجده طعماً لأنها خالطته بخلاف ذلك الضرب و كذلك يقول في لون الظلمة و طعمها و رائحتها و مجستها و زعموا أن النور بياض كله و أن الظلمة سواد كلها و زعموا أن النور لم يزل يلقي الظلمة بأسفل صفيحة منه و أن الظلمة لم تزل تلقاه بأعلى صفيحة منها.

و اختلفوا في المزاج و الخلاص فزعم بعضهم أن النور دخل الظلمة و الظلمة تلقاه بخشونة و غلظ فتأذى بها و أحب أن يرفقها و يلينها ثم يتخلص منها و ليس ذلك لاختلاف جسمها و لكن كما أن المنشمار جنسه حديد و صفيحته لينة و أسنانه خشنة فاللين في النور و الخشونة في الظلمة و هما جنس واحد فيلطف النور بليونة حتى يدخل فيما بين تلك الفرج فما أمكنه إلا بتلك الخشونة فلا يتصور الوصول إلى كمال و وجود إلا بلين و خشونة.

و قال بعضهم بل الظلام لما احتال حتى تشبث بالنور من أسفل صفيحته و درجه فاجتهد النور حتى يتخلص منه و يدفعها عن نفسه اعتمد عليه فلجج^(٤) فيه و ذلك بمنزلة الإنسان الذي يريد الخروج من وحل وقع فيه فيعتمد على رجله ليخرج فيزداد لجوجاً فيه فاحتاج النور إلى زمان ليعالج التخلص منه و التفرد بعالمه.

و قال بعضهم إن النور إنما دخل الظلام اختياراً ليصلحها و يستخرج منه أجزاء صالحة لعالمه فلما دخل تشبث به زماناً فصار يفعل الجور و القبيح اضطراراً لا اختياراً و لو انفرد في عالمه ما كان يحصل منه إلا الخير المحض و الحسن البحت و فرق بين الفعل الضروري و بين الفعل الاختياري^(٥).

الثاني: مذهب المانوية أصحاب ماني الحكيم الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير و ذلك بعد عيسى عليه السلام أخذ ديناً بين المجوسية و النصرانية و كان يقول بنبوة المسيح عليه السلام و لا يقول بنبوة موسى عليه السلام حكى محمد بن هارون المعروف بأبي عيسى الوراق أن الحكيم ماني زعم أن العالم مصنوع مركب من أصليين قديمين أحدهما نور و الآخر ظلمة و أنهما أزليان لم يزلوا و لن يزالا و أنكر وجود شيء لا من الأصل قديماً و زعم أنهما لم يزلوا قوين حساسين^(٦) سمعيين بصيرين و هما مع ذلك في النفس و الصورة و الفعل و التدبير متضادان و الخير و الشر متحاذيان

(١) و في نسخة: و هذه مقالة المرقوبية. و في المصدر و هذه مقالة المانوية.

(٢) الاحتجاج: ٣٤٥ - ٣٤٦ و فيه: أشد الزنادقة قولاً و أمهتهم مثلاً و كذا: و كل شيء يرى ظاهراً من الزهر و الاشجار.

(٣) المجسة: الموضع الذي تقع عليه اليد. لسان العرب ٢: ٢٨٣.

(٤) لج في الامر: تمادى عليه و أبي أن ينصرف عنه. لسان العرب ١٢: ٢٣٨.

(٥) الملل و النحل ٢: ٨٩ - ٩١.

(٦) في المصدر: قوتين حساسين.

تحاذي الشخص والظل والنور جوهره حسن فاضل كريم صاف نقي طيب الريح حسن المنظر ونفسه خيرة كريمة حليلة ناعمة عالمة وفعله الخير والصلاح والنفع والسرور والترتيب. والنظام والاتفاق وجهته فوق وأكثرهم على أنه مرتفع من ناحية الشمال.

وزعم بعضهم أنه بجنب الظلمة وأجناسه خمسة أربعة منها أبدان والخامسة روحها فالأبدان النار والريح والنور والماء وروحها النسيم وهي تتحرك في هذه الأبدان وصفاته حسنة خيرة طاهرة زكية.

وقال بعضهم: كون النور لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو وأرض النور لم تزل لطيفة على غير صورة هذه الأرض بل على صورة جرم الشمس وشعاعها كشعاع الشمس ورائحتها طيبة أطيب رائحة وأوانها ألوان قوس قزح. وقال بعضهم: ولا شيء إلا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع أرض النور وهي خمسة. وهناك جسم آخر أظف منه وهو الجو وهو نفس النور وجسم آخر أظف منه وهو النسيم وهو روح النور قال ولم يزل يولد ملائكة وآلهة أولياء ليس على سبيل المناכה بل كما يتولد الحكمة من الحكيم والنطق الطيب من الناطق وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الخير والحمد والنور.

وأما الظلمة فجوهرها قبيح ناقص لثيم كدر خبيث متنن الريح قبيح المنظر ونفسها شريرة لثيمة سفيفة ضارة جاهلة وفعلها الشر والفساد والضرر والغم والتشويش والاختلاف وجهتها تحت وأكثرهم على أنها منحنطة من جانب الجنوب.

وزعم بعضهم أنها بجنب النور وأجناسها خمسة أربعة منها أبدان والخامسة روحها فالأبدان هي الحريق والظلمة والسموم والضباب وروحها الدخان وهو يتحرك في هذه الأبدان وأما صفاتها فهي خبيثة شريرة نجسة ذنسة. وقال بعضهم كون الظلمة لم يزل على مثال هذا العالم له أرض وجو فأرض الظلمة لم تزل كثيفة على غير صورة هذه الأرض بل هي أكثف وأصلب ورائحتها كريهة أثنى الروائح وأوانها السواد.

وقال بعضهم ولا شيء إلا الجسم والأجسام على ثلاثة أنواع أرض الظلمة وجسم آخر أظلم منه وهو الدخان وجسم آخر أظلم منه وهو السموم وقال ولم يزل تولد الظلمة شياطين وغفاريات لا على سبيل المناכה بل كما يتولد الحشرات من العفونات القذرة قال وملك ذلك العالم هو روحه ويجمع عالمه الشر والذميمة والظلمة.

ثم اختلفت المانوية في المزاج وسببه والخلاص وسببه قال بعضهم إن النور والظلام امتزجا بالخط والاتفاق لا بالقصد والاختيار وقال أكثرهم إن سبب الامتزاج أن أبدان الظلمة تشاغلت عن روحها بعض التشاغل فنظرت الروح فرأت الأبدان على مازجة النور فأجابتها لإسراعها إلى الشر فلما رأى ذلك ملك النور وجه إليها ملكا من ملائكته في خمسة أجزاء من أجناسها الخمسة فاختلطت الخمسة النورية بالخمس الظلامية فخالط الدخان النسيم وإنما الحياة والروح في هذا العالم من النسيم والهلاك والآفات من الدخان وخالط الحريق النار والنور الظلمة والسموم الريح والضباب الماء فما في العالم من منفعة وخير وبركة فمن أجناس النور وما فيه من مضرة وشر وفساد فمن أجناس الظلمة فلما رأى ملك النور هذه الامتزاج أمر ملكا من ملائكته فخلق هذا العالم على هذه الهيئة ليخلص أجناس النور من أجناس الظلمة وإنما سارت الشمس والنجوم والقمر لاستسقاء أجزاء النور من أجزاء الظلمة هذا ما ذكر الشهرستاني من تحقيق مذهبه مع خرافات آخر نقلها عنهم.^(١)

وقال ابن أبي الحديد قالت المانوية إن النور لا نهاية له من جهة فوق وأما من جهة تحت فله نهاية والظلمة لا نهاية لها من جهة أسفل وأما من جهة فوق فلها نهاية وكان النور والظلمة هكذا قبل خلق العالم وبينهما فرجة وإن بعض أجزاء النور اقتحم تلك الفرجة لينظر إلى الظلمة فأشرقت الظلمة فأقبل عالم كثير من النور فجاءت الظلمة ليستخلص المأمورين من تلك الأجزاء^(٢) وطالت الحرب واختلط كثير من أجزاء النور بكثير من أجزاء الظلمة فاقتضى حكمه نور الأتوار وهو البارئ سبحانه عندهم أن عمل الأرض من لحوم القتلى والجبال من عظامهم و

(١) الملل والنحل ٢: ٧٢ - ٧٨ وقد نقلها بتصريف يسير.

(٢) وفي نسخة: ليخلص المأمورين من تلك الأجزاء. وفي المصدر: فحارب الظلمة ليستخلص المأمورين من تلك الأجزاء.

البحار من صديدهم و دمائهم و السماء من جلودهم و خلق الشمس و القمر و سيرهما لاستصفا ما في العالم. من أجزاء النور المختلطة بأجزاء الظلمة و جعل حول العالم خندقا خارج الفلك الأعلى يطرح فيه الظلام المستصفي فهو لا يزال يزيد و يتضاعف و يكثر في ذلك الخندق و هو ظلام صرف قد استصفي نوره.

و أما النور المستخلص فيلحق بعد الاستصفا بعالم الأنوار فلا تزال الأفلاك متحركة و العالم مستمرا إلى أن يتم استصفا النور المتمتزج و حينئذ يبقى من النور المتمتزج شيء متعقد باطل لا تقدر النيران على استصفائه فعند ذلك تسقط الأجسام العالية و هي الأفلاك على الأجسام السافلة و هي الأرضون و تفور نار تضطرم في تلك الأسافل و هي السماء بهجهم و يكون الاضطرام مقدار ألف و أربعمائة سنة فتحلل بتلك النار تلك الأجزاء المنعقدة من النور المتمتزجة بأجزاء الظلمة التي عجز الشمس و القمر عن استصفائها فيرتفع إلى عالم الأنوار و يبطل حينئذ و يعود النور كله إلى حالة الأولى قبل الامتزاج و كذلك الظلمة.^(١)

الثالث: المروقية أثبتوا أصلين متضادين أحدهما النور و الثاني الظلمة و أثبتوا أصلا ثالثا هو المعدل الجامع و هو سبب المزاج فإن المتنافرين المتضادين لا يمتزجان إلا بجامع و قالوا الجامع دون النور في الرتبة و فوق الظلمة و حصل من الاجتماع و الامتزاج هذا العالم.

و منهم من يقول الامتزاج إنما يحصل بين الظلمة و المعدل إذ هو قريب منها فامتزج به ليتطيب به و يلتذ ملاذة فبعت النور إلى العالم المتمتزج روحا مسيحية و هو روح الله و ابنه تحننا على المعدل السليم الواقع في شبكة الظلام الرجم حتى يخلصه من حبائل الشياطين فمن أتبعه فلم يلامس النساء و لم يقرب الزهومات^(٢) أفلت و نجا و من خالفه خسر و هلك قالوا و إنما أثبتنا المعدل لأن النور الذي هو الله تعالى لا تجوز عليه مخالطة الشيطان فإن الضدين يتنافران طبعاً و يتماثلان ذاتاً و نفساً فيكف يجوز اجتماعهما و امتزاجهما فلا بد من معدل تكون منزلته دون النور و فوق الظلام فيقع المزاج معه كذا ذكره الشهرستاني.

و قال ابن أبي الحديد قول المجوس هو أن الغرض من خلق العالم أن يتحصن الخالق جل اسمه من العدو و أن يجعل العالم شبكة له ليقوع العدو فيه و يجعله في ربط و وثاق و العدو عندهم هو الشيطان و بعضهم يعتقد قدمه و بعضهم حدوثه.

قال قوم منهم أن البارئ عز و جل استوحش ففكر فكرة ردية فتولد منها الشيطان و قال آخرون بل شك شكا رديا فتولد الشيطان من شكه و قال آخرون بل تولد من عفونة ردية قديمة.

و زعموا أن الشيطان حارب البارئ سبحانه و كان في الظلمة لم يزل بعيدا عن سلطان البارئ سبحانه فلم يزل يزحف حتى رأى النور فوثب و ثبة عظيمة فصار في سلطان الله تعالى في النور و أدخل معه البلايا و الشرور فبنى الله سبحانه هذه الأفلاك و الأرض و العناصر شبكة له و هو فيها محبوس لا يمكنه الرجوع إلى سلطانه الأول و الظلمة فهو أبدا يضطرب و يرمي الآفات على خلق الله سبحانه فمن أحياء الله رماه الشيطان بالموت و من أوصه رماه الشيطان بالسقم و من سره رماه الشيطان بالحزن و الكآبة فلا يزال كذلك و كل يوم ينتقص سلطانه و قوته لأن الله تعالى يحتال له كل يوم و يضعفه إلى أن تذهب قوته كلها و يخمد و يصير جمادا جامدا هوائيا و يجمع الله تعالى أهل الأديان فيعذبهم بقدر ما يظهروهم و يصفوهم من طاعة الشيطان و يغسلهم من الأدناس ثم يدخلهم الجنة و هي لا أكل فيها و لا شرب و لا تمتع و لكنها موضع لذة و سرور.^(٣)

أقول: لما عرفت هذه المذاهب السخيفة المزخرفة التي يعني تقريرها عن التعرض لإبطالها و تزييفها فلنرجع إلى توضيح الخبر.

فقول يظهر من كلامه ﷺ أن الديصانية قالوا بقدم الطينة أي الظلمة و بحدوث الامتزاج و يحتمل أن يكون إشارة إلى ما نسبته الشهرستاني إلى الزروانية حيث قال زعم بعضهم أنه كان لم يزل مع الله شيء ردي إما فكرة ردية و إما

(٢) الزهومة: الريح المنتنة. لسان العرب ٦: ١٠٣.

(١) شرح نهج البلاغة ٥: ١٦١ - ١٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ٥: ١٦٠ - ١٦١.

عفونة ردية وذلك هو مصدر الشيطان و زعموا أن الدنيا كانت سليمة من الشرور والآفات و كان أهلها في خير محض و نعيم خالص فلما حدث أهرمن حدث الشرور والآفات و الفتن^(١) و كان بمعزل من السماء فاحتال حتى خرق السماء و صعد^(٢).

ثم إنه استدلل^{٢١٧} على إبطال مذهبه بوجهين الأول أن قولكم إنه تعالى كان لم يزل متأذيا من تلك الطينة و لم يستطع التفصي منها يستلزم عجزه تعالى و العجز نقص يحكم العقل ببراءة صانع مثل هذا النظام عنه و أيضا يوجب الاحتياج إلى من يرفع و يدفع ذلك عنه و هو ينافي وجوب الوجود الذي قام البرهان على اتصاف الصانع تعالى به. و الثاني: أنه لا يخلو إما أن تكون تلك الطينة الأزلية حية عالمة قادرة فيكون كل منهما إليها واجبا بالذات لما قد ثبت بالفعل و النقل أن الممكن لا يكون قديما فإذا حصل العالم من امتزاجها فلا يجوز على شيء من أجزاء العالم الموت و الفناء إذ انتفاء المركب إنما يكون بانتفاء أحد أجزائه و الجزءان هنا قديمان و يحتمل أن يكون هذا إلزاما عليهم حيث أثبتوا الظلمة و جعلوها ميتة جاهلة عاجزة جمادا لينسبوا إليها الموت و الفناء زعما منهم أن مثل هذه الأمور لا يصدر عن النور الحي العالم القادر و إما أن تكون ميتة أي عادمة للقدرة و العلم و الإرادة و هذا محال إذ القدم يستلزم وجوب الوجود و هو يستلزم الاتصاف بالعلم و القدرة و سائر الكمالات و إليه أشار^{٢١٨} بقوله فلا بقاء للميت مع الأزلي القديم ثم أبطل^{٢١٩} ذلك بوجه آخر و هو أنهم ينسبون خلق الموزيات كالحيات و العقارب و السباع إلى الظلمة و لو كانت ميتة لا يجوز نسبة خلقها إليها إذ العقل يحكم بديهة أنه يجب أن يكون الصانع أشرف من المصنوع من جميع الجهات و كيف يفيض الحياة و العلم و القدرة ممن لم يكن له حظ منها؟! و أما الماوية فيظهر من كلامه^{٢٢٠} في تقرير مذهبه غير ما مر من نقل الناقلين لمذهبه و لا عبرة بنقلهم فإنهم كثيرا ما ينسبون أشياء إلى جماعة من الشيعة و غيرهم مما قد تعلم خلافها مع أنه يحتمل أن يكون كلامهم مرموزا و علم^{٢٢١} أن مرادهم بالنور الروح و بالظلمة الجسد و النور هو الرب تعالى و يؤيده أنه كان الملعون نصرانيا و مذهب النصارى في المسيح^{٢٢٢} قريب من ذلك و يحتمل أن يكون ما ذكره^{٢٢٣} مذهبا لجماعة من قدمائهم ثم غيروه إلى ما نقل عنهم و كون النور أسيرا للظلمة يحتمل أن يكون كناية عن عدم استقلاله في التدبير و معارضة أهرمن له في كثير مما يريد و قد استدلل^{٢٢٤} على بطلان مذهبه بوجوه.

الأول: أن لا يكون الناس قادرين على ترك الشرور و المساوي و المعاصي لأنها من فعل الجسد الذي هو الظلمة و لا يتأتى منه الخير و لا يستحق أحد الملامة على الشر لكونه مجبورا عليه و قد نراهم يلومون الناس على الشرور و المساوي فهذا دليل على بطلان مذهبه.

الثاني: أنهم يستحسنون التضرع إلى الرب تعالى و عبادته و الاستعانة به و أمثال تلك الأعمال فعل الروح الذي هو الرب بزعمهم فكيف يعبد نفسه و يستعين بنفسه و يتضرع إليها و إن قالوا إنه يتضرع إلى الظلمة فكيف يليق بالرب أن يستعذب بغيره.

الثالث: أنه يلزم أن لا يجوز أن يقول أحد لأحد أحسنت و لا أسأت و هذا باطل اتفاقا و بديهة و أما بيان الملازمة فلأن الحاكم بذلك إما النور أو الظلمة إذ المفروض أنه لا شيء غيرهما و كلاهما باطلان أما الأول فلأن الظاهر من هذا الكلام المغايرة بين المادح و المدح و المفروض اتحادهما و يحتمل أن يكون هذا منبها على ما يحكم به العقل بديهة من المغايرة بين الأشخاص مع أنهم يقولون بأن أرواح جميع الخلق شخص واحد هو النور و هو الرب تعالى و هذا قريب من الوحدة التي قالت به الصوفية و أما الثاني فلأن الظلمة فعلها الإساءة و تعدها حسنة فكيف تحكم بقبولها؟! و يمكن تقرير الملازمة بوجه آخر بأن يقال ظاهر أن التحسين و التشجيع من فعل النور و لا يتصور منه شيء منهما لأن المخاطب في أسأت هو الظلمة و هو مجبور على فعل القبيح بزعمهم فلا يستحق اللوم و هو المراد بقوله و ذلك فعلها و المخاطب في أحسنت هو النور لأن الحسن فعله فيتحد المادح و المدح.

(١) وفي نسخة: والآفات و المحن. و ما في المتن موافق لما في المصدر.

(٢) الملل و التحل: ٢: ٦٣.

الرابع: أنهم يحكمون بأن النور هو الرب تعالى و يجب على هذا أن يكون أقوى و أحكم و أتقن من الظلمة التي هي مخلوقة و يلزمهم بمقتضى أقوالهم الفاسدة. عكس ذلك لأن الأبدان عندهم من فعل الظلمة و لا تحكم بقدرة الرب و علمه و حكمته إلا بما نشاهد من تلك الأبدان المختلفة و الأشجار و الثمار و الطيور و الدواب و لا نشاهد مما يقولون من الأرواح شيئا فيلزمهم على قياس ذلك أن تكون الظلمة إلها قادرا حكيمًا عليها فقله ﷺ من صور مبتدأ و قوله يجب أن يكون إلها خبره و قوله كل شيء معطوف على قوله هذا الخلق.

الخامس: قولهم بأن النور في حبس الظلمة ينافي القول بربوبيته لأن كونه محبوسا يستلزم عجزه و نقصه و كل منهما ينافي الربوبية كما مر و ما ادعوا من أنه في القيامة يغلب النور عليها فمع أنه لا ينفع في دفع الفساد فهو دعوى من غير حجة و أيضا يلزمهم أن لا يكون للنور فعل لأنه أسير و إن قالوا بأن له أيضا فعلا من الخلق و التدبير فليس بأسير لأن العقل يحكم بأن الخالق المدبر لا بد من أن يكون عزيزا منيعا قادرا قاهرا على كل من سواه فلما ثبت على قياس قولهم إنه أسير فيلزمهم بما قرنا أن يكون ما في العالم من الإحسان و الخير أيضا من فعل الظلمة فإن حكموا باستحالة ذلك أي كون الخير من الظلمة فقد بطل أصل كلامهم و هو الحكم بتوزيع الخلق و ثبت ما قلناه من أن الرب تعالى واحد لا يشاركه و لا يضاده في ملكه أحد.

و أما مذهب المرقوبية فقد بين ﷺ بطلانه بأن القول بالحكم ينافي القول بربوبية النور لأن الحكم يكون قاهرا و النور مقهورا و بديهية العقل حاكمة ببطلان كون الرب مقهورا و أيضا يلزم أن يكون الحكم أعلم بالحكمة من النور الذي حكمته أنه رب و الضرورة قاضية بأن الرب الخالق لمثل هذا الخلق المدبر لهذا النظام لا يكون جاهلا هذا جملة القول في هذا الخبر على ما ناله فهمي القاصر و بسط القول فيه يحتاج إلى كتاب مفرد معمول لذلك و الله الموفق لكل خير.

٦-فس: [تفسير القمي] ثم رد على الثنوية الذين قالوا بالهين فقال تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (١). قال لو كان الهين كما زعمتم لكانا يخلقان فيخلق هذا و لا يخلق هذا و يريد هذا و لا يريد هذا و لطلب كل واحد منهما القليلة و إذا أراد أحدهما خلق إنسان و أراد الآخر خلق بهيمة فيكون إنسانا و بهيمة في حالة واحدة و هذا غير موجود فلما بطل هذا ثبت التدبير و الصنع لواحد و دل أيضا التدبير و ثباته و قوام بعضه ببعض على أن الصانع واحد جل جلاله و ذلك قوله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ﴾ الآية، ثم قال أنفا سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. (٢)

بيان: أنفا بالتحرير أي استنكافا و تنزها.

٧-يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد بن محمد بن عيسى عن يونس عن الربيع بن محمد قال سمعت أبا الحسن ﷺ و سئل عن الصمد فقال الصَّمَدُ الذي لا جوف له. (٣)

٨-يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] الدقاق عن الكليني عن علان عن سهل عن محمد بن ولید و لقبه شباب الصيرفي عن داود بن القاسم الجعفري قال قلت لأبي جعفر ﷺ جعلت فداك ما الصَّمَدُ قال السيد المصمود إليه (٤) في القليل و الكثير. (٥)

٩-يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد العطار عن الأشعري عن الميثمي عن صفوان بن يحيى عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله ﷺ قال إن اليهود سألوا رسول الله ﷺ فقالوا انصب لنا ريك فلبث ثلاثا لا يجيبهم ثم نزلت هذه السورة إلى آخرها فقلت ما الصَّمَدُ فقال الذي ليس بمجوف. (٦)

١٠-يد: [التوحيد] أبي عن سعد بن محمد بن عيسى عن يونس عن الحسن بن أبي السري عن جابر بن يزيد قال سألت أبا جعفر ﷺ عن شيء من التوحيد فقال إن الله تباركت أسماؤه التي يدعى بها و تعالى في علو كنهه واحد توحد بالتوحيد في علو توحده ثم أجراه على خلقه فهو واحد صمد قدوس يعبد كل شيء و يصمد إليه كل شيء و وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا. (٧)

(٢) تفسير القمي ٢: ٨٨.

(٤) المصمود اليه: المقصود بالحوارج. لسان العرب ٧: ٤٠٤.

(٦) التوحيد: ٩٣ ب ٤ ح ٨.

(١) المؤمنون: ٩١.

(٣) التوحيد: ٩٣ ب ٤ ح ٧. معاني الأخبار: ٦ ب ٧ ح ١.

(٥) التوحيد: ٩٤ ب ٤ ح ١٠. معاني الأخبار: ٦ ب ٧ ح ٢.

(٧) التوحيد: ٩٣ ب ٤ ح ٩. و فيه «علو تو حده».

إيضاح: واحد خبر إن والجملةتان معترضان أي تطهرا أسماؤه عن النقائص أو كثرت صفات جلاله وعظمته أو ثبت ولا يعتريها التغير وكلمة في في قوله في علوكنه تعليلية وقوله ﷺ توحد بالتوحيد أي لم يكن في الأزل أحد يوحد فهو كان يوحد نفسه فكان متفردا بالوجود متوحدا بتوحيد نفسه ثم بعد الخلق عرفهم نفسه وأمرهم أن يوحدوه أو المراد أن توحد لا يشبه توحد غيره فهو متفرد بالتوحيد أو كان قبل الخلق كذلك وأجرى سائر أنواع التوحيد على خلقه إذ الوحدة تساقو الوجود أو تستلزمه لكن وحدانهم مشوبة بأنواع الكثرة.

١١- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصغار عن ابن عيسى عن علي بن سيف بن عميرة عن محمد بن عبيد قال دخلت على الرضا ﷺ فقال لي قل للعباس يكف عن الكلام في التوحيد وغيره ويكلم الناس بما يعرفون ويكف عما ينكرون وإذا سألك عن التوحيد فقل كما قال الله عز وجل: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»^(١) وإذا سألك عن الكيفية فقل كما قال الله عز وجل «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٢) وإذا سألك عن السمع فقل كما قال الله عز وجل «هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»^(٣)؛ كلم الناس بما يعرفون.^(٤)

١٢- يد: [التوحيد] حدثنا أبو محمد جعفر بن علي بن أحمد الفقيه القمي ثم الإيلاقي رضي الله عنه قال حدثنا أبو سعيد عبدان بن الفضل قال حدثني أبو الحسن محمد بن يعقوب بن محمد بن يوسف بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بمدينة خجندة قال حدثني أبو بكر محمد بن أحمد بن شجاع الفرغاني قال حدثني أبو محمد الحسن بن حماد القبري^(٥) بمصر قال حدثني إسماعيل بن عبد الجليل البرقي عن أبي البختري وهب بن وهب القرشي عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي الباقر ﷺ في قول الله عز وجل «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» قال قُلْ أي أظهر ما أوحينا إليك ونبأناك به بتأليف الحروف التي قرأناها لك ليهتدي بها من ألقى السمعَ وَهُوَ شَهِيدٌ وَهُوَ اسم مشار^(٦) ومكني إلى غائب فالهاء تنبيه عن معنى ثابت والواو إشارة إلى الغائب عن الحواس كما أن قولك هذا إشارة إلى الشاهد عند الحواس وذلك أن الكفار نبهوا عن آلهتهم بحرف إشارة الشاهد المدرك فقالوا هذه آلهتنا المحسوسة المدركة بالأبصار فأشتر أنت يا محمد إلى إلهك الذي تدعو إليه حتى نراه وندركه ولا ناله فيه أنزل الله تبارك وتعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» قالها تثبيت للثابت والواو إشارة إلى الغائب عن درك الأبصار ولمس الحواس والله تعالى عن ذلك^(٧) بل هو مدرك الأبصار ومبدع الحواس.^(٨)

حدثني أبي عن أبيه عن أمير المؤمنين ﷺ قال رأيت الخضر ﷺ في المنام قبل بدر ليلة قفلت له علمني شيئا أنصُر به على الأعداء فقال قل يا هو يا من لا هو إلا هو فلما أصبحت قصصتها على رسول الله ﷺ فقال لي يا علي علمت الاسم الأعظم وكان على لساني يوم بدر وإن أمير المؤمنين ﷺ قرأ: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ»^(٩) فلما فرغ قال يا هو يا من لا هو إلا هو اغفر لي وانصُرني على القوم الكافرين.

وكان علي ﷺ يقول ذلك يوم صفين وهو يطارد فقال له عمار بن ياسر يا أمير المؤمنين ما هذه الكنايات قال اسم الله الأعظم وعمار التوحيد لله لا إله إلا هو ثم قرأ: «شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ»^(١٠) وأواخر الحشر ثم نزل فصلى أربع ركعات قبل الزوال.

قال وقال أمير المؤمنين ﷺ الله معناه المعبود الذي يأله فيه الخلق ويؤله إليه^(١١) والله هو المستور عن درك الأبصار المحجوب عن الأوهام والخطرات.

قال الباقر ﷺ الله معناه المعبود الذي أله الخلق عن درك مائتيه^(١٢) والإحاطة بكيفيته ويقول العرب أله الرجل إذا

(١) سورة الاخلاص.

(٢) الشورى: ١١.

(٣) فصلت: ٣٦ وغيرها.

(٤) التوحيد: ٩٥ ب ٤ ح ١٤.

(٥) في المصدر أبو الحسن محمد بن حماد العنبري، ولم أعثر على الاسمين.

(٦) كذا في «أ»، وفي المصدر. والسياق يؤكد ذلك. وفي «ط»: مشار ومكني.

(٧) وفي نسخة: وأنه تعالى عن ذلك. وكذا في المصدر.

(٨) التوحيد: ٨٨ ب ٤ ح ١.

(٩) وفي نسخة: قرأ يوم بدر قل هو الله أحد.

(١٠) آل عمران: ١٨.

(١١) وفي نسخة: تأله فيه الخلق. وفي «أ»: يتأله فيه الخلق ويؤله له إليه.

(١٢) في المصدر: عن درك مائتيه.

تحير في الشيء فلم يحط به علما وله إذا فزع إلى شيء مما يحذره ويخافه فالإله هو المستور عن حواس الخلق.

قال الباقر عليه السلام: الأحد الفرد المتفرد والأحد والواحد بمعنى واحد وهو المتفرد الذي لا نظير له والتوحيد الإقرار بالوحدة وهو الانفراد والواحد المتباين الذي لا ينبعث من شيء ولا يتحد بشيء ومن ثم قالوا إن بناء العدد من الواحد وليس الواحد من العدد لأن العدد لا يقع على الواحد بل يقع على الاثنين فمعنى قوله الله **أَحَدٌ** أي المعبود الذي يأله الخلق عن إدراكه والإحاطة بكيفيته فرد بإلهيته متعال عن صفات خلقه. (١)

قال الباقر عليه السلام: وحدثني أبي زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام أنه قال **الصَّمَدُ** الذي لا جوف له والصمد الذي قد انتهى سوده و**الصَّمَدُ** الذي لا يأكل ولا يشرب و**الصَّمَدُ** الذي لا ينام و**الصَّمَدُ** الدائم الذي لم يزل ولا يزال. قال الباقر عليه السلام: كان محمد بن الحنفية رضي الله عنه يقول **الصَّمَدُ** القائم بنفسه الغني عن غيره وقال غيره **الصَّمَدُ** المتعالي عن الكون والفساد و**الصَّمَدُ** الذي لا يوصف بالتغير. قال الباقر عليه السلام: **الصَّمَدُ** السيد المطاع الذي ليس فوقه أمر وناه.

قال: وسئل علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام عن الصمد فقال **الصَّمَدُ** الذي لا شريك له ولا يثوده حفظ شيء ولا يعزب عنه (٢) شيء. (٣)

١٣- قال وهب بن وهب القرشي قال زيد بن علي عليه السلام **الصَّمَدُ** الذي إذا أراد شيئا قال له كن فيكون و**الصَّمَدُ** الذي أبدع الأشياء فخلقها أصدادا وأشكالاً وأزواجا وتفرّد بالوحدة بلا ضد ولا شكل ولا مثل ولا ند. (٤)

١٤- قال وهب بن وهب القرشي وحدثني الصادق جعفر بن محمد عن أبيه الباقر عن أبيه عليه السلام أن أهل البصرة كتبوا إلى الحسين بن علي عليه السلام يسألونه عن الصمد فكتب إليهم بسم الله الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ أما بعد فلا تخوضوا في القرآن ولا تجادلوا فيه ولا تتكلموا فيه بغير علم فقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار وإنه سبحانه قد فسر الصمد (٥) فقال: «**اللَّهُ أَحَدُ اللَّهِ الصَّمَدُ**» ثم فسرهم فقال «**لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**». **لَمْ يَلِدْ** لم يخرج منه شيء كثيف كالولد وسائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين ولا شيء لطيف كالنفس ولا يتشعب منه البداوات (٦) كالسنة والنوم والخطرة والهيم والحزن والبهجة والضحك والبكاء والخوف والرجاء والرغبة والسأمة والجوع والشبع تعالى أن يخرج منه شيء وأن يتولد منه شيء كثيف أو لطيف و**لَمْ يُولَدْ** لم يتولد من شيء ولم يخرج من شيء كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها كالشيء من الشيء والدابة من الدابة والنبات من الأرض والماء من الينابيع والثمار من الأشجار ولا كما تخرج الأشياء اللطيفة من مراكزها كالبرص من العين والسمع من الأذن والشم من الأنف والذوق من الفم والكلام من اللسان والمعرفة والتمييز من القلب والثمار من الحجر لا بل هو الله الصمد الذي لا من شيء ولا في شيء ولا على شيء مبدع الأشياء وخالقها ومنشئ الأشياء بقدرته يتلاشى ما خلق للفناء بمشيئته ويبقى ما خلق للبقاء بعلمه فذلکم **اللَّهُ الصَّمَدُ** الذي **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** غَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي **لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**. (٧)

١٥- قال وهب بن وهب القرشي سمعت الصادق عليه السلام يقول قدم وفد من فلسطين على الباقر عليه السلام فسألوه عن مسائل فأجابهم ثم سأله عن الصمد فقال تفسيره فيه **الصَّمَدُ** خمسة أحرف فالألف دليل على إنبته وهو قوله عز وجل **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ** وذلك تنبيه وإشارة إلى الغائب عن درك الحواس واللام دليل على إلهيته بأنه هو الله والألف واللام مدغمان لا يظهران على اللسان ولا يقعان في السمع ويظهران في الكتابة دليلاً على أن إلهيته لطيفة (٨) خافية لا يدرك بالحواس ولا يقع في لسان واصف ولا أذن سامع لأن تفسير الإله هو الذي آله الخلق عن درك مائتيه (٩) وكيفية بحس أو بوهم لا بل هو مبدع الأرواح وخالق الحواس وإنما يظهر ذلك عند الكتابة فهو دليل على أن الله

(١) التوحيد: ٨٩ ج ٤ ع ٣. لسان العرب ٩: ١٨٣.

(٢) التوحيد: ٩٠ ج ٤ ع ٣.

(٤) التوحيد: ٩٠ ج ٤ ع ٤.

(٥) وفي نسخة: وأن الله سبحانه قد فسر الصمد.

(٦) كذا في «أ» وفي المصدر وما في شرح المصنف. أما في «ط»: البداوات.

(٧) التوحيد: ٩٠ - ٩١ ج ٤ ع ٥.

(٨) في «أ» وفي المصدر: ان إلهيته بلطفه.

(٩) في المصدر: مائتيه.

سبحانه أظهر ربوبيته في إبداع الخلق و تركيب أرواحهم اللطيفة في أجسادهم الكثيفة فإذا نظر عبد إلى نفسه لم ير روحه كما أن لام الصمد لا تبيين و لا تدخل في حاسة من حواسه الخمس فإذا نظر إلى الكتابة ظهر له ما خفي و لطف فتمت تفكير العبد في مائة^(١) البارئ و كفيته أله فيه و تحرير و لم تحط فكرته بشيء يتصور له لأنه عز و جل خالق الصور فإذا نظر إلى خلقه ثبت له أنه عز و جل خالقهم و مركب أرواحهم في أجسادهم و أما الصمد فدل على أنه عز و جل صادق و قوله صمد و كلامه صمد و دعا عباده إلى اتباع الصمد بالصدق و وعد بالصدق دار الصدق و أما الميم فدل على ملكه و أنه الملك الحق لم يزل و لا يزال و لا يزول ملكه و أما الدال فدل على دوام ملكه و أنه عز و جل دائم تعالى عن الكون و الزوال بل هو الله عز و جل مكون الكائنات^(٢) الذي كان بتكوينه كل كائن.

ثم قال ﷺ لو وجدت لعلمي الذي آتاني الله عز و جل حملة لنشرت التوحيد و الإسلام و الإيمان و الدين و الشرائع من الصمد و كيف لي بذلك و لم يجد جدي أمير المؤمنين ﷺ حملة لعلمه حتى كان يتنفس الصعداء و يقول على المنبر سلوني قبل أن تفقدوني فإن بين الجوانح مني علما جما هاهنا ألا أجد من يحمله ألا و إني عليكم من الله الحجة البالغة فلا تتوكلوا قوماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَشْهَوْنَ مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَشْهَوْنَ مِنَ الْأَوَّلِ أَصْحَابُ الْقُبُورِ.

ثم قال الباقر ﷺ الحمد لله الذي من علينا و وفقنا لعبادته الأحد الصمد الذي لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ و جنبنا عبادة الأوثان حمداً سرمداً و شكراً واصباً و قوله عز و جل: «لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ» يقول الله عز و جل «لَمْ يَلِدْ» فيكون له ولد يرثه ملكه و لَمْ يُولَدْ فيكون له والد يشركه في ربوبيته و ملكه و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فيعازه^(٣) في سلطانه^(٤).

بيان: روي في معاني الأخبار ما يتعلق بتأويل الصمد من هذا الخبر بهذا الإسناد^(٥) ثم اعلم أن تحقيق معنى هو بهذا الوجه غير معروف و لا يبعد أن يكون في أصل الوضع كذلك و قوله و لا ناله صيغة المتكلم من أله بمعنى تحرير و اختلف في لفظ الجلالة فالمشهور أنه عربي مشتق إما من أله بمعنى عبد أو من أله إذا تحرر إذ العقول تتحرر في معرفته أو من ألهت إلى فلان أي سكنت إليه لأن القلوب تطمئن بذكره و الأرواح تسكن إلى معرفته أو من أله إذا فرغ من أمر نزل عليه و ألهه غيره أجاره إذا العابد يفرغ إليه و هو يجيره أو من أله الفصل إذا ولع بأمره إذا العباد يولعون بالنصرع إليه في الشدائد أو من وله إذا تحرر و تخبط عقله و كان أصله و لاه فقلبت الواو همزة لاستثقال الكسرة عليها أو من لاه مصدر لاه بلبه ليها و لاها إذا احتجب و ارتفع لأنه تعالى محجوب عن إدراك الأبصار و مرتفع على كل شيء و عما لا يليق به و قيل إنه غير مشتق و هو علم للذات المخصوصة وضع لها ابتداء و قيل أصله لاها بالسريانية فعرّب بحذف الألف الأخيرة و إدخال اللام عليه.

و قال الرازي: ذكروا في الفرق بين الواحد و الأحد وجوهاً أحدها أن الواحد يدخل في العدد و الأحد لا يدخل فيه و ثانيها أنك إذا قلت فلان لا يقاومه واحد جاز أن يقال لكنه يقاومه اثنان بخلاف الأحد و ثالثها أن الواحد يستعمل في الإثبات و الأحد في النفي انتهى.^(٦)

وقوله ﷺ: و من ثم لبيان أن الواحد الحقيقي هو الذي لا يكون فيه شيء من أنحاء التعدد لأن الوحدة تقابل العدد.

ثم اعلم أنهم اختلفوا في معنى الصمد فقيل إنه فعل بمعنى المفعول من صمد إليه إذا قصده و هو السيد المقصود إليه في الحوائج^(٧) و روت العامة عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية قالوا ما الصَّمَدُ قال ﷺ هو السيد الذي يصمد إليه في الحوائج و قيل إن الصمد هو الذي لا جوف له و قال ابن قتيبة الدال فيه مبدلة من التاء و هو الصمت و قال بعض اللغويين الصَّمَدُ هو الأملس من الحجر

(١) في المصدر: ماهيته.

(٣) و في بعض النسخ: وفي المصدر، فيعانونه في سلطانه.

(٢) في المصدر: بل هو الله عزوجل يكون الكائنات.

(٤) التوحيد: ٩٢ ب ٤. ٦. فيه: فيكون له ولد يرثه، و لم يولد.

(٥) معاني الأخبار: ٧ ب ٧. ح ٣.

(٦) تفسير الرازي ٣٢: ١٧٨. فيه: أن الواحد يدخل في الأحد، و الأحد لا يدخل فيه.

(٧) كذا ذكره الرازي عنه ٣٢: ١٨١ و ليست موجودة في التفسير المنسوب لابن عباس انظر تنوير المقاس: ٣٩٨.

لا يقبل الغبار ولا يدخله ولا يخرج منه شيء.^(١)

فعلى الأول عبارة عن وجوب الوجود والاستغناء المطلق واحتياج كل شيء في جميع أموره إليه أي الذي يكون عنده ما يحتاج إليه كل شيء ويكون رفع حاجة الكل إليه ولم يفقد في ذاته شيئاً مما يحتاج إليه الكل وإليه يتوجه كل شيء بالعبادة والخضوع وهو المستحق لذلك وإليه يومئ خبر الجعفري.

وأما على الثاني فهو مجاز عن أنه تعالى أحدي الذات أحدي المعنى ليست له أجزاء ليكون بين الأجزاء جوف ولا صفات زائدة فيكون بينها وبين الذات جوف أو عن أنه الكامل بالذات ليس فيه جهة استعداد وإمكان ولا خلوه عما يليق به فلا يكون له جوف يصلح أن يدخله ما ليس له في ذاته فيستكمل به فالجوف كناية عن الخلو عما لا يصح اتصافه به.

وأما على الثالث فيكون كناية عن عدم الانفعال والتأثر عن الغير وكونه محلاً للحوادث كما سيأتي في جواب من سأل الصادق عليه السلام عن رضا الله وسخطه فقال ليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك أن الرضا دخال يدخل عليه فينقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف معتمل مركب للأشياء فيه مدخل وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه لأنه واحد وأحدي الذات وأحدي المعنى وهذا الخبر يؤيد بعض المعاني السابقة أيضاً.

وقد نقل بعض المفسرين عن الصحابة والتابعين والأئمة واللغويين قريباً من عشرين معنى ^(٢) ويمكن إدخال جميعها فيما ذكرنا من المعنى الأول لأنه لاشتماله على الوجوب الذاتي يدل على جميع السلوب ولدلالته على كونه مبدأ لكل يدل على اتصافه بجميع الصفات الكمالية وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار المختلفة الواردة في هذا المعنى.

وقوله عليه السلام: لا يوصف بالتغاير أي بالصفات الموجودة المغايرة للذات ويحتمل على بعد أن يكون مأخوذاً من الغيرة كناية عن أنه ليس له ضد ولا ند وفيما رواه الطبرسي رحمه الله لا يوصف بالنظار ^(٣) والبدوات بالفتحات ما يبدو ويسنع ويظهر من الحوادث والحالات المتغيرة والآراء المتبدلة يقال بدأ أي ظهر وبدا له في الأمر نشأ له فيه رأي وهو ذو بدوات والإنيّة التحقق والوجود والصعداء بضم الصاد وفتح العين تنفس طويل والجوانح الضلوع تحت الترائب مما يلي الصدر والواصب الدائم والثابت والمعازة المغالبة.

١٦- يد: [التوحيد] ابن إدريس عن أبيه عن ابن هاشم عن ابن بزيع عن يونس عن الحسن بن السري عن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام إن الله عز وجل تباركت أسماؤه وتعالى في علو كنهه أحد توحده بالتوحيد في توحده ثم أجراه على خلقه فهو أحد صمد ملك قدوس يعبد كل شيء ويصمد إليه وفوق الذي عسيانا أن نبلغ ربنا وسيع كل شيء علماً ^(٤) سن: [المحاسن] اليقطيني عن يونس عن الحسن بن السري مثله ^(٥)

١٧- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن فضال عن الحلبي وزارعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى أحد صمد ليس له جوف وإنما الروح خلق من خلقه نصر وتأييد وقوة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين ^(٦)

١٨- يد: [التوحيد] ابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل بن شاذان قال سأل رجل من الثنوية أبا الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام وأنا حاضر فقال له إني أقول إن صانع العالم اثنان فما الدليل على أنه واحد فقال قولك إنه اثنان دليل على أنه واحد لأنك لم تدع الثاني إلا بعد إثباتك الواحد ^(٧) فالواحد مجمع عليه وأكثر من واحد مختلف فيه ^(٨)

(١) الكلام للرازي ٣٢: ١٨١.

(٢) ذكر ذلك الطبري عن عدة من الصحابة والتابعين ٣٠: ٢٢٣ ولخص بعضها الرازي وأضاف إليه بعض آراء اللغويين ٣٢: ١٨١ - ١٨٢.

(٣) مجمع البيان ٥: ٨٦١.

(٤) المحاسن: ٢٤١ - ٢٤٢، مصابيح ب ٢٤، ح ٢٢٦.

(٥) في «أ» للواحد.

(٦) التوحيد: ١٣٦ ب ١٠، ح ٧ مع اختلاف سير.

(٧) التوحيد: ١٧١ ب ٢٧، ح ٢.

(٨) التوحيد: ٢٦٩ - ٢٧٠ ب ٣٦، ح ٦.

قال الصدوق رحمه الله الدليل على أن الصانع واحد لا أكثر من ذلك أنهم لو كانا اثنين لم يخل الأمر فيهما من أن يكون كل واحد منهما قادرا على منع صاحبه مما يريد أو غير قادر فإن كانا كذلك فقد جاز عليهما المنع و من جاز عليه ذلك فمحدث كما أن المصنوع محدث وإن لم يكونا قادرين لزمهما العجز والتقص وهما من دلالات الحدث فصح أن القديم واحد.

و دليل آخر: وهو أن كل واحد منهما لا يخلو من أن يكون قادرا على أن يكتم الآخر شيئا فإن كان كذلك فالذي جاز الكتمان عليه حادث وإن لم يكن قادرا فهو عاجز والعاجز حادث بما بيناه وهذا الكلام يحتاج به في إبطال قديمين صفة كل واحد منهما صفة القديم الذي أثبتناه فأما ما ذهب إليه ماني وابن ديصان من خرافتهما في الامتزاج و دانت به المجوس من حماقاتها في أهرمن ففسد بما به يفسد قدم الأجسام و لدخولهما في تلك الجملة اقتضت على الكلام فيهما و لم أفرد كلا منهما بما يسأل عنه منه.^(١)

١٩- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام ما الدليل على أن الله واحد قال اتصال التدبير و تمام الصنع كما قال عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٢) (٣).

بيان: إما إشارة إلى برهان التمانع أو إلى التلازم و سيأتي بعض تقريراتها.

٢٠- ف: [تحف العقول] عن داود بن القاسم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الصمد فقال الذي لا سره له قلت فإنهم يقولون إنه الذي لا جوف له فقال كل ذي جوف له سره.^(٤)

بيان: الغرض أنه ليس فيه تعالى صفات البشر و سائر الحيوانات و هو أحد أجزاء معنى الصمد كما عرفت و هو لا يستلزم كونه تعالى جسما مصمتا.

٢١- جع: [جامع الأخبار] سئل ابن الحنفية عن الصمد فقال قال علي عليه السلام تأويل الصمد لا اسم و لا جسم و لا مثل و لا شبه و لا صورة و لا تمثال و لا حد و لا حدود و لا موضع و لا مكان و لا كيف و لا أين و لا هنا و لا ثمة و لا ملاء و لا خلا و لا قيام و لا قعود و لا سكون و لا حركة و لا ظلمياني و لا نوراني و لا روحاني و لا نفساني و لا يخلو منه موضع و لا يسعه موضع و لا على لون و لا على خطر قلب و لا على شم رائحة منفي عنه هذه الأشياء.^(٥)

٢٢- ج: [الإحتجاج] عن هشام بن الحكم أنه قال من سؤال الزنديق عن الصادق عليه السلام أن قال لم لا يجوز أن يكون الصانع العالم أكثر من واحد قال أبو عبد الله عليه السلام لا يخلو قولك أنهما اثنان من أن يكونا قديمين قوين أو يكونا ضعيفين أو يكون أحدهما قويا و الآخر ضعيفا فإن كانا قوين فلم لا يدفع كل واحد منهما صاحبه و يتفرد بالربوبية^(٦) و إن زعمت أن أحدهما قوي و الآخر ضعيف ثبت أنه واحد كما نقول للعجز الظاهر في الثاني و إن قلت إنهما اثنان لم يخل من أن يكونا متفقين من كل جهة أو مفترقين من كل جهة فلما رأينا الخلق منتظما و الفلك جاريا^(٧) و اختلاف الليل و النهار و الشمس و القمر دل صحة الأمر و التدبير و اتلاف الأمر على أن المدير واحد.^(٨)

يد: [التوحيد] الدقاق عن أبي القاسم العلوي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم مثله و زاد فيه ثم يلزمك إن ادعيت اثنين فلا بد من فرجة بينهما حتى يكونا اثنين فصارت الفرجة ثالثا بينهما قديما معهما فيلزمك ثلاثة و إن ادعيت ثلاثة لزمك ما قلنا في الاثنين حتى يكون بينهم فرجتان فيكونوا خمسة ثم يتناهى في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة.^(٩)
كا: [الكافي] علي عن أبيه مثله.^(١٠)

(١) التوحيد: ٢٩٦ ب ٣٦ ذيل ح ٥.

(٢) التوحيد: ٢٥٠ ب ٣٦ ح ٢.

(٣) تحف العقول: ٤٥٦ و أوضح أن المقصود بأبي جعفر هو الإمام الجواد عليه السلام.

(٤) جامع الأخبار: ٩ ف ٢. وفيه: و لا حد و لا محدود. وكذا: و لا علا و لا خلا و لا ملاء. وكذا: منفي من هذه الاشياء.

(٥) وفي نسخة: بعد قوله: والفلك جاريا. والتدبير واحداً.

(٦) وفي نسخة: و يتفرد بالتدبير.

(٧) الإحتجاج: ٣٣٣.

(٨) الكافي: ١: ٨١ ب ٢٤ ح ٥.

(٩) التوحيد: ٢٤٣ - ٢٤٤ ب ٣٦ ح ١.

بيان: ونشر هاهنا إلى بعض براهين التوحيد على وجه الاختصار ثم لنذكر ما يمكن أن يقال في حل هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار.

فأما البراهين: فالأول أنه لما ثبت كون الوجود عين حقيقة الواجب فلو تعدد لكان امتياز كل منهما عن الآخر بأمر خارج عن الذات فيكونان محتاجين في تشخيصهما إلى أمر خارج وكل محتاج ممكن.

والثاني: أنه لو تعدد الواجب لذاته فإما أن يكون امتياز كل منهما عن الآخر بذاته فيكون مفهوم واجب الوجود محمولا عليهما بالحمل العرضي والعارض معلول للمعروض فيرجع إلى كون كل منهما علة لوجوب وجوده وقد ثبت بطلانه وإما أن يكون ذلك الامتياز بالأمر الزائد على ذاتهما وهو أفحش فإنه إما أن يكون معلولا لماهيتهما أو لغيرهما وعلى الأول إن اتحد ماهيتهما كان التعيين مشتركا وهذا خلف وإن تعددت الماهية كان كل منهما شيئا عرض له وجوب الوجود أعني الوجود المتأكد للواجب وقد تبين بدلائل عينية الوجود بطلانه وعلى الثاني يلزم الاحتياج إلى الغير والإمكان وبالجمله لو كان الواجب متعددا لكان نسبة الوجوب إليهما نسبة العوارض فكان ممكنا لا واجبا.

الثالث: أنه لو كان لله سبحانه شريك لكان لمجموع الواجبين وجود غير وجود الآحاد سواء كان ذلك الوجود عين مجموع الوجودين أو أمرا زائدا عليه ولكان هذا الوجود محتاجا إلى وجود الأجزاء والمحتاج إلى الغير ممكن محتاج إلى مؤثر والمؤثر في الشيء يجب أن يكون مؤثرا في واحد من أجزائه وإلا لم يكن مؤثرا في ذلك الشيء وقد ادعوا الضرورة فيه ولا يمكن التأثير فيما نحن فيه في شيء من الأجزاء لكون كل من الجزئين واجبا فالشريك يستلزم التأثير فيما لا يمكن التأثير فيه أو إمكان ما فرض وجوبه إلى غير ذلك من المفاسد.

الرابع: برهان التمانع وأظهر تقريراته أن وجوب الوجود يستلزم القدرة والقوة على جميع الممكنات قوة كاملة بحيث يقدر على إيجادها ودفع ما يضاده مطلقا وعدم القدرة على هذا الوجه نقص والنقص عليه تعالى محال ضرورة بدليل إجماع العقلاء عليه ومن المحال عادة إجماعهم على نظري ولئن لم يكن ضروريا فنظري ظاهر متسق الطريق واضح الدليل واستحالة إجماعهم على نظري لا يكون كذلك أظهر فنقول حينئذ لو كان في الوجود واجبان لكانا قوين وقوتهما يستلزم عدم قوتهما لأن قوة كل منهما على هذا الوجه يستلزم قوته على دفع الآخر عن إرادة ضد ما يريده نفسه من الممكنات والمدفوع غير قوي بهذا المعنى الذي زعمنا أنه لازم لسلب النقص.

فإن قلت: هذا إنما يتم لو كان إرادة كل منهما للممكن بشرط إرادة الآخر لضده ممكنا وبالعكس وليس كذلك بل إرادة كل منهما له بشرط إرادة الآخر لضده ممتنع ونظير ذلك أن إرادة الواجب للممكن بشرط وجود ضده محال ولا يلزم منه نقص قلت امتناع الإرادة بشرط إرادة الآخر هو الامتناع بالغير وامتناعه بالغير تحقق النقص والعجز تعالى عن ذلك وأما امتناع إرادة الشيء بشرط وجود ضده فمن باب امتناع إرادة المحال الذاتي وإن كان امتناع الإرادة امتناعا بالغير ومثله غير ملزوم للنقص بخلاف ما نحن فيه فإن المراد ممتنع بالغير.

فإن قلت: وجود الشيء كما يمتنع بشرط ضده ونقيضه كذلك يمتنع بشرط ملزوم ضده ونقيضه والأول امتناع بالذات والثاني امتناع بالغير وكما أن إرادة الأول منه تعالى محال ولا نقص فيه كذلك إرادة الثاني وظاهر أن إرادة إيجاد الممكن بشرط إرادة الآخر له من قبل الثاني فينبغي أن لا يكون فيه نقص قلت فرق بين الأمرين فإن وجود الممكن إذا قيد واشترط بملزوم نقيضه كان ممتنعا ولو بالغير ولم يتعلق به إرادة ضرورة وأما إذا لم يقيد الوجود به بل أطلق فغير ممتنع فيمكن تعلق الإرادة به ولو في زمان وجود ملزوم النقيض بأن يدفع الملزوم وإن لم يندفع هو من قبل نفسه أو من دافع آخر بخلاف إرادة الآخر له فإنه لو لم يندفع من قبل نفسه ولم يدفعه دافع آخر لم يتعلق به الإرادة ضرورة فهو مدفوع وإلا فالآخر مدفوع فصار حاصل الفرق حينئذ أن الصانع تعالى قادر على إيجاد أحد الضدين في زمان الضد الآخر بدون حاجة إلى واسطة غير مستندة إليه تعالى وهو أي الحاجة إلى الواسطة المستندة إلى الفاعل لا ينافي الاستقلال والقدرة كما لا ينافي الاحتياج إلى الواسطة المستندة إلى الذات الوجوب الذاتي بخلاف ما نحن فيه فإنه احتياج إلى واسطة غير مستندة إلى الذات.

لا يقال: لعل انتفاء إرادة الآخر واجب بنفسه ولا نسلم منافاة توسط الواجب بالذات بين الفاعل وفعله لاستقلاله

و استلزامه النقص لأننا نقول الأول بين البطلان فإن تحقق إرادة الآخر وانتفاعها^(١) ممكن في نفسه لكنه ينتفي فيما نحن فيه من قبل ذي الإرادة لو انتفى فيكون واسطة ممكنة غير صادرة عن الفاعل ولا مستندة إليه وأما الثاني فربما تدعى البداهة في استلزامه النقص وهو غير بعيد وبهذا التقرير يندفع كثير من الشكوك والشبه.

الخامس: تقرير آخر لبرهان التمانع ذكره المحقق الدواني، وهو أنه لا يخلو أن يكون قدرة كل واحد منهما وإرادته كافية في وجود العالم أو لا شيء منهما كاف أو أحدهما كاف فقط وعلى الأول يلزم اجتماع المؤثرين التامين على معلول واحد وعلى الثاني يلزم عجزهما لأنهما لا يمكن لهما التأثير إلا باشتراك الآخر وعلى الثالث لا يكون الآخر خالقا فلا يكون إلهاً أضمن يخلق كمن لا يخلق؟.

لا يقال: إنما يلزم العجز إذا انتفت القدرة على الإيجاد بالاستقلال أما إذا كان كل منهما قادرا على الإيجاد بالاستقلال ولكن اتفقا على الإيجاد باشتراك فلا يلزم العجز كما أن القادرين على حمل خشبة بالانفراد قد يشتركان في حملها^(٢) وذلك لا يستلزم عجزهما لأن إرادتهما تعلقت بالاشتراك وإنما يلزم العجز لو أرادا الاستقلال ولم يحصل لأننا نقول تعلق إرادة كل منهما إن كان كافيا لزم المحذور الأول وإن لم يكن كافيا لزم المحذور الثاني والملازمان يثبتان لا تقبلان المنع وما أوردتم من المثال في سند المنع لا يصلح للسندية إذ في هذه الصورة ينقص ميل كل واحد منهما من الميل الذي يستقل في الحمل قدر ما يتم الميل الصادر من الآخر حتى تنقل الخشبة بمجموع الميلين وليس كل واحد منهما بهذا القدر من الميل فاعلا مستقلا وفي محنتنا هذا ليس المؤثر إلا تعلق القدرة والإرادة ولا يتصور الزيادة والنقصان في شيء منهما.

السادس: أن كل من جاء من الأنبياء وأصحاب الكتب المنزلة إنما ادعى الاستناد إلى واحد أسند إليه الآخر ولو كان في الوجود واجباً لكان يخبر مخبر من قبله بوجوده وحكمه واحتمال أن يكون في الوجود واجب لا يرسل إلى هذا العالم أو لا يؤثر ولا يدبر أيضاً فيه مع تدبيره وجود خبره في عالم آخر أو عدمه مما لا يذهب إليه وهم وأهم فإن الوجوب يقتضي العلم والقدرة وغيرها من الصفات ومع هذه الصفات الكمالية يمتنع عدم الإعلام ونشر الآثار بحيث يبلغ إلينا وجوده وأما ما زعمت الثنوية من الإله الثاني فليس بهذه المثابة ومما يرسل ويحكم فيهم وإن قالوا بوجود الواجب الآخر فقد نفوا لازمه فهو باطل بحكم العقل.

وقد أثبتنا في كتاب الروضة فيما أوصى به أمير المؤمنين ابنه الحسن صلوات الله عليهما ما يومئ إلى هذا الدليل حيث قال ﷺ وأعلم أنه لو كان لربك شريك لأتتك رسله ولأريت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت صفته وفعاله ولكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ذلك أحد ولا يحتاجه^(٣) وأنه خالق كل شيء.

السابع: الأدلة السمعية من الكتاب والسنة وهي أكثر من أن تحصى وقد مر بعضها ولا محذور في التمسك بالأدلة السمعية في باب التوحيد وهذه هي المعتمد عليها عندنا وبسط الكلام في تلك الأدلة وما سواها مما لم نشر إليها موكل إلى مظانها، ولنرجع إلى حل الخبر وشرحه وقد قيل فيه وجوه:

الأول: أن المراد بالقوي القوي على فعل الكل بالإرادة مع إرادة استبداده به والمراد بالضعيف الذي لا يقوى على فعل الكل ولا يستبد به ولا يقاوم القوي فإن كانا قوين فلم لا يدفع كل منهما صاحبه ويتقدم به أي يلزم من قوتها انفراد كل بالتدبير ويلزم منه عدم وقوع الفعل وإن زعمت أن أحدهما قوي والآخر ضعيف ثبت أنه واحد أي المبدأ للعالم واحد لعجز الضعيف عن المقاومة والتأثير و ثبت احتياج الضعيف إلى العلة الموجدة لأن القوي أقوى وجوداً من الضعيف وضعف الوجود لا يتصور إلا بجواز خلو الماهية عن الوجود ويلزم منه الاحتياج إلى المبدأ المبين الموجد له.

وإن قلت إنهما اثنتان أي المبدأ اثنتان وهذا هو الشق الثاني أي كونهما ضعيفين بأن يقدر ويقوى كل منهما على بعض أو يفعل بعضاً دون بعض بالإرادة وإن كان يقدر على الكل وفي هذا الشق لا يخلو من أن يكونا متفقين أي في الحقيقة من كل جهة ويلزم من هذا عدم الامتياز بالتعين للزوم المغايرة بين الحقيقة والتعيين المختلفين

(١) كذا في «أ» وفي «ط»: انتفاعها. (٢) وفي نسخة: يشتركان في حملها.

(٣) نهج البلاغة ك ٣٦: ٢٩٥ فيه: ولعرفت أفعاله صفاته، وكذا: لا يضاده في ملكه أحد.

استحالة استنادهما إلى الحقيقة واستحالة استنادهما إلى الغير فيكون لهما مبدأ أو مختلفين مفترقين من كل جهة وذلك معلوم الانتفاء فإنما رأينا الخلق منتظما والملك جاريا والتدبير واحدا والليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الأمر والتدبير واتلاف الأمر على أن المدبر واحد لا اثنين مختلفان من كل جهة ثم ذلك المدبر الواحد لا يجوز أن يكون واحدا بجهة من حيث الحقيقة مختلفا بجهة أخرى فيكون المدبر اثنين ويلزمك إن ادعيت اثنين فرجة ما بينهما لأن لهما وحدة فلا يتمايزان إلا بمميز فاصل بينهما حتى يكونا اثنين لامتناع الاثنينية بلا مميز بينهما و غير الفاصل المميز بالفرجة حيث إن الفاصل بين الأجسام يعبر عنه بالفرجة وأولئك الزنادقة لم يكونوا يدركون غير المحسوسات تنبيهاً على أنكم لا تستحقون أن تخاطبوا إلا بما يليق استعماله في المحسوسات وذلك المميز لا بد أن يكون وجوديا داخلاً في حقيقة أحدهما إذ لا يجوز التعدد مع الاتفاق في تمام الحقيقة كما ذكرنا ولا يجوز أن يكون ذلك المميز ذا حقيقة يصح انفكاكها عن الوجود و خلوها عنه ولو عقلاً وإلا لكان معلولاً محتاجاً إلى المبدأ فلا يكون مبدأً ولا داخلاً فيه فيكون المميز الفاصل بينهما قديماً موجوداً بذاته كالمتفق فيه فيكون الواحد المشتمل على المميز الوجودي اثنين لا واحداً ويكون الاثنينان اللذان ادعيتهما ثلاثة فإن قلت به و ادعيت ثلاثة لزمك ما قلت في الاثنين من تحقق المميز بين الثلاثة ولا بد من مميزين وجوديين حتى تكون بين الثلاثة فرجتان ولا بد من كونهما قديمين كما مرفيكون خمسة وهكذا ثم ينتهي في العدد إلى ما لا نهاية له في الكثرة أي ينتهي الكلام في التعدد إلى القول بما لا نهاية له في الكثرة أو يبلغ عدده إلى كثرة غير متناهية أو المراد أنه يلزمك أن ينتهي المعدود المنتهي ضرورة بمعروض ما ينتهي إليه العدد أي الواحد إلى كثير لا نهاية له في الكثرة فيكون عدداً بلا واحد وكثرة بلا وحدة وعلى هذا يكون الكلام برهانياً لا يحتاج إلى ضمنية وعلى الأولين يصير بضم ما ذكرناه من ثالث الاحتمالات برهانياً.

الثاني: أن يكون إشارة إلى ثلاثة براهين وتقرير الأول بعد ما تقرر أن ما لا يكون قوياً على إيجاد أي ممكن كان لا يكون واجبا بالذات أن يقال لا يصح أن يكون الواجب بالذات اثنين وإلا كان كل منهما قوياً على إيجاد أي ممكن كان وكل ممكن بحيث يكون استناده إلى أي منهما كافياً في تصحيح خروجه من القوة إلى الفعل و حينئذ لم يكن محيص إمام من لزوم استناد كل معلول شخصي إلى علتين مستبديتين بالإفاضة وذلك محال أو من لزوم الترجيح بلا مرجح وهو فطري الاستحالة أو من كون أحدهما غير واجب بالذات وهو خلاف المفروض وهذا البرهان يتم عند قوله ﷺ للعجز الظاهر في الثاني.

وقوله ﷺ وإن قلت إلي قوله على أن المدبر واحد إشارة إلى برهان ثان وهو أحد الوجوه البرهانية في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١)؛ وتلخيص تقريره أن التلازم بين أجزاء النظام الجملي المنتظم المتسق كما بين السماء والأرض مثلاً على ما قد أحقته القوانين الحكمية لا يستتب إلا بالاستناد إلى فاعل واحد يصنع الجميع بحكمته وقدرته إذ التلازم بين شيئين لا يتصحح إلا بعلية أحدهما للأخر أو بمعلوليهما لعل واحدة موجبة فلو تعدد اختل الأمر وفسد النظام.

وتقرير الثالث هو أنك لو ادعيت اثنين كان لا محالة بينهما انفصال في الوجود وافتراق في الهوية ويكون هناك موجود ثالث هو المركب من مجموع الاثنين وهو المراد بالفرجة لأنه منفصل الذات والهوية وهذا المركب لتركيبه عن الواجبات بالذات المستغنيات عن الجاعل موجود لا من تلقاء الصانع إذ افتقار المركب إلى الجاعل بحسب افتقار أجزائه فإذا لم تفتقر أجزاؤه لم يفتقر هو بالضرورة فإذاً قد لزمك أن يكون هذا الموجود الثالث أيضاً قديماً فيلزمك ثلاثة وقد ادعيت اثنين وهكذا ويرد عليه مع بعد إطلاق الفرجة بهذا المعنى أنه يلزم في الفرض الثاني سبعة لا خمسة.

الثالث: أن يكون إشارة إلى حجتين إحداهما عامية مشهورة والأخرى خاصة برهانية أما الأولى فقول لا يخلو قولك إلى قوله في الثاني ومعناه أنه لو فرض قديمان فلا يخلو أن يكون كلاهما قوين أو كلاهما ضعيفين أو أحدهما قوياً والآخر ضعيفاً والثلاثة بأسرها باطلة أما الأول فلأنه إذا كانا قوين وكل منهما في غاية القوة من غير ضعف وعجز كما هو المفروض والقوة يقتضي الغلبة والقهر على كل شيء سواء فما السبب المانع لأن يدفع كل واحد منهما

صاحبه حتى يتفرد بالتدبير والقهر على غيره إذ اقتضاء الغلبة والاستعلاء مركوزة في كل ذي قوة على قدر قوته و المفروض أن كلا منهما في غاية القوة.

و أما فساد الشق الثاني فهو ظاهر عند جمهور الناس لما حكموا بالفطرة من أن الضعف ينافي الإلهية و لظهوره لم يذكره عليه السلام و أيضا يعلم فساد فساد الشق الثالث و هو قوله و إن زعمت أن أحدهما قوي و الآخر ضعيف ثبت أنه أي الإله واحد كما نحن نقول للعجز الظاهر في المفروض ثانيا لأن الضعف منشأ العجز و العاجز لا يكون إلها بل مخلوقا محتاجا لأنه محتاج إلى من يعطيه القوة و الكمال و الخيرية.

و أما الحجة البرهانية فأشار إليها بقوله و إن قلت إنها اثنان و بيانه أنه لو فرض موجودان قديمان فيما أن يتفقا من كل جهة أو يختلفا من كل جهة أو يتفقا بجهة و يختلفا بأخرى و الكل محال أما بطلان الأول فلأن الاثنين لا تتحقق إلا بامتنياز أحد الاثنين عن صاحبه و لو بوجه من الوجوه و أما بطلان الثاني فلما نبه عليه بقوله فلما رأينا الخلق منتظما و تقريره أن العالم كله كشخص واحد كثير الأجزاء و الأعضاء مثل الإنسان فإننا نجد أجزاء العالم مع اختلاف طبائعها الخاصة و تباین صفاتها و أفعالها المخصوصة يرتبط بعضها ببعض و يفتقر بعضها إلى بعض و كل منها يعين طبيعته صاحبه و هكذا نشاهد الأجرام العالية و ما ارتكز فيها من الكواكب النيرة في حركاتها الدورية و أوضاعها الواقعة منها نافعة للسفليات محصلة لأمرجة المركبات التي يتوقف عليها صور الأنواع و نفوسها و حياة الكائنات و نشوء الحيوان و النبات فإذا تحقق ما ذكرنا من وحدة العالم لوحدة النظام و اتصال التدبير دل على أن إلهه واحد و إليه أشار بقوله دل صحة الأمر و التدبير و اتلاف الأمر على أن المدبر واحد.

و أما بطلان الشق الثالث و هو أنها متفقان من وجه و مختلفان من وجه آخر فبأن يقال كما أشار إليه عليه السلام بقوله ثم يلزمك أنه لا بد فيها من شيء يمتاز به أحدهما عن صاحبه و صاحبه عنه و ذلك الشيء يجب أن يكون أمرا وجوديا يوجد في أحدهما و لم يوجد في الآخر أو أمران وجوديان يختص كل منهما بواحد فقط و أما كون الفارق المميز لكل منهما عن صاحبه أمرا عديما فهو ممتنع بالضرورة إذ الأعدام بما هي إعدام لا تمايز بينها و لا تميز بها فإذا فرض قديمان فلا أقل من وجود أمر ثالث يوجد لأحدهما و يسلب عن الآخر و هو المراد بالفرجة إذ به يحصل الانفراج أي الافتراق بينهما لوجوده في أحدهما و عدمه في الآخر و هو أيضا لا محالة قديم موجود معها و إلا لم يكونا اثنين قديمين فيلزم أن يكون القدماء ثلاثة و قد فرض اثنان و هذا خلف ثم يلزم من فرض كونهم ثلاثة أن يكونوا خمسة و هكذا إلى أن يبلغ عددهم إلى ما لا نهاية له و هو محال.

أقول: الأظهر على هذا التقرير أن تحمل الوحدة في قوله عليه السلام على أن المدبر واحد على الأعم من الوحدة النوعية و الشخصية و لو حملت على الشخصية يمكن أن يستخرج منه ثلاث حجج بهذا التقرير و لا يخفى توجيهها.

الرابع: أن يكون إشارة إلى ثلاث حجج لكن على وجه آخر و تقرير الأول أنه لو كان اثنين فإما أن يكونا قوين أي مستقلين بالقدرة على كل ممكن في نفسه سواء كان موافقا للمصلحة أو مخالفا و هو إنما يتصور بكونهما قديمين و إما أن يكونا ضعيفين أي غير مستقلين بالقدرة على ممكن ما في نفسه و إما أن يكون أحدهما قويا و الآخر ضعيفا و الأول محال لاشتماله على التناقض لأن كون كل منهما قويا بهذا المعنى يستلزم أن يكون قويا على دفع الآخر عن أن يصدر عنه مراد الأول بعينه أو مثله أو ضده في محله لأن عدم المنافي شرط في صدور كل ممكن و عدم القوة على الشرط ينافي القوة على المشروط و لا شك أن المدفوع كذلك ضعيف مسخر فقرة كل منهما في فعل صدر عنه يستلزم دفعه الآخر فيه و ضعف ذلك الآخر و في فعل تركه حتى فعل الآخر ضده يستلزم تمكنه الآخر في فعله و هذا تفرد بالتدبير فلاستفهام في لم لا يدفع إنكار أي معلوم ضرورة أنه يدفع كل منهما الآخر و يتفرد بالتدبير و بطلان الشق الثالث لكونه مستلزما لعجز أحدهما أي ضعفه و عدم كونه ممن ينتهي إليه شيء من تدبير العالم يستلزم بطلان الشق الثاني بطريق أولى.

و تقرير الثاني: أنه لو كان المدبر اثنين فنتسبه معلول معلول إليهما إما متساوية من جميع الوجوه بأن لا يكون في واحد منهما و لا في كل منهما ما يختص به و يرجع صدوره عنه على صدوره عن الآخر من الداعي و المصلحة و نحوهما و إما غير متساوية من جميع الوجوه و كلاهما باطل.

أما الأول فلأنه إما أن يكون ترك كل منهما ذلك المعلوم مستلزماً لفعل الآخر إياه لحكمة كل منهما أم لا فعلى الأول إحداث أحدهما ذلك المعلوم يستلزم الترجيح بلا مرجح لأن إحداث كل منهما ذلك المعلوم ليس أولى بوجه من تركه إياه وإحداث الآخر إياه وعلى الثاني إما أن يكون ترك التارك له مع تجويزه الترك على الآخر قبيحا وخلاف الحكمة أم لا والأول يستلزم النقص والثاني يستلزم عدم إمكان رعاية المصالح التي لا تحصى في خلق العالم لأنه اتفاقي حينئذ ومعلوم بديهية أن الاتفاق لا يكون منتظما في أمر سهل كصدور مثل قصيدة من قصائد البلغاء المشهورين عمن لم يمارس البلاغة وإن كان يمكن أن يصدر عنه اتفاقا مصراع بليغ أو مصراعان فضلا عما نحن فيه.

وأما بطلان الثاني فلأنه يستلزم أن يكون مختلفة من جميع الوجوه بأن لا يكون أحدهما قادرا عليه أصلا لأن اختلاف نسبة قادرين إلى معلول واحد شخصي إنما يتصور فيما يمكن أن يكون صدوره عن أحدهما أصح وأنفع من صدوره عن الآخر وهذا إنما يتصور فيما كان نفع فعله راجعا إليه كالعباد وأما إذا كان القاداران برئتين من الانتفاع كما فيما نحن فيه فلا يتصور ذلك فيه بديهية وينب عليه أن الفني المطلق إنما يفعل ما هو الخير في نفسه من غير أن يكون له فيه نفع سواء كان لغيره فيه نفع كما في ثواب الطيع أو لم يكن ومثاله عقاب الكافر إن لم يكن للطيعين فيه نفع.

وتقرير الثالث أنه إن كان المدير اثنين فنسبة معلول معلول إليهما إما متساوية من جميع الوجوه أو لا وكلاهما باطل أما الأول فلأن صدور بعض المعلولات عن أحدهما وبعض آخر منها عن الآخر منهما حينئذ يحتاج إلى ثالث هو الفرقة بينهما أي ما يميز ويعين كل معلول معلول لواحد معين منهما حتى يكون المديران اثنين لامتناع الترجيح من جهة الفاعلين بلا مرجح أي بلا داع أصلا كما هو المفروض فيلزم خلاف الفرض وهو أن يكون المدير ثلاثة ثم نقل الكلام إلى الثلاثة وهكذا إلى ما لا نهاية له في الكثرة ويلزم التسلسل وإنما لم يكف عليه السلام بعد نقل الكلام إلى الثلاثة بالاحتياج إلى فرقة واحدة للتمييز حتى يكون المجموع أربعة لا خمسة وإن كان المطلوب وهو لزوم التسلسل حاصلًا به أيضا لأن هناك ثلاثة تميزات وتخصيص واحد منهما بمميز كما هو المفروض واشتراك اثنين منهما بواحد مع اتحاد النسبة تحكم وأما بطلان الثاني فلما مر في بيان بطلان الشق الثاني من الدليل الثاني.

أقول: لا يخفى بعد هذا التقرير عن الأفهام واحتياجه إلى تقدير كثير من المقدمات في الكلام.

الخاص: أن يكون الأول إشارة إلى برهان التمايز بأحد تقريراته المشهورة والثاني إلى التزام كما مر والثالث يكون إلزاما على المجسمة المشتركة القائلين بالهين مجسمين متباعين في المكان كما هو الظاهر من كلام المجوس لعنهم الله ويكون الفرقة محمولة على معناها المتبادر من جسم يملأ البعد بينهما لبطان الخل أو سطح فاصل بينهما لتحقق الانتينية هذا ما قيل أو يمكن أن يقال في حل هذا الخبر الذي تحيرت فيه الأفهام والفكر ولم نتعرض لبسط الكلام في كل وجه ولا لإيراد ما يرد على كل منها من الإشكالات والاعتراضات احترازا عن الإسهاب والإطناب والله الموفق للصواب.

٢٣- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن عباد بن سليمان عن سعد بن سعد قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال هو الذي أنتم عليه. (١)

٢٤- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن إبراهيم بن هاشم ويعقوب بن يزيد عن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال سمعته وهو يقول في قوله عز وجل: «وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا» (٢) قال: هو توحيدهم لله عز وجل. (٣)

٢٥- يد: [التوحيد] الأشثاني عن ابن مهرويه عن الفراء عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ التوحيد نصف الدين واستنزوا الرزق بالصدقة. (٤)

قال الصدوق في كتاب التوحيد بعد نقل خبر أعرابي سمعت من أثق بدينه وعرفته باللغة والكلام يقول إن قول القائل واحد واثنان وثلاثة إلى آخره إنما وضع في أصل اللغة للإبانة عن كمية ما يقال عليه لا لأن له مسمى يسمى

به بعينه أو لأن له معنى سوى ما يتعلمه الإنسان لمعرفة الحساب و يدور عليه عقد الأصابع عند ضبط الآحاد و العشرات و المئات و الألوف و لذلك متى أراد مريد أن يخبر غيره عن كمية شيء بعينه سماه بأسمه الأخص ثم قرن لفظة الواحد به و علقه عليه يدل به على كمية لا على ما عدا ذلك من أوصافه و من أجله يقول القائل درهم واحد و إنما يعني به أنه درهم فقط و قد يكون الدرهم درهما بالوزن و درهما بالضرب فإذا أراد المخبر أن يخبر عن وزنه قال درهم واحد بالوزن و إذا أراد أن يخبر عن عدده أو ضربه قال درهم واحد بالعدد و درهم واحد بالضرب و على هذا الأصل يقول القائل هو رجل واحد و قد يكون الرجل واحدا بمعنى أنه إنسان و ليس بإنسانين و رجل ليس برجلين و شخص ليس بشخصين و يكون واحدا في الفضل واحدا في العلم واحدا في السخاء واحدا في الشجاعة فإذا أراد القائل أن يخبر عن كميته قال هو رجل واحد فدل ذلك من قوله على أنه رجل و ليس هو برجلين و إذا أراد أن يخبر عن فضله قال هذا واحد عصره فدل ذلك على أنه لا ثاني له في الفضل و إذا أراد أن يدل على علمه قال إنه واحد في علمه فلو دل قوله واحد بمجردة على الفضل و العلم كما دل بمجردة على الكمية لكان كل من أطلق عليه لفظة واحد أراد فضلا لا ثاني له في فضله و عالما لا ثاني له في علمه و جوادا لا ثاني له في جوده فلما لم يكن كذلك صح^(١) أنه بمجردة لا يدل إلا على كمية الشيء دون غيره و إلا لم يكن لما أضيف إليه من قول القائل واحد عصره و دهره فائدة^(٢) و لا كان لتقييده بالعلم و الشجاعة معنى لأنه كان يدل بغير تلك الزيادة و بغير ذلك التقييد على غاية الفضل و غاية العلم و الشجاعة فلما احتيج معه إلى زيادة لفظ و احتيج إلى التقييد بشيء صح ما قلناه فقد تقرر أن لفظة القائل واحد إذا قيل على الشيء دل بمجردة على كمية في اسمه الأخص و يدل بما يقترب به على فضل المقول عليه و على كماله و على توحده بفضله و علمه و جوده و تبين أن الدرهم الواحد قد يكون درهما واحدا بالوزن و درهما واحدا بالعدد و درهما واحدا بالضرب و قد يكون بالوزن درهemin و بالضرب درهما واحدا^(٣) و يكون بالدوايق ستة جواهر كثيرة متحدة اتحد بعضها ببعض و تركب بعضها مع بعض و لا يكون العبد واحدا و إن كان كل واحد منه^(٤) في نفسه إنما هو عبد واحد و إنما لم يكن العبد واحدا لأنه ما من عبد إلا و له مثل في الوجود أو في المقدور و إنما صح أن يكون للعبد مثل لأنه لم يتوحد بأوصافه التي من أجلها صار عبدا مملوكا و وجب لذلك أن يكون الله عز و جل متوحدا بأوصافه العلوية و أسمائه الحسنى ليكون إلها واحدا فلا يكون له مثل و يكون واحدا لا شريك له و لا إله غيره فالله تبارك و تعالى إله واحد لا إله إلا هو و قديم واحد لا قديم إلا هو و موجود واحد ليس بحال و لا محل و لا موجود كذلك إلا هو و شيء واحد لا يجانسه و لا يشاكله شيء^(٥) و لا يشبهه شيء و لا شيء كذلك إلا هو فهو كذلك موجود غير منقسم في الوجود و لا في الوهم و شيء لا يشبهه شيء بوجه و إله لا إله غيره بوجه و صار قولنا يا واحدا يا أحد في الشريعة اسما خاصا له دون غيره لا يسمى به إلا هو عز و جل كما أن قولنا الله اسم لا يسمى به غيره.

و فصل آخر في ذلك و هو أن الشيء قد يعد مع ما جانسه و شاكله و مائله يقال هذا رجل و هذان رجلان و ثلاثة رجال و هذا عبد و هذا سواد و هذان عبدان و هذان سوادان و لا يجوز على هذا الأصل أن يقال هذان إلهان إذ لا إله إلا إله واحد قاله لا يعد على هذا الوجه و لا يدخل في العدد من هذا الوجه بوجه و قد يعد الشيء مع ما لا يجانسه و لا يشاكله يقال هذا بياض و هذان بياض و سواد و هذا محدث و هذان محدثان و هذان ليسا بمحدثين و لا بمخلوقين بل أحدهما قديم و الآخر محدث و أحدهما رب و الآخر مربوب فعلى هذا الوجه يصح دخوله في العدد و على هذا النحو قال الله تبارك و تعالى: ﴿مَّا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ زَايِلُهُمْ وَلَا خُمْسَةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ الآية^(٦). و كما أن قولنا فلان إنما هو رجل واحد^(٧) لا يدل على فضله بمجردة كذلك قولنا فلان ثاني فلان لا يدل بمجردة إلا على كونه و إنما يدل على فضله متى قيل إنه ثانية في الفضل أو في الكمال أو العلم.

(١) في نسخة: فلما لم يكن كذلك وضع.

(٢) في المصدر: واحد عصره و دهره معنى.

(٣) في «و» و بالضرب واحداً.

(٤) في «أ» كما في المصدر: و إن كان كل واحد منا.

(٥) في المصدر: لا يجانسه شيء و لا يشاكله شيء.

(٦) في المصدر: و كما أن قولنا: إنما هو رجل واحد.

(٧) المجادلة: ٧.

فأما توحيد الله تعالى ذكره فهو توحيد بصفاته العلى^(١) وأسمائه الحسنى و لذلك كان إلها واحدا لا شريك له ولا شبيه والموحد هو من أقر به على ما هو عليه عز وجل من أوصافه العلى وأسمائه الحسنى على بصيرة منه ومعرفة وإيقان وإخلاص وإذا كان ذلك فممن لم يعرف الله عز وجل متوحدا بأوصافه العلى وأسمائه الحسنى ولم يقر بتوحيده بأوصافه العلى فهو غير موحد وربما قال جاهل من الناس إن من وحد الله وأقر أنه واحد فهو موحد وإن لم يصفه بصفاته التي توحدها لأن من وحد الشيء فهو موحد في أصل اللغة فيقال له أنكرتنا ذلك لأن من زعم أن ربه إله واحد وشيء واحد ثم أثبت معه موصوفا آخر بصفاته التي توحدها فهو عند جميع الأمة وسائر أهل الملل ثنوي غير موحد ومشارك مشبه غير مسلم وإن زعم أن ربه إله واحد وشيء واحد وموجود واحد وإذا كان كذلك وجب أن يكون الله تبارك وتعالى متوحدا بصفاته التي تفرد بالإلهية من أجلها وتوحد بالوحدانية لتوحدها ليستحيل أن يكون إله آخر ويكون الله واحدا والإله واحدا لا شريك له ولا شبيه لأنه إن لم يتوحد بها كان له شريك وشبيه كما أن العبد لما لم يتوحد بأوصافه التي من أجلها كان عبدا كان له شبيه ولم يكن العبد واحد وإن كان كل واحد منا عبدا واحدا وإذا كان كذلك فمن عرفه متوحدا بصفاته وأقر بما عرفه واعتقد ذلك كان موحدًا وتوحيد ربه عارفاً والأوصاف التي توحدها الله تعالى بها وتوحد بربوبيته لتفرد بها في الأوصاف التي يقتضي كل واحد منها أن لا يكون الموصوف بها إلا واحدا لا يشاركه فيه غيره ولا يوصف به إلا هو وتلك الأوصاف هي كوصفنا له بأنه موجود واحد لا يصح أن يكون حالا في شيء ولا يجوز أن يحل شيء ولا يجوز عليه العدم والفناء والزوال مستحق للوصف بذلك بأنه أول الأولين وآخر الآخرين قادر يفعل ما يشاء لا يجوز عليه ضعف ولا عجز مستحق للوصف بذلك لأنه أقدر القادرين وأقهر القاهرين عالم لا يخفى عليه شيء ولا يعزب عنه شيء لا يجوز عليه جهل ولا سهو ولا شك ولا نسيان مستحق للوصف بذلك بأنه أعلم العالمين حي لا يجوز عليه موت ولا نوم ولا ترجع إليه منفعة ولا تناله مضرة مستحق للوصف بذلك بأنه أبقي الباقيين وأكمل الكاملين فاعل لا يشغله شيء عن شيء ولا يعجزه شيء ولا يفوته شيء مستحق للوصف بذلك بأنه أول الأولين وآخرين وأحسن الخالقين وأسرع الحاسبين غني لا يكون له قلة مستغن لا يكون له حاجة عدل لا تلحقه مذمة ولا ترجع إليه منقصة حكيم لا يقع منه سفاهة رحيم لا يكون له رقة ويكون في رحمته سعة حلیم لا يلحقه موجدة^(٢) ولا يقع منه عجلة مستحق للوصف بذلك بأنه أعدل العادلين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين وذلك لأن أول الأولين لا يكون إلا واحدا وكذلك أقدر القادرين وأعلم العالمين وأحكم الحاكمين وأحسن الخالقين وكل ما جاء على هذا الوزن فصح بذلك ما قلناه وبالله التوفيق ومنه العصمة والتسديد^(٣)

الآيات:

الأنعام: ﴿قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ ٧١.

الأعراف: ﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَشْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ

(١) في «أ»: فهو توحده بصفاته العلى.

(٢) وجد عليه وجداً ووجدة: غضب. لسان العرب ١٥: ٢١٩.

(٣) التوحيد: ٨٤ - ٨٨ ب ٣. ذيل ح ٣.



العنكبوت: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَاتَّقُوا اللَّهَ عِندَ اللَّهِ الرِّزْقُ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ «إلى قوله تعالى» «وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَبَلَغَ بَعْضُكُم بَغْضًا وَمَا أَكُم النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ» ١٧ - ٢٥.

الروم: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ مِّنْ شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ﴾ «إلى قوله تعالى» «وَضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَلْ لَكُم مِّنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنَّفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ١٢ - ٢٨.

يس: ﴿اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا وَلَا يَقْدِرُونَ إِنِّي إِذْ أَلْفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» ٢٣ - ٢٤.

الصفوات ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّا لَنَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ» ٣٥. وقال تعالى: ﴿إِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «إلى قوله»: ﴿اتَّعْبُدُون مَا تَنَحْتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ» ٨٦ - ٩٦.

«و قال تعالى» «أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ اللَّهَ رَبَّكُمُ وَالْأَوَّلِينَ» ١٢٥ - ١٢٦. ص: ﴿أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْعِلمَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا خِطْلًا» ٥ - ٧.

الزمر: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَرْحَمُنَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» ٢ - ٣.

«و قال عز وجل» «وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ» ٣٨.

«و قال تعالى» «أَمْ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَقْعِلُونَ قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ» ٤٣ - ٤٥.

المؤمن: ﴿قُلْ إِنِّي نَبِيٌّ أَنِ اعْبُدُوا الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ «إلى قوله تعالى» «إِذِ الْأَغْصَانُ فِي أَغْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَنِ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ نَدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ» ٧١ - ٧٤.

السجدة: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاشْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِنَاءً تَعْبُدُونَ» ٣٧. حمسق: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِظَ عَلَيْهِمْ» ٦.

الزخرف: ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قَاتِي يَوْمَ فَكُونَ» ٨٦ - ٨٧.

الجناتية: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ» ٢٣.

الأحقاف: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أُرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ أَشُنُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَنَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ وَمَن أَضَلُّ مَعْنً يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُسِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءُ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» ٤ - ٦.

«و قال تعالى» «أَلَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَأْفِكَنَّ عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» «إلى قوله تعالى» «فَلَوْ لَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكُمْ إِفْكِهُمُ وَمَا كَانُوا يَفْقَهُونَ» ٢١ - ٢٨.

النجم: «أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ أَلَمْ يَكُنَّ الْأَكْثَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ تِلْكَ إِذْ أَوَّلَتْ شِعْرُ زَيْزِ بْنِ أَبِي إِسْمَاءَ سَعْيَئُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ» ١٩ - ٢٣.

الحج: «قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ» «إلى آخر السورة».

أقول: سيأتي الآيات الكثيرة في ذلك في كتاب النبوة وكتاب الاحتجاج وكتاب المعاد.

١- فس: [تفسير القمي] قوله «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا»^(١) قال: كان قوم مؤمنون قبل نوح عليه السلام فماتوا فحزن عليهم الناس فجاء إبليس فاتخذ لهم صورهم ليأسوا بها فأنسوا بها فلما جاءهم الشتاء أدخلهم البيوت فمضى ذلك القرن و جاء القرن الآخر فجاءهم إبليس فقال لهم إن هؤلاء آلهة كانوا آبائكم يعبدونها فعبدهم و ضل منهم بشر كثير فدعا عليهم نوح فأهلكهم الله.^(٢)

٢- فس: [تفسير القمي] «وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» قال: كانت ود صنما لكلب وكانت سواع لهذيل و يغوث لمراد وكانت يعوق لهمدان وكانت نسر لحصين.

٣- ب: [قرب الإسناد] هارون عن ابن صدقة عن جعفر عن أبيه أن عليا صلوات الله عليه سئل عن أساف و نائلة و عبادة قريش لهما فقال نعم كانا شابين صبيحين و كان بأحدهما تأنيث و كانا يطوفان بالبيت فصادفا من البيت خلوة فأراد أحدهما صاحبه ففعل فمسخهما الله حجرتين فقالت قريش لو لا أن الله تبارك و تعالى رضي أن يعبداه معه ما حولهما عن حالهما.^(٣)

٤- ع: [علل الشرائع] في أسئلة الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه سئل عن أول من كفر و أنشأ الكفر فقال عليه السلام إبليس لعنه الله.^(٤)

٥- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن ابن أبي الخطاب و ابن عيسى عن محمد بن سنان عن إسماعيل بن جابر و كرام بن عمرو عن عبد الحميد بن أبي الديلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن قابيل لما رأى النار قد قبلت قربان هابيل قال له إبليس إن هابيل كان يعبد تلك النار فقال قابيل لا أعبد النار التي عبدها هابيل و لكن أعبد نارا أخرى و أقرب قربانا لها فتقبل قرباني فبنى بيوت النار فقرب و لم يكن له علم بربه عز و جل و لم يرث منه ولده إلا عبادة النيران.^(٥)

ص: [قصص الأنبياء] [بالإسناد إلى الصدوق عن ابن الوليد عن الصفار عن ابن أبي الخطاب عن ابن سنان مثله.

٦- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن ابن النعمان عن بريد العجلي قال قال أبو جعفر عليه السلام إنما سمي العود خلافا لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ود فسمي العود خلافا و هذا في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.^(٦)

بيان: إنما سمي العود أي الشجرة المعهودة خلافا لأن إبليس عمل سواعا منها على خلاف ود فذلك سميت بها.

٧- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن محمد البرقي عن حماد بن عيسى عن حريز عن جعفر بن محمد عليه السلام في قول الله عز و جل: «وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَئُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا» قال: كانوا يعبدون الله عز و جل فماتوا فضح قومهم و شق ذلك عليهم فجاءهم إبليس لعنه الله فقال لهم اتخذ لكم أصناما على صورهم فتتظرون إليهم و تأمنون بهم و تعبدون الله فأعد لهم أصناما على مثالهم فكانوا يعبدون الله عز و جل

(١) نوح: ٢٣. (٢) تفسير القمي ٢: ٣٧٦. (٣) قرب الإسناد: ٥٠ ح ١٦٣. (٤) علل الشرائع: ٥٩٥ ب ٣٨٥ ح ٤٤. (٥) علل الشرائع: ٣ ح ١. (٦) علل الشرائع: ٤ ب ٤ ح ١.

و ينظرون إلى تلك الأصنام فلما جاءهم الشتاء والأمطار أدخلوا الأصنام البيوت فلم يزالوا يعبدون الله عز وجل حتى هلك ذلك القرن ونشأ أولادهم فقالوا إن آبائنا كانوا يعبدون هؤلاء فعبدوهم من دون الله عز وجل فذلك قول الله تبارك وتعالى ﴿وَلَا تَذَرْنَّ وُدَّآبَآ وَلَا سُوَاعَآ الْآيَةَ﴾^(١).

٨- ص: [قصص الأنبياء] بالإسناد عن الصدوق رحمه الله عن ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن الأحول عن بريد بن معاوية قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في مسجد النبي ﷺ إن إبليس اللعين هو أول من صور صورة على مثال آدم ﷺ ليفتن به الناس و يضلهم عن عبادة الله تعالى وكان ود في ولد قابيل^(٢) و كان خليفة قابيل على ولده و على من يحضرهم في سفح الجبل يعظمونه و يسودونه فلما أن مات ود جزع عليه إخوته و خلف عليهم ابنا يقال له سواع فلم يغن غناه أبيه منهم فأتاهم إبليس في صورة شيخ فقال قد بلغني ما أصبتم به من موت ود عظيمكم فهل لكم في أن أصور لكم على مثال ود صورة تستريحون إليها و تأسسون بها قالوا افعل فعمد الخبيث إلى الآتك^(٣) فأذابه حتى صار مثل الماء ثم صور لهم صورة مثال ود في بيته فتدافعوا على الصورة يلثمونها و يضعون خدودهم عليها و يسجدون لها و أحب سواع أن يكون التعظيم و السجود له فوثب على صورة ود فحكها حتى لم يدع منها شيئا و هوذا يقتل سواع فوعظهم و قال أنا أقوم لكم بما كان يقوم به ود و أنا ابنه فإن قتلتموني لم يكن لكم رئيس فمالوا إلى السواع بالطاعة و التعظيم فلم يلبث سواع أن مات و خلف ابنا يقال له يغوث فجزعوا على سواع فأتاهم إبليس و قال أنا الذي صورت لكم صورة ود فهل لكم أن أجعل لكم مثال سواع على وجه لا يستطيع أحد أن يغيره قالوا فافعل فعمد إلى عود فنجره و نصبه لهم في منزل سواع و إنما سمي ذلك العود خلافا لأن إبليس عمل صورة سواع على خلاف صورة ود قال فسجدوا له و عظموه و قالوا ليغوث ما نأمنك على هذا الصنم أن تكيده كما كاد أبوك مثال ود فوضعوا على البيت حراسا و حجابا ثم كانوا يأتون الصنم في يوم واحد و يعظمونه أشد ما كانوا يعظمون سواعا فلما رأى ذلك يغوث قتل الحرس و الحجاب ليلا و جعل الصنم رميما فلما بلغهم ذلك أقبلوا ليقبلوه فتواري منهم إلى أن طلبوه و رأسوه و عظموه ثم مات و خلف ابنا يقال له يعوق فأتاهم إبليس فقال قد بلغني موت يغوث و أنا جاعل لكم مثاله في شيء لا يقدر أحد أن يغيره قالوا فافعل فعمد الخبيث إلى حجر أبيض فنقره بالحديد حتى صور لهم مثال يغوث فعظموه أشد مما مضى و بنوا عليه بيتا من حجر و تبايعوا أن لا يفتحوا باب ذلك البيت إلا في رأس كل سنة و سميت البيعة يومئذ لأنهم تبايعوا و تعاقدوا عليه فاشتد ذلك على يعوق فعمد إلى ربطة^(٤) و خلق فألقاها في الحائر ثم رماها بالنار ليلا فأصبح القوم و قد احترق البيت و الصنم و الحرس و أرفض الصنم ملقى فجزعوا و هوذا يقتل يعوق فقال لهم إن قتلتم رئيسكم فسدت أموركم فكفوا فلم يلبث أن مات يعوق و خلف ابنا يقال له نسر فأتاهم إبليس فقال بلغني موت عظيمكم فأنأ جاعل لكم مثال يعوق في شيء لا يبلى فقالوا فافعل فعمد إلى الذهب و أوقد عليه النار حتى صار كالماء و عمل مثالا من الطين على صورة يعوق ثم أفرغ الذهب فيه ثم نصبه لهم في ديرهم و اشتد ذلك على نسر و لم يقدر على دخول تلك الدير فاتحاز عنهم في فرقة قليلة من إخوته يعبدون نسرا و الآخرون يعبدون الصنم حتى مات نسر و ظهرت نبوة إدريس فبلغه حال القوم و أنهم يعبدون جسما على مثال يعوق و أن نسرا كان يعبد من دون الله فسار إليهم بمن معه حتى نزل مدينة نسر و هم فيها فهزمهم و قتل من قتل و هرب من هرب ففترقوا في البلاد و أمر بالصنم فحمل و ألقى في البحر فاتخذت كل فرقة منهم صنما و سموها بأسمائها فلم يزالوا بعد ذلك قرنا بعد قرن لا يعرفون إلا تلك الأسماء ثم ظهرت نبوة نوح ﷺ^(٥) فدعاهم إلى عبادة الله وحده و ترك ما كانوا يعبدون من الأصنام فقال بعضهم ﴿لَا تَذَرْنَّ إِلَهَتَكُمْ وَلَا تَذَرْنَ وُدَّآبَآ وَلَا سُوَاعَآ وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرَآ﴾^(٦).

بيان: ارفضاض الشيء تفرقه و ترفض تكسر و انحاز عنه عدل.

٩- ثو: [ثواب الأعمال] أبي عن سعد عن البرقي عن أبي الجوزاء عن الحسين بن علوان عن منذر عن أبي عبد

(٢) كذا في «أ» والمصدر وفي «ط»: من ولد قابيل.

(٤) الربطة: الملاعة، وقيل: كل ثوب لين دقيق. لسان العرب ٥: ٣٩٠.

(٦) قصص الانبياء: ٦٧ - ٦٨ و ١١ ح ٤٨.

(١) علل الشرائع: ٣ ب ٣، ح ١.

(٣) الأتك: نوع من الرصاص. لسان العرب ١: ٢٤١.

(٥) وفي نسخة: فظهرت نبوة نوح ﷺ.

الله ﷻ قال ذكر أن سلمان قال إن رجلا دخل الجنة في ذباب و آخر دخل النار في ذباب فقيل له وكيف ذلك يا أبا عبد الله (١) قال مرا على قوم في عيد لهم وقد وضعوا أصناما لهم لا يجوز بهم أحد حتى يقرب إلى أصنامهم قربانا قل أم كثر فقالوا لهما لا تجوزا حتى تقربا كما يقرب كل من مر فقال أحدهما ما معي شيء أقربه وأخذ أحدهما ذبابا فقربه ولم يقرب الآخر فقال لا أقرب إلى غير الله جل وعز شيئا فقتلوه فدخل الجنة ودخل الآخر النار (٢).

١٠- شبي: [تفسير العياشي] عن الزهري قال أتى رجل أبا عبد الله ﷺ فسأله عن شيء فلم يجبه فقال له الرجل فإن كنت ابن أبيك فإنك من أبناء عبدة الأصنام فقال له كذبت إن الله أمر إبراهيم أن ينزل إسماعيل بمكة ففعل فقال إبراهيم: ﴿رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣). فلم يعبد أحد من ولد إسماعيل صنما قط ولكن العرب عبدة الأصنام وقالت بنو إسماعيل هؤلاء شُعَاوُنَا عِنْدَ اللَّهِ فكفرت ولم تعبد الأصنام.

بيان: لعل المراد أنهم أقروا بوحداية الصانع وإن أشركوا من جهة العبادة والسجود لها فنفي ﷻ عنهم أعظم أنواع الشرك وهو الشرك في الربوبية وقد مرت الإشارة إلى الفرق بينهما في الباب السابق.

١١- [الكافي] محمد بن يحيى عن بعض أصحابه عن العباس بن عامر عن أحمد بن رزق الغمشاني عن عبد الرحمن بن الأشل بيع الأنماط عن أبي عبد الله ﷺ قال كانت قريش تطلع الأصنام التي كانت حول الكعبة بالمسك والعنبر وكان يغوث قبالة الباب وكان يعوق عن يمين الكعبة وكان يساراها وكانوا إذا دخلوا خروا سجدا ليغوث ولا ينحنون (٤) ثم يستديرون بحيالهم إلى يعوق ثم يستديرون بحيالهم إلى نسر ثم يلبون فيقولون لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك قال فبعث الله ذبابا أخضر له أربعة أجنحة فلم يبق من ذلك المسك والعنبر شيئا إلا أكله وأنزل الله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاشْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْنَهُمْ ذَبَابٌ شَيْئًا لَا يَسْتَفِيدُوهُ مِنْهُ ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمُطْلُوبِ (٥)﴾ (٦).

١٢- فسن: [تفسير القمي] قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾ (٧) قال: نزلت في قريش وذلك أنه ضاق عليهم المعاش فخرجوا من مكة وتفرقوا وكان الرجل إذا رأى شجرة حسنة أو حجرا حسنا هواه فعبده وكانوا ينحرون لها النعم ويلطخونها بالدم ويسمونها سعد صخرة وكان إذا أصابهم داء في إبلهم وأغنابهم جاءوا إلى الصخرة فيتمسحون بها الغنم والإبل فجاء رجل من العرب ببابل له يريد أن يتمسح بالصخرة إبله و يبارك عليها فنفرت إبله وتفرقت فقال الرجل شعرا.

فشتتنا سعد فما نحن من سعد
من الأرض لا تهدي لفي ولا رشد

أتيت إلى سعد ليجمع شملنا
وما سعد إلا صخرة مسودة
و مر به رجل من العرب والثعلب يبول عليه فقال شعرا.

أرب يبول الثعلبان برأسه؟
لقد ذل من يالت عليه الثعالب (٨)

نفي الولد والصاحبة

باب ٨

الآيات:

النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَ

(٢) ثواب الاعمال وعقاب الاعمال: ٢٦٧ ب ٢٦٦ ح ١.
(٤) وفي نسخة: ولا يحثون.
(٦) الكافي ٤: ٥٤٢ ب ٥٣٩ ح ١١.
(٨) تفسير القمي ٢: ٩٠.

١. في «ط»: وكيف ذلك يا أبا عبد الله.
(٣) إبراهيم ٣٥.
(٥) الحج: ٧٣.
(٧) الجاثية: ٢٣.

كَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَامْتَوَا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انتَهَى خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۚ وَلَذَلِكَ مَأْنَى السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ۚ إِنَّ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١٧١-١٧٢﴾

المائدة: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَفِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٧ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ١٨﴾ ١٧ - ١٨.

أقول: سيأتي كثير من الآيات المتعلقة بعيسى عليه السلام في كتاب النبوة وكثير منها في أبواب الاحتجاجات.

التوبة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزَبُوا ابْنَ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ فَاتْلُهُمْ اللَّهُ الَّذِي يُوَفِّيكَوْنُ أَخْبَارَهُمْ وَرَهْبَانُهُمْ أَنْبَاءٌ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لَيْسَئُوا إِلَهاً وَاحِداً لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ ٣٠ - ٣١.

يُونُس: «قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» ٦٨.

الإِسْوَءَ: ﴿أَفَأَضْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾. ٤٠.
الكهف: ﴿وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ
الْأَكْذَابَ﴾ ٤ - ٥.

٢٥٣ مريم: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٣٥.

«و قال تعالى﴾ ﴿و قالوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَطَّرُنَّ مِنْهُ وَ تَتَشَقَّقُ الْأَرْضُ وَ تَجْرُ الْجِبَالُ هَذَا أَذَنُ الْعِزِّ الرَّحْمَنِ وَلَدًا وَ مَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِن كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ إِلَّا آيَةُ الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَخْضَحْنَاهُ وَ عَدَّاهُ عَدًّا ٨٨ - ٩٤.

الأنبياء: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهُ يَعْمَلُونَ يَعْلَمُونَ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِحِزْنٍ أَرْضُنَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكُنَّ نَجْرِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ ٢٦ - ٢٩.

الصفات: وَهَذَا سَمِعْتُهُمْ الرِّبَّكَ النَّاتُ وَلَهُمُ الْبُتُونُ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاءًا وَهُمْ شَاهِدُونَ أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ أَفْكَهَمْ لَقَوْلُونَ
وَلَدَ اللَّهُ وَابْنُهُ لَكَادُونَ أَصْطَفَى النَّبَاتَ عَلَى النَّبِيِّينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ فَاتَّبِعُوا
بِكُنَائِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نِسْبًا وَلَقَدْ عَلِمْتَ الْجَنَّةَ إِنَّهُمْ لِمُحْضَرُونَ سُحُبَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصْنَعُونَ أَلَا
عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ أَلَا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَبْرِ وَمَا مِثْلُ إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا
لَنَحْنُ الصَّافُونَ وَأَنَا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ١٤٩ - ١٦٦.

الزمر: «لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَأُصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ» ٤.

الزخرف: «وَجَعَلُوهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنْ الْإِنْسَانُ لَكَفُورٌ مُبِينٌ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ أَوْ مَنْ يَشْعُرُ فِي الْجِلْبَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا أَشْهَدُوا خَلْقَهُمْ سَتَكَبُّ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْتَلُونَ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ أَمْ اتَّخَذْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَفْسِحُونَ قُلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ» ١٥ - ٢٢.

﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَظِيمٍ ﴿٨١﴾ ۝ ﴿يُصَفُّونَ﴾ ۝ ۸۲.

الطور: ﴿أَمْ لَهُ النَّاتُ وَلَكُمْ السُّنُونَ﴾ ٣٩.

النجم: ﴿الْكُمُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ تِلْكَ إِذَا قُسِمَةُ ضَيْرَىٰ﴾ ٢١ - ٢٢.

«وَقَالَ تَعَالَىٰ» ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمَعُونَ الْمَلَائِكَةَ تَسْمِيَةَ الْأُنثَىٰ وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ ٢٧ - ٢٨.

الجن: ﴿وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ ٣.

١- فس: [تفسير القمي] جعفر بن أحمد عن عبيد الله بن موسى عن الحسن بن علي بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا﴾ (١) قال: هذا حيث قالت قريش إن لله ولدا وإن الملائكة إناث فقال الله تبارك وتعالى ردا عليهم ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا﴾ (٢) أي عظيما ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ﴾ (٣) مما قالوا: أَن دَعَا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ (٤) واحدا واحدا. (٥)

٢- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن اليقطيني عن سليمان بن رشيد عن أبيه عن المفضل قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول الحمد لله الذي لَمْ يَلِدْ فَيُورَثَ وَلَمْ يُولَدْ فَيُشَارَكَ. (٦)

٣- فس: [تفسير القمي] قوله ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (٧)، يعني أول الاتفين له أن يكون له ولد. (٨)

بيان: هذا أحد الوجوه في تأويل هذه الآية قال الجوهرى قال أبو زيد العبد بالتحريك الغضب و الأنف والاسم العبدة مثل الأنفة وقد عبد أي أنف وقال أبو عمرو قوله تعالى ﴿فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ من الأنف والغضب انتهى (٩) و ثانيها أن يكون من قبيل تعليق المحال بالمحال أي ليس له ولد إذ لو كان له ولد لكانت أول العابدين له فإن النبي يكون أعلم بالله وبما يصح له وما لا يصح وأولى بتعظيم ما يجب تعظيمه ومن حق تعظيم الوالد تعظيم ولده و ثالثها أن المعنى أن كان له ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله الموحد لله المنكرين لقولكم و رابعها أن إن بمعنى ما للسفي والمعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله المقربين بذلك.

أقول: سيأتي ما يتضمن نفي صاحبة الولد في باب جوامع التوحيد وسنذكر احتجاج النبي ﷺ على القائلين بالولد في المجلد الرابع.

باب ٩

النهى عن التفكير في ذات الله تعالى والخوض في مسائل التوحيد وإطلاق القول بأنه شيء

الآيات:

الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ٦٧.

١- شي: [تفسير العياشي] عن مسعدة بن صدقة عن جعفر بن محمد عن أبيه أن رجلا قال لأمرير المؤمنين عليه السلام هل تصف ربنا نزيد له حبا وبه معرفة فغضب وخطب الناس فقال فيما قال عليك يا عبد الله بما ذلك عليه القرآن من

(١) مريم: ٨٩

(٨٨) مريم: ٨٨

(٤) مريم: ٩٢ - ٩٥

(٣) مريم: ٩٠

(٦) التوحيد: ٤٨ ج ٢، ح ١٢.

(٥) تفسير القمي ٢: ٣١.

(٧) الزخرف: ٧١.

(٨) تفسير القمي ٢: ٢٦٣ وفيه: يعني أول القائلين لله أن يكون له ولد.

(٩) الصحاح: ٥٠٤.

صفته و تقدسك فيه^(١) الرسول من معرفته فأتم به و استضى بنور هدايته فإنما هي نعمة و حكمة أوتيتها فخذ ما أوتيت وَ كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ وَ ما كلفك الشيطان علمه مما ليس عليك في الكتاب فرضه و لا في سنة الرسول و أتمه الهداة أثره فكل علمه^(٢) إلى الله و لا تقدر عليه عظمة الله و اعلم يا عبد الله إن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاحتياج على السدد المضروبة دون الغيوب إقرارا بجهل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا: «أمانا به كل من عند ربنا»، و قد مدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما و سمي تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا.^(٣)

بيان: الاحتياج الهجوم و الدخول مغالبة و السدد جمع السدة و هي الباب المغلق و فيه إشكال لدلائله على أن الراسخين في العلم في الآية غير معطوف على المستثنى كما دلت عليه الأخبار الكثيرة و سيأتي القول فيه في كتاب الإمامة إلا أن يقال إن هذا إلزام على من يفسر الآية كذلك أو يقال بالجمع بين التفسيرين على وجهين مختلفين و سيأتي تمام القول في ذلك في محله إن شاء الله تعالى.

٢-ج: [الاحتجاج] روي عن هشام أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام أن الله تعالى ما هو فقال عليه السلام هو شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي شيء إلى شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم و لا صورة و لا يحس و لا يجس و لا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام و لا تنقصه الدهور و لا يتغيره الأزمان الخبر.^(٤)

بيان: اعلم أن الشيء مساو للموجود إذا أخذ الوجود أعم من الذهني و الخارجي و المخلوط بالوجود من حيث الخلط شيء و شبيثته كونه ماهية قابلة له و قيل إن الوجود عين الشيئية فإذا عرفت هذا فالمراد بقوله بحقيقة الشيئية أي بالشيئية الحقة الثابتة له في حد ذاته لأنه تعالى هو الذي يحق أن يقال له شيء أو موجود لكون وجوده بذاته ممتنع الانفكاك عنه و غيره تعالى في معرض العدم و الفناء و ليس وجودهم إلا من غيرهم أو المراد أنه يجب معرفته بمحض أنه شيء لا أن يشبه له حقيقة معلومة مفهومة يتصدى لمعرفتها فإنه يمتنع معرفة كنه ذاته و صفاته و قيل إنه إشارة إلى أن الوجود عين ذاته تعالى.

٣-لي: [الأمالي للصدوق] أبي عن الحميري عن ابن عيسى عن أبيه عن ابن أبي عمير عن محمد بن حمران عن أبي عبيدة الحذاء قال قال أبو جعفر عليه السلام يا زيار إياك و الخصومات فإنها تورث الشك و تحبط العمل و تردي صاحبها و عسى أن يتكلم الرجل بالشيء لا يغفر له يا زيار إنه كان فيما مضى قوم تركوا علم ما وكلا به و طلبوا علم ما كفه حتى انتهى بهم الكلام إلى الله عز و جل فتحيروا فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه أو يدعى من خلفه فيجيب من بين يديه.^(٥)

سن: [الحاسن] أبي عن ابن أبي عمير مثله.^(٦)

٤-لي: [الأمالي للصدوق] ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبيه عن صفوان بن يحيى عن أبي اليسع عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله عليه السلام إياكم و التفكير في الله فإن التفكير في الله لا يزيد إلا تيهها إن الله عز و جل لا تُدركُهُ الأَبْصَارُ و لا يوصف بمقدار.^(٧)

٥-ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] ابن إدريس عن أبيه عن ابن بندار عن محمد بن علي الكوفي عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام قال قال بعض الزنادقة لأبي الحسن عليه السلام هل يقال لله إنه شيء فقال نعم و قد سمي نفسه بذلك في كتابه فقال «قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ»^(٨) فهو شيء لَيْسَ كَيْفِيَّةً شَيْءٌ.^(٩)

(١) في المصدر: و تقدمك فيه، و الظاهر أن ما في المتن تصحيف.

(٢) في نسخة: كلفك الشيطان عليه.

(٤) الاحتجاج: ٣٣٢.

(٦) الحاسن: ٢٣٨ المصابع ب ٢٤. ح ٢١٠.

(٨) الانعام: ١٩.

(٣) تفسير العياشي ١: ١٨٦ ح ٥. من آل عمران.

(٥) أمالي الصدوق: ٣٤٠ م ٦٥. ح ٢.

(٧) أمالي الصدوق: ٣٤٠ م ٦٥. ح ٣.

(٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٢٢. ب ١١. ح ٣١.

٦- فس: [تفسير القمي] قوله: «وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُتَّبَعُونَ»^(١) حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن جميل عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا وتكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوما تكلموا فيما فوق العرش فتاهت عقولهم حتى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه و ينادي من خلفه فيجيب من بين يديه.^(٢)

بيان: التكلم فيما فوق العرش كناية عن التفكير في كنه ذاته وصفاته تعالى فالمراد إما الفوقية المعنوية أو بناء على زعمهم حيث قالوا بالجسم والصورة و يحتمل على بعد أن يكون المراد التفكير في الخلأ البحث بعد انتهاء الأبعاد.

٧- شي: [تفسير العياشي] عن ربعي عن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله: «وَإِذَا زَأْتِ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا» قال: الكلام في الله والجدال في القرآن «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ»^(٣) قال: منهم التقاص.

بيان: التقاص علماء المخالفين فإنهم كروا القصص والأكاذيب فيما يبنون عليه علومهم وهم يخوضون في تفاسير الآيات وتحقيق صفات الذات بالظنون والأوهام لانحرافهم عن أهل البيت عليه السلام.

٨- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن علي عن أبيه عن العباس بن عمرو القمي عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال للزنديق حين سأله عن الله ما هو قال هو شيء بخلاف الأشياء أرجع بقولي شيء إلى إثبات معنى وأنه شيء بحقيقة الشيئية غير أنه لا جسم ولا صورة.^(٤)

٩- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد عن البرقي عن محمد بن عيسى عن ذكره رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام أنه سئل أيجوز أن يقال إن الله عز وجل شيء قال نعم تخرجه من الحدين حد التعطيل و حد التشبيه.^(٥) ج: [الإحتجاج] مرسلًا مثله.^(٦)

بيان: حد التعطيل هو عدم إثبات الوجود والصفات الكمالية والفعلية والإضافية له تعالى وحد التشبيه الحكم بالاشتراك مع الممكنات في حقيقة الصفات وعوارض الممكنات.

١٠- يد: [التوحيد] العطار عن أبيه عن سهل قال كتبت إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين قد اختلف يا سيدي أصحابنا في التوحيد منهم من يقول هو جسم ومنهم من يقول هو صورة فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه فقلت متطولا على عبدك.

فوقع بخطه عليه السلام سألت عن التوحيد وهذا عنكم معزول الله تعالى واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد خالق وليس بمخلوق يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك و يصور ما يشاء وليس بمصور جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتعالى عن أن يكون له شبه هو لا غيره أَيْسَ كَيْفِيْلُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ.^(٧)

بيان: وهذا عنكم معزول أي لا يجب عليكم التفكير في الذات والصفات بل عليكم التصديق بما وصف تعالى به نفسه.

١١- سر: [السرائر] قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ليس العبادة كثرة الصوم والصلاة إنما العبادة في التفكير في الله.^(٨)

بيان: أي التفكير في قدرته وعظمته بالتفكير في عظمته خلقه كما فسر به في الأخبار الأخر أو بالتفكير فيما جاء عن الله وحججه عليه السلام في ذلك.

(١) النجم: ٤٢. (٢) تفسير القمي ٢: ٣٦٦. (٣) الانعام: ٦٨. (٤) التوحيد: ١٠٤ ب ٧. ح ٧. ٢. معاني الأخبار: ٨ ب ٨ ح ١. (٥) التوحيد ١٠٤ ب ٧. ح ١. معاني الأخبار: ٨ ب ٨ ح ٢. (٦) الإحتجاج: ٤٤٢. (٧) التوحيد: ١٠١ ب ٦. ح ١٤ و فيه: وتعالى عن أن يكون له شبه. (٨) السرائر: ٣: ٦٨٥ بأدنى فارق.

١٢- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن معروف عن ابن أبي نجران عن حماد بن عثمان عن عبد الرحيم القصير قال كتب علي يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام بمسائل فيها أخبرني عن الله عز وجل هل يوصف بالصورة وبالخطيطة فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إلي بالمذهب الصحيح من التوحيد.

فكتب صلى الله عليه وسلم علي يدي عبد الملك بن أعين سألت رحمك الله عن التوحيد وما ذهب فيه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثل شيء وهو السميع البصير تعالى الله عما يصفه الواصفون المشبهون الله تبارك وتعالى بخلقه المفترون على الله وأعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله عز وجل فأنف عن الله البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى الله عما يصفه الواصفون ولا تعد القرآن فتضل بعد البيان^(١).

بيان: على يدي عبد الملك أي كان هو الرسول والحامل للكتاب والجواب.

١٣- ضا: [فقه الرضا عليه السلام] إياك والخصومة فإنها تورث الشك وتحبط العمل وتردي صاحبها وعسى أن يتكلم بشيء لا يغفر له^(٢).

١٤- و نروي أنه كان فيما مضى قوم انتهوا بهم الكلام إلى الله جل وعز فتحيروا فإن كان الرجل ليدعى من بين يديه فيجيب من خلفه^(٣).

١٥- و أروي تكلموا فيما دون العرش فإن قوما تكلموا في الله جل وعز فتأهوا.

١٦- و أروي عن العالم عليه السلام وسأته عن شيء من الصفات فقال لا تتجاوز مما في القرآن.

١٧- و أروي أنه قرئ بين يدي العالم عليه السلام قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾^(٤) فقال: إنما عنى أبصار القلوب وهي الأوهام فقال لا تدرك الأوهام كيفيته وهو يدرك كل وهم وأما عيون البشر فلا تلحقه لأنه لا يحد فلا يوصف هذا ما نحن عليه كلنا^(٥).

١٨- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح عن الحسين بن سعيد قال سئل أبو جعفر الثاني عليه السلام يجوز أن يقال لله إنه شيء فقال نعم تخرجه من الحدين حد التعطيل وحد التشبيه^(٦).

١٩- يد: [التوحيد] ابن مسرور عن ابن بطنة عن عدة من أصحابه عن اليقطيني قال قال لي أبو الحسن عليه السلام ما تقول إذا قيل لك أخبرني عن الله عز وجل شيء هو أم لا شيء هو قال قلت له قد أثبت عز وجل نفسه شيئاً حيث يقول: ﴿قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(٧) فأقول: إنه شيء لا كالأشياء إذ في نفي الشئانية عنه إبطاله ونفيه قال لي صدقت وأصبت.

ثم قال الرضا عليه السلام للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب نفي وتشبيه وإثبات بغير تشبيه فمذهب النفي لا يجوز ومذهب التشبيه لا يجوز لأن الله تبارك وتعالى لا يشبهه شيء والسبيل في الطريقة الثالثة إثبات بلا تشبيه^(٨).

شني: [تفسير العياشي] عن هشام المشرقي عنه عليه السلام مثله وزاد في آخره وهو كما وصف نفسه أحد صمد نور^(٩).

٢٠- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبيه^(١٠) عن النضر عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان عن زرارة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إن الله تبارك وتعالى خلقه وخلقه خلوه منه وكلما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عز وجل فهو مخلوق والله خالق كل شيء تبارك الذي ليس كمثل شيء^(١١).

(١) التوحيد: ١٠٢ ب ٦ ج ١٥ وفيه: وما ذهب إليه من قبلك.

(٢) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ٣٨٤ ب ١٠٧ وفيه: تردى بصاحبها.

(٣) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ٣٨٤ ب ١٠٧ وفيه: وإن كان الرجل ... وهو الانسب.

(٤) الانعام: ١٠٣. (٥) الفقه المنسوب إلى الإمام الرضا عليه السلام: ٣٨٤ ب ١٠٧.

(٦) التوحيد: ١٠٧ ب ٧ ج ٧. (٧) الانعام: ١٩.

(٨) تفسير العياشي ١: ٣٨٥ - ٣٨٦ ج ١١ من الانعام.

(٩) التوحيد: ١٠٥ ب ٧ ج ٣. (١٠) خلا المصدر عن أسناد البرقي عن أبيه.

يد: [التوحيد] حمزة بن محمد العلوي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن علي بن عطية^(١) عن أبي جعفر^(٢) مثله إلى قوله خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ^(٣).

يد: [التوحيد] ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن أبي المعزى رفعه عن أبي جعفر^(٤) مثله إلى قوله فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل^(٥).

إيضاح: الخلو بكسر الخاء وسكون اللام الخالي وقوله^(٦) خلو من خلقه أي من صفات خلقه أو من مخلوقاته فيدل على نفي الصفات الموجودة الزائدة لأنها لا بد أن تكون مخلوقة لله تعالى بانضمام المقدمتين الأخيرتين المبنيتين على التوحيد واتصافه بمخلوقة مستحيل لما تقرر من أن الشيء لا يكون فاعلا وقابلا لشيء واحد ويدل أيضا على بطلان ما ذهب إليه جماعة من كونه تعالى معروضا لماهيات الممكنات وقوله^(٧) وخلق خلو منه أي من صفاته أو المراد أنه لا يحل في شيء بوجه من الوجوه فينفي كونه عارضا لشيء أو حالا فيه أو متمكنا فيه إذ ما من شيء إلا وهو مخلوق له بحكم المقدمتين الأخيرتين.

٢١- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن النظر عن ابن حميد رفعه قال سئل علي بن الحسين^(٨) عن التوحيد فقال إن الله تعالى علم أنه يكون في آخر الزمان أقوام متعمقون فأنزل الله تعالى: «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ» والآيات من سورة الحديد إلى قوله «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»^(٩) فمن رام ما وراء ذلك فقد هلك.^(١٠)

بيان: ظاهره المنع عن التفكير والخوض في مسائل التوحيد والوقوف مع النصوص وقيل المراد أنه تعالى بين لهم صفاته ليتفكروا فيها ولا يخفى بعده.

٢٢- سنن: [المحاسن] أبي عن صفوان و ابن أبي عمير معا عن عبد الرحمن بن الحجاج عن سليمان بن خالد قال قال أبو عبد الله^(١١) يا سليمان إن الله يقول «وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى»^(١٢) فإذا انتهى الكلام إلى الله فأمسكوا.^(١٣)

٢٣- سنن: [المحاسن] أبي عن ابن أبي عمير عن محمد بن يحيى عن عبد الرحيم القصير قال سألت أبا عبد الله^(١٤) عن شيء من الصفة فقال فرقع يديه إلى السماء ثم قال تعالى الله الجبار إنه من تعاطى ما ثم هلك يقولها مرتين.^(١٥)

بيان: تعالى الله الجبار أي عن أن يكون له جسم أو صورة أو يوصف بصفة زائدة على ذاته وأن يكون لصفاته الحقيقية بيان حقيقي من تعاطى أي تناول بيان ما ثم من صفاته الحقيقية هلك وصل ضلالاً بعيداً.

٢٤- سنن: [المحاسن] بعض أصحابنا عن حسين بن مياح عن أبيه قال سمعت أبا عبد الله^(١٦) يقول من نظر في الله كيف هو هلك.^(١٧)

٢٥- سنن: [المحاسن] أبي عن ابن أبي عمير عن أبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال قال أبو جعفر^(١٨) يا محمد إن الناس لا يزال لهم المنطق حتى يتكلموا في الله فإذا سمعتم ذلك فقولوا لا إله إلا الله الواحد الذي ليس كمثل شيء.^(١٩)

بيان: أي إذا سمعتم الكلام في الله فاقصروا على التوحيد ونفي الشريك منها على أنه لا يجوز الكلام فيه وتبيين معرفته إلا بسلب التشابه والتشارك بينه وبين غيره أو إذا أجروا الكلام في الجسم والصورة فقولوا ذلك تنزيها له عما يقولون.

(١) في المصدر: علي بن عطية عن خيشة.
(٢) التوحيد: ١٠٥ ب ٧. ح ٥.
(٣) التوحيد: ١٠٥ ب ٧. ح ٤.
(٤) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(٥) المحاسن: ٢٣٧ المصايح ب ٢٤. ح ٢٠٦.
(٦) المحاسن: ٢٣٧ المصايح ب ٢٤. ح ٢٠٨.
(٧) المحاسن: ٢٣٧ - ٢٣٨ المصايح ب ٢٤. ح ٢٠٩ وما بين القوسين ليس في المصدر.
(٨) التوحيد: ١٠٥ ب ٧. ح ٥.
(٩) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٠) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١١) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٢) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٣) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٤) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٥) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٦) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٧) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٨) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.
(١٩) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠. ح ٢.



٢٦- سنن: [المحاسن] ابن فضال عن ثعلبة عن الحسن الصيقل عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال تكلموا فيما دون العرش ولا تكلموا فيما فوق العرش فإن قوما تكلموا في الله فتأهوا حتى كان الرجل ينادي من بين يديه فيجيب من خلفه. (١)

٢٧- سنن: [المحاسن] أبي عن ابن أبي عمير عن حفص أخي مرزم عن الفضل بن يحيى قال سألت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن شيء من الصفة فقال لا تتجاوز عما في القرآن. (٢)

٢٨- سنن: [المحاسن] أبو أيوب المدني (٣) عن ابن أبي عمير عن ابن بكير عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن ملكا كان في مجلسه فتناول الرب تبارك وتعالى ففقد فما يدرى أين هو. (٤)

بيان: أي فقد من مكانه سخطا من الله عليه أو تحير و سار في الأرض فلم يعرف له خير وقيل هو على المعلوم أي فقد ما كان يعرف وكان لا يدري في أي مكان هو من الحيرة ولا يخفى ما فيه.

٢٩- سنن: [المحاسن] محمد بن عيسى عن ذكره رفعه قال سئل أبو جعفر عليه السلام يجوز أن يقال لله إنه موجود قال نعم تخرجه من الحدين حد الإبطال وحد التشبيه. (٥)

٣٠- م: [تفسير الإمام عليه السلام] لقد مر أمير المؤمنين عليه السلام على قوم من أخلاط المسلمين ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري وهم قعود في بعض المساجد في أول يوم من شعبان وإذا هم يخوضون في أمر القدر وغيره مما اختلف الناس فيه قد ارتفعت أصواتهم واشتد فيه جدالهم فوقف عليهم وسلم فردوا عليه وسعوا له وقاموا إليه يسألونه القعود إليهم فلم يخفل بهم ثم قال لهم و ناداهم يا معاشرة المتكلمين (٦) ألم تعلموا أن لله عبادا قد أسكتهم خشيتهم من غير عي ولا بكم وأنهم هم الفصحاء البلغاء الألباء العالمون بالله وأيامه ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله انكسرت ألسنتهم وانقطعت أفئدتهم وطاشت عقولهم وتاهت حلومهم إعزازا لله وإعظاما وإجلالا فإذا أفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية يعدون أنفسهم مع الظالمين والخاطئين وإنهم برآء من المقصرين والمفرطين ألا إنهم لا يرضون الله بالقليل ولا يستكتفون لله الكثير ولا يدلون عليه بالأعمال فهم إذا رأيتهم مهيمون مروعون خائفون مشفقون وجلون فأين أنتم منهم يا معشر المبتدعين ألم تعلموا أن أعلم الناس بالضرر أسكتهم عنه وأن أجهل الناس بالضرر أنطقهم فيه.

بيان: لا يدلون من قولهم أدل عليه أي أوثق بمحبته فأفرط عليه والهيام الجنون من العشق.

٣١- كشن: [رجال الكشي] علي بن محمد عن محمد بن موسى الهمداني عن الحسن بن موسى الخشاب عن غيره عن جعفر بن محمد بن حكيم الخثعمي قال اجتمع ابن سالم و هشام بن الحكم و جميل بن دراج و عبد الرحمن بن الحجاج و محمد بن حمران و سعيد بن غزوان و نحو من خمسة عشر من أصحابنا فسألوا هشام بن الحكم أن يناظر هشام بن سالم فيما اختلفوا فيه من التوحيد و صفة الله عز وجل و عن غير ذلك لينظروا أيهم أقوى حجة فرضي هشام بن سالم أن يتكلم عند محمد بن أبي عمير و رضي هشام بن الحكم أن يتكلم عند محمد بن هشام فتكلموا و ساقا (٧) ما جرى بينهما و قال قال عبد الرحمن بن حجاج لهشام بن الحكم كبرت و الله بالله العظيم و أحدث فيه ويحك ما قدرت أن تشبه بكلام ربك إلا العود يضرب به قال جعفر بن محمد بن حكيم فكتب إلى أبي الحسن موسى عليه السلام يحكي له مخاطبتهم و كلامهم و يسأله أن يعلمهم ما القول الذي ينبغي أن يدين الله به من صفة الجبار فأجابه في عرض كتابه فهمت رحمك الله و اعلم رحمك الله أن الله أجل و أعلى و أعظم من أن يبلغ كنه صفته فضفوه بما وصف به نفسه وكفوا عما سوى ذلك. (٨)

٣٢- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن اليقطيني عن ابن أبي نجران قال سألت أبا جعفر الثاني عليه السلام عن

(١) المحاسن: ٢٣٨ المصاحب ب ٢٤ ج ٢١١. (٢) المحاسن: ٢٣٩ المصاحب ب ٢٤ ج ٢١٤.

(٣) كذا في النسخ، و في المصدر: أبو أيوب المدائني، وكلاهما موجودان في كتب الرجال.

(٤) المحاسن: ٢٤٠ المصاحب ب ٢٤ ج ٢١٩. (٥) المحاسن: ٢٤٠ المصاحب ب ٢٤ ج ٢٢٠.

(٦) في «أ»: يا معشر المتكلمين. (٧) في المصدر: فتكلموا و ساق. و لعله هو النسب.

(٨) اختيار معرفة الرجال: ٥٦٤ ج ٥٠٠.

التوحيد فقلت أئوهم شيئا فقال نعم غير معقول ولا محدود فما وقع وهمك عليه من شيء فهو خلافه لا يشبهه شيء ولا تدركه الأوهام كيف تدركه الأوهام وهو خلاف ما يعقل وخلاف ما يتصور في الأوهام إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود.^(١)

٢٦٧
٣

بيان: اعلم أن من المفهومات مفهومات عامة شاملة لا يخرج منها شيء من الأشياء لا ذهنا ولا عينا كمفهوم الشيء والموجود والمخير عنه وهذه معان اعتبارية يعتبرها العقل لكل شيء إذا تقرر هذا فاعلم أن جماعة من المتكلمين ذهبوا إلى مجرد التعطيل ومنعوا من إطلاق الشيء والموجود وأشباههما عليه محتجين بأنه لو كان شيئا شارك الأشياء في مفهوم الشيئية وكذا الموجود وغيره وذهب إلى مثل هذا بعض معاصرينا فحكم بعدم اشتراك مفهوم من المفهومات بسبب الواجب والممكن وبأنه لا يمكن تعقل ذاته وصفاته تعالى بوجه من الوجوه وبكذب جميع الأحكام الإيجابية عليه تعالى ويرد قولهم الأخبار السالفة وبناء غلطهم على عدم الفرق بين مفهوم الأمر ما صدق عليه وبين الحمل الذاتي والحمل العرضي وبين المفهومات الاعتبارية والحقائق الموجودة.

فأجاب عليه السلام بأن ذاته تعالى وإن لم يكن معقولا لغيره ولا محدودا بحد إلا أنه مما يصدق عليه مفهوم شيء لكن كل ما يتصور من الأشياء فهو بخلافه لأن كل ما يقع في الأوهام والعقول فنصورها الإدراكية كصفات نفسانية وأعراض قائمة بالذهن ومعانيها مهيأت كلية قابلة للاشتراك والانقسام فهو بخلاف الأشياء.

باب ١٠ أدنى ما يحجز من المعرفة في التوحيد وأنه لا يعرف الله إلا به

١- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] عليه السلام ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن مختار بن محمد بن مختار الهمداني عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال سألته عن أدنى المعرفة فقال الإقرار بأنه لا إله غيره ولا شبه له ولا نظير له وأنه قديم مثبت موجود غير فقيد وأنه ليس كمثله شيء.^(٢)

٢٦٨
٣

بيان: قوله عليه السلام موجود إما من الوجود أو من الوجدان أي معلوم وكذا قوله غير فقيد أي غير مفقود زائل الوجود أو لا يفقده الطالب وقيل أي غير مطلوب عند الغيبة حيث لا غيبة له.

٢- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] عليه السلام الدقاق عن محمد الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن بكر بن زياد^(٣) عن عبد العزيز بن المهدي قال سألت الرضا عليه السلام عن التوحيد فقال كل من قرأ قل هو الله أحد وآمن بها فقد عرف التوحيد قلت كيف يقرأها قال كما يقرأها الناس وزاد فيه كذلك الله ربي كذلك الله ربي كذلك الله ربي.^(٤)

٣- يد: [التوحيد] الدقاق والوراق معا عن الصوفي عن الروياني عن عبد العظيم الحسيني قال دخلت على سيدي علي بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام فلما بصر بي قال لي مرحبا بك يا أبا القاسم أنت ولينا حقا قال فقلت له يا ابن رسول الله إني أريد أن أعرض عليك ديني فإن كان مرضيا ثبتت عليه حتى ألقى الله عز وجل فقال هاتها أبا القاسم.

(١) التوحيد: ١٠٦ ب ٧ ح ٦.

(٢) التوحيد: ٢٨٣ ب ٤٠ ح ١. عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٢٢ ب ١١ ح ٢٩.

(٣) ذكره الشيخ في رجال الإمام الصادق عليه السلام وقال: بكر بن زياد الجعفي مولاهم، كوفي: ١٥٧ رقم ٣٣.

(٤) التوحيد: ٢٨٤ ب ٤٠ ح ٣.



قلت: إني أقول إن الله تبارك وتعالى واحد لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ خارج من الحدين حد الإبطال و حد التشبيه وإنه ليس بجسم ولا صورة ولا عرض ولا جواهر بل هو مجسم الأجسام ومصور الصور و خالق الأعراض والجواهر رب كل شيء و مالكة و جاعله و محدثه و أن محمدا عبده و رسوله خاتم النبيين فلا نبي بعده إلى يوم القيامة و أقول إن الإمام و الخليفة و ولي الأمر بعده أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي ثم جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم محمد بن علي ثم أنت يا مولاي. فقال ﷺ: و من بعدي الحسن إني فكيف للناس بالخلف من بعده قال فقلت وكيف ذلك يا مولاي قال لأنه لا يرى شخصه ولا يحل ذكره باسمه حتى يخرج فيملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا.

قال. فقلت: أقررت و أقول إن وليهم ولي الله و عدوهم عدو الله و طاعتهم طاعة الله و معصيتهم معصية الله و أقول إن المعراج حق و المسائلة في القبر حق و أن الجنة حق و النار حق و الصراط حق و الميزان حق و أَنَّ الشَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا و أَنَّ اللَّهَ يَبْتَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ و أقول إن الفرائض الواجبة بعد الولاية الصلاة و الزكاة و الصوم و الحج و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

فقال علي بن محمد ﷺ يا أبا القاسم هذا و الله دين الله الذي ارتضاه لعباده فاثبت عليه ثبتك الله بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ (١)

٤- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن محمد بن علي القرشي عن محمد بن سنان عن محمد بن يعلى الكوفي عن جوير عن الضحاك عن ابن عباس قال جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله علمني من غرائب العلم قال ما صنعت في رأس العلم حتى تسأل عن غرابته قال الرجل ما رأس العلم يا رسول الله قال معرفة الله حق معرفته قال الأعرابي و ما معرفة الله حق معرفته قال تعرفه بلا مثل و لا شبه و لا تد و أنه واحد أحد ظاهر باطن أول آخر لا كفو له و لا نظير فذلك حق معرفته. (٢)

بيان: الند بالكسر المثل.

٥- يد: [التوحيد] أبي و ابن الوليد معا عن محمد العطار و أحمد بن إدريس معا عن الأشعري عن بعض أصحابنا عن محمد بن علي الطاحن (٣) عن طاهر بن حاتم بن ماهويه قال كتبت إلى الطيب يعني أبا الحسن ما الذي لا يجتزا في معرفة الخالق جل جلاله بدونه فكتب ﷺ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ لم يزل سميعا و عليما و بصيرا و هو الفعال لما يريد. (٤)

بيان: المشهور أن الكاف زائدة و قيل أي ليس مثل مثله شيء فيدل على نفي مثله بالكناية التي هي أبلغ لأنه مع وجود المثل يكون هو مثل مثله أو المعنى أنه ليس ما يشبه أن يكون مثلا له فكيف مثله حقيقة.

٦- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن محمد بن إسماعيل عن الفضل بن شاذان عن صفوان بن يحيى عن منصور بن حازم قال قلت لأبي عبد الله ﷺ إني ناظرت قوما فقلت لهم إن الله أكرم و أجل من أن يعرف بخلقه بل العباد يعرفون بالله فقال رحمك الله.

٧- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن أبي عمير عن محمد بن حمران عن الفضل بن السكن (٥) عن أبي عبد الله ﷺ قال قال أمير المؤمنين ﷺ اعرفوا الله بالله و الرسول بالرسالة و ولي الأمر بالمعروف و العدل و الإحسان. (٦)

٨- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصغار عن البرقي عن بعض أصحابنا عن علي بن عقبة رفعه قال سئل أمير المؤمنين ﷺ بم عرفت ربك فقال بما عرفني نفسه قيل وكيف عرفك نفسه فقال لا تشبهه صورة (٧) و لا يحس بالحواس و لا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء و لا يقال شيء فوقه أمام كل شيء و لا يقال

(١) التوحيد: ٨١ ج ٢. ٣٧. (٢) التوحيد: ٢٨٤ ج ٤٠ ح ٥.
(٣) في المصدر: محمد بن علي الطاحي، و لم أتمكن من العثور على ترجمة للاسمين.
(٤) التوحيد: ٢٨٤ ج ٤٠ ح ٤.
(٥) في «أ»: الفضل بن السكن، و رواه في الكافي كما في المتن ١: ٨٥ ج ٢٦. ١.
(٦) التوحيد: ٣٨٥ ج ٤١. ٣.
(٧) و في نسخة: لا يشبه صورة.

له أمام داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل وخارج من الأشياء لا كشيء من شيء خارج سبحانه من هو هكذا ولا هكذا غيره ولكل شيء (١) مبدأ (٢).

سن: [المحاسن] بعض أصحابنا عن صالح بن عقبة عن قيس بن سميان عن أبي ريحانة مولى رسول الله ﷺ رفعه قال سئل أمير المؤمنين ﷺ وذكر مثله (٣).

بيان: قريب من حيث إحاطة علمه وقدرته بالكل في بعده أي مع بعده عن الكل من حيث المباينة في الذات والصفات فظهر أن قربه ليس بالمكان بعيد عن إحاطة العقول والأوهام والأفهام به مع قربه حفظاً وتربية وطفافاً ورحمة وقد مر أنه يحتمل أن يكون إشارة إلى أن جهة قربه أي البعلية واحتياج الكل إليه هي جهة بعده عن مشابهاة مخلوقاته إذ الخالق لا يشابه المخلوق وكذا العكس فوق كل شيء أي بالقدرة والقهر والغلبة والكمال والانصاف بالصفات الحسنة ولا يقال شيء فوقه في الأمور وفيه إشعار بأنه ليس المراد به الفوقية بحسب المكان وإلا لأمكن أن يكون شيء فوقه أمام كل شيء أي علة كل شيء ومقدم عليها ويحتاج إليه كل موجود ويتضرع إليه ويعبده كل مكلف أو كل شيء متوجه نحوه في الاستكمال والتشبه به في صفاته الكمالية والكلام في قوله ولا يقال له أمام كما مر داخل في الأشياء أي لا يخلو شيء من الأشياء ولا جزء من الأجزاء عن تصرفه وحضوره العلمي وإفاضة فيضه وجوده عليه (٤) لا كدخول الجزء في الكل ولا كدخول العارض في المعروض ولا كدخول المتمكن في المكان خارج من الأشياء بتعالى ذاته عن ملاستها ومقارنتها والانصاف بصفتها والابتلاف منها لا كخروج شيء من شيء بالبعد المكاني أو المحلي وقوله ولكل شيء مبدأ أي علة في ذاتها وصفاتها كالتعليل لما سبق.

٢٧٢
٣

٩- يد: [التوحيد] محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي عن أحمد بن محمد بن سعيد النسوي (٥) عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصغددي بعرو عن محمد بن يعقوب الحكم العسكري وأخيه معاذ بن يعقوب عن محمد بن سنان الحنظلي عن عبد الله بن عاصم عن عبد الرحمن بن قيس عن ابن هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى وما سأل عنه أبا بكر فلم يجبه ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فسأله عن مسائل فأجابها عنها وكان فيما سأله أن قال له أخبرني عرفت الله بمحمد أم عرفت محمداً بالله.

فقال علي بن أبي طالب ﷺ ما عرفت الله عز وجل بمحمد ﷺ ولكن عرفت محمداً بالله عز وجل حين خلقه وأحدث فيه الحدود من طول وعرض فعرفت أنه مدبر مصنوع باستدلال وإلهام منه وإرادة كما ألهم الملائكة طاعته وعرفهم نفسه بلا شبه ولا كيف (٦) والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

وحدثنا علي بن أحمد بن محمد بن عمران الدقاق رحمه الله قال سمعت محمد بن يعقوب يقول معنى قوله اعرفوا الله بالله يعني أن الله عز وجل خلق الأشخاص والألوان والجواهر والأعيان فالأعيان الأبدان والجواهر الأرواح هو عز وجل لا يشبه جسماً ولا روحاً وليس لأحد في خلق الروح الحساس الدراك أثر ولا سبب هو المتفرد بخلق الأرواح والأجسام فمن نفى عنه الشبهين شبه الأبدان وشبه الأرواح فقد عرف الله بالله ومن شبهه بالروح أو البدن أو النور فلم يعرف الله بالله.

٢٧٢
٣

أقول: قال الصدوق رحمه الله في كتاب التوحيد القول الصواب في هذا الباب هو أن يقال عرفنا الله بالله لأننا إن عرفناه بقولنا فهو عز وجل وإلهنا وإن عرفناه عز وجل بأنبيائه ورسله وحججه ﷺ فهو عز وجل بآبائهم ومرسلهم ومتخذهم حججاً وإن عرفناه بأنفسنا فهو عز وجل محدثنا فيه عرفناه وقد قال الصادق ﷺ لو لا الله ما عرفناه ولو لا نحن ما عرف الله ومعناه لو لا الحجج ما عرف الله حق معرفته ولو لا الله ما عرف الحجج وقد سمعت بعض أهل الكلام يقول لو أن رجلاً ولد في فلاة من الأرض ولم ير أحداً يهديه ويرشده حتى كبر وعقل و

(٢) التوحيد ٢٨٥ ج ٤١ ح ٢.

(٤) كذا في النسخ، والظاهر: وإفاضة فيض وجوده عليه.

(٦) التوحيد: ٢٨٦ ب ٤١ ح ٤.

(١) وفي نسخة: ولكل شيء مبتدأ.

(٣) المحاسن: ٢٣٩ المصاحيب ب ٢٤ ح ٢١٧.

(٥) في المصدر: أحمد بن محمد أبو سعيد النسوي.



نظر إلى السماء والأرض لدله ذلك على أن لهما صنعا ومحدثا فقلت إن هذا شيء لم يكن وهو إخبار بما لم يكن أن لو كان كيف كان يكون ولو كان ذلك لكان لا يكون ذلك الرجل إلا حجة الله تعالى ذكره على نفسه كما في الأنبياء عليهم السلام منهم من بعث إلى نفسه ومنهم من بعث إلى أهله ولده ومنهم من بعث إلى أهل محلته ومنهم من بعث إلى أهل بلده ومنهم من بعث إلى الناس كافة.

وأما استدلال إبراهيم الخليل عليه السلام بنظره إلى الزهرة ثم إلى القمر ثم إلى الشمس وقوله فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ فَإِنَّهُ ﷺ كان نبيا ملهما مبعوثا مرسلا وكان جميع قوله إلى آخره بالهام الله عز وجل إياه وذلك قوله عز وجل ﴿وَبَلَدًا حَاجَتَنَا أَتَيْنَاهَا إِبراهيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ (١) وليس كل أحد كإبراهيم عليه السلام ولو استغنى في معرفة التوحيد بالنظر عن تعليم الله عز وجل وتعريفه لما أنزل الله عز وجل ما أنزل من قوله ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ (٢) ومن قوله ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ إلى آخره؛ ومن قوله: ﴿يَدْبِغُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ إلى قوله «وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» (٣) وآخر الحشر وغيرها من آيات التوحيد. (٤)

تبیین و تحقیق:

اعلم أن هذه الأخبار لا سيما خبر ابن السكن تحتل وجوها: الأول: أن يكون المراد بالمعروف به ما يعرف الشيء به بأنه هو هو فمعنى اعرفوا الله بالله اعرفوه بأنه هو الله مسلوبا عنه جميع ما يعرف به الخلق من الجواهر والأعراض ومشايبه شيء منها وهذا هو الذي ذكره الكليني رحمه الله (٥) وعلى هذا معنى قوله والرسول بالرسالة معرفة الرسول بأنه أرسل بهذه الشريعة وهذه الأحكام وهذا الدين وهذا الكتاب ومعرفة كل من أولي الأمر بأنه الأمر بالمعروف والعالم العامل به وبالعدل أي لزوم الطريقة الوسطى في كل شيء والإحسان أي الشفقة على خلق الله والتفضل عليهم ودفع الظلم عنهم أو المعنى اعرفوا الله بالله أي بما يناسب ألوهيته من التنزيه والتقديس والرسول بما يناسب رسالته من العصمة والفضل والكمال وأولي الأمر بما يناسب درجتهم العالية التي هي الرئاسة العامة للدين والدين وبما يحكم العقل به من اتصاف صاحب تلك الدرجة القصوى به من العلم والعصمة والفضل والمزية على من سواه ويحتمل أن يكون الغرض عدم الخوض في معرفته تعالى ورسوله وحججه بالقول الناقصة فينتهي إلى نسبة ما لا يليق به تعالى إليه وإلى الغلو في أمر الرسول والأئمة صلوات الله عليهم.

وعلى هذا يحتمل وجهين الأول أن يكون المراد اعرفوا الله بقولكم بمحض أنه خالق إله والرسول بأنه رسول أرسله الله إلى الخلق وأولي الأمر بأنه المحتاج إليه لإقامة المعروف والعدل والإحسان ثم عولوا في صفاته تعالى وصفاته حججه عليه السلام على ما بينوا وصفوا لكم من ذلك ولا تخوضوا فيها بقولكم والثاني أن يكون المعنى اعرفوا الله بما وصف لكم في كتابه وعلى لسان نبيه والرسول بما أوضح لكم من وصفه في رسالته إليكم والإمام بما بين لكم من المعروف والعدل والإحسان كيف اتصف بتلك الأوصاف (٦) والأخلاق الحسنة ويحتمل الأخيرين وجهًا ثالثًا وهو أن يكون المراد لا تعرفوا الرسول بما يخرج به عن الرسالة إلى درجة الألوهية وكذا الإمام.

الثاني: أن يكون المراد بما يعرف به ما يعرف باستعانتهم من قوى النفس العاقلة والمدركة وما يكون بمنزلتها ويقوم مقامها فمعنى اعرفوا الله بالله اعرفوه بنور الله المشرق على القلوب بالتوسل إليه والتقرب به فإن العقول لا تهتدي إليه إلا بأنوار فيضه تعالى واعرفوا الرسول بتكميله إياكم برسالته وبمتابعته فيما يؤدي إليكم من طاعة ربكم فإنها توجب الروابط المعنوية بينكم وبينه وعلى قدر ذلك يتيسر لكم من معرفته وكذا معرفة أولي الأمر إنما تحصل بمتابعتهم في المعروف والعدل والإحسان وباستكمال العقل بها.

(١) الانعام: ٨٣.

(٢) الانعام: ١٠١ - ١٠٣.

(٣) التوحيد: ٢٩٠ - ٢٩١ ب ٤١ ذيل ح ١٠ وفيه: فهو عز وجل محدثها فيه عرفناه.

(٤) ذكر المصنف معنى كلام الكليني المذكور في ذيل ح ١ من ب ٢٦ من أصول الكافي ١: ٨٥.

(٥) في «أ»: كيف اتصفت بتلك الأوصاف.

الثالث: أن يكون المراد ما يعرف بها من الأدلة والحجج فمعنى اعرفوا الله بالله أنه إنما تتأتى معرفته لكم بالتفكر فيما أظهر لكم من آثار صنعه وقدرته وحكمته بتوفيقه وهدايته لا بما أرسل به الرسول من الآيات والمعجزات فإن معرفتها إنما تحصل بعد معرفته تعالى و اعرفوا الرسول بالرسالة أي بما أرسل به من المعجزات والدلائل أو بالشرعية المستقيمة التي بعث بها فإنها لا تطابقها على قانون العدل والحكمة يحكم العقل بحقية من أرسل بها و اعرفوا أولي الأمر بعلمهم بالمعروف وإقامة العدل والإحسان وإيتانهم بها على وجهها وهذا أقرب الوجوه ويؤيده خبر سلمان وكذا خبر ابن حازم إذ الظاهر أن المراد به أن وجوده تعالى أظهر الأشياء به ظهر كل شيء و قد أظهر الآيات للخلق على وجوده وعلمه وقدرته وأظهر المعجزات حتى علم بذلك حقية حججه ﷺ فالعابد معروفون به ولا يحتاج في معرفة وجوده إلى بيان أحد من خلقه ويمكن أن يقرأ يعرفون على بناء المعلوم أيضا.

وأما ما ذكره الصدوق رحمه الله فيرجع إلى أن المعنى أن جميع ما يعرف الله به ينتهي إليه سبحانه ويرد عليه أنه على هذا تكون معرفة الرسول وأولي الأمر أيضا بالله فما الفرق بينهما وبين معرفة الله في ذلك وأيضاً لا يلزمه قوله اعرفوا الله بالله إلا أن يقال الفرق باعتبار أصناف المعرفة فالمعرفة بالرسالة صنف من المعرفة بالله والمعرفة بالمعروف صنف آخر منها ومعرفة الله فيها أصناف لا اختصاص لها بصنف والمراد باعرفوا الله بالله حصولا لمعرفة الله التي تحصل بالله هكذا حققه بعض الأفاضل ثم إن في كلامه تشويشا وتناقضا ولعل مراده أخيرا نفي معرفة صفاته الكمالية حق معرفتها بدون إرسال الرسل ونصب الحجج إلا أن التصديق بوجوده تعالى يتوقف على ذلك وإن كان بعض كلماته يدل عليه.

الدين الحنيف والفطرة و صبغة الله و التعريف في الميثاق

باب ١١

الآيات:

البقرة: ٢٧٦ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ غَائِبُونَ﴾ ١٣٨.
الروم: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ٣٠.

١- مع: [معاني الأخبار] أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة قال سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ﴾ (١) فقلت: ما الحنيفية؟ قال هي الفطرة. (٢)

بيان: أي الملة الحنيفية هي التوحيد الذي فطر الله الخلق عليه ويومئ إليه قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ و اختلف في معنى ذلك الفطرة فقيل المعنى أنه خلقهم على نوع من الجبلية والطبع السهيا لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها وإنما يعدل عنه من يعدل لأحد من الآفات وتقليد الآباء والأمهات وقيل كلهم مفلطرون على معرفة الله والإقرار به فلا تجد أحدا إلا وهو يقر بأن الله تعالى صانع له وإن سماه بغير اسمه أو عبد معه غيره وقيل المعنى أنه خلقهم لها لأنه خلق كل الخلق لأن يوحده ويعبده وقال الجزري فيه خلقت عبدي حنفاء أي طاهري الأعضاء من المعاصي لأنه خلقهم كلهم مسلمين لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِيمَنْكُمْ كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنًا﴾ (٣).

و قيل أراد خلقهم حنفاء مؤمنين لما أخذ عليهم الميثاق أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى (١) فلا يوجد أحد إلا وهو مقر بأن له ربا وإن أشرك به و الحنفاء جمع حنيف وهو المائل إلى الإسلام الثابت عليه و الحنيف عند العرب من كان على دين إبراهيم و أصل الحنف الميل انتهى. (٢)

أقول: الذي يظهر من الأخبار هو أن الله تعالى قرر عقول الخلق على التوحيد و الإقرار بالصانع في بدء الخلق عند الميثاق فقلوب جميع الخلق مدعنة بذلك و إن جحدوه معاندة و سيأتي تمام الكلام في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

٢- فسن: [تفسير القمي] الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن محمد بن جمهور عن جعفر بن بشير عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: «فَأَوَّمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا» قال: الولاية. (٣)

٣- فسن: [تفسير القمي] الحسن بن علي بن زكريا عن الهيثم بن عبد الله الرماني عن علي بن موسى الرضا صلوات الله عليه عن أبيه عن جده محمد بن علي بن الحسين عليه السلام في قوله: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: هو لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله علي أمير المؤمنين عليه السلام إلى هاهنا التوحيد. (٤)

٤- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن محمد بن سنان عن علاء بن الفضيل عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن قول الله عز و جل «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال التوحيد. (٥)

٥- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن هاشم عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: التوحيد. (٦)

٦- يد: [التوحيد] بالإسناد عن ابن هاشم و ابن يزيد معا عن ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال فطرهم على التوحيد. (٧)

يد: [التوحيد] أبي عن علي عن أبيه عن ابن فضال عن أبي جميلة عن محمد الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام مثله. (٨)

سن: [المحاسن] ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة مثله. (٩)

٧- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن اليقطيني عن يونس عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن قول الله عز و جل: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» ما تلك الفطرة؟ قال: هي الإسلام فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد فقال أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ و فيهم المؤمن و الكافر. (١٠)

٨- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن أحمد و عبد الله ابني محمد بن عيسى عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن زرارة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: فطرهم جميعا على التوحيد. (١١)

٩- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن علي بن حسان عن الحسن بن يونس عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل: «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: التوحيد، و محمد رسول الله و علي أمير المؤمنين. (١٢)

يز: [بصائر الدرجات] أحمد بن موسى عن الخشاب عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير مثله. (١٣)

١٠- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن أحمد بن محمد عن أبيه عن ابن المغيرة عن ابن مسكان عن زرارة قال قلت لأبي جعفر عليه السلام أصلحك الله قول الله عز و جل في كتابه «فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا» قال: فطرهم على التوحيد عند

(١) النهاية في غريب الحديث و الاثر ١: ٤٥١.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٢٧.

(٣) التوحيد: ٣٢٨ ح ٥٣ ج ٢.

(٤) التوحيد: ٣٢٩ ح ٥٣ ج ٥.

(٥) التوحيد: ٣٢٩ ح ٥٣ ج ٣.

(٦) التوحيد: ٣٢٩ ح ٥٣ ج ٧.

(١) الاعراف: ١٧٧.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٢٧.

(٣) التوحيد: ٣٢٨ ح ٥٣ ج ١.

(٤) التوحيد: ٣٢٩ ح ٥٣ ج ٤.

(٥) المحاسن: ٢٤١ مصابيح ب ٢٤ ج ٢٢٢.

(٦) التوحيد: ٣٢٩ ح ٥٣ ج ٦.

(٧) بصائر الدرجات: ٩٨ ج ٢ ب ١٠ ح ١٠.

الميثاق على معرفته أنه ربهم قلت و خاطبه قال فطأطأ رأسه ثم قال لو لا ذلك لم يعلموا من ربهم و لا من رازقهم.^(١١)

١١- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن هاشم و ابن أبي الخطاب و ابن يزيد جميعا عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله عز و جل ﴿حُفَّتْ لِرَبِّهِمْ أَجْنُودُ مَلَكٍ كَثِيرٍ وَ هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي فطر الناس عليها لَّا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ﴾ قال فطرهم الله على المعرفة.

قال زرارة و سألته عن قول الله ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ﴾ ^(٣) الآية قال: أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرهم و أراهم صنعه و لو لا ذلك لم يعرف أحد ربه و قال قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة يعني على المعرفة بأن الله عز و جل خالقه فذلك قوله: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ ^(٤) (٥).

١٢- سنن: [المحاسن] أبي عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن زرارة ^(٦) قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله: ﴿حُفَّتْ لِرَبِّهِمْ أَجْنُودُ مَلَكٍ كَثِيرٍ﴾ ما الحنيفة؟ قال: هي الفطرة التي فطر الناس عليها فطر الله الخلق على معرفته. ^(٧)

١٣- سنن: [المحاسن] أبي عن علي بن نعمان عن ابن مسكان عن زرارة قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز و جل ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: فطرهم على معرفته أنه ربهم و لو لا ذلك لم يعلموا إذا سئلوا من ربهم و لا من رازقهم. ^(٨)

١٤- سنن: [المحاسن] المحسن بن أحمد عن أبان الأحمر عن أبي جعفر الأحول عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال عروة الله الوثقى التوحيد و الصبغة الإسلام. ^(٩)

بيان: قال البيضاوي في قوله تعالى ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾ ^(١٠): أي صبغنا الله صبغته و هي فطرت الله التي فطر الناس عليها فإنها حلية الإنسان كما أن الصبغة حلية المصوغ أو هداña هدايته و أرشدنا حجته أو طهر قلوبنا بالإيمان تطهيره و سماه صبغة لأنه ظهر أثره عليهم ظهور الصبغ على المصوغ و تدخل قلوبهم تدخل الصبغ الثوب أو للمشكلة فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم في ماء أصفر يسمونه العمودية و يقولون هو تطهير لهم و به تحقق نصرانيهم. ^(١١)

١٥- مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد عن أحمد بن محمد عن أبيه عن فضالة عن أبان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَ مَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ قال: هي الإسلام. ^(١٢)

١٦- سنن: [المحاسن] ابن فضال عن ابن بكير عن زرارة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ^(١٣) قال: ثبتت المعرفة في قلوبهم و نسوا الموقف و سيذكرونه يوما و لو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه و لا من رازقه. ^(١٤)

١٧- سنن: [المحاسن] البرزطي عن رفاعة عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَ أَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ قال: نعم لله الحجة على جميع خلقه أخذهم يوم أخذ الميثاق هكذا و قبض يده. ^(١٥)

١٨- شف: [كشف اليقين] من كتاب القاضي القزويني عن هارون بن موسى التلعكبري عن محمد بن سهل عن الحميري عن ابن يزيد عن علي بن حسان عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل: ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: هي التوحيد و أن محمدا رسول الله ﷺ و أن عليا أمير المؤمنين عليه السلام. ^(١٦)

- | | |
|--------------------------------------|---|
| (١) التوحيد: ٣٣٠ ب ٥٣ ح ٨. | (٢) الحج: ٣١. |
| (٣) الاعراف: ١٧٢. | (٤) لقمان: ٢٥. |
| (٥) التوحيد: ٣٢٠ ب ٥٣ ح ٩. | (٦) سقط اسم زرارة في المصدر. |
| (٧) المحاسن: ٢٤١ المصايب ب ٢٤ ح ٢٢٣. | (٨) المحاسن: ٢٤١ المصايب ب ٢٤ ح ٢٢٤. |
| (٩) المحاسن: ٢٤٠ المصايب ب ٢٤ ح ٢٢١. | (١٠) البقرة: ١٣٨. |
| (١١) تفسير البيضاوي: ١٤٦. | (١٢) معاني الأخبار: ١٨٨ ب ١٧٣ ح ١. |
| (١٣) الاعراف: ١٧٢. | (١٤) المحاسن: ٢٤١ ب ٢٤ ح ٢٢٥. |
| (١٥) المحاسن: ٢٤٢ ب ٢٤ ح ٢٢٩. | (١٦) اليقين في امرة الإمام أمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> ، ص ١٨٨ ب ٤٠. |



١٩- شي: [تفسير العياشي] عن زرارة عن أبي جعفر وحرمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال الصبغة الإسلام. (١)

٢٠- شي: [تفسير العياشي] عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله **﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾** قال: الصبغة معرفة أمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في الميثاق. (٢)

٢١- شي: [تفسير العياشي] عن الوليد عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الحنيفية هي الإسلام. (٣)

٢٢- غو: [غوالي الثاني] قال النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه. (٤)

بيان: قال السيد المرتضى رحمه الله في كتاب الفرر و الدرر بعد نقل بعض التأويلات عن المخالفين في هذا الخبر والصحيح في تأويله أن قوله يولد على الفطرة يحتمل أمرين أحدهما أن تكون الفطرة هاهنا الدين ويكون على معنى اللام فكأنه قال كل مولود يولد للدين ومن أجل الدين لأن الله تعالى لم يخلق من يبلغه مبلغ المكلفين إلا ليعبده فينتفع بعبادته يشهد بذلك قوله تعالى **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** (٥) والدليل على أن على يقوم مقام اللام ما حكاه يعقوب بن السكيت عن أبي يزيد (٦) عن العرب أنهم يقولون صف على كذا وكذا حتى أعرفه بمعنى صف لي ويقولون ما أغبطك علي (٧) يريدون ما أغبطك لي والعرب تقيم بعض الصفات مقام بعض وإنما ساء أن يريد بالفطرة التي هي الخلقة في اللغة الدين من حيث كان هو المقصود بها وقد يجري على الشيء اسم ما له به هذا الضرب من التعلق والاختصاص وعلى هذا يتأول قوله تعالى: **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾** أراد دين الله الذي خلق الخلق له وقوله تعالى لا تتبدل لخلق الله أراد به أن ما خلق الله العباد له من العباداة والطاعة ليس مما يتغير ويختلف حتى يخلق قوما للطاعة وآخرين للمصيبة ويجوز أن يريد بذلك الأمر وإن كان ظاهره ظاهر الخير فكأنه قال لا تبدلوا ما خلقكم الله له من الدين والطاعة بأن تعصوا وتخالفوا.

والوجه الآخر في تأويل قوله ﷺ الفطرة أن يكون المراد به الخلقة وتكون لفظة على ظاهرها لم يرد بها غيره ويكون المعنى كل مولود يولد على الخلقة الدالة على وحدانية الله تعالى وعبادته والإيمان به لأنه جل وعز قد صور الخلق وخلقهم على وجه يقتضي النظر فيه معرفته والإيمان به وإن لم ينظروا ويعرفوا فكأنه ﷺ قال كل مخلوق ومولود فهو يدل بخلقته وصورته على عبادة الله تعالى وإن عدل بعضهم فصار يهوديا أو نصرانيا وهذا الوجه أيضا يحتمله قوله تعالى: **﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾** وإذا ثبت ما ذكرناه في معنى الفطرة فقوله عليه الصلاة والسلام حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه يحتمل وجهين أحدهما أن من كان يهوديا أو نصرانيا ممن خلقته لعبادتي وديني فإنما جعله أبواه كذلك أو من جرى مجراهما ممن أوقع له الشهية وقلده الضلال عن الدين وإنما خص الأبوين لأن الأولاد في الأكثر ينشئون على مذاهب آبائهم ويألفون أديانهم ونحلهم ويكون الغرض بالكلام تنزيه الله تعالى عن ضلال العباد وكفرهم وأنه إنما خلقهم للإيمان فصددهم عنه أبائهم أو من جرى مجراهم والوجه الآخر أن يكون معنى يهودانه وينصرانه أي يلحقانه بأحكامهما (٨) لأن أطفال أهل الذمة قد ألحق بالشرع أحكامهم بأحكامهم فكأنه ﷺ قال لا تتوهما من حيث لحقت أحكام اليهود والنصارى أطفالهم أنهم خلقوا لدينهم بل لم يخلقوا إلا للإيمان والدين الصحيح لكن أبائهم هم الذين أدخلوهم في أحكامهم وعبر عن إدخالهم في أحكامهم بقوله يهودانه وينصرانه. (٩)

(١) تفسير العياشي ١: ٨١ سورة البقرة ح ١٠٩.

(٢) غوالي الثاني ٣: ٣٥ ج ٤: ١٨.

(٣) كذا في المصدر: وفي «أ»: أما في «ط» ابن يزيد.

(٤) كذا في المصدر: ما أغبطك علي يريدون ما أغبطك لي.

(٥) أمالي الشريف المرتضى ٤: ٣ - ٤ م ٥٧ بتصرف يسير.

(٦) تفسير العياشي ١: ٨١ سورة البقرة ح ١٠٨.

(٧) تفسير العياشي ١: ٨١ سورة البقرة ح ١٠٣.

(٨) الذاريات: ٥٦.

(٩) في «أ»: ما أغبطك علي، وفي المصدر: ما أغبطك علي يريدون ما أغبطك لي.

(١٠) في نسخة: أي يلحقانه بأحكامهم.

١- لي: (الأمالى للصدوق) ابن المتوكل عن السعد آبادي عن البرقي عن البرنظي عن أبي الحسن الموصلي (١) عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال جاء خبر من الأحبار إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين متى كان ربك فقال له نكلك أمك ومتى لم يكن حتى يقال متى كان ربك قبل القبل بلا قبل و يكون بعد البعد بلا بعد ولا غاية ولا منتهى لغايته انقطعت الغايات عنه فهو منتهى كل غاية (٢).

ج: (الإحتجاج) مرسلًا بزيادة قوله فقال يا أمير المؤمنين أفنبي أنت فقال ويلك إنما أنا عبد من عبيد محمد ﷺ (٣).
يد: (التوحيد) بالإسناد المتقدم مع تلك الزيادة (٤).
و قال: الصدوق بعده يعني بذلك عبد طاعة لا غير ذلك (٥).

بيان: لما كان متى كان سؤالاً عن الزمان المخصوص من بين الأزمنة لوجوده ولا يصح فيما لا اختصاص لزمان به أجابه بقوله متى لم يكن حتى يقال متى كان و نبه على بطلان الاختصاص الذي أخذ في السؤال ثم بين ﷺ سرمدية فقال كان ربك قبل القبل أي هو قبل كل ما هو قبل شيء ولا قبل بالنسبة إليه و بعد كل ما هو بعد شيء ولا شيء بعده أو هو قبل الموصوف بالقلبية و البعدية لذاته أي الزمان و بعده بلا زمان إذ هو مبدأ كل شيء و غاية له و الغاية نهاية الامتداد و قد يطلق على نفس الامتداد والمعنى أنه لا غاية لوجوده و سائر كمالاته أزلاً و أبداً و لعل المراد بها ثانياً نفس الامتداد أي ليس لما يتوهم له من الامتداد نهاية.

و يحتمل أن يكون المراد بها أولاً أيضاً الامتداد فيكون مجروراً بـ أي امتداد زماني و يحتمل أن يكون المراد بها ثانياً أيضاً النهاية أي كل ما توهمت أنه غاية له فهو موجود بعده و لا ينتهي إليه وجوده فكل غاية أي امتداد أو نهاية ينقطع عنه لوجوده تعالى قبله و بعده فهو منتهى كل غاية أي بعدها أو هو علة لها و إليه ينتهي وجودها فكيف تكون غاية له و يحتمل أن يكون المراد بالغايات نهايات أفكار العارفين فإنها منقطعة عنه لا تصل إليه و بكونه منتهى كل غاية أنه منتهى رغبات الخلائق و حاجاتهم و يمكن أن يحمل الغاية في الأخيرتين على العلة الغائية أيضاً و الله يعلم.

٢- مع: (معاني الأخبار) ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد بن حكيم عن ميمون البان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام و قد سئل عن قوله جل و عز ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ (٦) فقال الأول لا عن أول قبله و لا عن بدء سبقه و آخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين و لكن قديم أول آخر لم يزل و لا يزال بلا بدء و لا نهاية لا يقع عليه الحدوث و لا يحول من حال إلى حال خالق كل شيء (٧).

بيان: لا عن أول قبله أي لا مبتدأ عن أول يكون قبله زماناً و لا عن بدء على وزن فعل أو بديء على وزن فاعل أي مبتدأ سبقه رتبة بالعلية و قوله لا عن نهاية أي لا معها مجازاً و يحتمل أن تكون عن تعليلية أي ليس آخريته بسبب أن له نهاية بعد نهاية غيره و قوله لا يقع عليه الحدوث ناظر إلى الأول و قوله ﷺ و لا يحول من حال إلى حال ناظر إلى الآخر أي آخريته بأنه أبدي بجميع صفاته لا يعتريه تغير في شيء من ذلك و سياًتي تحقيقه في باب الأسماء.

٣- ج: (الإحتجاج) سأل نافع بن الأزرق أبا جعفر عليه السلام قال أخبرني عن الله عز و جل متى كان فقال له ويلك أخبرني أنت متى لم يكن حتى أخبرك متى كان سبحانه من لم يزل و لا يزال فردا صمداً لم يتخذ صاحبة و لا ولداً (٨).

(١) في المصدر: أبي الحسين الموصلي و هو تصحيف.
(٢) الأحتجاج: ٢١٠.
(٣) التوحيد: ١٧٥ ب ٢٨ ح ٣.
(٤) التوحيد: ١٧٥ ب ٢٨ ح ٣.
(٥) التوحيد: ١٧٥ ب ٢٨ ح ٣.
(٦) الحديد: ٣.
(٧) معاني الأخبار: ١٢ ب ١٢ ح ١.
(٨) الأحتجاج: ٣٢١ وفيه: متى كان؟ قال: متى لم يكن.

(٢) أمالي الصدوق: ٥٣٤ م ٩٦ ح ١.

(٤) التوحيد: ١٧٤ ب ٢٨ ح ١.

(٦) الحديد: ٣.

(٨) الأحتجاج: ٣٢١ وفيه: متى كان؟ قال: متى لم يكن.

يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن الثمالي مثله.

فس: [تفسير القمي] أبي عن ابن محبوب عن الثمالي عن أبي الربيع مثله.

ك: يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن محمد بن الحسين عن محمد بن سنان عن إسحاق بن حرث عن أبي بصير قال أخرج أبو عبد الله عليه السلام حقا^(١) فأخرج منه ورقة فإذا فيها سبحان الواحد الذي لا إله غيره^(٢) القديم المبدئ الذي لا بدء له الدائم الذي لا نفاذ له الحي الذي لا يموت الخالق ما يرى وما لا يرى العالم كل شيء بغير تعليم ذلك الله الذي لا شريك له.^(٣)

هـ: يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن محمد العطار عن محمد بن أحمد عن عبد الله بن محمد عن علي بن مهزيار قال كتب أبو جعفرعليه السلام إلى رجل بخطه وقرأته في دعاء كتب به أن يقول يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثم خلق كل شيء ثم يبقى ويفنى كل شيء ويا ذا الذي ليس في السماوات العلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا بينهما ولا تحتهن إله يعبد غيره.^(٤)

٦- يد: [التوحيد] محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المذكر عن إبراهيم بن محمد بن سفيان عن علي بن سلمة اللبكي عن إسماعيل بن يحيى عن عبد الله بن عبد الله بن طلحة^(٥) عن سعد بن سنان عن الضحاك عن النزال بن سيرة قال جاء يهودي إلى علي بن أبي طالب عليه السلام فقال يا أمير المؤمنين متى كان ربنا قال فقال له علي عليه السلام إنما يقال متى كان شيء لم يكن فكان وربنا هو كائن بلا كينونة كائن كان بلا كيف يكون كان لم يزل بلا لم يزل وبلا كيف يكون تبارك وتعالى ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل وبلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية.

بيان: بلا كينونة كائن أي كان ولم يحدث حادث بعدا ولا علي نحو حدوث الحوادث قال الفيروز آبادي الكون الحدث كالكينونة^(٦) قوله بلا كيف يكون أي صفة موجودة زائدة ولعل الوصف بقوله يكون للإشعار بأنه إذا كان له كيف يكون حادثا لا محالة قوله عليه السلام بلا لم يزل أي بلا زمان قديم موجود يسمى بلم يزل ليكون معه قديما ثانيا وقوله عليه السلام ثانيا بلا كيف يكون تأكيد لما سبق ويحتمل أن يكون الأول لنفي الكيفيات الجسمية أو الحادثة والثاني لنفي الصفات الحقيقية الزائدة أو القديمة ويحتمل أن يكون المراد بالآخر أنه ليس لوجوده في الأزل واتصافه بها كيف فيكون إشارة إلى نفي معلولية الوجود أو زيادته وفي الكافي بسند آخر كيف يكون له قبل وهو أظهر كما سيأتي أيضا قوله عليه السلام بلا غاية أي امتداد وزمان موجود ولا منتهى غاية أي في الأزل ولا غاية أي منتهى ينتهي إليها غاية أي امتداد في لا يزال.

٧- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن محمد العطار عن سهل عن عمرو بن عثمان عن محمد بن يحيى الخزاز عن محمد بن سماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال رأس الجالوت لليهود إن المسلمين يزعمون أن عليا من أجدل الناس وأعلمهم ذهبوا بنا إليه لعلني أسأله عن مسألة أخطئه فيها فأثابه فقال يا أمير المؤمنين إني أريد أن أسألك عن مسألة قال سل عما شئت قال يا أمير المؤمنين متى كان ربنا قال يا يهودي إنما يقال متى كان لمن لم يكن فكان هو كائن بلا كينونية كائن كان بلا كيف يا يهودي كيف يكون له قبل وهو قبل القبل بلا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها غاية انقطعت الغايات عنه فهو غاية كل غاية فقال أشهد أن دينك الحق وأن ما خالفه باطل.^(٧)

أقول: قد أثبتنا خبر محمد بن عبد الله الخراساني في باب إثبات الصانع وسيأتي كثير من الأخبار في باب نفي الزمان والمكان وسائر الأبواب مشحونة بما يناسب الباب من الأخبار.

(١) الحق (بضم الحاء) المنحوت من الخشب والعاج وغير ذلك مما يصلح أن ينحت عنه «لسان العرب ٣: ٢٦١».

(٢) وفي «أ» فإذا فيها سبحان الله الواحد الذي لا إله غيره. (٣) التوحيد: ٤٦ ب ٢ ح ٨.

(٤) التوحيد: ٤٧ ب ١ ح ١١.

(٥) في المصدر: عبدالله بن طلحة بن هجيم، ولم أشر عليه.

(٦) القاموس المحيط: ٤: ٣٦٦.

(٧) التوحيد: ١٧٥ ب ٢٨ ح ٦، وفي الكافي مثله ١: ٩٠ ب ٢٩ ح ٨.

نفى الجسم والصورة والتشبيه والحلول و الاتحاد وأنه لا يدرك بالحواس والأوهام و العقول والأفهام

الآيات:

الأنعام «٩١» والحج «٧٤» والزمر «٦٧»: ﴿مَّا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ. خَمَعَسَقَ: ^(١)﴾: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» ١١.

٢٨٧
٣

١- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] محمد بن أحمد بن شاذان القمي عن أبيه عن محمد بن الحسن عن سعد عن محمد بن عيسى عن علي بن بلال عن محمد بن بشير الدهان عن محمد بن سماعة قال سأل بعض أصحابنا الصادق عليه السلام فقال له أخبرني أي الأعمال أفضل قال توحيدك لربك قال فما أعظم الذنوب قال تشبيهك لخالقك. ^(٢)

٢- نص: [كفاية الأثر] علي بن الحسين عن هارون بن موسى عن محمد بن همام عن الحميري عن عمر بن علي العبدى عن داود بن كثير الرقي عن يونس بن طبيان قال دخلت على الصادق جعفر بن محمد فقلت يا ابن رسول الله إني دخلت على مالك وأصحابه فسمعت بعضهم يقول إن لله وجها كالوجه وبعضهم يقول له يدان واحتجوا لذلك بقول الله تبارك وتعالى ﴿يَبْدِئُ أَسْتَخْبِرْتُ﴾ ^(٣) وبعضهم يقول هو كالشاب من أبناء ثلاثين سنة فما عندك في هذا يا ابن رسول الله قال وكان متكئا فاستوى جالسا وقال اللهم عفوك عفوك ثم قال يا يونس من زعم أن لله وجها كالوجه فقد أشرك ومن زعم أن لله جوارح كجوارح المخلوقين فهو كافر بالله فلا تقبلوا شهادته ولا تأكلوا ذبيحته تعالى الله عما يصفه المشبهون بصفة المخلوقين فوجه الله أنبيأوه وأولياؤه وقوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَخْبِرْتُ﴾ اليد: القدرة كقوله: ﴿وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهٖ﴾ ^(٤)، فمن زعم أن الله في شيء أو على شيء أو يحول من شيء إلى شيء أو يخلو منه شيء أو يشتغل به شيء فقد وصفه بصفة المخلوقين والله خالق كل شيء لا يقاس بالقياس ولا يشبه بالناس لا يخلو منه مكان ولا يشتغل به مكان قريب في بعده بعيد في قربه ذلك الله ربنا لا إله غيره فمن أراد الله وأحبه بهذه الصفة فهو من الموحدين ومن أحبه بغير هذه الصفة فالله منه بريء ونحن منه براء.

٢٨٨
٣

٣- لي: [الأمالى للصدوق] محمد بن محمد بن عاصم عن الكليني عن علان عن محمد بن الفرج الرخجي قال كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام أسأله عما قال هشام بن الحكم في الجسم وهشام بن سالم في الصورة فكتب عليه السلام دع عنك حيرة الحيران واستعذ بالله من الشيطان ليس القول ما قال الهشامان. ^(٥) يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن علي بن محمد رفعه عن الرخجي مثله. ^(٦)

بيان: لا ريب في جلالة قدر الهشامين وبراءتهما عن هذين القولين وقد بالغ السيد المرتضى قدس الله روحه في براءة ساحتهم عما نسب إليهما في كتاب الشافي ^(٧) مستدلا عليها بدلائل شافية ولعل المخالفين نسبوا إليهما هذين القولين معاندة كما نسبوا المذاهب الشيعية إلى زرارة وغيره من أكابر المحدثين أول عدم فهم كلامهما فقد قيل إنهما قالا بجسم لا كالأجسام وبصورة لا كالصور ففعل مرادهما بالجسم ^(٨) الحقيقة القائمة بالذات وبالصورة الماهية وإن أخطأنا في إطلاق هذين اللفظين عليه تعالى.

قال المحقق الدواني المشبهة منهم من قال إنه جسم حقيقة ثم افرقوا فقال بعضهم إنه مركب من

٢٨٩
٣

(٢) أمالي الطوسي: ٦٥٧ م ٢٠.

(٤) الانفال: ٢٦.

(٦) التوحيد: ٩٧ ب ٦ ح ٢.

(٨) في «أ» فعل مرادهم بالجسم.

(١) الشورى.

(٣) ص: ٧٥.

(٥) أمالي الصدوق: ٢٢٨ م ٤٧ ح ١.

(٧) أنظر الشافي: ١: ٨٤ فما بعدها.

لحم و دم وقال بعضهم هو نور متلألئ كالسيكة البيضاء طوله سبعة أشبار بشير نفسه ومنهم من قال إنه على صورة إنسان فمنهم من يقول إنه شاب أمرد جعد قطط ومنهم من قال إنه شيخ أشمط^(١) الرأس واللحية ومنهم من قال هو في جهة الفوق مماس للصفحة العليا من العرش ويجوز عليه الحركة والانتقال وتبدل الجهات وتط^(٢) العرش تحته أطيظ الرجل الجديد تحت الركاب الثقيل وهو يفضل عن العرش بقدر أربع أصابع ومنهم من قال هو محاذ للعرش غير مماس له وبعده عنه بمسافة متناهية وقيل بمسافة غير متناهية ولم يستنكف هذا القائل عن جعل غير المتناهي محصورا بين حاصرين ومنهم من تستر بالكفة^(٣) فقال هو جسم لا كالأجسام وله حيز لا كالأحياز ونسبته إلى حيزه ليس كنسبة الأجسام إلى أحيازها وهكذا ينفي جميع خواص الجسم عنه حتى لا يبقى إلا اسم الجسم وهؤلاء لا يكفرون بخلاف المصريحين بالجسمية انتهى.

وقال الشهرستاني حكى الكعبي عن هشام بن الحكم أنه قال هو جسم ذو أبعاد له قدر من الأقدار ولكن لا يشبه شيئا من المخلوقات ولا تشبهه ونقل عنه أنه قال هو سبعة أشبار بشير نفسه وأنه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة وأنه يتحرك وحركته فعله وليست من مكان إلى مكان وقال هو متناه بالذات غير متناه بالقدر!

وحكى عنه أبو عيسى الوراق أنه قال إن الله تعالى مماس لعرشه لا يفضل منه شيء من العرش ولا يفضل عنه شيء.

وقال هشام بن سالم إنه تعالى على صورة إنسان أعلاه مجوف وأسفله مصمت وهو نور ساطع يتلألأ وله حواس خمس ويد ورجل وأنف وأذن وعين وفم وله وفرة سوداء^(٤) وهو نور أسود لكنه ليس بلحم ولا دم.

ثم قال وغلا هشام بن الحكم في حق علي عليه السلام حتى قال إنه إله واجب الطاعة وهذا هشام بن الحكم صاحب غور في الأصول لا يجوز أن يغفل عن إزاماته على المعتزلة فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه وذلك أنه ألزم العلاف فقال إنك تقول إن البارئ تعالى عالم بعلم وعلمه ذاته فيشارك المحدثات في أنه عالم بعلم وبيانيها في أن علمه ذاته فيكون عالما لا كالعالمين فلم لا تقول هو جسم لا كالأجسام وصورة لا كالصور وله قدر لا كالأقدار إلى غير ذلك انتهى^(٥).

أقول: فظهر أن نسبة هذين القولين إليهما إما لتخطئة رواية الشيعة وعلمائهم لبيان سفاهة آرائهم أو أنهم لما ألزمهم في الاحتجاج بأشياء إسكانا لهم نسبوا إليهم والأئمة عليهم السلام لم ينفوها عنهم إما للتبري عنهم إبقاء عليهم أو لمصالح أخرى ويمكن أن يحمل هذا الخبر على أن المراد ليس هذا القول الذي تقول ما قال الهشامان بل قولهما مبين لذلك ويحتمل أن يكون هذان مذهبا قبل الرجوع إلى الأئمة عليهم السلام والأخذ بقولهم فقد قيل إن هشام بن الحكم كان قبل أن يلتقي الصادق عليه السلام على رأي جهنم بن صفوان فلما تبعه عليه السلام تاب ورجع إلى الحق ويؤيده ما ذكره الكراجكي في كنز القوائد في الرد على القائلين بالجسم بمعنييه حيث قال وأما موالاتنا هشاما رحمه الله فهي لما شاع عنه واستفاض من تركه للقول بالجسم الذي كان ينصره ورجوعه عنه وإقراره بخطائه فيه وتوبته منه وذلك حين قصد الإمام جعفر بن محمد عليه السلام إلى المدينة فحبجه وقيل له إنه أمرنا أن لا نوصلك إليه ما دمت قاتلا بالجسم فقال والله ما قلت به إلا لأنني ظننت أنه وفاق لقول إمامي فأما إذا أنكره علي فإني تائب إلى الله منه فأوصله الإمام عليه السلام إليه ودعا له بخير وحفظ^(٦).

(١) الشسط: الخطط، لسان العرب ٧: ١٩٦.

(٢) الكفة (بالضم): حاشية الثواب، الصحاح ١٤٢٢.

(٣) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس وقيل: ما سال على الأذنين من الشعر. لسان العرب ١٥: ٣٥٥.

(٤) الملل والنحل ١: ٣٠٨ - ٣١١ وفيه: هو متناه بالذات غير متناه بالقدر.

(٥) كنز القوائد ٢: ٤١ باختلاف يسير.

٤- عن الصادق عليه السلام أنه قال لهشام إن الله تعالى لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه.^(١)
 ٥- وروي عنه أيضا أنه قال سبحانه من لا يعلم أحد كيف هو إلا هو لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لا يحد ولا يحس ولا يدركه الأبصار ولا يحيط به شيء ولا هو جسم ولا صورة ولا بذي تخطيط ولا تحديد.^(٢)

٦- شبي: [تفسير العياشي] عن جابر الجعفي قال قال محمد بن علي عليه السلام يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذها مصلى يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبيهه تعالى عن صفة الواسفين وجل عن أوهام المتوهمين واحتجب عن عين الناظرين ولا يزول مع الزائلين ولا يأفل مع الآفلين لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.^(٣)

٧- شبي: [تفسير العياشي] عن هشام المشرقي عن أبي الحسن الخراساني قال إن الله كما وصف نفسه أحد صمد نور ثم قال بَلْ يَذَاهُ مَبْسُوطَانِ فقلت له أفله يدان هكذا وأشرت بيدي إلى يده فقال لو كان هكذا كان مخلوقا.^(٤)

٨- ج: [الإحتجاج] في سؤال الزنديق برواية هشام عن الصادق عليه السلام لا جسم ولا صورة ولا يحس ولا يجس ولا يدرك بالحواس الخمس لا تدركه الأوهام ولا تنقصه الدهور ولا تغيره الأزمان الخبر.^(٥)

٩- ج: [الإحتجاج] قال الرضا عليه السلام إن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله جل جلاله ما آمن بي من فسر برأيه كلامي وما عرفني من شبهني بخلقي ولا على ديني من استعمل القياس في ديني.^(٦)

يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] لي: [الأمالي للصدوق] ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن الريان بن الصلت عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله جل جلاله مثله.^(٧)

١٠- يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن الصقر بن دلف قال سألت أبا الحسن علي بن محمد عليه السلام عن التوحيد وقلت له إني أقول بقول هشام بن الحكم ففضب عليه ثم قال ما لكم ولقول هشام إنه ليس منا من زعم أن الله جسم ونحن منه براء في الدنيا والآخرة يا ابن دلف إن الجسم محدث والله محدثه ومجسمه.^(٨)

١١- كش: [رجال الكشي] علي بن محمد عن محمد بن أحمد عن ابن يزيد عن الحسين بن بشار عن يونس بن بهمن قال قال لي يونس أكتب إلى أبي الحسن عليه السلام فأسأله عن آدم هل فيه من جوهرية الله شيء قال فكتبت إليه فأجاب هذه المسألة مسألة رجل على غير السنة فقلت ليونس فقال لا يسمع ذا أصحابنا فيبرءون منك قال قلت ليونس يتبرءون مني أو منك.^(٩)

١٢- كش: [رجال الكشي] طاهر بن عيسى عن جعفر بن أحمد عن الشجاع عن ابن يزيد عن الحسين بن بشار عن الوشاء عن يونس بن بهمن قال قال يونس بن عبد الرحمن كتبت إلى أبي الحسن الرضائين عن آدم هل كان فيه من جوهرية الرب شيء فكتب إلي جواب كتابي ليس صاحب هذه المسألة على شيء من السنة زنديق.^(١٠)

بيان: الكلام في يونس وما نسب إليه أيضا كما مر في الهشامين وقال الشهرستاني إنه زعم أن الملائكة تحمل العرش والعرش يحمل الرب وهو من مشبهة الشيعة انتهى.^(١١)

١٣- لي: [الأمالي للصدوق] ابن الوليد عن الصفار عن ابن معروف عن علي بن مهزيار قال كتبت إلى أبي جعفر

(١) رواه في التوحيد عن الفضل بن عمر، والخطاب كأنه له: ٨٠ ب ٢، ج ٣٦.

(٢) الكافي: ١٠٤ ب ٣٤، ج ١.

(٣) تفسير العياشي ١: ٣٥٨ سورة المائدة ج ١٤٥.

(٤) تفسير العياشي ١: ٣٥٨ سورة المائدة ج ١٤٥.

(٥) الإحتجاج: ٣٣٢.

(٦) التوحيد: ٦٨ ب ٢، ج ٢٣ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٠٦ ب ١١، ج ٤، أمالي الصدوق: ١٥ م ٢، ج ٣.

(٧) التوحيد: ١٠٤ ج ٦، ج ٢٠، أمالي الصدوق: ٢٢٨ م ٤٧، ج ٢.

(٨) اختيار معرفة الرجال: ٧٨٥ ج ٩٤٢.

(٩) اختيار معرفة الرجال: ٧٨٧ ج ٩٤٩.

(١٠) اختيار معرفة الرجال: ٧٨٧ ج ٩٤٩.

(١١) الملل والنحل: ١: ٣١٦.

الثاني جعلت فذاك أصلي خلف من يقول بالجسم ومن يقول بقول يونس يعني ابن عبد الرحمن فكتب لا تصلوا خلفهم ولا تعطوهم من الزكاة و ابرءوا منهم برئ الله منهم. (١)

١٤- لي: (الأمالي للصدوق) ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن أبي هاشم الجعفري قال سمعت علي بن موسى الرضا يقول إلهي بدت قدرتك ولم تبد هيئته فجهلوك و به قدروك و التقدير على غير ما به وصفوك و إني بريء يا إلهي من الذين بالتشبيه طلبوك ليس كمثلك شيء إلهي و لن يدركوك و ظاهر ما بهم من نعمك دليلهم عليك لو عرفوك و في خلقك يا إلهي مندوحة أن يتناولوك بل سووك بخلقك فمن لم ثم يعرفوك و اتخذوا بعض آياتك ربا فبذلك وصفوك تعاليت ربي عما به المشبهون نعتوك. (٢)

بيان: و به أي و بالجهل قوله و التقدير على غير ما به وصفوك أي التقدير بما قدروا به من المقادير الجسمانية ينافي ما وصفوك به من الربوبية و يحتمل أن يكون المراد بالتقدير مطلق التوصيف أي ينبغي و يجب توصيفك على غير ما وصفوك به من الجسم و الصورة و المندوحة السعة أي في التفكير في خلقك و الاستدلال به على عظمتك و تقدسك عن صفات المخلوقين مندوحة عن أن يتفكروا في ذاتك فينسبوا إليك ما لا يليق بجنابك أو المعنى أن التفكير في الخلق يكفي في أن لا ينسبوا إليك هذه الأشياء.

يد: (التوحيد) ابن الوليد عن الصفار عن البرقي عن بعض أصحابنا قال مر أبو الحسن الرضا بقر من قبور أهل بيته فوضع يده عليه ثم قال إلهي بدت قدرتك و ذكر نحوه. (٣)

١٥- شا: (الإرشاد) جاءت الرواية أن علي بن الحسين كان في مسجد رسول الله ذات يوم إذ سمع قوما يشبهون الله بخلقه فزع لذلك و ارتاع له و نهض حتى أتى قبر رسول الله فوقف عنده و دفع صوته يناجي ربه فقال في مناجاته له إلهي بدت قدرتك و لم تبد هيئته فجهلوك و قدروك بالتقدير على غير ما به أنت شبهوك إلى آخر ما مر. (٤)

١٦- ن: (عيون أخبار الرضا) ابن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن الصقر بن دلف عن ياسر الخادم قال سمعت أبا الحسن علي بن موسى الرضا يقول من شبه الله بخلقه فهو مشرك و من نسب إليه ما نهى عنه فهو كافر. (٥)

١٧- يد: (التوحيد) الدقاق عن الكليني عن علان عن سهل عن إبراهيم بن محمد الهمداني قال كتبت إلى الرجل يعني أبا الحسن إن من قبلنا من مواليك قد اختلفوا في التوحيد ففهم من يقول جسم و منهم من يقول صورة فكتب بخطه سبحانه من لا يعد و لا يوصف ليس كمثله شيء و هو السميع العليم أو قال البصير. (٦)

١٨- يد: (التوحيد) ن: (عيون أخبار الرضا) القامي في مسجد الكوفة عن محمد الحميري عن أبيه عن إبراهيم بن هاشم عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا قال قلت له يا ابن رسول الله إن الناس ينسبوننا إلى القول بالتشبيه و الجبر لما روي من الأخبار في ذلك عن آبائك الأئمة فقال يا ابن خالد أخبرني عن الأخبار التي رويت عن آبائي الأئمة في التشبيه و الجبر أكثر أم الأخبار التي رويت عن النبي في ذلك قلت بل ما روي عن النبي في ذلك أكثر قال فليقولوا إن رسول الله كان يقول في التشبيه و الجبر إذا قلت له إنهم يقولون إن رسول الله لم يقل من ذلك شيئا و إنما روي عليه قال فليقولوا في آبائي الأئمة إنهم لم يقولوا من ذلك شيئا و إنما روي عليهم ثم قال من قال بالتشبيه و الجبر فهو كافر مشرك و نحن منه برءاء في الدنيا و الآخرة يا ابن خالد إنما وضع الأخبار عنا في التشبيه و الجبر الغلاة الذين صفروا عظمة الله تعالى فمن أحبهم فقد أبغضنا و من أبغضهم فقد أحبنا و من والاهم فقد عادانا و من عاداهم فقد والانا و من وصلهم فقد قطعنا و من قطعهم فقد وصلنا و من جفاهم فقد برنا و من برهم فقد جفانا و من أكرمهم فقد أهاننا و من أهانهم فقد أكرمنا و من قبلهم فقد ردنا و من ردهم فقد قبلنا و من أحسن إليهم فقد أساء إلينا و من أساء إليهم فقد أحسن إلينا و من

(٢) أمالي الصدوق: ٤٨٧ م ٨٩ ح ٢ و فيه: و لم تبد هيئتك فجهلوك.

(٤) الإرشاد: ٢٦٠ و فيه: و لم تبد هيئته جلالك فجهلوك.

(٦) التوحيد: ١٠٠ ج ٦ ح ٩.

(١) أمالي الصدوق: ٢٢٩ م ٤٧ ح ٣.

(٣) التوحيد: ١٢٤ ج ٩ ح ٢.

(٥) عيون أخبار الرضا: ١٠٥ ج ١١ ح ١.

صدقهم فقد كذبنا ومن كذبهم فقد صدقنا ومن أعطاهم فقد حرمانا ومن حرّمهم فقد أعطانا يا ابن خالد من كان من شيعتنا فلا يتخذن منهم ولما ولا نصيرا.

ج: [الإحتجاج] عن الحسين بن خالد عنه عليه السلام مثله. (١)

١٩- ج: [الإحتجاج] الحسن بن عبد الرحمن الحماني قال قلت لأبي إبراهيم عليه السلام إن هشام بن الحكم زعم أن الله تعالى جسم ليس كمثل شيء عالم سميع بصير قادر متكلم ناطق والكلام والقدرة والعلم يجري مجرى واحد ليس شيء منها مخلوقا فقال قائله الله أما علم أن الجسم محدود والكلام غير المتكلم معاذ الله وأبرأ إلى الله من هذا القول لا جسم ولا صورة ولا تحديد وكل شيء سواه مخلوق وإنما تكون الأشياء بإرادته ومشيتته من غير كلام ولا تردد في نفس ولا نطق بلسان. (٢)

يد: [التوحيد] الدقاق عن محمد الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن الحسين بن عبد الرحمن الحماني (٣) مثله. (٤)

بيان: قوله ليس كمثل شيء يومي إلى أنه لم يقل بالجسمية الحقيقية بل أطلق عليه لفظ الجسم ونفى عنه صفات الأجسام ويحتمل أن يكون مراده أنه لا يشبهه شيء من الأجسام بل هو نوع مبين لساير أنواع الأجسام فعلى الأول نفى عليه السلام إطلاق هذا اللفظ عليه تعالى بأن الجسم إنما يطلق على الحقيقة التي يلزمها التقدير والحدديد فكيف يطلق عليه تعالى؟

وقوله يجري مجرى واحد إشارة إلى عينية الصفات وكون الذات قائمة مقامها فنفي عليه السلام كون الكلام كذلك ثم نبه على بطلان ما يوهّم كلامه من كون الكلام من أسباب وجود الأشياء فلفظة كن في الآية الكريمة كناية عن تسخير الأشياء واقتيادها له من غير توقف على التكلم بها ثم نفى عليه السلام كون الإرادة على نحو إرادة المخلوقين من خطوط بال أو تردد في نفس ويحتمل أن يكون المقصود بما نسب إلى هشام كون الصفات كلها مع زيادتها مشتركة في عدم الحدوث والمخلوقية ففناء عليه السلام بإثبات المغايرة أولا ثم بيان أن كل شيء سواه مخلوق والأول أظهر ولفظة تكون يمكن أن تقرأ على المعلوم وعلى المجهول من باب التفعيل.

٢٠- ج: [الإحتجاج] عن يعقوب بن جعفر عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال لا أقول إنه قائم فأزيله عن مكان ولا أحده بمكان يكون فيه ولا أحده أن يتحرك في شيء من الأركان والجوارح ولا أحده بلفظ شق قم ولكن كما قال عز وجل ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (٥) بمشيتته من غير تردد في نفس صمدا فردا لم يحتج إلى شريك يدبر له ملكه ولا يفتح له أبواب علمه. (٦)

بيان: فأزيله عن مكانه أي فأقول إنه يجوز أن يزول ويتحرك من مكان إلى آخر فيلزم مع كونه تعالى جسما محتاجا تبدل الأحوال عليه أو المعنى أن القيام نسبة إلى المكان يخلو بعض المكان عن بعض القائم عنه وشغل بعضه ببعضه مع أن نسبته تعالى إلى جميع الأمكنة على السواء ولا يشغل به مكان وقوله في شيء من الأركان أي بشيء من الأعضاء والجوارح ويحتمل أن يكون في معناه ويكون المراد بها الحركة الكمية وقوله عليه السلام بلفظ شق قم أي بكلمة تخرج من فلقه القم عند تكلمه بها.

٢١- فس: [تفسير القمي] محمد بن أبي عبد الله عن محمد بن إسماعيل عن علي بن العباس عن جعفر بن محمد عن الحسن بن أسيد (٧) عن يعقوب بن جعفر قال سمعت موسى بن جعفر صلوات الله عليه يقول إن الله تبارك وتعالى

(١) الإحتجاج: ٤١٤ وفيه ما في التوحيد وعيون الأخبار. (٢) الإحتجاج: ٣٨٥.

(٣) في المصدر: الحسن بن عبد الرحمن الحماني - وهو الصحيح على ما يبدو فقد وقع في أسناد الكافي الرواية نفسها كذلك ١٠٦ ب ٣٤.

ح ٨ (٤) التوحيد: ١٠٠ ب ٦ ح ٨.

(٦) الإحتجاج: ٣٨٦.

(٥) يس: ٨٢.

(٧) في المصدر: الحسن بن أسد. ولعله الذي عدّه الشيخ ضمن رجال الإمام الرضا عليه السلام: ٣٧٥ رقم ٤٥.

أنزل على عبده محمد ﷺ أنه لا إله إلا هو الحي القيوم و يسمى بهذه الأسماء^(١) الرحمن الرحيم العزيز الجبار العلي العظيم فتاهت هنالك عقولهم و استخفت حلومهم فضربوا له الأمثال و جعلوا له أندادا و شبهوه بالأمثال و مثله أشباها و جعلوه يزول و يحول فتأهوا في بحر عميق لا يدرؤن ما غوره و لا يدركون كمية بعده^(٢)

٢٢- ب: [قرب الإسناد] ابن عيسى عن البرنطي قال قلت له جعلت فداك هم يقولون في الصفة فقال لي هو ابتداء إن رسول الله ﷺ لما أسري به أوقفه جبرئيل ﷺ موقفا لم يطأه أحد قط فمضى النبي ﷺ فأراه الله من نور عظمتة ما أحب فوقته على التشبيه فقال سبحان الله دع ذا لا يفتح عليك منه أمر عظيم^(٣)

بيان: فقال لي هو ابتداء أي من غير أن أذكر ما وصفوه من التشبيه فوقته على التشبيه أي فذكرت له ما يقولون في التشبيه فأجابهم ﷺ بتنزيهه تعالى عن ذلك و نهاه عن القول بذلك و التفكير فيه فلا يفتح عليه من ذلك أمر عظيم هو الكفر و الخروج عن الدين.

٢٣- يد: [التوحيد] المفسر بإسناده إلى أبي محمد العسكري عن أبيه عن جده ﷺ قال قام رجل إلى الرضا ﷺ قال له يا ابن رسول الله صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا فقال الرضا ﷺ إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس مانلا عن المنهاج طاعنا في الاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل أعرفه بما عرف به نفسه من غير روية و أصفه بما وصف به نفسه من غير صورة لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس معروف بغير تشبيه^(٤) و متدان في بعده لا بنظير لا يمثل بخليقته و لا يجوز في قضيته الخلق إلى ما علم متقادون و على ما سطر في المكنون من كتابه ماضون لا يعلمون خلاف ما علم منهم و لا غيره يريدون فهو قريب غير ملتزم و بعيد غير متقص يحقق و لا يمثل و يوحد و لا ببعض يعرف بالآيات و يثبت بالعلامات فلا إله غيره **الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ** ثم قال ﷺ بعد كلام آخر تكلم به حدثني أبي عن أبيه عن جده عن أبيه ﷺ عن رسول الله ﷺ قال ما عرف الله من شبهه بخلقه و لا وصفه بالعدل من نسب إليه ذنوب عباده^(٥)

بيان: الطعن السير و التقصي البعد و بلوغ الغاية يحقق على المجهول أي يثبت وجوده و لا يمثل أي لا يوجد كنهه في الذهن.

٢٤- ضه: [روضة الواعظين] روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنه قال له رجل أين المعبود فقال ﷺ لا يقال له أين لأنه أين الأينية و لا يقال له كيف لأنه كيف الكيفية و لا يقال له ما هو لأنه خلق الماهية سبحانه من عظيم تاهت الفطن في تيار أمواج عظمتة و حصرت الأبواب عند ذكر أزليته و تحيرت العقول في أفلاك ملكوته^(٦)

٢٥- و روي عنه أيضا ﷺ أنه قال اتقوا أن تمثلوا بالرب الذي لا مثل له أو تشبهوه من خلقه أو تلقوا عليه الأوهام أو تعملوا فيه الفكر و تضربوا له الأمثال أو تتعته بنعوت المخلوقين فإن لمن فعل ذلك نارا^(٧)

٢٦- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن الثوري عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن عبد الله بن جرير العبدى عن جعفر بن محمد ﷺ أنه كان يقول الحمد لله الذي لا يحس و لا يجس و لا يمس و لا يدرك بالحواس الخمس و لا يقع عليه الوهم و لا تصفه الألسن فكل شيء حسته الحواس أو جسته الجواس أو لمسته الأيدي فهو مخلوق و الله هو العلي حيث ما يبتغي يوجد و الحمد لله الذي كان قبل أن يكون كان لم يوجد لوصفه كان بل كان أزلا كان كائنا^(٨) لم يكنه مكون جل ثناؤه بل كون الأشياء قبل كونها فكانت كما كونها علم ما كان و ما هو كائن كان إذ لم يكن شيء و لم ينطق فيه ناطق فكان إذ لا كان^(٩)

بيان: نفي كان إما لإشعاره بالحدث كما مر أو لعدم كونه زمانيا بناء على أن الزمان يخص

(١) و في نسخة: و سى بهذه الاسماء.

(٢) تفسير القمي ٢: ٣٤١ مع اختلافات يسيرة. و في «ط»: «كمية» بدل «كنه».

(٣) قرب الإسناد: ١٥٧ و فيه: من نور عظمتة ما أحب فوقته على التشبيه.

(٤) في نسخة: معروف بغير شبهة، في أخرى: معروف بغير تشبيه. (٥) التوحيد: ٤٧ ب ٢، ح ٩ و فيه: و لا يجوز في قضيته.

(٦) روضة الواعظين: ٤٦ و فيه: و حصرت الابواب عند ذكر أزليته.

(٧) روضة الواعظين: ٤٦ و فيه: أو تشبهوه بشيء من خلقه. (٨) و في نسخة: بل كان أو لا كان كائناً.

(٩) التوحيد: ٥٩ ب ٢، ح ١٧ و فيه: بل كان أولاً كائناً.

٢٧- يد: [التوحيد] الداق عن الأسدي عن محمد بن جعفر البغدادي عن سهل عن أبي الحسن علي بن محمد عليه السلام أنه قال إلهي تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين وتلاشت أوصاف الواصفين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنك أو الوقوع بالبلوغ إلى علوك فأنت الذي لا تنتاهي ولم يقع عليك عيون بأشارة ولا عبارة هيئات ثم هيئات يا أولي يا وحداني يا فرداني شمتخت في العلو بعز الكبر وارتفعت من وراء كل غورة ونهاية بجبروت الفخر. ^(١)

٢٩٩
٣

بيان: أو الوقوع أي عليك ويحتمل تعلق قوله بالبلوغ بالوقوع بأن تكون الباء ظرفية ويحتمل أيضا تنازع الوقوع والبلوغ في قوله إلى علوك فأنت الذي لا تنتاهي أي ليس لمعرفتك ومعرفة صفاتك حدود تنتهي إليها أو لعلك وقدرتك ورحمتك وغيرها نهاية تقف عندها والمراد بالعيون الجواسيس أو بالفتح بمعنى حديد البصر إن ساعده الاستعمال وإذا حمل على العيون جمع العين بمعنى الباصرة فإسناد العبارة إليها مجازي ويحتمل أن تكون العبارة متعلقة بقوله لا تنتاهي على الف والشر غير المرتب وشمخ علا وطال والغور القعر من كل شيء أي ارتفعت عن أن يدرك كنه ذاتك وصفاتك بالوصول إلى غور الأفكار ونهايتها بسبب جبروت وعظمة ذاتية توجب الفخر.

٢٨- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن السعدآبادي عن البرقي عن داود بن القاسم قال سمعت علي بن موسى الرضا عليه السلام يقول من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن وصفه بالمكان فهو كافر ومن نسب إليه ما نهى عنه فهو كاذب ثم تلا هذه الآية: ﴿إِنَّمَا يَقْرَأُ الْكُذِّبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾. ^(٢)

٢٩- يد: [التوحيد] الفامي عن محمد الحميري عن أبيه عن ابن عيسى عن أبيه عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال من شبه الله بخلقه فهو مشرك ومن أنكر قدرته فهو كافر. ^(٣)

٣٠- يد: [التوحيد] الفامي عن محمد الحميري عن أبيه عن ابن عيسى عن محمد البرقي عن ابن أبي عمير عن الفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال من شبه الله بخلقه فهو مشرك إن الله تبارك وتعالى لا يشبه شيئا ولا يشبهه شيء وكل ما وقع في الوهم فهو بخلافه.

قال الصدوق رحمه الله الدليل على أن الله سبحانه لا يشبه شيئا من خلقه من جهة من الجهات أنه لا جهة لشيء من أفعاله إلا محدثة ولا جهة محدثة إلا وهي تدل على حدوث من هي له فلو كان الله جل ثناؤه يشبه شيئا منها لدلت على حدوثه من حيث دلت على حدوث من هي له إذ التماثلان في العقول يقتضيان حكما واحدا من حيث تماثلا منها وقد قام الدليل على أن الله عز وجل قديم ومحال أن يكون قديما من جهة حادثا من أخرى ومن الدليل ^{٢٠٠} على أن الله تبارك وتعالى قديم أنه لو كان حادثا لوجب أن يكون له محدث لأن الفعل لا يكون إلا بفعل ولكان القول في محدثه كالقول فيه وفي هذا وجود حادث قبل حادث لا إلى أول وهو محال فيصح أنه لا بد من صانع قديم وإذا كان ذلك كذلك فالذي يوجب قدم ذلك الصانع ويدل عليه يوجب قدم صانعنا ويدل عليه. ^(٤)

٣١- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد العطار عن ابن أبيان عن ابن أورمة عن إبراهيم بن الحكم بن ظهير عن عبد الله بن جوين العبد عن أبي عبد الله عليه السلام أنه كان يقول الحمد لله الذي لا يحس ولا يجس ولا يمس ولا يدرك بالحواس الخمس ولا يقع عليه الهم ولا تصفه الألسن وكل شيء حسته الحواس أو لمسته الأيدي فهو مخلوق الحمد لله الذي كان إذ لم يكن شيء غيره وكون الأشياء فكانت كما كونها وعلم ما كان وما هو كائن. ^(٥)

٣٢- يد: [التوحيد] الهمداني عن علي عن أبيه عن القاسم عن جده عن يعقوب بن جعفر قال سمعت أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام وهو يكلم راهبا من النصارى فقال له في بعض ما نظره إن الله تبارك وتعالى أجل وأعظم من أن يحده بيد أو رجل أو حركة أو سكون أو يوصف بطول أو قصر أو تبلغه الأوهام أو تحيط بصفته العقول أنزل مواعظه

(١) التوحيد: ٦٦ ب ٢ ح ١٩ وفيه: فأنت في المكان الذي لا ينتاهي ولم تقع عليك عيون..

(٢) التوحيد: ٦٨ ب ٢ ح ٢٥ والاية في النحل: ١٠٥.

(٣) التوحيد: ٧٦ ب ٢ ح ٣١.

(٤) التوحيد: ٨٠ ب ٢ ح ٢٩.

(٥) التوحيد: ٧٥ ب ٢ ح ٢٩.

و وعده و وعيده أمر بلا شفة ولا لسان ولكن كما شاء أن يقول كن فكان خيرا كما أراد في اللوح.^(١)

٣٣- يد: [التوحيد] حمزة بن محمد العلوي عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن محمد بن حكيم قال وصفت لأبي الحسن عليه السلام قول هشام الجواليقي وما يقول في الشاب الموفق و وصفت له قول هشام بن الحكم فقال إن الله عز وجل لا يشبهه شيء.^(٢)

بيان: الموفق هو الذي أعضاه موافقة لحسن الخلقة أو المستوي من قولهم أوفقت الإبل إذا اصطفت واستوت وقيل إنه تصحيف الرقيق أي ذا البهجة والبهاء وقيل هو تصحيف الموفق بتقديم القاف بمعنى المزين فإن الوقف سوار من عاج ووقت يديها بالحناء نقطتها ويحتمل أن يكون تصحيف الموق.^(٣)

٣٤- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن سهل عن حمزة بن محمد قال كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام أسأله عن الجسم والصوره فكتب عليه السلام سبحان من ليس كمثل شيء لا جسم ولا صورة.^(٤)

يد: [التوحيد] العطار عن أبيه عن سهل عن بعض أصحابه مثله.^(٥)

يد: [التوحيد] العطار عن أبيه عن سهل عن حمزة بن محمد إلى قوله شيء.^(٦)

أقول: رواه الكراجكي عن الحسين بن عبيد الله الواسطي عليه السلام عن التلعكبري عن الكليني عن محمد بن الحسن عن سهل.^(٨)

٣٥- يد: [التوحيد] أبي عن أحمد بن إدريس عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن علي بن أبي حمزة قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام سمعت هشام بن الحكم يروي عنكم أن الله جل وعز جسم صمدي معرفته ضرورة يمن بها على من يشاء من خلقه فقال عليه السلام سبحان من لا يعلم كيف هو إلا هو ليس كمثل شيء وهو السميع البصير.^(٩) لا يحد ولا يحس ولا يجس ولا يمس ولا يدركه الحواس ولا يحيط به شيء لا جسم ولا صورة ولا تخطيط ولا تحديد.^(١٠)

بيان: معرفته ضرورة أي تقذف في القلب من غير اكتساب أو تحصل بالروية تعالى الله عن ذلك وقد يؤول كلامه بأن مراده بالجسم الحقيقة العينية القائمة بذاتها لا بغيرها وبالصمدي ما لا يكون خاليا في ذاته عن شيء فيستعد أن يدخل هو فيه أو مشتتلا على شيء يصح عليه خروجه عنه وبالنوري ما يكون صافيا عن ظلم المواد وقابليتها بل عن الماهية المغايرة للوجود وقابليتها له.

٣٦- يد: [التوحيد] الدقاق عن محمد الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن والحسين بن علي عن صالح بن أبي حماد عن بكر بن صالح عن الحسين بن سعيد عن عبد الله بن المغيرة عن محمد بن زياد قال سمعت يونس بن ظبيان يقول دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له إن هشام بن الحكم يقول قولاً عظيماً إلا أنني أختصر لك منه أحرفاً يزعم أن الله جسم لأن الأشياء شيان جسم وفعل الجسم فلا يجوز أن يكون الصانع بمعنى الفعل ويجوز أن يكون بمعنى الفاعل فقال أبو عبد الله عليه السلام وبه أما علم أن الجسم محدود متناه والصوره محدودة متناهية فإذا احتمل الحد احتمل الزيادة والنقصان وإذا احتمل الزيادة والنقصان كان مخلوقاً قال قلت فما أقول قال عليه السلام لا جسم ولا صورة وهو مجسم الأجسام ومصور الصور لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص لو كان كما يقول لم يكن بين الخالق والمخلوق فرق ولا بين المنشئ والمنشأ لكن هو المنشئ فرق بين من جسمه وصوره وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئاً.^(١١)

إيضاح: استدلل عليه السلام على نفي جسميته تعالى بأنه لو كان جسماً لكان محدوداً بحدود متناهية إليها

(١) التوحيد: ٧٥ ب ٢. ح ٣٠ وفيه: أو تحيط به صفة العقول.
(٢) في الكافي: الموفق أيضاً. وقد أوردها بنفس السند ١: ١٠٦ ب ٣٤. ح ٨. وفيه: أنيق كأمير وقد آتاه الشيء. فهو مؤنق: حسن معجب «تاج العروس: ٢٥: ٢٦».
(٣) التوحيد: ١٠٢ ب ٦. ح ١٦.
(٤) التوحيد: ٩٧ ب ٦. ح ٣.
(٥) التوحيد: ١٠٢ ب ٦. ح ١٧.
(٦) كنز الفوائد: ٢: ٤٢.
(٧) في المصدر: الحسين بن عبدالله الواسطي.
(٨) وفي نسخة السميع العليم.
(٩) التوحيد: ٩٩ ب ٦. ح ٧.

لاستحالة لا تنهاى الأبعاد وكل محتمل للحد قابل للانقسام بأجزاء متشاركة في الاسم والحد فله حقيقة كلية غير متشخصة بذاتها ولا موجودة بذاتها أو هو مركب من أجزاء حال كل واحد منها ما ذكر فيكون مخلوقا أو بأن كل قابل للحد والنهاية قابل للزيادة والنقصان لا يتأبى عنهما في حد ذاته وإن استقر على حد معين فإنما استقر عليه من جهة جاعل ثم استدل عليه بوجه آخر وهو ما يحكم به الوجدان من كون الموجد أعلى شأنًا وأرفع قدرا من الموجد وعدم المشابهة والمشاركة بينهما وإلا فكيف يحتاج أحدهما إلى العلة دون الآخر وكيف صار هذا موجدا لهذا بدون العكس ويحتمل أن يكون المراد عدم المشاركة والمشاركة فيما يوجب الاحتياج إلى العلة فيحتاج إلى علة أخرى قوله فرق بصيغة المصدر أي الفرق حاصل بينه وبين صورته ويمكن أن يقرأ على الماضي المعلوم.

٣٧- يد: [التوحيد] علي بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن أبي عبد الله البرقي عن أبيه عن جده أحمد عن البرزني عن محمد بن حكيم قال وصفت لأبي إبراهيم عليه قول هشام الجواليقي وحكى له قول هشام بن الحكم إنه جسم فقال إن الله لا يشبهه شيء أي فحش أو خفاء أعظم من قول من يصف خالق الأشياء بجسم أو صورة أو بخلقه أو بتحديد وأعضاء تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.^(١)

بيان: الخفاء الفحش في القول ويحتمل أن يكون التزديد من الراوي.

٣٨- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن محمد الططار عن سهل عن محمد بن علي القاساني قال كتبت إليه عليه أن من قبلنا قد اختلفوا في التوحيد قال فكتب عليه سبحانه من لا يحد ولا يوصف ولا يشبهه شيء وليس كشيء شيء وهو السميع البصير.^(٢)

٣٩- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن محمد الططار عن الأشعري عن عمران بن موسى عن الحسن بن جريش الرازي^(٣) عن بعض أصحابنا عن الطيب يعني علي بن محمد وعن أبي جعفر عليه أنها قالا من قال بالجسم فلا تعطوه من الزكاة ولا تصلوا وراءه.^(٤)

٤٠- نص: [كفاية الأثر] أبو المفضل الشيباني عن أحمد بن مطوق بن سوار^(٥) عن المغيرة بن محمد بن المهلب عن عبد الغفار بن كثير عن إبراهيم بن حميد عن أبي هاشم عن مجاهد عن ابن عباس قال قدم يهودي على رسول الله عليه يقال له نعل فقال يا محمد إني سائلك عن أشياء تلجلج في صدري منذ حين فإن أنت أجبتني عنها أسلمت على يدك قال سل يا أبا عمارة فقال يا محمد صف لي ربك فقال عليه إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وكيف يوصف الخالق الذي يعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تتأله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به جل عما يصفه الواصفون نأى في قربه وقرب في نأيه كيف الكيفية فلا يقال له كيف وأين الأين فلا يقال له أين هو منقطع الكيفية والأيونية فهو الأحد الصمد كما وصف نفسه والواصفون لا يبلغون نعته لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد.

قال: صدقت يا محمد أخبرني عن قولك إنه واحد لا شبيه له أليس الله واحد والإنسان واحد فوجدانيته أشبهت وحدانية الإنسان فقال عليه الله واحد وأحدي المعنى والإنسان واحد ثنوي المعنى جسم وعرض وبدن وروح فإنما التشبيه في المعاني لا غير قال صدقت يا محمد.^(٦)

٤١- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد الططار عن الأشعري عن محمد بن عيسى عن هشام بن إبراهيم العباسي قال قلت له يعني أبا الحسن عليه جعلت فداك أمرني بعض مواليك أن أسألك عن مسألة قال ومن هو قلت الحسن بن سهل قال وفي أي شيء المسألة قلت في التوحيد قال وأي شيء من التوحيد قال يسألك عن الله جسم أو لا جسم فقال لي إن للناس في التوحيد ثلاثة مذاهب إثبات بتشبيه ومذهب إثبات بلا تشبيه فمذهب الإثبات

(١) التوحيد: ٩٩ ب ٦ ج ٦ وفيه: أو بتحديد أو أعضاء.

(٢) التوحيد: ١٠١ ب ٦ ج ٦.

(٣) في المصدر: الحسن بن حريش الرازي.

(٤) في المصدر: أحمد بن مطرق بن سوار.

(٥) كفاية الأثر في النص على الآية الاثني عشر: ١١ وفيه: والخطرات أن تحده، والأبصار والإحاطة به، وكذا: هو منقطع الكيفية فيه.

(٦) كفاية الأثر في النص على الآية الاثني عشر: ١١ وفيه: والخطرات أن تحده، والأبصار والإحاطة به، وكذا: هو منقطع الكيفية فيه.

بتشبيه لا يجوز و مذهب النفي لا يجوز و الطريق في المذهب الثالث إثبات بلا تشبيه.^(١)

٤٢- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن يعقوب السراج قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام إن بعض أصحابنا يزعم أن لله صورة مثل الإنسان و قال آخر إنه في صورة أمرد جعد ققط فخر أبو عبد الله عليه السلام ساجدا ثم رفع رأسه فقال سبحان الله الذي ليس كمثله شيء و لا تُدرِكُهُ الأبصارُ و لا يحيط به علم لم يلد لأن الولد يشبه أباه و لم يولد فيشبه من كان قبله و لم يكن له من خلقه كفواً أخذ تعالى عن صفة من سواه علواً كبيراً.^(٢)

بيان: الجعد ضد السبط قال الجزري في صفة شعرة عليه السلام ليس بالسبط و لا الجعد الققط السبط من الشعر المنبسط المسترسل و الققط الشديدة الجعودة.^(٣)

٤٣- كش: [رجال الكشي] محمد بن مسعود عن علي بن محمد القمي عن البرقي عن محمد بن موسى بن عيسى عن إسكيب بن أحمد الكيساني^(٤) عن عبد الملك بن هشام الخياط قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام أسألك جعلني الله فداك قال سل يا جبلي عما ذا تسألني فقلت جعلت فداك زعم هشام بن سالم أن لله عز و جل صورة و أن آدم خلق على مثال الرب فيصف هذا و يصف هذا و أمأت إلى جانيبي و شعر رأسي و زعم يونس مولى آل يقطين و هشام بن الحكم أن الله شيء لا كالأشياء و أن الأشياء بآئنة منه و أنه بائن من الأشياء و زعما أن إثبات الشيء أن يقال جسم فهو جسم لا كالأجسام شيء لا كالأشياء ثابت موجود غير مفقود و لا معدوم خارج عن الحدين حد الإبطال و حد التشبيه فيأبي القولين أقول قال فقال أبو عبد الله عليه السلام أراد هذا الإثبات و هذا شبه ربه تعالى بمخلوق تعالى الله الذي ليس له شبه و لا مثل و لا عدل و لا نظير و لا هو بصفة المخلوقين لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم و قل بما قال مولى آل يقطين و صاحبه قال فقلت يعطى الزكاة من خالف هشاما في التوحيد فقال برأسه لا.

بيان: أراد هذا الإثبات أي يونس و هشام بن الحكم و لعله عليه السلام إنما صوب قولهما في المعنى لا في إطلاق لفظ الجسم عليه تعالى و يظهر مما زعما من أن إثبات الشيء أن يقال جسم أن مرادهم بالجسم أعم من المعنى المصطلح كما مر.

٤٤- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن محمد بن علي الصيرفي عن علي بن حماد عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك و تعالى لا يقدر قدرته و لا يقدر العباد على صفته و لا يبلغون كنه علمه و لا يبلغ عظمته و ليس شيء غيره و هو نور ليس فيه ظلمة و صدق ليس فيه كذب و عدل ليس فيه جور و حق ليس فيه باطل كذلك لم يزل و لا يزال أبد الأبدين و كذلك كان إذ لم تكن أرض و لا سماء و لا ليل و لا نهار و لا شمس و لا قمر و لا نجوم و لا سحب و لا مطر و لا رياح ثم إن الله تبارك و تعالى أحب أن يخلق خلقا يعظمون عظمته و يكيرون كبرياءه و يجلون جلاله فقال كونا ظلين فكانا كما قال الله تبارك و تعالى.

قال الصدوق رحمه الله معنى قوله هو نور أي هو منير و هاد و معنى قوله كونا ظلين الروح المقدس و الملك المقرب و المراد به أن الله كان و لا شيء معه فأراد أن يخلق أنبياءه و حججه و شهداءه فخلق قبلهم الروح المقدس و هو الذي يؤيد الله عز و جل به أنبياءه و شهداءه و حججه صلوات الله عليهم و هو الذي يحرسهم به من كيد الشيطان و وسواسه و يسددهم و يوقههم و يمدهم بالخواطر الصادقة ثم خلق الروح الأمين الذي نزل على أنبيائه بالوحي منه عز و جل و قال لهما كونا ظلين ظليلين لأنبيائي و رسلي و حججي و شهدائي فكانا كما قال الله عز و جل ظلين ظليلين لأنبيائه و رسله و حججه و شهدائه يعينهم بهما و ينصرهم على أيديهما و يحرسهم بهما و على هذا المعنى قيل للسلطان العادل إنه ظل الله في أرضه لعباده يأوي إليه المظلوم و يأمن به الخائف الوجل و يأمن به السبل و ينتصر^(٥) به الضعيف من القوي و هذا هو سلطان الله و حجته التي لا تخلو الأرض منه إلى أن تقوم الساعة.

بيان: قوله عليه السلام و ليس شيء غيره أي كذلك أو كان كذلك حين لا شيء غيره و يحتمل اتصاله بما

(١) التوحيد: ١٠٠ ب ٦ ج ١٠ و فيه: ثلاثة مذاهب: مذهب إثبات بتشبيه، و لعله الانسب.

(٢) التوحيد: ١٠٢ ب ٦ ج ١٩ و فيه: إن لله صورة مثل صورة الإنسان.

(٣) النهاية في غريب الحديث و الأثر ٢: ٣٣٤. (٤) في المصدر: أشكيب بن عبدك الكسائي.

(٥) كذا في إحدى نسخ البحار، و في المصدر، و السياق يؤكداه، و في «ط» و ينتصر.

بعده أي هو منتصف تلك الأوصاف المذكورة بعد ذلك لا شيء غيره و قوله ﷺ كونا ظلين يحتمل أن يكون إشارة إلى خلق أرواح الثقلين فإن الظلال تطلق على عالم الأرواح في الأخبار كما سيأتي أو إلى الملائكة وأرواح البشر أو إلى نور محمد وعلي صلوات الله عليهما أو نور محمد ونور أهل بيته ﷺ ويؤيده ما سيأتي في باب بدء خلق أرواح الأئمة ﷺ عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال كان الله ولا شيء غيره فأول ما ابتدأ من خلق خلقه أن خلق محمداً وخلقنا أهل البيت معه من نور عظمتهم فأولئك أظلة خضراء بين يديه حيث لا سماء ولا أرض ولا مكان ولا ليل ولا نهار ولا شمس ولا قمر الخبر.

وعن صفوان عن الصادق ﷺ قال لما خلق الله السماوات والأرضين استوى على العرش فأمر نورين من نوره فطافا حول العرش سبعين مرة فقال عز وجل هذان نوران لي مطيعان فخلق الله من ذلك النور محمداً وعلياً والأصفياء من ولده ﷺ.

وعن الثمالى قال: دخلت حياجة الوالدية على أبي جعفر ﷺ فقالت أخبرني يا ابن رسول الله أي شيء كنتم في الأظلة فقال ﷺ كنا نورا بين يدي الله قبل خلق خلقه الخبر.

ويحتمل أن يكون المراد بهما مادتي السماء والأرض.

٤٥- فس: [تفسير القمي] أبي عن البرنظي عن الرضا ﷺ قال قال لي يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد فقلت فذاك قلنا نحن بالصورة للحديث الذي روي أن رسول الله ﷺ رأى ربه في صورة شاب فقال هشام بن الحكم بالنفي بالجسم فقال يا أحمد إن رسول الله ﷺ لما أسرى به إلى السماء وبلغ عند سدرة المنتهى خرق له في الحجب مثل سم الإبرة فرأى من نور العظمة ما شاء الله أن يرى وأردتم أنتم التشبيه دع هذا يا أحمد لا يفتتح عليك منه أمر عظيم. (١)

بيان: بالنفي أي نفي الصورة مع القول بالجسم والمراد بالحجب إما الحجب المعنوية وبالرؤية الروية القلبية أو الحجب الصورية فالمراد بنور العظمة آثار عظمتهم برؤية عجايب خلقه.

٤٦- سنن: [المحاسن] محمد بن عيسى عن أبي هاشم الجعفري قال أخبرني الأشعث بن حاتم أنه سأل الرضا ﷺ عن شيء من التوحيد فقال ألا تقرأ القرآن قلت نعم قال: اقرأ: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ (٢) فقرأت فقال و ما الأبصار قلت أبصار العين قال لا إنما عنى الأوهام لا تدرك الأوهام كقيته وهو يدرك كل فهم. (٣)

سنن: [المحاسن] محمد بن عيسى عن أبي هاشم عن أبي جعفر ﷺ نحوه إلا أنه قال الأبصار هاهنا أوهام العباد والأوهام أكثر من الأبصار وهو يدرك الأوهام ولا تدركه الأوهام. (٤)

بيان: كون الأوهام أكثر لأن البصر في الشخص متحد وله واهمة ومفكرة ومتخيلة وعاقلة وكثيرا ما يسلب عن الشخص البصر وتكون له تلك القوى ويحتمل أن يكون المراد بها أكثرية مدركتها فإنها تدرك ما لا يدركه البصر أيضا.

٤٧- شي: [تفسير العياشي] عن الثمالى عن علي بن الحسين ﷺ قال سمعته يقول لا يوصف الله بمحكم وحيه عظم ربنا عن الصفة وكيف يوصف من لا يحد و هو يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (٥)

بيان: أي دل محكم الآيات على أنه لا يوصف كقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (٦) وقوله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾.

أقول: قد مر كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع و باب النهي عن التفكير و سيأتي بعضها في باب جوامع التوحيد و باب احتجاج أمير المؤمنين ﷺ على النصارى و باب الرؤية.

(٢) الانعام: ١٠٣.

(٤) المحاسن: ص ٢٣٩ المصاحب ب ٢٤ ح ٢١٥.

(٦) الشورى: ١١.

(١) لم نعر عليه في التفسير المطبوع.

(٣) المحاسن: ٢٣٩ المصاحب ب ٢٤ ح ٢١٥.

(٥) تفسير العياشي ١: ٤٠٣ سورة الانعام ح ٧٧.

نفي الزمان والمكان والحركة والانتقال عنه تعالى وتأويل الآيات والأخبار في ذلك

باب ١٤

٣٠٩
٣- لي: [الأمالي للصدوق] السناني عن الأسدي عن النخعي عن عمه التوفلي عن علي بن سالم عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بزمان ولا مكان ولا حركة ولا انتقال ولا سكن بل هو خالق الزمان والمكان والحركة والسكون والانتقال تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا^(١).

٢- شا: [الإرشاد] ج: [الاحتجاج] روي أن بعض أحبار اليهود جاء إلى أبي بكر فقال له أنت خليفة رسول الله على الأمة^(٢) فقال نعم فقال إنا نجد في التوراة أن خلفاء الأنبياء أعلم أمهم فخيرني عن الله أين هو في السماء هو أم في الأرض فقال له أبو بكر في السماء على العرش قال اليهودي فأرى الأرض خالية منه فأراه على هذا القول في مكان دون مكان فقال له أبو بكر هذا كلام الزنادقة اعزب عني وإلا قتلتك فولى الرجل متعجبا يستهزئ بالإسلام فاستقبله أمير المؤمنين عليه السلام فقال له يا يهودي قد عرفت ما سألت عنه وما أجبت به وإنا نقول إن الله عز وجل أين الأين فلا أين له وجل من أن يحويه مكان وهو في كل مكان بغير مماسة ولا مجاورة يحيط علما بما فيها ولا يخلو شيء من تديره تعالى وإني مخبرك بما جاء في كتاب من كتبكم يصدق بما ذكرته لك فإن عرفته أتؤمن به قال اليهودي نعم قال ألتسم تجدون في بعض كتبكم أن موسى بن عمران كان ذات يوم جالسا إذ جاءه ملك من المشرق فقال له من أين جئت قال من عند الله عز وجل ثم جاءه ملك آخر فقال له من أين جئت قال قد جئت من السماء السابعة من عند الله عز وجل وجاءه ملك آخر فقال من أين جئت قال قد جئت من الأرض السابعة السفلى من عند الله عز وجل فقال موسى عليه السلام سبحان من لا يخلو منه مكان ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان فقال اليهودي أشهد أن هذا هو الحق المبين وأنت أحق بمقام نبيك ممن استولى عليه. بيان: عزب عنه يعزب ويعزب أي بعد وغاب وفسر عليه السلام قوله وهو في كل مكان بما ذكره بعده ليظهر أن المراد به الإحاطة بالعلم والتدبير.

٣- شا: [الإرشاد] ج: [الاحتجاج] روى الشعبي أنه سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلا يقول والذي احتجب بسبع طباق فعلاه بالدرة^(٣) ثم قال له يا ويلك إن الله أجل من أن يحتجب عن شيء أو يحتجب عنه شيء سبحان الذي لا يحويه مكان ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء فقال الرجل أفأفكر عن يميني يا أمير المؤمنين قال لا لم تحلف بالله فيلزمك الكفارة وإنما حلفت بغيره^(٤).

٤- ج: [الاحتجاج] في جواب أسئلة الزنديق المنكر للقرآن عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال معنى قوله ﴿هَلْ يُنْظَرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^(٥) فإنما خاطب نبيينا عليه السلام هل ينتظر المسافقون والمشركون إلّا أن تأتيهم الملائكة فيعابونهم أو يأتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يعني بذلك أمر ربك والآية هي العذاب في دار الدنيا كما عذب الأمم السالفة والقرون الخالية وقال: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾^(٦) يعني بذلك ما يهلك من القرون فسماه إتيانا وقوله ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٧) يعني استوى تدبيره وعلا أمره وقوله: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾^(٨) وقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾^(٩) و

(١) أمالي الصدوق: ٢٣٠ م ٤٧ ج ٧.

(٢) في نسخة: أنت خليفة رسول هذه الأمة. وما في المصدرين: أنت خليفة نبي هذه الأمة.

(٣) الدرّة: أتى يضرب بها. الصحاح ٦٥٦.

(٤) الإرشاد: ١٢٠ وفيه: فلنزمك كفارة الحنث، وأما حلفت لغيره. الاحتجاج: ٢١٠ واللفظ له.

(٥) الانعام: ١٥٨.

(٦) الرعد: ٤١.

(٧) طه: ٥.

(٨) الزخرف: ٨٤.

(٩) المجادلة: ٧.

قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾^(١) فإنما أراد بذلك استيلاء أمانته بالقدرة التي ركبها فيهم على جميع خلقه و أن فعلهم فعله الخير.^(٢)

يد: [التوحيد] في هذا الخبر و قال في آية أخرى: ﴿فَأَنذَاهُمْ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^(٣) يعني أرسل عليهم عذابا و كذلك إتيانه ببيانهم و قال الله عز و جل ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾^(٤) فإتيانه ببيانهم من القواعد إرسال العذاب.^(٥)

تبيان: قال البيضاوي هَلْ يَنْظُرُونَ أَيُّ مَا يَنْظُرُونَ يعني أهل مكة و هم ما كانوا منتظرين لذلك و لكن لما كان يلحقهم لحوق المنتظر شبهوا بالمنتظرين إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ مَلَكَةً الْمَوْتِ أو العذاب أَوْ يَأْتِي رَبُّكَ أَيُّ أَمْرِهِ بالعذاب أو كل آية يعني آيات القيامة و الهلاك الكلي لقوله ﴿أَوْ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ يعني أشراف الساعة.^(٦)

أقول: لعله ﷺ فسر إتيان الرب بالقيامة و إتيان أمره تعالى بقيامها و إتيان بعض الآيات بنزول العذاب في الدنيا و إتيان الملائكة بظهورهم عند الموت أو الأعم منه و من غيره.

و قال الطبرسي رحمه الله أَوْ لَمْ يَزُوا أَنَّا تَأْتِي الْأَرْضَ أَيُّ تَقْصِدُهَا تَقْصُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا اختلف في معناه على أقوال أحدها أو لم ير هؤلاء الكفار أننا نقص أطراف الأرض بإماتة أهلها و ثانيها تنقصها بذهاب علمائها و فقهاءها و خيار أهلها و ثالثها أن المراد قصد الأرض تنقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها فنقص من أهل الكفر و نزيد في المسلمين يعني ما دخل في الإسلام من بلاد الشرك و رابعها أن معناه أو لم يروا ما يحدث في الدنيا من الخراب بعد العمارة و الموت بعد الحياة و النقصان بعد الزيادة انتهى.^(٧)

و أما ما ذكره ﷺ أخيرا في الخبر الأول فالظاهر تعلقه بالثلاثة الأخيرة فالمراد بالأولى نفوذ أمره تعالى في السماء و الأرض و خلقه الملائكة و الحجج فيهما و إنفاذهم أمره تعالى فيهما و بالثانية كون الملائكة و الحجج معهم شاهدين عليهم و كذا الثالثة.

٥- ج: [الإحتجاج] عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي إبراهيم موسى ﷺ قال ذكر عنده قوم زعموا أن الله تبارك و تعالى ينزل إلى السماء الدنيا فقال إن الله لا ينزل و لا يحتاج إلى أن ينزل إنما منظره في القرب و البعد سواء لم يبعد منه قريب و لم يقرب منه بعيد و لم يحتج إلى شيء بل يحتاج إليه و هو ذو الطول لا إله إلا هو العزيز الحكيم أما قول الواصفين أنه ينزل تبارك و تعالى عن ذلك فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أو زيادة و كل متحرك محتاج إلى ما يحركه أو يتحرك به فمن ظن بالله الظنون فقد هلك و أهلك فاحذروا في صفاته من أن تقفوا له على حد من نقص أو زيادة أو تحريك أو تحرك أو زوال أو استئزال أو نهوض أو قعود فإن الله عز و جل عن صفة الواصفين و نعت الناعتين و توهم المتوهمين.

يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن عياش عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر الجعفري مثله و زاد في آخره ﴿وَوَكَّلَ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَ تَقْلُبُ فِي السَّاجِدِينَ﴾^(٨) ^(٩).

بيان: إنما منظره أي نظره و علمه و إحاطته بأن يكون مصدرا مبيعا أو ما ينظر إليه في القرب و البعد منه سواء أي لا يختلف اطلاعه على الأشياء بالقرب و البعد لأن القرب و البعد إنما يجريان في المكاني بالنسبة إلى المكان و هو سبحانه متعال عن المكان و الطول و الفضل و الإنعام.

قوله: فإنما يقول ذلك من ينسبه إلى نقص أي النزول المكاني إنما يتصور في المتحيز و كل متحيز موصوف بالتقدير و كل متقدر متصف بالنقص عما هو أزيد منه و بالزيادة على ما هو أنقص منه أو

(١) الحديد: ٤.

(٢) الإحتجاج: ٢٥٠.

(٣) الحشر: ٢.

(٤) النحل: ٢٦.

(٥) التوحيد: ٢٦٦ ج ٥.

(٦) تفسير البيضاوي ٢: ٦٢ - ٦٣.

(٧) مجمع البيان ٤: ٤٦١.

(٨) الشعراء: ٢١٧ - ٢١٩.

(٩) التوحيد: ١٧٨ ب ٢٨ ج ١٢.

يكون في نفسه قابلاً للزيادة والنقصان والوجوب الذاتي ينافي ذلك لاستلزامه التجزؤ والانتقال
المستلزمين للإمكان وأيضا كل متحرك محتاج إلى من يحركه أو يتحرك به لأن المتحرك إما جسم
أو متعلق بالجسم والجسم المتحرك لا بد له من محرك لأنه ليس يتحرك بجسميته و المتعلق
بالجسم لا بد له في تحركه من جسم يتحرك به وهو سبحانه منزّه عن الاحتياج إلى المتحرك وعن
التغير بمغير وعن التعلق بجسم يتحرك به ويحتمل أن يكون المراد بالأول الحركة القسرية و
بالثاني ما يشمل الإرادية والطبيعية بأن يكون المراد بقوله من يتحرك به ما يتحرك به من طبيعة أو
نفس.

وقوله من أن تتقوا من وقف يقف أي أن تقوموا في الوصف له و توصيفه على حد تحدوده بنقص أو
زيادة و يحتمل أن يكون من قفا يقف أي أن تتبعوا له في البحث عن صفاته تتبعا على حد تحدوده
بنقص أو زيادة وقوله حين تقوم أي إلى التهجّد أو إلى الخيرات أو إلى الأمور كلها. و تقلبك في
المساجدين أي ترددك وحركاتك فيما بين المصلين بالقيام والعود والركوع والسجود.

٦-ج: (الاحتجاج) عن يعقوب بن جعفر الجعفري قال سأل رجل يقال له عبد الغفار السلمي أبا إبراهيم موسى بن
جعفر عن قول الله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى﴾ (١) فقال أرى ها هنا خروجاً من حجب و تدلياً
إلى الأرض و أرى محمداً ﷺ رأى ربه بقلبه و نسب إلى بصره و كيف هذا فقال أبو إبراهيم ﷺ دَنَا فَتَدَلَّى فإنه لم
يدل عن موضع و لم يتدل ببدن فقال عبد الغفار أصفه بما وصف به نفسه حيث قال دَنَا فَتَدَلَّى فلم يتدل عن مجلسه
إلا قد زال عنه و لو لا ذلك لم يصف بذلك نفسه فقال أبو إبراهيم ﷺ إن هذه لغة في قریش إذا أراد الرجل منهم أن
يقول قد سمعت يقول قد تدليت و إنما التدلي الفهم. (٢)

بيان: التدلي القرب و النزول من علو و الامتداد إلى جهة السفلى و يكون من التدلل بمعنى الغنج و
ما ذكره ﷺ أن المراد به الفهم فهو على المجاز لأن من يريد فهم شيء يتدلى إلى القائل ليسمعه و
يفهمه ثم اعلم أنه قد اختلف في تفسير هذه الآية على وجوه.

الأول: أن تكون الضمان راجعة إلى جبرئيل ﷺ فالمعنى وَهُوَ أَي جبرئيل بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى أفق
السما دَنَا ثُمَّ دَنَا من النبي ﷺ فَتَدَلَّى أي تعلق به و هو تمثيل لعروجه بالرسول ﷺ أو تدلى من
الأفق الأعلى فدنى من الرسول فيكون إشعاراً بأنه عرج به غير منفصل عن محله و تقريراً للشدّة
قوته و قيل المعنى قرب فاشتدّ قربه فَكَانَ الْبَعْدَ بَيْنَهُمَا قَابَ قَوْسَيْنِ أي قدرهما أو أدنى و المقصود
تمثيل ملكة الاتصال و تحقيق استماعه لما أوحى إليه بنفي البعد الملبس.

الثاني: أن تكون الضمان راجعة إلى محمد ﷺ أي ثُمَّ دَنَا محمد من الخلق و الأمة و صار كواحد
منهم فَتَدَلَّى إليهم بالقول اللين و الدعاء الرفيق فالحاصل أنه ﷺ استوى و كمل فدنى من الخلق
بعد علوه و تدلى إليهم و بلغ الرسالة.

الثالث: أن تكون الضمان راجعة إلى الله تعالى فيكون دنوه كناية عن رفع مكانته و تدليه عن
جذبه بشرائه إلى جناب القدس و الحاصل أنه مؤول بالدنو المعنوي و التقرب و المعرفة و اللطف
على ما يؤول حديث من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعاً و قيل الدنو منه ﷺ و هو كناية عن
عظم قدره حيث انتهى إلى حيث لم ينته إليه أحد و التدلي منه تعالى كناية عن غاية لطفه و رحمته.

٧-لي: (الأمالي للصديق) يد: (التوحيد ن: [عين أخبار الرضا] الدقاق عن الصوفي عن الروياني عن عبد
العزيز الحسيني عن إبراهيم بن أبي محمود قال قلت للرضا ﷺ يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه
الناس عن رسول الله ﷺ أنه قال إن الله تبارك و تعالى ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فقال ﷺ لعن الله المحرفين
للكلم عن مواضعه و الله ما قال رسول الله ﷺ كذلك إنما قال ﷺ إن الله تبارك و تعالى ينزل ملكاً إلى السماء
الدنيا كل ليلة في الثلث الأخير و ليلة الجمعة في أول الليل فيأمره فينادي هل من سائل فأعطيته هل من تائب فأتوب

عليه هل من مستغفر فأغفر له يا طالب الخير أقبل يا طالب الشر أقصر فلا يزال ينادي بهذا إلى أن يطلع الفجر فإذا طلع الفجر عاد إلى محله من ملكوت السماء حدثني بذلك أبي عن جدي عن أبائه عن رسول الله ﷺ .
ج: [الإحتجاج] مرسلًا مثله. (١)

بيان: الظاهر أن مراده ﷺ تحريفهم لفظ الخير ويحتمل أن يكون المراد تحريفهم معناه بأن يكون المراد بنزوله تعالى إنزال ملائكته مجازًا.

ع: [علل الشرائع] السناني والداق والمكتب والوراق عن الأسدي مثله. (٢)

٨- لي: [الأمالي للصديق] السناني عن الأسدي عن النخعي عن التوفلي عن علي بن سالم عن أبيه عن ثابت بن دينار قال سألت زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ عن الله جل جلاله هل يوصف بمكان فقال تعالى الله عن ذلك قلت فلم أسرى نبية محمد ﷺ إلى السماء قال ليريه ملكوت السماء وما فيها من عجائب صنعه وبدائع خلقه قلت فقول الله عز وجل ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى قَالَ ذَاكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ دَنَا مِنْ حُجُبِ النُّورِ فَرَأَى مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ ثُمَّ تَدَلَّى ﷺ فَنَظَرَ مِنْ تَحْتِهِ إِلَى مَلَكُوتِ الْأَرْضِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّهُ فِي الْقَرْبِ مِنَ الْأَرْضِ فَكَانَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى. (٣)

٣١٥ ٩- فس: [تفسير القمي] أبي عن حماد عن حريز عن أبي عبد الله ﷺ قال إن الرب تبارك وتعالى ينزل كل ليلة جمعة إلى سماء الدنيا من أول الليل وفي كل ليلة في الثلث الأخير وأمامه ملك ينادي هل من تائب يتاب عليه هل من مستغفر فيغفر له هل من سائل فيعطى سؤله اللهم أعط كل منفق خلفًا وكل ممسك تلفًا فإذا طلع الفجر عاد الرب إلى عرشه فيقسم الأزواق بين العباد ثم قال للفضل بن يسار يا فضيل نصيبك من ذلك وهو قول الله ﴿وَمَا أَفْقَمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ إلى قوله: ﴿أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ (٤) (٥).

بيان: نزوله تعالى كناية عن تنزله عن عرش العظمة والجلال وأنه مع غناؤه عنهم من جميع الوجوه يخطبهم بما يخطب به من يحتاج إلى غيره تلطفاً وتكرماً وعوده إلى عرشه عن توجهه تعالى إلى شئون آخر يفعله الملوك إذا تمكنوا على عرشهم قوله ﷺ نصيبك أي خذ نصيبك من هذا الخير ولا تغفل عنه.

١٠- ع: [علل الشرائع] المكتب والوراق والهمداني عن علي عن أبيه عن يحيى بن أبي عمران وصالح بن السندي عن يونس بن عبد الرحمن قال قلت لأبي الحسن موسى بن جعفر ﷺ لأي علة عرج الله بنبيه ﷺ إلى السماء ومنها إلى سدره المنتهى ومنها إلى حجب النور وخطبه وناجاه هناك والله لا يوصف بمكان فقال ﷺ إن الله لا يوصف بمكان ولا يجري عليه زمان ولكنه عز وجل أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سماواته ويكرمهم بمشاهدته ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه وليس ذلك على ما يقوله المشبهون سبحانه الله وتعالى عما يصفون. (٦)

يد: [التوحيد] علي بن الحسين بن الصلت عن محمد بن أحمد بن علي بن الصلت عن عمه عبد الله بن الصلت عن يونس مثله. (٧)

١١- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن مالك بن عيينة عن حبيب السجستاني قال سألت أبا جعفر ﷺ عن قوله عز وجل ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ (٨) فقال لي يا حبيب لا تقرأ هكذا اقرأ ثم دنا فتداني فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى الله إلى عبده يعني رسول الله ﷺ ما أوحى يا حبيب إن رسول الله ﷺ لما فتح مكة أتعب نفسه في عبادة عز وجل والشكر لنعمه في الطواف بالبيت وكان علي ﷺ معه فلما غشيهم الليل انطلقا إلى الصفا والمروة يريدان السعي قال فلما هبطا من الصفا إلى

(٢) لم نعر عليها في المصدر المطبوع.

(٤) سيا: ٣٩ - ٤١.

(٦) علل الشرائع: ١٣٢ ب ١١٢ ح ٢.

(٨) التجم: ٨ - ١٠.

(١) الإحتجاج: ٤١٠.

(٣) أمالي الصدوق: ٢٨٨ م ٢٩ ح ٢١.

(٥) تفسير القمي: ١٧٨.

(٧) التوحيد: ١٧٥ ب ٢٨ ح ٥.

المروة و صارا في الوادي دون العلم الذي رأيت غشيها من السماء نور فاضت لهما جبال مكة و خسأت أبصارهما قال ففرعا لذلك فرعا شديدا قال فمضى رسول الله ﷺ حتى ارتفع من الوادي و تبعه علي ﷺ ففرع رسول الله ﷺ رأسه إلى السماء فإذا هو برمانتين على رأسه قال فتناولهما رسول الله ﷺ فأوحى الله عز و جل إلى محمد يا محمد إنها من قطف الجنة فلا يأكل منها إلا أنت و وصيك علي بن أبي طالب ﷺ قال فأكل رسول الله ﷺ الإحداهما و أكل علي ﷺ الأخرى ثم أوحى الله عز و جل إلى محمد ﷺ ما أوحى قال أبو جعفر ﷺ يا حبيب وولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى^(١) يعني عندها وافي به جبرئيل حين صعد إلى السماء قال فلما انتهى إلى محل السدرة وقف جبرئيل دونها و قال يا محمد إن هذا موقفي الذي وضعتني الله عز و جل فيه و لن أقدر على أن أتقدمه و لكن امض أنت أمامك إلى السدرة فوقف عندها قال فتقدم رسول الله ﷺ إلى السدرة و تخلف جبرئيل ﷺ قال أبو جعفر ﷺ إنما سميت سدرة المنتهى لأن أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محل السدرة و الحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما ترفع إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض قال فينتهون بها إلى محل السدرة قال فنظر رسول الله ﷺ فرأى أغصانها تحت العرش و حوله قال فتجلى لمحمد ﷺ نور الجبار عز و جل فلما غشي محمد ﷺ النور شخص ببصره و ارتعدت فرائضه قال فشد الله عز و جل لمحمد قلبه و قوى له بصره حتى رأى من آيات ربه ما رأى و ذلك قول الله عز و جل: **وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ** قال يعني الموافاة، قال: فرأى محمد ﷺ ما رأى ببصره من آيات ربه الكبرى يعني أكبر الآيات.

^{٣١٧} قال أبو جعفر ﷺ و إن غلظ السدرة بمسيرة مائة عام من أيام الدنيا و إن الورقة منها تغطي أهل الدنيا و إن لله عز و جل ملائكة و كلهم بنات الأرض من الشجر و النخل فليس من شجرة و لا نخله إلا و معها من الله عز و جل ملك يحفظها و ما كان فيها و لو لا أن معها من يمنة لأكلها السباع و هو أم الأرض إذا كان فيها ثمرها قال و إنما نهى رسول الله ﷺ أن يضرب أحد من المسلمين خلاه تحت شجرة أو نخله قد أثمرت لمكان الملائكة الموكلين بها قال و لذلك يكون الشجر و النخل أنسا إذا كان فيه حمله^(٢) لأن الملائكة تحضره^(٣).

إيضاح: القطف بالكسر اسم للثمار المقطوعة من أصولها و شخوص البصر فتحه بحيث لا يطف و الفريضة و دج العنق و اللحمة بين الجنب و الكنف لا تزال ترتعد.

١٢-فس: [تفسير القمي] قوله: **﴿وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى﴾**^(٤) يعني رسول الله ﷺ ثم دنا يعني رسول الله ﷺ من ربه عز و جل فتدنى قال إنما أنزلت ثم دنا فتداني فكان قاب قوسين قال كان من الله كما بين مقبض القوس إلى رأس السية أو أدنى قال بل أدنى من ذلك فأوحى إلي عبده ما أوحى قال وحي المشافهة^(٥).

تبيين: قال الجوهري تقول بينهما قاب قوس و قيب قوس و قاد قوس و قيد قوس أي قدر قوس و القاب ما بين المقبض و السية و لكل قوس قابان و قال بعضهم في قوله تعالى: **﴿وَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾**^(٦) أراد قاي قوس فغلبه^(٧).

١٣-ل: [الخصال] في مسائل اليهودي عن أمير المؤمنين ﷺ قال له فربك يحمل أو يحمل قال إن ربي عز و جل يحمل كل شيء بقدرته و لا يحمله شيء قال فكيف قوله عز و جل: **﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾**^(٨) قال يا يهودي ألم تعلم أن لله ما في السموات و ما في الأرض و ما بينهما و ما تحت الثرى فكل شيء على الثرى و الثرى على القدرة و القدرة تحمل كل شيء الخبر^(٩).

١٤-يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن الهروي قال

(١) النجم ١٢ - ٨٥.

(٢) وفي نسخة: و لذلك يكون للشجر و النخل أنسا إذا كان فيه حمله.

(٣) علل الشرائع: ٢٧٧ ب ١٨٥ ح ١ و فيه: فاضت جبال مكة، و خشعت أبصارهما.

(٤) النجم: ٧.

(٥) تفسير القمي ٢: ٢١١.

(٦) الصحاح: ٢٠٧.

(٧) النجم: ٩.

(٨) الحاقة: ١٧.

(٩) الخصال: ٥٩٧ ب ٢٥ ح ١.

سَأَلَ الْمُؤْمِنُونَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ الْعَرْشَ وَالْمَاءَ وَالْمَلَائِكَةَ قَبْلَ خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَسْتَدِلُّ بِأَنْفُسِهَا وَبِالْعَرْشِ وَالْمَاءِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ جَعَلَ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ لِيُظْهِرَ بِذَلِكَ قُدْرَتَهُ لِلْمَلَائِكَةِ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ثُمَّ رَفَعَ الْعَرْشَ بِقُدْرَتِهِ وَنَقَلَهُ وَجَعَلَهُ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ ثُمَّ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَهُوَ مُسْتَوِلٌ عَلَى عَرْشِهِ وَكَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يَخْلُقَهَا فِي طَرَفَةِ عَيْنٍ وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ خَلَقَهَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ لِيُظْهِرَ لِلْمَلَائِكَةِ مَا يَخْلُقُهُ مِنْهَا شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فَيَسْتَدِلُّ بِحُدُوثِ مَا يَحْدُثُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى ذِكْرَهُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ وَلَمْ يَخْلُقِ اللَّهَ الْعَرْشَ لِحَاجَةٍ بِهِ إِلَيْهِ لِأَنَّهُ غَنِيٌّ عَنِ الْعَرْشِ وَعَنِ جَمِيعِ مَا خَلَقَ لَا يُوَصَفُ بِالْكُونِ عَلَى الْعَرْشِ لِأَنَّهُ لَيْسَ بِجِسْمٍ تَعَالَى عَنْ صِفَةِ خَلْقِهِ عُلُوًّا كَبِيرًا.^(٢)

١٥- يَد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ن: [عين أخبار الرضا] [المعادي عن أحمد الهمداني عن علي بن فضال عن أبيه قال سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ أَنهَمُ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَخْجُوبُونَ﴾^(٣) فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يُوَصَفُ بِمَكَانٍ يَحِلُّ فِيهِ فَيُجِبُ عَنْهُ فِيهِ عِبَادَهُ وَلَكِنَّهُ يَعْنِي أَنَّهُمْ عَنْ ثَوَابِ رَبِّهِمْ مَحْجُوبُونَ.

قَالَ: وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾^(٤) فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يُوَصَفُ بِالْمَجِيءِ وَالذَّهَابِ تَعَالَى عَنِ الْإِنْتِقَالِ إِنَّمَا يَعْنِي بِذَلِكَ وَجَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا.

٣١٩ قال وسألت عن قول الله عز وجل: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ﴾^(٥) قَالَ: يَقُولُ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ بِالْمَلَائِكَةِ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَكَهَذَا نَزَلَتْ قَالَ وَسَأَلْتُهُ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾^(٦) وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﴿يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٧) وَعَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾^(٨) وَعَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾^(٩) فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْخَرُ وَلَا يَسْتَهْزِئُ وَلَا يَمْكُرُ وَلَا يُخَادِعُ وَلَكِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجَازِيهِمْ جَزَاءَ السَّخِرَةِ وَجَزَاءَ الِاسْتِهْزَاءِ وَجَزَاءَ الْمَكْرِ وَالْخُدَيْعَةِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا. ج: [الإحتجاج] مرسلًا عنه عليه السلام.^(١٠)

بيان: قال الزمخشري في الآية الأولى كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستخفاف بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للمكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا المهانون عندهم.^(١١)

وقال الرازي في الآية الثانية اعلم أنه ثبت بالدليل العقلي أن الحركة على الله محال لأن كل ما كان كذلك كان جسماً والجسم مستحيل أن يكون أزلياً فلا بد فيه من التأويل وهو أن هذا من باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثم ذلك المضاف ما هو فيه وجوه.

أحدها: وجاء أمر ربك للمحاسبة والمجازات. وثانيها: وجاء قهر ربك كما يقال جاءت بنا بنو أمية أي قهرهم. وثالثها: وجاء جلائل آيات ربك لأن هذا يكون يوم القيامة وفي ذلك اليوم تظهر العظام وجلائل الآيات فجعل مجيئها مجيئاً له تفخيماً لشأن تلك الآيات ورابعها: وجاء ظهوره وذلك لأن معرفة الله تصير ذلك اليوم ضرورة فصار ذلك كظهوره وتجليه للخلق فقال وجاء ربك أي زالت الشبهة وارتفعت الشكوك وخامسها: أن هذا تمثيل لظهور آيات الله وتبيين آثار قهره وسلطانه مثلث حاله في ذلك بحال الملك إذا ظهر بنفسه فإنه يظهر بمجرد حضوره من آثار الهيبة والسياسة ما لا يظهر بحضور عساكره كلها وسادسها: أن الرب الربيعي فلعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مرب للنبي عليه السلام جداً فكان هو المراد من قوله ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾^(١٢).

(٢) التوحيد: ٣٢٠ ع ٤٩ ح ٢.

(٤) الفجر: ٢٢.

(٦) التوبة: ٧٩.

(٨) آل عمران: ٥٤.

(١٠) الإحتجاج: ٤١١ مع فروق يسيرة.

(١١) تفسير الكشاف ٤: ١٩٦ وفيه: لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم، ولا يحجب عنهم إلا الأدناء المهانون.

(١٢) تفسير الرازي ٣١: ١٧٤ - ١٧٥ وفيه: وجاء ظهور ربك. وذلك لأن معرفة الله تصير في ذلك اليوم ضرورة، وكذا: بحال الملك إذا حضر بنفسه. وكذا: فلعل ملكاً هو أعظم الملائكة هو مرب للنبي عليه السلام جاء.

(١) هود: ٧.

(٣) المطففين: ١٥.

(٥) البقرة: ٢١٠.

(٧) البقرة: ١٥.

(٩) النساء: ١٤٢.



و قال الطبرسي رحمه الله في الآية الثالثة أي هل ينتظر هؤلاء المكذبون بآيات الله إلا أن يأتيهم أمر الله أي عذاب الله و ما توعدهم به على معصيته في ستر من السحاب و قيل قطع من السحاب و هذا كما يقال قتل الأمير فلانا و ضربه و أعطاه و إن لم يتول شيئا من ذلك بنفسه بل فعل بأمره فأُسند إليه لأمره به و قيل معناه ما ينتظرون إلا أن تأتيهم جلائل آيات الله غير أنه ذكر نفسه تفخيما للآيات كما يقال دخل الأمير البلد و يراد بذلك جنده و إنما ذكر الغمام ليكون أهول فإن الأحوال تشبه بظلم الغمام كما قال سبحانه: ﴿وَ إِذَا غَشِيَهمْ مَوْجٌ كَأَظْلَمِ﴾^(١) و قال الزجاج معناه يأتيهم الله بما وعدهم من العذاب و الحساب كما قال: ﴿فَأَنهَهمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا﴾^(٢) أي أتاهم بخذلانه إياهم و الأقوال متقاربة و قد يقال أتى و جاء فيما لا يجوز عليه المجيء و الذهاب يقال أتاني و عید فلان و جاءني كلام فلان و أتاني حديثه و لا يراد به الإتيان الحقيقي ثم قال و قرأ أبو جعفر المالكة بالجر قال و قيل معنى الآية إلا أن يأتيهم الله بظلم من الغمام أي بجلائل آياته و بالملائكة انتهى^(٣) أقول على قراءته لا يحتاج إلى شيء من هذه التأويلات.

١٦-ج: [الإحتجاج] عن موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام أن أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب اليهودي الذي سأل عن معجزات الرسول عليه السلام أنه أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهر و عرج به في ملكوت السماوات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة حتى انتهى إلى ساق العرش فذا بالعلم فتدلى له من الجنة رفرف أخضر و غشى النور بصره فرأى عظمة ربه بفؤاده و لم يرها بعينه فكان كقاب قوسين بينهما و بينه أو أدنى^(٤) الخير.

بيان: الضمير في قوله بينها راجع إلى الجنة و رجوعه إلى العظمة بعيد.

١٧-يد: [التوحيد] ع: [علل الشرائع] ابن عصام عن الكليني عن علي بن محمد بن سليمان عن إسماعيل بن إبراهيم عن جعفر بن محمد التميمي عن الحسين بن علوان عن عمرو بن خالد عن زيد بن علي قال سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له يا أبة أخبرني عن جدنا رسول الله عليه السلام لما عرج به إلى السماء و أمره ربه عز و جل بخمسين صلاة كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتى قال له موسى بن عمران عليه السلام ارجع إلى ربك فأسأل التخفيف^(٥) فإن أمتك لا تطيق ذلك فقال يا بني إن رسول الله عليه السلام كان لا يقترح على ربه عز و جل و لا يراجع في شيء يأمره به فلما سأله موسى عليه السلام ذلك فكان شفيعا لأمته إليه لم يجز له رد شفاعته أخيه موسى فرجع إلى ربه فسأله التخفيف إلى أن ردها إلى خمس صلوات.

قال: قلت له: يا أبة فلم لا يرجع إلى ربه عز و جل^(٦) و يسأله التخفيف عن خمس صلوات^(٧) و قد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربه و يسأله التخفيف فقال يا بني أراد عليه السلام أن يحصل لأمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة يقول الله عز و جل: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثْمَالِهَا﴾^(٨) ألا ترى أنه عليه السلام لما هبط إلى الأرض نزل عليه جبرئيل فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام و يقول إنها خمس بخمسين ما يُبدلُ القولُ لَدَيَّ وَ مَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ قال فقلت له يا أبة ليس الله تعالى ذكره لا يوصف بمكان قال تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

قلت: فما معنى قول موسى عليه السلام لرسول الله عليه السلام ارجع إلى ربك فقال معناه معنى قول إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَهْجِدِينَ﴾^(٩) و معنى قول موسى عليه السلام: ﴿وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾^(١٠) و معنى قوله عز و جل فَتَرَوْهُا إِلَى اللَّهِ^(١١) يعني حجوا إلى بيت الله يا بني إن الكعبة بيت الله تعالى فمن حج بيت الله فقد قصد إلى الله و المساجد بيوت الله فمن سعى إليها فقد سعى إلى الله و قصد إليه و المصلي ما دام في صلاته فهو واقف بين يدي الله جل

(١) لقمان: ٣٢.

(٢) مجمع البيان ١: ٥٣٨ - ٥٣٩.

(٣) العشر: ٢.

(٤) الإحتجاج: ٢٢٠.

(٥) و في «ا»: و يسأله التخفيف فقال عن خمس صلوات.

(٦) و في نسخة: فلم لم يرجع إلى ربه عز و جل. و كذا في التوحيد.

(٧) و في نسخة: فلم لم يرجع إلى ربه عز و جل. و كذا في التوحيد.

(٨) الأنعام: ١٦٠.

(٩) طه: ٨٤.

(١٠) الصافات: ٩٩.

(١١) الذاريات: ٥٠.

جلاله وأهل موقف عرفات هم وقوف بين يدي الله عز وجل وإن لله تبارك وتعالى بقاعا في سمواته فمن عرج به إلى بقعة منها فقد عرج به إليه ألا تسمع الله عز وجل يقول: ﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ إِلَيْهِ﴾^(١) ويقول في قصة عيسى عليه السلام: ﴿بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ﴾^(٢) ويقول عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(٣) (٤).

بيان: الغرض من ذكر هذه الاستشهادات بيان شيوع تلك الاستعمالات والتجوزات في لسان أهل الشرع والعرف.

٣٢٢ ١٨- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن أبي المغراء رفعه عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله تعالى خلق من خلقه وخلق خلقه منه وكل ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل (٥).

يد: [التوحيد] حمزة العلوي عن علي بن أبيه^(٦) عن علي بن عطية عن خثيمة^(٧) عن أبي جعفر عليه السلام^(٨) وابن الوليد عن الصغار عن البرقي عن أبيه عن النضر عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان عن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بزيادة: (٩).

١٩- يد: [التوحيد] حمزة العلوي عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا حَسْرَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَأْكُونُوا﴾^(١٠) فقال: هو واحد أحدي الذات بائن من خلقه وبذلك وصف نفسه وهو بكل شيء محيط بالإشراف والإحاطة والقدرة لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر بالإحاطة والعلم بالذات لأن الأماكن محدودة تحويها حدود أربعة فإذا كان بالذات لزمه الحواجة (١١).

بيان: ما يكون من نجوى ثلاثة أي ما يقع من تناجي ثلاثة ويجوز أن يقدر مضاف أو يؤول نجوى بستناجين ويجعل ثلاثة صفة لها إلا وهو رافعهم أي إلا الله يجعلهم أربعة من حيث إنه يشاركهم في الإطلاع عليها ولا حَسْرَةَ أي ولا نجوى خمسة وتخصيص العددين إما لخصوص الواقعة أو لأن الله وتر يحب الوتر والثلاثة أول الأوتار أو لأن التشاور لا بد له من اثنين يكونان كالمتنازعين ثالث يتوسط بينهما.

ثم اعلم أنه لما كان القدام والخلف واليمين والشمال غير متميزة إلا بالاعتبار عد الجميع حدين والفوق والتحت حدين فصارت أربعة والمعنى أنه ليست إحاطته سبحانه بالذات لأن الأماكن محدودة فإذا كانت إحاطته بالذات بأن كانت بالدخول في الأمكنة لزم كونه محاطا بالمكان كالمتمكن وإن كانت بالانطباق على المكان لزم كونه محيطا بالمتمكن كالمكان.

٣٢٣ ٢٠- يد: [التوحيد] العطار عن سعد عن ابن يزيد عن الحسن بن علي الخزاز عن مثنى الحنات عن أبي جعفر أظنه محمد بن النعمان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾^(١٢) قال: كذلك هو في كل مكان قلت بذاته قال ويحك إن الأماكن أقدار فإذا قلت في مكان بذاته لزمك أن تقول في أقدار وغير ذلك ولكن هو بائن من خلقه محيط بما خلق علما وقدرة وإحاطة وسلطانا وليس علمه بما في الأرض بأقل مما في السماء لا يبعد منه شيء والأشياء له سواء علما وقدرة وسلطانا وملكا وإحاطة (١٣).

تفسير: قال البيضاوي ﴿وَهُوَ اللَّهُ﴾ الضمير لله، والله خبره ﴿فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾ متعلق باسم الله والمعنى هو المستحق للعبادة فيهما لا غير كقوله: ﴿هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي

(٢) النساء: ١٥٨.

(١) المعارج: ٤.

(٣) فاطر: ١٠.

(٤) التوحيد: ١٧٦ ب ٢٨ ح ٨ وفيه: فلما سأله موسى عليه السلام ذلك صار شفعاً. وكذا: فمن عرج به إليها، فقد عرج به إليه علل الشرائع: ١٣٢ ب ١١٣ ح ١.

(٥) التوحيد: ١٠٥ ب ٧ ح ٥.

(٦) المصدر: عن أبيه، عن ابن أبي عمير.

(٧) كذا في «أ» وفي المصدر، وهو الصحيح. وفي «ط»: خثيمة.

(٨) التوحيد: ١٠٥ ب ١ ح ٤.

(١٠) المجادلة: ٧.

(١١) التوحيد: ١٢١ ب ٩ ح ١٢.

(١٢) الانعام: ٣.

(١٣) التوحيد: ١٣٢ ب ٩ ح ١٥.

الْأَرْضِ إِلَهُ^(١) أَوْ يَقُولُ: «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ»^(٢) والجملة خبر ثانٍ أو هي الخبر والله بدل و
يكفي لصحة الظرفية كون المعلوم فيها كقولك رميت الصيد في الحرم إذا كنت خارجه والصيد فيه
أو ظرف مستقر وقع خبراً بمعنى أنه تعالى لكمال علمه بما فيها كأنه فيها و «يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ»
بيان وتقرير له^(٣).

٢١- يد: [التوحيد] أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم قال قال أبو شاعر الديصاني إن في
القرآن آية هي قوة لنا قلت وما هي فقال: «هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ» فلم أدر بما أجيبه فحجبت
فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال هذا كلام زنديق خبيث إذا رجعت إليه فقل له ما اسمك بالكوفة فإنه يقول فلان فقل ما
اسمك بالبصرة فإنه يقول فلان فقل كذلك الله ربنا في السماء إِلَهُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ وَفِي الْبَحَارِ إِلَهُ وَفِي كُلِّ مَكَانٍ إِلَهُ
قال فقدمت فأثبت أبا شاعر فأخبرته فقال هذه نقلت من الحجاز^(٤).

بيان: لعل هذا الديصاني لما كان قاتلاً بالهين نور ملكه السماء وظلمة ملكها الأرض أول الآية بما
يوافق مذهبه بأن جعل قوله وَفِي الْأَرْضِ إِلَهُ جملة تامة معطوفة على مجموع الجملة السابقة أي و
في الأرض إِلَهُ آخر ويظهر من بعض الأخبار أنه كان من الدهريين فيمكن أن يكون استدلاله بما
يؤهم ظاهر الآية من كونه بنفسه حاصلًا في السماء والأرض فيوافق ما ذهبوا إليه من كون المبدأ
الطبيعية فإنها حاصلة في الأجرام السماوية والأجسام الأرضية معاً فأجاب عليه السلام بأن المراد أنه تعالى
مسمى بهذا الاسم في السماء وفي الأرض والأكثر من أن الظرف متعلق بالإله لأنه بمعنى
المعبود أو مضمن معناه كقولك هو حاتم في البلد.

٢٢- يد: [التوحيد] القطان والدقاق معا عن ابن زكريا القطان^(٥) عن ابن حبيب عن محمد بن عبيد الله عن علي بن
الحكم عن عبد الرحمن بن أسود عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال كان لرسول الله صديقان يهوديان قد آمنّا بموسى
رسول الله وأتيا محمدًا عليه السلام وسمعا منه وقد كانا قراء التوراة وصحف إبراهيم عليه السلام وعلما علم الكتب الأولى فلما
قبض الله تبارك وتعالى رسوله عليه السلام أقبلّا يسألان عن صاحب الأمر بعده وقال إنه لم يمت نبي قط إلا وله خليفة
يقوم بالأمر في أمته من بعده قريب القرابة إليه من أهل بيته عظيم القدر^(٦) جليل الشأن فقال أحدهما لصاحبه هل
تعرف صاحب الأمر من بعد هذا النبي قال الآخر لا أعلمه إلا بالصفة التي أوجدها في التوراة هو الأصلع المصفر فإنه
كان أقرب القوم من رسول الله عليه السلام فلما دخلا المدينة وسألا عن الخليفة أرشداً إلى أبي بكر فلما نظرا إليه قال ليس
هذا صاحبنا ثم قال له ما قربايتك من رسول الله عليه السلام قال إني رجل من عشيرته وهو زوج ابنتي عائشة قال لا هل غير
هذا قال لا قال ليست هذه بقرابة فأخبرنا أين ربك قال فوق سبع سماوات قال لا هل غير هذا قال لا قال دلنا على من
هو أعلم منك فإنك أنت لست بالرجل الذي نجد في التوراة^(٧) أنه وصي هذا النبي وخليفته قال فتغيظ من قولهما و
هم بهما ثم أرشدهما إلى عمر وذلك أنه عرف من عمر أنهما إن استقبلاه بشيء بطش بهما فلما أتياه قال ما قربايتك
من هذا النبي قال أنا من عشيرته وهو زوج ابنتي حفصة قال لا هل غير هذا قال لا قال ليست هذه بقرابة وليست هذه
الصفة التي نجدها في التوراة ثم قال له فأين ربك قال فوق سبع سماوات قال لا هل غير هذا قال لا قال دلنا على من
هو أعلم منك فأرشدتهما إلى علي عليه السلام فلما جاءا فنظرا إليه قال أحدهما لصاحبه إنه الرجل الذي صفته في التوراة^(٨)
إنه وصي هذا النبي وخليفته وزوج ابنته وأبو السطين والقائم بالحق من بعده.

ثم قال لعلي عليه السلام أيها الرجل ما قربايتك من رسول الله عليه السلام قال هو أخي وأنا وارثه وصيه وأول من آمن به و
أنا زوج ابنته^(٩).

قالا: هذه القرابة الفاخرة والمنزلة القريبة وهذه الصفة التي نجدها في التوراة فأين ربك عز وجل؟

(١) الزخرف: ٨٤.

(٢) التوحيد: ١٣٣ ب ٩ ص ١٦.

(٣) في نسخة: وكذا في المصدر: عظيم الخطر.

(٤) في المصدر: أنت لست بالرجل الذي نجد صفته في التوراة.

(٥) في المصدر: وأنا زوج ابنته فاطمة.

قال لهما علي: إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبيكما موسى ﷺ و إن شئتما أنبأتكما بالذي كان على عهد نبينا محمد ﷺ قالوا أنبئنا بالذي كان على عهد نبينا موسى ﷺ.

قال علي: أقبل أربعة أملاك ملك من المشرق و ملك من المغرب و ملك من السماء و ملك من الأرض فقال صاحب المشرق لصاحب المغرب من أين أقبلت قال أقبلت من عند ربي و قال صاحب المغرب لصاحب المشرق من أين أقبلت قال أقبلت من عند ربي و قال التازل من السماء للخارج من الأرض من أين أقبلت قال أقبلت من عند ربي و قال الخارج من الأرض للتازل من السماء من أين أقبلت قال أقبلت من عند ربي فهذا ما كان على عهد نبيكما موسى ﷺ. و أما ما كان على عهد نبينا فذلك قوله في محكم كتابه: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَفِيَّةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾. الآية.

قال اليهوديان: فما منع صاحبك أن يكونا جعلاك في موضعك الذي أنت أهل فو الذي أنزل التوراة على موسى إنك لأنت الخليفة حقا نجد صفتك في كتبنا و نقرؤه في كنائسنا و إنك لأنت أحق بهذا الأمر و أولى به ممن قد غلبك عليه فقال علي: قدما و أخرا و حسابهما على الله عز و جل يوققان و يسألان. (١)

٢٣- يد: [التوحيد] العطار عن أبيه عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي حمزة عن أبي بصير قال جاء رجل إلى أبي جعفر ﷺ فقال له يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان؟

فقال: ويلك إنما يقال لشيء لم يكن فكان متى كان إن ربي تبارك و تعالى كان لم يزل حيا بلا كيف و لم يكن له كان و لا كان لكونه كيف و لا كان له أين و لا كان في شيء و لا كان على شيء و لا ابتدع لكانه مكانا (٢) الخبر.

٢٤- يد: [التوحيد] و روي أنه سئل أمير المؤمنين ﷺ أين كان ربنا قبل أن يخلق سماء و أرضا فقال ﷺ أين سؤال عن مكان و كان الله و لا مكان. (٣)

٢٥- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد العطار عن ابن أبان عن ابن أورمة عن ابن محبوب عن صالح بن حمزة عن ابن أبان عن أسد عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله ﷺ قال من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك لو كان عز و جل على شيء لكان محمولا و لو كان في شيء لكان محصورا و لو كان من شيء لكان محدثا. (٤)

بيان: لكان محمولا أي محتاجا إلى ما يحمله قوله ﷺ محصورا أي عاجزا ممنوعا عن الخروج عن المكان أو محصورا بذلك الشيء و محوبا به فيكون له انقطاع و انتهاء فيكون ذا حدود و أجزاء.

٢٦- يد: [التوحيد] أبي عن علي عن أبيه عن ابن محبوب عن حماد بن عمرو عن أبي عبد الله ﷺ قال كذب من زعم أن الله عز و جل في شيء أو من شيء أو على شيء.

قال الصدوق رحمه الله الدليل على أن الله عز و جل لا في مكان أن الأماكن كلها حادثة و قد قام الدليل على أن الله عز و جل قديم سابق للأماكن و ليس يجوز أن يحتاج الغني القديم إلى ما كان غنيا عنه و لا أن يتغير عما لم يزل موجودا عليه فصح اليوم أنه لا في مكان كما أنه لم يزل كذلك و تصديق ذلك ما حدثنا به القطان عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن سليمان المروزي عن سليمان بن مهران قال قلت لجعفر بن محمد ﷺ هل يجوز أن نقول إن الله عز و جل في مكان فقال سبحانه الله و تعالى عن ذلك إنه لو كان في مكان لكان محدثا لأن الكائن في مكان محتاج إلى المكان و الاحتياج من صفات الحدث لا من صفات القديم. (٥)

٢٧- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن عباس عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر الجعفري عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر ﷺ أنه قال إن الله تبارك و تعالى كان لم يزل بلا زمان و لا مكان و هو الآن كما كان لا يخلو منه مكان و لا يشتغل به مكان و لا يحل في مكان. ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ وَلَا خَفِيَّةٌ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾، ليس بينه و بين خلقه حجاب غير خلقه

(١) [التوحيد: ١٨٠ ح ٢٨ ح ١٥]. (٢) [التوحيد: ١٧٣ ح ٢٨ ح ٢ و فيه و لا ابتدع لكونه مكانا].

(٣) [التوحيد: ١٧٥ ح ٢٨ ح ٤]. (٤) [التوحيد: ١٧٨ ح ٢٨ ح ٩].

(٥) [التوحيد: ١٧٨ ح ٢٨ ح ١٠ - ١١ و فيه: و الاحتياج من صفات المحدث].

احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور لا إله إلا هو الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي (١).

بيان: قوله غير خلقه أي ليس الحجاب بينه وبين خلقه إلا عجز المخلوق عن الإحاطة به وقوله محجوب إما نعت لحجاب أو خبر مبتدأ محذوف فعلى الأول فهو إما بمعنى حجاب إذ كثيرا ما يجيء صيغة المفعول بمعنى الفاعل كما قيل في قوله تعالى ﴿حِجَابًا مُّشْتَوًّا﴾ أو بمعنى أنه يكون المراد أنه ليس له تعالى حجاب مستور بل حجاب ظاهر وهو تجرده وتقدسه وعلوه عن أن يصل إليه عقل أو وهم و يمكن على هذا أن يكون المراد بالحجاب الحجة الذي أقامه بينه وبين خلقه فهو ظاهر غير مخفي و يمكن أيضا أن يكون المراد به أنه لم يحتجب بحجاب مخفي فكيف الظاهر وأما على الثاني فالظرف متعلق بقوله محجوب أي هو محجوب بغير حجاب و هاهنا احتمال ثالث وهو أن يكون محجوب مضاف إليه بتقدير اللام وإجراء الاحتمالات في الفقرة الثانية ظاهر وهي إما تأكيد للأولى أو الأولى إشارة إلى الاحتجاب عن الحواس والثانية إلى الاستتار عن العقول والأفهام.

٢٨- يد: [التوحيد] محمد بن إبراهيم بن إسحاق الفارسي عن أحمد بن محمد بن محمد النشوي (٢) عن أحمد بن محمد الصفدي عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ معا عن محمد بن سنان الحنظلي عن عبد الله بن عاصم عن عبد الرحمن بن قيس عن أبي هاشم الرمانى عن زاذان عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجائليق المدينة مع مائة من النصارى بعد وفاة النبي ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فسأله عنها فأجابه فكان فيما سأله أن قال له أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالى فدعا علي ﷺ بنار و حطب فأضرمه فلما اشتعلت قال علي ﷺ أين وجه هذه النار قال النصارى هي وجه من جميع حدودها قال علي ﷺ هذه النار مدبرة مصنوعة لا تعرف وجهها و خالقها لا يشبهها؟ ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ (٣)، لا يخفى على ربنا خافية و الحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة (٤).

٢٩- يد: [التوحيد] الأشثاني عن علي بن مهرويه عن داود بن سليمان عن الرضا عن أبيه عن آبائه عن علي ﷺ قال قال رسول الله ﷺ إن موسى بن عمران لما ناجى ربه قال يا رب أبعد أنت مني فأناديك أم قريب فأناديك فأوحى الله جل جلاله إليه أنا جليس من ذكرني فقال موسى يا رب إني أكون في حال أجلك أن أذكرك فيها فقال يا موسى أذكرني على كل حال (٥).

٣٠- يد: [التوحيد] محمد بن إبراهيم الفارسي عن أبي سعيد الرمحي (٦) عن محمد بن عيسى الواسطي (٧) عن محمد بن زكريا المكي قال أخبرني منيف مولى جعفر بن محمد قال حدثني سيدي جعفر بن محمد عن أبيه عن جده ﷺ قال كان الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ يصلي فمر بين يديه رجل فنهأ بعض جلسائه فلما انصرف من صلاته قال له لم نهيت الرجل قال يا ابن رسول الله حظر فيما بينك وبين المحراب فقال ويحك إن الله عز وجل أقرب إلي من أن يحظر فيما بيني وبينه أحد (٨).

٣١- يد: [التوحيد] المظفر العلوي عن ابن العياشي عن أبيه عن الحسين بن إشكيب عن هارون بن عقبة عن أسد بن سعيد عن عمرو بن شمر عن جابر قال قال الباقر ﷺ يا جابر ما أعظم فرية أهل الشام على الله عز وجل يزعمون أن الله تبارك وتعالى حيث صعد إلى السماء وضع قدمه على صخرة بيت المقدس ولقد وضع عبد من عباد الله قدمه على حجر (٩) فأمرنا الله تبارك وتعالى أن نتخذة مصلى يا جابر إن الله تبارك وتعالى لا نظير له ولا شبهة تعالى

(١) التوحيد: ١٧٨ ب ٢٨ ح ١٢ وفيه: لا يخلو منه مكان ولا يشكل به مكان.

(٢) في المصدر: أحمد بن محمد النشوي.

(٣) البقرة: ١١٥.

(٤) التوحيد: ١٨٢ ب ٢٨ ح ١٦ وفيه: هذه النار مدبرة مصنوعة لا يعرف وجهها.

(٥) التوحيد: ١٨٢ ب ٢٨ ح ١٧.

(٦) في المصدر: أبي سعيد الرمحي. ولعل المقصود هو أبو سعيد أحمد بن محمد بن ربيع النشوي.

(٧) السند في المصدر هكذا: عبدالعزيز بن إسحق، عن محمد بن عيسى بن هارون الواسطي.

(٨) وفي نسخة: كان الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٩) التوحيد: ١٨٤ ب ٢٨ ح ٢٢.

(١٠) وفي نسخة: على صخرة وفي التوحيد: على حجر.

عن صفة الواصفين و جل عن أوهام المتوهمين و احتجب عن أعين الناظرين لا يزول مع الزائلين و لا يأفل مع الآفلين لَيْسَ كَيْفِيَّةُ شَيْءٍ وَ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ^(١)

٣٢- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن عياش عن الحسن بن راشد عن يعقوب بن جعفر عن أبي إبراهيم عليه السلام أنه قال لا أقول إنه قائم فأزيله عن مكانه و لا أحده بمكان يكون فيه و لا أحده أن يتحرك في شيء من الأركان و الجوارح و لا أحده بلفظ شق فم و لكن كما قال تبارك و تعالى: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٢) بمشيئته من غير تردد في نفس فرد صمد لم يحتاج إلى شريك يكون له في ملكه و لا يفتح له أبواب علمه.^(٣)

ج: [الإحتجاج] عن يعقوب مثله.^(٤)

٣٣- يد: [التوحيد] السناني عن الأسدي عن النخعي عن النوفلي عن علي بن سالم عن أبي بصير عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال إن الله تبارك و تعالى لا يوصف بزمان و لا مكان و لا حركة و لا انتقال و لا سكون بل هو خالق الزمان و المكان و الحركة و السكون تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا.^(٥)

٣٤- يد: [التوحيد] محمد بن إبراهيم بن إسحاق الغزائمي عن أحمد بن محمد بن ربيع عن عبد العزيز بن إسحاق عن جعفر بن محمد الحسن بن محمد بن علي بن خلف عن بشر بن الحسن عن عبد القدوس عن أبي إسحاق السبيعي عن العارث الأعور عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه دخل السوق فإذا هو برجل موليه ظهره يقول لا و الذي احتجب بالبيع ف ضرب علي عليه السلام ظهره ثم قال من الذي احتجب بالبيع قال الله يا أمير المؤمنين قال أخطأت ثكلتك أمك إن الله عز و جل ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنه مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا.

قال: ما كفارة ما قلت يا أمير المؤمنين قال أن تعلم أن الله معك حيث كنت قال أطعم المساكين قال لا إنما حلفت بغير ربك.^(٦)

٣٥- يد: [التوحيد] الدقاق عن أبي القاسم العلوي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن إبراهيم بن هاشم القمي عن العباس بن عمرو القمي عن هشام بن الحكم في حديث الزنديق الذي أتى أبا عبد الله قال سأله عن قوله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٧) قال أبو عبد الله عليه السلام بذلك و وصف نفسه و كذلك هو مستول على العرش بآن من خلقه من غير أن يكون العرش حاملا له و لا أن يكون العرش حاويا له و لا أن العرش محتاز له و لكننا نقول هو حامل العرش و ممسك العرش و نقول من ذلك ما قال: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾^(٨) فثبتنا من العرش و الكرسي ما ثبته و نفينا أن يكون العرش أو الكرسي حاويا له و أن يكون عز و جل محتاجا إلى مكان أو إلى شيء مما خلق بل خلقه محتاجون إليه.

قال السائل: فما الفرق بين أن ترفعوا أيديكم إلى السماء و بين أن تخفضوها نحو الأرض قال أبو عبد الله عليه السلام ذلك في علمه و إحاطته و قدرته سواء و لكنه عز و جل أمر أوليائه و عبادَه برفع أيديهم إلى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق فثبتنا ما ثبته القرآن و الأخبار عن الرسول عليه السلام حين قال ارفعوا أيديكم إلى الله عز و جل و هذا يجمع عليه فرق الأمة كلها.^(٩)

قال السائل فتقول إنه ينزل إلى السماء الدنيا قال أبو عبد الله عليه السلام نقول ذلك لأن الروايات قد صحت به و الأخبار قال السائل وإذا نزل أليس قد حال عن العرش و حوله عن العرش انتقال قال أبو عبد الله عليه السلام ليس ذلك على ما يوجد من المخلوق الذي ينتقل باختلاف الحال عليه و الملاحة و السامة و ناقل و ينقله و يحوله من حال إلى حال بل هو تبارك و تعالى لا يحدث عليه الحال و لا يجري عليه الحدث فلا يكون نزوله كنزول المخلوق الذي متى تنحى عن مكان خلا منه المكان الأول و لكنه ينزل إلى سماء الدنيا بغير معاناة و لا حركة فيكون هو كما في السماء السابعة

(٢) البقرة: ١١٧ و غيرها.

(١) التوحيد: ١٧٩ ب ٢٨ ح ٣.

(٤) الإحتجاج: ٣٨٦ و فيه: يدير له في ملكه.

(٣) التوحيد: ١٨٣ ب ٢٨ ح ١٩.

(٦) التوحيد: ١٨٤ ب ٢٨ ح ٢١.

(٥) التوحيد: ١٨٤ ب ٢٨ ح ٢٠.

(٨) البقرة: ٢٥٥.

(٧) طه: ٥.

(٩) إلى هنا في المصدر. و الخبر إلى تمامه موجود في هوامش الكتاب منقولاً عن البحار.

على العرش كذلك هو في سماء الدنيا إنما يكشف عن عظمته ويري أوليائه نفسه حيث شاء و يكشف ما شاء من قدرته ومنظره في القرب والبعد سواء.

ثم قال: قال مصنف هذا الكتاب قوله ﷺ إنه على العرش إنه ليس بمعنى التمكن فيه ولكنه بمعنى التعالي عليه بالقدرة يقال فلان على خير واستعانه على عمل كذا وكذا ليس بمعنى التمكن فيه والاستقرار عليه ولكن ذلك بمعنى التمكن منه والقدرة عليه وقوله في النزول ليس بمعنى الانتقال وقطع المسافة^(١) ولكنه على معنى إزال الأمر منه إلى سماء الدنيا لأن العرش هو المكان الذي ينتهي إليه بأعمال العباد من السدرة المنتهى إليه وقد يجعل الله عز وجل السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل وفي ليالي الجمعة مسافة الأعمال في ارتفاعها أقرب منها في سائر الأوقات إلى العرش وقوله يري أوليائه نفسه فإنه يعني بإظهار بدائع فطرته فقد جرت العادة بأن يقال للسلطان إذا أظهر قوة وقدرة وخيلا ورجلا قد أظهر نفسه وعلى ذلك دل الكلام ومجاز اللفظ.^(٢) أقول: من قوله قال السائل إلى آخر كلامه لم يكن في أكثر النسخ وليس في الإحتجاج أيضا.

٣٦- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى وابن هاشم عن الحسن بن علي عن داود بن علي البعقوبي عن بعض أصحابنا عن عبد الأعلى مولى آل سام عن أبي عبد الله ﷺ قال أتى رسول الله ﷺ يهودي يقال له سبخت فقال له يا محمد جئت أسألك عن ربك فإن أجبتني عما أسألك عنه وإلا رجعت فقال له سل عما شئت فقال أين ربك فقال هو في كل مكان وليس هو في شيء من المكان بمحدود قال فكيف هو فقال وكيف أصف ربي بالكيف والكيف مخلوق والله لا يوصف بخلقه.

قال: فمن يعلم أنك نبي؟ قال: فما بقي حوله حجر ولا مدر ولا غير ذلك إلا تكلم بلسان عربي مبين يا شيخ إنه رسول الله.^(٣)

٣٧- ص: [قصص الأنبياء] الصدوق عن محمد بن إبراهيم بن إسحاق عن أحمد بن محمد بن ربيع عن أحمد بن جعفر عن أحمد بن علي عن محمد بن علي الخزازي عن عبد الله بن جعفر عن أبيه عن الصادق عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم مثله.

ير: [بصائر الدرجات] إبراهيم بن هاشم عن الحسن بن علي^(٤) مثله.^(٥)

٣٨- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن حماد عن أبي عبد الله ﷺ قال كذب من زعم أن الله عز وجل من شيء أو في شيء أو على شيء.^(٦)

٣٩- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن المفضل عن أبي عبد الله ﷺ قال من زعم أن الله عز وجل من شيء أو في شيء فقد أشرك ثم قال من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثا ومن زعم أنه في شيء فقد زعم أنه محصور ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولا.^(٧)

٤٠- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن ابن أبيان عن الحسين بن سعيد عن النضر عن ابن حميد عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال من زعم أن الله عز وجل من شيء أو في شيء أو على شيء فقد كفر قلت فسر لي قال أعني بالحواية من الشيء له أو بامساك له أو من شيء سبقه.^(٨)

٤١- وفي رواية أخرى قال من زعم أن الله من شيء فقد جعله محدثا ومن زعم أنه في شيء فقد جعله محصورا ومن زعم أنه على شيء فقد جعله محمولا.^(٩)

(١) كذا في «أ» والمصدر. وأما في «ط»: وقطع المسافة. (٢) التوحيد: ٢٤٨ - ٢٥٠ ب ٢٦ ح ١ وهامشه.

(٣) وفي نسخة: يا سبخت إنه رسول الله. وهو ما عليه في قصص الانبياء.

(٤) التوحيد: ٣٠٩ - ٤١٠ ب ٤٤ ح ١.

(٥) في المصدر: الحسن بن علي البعقوبي والظاهر سقطت منه عبارة: عن داود بن علي.

(٦) بصائر الدرجات: ٥٢١ ج ١٠ ب ١٧ ح ١.

(٧) التوحيد: ٣١٧ ب ٤٨ ح ٩.

(٨) التوحيد: ٣١٧ ب ٤٨ ح ٩.

(٩) التوحيد: ٣١٧ ب ٤٨ ح ٦.

بيان: قوله بالحواية من الشيء له تفسير لقوله في شيء، وقوله أو بأمسك له تفسير لقوله على شيء، وقوله أو من شيء سبقه تفسير لقوله من شيء.

٤٢- يد: [التوحيد] الطالقاني عن أحمد الهمداني عن أحمد بن محمد بن عبد الله الصفدي عن محمد بن يعقوب العسكري وأخيه معاذ معا عن محمد بن سنان الحضلي عن عبد الله بن عاصم عن عبد الرحمن بن قيس عن أبي هاشم الرماني عن زاذان عن سلمان الفارسي في حديث طويل يذكر فيه قدوم الجاثليق المدينة مع مائة من النصارى بعد قبض رسول الله ﷺ وسؤاله أبا بكر عن مسائل لم يجبه عنها ثم أرشد إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ فسأله فأجابه^(١) فكان فيما سأله أن قال له أخبرني عن الرب أين هو وأين كان قال علي ﷺ لا يوصف الرب جل جلاله بمكان هو كما كان وكان كما هو لم يكن في مكان ولم يزل من مكان إلى مكان ولا أحاط به مكان بل كان لم يزل بلا حد ولا كيف قال صدقت فأخبرني عن الرب أفي الدنيا هو أو في الآخرة قال علي ﷺ لم يزل ربنا قبل الدنيا هو مدبر الدنيا وعالم بالآخرة فأما أن يحيط به الدنيا والآخرة فلا ولكن يعلم ما في الدنيا والآخرة قال صدقت يرحمك الله. ثم قال: أخبرني عن ربك أيحمل أو يحمل فقال علي ﷺ إن ربنا جل جلاله يحمل ولا يحمل قال النصراني وكيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فقال علي ﷺ إن الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظن كهيمة السرير ولكنه شيء محدود مخلوق مدبر ورب عز وجل مالكه لا أنه عليه ككون الشيء على الشيء وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه قال النصراني صدقت رحمك الله والحديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة^(٢).

٤٣- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن جزدان بن نصر عن سهل عن ابن محبوب عن عبد الرحمن بن كثير عن داود الرقي قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن قوله عز وجل: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ»^(٣) فقال لي ما يقولون قلت يقولون إن العرش كان على الماء والرب فوقه فقال فقد كذبوا من زعم هذا فقد صير الله محمولا وصفه بصفة المخلوقين وألزمه أن الشيء الذي يحمله أقوى منه قلت بين لي جعلت فذاك فقال إن الله عز وجل حمل دينه وعلمه الماء قبل أن تكون أرض أو سماء أو جن أو إنس أو شمس أو قمر فلما أن أراد أن يخلق الخلق نثرهم بين يديه فقال لهم من ربكم فكان أول من نطق رسول الله وأمر المؤمنين والأئمة ﷺ فقالوا أنت ربنا فحملهم العلم والدين ثم قال للملائكة هؤلاء حملة علمي وديني وأمنائي في خلقي وهم المسئولون ثم قيل لبي آدم أقروا لله بالربوبية ولهؤلاء النفر بالطاعة فقالوا ربنا أقرنا فقال للملائكة اشهدوا فقالت الملائكة شهدنا على أن لا يقولوا إنا كنا عن هذا غافلين أو يقولوا إنا أشرك أبائنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون يا داود ولايتنا مؤكدة عليهم في الميثاق^(٤).

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد إن المشبهة تتعلق بقوله عز وجل: «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ»^(٥) ولا حجة لها في ذلك لأنه عز وجل عنى بقوله: «ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» أي ثم نزل العرش إلى فوق السماوات وهو مستولي عليه ومالك له بقوله عز وجل ثُمَّ إِنَّمَا هُوَ لَدِفَ الْعَرْشِ إِلَىٰ مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَنَقْلَهُ لِلْأَسْتَوَاءِ وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَىٰ قَوْلِهِ «اسْتَوَىٰ» اسْتَوَىٰ لِأَنَّهُ اسْتَوَىٰ لِلَّهِ تَعَالَىٰ^(٦) على الملك وعلى الأشياء ليس هو بأمر حادث بل كان لم يزل مالكا لكل شيء ومستوليا على كل شيء وإنا ذكر عز وجل الاستواء بعد قوله: «ثُمَّ» وهو يعني الرفع مجازا وهو كقوله: «وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ»^(٧) ذكر «نعلم» مع قوله «حتى» وهو عز وجل يعني حتى يجاهد المجاهدون ونحن نعلم ذلك لأن حتى لا يقع إلا على فعل حادث وعلم الله عز وجل بالأشياء لا يكون حادثا وكذلك ذكر قوله عز وجل: «اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ» بعد قوله «ثُمَّ» وهو يعني بذلك ثم رفع العرش لاستيلائه عليه ولم يعن بذلك الجلوس

(١) في «أ»: فسأله عنها فأجابه.

(٣) هود: ٧.

(٥) الاعراف: ٥٤.

(٧) محمد: ٣١.

(٢) التوحيد: ٣١٦ ب ٤٨ ح ٦.

(٤) التوحيد: ٣١٩ ب ٤٩ ح ١.

(٦) في نسخة: لأن استيلاء الله تعالى. وهو ما في المصدر.

و اعتدال البدن لأن الله لا يجوز أن يكون جسما ولا ذا بدن تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (١)

٤٤- سنن: [المحاسن] أبي عمن ذكره قال اجتمعت اليهود إلى رأس الجالوت فقالوا إن هذا الرجل عالم يعنون به علي بن أبي طالب عليه السلام فانطلق بنا إليه لنسأله فأتوه فقيل له هو في القصر فانتظروه حتى خرج (٢) فقال له رأس الجالوت يا أمير المؤمنين جئنا نسألك قال سل يا يهودي عما بدا لك قال أسألك عن ربنا متى كان فقال كان بلا كينونة كان بلا كيف كان لم يزل بلا كم وبلا كيف كان ليس له قبل هو قبل القبل بلا قبل ولا غاية ولا منتهى غاية ولا غاية إليها انتظمت عنه الغايات فهو غاية كل غاية قال فقال رأس الجالوت لليهود امضوا بنا (٣) فهذا أعلم مما يقال فيه. (٤)

بيان: ولا غاية إليها أي ينتهي إليها.

٤٥- سنن: [المحاسن] القاسم بن يحيى عن جده الحسن عن أبي الحسن موسى عليه السلام وسئل (٥) عن معنى قول الله: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال استولى على ما دق وجل. (٦)
ج: [الإحتجاج] عن الحسن مثله. (٧)

٤٦- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان قال سألت جعفر بن محمد عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ قال: استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء. (٨)

٤٧- فس: [تفسير القمي] محمد بن أبي عبد الله عن سهل عن ابن محبوب عن محمد بن مارد أن أبا عبد الله عليه السلام سئل عن معنى قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء. (٩)

يد: [التوحيد] ماجيلويه عن محمد العطار عن سهل مثله.

يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد العطار عن سهل عن الخشاب رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام مثله. (١٠)

٤٨- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن محمد بن الحسين عن صفوان بن يحيى عن عبد الرحمن بن الحجاج قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ فقال: استوى من كل شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء لم يبعد منه بعيد ولم يقرب منه قريب استوى من كل شيء. (١١)

بيان: اعلم أن الاستواء يطلق على معان الأول الاستقرار والتمكن على الشيء الثاني قصد الشيء والإقبال إليه الثالث الاستيلاء على الشيء. قال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهبraq

الرابع الاعتدال يقال سويت الشيء فاستوى الخامس المساواة في النسبة.

فأما المعنى الأول فيستحيل على الله تعالى لما ثبت بالبراهين العقلية والنقلية من استحالة كونه تعالى مكانيا فمن المفسرين من حمل الاستواء في هذه الآية على الثاني أي أقبل على خلقه وقصد إلى ذلك وقد رووا أنه سئل أبو العباس أحمد بن يحيى عن هذه الآية فقال الاستواء الإقبال على الشيء ونحو هذا قال الفراء والزجاج في قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ﴾ (١٢). والأكثرون منهم حملوها على الثالث أي استولى عليه وملكه ودبره قال الزمخشري لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك لا يحصل إلا مع الملك جعلوه كتابة عن الملك فقالوا

(١) التوحيد: ٢١٧ - ٣١٨ ب ٤٨ ح ذيل ح: ٩. وفيه: إنما هو لرفع العرش إلى مكانه. وكذا: بل لم يزل مالكا لكل شيء.

(٢) في «أ» فانتظروه حتى يخرج.

(٣) في «أ»: أمضوا. وفي نسخة: مروا بنا. وفي المحاسن: مروا.

(٤) المحاسن: ٢٤٠ المصاييح ب ٢٤ ح ٢١٨. وفيه: كان بلا كينونة. كان لم يزل بلا كم وبلا كيف. كان ليس له قبل. هو القبل. هو بلا قبل.

(٥) في «أ»: فسأل.

(٦) المحاسن: ٢٣٧ المصاييح ب ٢٤ ح ٢١٢.

(٧) الإحتجاج: ٣٨٦.

(٨) التوحيد: ٣١٧ ب ٤٨ ح ٧. معاني الأخبار: ٢٩ ب ١٨ ح ١.

(٩) تفسير القمي ٢: ٣٢.

(١٠) التوحيد: ٣١٥ ب ٤٨ ح ٢.

(١١) البقرة: ٢٩.

استوى فلان على السرير يريدون ملكه وإن لم يقعد على السرير البتة وإنما عبروا عن حصول الملك بذلك لأنه أصرح وأقوى في الدلالة من أن يقال فلان ملك ونحوه قوله يد فلان مبسوطه و يد فلان مغلوله بمعنى أنه جواد أو بخيل لا فرق بين العبارتين إلا فيما قلت حتى أن من لم يبسط يده قط بالنوال أو لم يكن له يد رأسا وهو جواد قيل فيه يده مبسوطه لأنه لا فرق عندهم بينه وبين قولهم جواد انتهى^(١) ويحتمل أن يكون المراد المعنى الرابع بأن يكون كناية عن نفي النقص عنه تعالى من جميع الوجوه فيكون قوله تعالى **عَلَى الْعَرْشِ** الحالية، وسيأتي توجيهه ولكنه بعيد وأما المعنى الخامس فهو الظاهر مما مر من الأخبار.

فاعلم أن العرش قد يطلق على الجسم العظيم الذي أحاط بسائر الجسمانيات وقد يطلق على جميع المخلوقات وقد يطلق على العلم أيضا كما وردت به الأخبار الكثيرة وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم.

فإذا عرفت هذا فإما أن يكون ﷻ فسر العرش بمجموع الأشياء وضمن الاستواء ما يتعدى على كالأستيلاء والاستعلاء والإشراف فالمعنى استوت نسبتته إلى كل شيء حال كونه مستويا عليها أو فسره بالعلم ويكون متعلق الاستواء مقدرا أي تساوت نسبتته من كل شيء حال كونه متمكنا على عرش العلم فيكون إشارة إلى بيان نسبته تعالى وأنها بالعلم والإحاطة أو المراد بالعرش عرش العظمة والجلال والقدرة كما فسر بها أيضا في بعض الأخبار أي استوى من كل شيء مع كونه في غاية العظمة وتمكنا على عرش التقديس والجلالة والحاصل أن علو قدره ليس مانعا من دونه بالحفظ والتربية والإحاطة وكذا العكس وعلى التقادير فقلوه: «استوى» خبر، وقوله: «**عَلَى الْعَرْشِ**» حال ويحتمل أن يكونا خبرين على بعض التقادير ولا يبعد على الاحتمال الأول جعل قوله **عَلَى الْعَرْشِ** متعلقا بالاستواء بأن تكون كلمة على بمعنى إلى ويحتمل على تقدير حمل العرش على العلم أن يكون قوله: «**عَلَى الْعَرْشِ**» خبرا، وقوله: «**أَشْتَوَى**» حالا عن العرش لكنه بعيد وعلى التقادير يمكن أن يقال إن النكتة في إيراد الرحمن بيان أن رحمانيته توجب استواء نسبته لإيجادا وحفظا وتربية وعلما إلى الجميع بخلاف الرحيمية فإنها تقتضي إفاضة الهدايا الخاصة على المؤمنين فقط وكذا كثير من أسمائه الحسنى تخص جماعة كما سيأتي تحقيقها ويؤيد بعض الوجوه التي ذكرنا ما ذكره الصدوق رحمه الله في كتاب **العقائد** حيث قال اعتقادنا في العرش أنه جملة جميع الخلق والعرش في وجه آخر هو العلم، وسئل عن الصادق ﷺ عن قول الله عز وجل الرحمن على العرش استوى فقال: استوى من كل شيء فليس شيء أثرب إليه من شيء انتهى^(٢). وإنما بسطنا الكلام في هذا المقام لصعوبة فهم تلك الأخبار على أكثر الألفهام.

أقول: قد مرّت الأخبار المناسبة لهذا الباب في باب إثبات الصانع، وباب نفي الجسم والصورة وسيأتي في باب احتجاج أمير المؤمنين صلوات الله عليه على النصاري، وباب العرش والكرسي، وباب جوامع التوحيد.



أبواب تأويل الآيات والأخبار الموهمة لخلاف ما سبق

باب ١

تأويل قوله تعالى خَلَقْتُ بِيَدَيَّ وَجَنَّبَ اللَّهُ وَجْهَ اللَّهِ وَيَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَأَمْثَالُهَا

(١-فس: [تفسير القمي] محمد بن أحمد بن ثابت عن القاسم بن إسماعيل الهاشمي^(١) عن محمد بن سيار^(٢) عن الحسين بن المختار^(٣) عن أبي بصير عن أبي عبد الله^(٤) قال لو أن الله خلق الخلق كلهم بيده لم يحتج في تأدب أنه خلقه بيده فيقول «مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ»^(٥) أفترى الله يبعث الأشياء بيده.

بيان: لعل المراد أنه لو كان الله تعالى جسما يزاوِل الأشياء ويعالجها بيده لم يكن ذلك مختصا بأدم^(٦) بل هو تعالى منزّه عن ذلك وهو كناية عن كمال العناية بشأنه كما سيأتي.

٢-يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ابن عصام عن الكليني عن العلان^(٥) عن اليقطيني قال سألت أبا الحسن علي

(١) في المصدر: القاسم بن محمد عن إسماعيل الهاشمي - وكذا في نسخة المصدر المعتمدة في معجم رجال الحديث ٣: ٢٠٩ رقم ١٤٦٢ - و لكن في تفسير البرهان قال: حدثنا القاسم بن إسماعيل الهاشمي ٤: ٦٤ و لم اعثر عليهم جميعا.

(٢) في المصدر: محمد بن يسار، وكذا في نسخة المعجم. و في البرهان: محمد بن سيار.

(٣) كذا في البرهان أيضا. ولكن في المصدر والمعجم ٥: ١٣٨ رقم ٣١٤٠: الحسين بن المختار، والحسن والحسين أخوة، وكلاهما يروى بواسطة وبغيرها عن الإمام الصادق^(٤) قال النجاشي - ره - الحسين بن المختار «أبو عبد الله القلانسي» كوفي، مولا إحصان من بجيلة، وأخوة الحسن يكنى «أبا محمد» ذكرنا فيمن روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن^(٥) - له كتاب ثم ذكر طريقه إليه ١: ١٦٥ - ١٦٦ رقم: ١٢٢.

و ذكره الشيخ في الفهرست قال: الحسين بن المختار القلانسي له كتاب ثم ذكر الطريق إليه ص ٥٥ رقم ١٩٥ وعدّ الشيخ الحسين من أصحاب الإمام الصادق^(٦) وأصفا إياه بالكوفي «رجال الشيخ: ص ١٦٩ رقم ٦٨» وكرر ذكر مع اتهامه بالوقف ضمن أصحاب الإمام الكاظم^(٧) ص ٣٤٦ رقم ٣ واكتفى البرقي بذكره ضمن أصحاب الصادق^(٨) «رجال البرقي: ٢٦».

و ذكره الشيخ المفيد فيمن روى النص على الرضا^(٩)، وقد وصف من روى النص بخاصة الإمام وثقته وأهل الورع والعلم والفقه من شيعة (الإرشاد ص ٣٠٤).

و قد اعتمد الإمام الخوئي على كلام المفيد هذا في دره تهمه الوقف عنه، وعز ذلك بذكر رواية الرجل وصية الإمام الكاظم^(١٠) لابنه الرضا^(١١) في الكافي ١: ٣١٣ ب ١٣٠ ح ٩، ٨. وقد ذكر الشيخ الصدوق ح ٨ من رواية الكافي المذكورة في كتابه عيون الأخبار - وذكر للحسين بن المختار حديثا آخر يؤدي نفس شاهد على عدم وقفه، وكيف كان فالرجل من الثقات بلا اشكال. معجم رجال الحديث ٦: ٨٦ - ٨٧ رقم ٣٦٤٣.

أما الحسن، فقد عدّه البرقي في أصحاب الإمامين والكاظم^(١٢)، وذلك حينما عدّه ضمن أصحاب الصادق^(١٣) الذين صاحبوا الإمام الكاظم^(١٤). قال الحسن بن المختار، قلانسئ «رجال البرقي ٤٨» وقد عدّه الشيخ ضمن رجال الإمام الصادق^(١٥) فقال: الحسن بن المختار القلانسي الكوفي «رجال الشيخ: ص ١٦٧ رقم: ٢٢».

(٤) سورة ص: ٧٥.

(٥) تفسير القمي ٢: ٢١٥.

بن محمد العسكري عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾^(١) فقال ذلك تعبير الله تبارك وتعالى لمن شبهه بخلقه ألا ترى أنه قال ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ومعناه إذا قالوا «إن الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ» كما قال عز وجل ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذا قالوا «ما أنزل الله على بشرٍ من شيءٍ» ثم نزه عز وجل نفسه عن القبضة واليمين فقال «سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»^(٢).

بيان: هذا وجه حسن لم يتعرض له المفسرون وقوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ متصل بقوله ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً﴾ فيكون على تأويله عليه السلام القول مقدراً أي ما عظموا الله حق تعظيمه وقد قالوا إن الأرض جميعاً ويؤيده أن العامة رَوَوْا أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذكر نحوه من ذلك فضحك صلى الله عليه وآله وسلم.^(٣)

٣- يد: [التوحيد] أحمد بن الهيثم العجلي عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن يهلول عن أبيه عن أبي الحسن العبدى عن سليمان بن مهران قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ فقال يعني ملكه لا يملكها معه أحد والقبض من الله تعالى في موضع آخر المنع والبسط منه الإعطاء والتوسع كما قال عز وجل ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٤) يعني يعطي ويوسع ويمنع ويضيق والقبض منه عز وجل في وجه آخر الأخذ في وجه القبول منه كما قال ﴿وَأَخَذَ الصَّدَاقَاتِ﴾^(٥) أي يقبلها من أهلها ويثيب عليها قلت فقله عز وجل ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قال اليمين اليد واليد القدرة والقوة يقول عز وجل والسموات مطويات بقدرة وقوته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ.^(٦)

بيان: قال الشيخ الطبرسي رحمه الله القبضة في اللغة ما قبضت عليه بجميع كفك أخبر الله سبحانه عن كمال قدرته فذكر أن الأرض كلها مع عظمها في مقدوره كالشيء الذي يقبض عليه القابض بكفه فيكون في قبضته وهذا تفهيم لنا على عادة التخاطب فيما بيننا لأننا نقول هذا في قبضة فلان وفي يد فلان إذا هان عليه التصرف فيه وإن لم يقبض عليه وكذا قوله ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ أي يطويها بقدرته كما يطوي أحد منا الشيء المقدور له طية يمينه وذكر اليمين للمبالغة في الاقتدار والتعقيق للملك كما قال ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾^(٧) أي ما كانت تحت قدرتك إذ ليس الملك يختص باليمين دون الشمال وسائر الجسد وقيل معناه أنها محفوظات مصونات بقوته واليمين القوة.^(٨)

٤- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] إ: الهمداني عن علي عن أبيه عن الهروي قال قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث أن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة فقال عليه السلام يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم على جميع خلقه من النبيين والملائكة وجعل طاعته طاعته ومبايعته مبايعته وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته فقال عز وجل ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٩) وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(١٠) وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله ودرجة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الجنة أرفع الدرجات فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى.

قال فقلت له يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الذي رَوَوْهُ أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجهه الله فقال عليه السلام يا أبا الصلت من وصف الله بوجهه كالوجه فقد كفر ولكن وجه الله أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الذين

(١) الزمر: ٦٧.

(٢) التوحيد ص ١٦٠ - ١٦١ ج ١٧ ح ١، معاني الأخبار ص ١٤ ب ١٣ ح ٤.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالأمور ٧: ٢٤٦. (٤) البقرة: ٢٤٥.

(٥) الزمر: ١٠٤.

(٦) التوحيد ص ١٦١ - ١٦٢ ج ١٧ ح ٢ وفيه: الاخذ، والاخذ: في وجه القبول.

(٧) النساء: ٣. (٨) مجمع البيان ٤: ٧٩١ - ٧٩٢.

(٩) النساء: ٨٠. (١٠) الفتح: ٨٠.

بهم يتوجه إلى الله عز وجل وإلى دينه ومعرفته وقال الله عز وجل ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾^(١) وقال عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(٢) فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة وقد قال النبي ﷺ من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أره يوم القيامة وقال ﷺ إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالابصار والأوهام.

قال فقلت له يا ابن رسول الله فأخبرني عن الجنة والنار أما اليوم مخلوقتان فقال نعم وإن رسول الله ص قد دخل الجنة ورأى النار لما عرج به إلى السماء قال فقلت له إن قوما يقولون إنهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتان فقال ﷺ ما أولئك منا ولا نحن منهم من أنكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي ﷺ وكذبنا وليس من ولا يتنا على شيء ويخلد في نار جهنم قال الله عز وجل ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ يَطُوفُونَ فِيهَا فِي نَارٍ ذَاتِ حَرٍّ شِدَّةٍ﴾^(٣) وقال النبي ﷺ لما عرج بي إلى السماء أخذ بيدي جبرئيل فأدخلني الجنة فتناولني من رطبها فأكلته فتحول ذلك نطفة في صليبي فلما هبطت إلى الأرض وافتت خديجة فحملت بفاطمة ففاطمة حوراء إنسية فكلما اشتقت إلى رائحة الجنة شممت رائحة ابنتي فاطمة.^(٤)

٥- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن بكر عن أبي عبد الله البرقي عن عبد الله بن يحيى^(٥) عن أبي أيوب الخزاز عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر ﷺ فقلت قوله عز وجل ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ بِيَدَيْ﴾^(٦) فقال اليد في كلام العرب القوة والنعمة قال الله ﴿وَإِذْ كَرَّمْنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾^(٧) وقال ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ﴾^(٨) أي بقوة وقال ﴿وَإِذْ هَمُّوا بِبَرْوَجٍ مِنْهُ﴾^(٩) أي قواهم ويقال لفلان عندي أيادي كثيرة أي فواضل وإحسان وله عندي يد بيضاء أي نعمة.^(١٠)

بيان: يظهر منه أن التأيد مشتق من اليد بمعنى القوة كما يظهر من كلام الجوهري أيضا.^(١١)

٦- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ابن الوليد عن الصغار عن محمد بن عيسى عن المشرقي عن عبد الله بن قيس عن أبا الحسن الرضا ﷺ قال سمعته يقول بَلْ يَذَاهُ مَبْسُوطَاتٍ فقلت له يدان هكذا وأشرت بيدي إلى يديه فقال لا لو كان هكذا لكان مخلوقا.^(١٢)

بيان: غل اليد وبسطها كناية عن البخل والجود وثنى اليد مبالغة في الرد ونفي البخل عنه وإثبات لغاية الجود فإن غاية ما يبذله السخي من ماله أن يعطيه بيديه أو للإشارة إلى منح الدنيا والآخرة أو ما يعطى للاستدراج وما يعطى للإكرام أو للإشارة إلى لطفه وقهره.

٧- فس: [تفسير القمي] ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾ قال دين ربك وقال علي بن الحسين ﷺ نحن الوجه الذي يؤتي الله منه.^(١٣)

٨- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن بزيع عن منصور بن يونس عن جليس لأبي حمزة عن أبي حمزة قال قلت لأبي جعفر ﷺ قول الله عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾^(١٤) قال فيه كل

(١) الرحمن: ٢٦ - ٢٧.

(٢) الرحمن: ٢٤.

(٣) التوحيد ١١٧ - ١١٨ ب ٨ ح ٢١ وفيه: وجعل طاعته طاعته ومتابعته متابعته. عيون أخبار الرضا ١: ١٠٥ ح ١١ ب ٣ وفيه ما في التوحيد وكذا: فمن زاره في درجته في الجنة.

(٤) في التوحيد: عبدالله بن بحر - و ظاهر توضيحات الإمام الخوئي في المعجم أن المقصود هو ما في التوحيد - قال: عبدالله بن بحر: روى عن أبي أيوب الخزاز. وفي ذكر من روى عنه ذكر اسم محمد بن خالد وهو البرقي «معجم رجال الحديث» ١٠: ١٧٧ - ١٨٨ رقم ٦٧١٧ على أن حلول عبدالله بن يحيى بدلا من عبدالله بن بحر. وكذلك العكس وقع في عدة كتب «أنظر المعجم» ١٠: ١١٨ و ٣٦٧.

(٥) سورة ص: ٧٥.

(٦) سورة ص: ٧٥.

(٧) سورة ص: ٧٥.

(٨) الذاريات: ٤٧.

(٩) التوحيد ص ١٥٣ ب ١٣ ح ١ و معاني الأخبار ص ١٦ ح ٨.

(١٠) الصالح: ٤٤٣.

(١١) التوحيد ص ١٦٨ ب ٢٥ ح ٢ وفيه: وأشرت بيدي إلى يده. ومعاني الأخبار ص ١٨ ح ١٦.

(١٢) تفسير القمي ٢: ٢٢٣ وفيه: كل من عليها فان - قال: من على وجه الأرض.

(١٣) التوحيد ص ٨٨.

شيء و يبق الوجه إن الله عز و جل أعظم من أن يوصف بالوجه و لكن معناه كل شيء هالك إلا دينه و الوجه الذي يؤتى منه. (١)

يو: [بصائر الدرجات] ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن منصور مثله. (٢)

يو: [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن محمد بن إسماعيل عن منصور عن أبي حمزة مثله. (٣)

٩- يو: [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن بعض أصحابنا عن ابن عميرة عن ابن المغيرة قال كنا عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن قول الله **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** قال ما يقولون فيه قلت يقولون يهلك كل شيء إلا وجهه فقال يهلك كل شيء إلا وجهه الذي يؤتى منه و نحن وجه الله الذي يؤتى منه. (٤)

١٠- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ابن المتوكل عن السعدآبادي عن البرقي عن أبيه عن ربيع الوراق عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** (٥) قال نحن. (٦)

١١- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن محمد العطار عن سهل عن البرنظي عن صفوان الجمال عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز و جل **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** قال من أتى الله بما أمر به من طاعة محمد و الأئمة من بعده صلوات الله عليهم فهو الوجه الذي لا يهلك ثم قرأ **﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾**. (٧)

١٢- و بهذا الإسناد قال أبو عبد الله عليه السلام نحن وجه الله الذي لا يهلك. (٨)

١٣- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن يزيد عن صفوان بن يحيى عن أبي سعيد المكاربي (٩) عن أبي بصير عن الحارث بن المغيرة النصري قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل **﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾** قال كل شيء هالك إلا من أخذ طريق الحق. (١٠)

بيان: ذكر المفسرون فيه وجهين أحدهما أن المراد به إلا ذاته كما يقال وجه هذا الأمر أي حقيقته و ثانيهما أن المعنى ما أريد به وجه الله من العمل و اختلف على الأول في الهلاك هل هو الانعدام حقيقة أو أنه لإمكانه في معرض الفناء و العدم و على ما ورد في تلك الأخبار يكون المراد بالوجه

(١) التوحيد ص ١٤٩ ب ١٢ ج ١ و معاني الأخبار: ١٢ ج ١. (٢) بصائر الدرجات ص ٨٥ ج ٢ ب ٤ ح ٢.

(٣) بصائر الدرجات ص ٨٦ ج ٢ ب ٤ ح ٣. (٤) بصائر الدرجات ص ٨٦ ج ٢ ب ٤ ح ٦.

(٥) كذا في «أ» و في المصدرين: اما في «ط»: كل شيء هالك عن علي الا وجهه، و أمره لا يبغي.

(٦) التوحيد ص ١٥٠ ب ١٢ ج ٥ و معاني الأخبار ص ١٣ ب ١٣ ح ٢.

(٧) التوحيد ص ١٤٩ ب ١٢ ج ٣. (٨) التوحيد ص ١٥٠ ب ١٢ ح ٤.

(٩) قال النجاشي - أعلى الله مقامه - هاشم بن حيان، أبو سعيد المكاربي، روى عن أبي عبد الله عليه السلام له كتاب ثم ذكر الطريق اليه، رجال النجاشي ٢: ٤٠٢ رقم ١١٧٠ و صفه بانه وجه في الواقعة - في ترجمة ابنه الحسين ١: ١٣٦ رقم ٧٧ و ذكره الشيخ بكنتيه في الفهرست و ذكر كتابه والطريق اليه ص ١٩٠ رقم ٨٥٥ وعده في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام الا انه ذكر اسمه، هشام بن حيان الكوفي، قال: مولى بني عقيل، و ابو سعيد المكاربي «رجال الشيخ: ٣٣٠ رقم ٢١ و كذا عبد البرقي مكتفيا بذكر كنتيه ص ٤٣».

و قد رد الإمام المظلوم الخوئي - قدس الله نفسه الزكية - تهمة النجاشي بالوقف فقال: و هو (قدس الله نفسه) و ان كان خريت *** هذا الصناعة، الا يتعرض انه لا يعتمد على قوله هنا، و ذلك لعدم ذكر الكشي آياه في الواقعة، و عدم تعرض الصدوق و الشيخ لوقفه تعرضهما للواقعة، و يؤكد ذلك ان النجاشي لم يتعرض لوقفه في ترجمته فلو كان واقفيا لكان الانساب ان يتعرض له في ترجمة نفسه.

و لم يثبت الاما الخوئي وثاقته، بل و لم يثبت حسنه، و اما قول النجاشي في ترجمة ابنه: كان هو وابوه وجهين في الواقعة و كان الحسين *** ثقة فهو لا يدل على المدح، لان كونه وجهاً عند الواقفة لا يلازم كونه وجهاً عند اصحابنا، بل ان قوله: و كان الحسين ثقة، فيه اشعار بعدم وثاقه اييه - و الله العالم - معجم رجال الحديث ١٩: ٢٤٤ - ٢٤٤ رقم ١٣٦٦٢.

* فجع العالم الاسلامي يوم السبت ٩ صفر ١٤١٣ الموافق ٨/٨/ ١٩٩٢ نبأ وفاة المرجع المظهد آية الله العظمى الإمام السيد ابو القاسم الموسوي الخوئي - طيب الله ثراه -

* الخريت (تشديد الراء و كسرهما): الدليل الحاذق و الجمع الخرات «الصحاح: ٢٤٨».

* في النجاشي: الحسن. و هناك جدل بين علماء الرجال حوله اسمه. و ظاهر الإمام الخوئي ان اسمه هو الحسين بقرينة ان كنتيه ابو عبدالله، و هي كنية المسلمين بالحسين غالباً، و يؤيده ما هو موجود في عدة كتب «معجم رجال الحديث ٥: ١٨٠ رقم ٣٢٦٢».

اقول: ما اشار اليه النجاشي في واقفيه الحسين بن ابى سعيد المكاربي كان قد ذكره الكشي - و ذكر الروايتين يظهر فيها الرجل متجاوزاً على الإمام الرضا.

و فيها يدعو الإمام الرضا عليه السلام عليه بالقول: اطفاؤه نور قلبك و ادخل القبر بيكت. اختيار معرفة الرجال ص ٧٦٥ - ٧٦٦ ح: ٨٨٥ - ٨٨٤ و كان النجاشي قد قال: و ذكر فيه ذموا و ليس هذا موضع ذكر ذلك، له كتاب نوادر كبير ثم ذكر الطريق اليه «رجال النجاشي ١: ١٣٦ رقم ٧٧».

(١٠) التوحيد: ١٤٩ ب ١٢ ح ٢.

الجهة كما هو في أصل اللغة فيمكن أن يراد به دين الله إذ به يتوسل إلى الله و يتوجه إلى رضوانه أو أئمة الدين فإنهم جهة الله و بهم يتوجه إلى الله و رضوانه و من أراد طاعة الله تعالى يتوجه إليهم.

١٤- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن علي بن سيف عن أخيه الحسين عن أبيه سيف بن عميرة النخعي عن خزيمة قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز و جل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ قال دينه و كان رسول الله صلى الله عليه وآله و أمير المؤمنين عليه السلام دين الله و وجهه و عينه في عبادته و لسانه الذي ينطق به و يده على خلقه و نحن وجه الله الذي يؤتى منه لن نزال في عبادته ما دامت لله فيهم روية قلت و ما الرواية قال الحاجة فإذا لم يكن لله فيهم حاجة رفعنا إليه فصنع ما أحب. ^(١)

بيان: قال الجوهري لنا قبلك روية أي حاجة انتهى ^(٢) و حاجة الله مجاز عن علم الخير و الصلاح فيهم.

١٥- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن هاشم عن ابن فضال عن أبي جميلة عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز و جل ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال تبارك الجبار ثم أشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار قال ﴿وَيُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ ^(٣) قال أفحم القوم و دخلتهم الهيبة و شخصت الأبصار و بَلَقَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ شاخصة أبصارهم ترهقهم الذلة و قَدْ كَانُوا يُذْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ. قال الصدوق رحمه الله قوله عليه السلام تبارك الجبار و أشار إلى ساقه فكشف عنها الإزار يعني به تبارك الجبار أن يوصف بالساق الذي هذه صفته. ^(٤)

بيان: أفحمته أسكتته في خصومة أو غيرها.

١٦- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن البرزطي عن الحسين بن موسى عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال سأله عن قول الله عز و جل ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال كشف إزاره عن ساقه و يده الأخرى على رأسه فقال سبحان ربي الأعلى.

قال الصدوق معنى قوله سبحان ربي الأعلى تنزيه لله عز و جل عن أن يكون له ساق. ^(٥)

١٧- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] المكتب و الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد ^(٦) عن أبي الحسن عليه السلام في قوله عز و جل ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ﴾ قال حجاب من نور يكشف فيقع المؤمنون سجداً أو تدمج أصلاب المنافقين فلا يستطيعون السجود. ^(٧) ج: [الإحتجاج] عن الرضا عليه السلام مثله. ^(٨)

بيان: دمج دموجا دخل في الشيء و استحكم فيه و الدامج المجتمع قوله يكشف أي عن شيء من أنوار عظمتة و آثار قدرته و اعلم أن المفسرين ذكروا في تأويل هذه الآية وجوها:

الأول: أن المراد يوم يشتد الأمر و يصعب الخطب و كشف الساق مثل في ذلك و أصله تشمير المخدرات عن سوقهن في الهرب قال حاتم.

إن عَضَّتْ بِهِ الْحَرْبُ عَضْهَا و إن شمرت عن ساقها الحرب شمرا

الثاني: أن المعنى يوم يكشف عن أصل الأمر و حقيقته بحيث يصير عيانا مستعار من ساق الشجر

(١) التوحيد: ١٥١ ب ١٢ ح ٧.

(٢) الصحاح: ٢٣٦٤.

(٣) القلم: ٤٢.

(٤) التوحيد ص ١٥٥ ب ١٤ ح ٣.

(٥) السنن في التوحيد هكذا: الدقاق، عن الأسدي، عن البرمكي، عن الحسين بن الحسن، عن بكر، عن الحسين بن سعيد. وفي عيون الأخبار: المكتب عن الأسدي، عن البرمكي، عن الحسين بن الحسن، عن بكر بن صالح، عن الحسن بن سعيد.

أقول: مرويات الحسن بن سعيد يشترك فيها مع الحسين بن سعيد إلا في ما كان الطريق إلى زرعة عن محمد الخضرمي - و فضاله بن أيوب حيث يروى الحسين عن أخيه الحسن. كذا ذكر النجاشي ١: ١٧٢ رقم ١٧١.

(٦) التوحيد: ١٥٤ ب ١٤ ح ١ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٠ - ١١١ ب ١١ ح ١٤.

(٨) الإحتجاج: ٤١١.

و ساق الإنسان و تنكيه للتوهيل أو للتنظيم.

الثالث: أن المعنى أنه يكشف عن ساق جهنم أو ساق العرش أو ساق ملك مهيب عظيم.

قال الطبرسي رحمه الله وَ يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ أَي يَقَالُ لَهُمْ عَلَى وَجْهِ التَّوْبِخِ اسْجُدُوا فَلَمَّا يَسْتَطِيعُونَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ أَنَّ شِدَّةَ الْأَمْرِ وَ صَعُوبَةَ حَالِ ذَلِكَ الْيَوْمِ تَدْعُوهُمْ إِلَى السُّجُودِ وَ إِن كَانُوا لَا يَنْتَفِعُونَ بِهِ لَيْسَ أَنَّهُمْ يُؤْمَرُونَ بِهِ وَ هَذَا كَمَا يَفْزَعُ الْإِنْسَانُ إِلَى السُّجُودِ إِذَا أَصَابَهُ هَوْلٌ مِنْ أَهْوَالِ الدُّنْيَا خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ أَي ذَلِيلَةً أَبْصَارِهِمْ لَا يَرْفَعُونَ نَظْرَهُمْ عَنِ الْأَرْضِ ذَلَّةً وَ مِهَانَةً تَرْهَقُهُمْ ذَلَّةٌ أَي تَتَشَاهَمُ ذَلَّةُ النَّدَامَةِ وَ الْحَسْرَةِ وَ قَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ أَي أَصْحَاءُ يُمْكِنُهُمُ السُّجُودُ فَلَا يَسْجُدُونَ يَعْنِي أَنَّهُمْ كَانُوا يُؤْمَرُونَ بِالصَّلَاةِ فِي الدُّنْيَا فَلَمْ يَفْعَلُوا.

و روي عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام أنها قالوا في هذه الآية أفحَمَ القوم و دخلتهم الهيبة و شخصت الأبصار وَ تَلَقَّتْ الْقُلُوبُ الْخَنَاجِرَ لَمَّا رَهَقَهُمُ مِنَ النَّدَامَةِ وَ الْخَزْيِ وَ الْمَذَلَّةِ وَ قَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَ هُمْ سَالِمُونَ أَي يَسْتَطِيعُونَ الْأَخْذَ بِمَا أَمَرُوا بِهِ وَ التَّرِكَ لَمَّا نَهَا عَنْهُ وَ لَذَلِكَ ابْتُلُوا^(١).

١٨- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن ابن أبان عن الحسين بن سعيد عن النضر عن ابن سنان عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة أنا الهادي و أنا المهدي و أنا أبو اليتامى و المساكين و زوج الأرمال و أنا ملجأ كل ضعيف و مأمّن كل خائف و أنا قائد المؤمنين إلى الجنة و أنا حبل الله المتين و أنا عروة الله الوثقى و كلمة التقوى و أنا عين الله و لسانه الصادق و يده و أنا جنب الله الذي يقول «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتْنِي عَلَى مَا قُرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ»^(٢) و أنا يد الله المبسوطة على عباده بالرحمة و المغفرة و أنا باب حطة من عرفني و عرف حقي فقد عرف ربه لأنني وصي نبيه في أرضه و حجته على خلقه لا ينكر هذا إلا راد على الله و رسوله.

قال الصدوق الجنب الطاعة في لغة العرب يقال هذا صغير في جنب الله أي في طاعة الله عز و جل فمعنى قول أمير المؤمنين عليه السلام أنا جنب الله أي أنا الذي ولايتي طاعة الله قال الله عز و جل «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتْنِي عَلَى مَا قُرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» أي في طاعة الله عز و جل.^(٣)

بيان: روي عن الباقر عليه السلام أنه قال معنى جنب الله أنه ليس شيء أقرب إلى الله من رسوله و لا أقرب إلى رسوله من وصيه فهو في القرب كالجنب و قد بين الله تعالى ذلك في كتابه بقوله «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتْنِي عَلَى مَا قُرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» يعني في ولاية أوليائه و قال الطبرسي رحمه الله الجنب القرب أي يا حسرتني على ما فرطت في قرب الله و جواره و فلان في جنب فلان أي في قربهِ و جواره و منه قوله تعالى «وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ»^(٤) و هو الرفيق في السفر و هو الذي يصحب الإنسان بأن يحصل بجنبه لكونه رفيقه قريباً منه ملاصقاً له انتهى^(٥) و العين أيضاً من المجازات الشائعة أي لما كان شاهداً على عباده مطعماً عليهم فكانه عينه و كذا اللسان فإنه لما كان يخاطب الناس من قبل الله و يعبر عنه في بريته فكانه لسانه.

١٩- شي: [تفسير العياشي] عن أبي معمر السعدي قال قال علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله «وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ»^(٦) يعني لا ينظر إليهم بخير لمن لا يرحمهم و قد يقول العرب للرجل السيد أو للملك لا تنظر إلينا يعني أنك لا تصيننا بخير و ذلك النظر من الله إلى خلقه.^(٧)

٢٠- يد: [التوحيد] [عين أخبار الرضا عليه السلام] ابن عصام عن الكليني عن أحمد بن إدريس عن ابن عيسى عن علي بن سيف عن محمد بن عبيدة قال سألت الرضا عليه السلام عن قول الله عز و جل «لَا يَلْبِسُ»^(٨) «مَنْ تَشَبَّهَ بِمَا خَلَقْتُ» بِذِي قَالَ يعني بقدرتي و قوتي.

(١) الزمر: ٥٦.

(٢) النساء: ٣٦.

(٣) مجمع البيان ٥: ٥١٠.

(٤) التوحيد: ١٦٤ - ١٦٥ ب ٢٢ ح ٢.

(٥) مجمع البيان ٤: ٧٨٧ و مجمع البيان ٢: ٧٢ و الكلام بالمعنى.

(٦) تفسير العياشي ١: ٢٠٣ ح ٧٧ و فيه: لا ينظر إليهم أي لا يرحمهم.

(٧) آل عمران: ٧٧.

قال الصدوق رحمه الله سمعت بعض مشايخ الشيعة بنيسابور يذكر في هذه الآية أن الأئمة عليهم السلام كانوا يقفون على قوله «مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتَ» ثم يبتدءون بقوله «بِيَدِي أَسْتَكْبِرُتُ أَمْ كُنْتُ مِنَ الْعَالِيينَ» قال وهذا مثل قول القائل بسيفي تقاتلني و برمحى تطاعني كأنه يقول بنعمتي عليك وإحساني إليك قويت على الاستكبار والعصيان^(١)

بيان: ما ورد في الخبر أظهر ما قيل في تفسير هذه الآية ويمكن أن يقال في توجيه التشبيه إنها لبيان أن في خلقه كمال القدرة أو أن له روحا وبدنا أحدهما من عالم الخلق والآخر من عالم الأمر أو لأنه مصدر لأفعال ملكية ومنشأ لأفعال بهيمية والثانية كأنها أثر الشمال وكلتا يديه يمين وأما حمل اليد على القدرة فهو شائع في كلام العرب تقول ما لي لهذا الأمر من يد أي قوة وطاقة وقال تعالى «وَأَوْيَعُوا الَّذِي يَبْدُو عُقْدَةُ الْكَوْكَابِ»^(٢)

وقد ذكر في الآية وجوه أخر أحدها أن اليد عبارة عن النعمة يقال أيادي فلان في حق فلان ظاهرة والمراد باليدين النعم الظاهرة والباطنة أو نعم الدين والدنيا وثانيها أن المراد خلقته بنفسي من غير توسط كآب وأم وثالثها أنه كناية عن غاية الاهتمام بخلقه فإن السلطان العظيم لا يعمل شيئا بيديه إلا إذا كانت غاية عنايته مصروفة إلى ذلك العمل.

أقول: سيأتي كثير من الأخبار المناسبة لهذا الباب في أبواب كتاب الإمامة و باب أسئلة الزنديق المدعي للتناقض في القرآن.

باب ٢

تأويل قوله تعالى وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي وَرُوحُ مِنْهُ وَ قوله عليه السلام خلق الله آدم على صورته

١- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] [الهمداني عن علي عن أبيه عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد قال قلت للرضا عليه السلام يا ابن رسول الله إن الناس يروون أن رسول الله عليه السلام قال إن الله خلق آدم على صورته فقال قاتلهم الله لقد حذفوا أول الحديث إن رسول الله عليه السلام مر برجلين يتسابان فسمع أحدهما يقول لصاحبه قبح الله وجهك و وجه من يشبهك فقال عليه السلام يا عبد الله لا تقل هذا لأخيك فإن الله عز و جل خلق آدم على صورته^(٣) ج: [الاحتجاج] مرسلًا عن الحسين مثله^(٤)

٢- مع: [معاني الأخبار] أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز و جل «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي»^(٥) قال روح اختاره الله واصطفاه و خلقه و أضافه إلى نفسه و فضله على جميع الأرواح فأمر فنفع منه في آدم عليه السلام^(٦) يد: [التوحيد] حمزة العلوي عن علي عن أبيه مثله^(٧)

٣- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] غير واحد من أصحابنا عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن بكر عن القاسم بن عروة عن عبد الحميد الطائي عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر عن قول الله عز و جل «وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» كيف هذا النفخ فقال إن الروح متحرك كالريح وإنما سمي روحا لأنه اشتق اسمه من الريح و إنما أخرجه على لفظة الروح لأن الروح مجانس للريح و إنما أضافه إلى نفسه لأنه اصطفاه على سائر الأرواح كما اصطفى

(١) التوحيد: ١٥٣ - ١٥٤ ج ١٣ ح ٢ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٠ ب ١١ ح ١٣.
(٢) البقرة: ٢٣٧.

(٣) التوحيد: ١٥٢ - ١٥٣ ج ١٢ ح ١١ و عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١٠ ب ١١ ح ١٢.

(٤) الحجر: ٢٩.

(٥) الحجر: ٢٩.

(٦) معاني الأخبار: ١٧ ج ١٣ ح ١١.

(٧) التوحيد: ١٧٠ ب ٢٧ ح ١.

بيتا من البيوت فقال بيتي وقال لرسول من الرسل خليلي وأشباه ذلك وكل ذلك مخلوق مصنوع محدث مربوب مدبر. (١)

ج: [الإحتجاج] مرسلنا عن محمد عنه (٢).

د: ج: [الإحتجاج] حمران بن أعين قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ (٣) قال هي مخلوقة خلقها الله بحكمته في آدم وفي عيسى عليه السلام (٤).

هـ: مع: [معاني الأخبار] غير واحد عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن عيسى بن هشام عن عبد الكريم بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل ﴿فَإِذَا سُوِّئْتُمْ وَنَقَحْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ قال من قدرتي (٥) يد: [التوحيد] بالإسناد عن العباس عن ابن أسباط عن سيف بن عميرة عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام مثله (٦).

٦- يد: [التوحيد] القطان عن السكري عن الحكم بن أسلم عن ابن عيينة (٧) عن الجريري عن أبي الورد بن ثمامة عن علي عليه السلام قال سمع النبي صلى الله عليه وآله رجلا يقول لرجل قبح الله وجهك ووجه من يشبهك فقال عليه السلام مه لا تقل هذا فإن الله خلق آدم على صورته (٨).

قال الصدوق رحمه الله تركت المشبه من هذا الحديث أوله وقالوا إن الله خلق آدم على صورته فضلوا في معناه وأصلوا (٩).

٧- يد: [التوحيد] السناني والمكتب والدقاق جميعا عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن عيسى بن هشام عن عبد الكريم بن عمرو عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل ﴿فَإِذَا سُوِّئْتُمْ وَنَقَحْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ قال إن الله عز وجل خلق خلقا وخلق روحا ثم أمر ملكا فنفع فيه وليست (١٠) بالتي نقصت من قدرة الله شيئا هي من قدرته (١١) شي: [تفسير العياشي] عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام مثله (١٢).

٨- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي جعفر الأصم قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن الروح التي في آدم والتي في عيسى ما هما قال روحان مخلوقان اختارهما واصطفاهما روح آدم وروح عيسى صلوات الله عليهما (١٣).

٩- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن ابن فضال عن الحلبي ووزارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى أحد صمد ليس له جوف وإنما الروح خلق من خلقه نصر وتأييد وقوة يجعله الله في قلوب الرسل والمؤمنين (١٤).

١٠- شي: [تفسير العياشي] عن وزارة و حمران عن أبي جعفر و أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿يَسْتَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ (١٥) قالوا إن الله تبارك وتعالى وذكر مثله (١٦).

١١- شي: [تفسير العياشي] عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال سألت عن قول الله ﴿وَنَقَحْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ فَقَعَا لَهُ سَاجِدِينَ قال روح خلقها الله فنفع في آدم منها (١٧).

١٢- شي: [تفسير العياشي] عن محمد بن أورمة عن أبي جعفر الأخول عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن الروح التي في آدم قوله ﴿فَإِذَا سُوِّئْتُمْ وَنَقَحْتُمْ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾ قال هذه روح مخلوقة لله والروح التي في عيسى ابن مريم مخلوقة لله (١٨).

(١) التوحيد: ١٧١ ب ٢٧ ح ٣ ومعاني الأخبار: ١٧ ب ١٣ ح ١٢.

(٢) الإحتجاج: ٣٢٣ وفيه، وإنما أخرجه على لفظة الريح لأن الروح مجانس للريح.

(٣) النساء: ١٧١.

(٤) معاني الأخبار: ١٧ ب ١٣ ح ١٢.

(٥) التوحيد: ١٧٢ ب ٢٧ ح ٦.

(٦) التوحيد: ١٥٢ ب ١٧ ح ١٠.

(٧) في «أ» والمصدر: فليست.

(٨) تفسير العياشي ٢: ٢٦١ ح ١٠ من سورة الحجر.

(٩) التوحيد: ١٧١ ب ١٧٢ ح ٢٧ ح ٤.

(١٠) التوحيد: ١٧١ ب ٢٧ ح ٢ وفيه، أحد صمد، والصمد الشيء الذي ليس له جوف، وإنما الروح خلق من خلقه له بصر وقوة وتأييد.

(١١) الأسراء: ٨٥.

(١٢) تفسير العياشي ٢: ٢٦١ سورة الحجر ح ٩.

(١٣) تفسير العياشي ٢: ٢٦١ سورة الحجر ح ٨.

١٣- شى: [تفسير العياشي] في رواية سماعة عنه ﷺ خلق آدم فنفخ فيه وسأله عن الروح قال هي من قدرته من الملكوت. (١)

١٤- يد: [التوحيد] ابن البرقي عن أبيه عن جده أحمد عن أبيه عن عبد الله بن بحر عن أبي أيوب عن محمد بن مسلم قال سألت أبا جعفر ﷺ عما يروون أن الله عز وجل خلق آدم على صورته فقال هي صورة محدثة مخلوقة اصطفاه الله واختارها على سائر الصور المختلفة فأضافها إلى نفسه كما أضاف الكعبة إلى نفسه والروح إلى نفسه فقال بيتي وقال نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي. (٢)
ج: [الإحتجاج] عن محمد مثله. (٣)

بيان: هذا الخبر لا ينافي ما سبق لأنه تأويل على تقدير عدم ذكر أوله كما يرويه من حذف منه ما حذف.

تذنيب: قال السيد المرتضى قدس الله روحه في كتاب تنزيه الأنبياء فإن قيل ما معنى الخبر المروي عن النبي ﷺ أنه قال إن الله خلق آدم على صورته أو ليس ظاهر هذا الخبر يقتضي التشبيه وإن له تعالى عن ذلك صورة قلنا قد قيل في تأويل هذا الخبر أن الهاء في صورته إذا صح هذا الخبر راجعة إلى آدم ﷺ دون الله تعالى فكان المعنى أنه تعالى خلقه على الصورة التي قبض عليها فإن حاله لم يتغير في الصورة بزيادة ولا نقصان كما يتغير أحوال البشر وذكر وجه ثان وهو على أن تكون الهاء راجعة إلى الله تعالى ويكون المعنى أنه خلقه على الصورة التي اختارها واجتباها لأن الشيء قد يضاف على هذا الوجه إلى مختاره ومصطفاه (٤) وذكر أيضا وجه ثالث وهو أن هذا الكلام خرج على سبب معروف لأن الزهري روى عن الحسن أنه كان يقول مر رسول الله ﷺ برجل من الأنصار وهو يضرب وجه غلام له ويقول قبح الله وجهك وجه من تشبهه فقال النبي ﷺ بئس ما قلت فإن الله خلق آدم على صورته يعني صورة المضروب ويمكن في الخبر وجه رابع وهو أن يكون المراد أن الله تعالى خلق آدم وخلق صورته ليستفي بذلك الشك في أن تأليفه من فعل غيره لأن التأليف من جنس مقدور البشر والجواهر وما شاكلها من الأجناس المخصوصة من الأعراض هي التي يتفرد القديم تعالى بالقدرة عليها فيمكن قبل النظر أن يكون الجواهر من فعله وتأليفها من فعل غيره فكأنه ﷺ أخبر بهذه الفائدة الجليلة وهو أن جوهر آدم وتأليفه من فعل الله تعالى ويمكن وجه خامس وهو أن يكون المعنى أن الله أنشأ على هذه الصورة التي شاهدها عليها على سبيل الابتداء وأنه لم ينتقل إليها ويتدرج كما جرت العادة في البشر وكل هذه الوجوه جائز في معنى الخبر والله تعالى ورسوله ﷺ أعلم بالمراد انتهى كلامه رفع الله مقامه. (٥)

أقول: وفيه وجه سادس ذكره جماعة من شراح الحديث وهو أن المراد بالصورة الصفة من كونه سميعا بصيرا متكلمًا وجعله قابلا للانصاف بصفاته الكمالية والجلالية على وجه لا يفضي إلى التشبيه والأولى الاقتصاد على ما ورد في النصوص عن الصادقين ﷺ وقد روت العامة الوجه الأول المروي عن أمير المؤمنين وعن الرضا صلوات الله عليهما بطرق متعددة في كتبهم.

(٢) التوحيد: ١٠٣ ب ٦ ج ١٨.

(٤) كذا في «أ» والمصدر وفي «ط» مصطفاه.

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٦١ سورة الحجر ج ١١.

(٣) الإحتجاج: ٢٢٣.

(٥) تنزيه الأنبياء: ١٢٧ - ١٢٨.

١- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد بن ابن يزيد عن العباس بن هلال^(١) قال سألت الرضا^(ع) عن قول الله عز وجل «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»^(٢) فقال هاد لأهل السماء و هاد لأهل الأرض.

٢- وفي رواية البرقي هدى من في السماوات و هدى من في الأرض.^(٣)

٣- ج: [الاحتجاج] عن العباس بن هلال قال سألت أبا الحسن^(ع) عن قول الله عز وجل «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» فقال^(٤) هادي من في السماوات و هادي من في الأرض.^(٥)

٤- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] إبراهيم بن هارون الهيصي^(٦) عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج عن الحسين بن أيوب عن محمد بن غالب عن علي بن الحسين عن الحسن بن أيوب عن الحسين بن سليمان عن محمد بن مروان الذهلي عن الفضيل بن يسار قال قلت لأبي عبد الله^(ع) «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال كذلك الله عز وجل قال قلت «مَثَلُ نُورِهِ» قال لي محمد^(ع) قلت «كَمِشْكَاهٍ» قال صدر محمد^(ع) قلت «فِيهَا مِصْبَاحٌ» قال فيه نور العلم يعني النبوة قلت «الْمِصْبَاحُ فِي رُجَاجَةٍ» قال علم رسول الله^(ص) صدر إلى قلب علي^(ع) قلت «كَأَنَّهَا» قال لأي شيء تقرأ كأنها قلت وكيف جعلت فذاك قال كأنه كوكب دري قلت «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ» قال ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(ع) لا يهودي ولا نصراني قلت «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَنْفَسْهُ نَازًا» قال يكاد العلم يخرج من فم العالم من آل محمد من قبل أن ينطق به قلت «نُورٌ عَلَى نُورٍ» قال الإمام على أثر الإمام.^(٧)

قال الصدوق رحمه الله إن المشبهة تفسر هذه الآية على أنه ضياء السماوات والأرض ولو كان لذلك لما جاز أن توجد الأرض مظلمة في وقت من الأوقات بالليل ولا بالنهار لأن الله هو نورها وضياؤها على تأويلهم وهو موجود غير معدوم فوجود الأرض مظلمة بالليل ووجودنا داخلها أيضا مظلمًا بالنهار يدل على أن تأويل قوله «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» هو ما قاله الرضا^(ع) دون تأويل المشبهة وإنه عز وجل هادي أهل السماوات والأرض والمبين لأهل السماوات والأرض أمور دينهم^(٨) ومصلحتهم فلما كان بالله وبهاده يهتدي أهل السماوات والأرض إلى صلاحهم وأمور دينهم كما يهتدون بالنور الذي خلقه الله لهم في السماوات والأرض إلى إصلاح دنياهم^(٩) قال إنه نور السماوات والأرض على هذا المعنى وأجرى على نفسه هذا الاسم توسعا ومجازا لأن العقول دالة على أن الله عز وجل لا يجوز أن يكون نورا ولا ضياء ولا من جنس الأنوار والضياء لأنه خالق الأنوار وخالق جميع أجناس الأشياء وقد دل على ذلك أيضا قوله «مَثَلُ نُورِهِ» وإنما أراد به صفة نوره وهذا النور هو غيره لأنه شبهه بالمصباح وضوئه الذي ذكره وصفه في هذه الآية ولا يجوز أن يشبه نفسه بالمصباح لأن الله لا شبه له ولا نظير فصح أن نوره الذي شبهه بالمصباح إنما هو دلالة أهل السماوات والأرض على مصالح دينهم وعلى توحيد ربهم وحكمته وعدله ثم بين وضوح دلالة هذه سماها نورا من حيث يهتدي بها عباده إلى دينهم وصلاحهم فقال مثله مثل كوة وهي المشكاة فيها المصباح والمصباح هو السراج في زجاجة صافية شبيهة بالكوكب الذي^(١٠) هو الكوكب المشبه بالدر في لونه وهذا المصباح الذي في هذه الزجاجة الصافية يتوقد من زيت زيتونة مباركة وأراد به زيتون

(١) العباس بن هلال الشامي، قال النجاشي: روى عن الرضا^(ع) ثم ذكر طريقه إليه. رجال النجاشي ٢: ١٢٢ رقم ٧٤٧. و اكتفى الشيخ بذكر اسمه ضمن أصحاب الرضا^(ع) في رجاله: ٣٨٢ رقم ٣٩ وكان الكليني قد ذكر في الكافي أنه مولى لأبي الحسن الكاظم^(ع). الكافي ٢: ٢٧٥

ب ١١١ ح ٢٩.

(٢) التوحيد: ١٥٥ ب ١٥ ح ١٥، معاني الأخبار: ١٥ ب ١٣ ح ٦. (٤) الاحتجاج: ٤٥٠.

(٥) في التوحيد: إبراهيم بن هارون الهيصي. وفي المعاني: الهيصي.

(٦) التوحيد: ١٥٧ - ١٥٨ ب ١٥ ح ٣. والحديث الذي يليه يماثل في المعنى وأغلب الجمل. معاني الأخبار ص ١٥ ب ١٣ ح ٧.

(٧) وفي نسخة: أمورهم. وكذا فيما يأتي بعد ذلك. (٨) في المصدر: صلاح دنياهم.

(٩) كذا في «أ» وفي المصدر، أما وفي «ط» شبهة بالكوكب الذي هو الكوكب المشبه.



الشام لأنه يقال إنه بورك فيه لأهله و عني عز و جل بقوله ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ إن هذه الزيتون ليست بشرقية فلا تسقط الشمس عليها في وقت الغروب و لا غربية و لا تسقط الشمس عليها في وقت الطلوع بل هي في أعلى شجرها و الشمس تسقط عليها في طول نهارها فهو أجود لها و أضوأ لزيتها ثم أكد وصفه لصفاء زيتها فقال ﴿يَكَادُ رِزْقُهَا يُغْضِي﴾ و لَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ لما فيها^(١) من الصفاء فبين أن دلالات الله التي بها دل عبادته في السماوات و الأرض على مصالحهم و على أمور دينهم في الوضوح و البيان بمنزلة هذا المصباح الذي في هذه الزجاج الصافية و يتوقد بها الزيت الصافي الذي وصفه فيجتمع فيه ضوء النار مع ضوء الزجاج و ضوء الزيت هو معنى قوله ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ و عني بقوله عز و جل ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يعني من عبادته و هم المكلفون ليعرفوا بذلك و يهتدوا به و يستدلوا به على توحيد ربهم و سائر أمور دينهم و قد دل الله عز و جل بهذه الآية و بما ذكره من وضوح دلالاته و آياته التي دل بها عبادته على دينهم أن أحدا منهم لم يؤت فيما صار إليه من الجهل و من تضيع الدين لشبهة و لبس دخلا عليه في ذلك من قبل الله عز و جل إذ كان الله عز و جل قد بين لهم دلالاته و آياته على سبيل ما وصف و أنهم إنما أتوا^(٢) في ذلك من قبل نفوسهم^(٣) بتركهم النظر في دلالات الله و الاستدلال بها على الله عز و جل و على صلاحهم في دينهم و بين أنه بكل شيء من مصالح عبادته و من غير ذلك عليهم^(٤).

و قد روي عن الصادق عليه السلام أنه سئل عن قول الله عز و جل ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فقال هو مثل ضربه الله لنا فالنبي و الأئمة صلوات الله عليهم من دلالات الله و آياته التي يهتدى بها إلى التوحيد و مصالح الدين و شرائع الإسلام و السنن و الفرائض و لا قوة إلا بالله العلي العظيم^(٥).

٥- فسن: [تفسير القمي] حميد بن زياد عن محمد بن الحسين عن محمد بن يحيى عن طلحة بن زيد عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام في هذه الآية ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال بدأ بنور نفسه تعالى ﴿مَثَلُ نُورِهِ﴾ مثل هداه في قلب المؤمن قوله ﴿كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ المشكاة جوف المؤمن و القنديل قلبه و المصباح النور الذي جعله الله فيه ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ قال الشجرة المؤمن ﴿رِزْقُوتُهُ لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ قال على سواء الجبل ﴿لَا غَرْبِيَّةٌ﴾ أي لا شرق لها و لا شرقية أي لا غرب لها إذا طلعت الشمس طلعت عليها و إذا غربت غربت عليها ﴿يَكَادُ رِزْقُهَا﴾ يعني يكاد النور الذي جعله الله في قلبه يغضي و إن لم يتكلم ﴿نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ فريضة على فريضة و سنة على سنة ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ يهدي الله لفرائضه و سننه من يشاء و وَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ و هذا مثل^(٦) ضربه الله للمؤمن ثم قال فالؤمن من يتقلب في خمسة من النور مدخله نور و مخرجه نور و علمه نور و كلامه نور و مصيره يوم القيامة إلى الجنة نور قلت لجعفر عليه السلام جعلت فداك يا سيدي إنهم يقولون مثل نور الرب قال سبحانه الله ليس لله بمثل ما قال الله فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ^(٧).

بيان: قوله عليه السلام الشجرة المؤمن لعل المراد أن نور الإيمان الذي جعله الله^(٨) في قلب المؤمن يتقد من أعمال صالحة هي ثمرة شجرة مباركة هي المؤمن المهندي و يحتمل أن يكون المراد بالمؤمن المؤمن الكامل و هو الإمام عليه السلام و لا يبعد أن يكون المؤمن تصحييف الإيمان أو القرآن أو نحن أو الإمام.

٦- فسن: [تفسير القمي] محمد بن همام عن جعفر بن محمد عن محمد بن الحسن الصائغ عن الحسن بن علي عن صالح بن سهل الهمداني قال سمعت أبا عبد الله يقول في قول الله عز و جل ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ فاطمة عليها السلام ﴿فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ الحسن و ﴿الْمِصْبَاحُ﴾ الحسين ﴿فِي رُجَاةٍ الرُّجَاةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دَرِّيٌّ﴾ كأن فاطمة كوكب دري بين نساء أهل الدنيا ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ يوقد من إبراهيم عليه السلام ﴿لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ﴾ لا يهودية و لا نصرانية ﴿يَكَادُ رِزْقُهَا﴾ يكاد العلم يتفجر منها^(٩) ﴿وَلَوْلَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي

(١) وفي «أ»: نور لما فيها.

(٢) وفي نسخة: من قبل أنفسهم. وكذا في المصدر.

(٣) التوحيد: ١٥٧ - ١٥٥ ب ١٥٧ ذيل ح ١.

(٤) في «أ»: فهذا مثل.

(٥) في «أ»: الذي جعل الله.

(٦) التوحيد: ١٥٧ ب ١٥٥ ح ٢.

(٧) تفسير القمي ٢: ٧٩.

(٨) وفي نسخة: يتفجر منها.

اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۖ يَهْدِي اللَّهُ بِالْأَنُومَةِ ۖ مِنْ يَشَاءُ. (١)

توضيح: قوله ﷺ والمصباح الحسين أي المصباح المذكور في الآية ثانياً وعلى هذا الخبر تكون المشكاة والزجاجة كنايةين عن فاطمة ؑ.

٧- كا: [الكافي] علي بن محمد عن علي بن العباس عن علي بن حماد عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر قال إن الله وضع العلم الذي كان عنده عند الوصي وهو قول الله «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يقول أنا هادي السماوات والأرض مثل العلم الذي أعطيته وهو نور الذي يهتدي به مثل المشكاة فيها المصباح فالمشكاة قلب محمد ﷺ والمصباح النور الذي فيه العلم وقوله «الْمِصْبَاحُ فِي رُجَائِجِهِ» يقول إني أريد أن أقبضك فاجعل الذي عندك عند الوصي كما يجعل المصباح في الزجاجة «كَأَنَّهُا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» فأعلمهم فضل الوصي «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» فأصل الشجرة المباركة إبراهيم صلى الله عليه وهو قول الله عز وجل «رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ» (٢) وهو قول الله عز وجل «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ذُرِّيَّتَهُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٣) «لَا شَرِيقَ وَلَا غَرِيبَ» يقول لستم بيهود فتصلوا قبل المغرب ولا نصارى فتصلوا قبل المشرق وأنتم علي ملة إبراهيم صلوات الله عليه وقد قال الله عز وجل «مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (٤) وقوله عز وجل «يَكَادُ زَيْتُنُهَا يُضيءُ» ولَوْلَمْ تَفْسَسْهُ نَارُ نُورٍ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ۖ يقول مثل أولادكم الذين يولدون منكم كمثل الزيت الذي يعصر من الزيتون «يَكَادُ زَيْتُنُهَا يُضيءُ» يقول يكادون أن يتكلموا بالنبوة ولو لم ينزل عليهم ملك. (٥)
أقول: سياطي الأخبار الكثيرة في تأويل تلك الآية في كتاب الإمامة في باب أنهم أنوار الله.

تنوير:

قال البيضاوي النور في الأصل كيفية تدركها الباصرة أولاً وبواسطتها سائر المبصرات كالكيفية الفائضة من التبرير على الأجرام الكثيفة المحاذية لهما وهو بهذا المعنى لا يصح إطلاقه على الله تعالى إلا بتقدير مضاف كقولك زيد كرم بمعنى ذكركم أو على تجوز بمعنى منور السماوات والأرض وقد قرئ به فإنه تعالى نورها بالكواكب وما يفيض عنها من الأنوار وبالملائكة والأنبياء أو مدبرها من قولهم للرئيس الفائق في التدبير نور القوم لأنهم يهتدون به في الأمور أو موجدها فإن النور ظاهر بذاته مظهر لغيره وأصل الظهور هو الوجود كما أن أصل الخفاء هو العدم والله سبحانه موجود بذاته موجد لما عده أو الذي به يدرك أو يدرك أهلها من حيث إنه يطلق على الباصرة لتعلقها به أو لمشاركتها له في توقف الإدراك عليه ثم على البصيرة لأنها أقوى إدراكاً فإنها تدرك نفسها وغيرها من الكليات والجزئيات الموجودات والمعدومات ويغوص في بواطنها ويتصرف فيها بالتركيب والتحليل ثم إن هذه الإدراكات ليست بذاتها وإلا لما فارتقتها فهي إذن من سبب يفيضها عليها وهو الله تعالى ابتداءً أو بتوسط من الملائكة والأنبياء ولذلك سما أنواراً.

و يقرب منه قول ابن عباس معناه هادي من فيهما فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشارته واشتمالهما على الأنوار الحسية والعقلية وقصور الإدراكات البشرية عليهما وعلى المتعلق بهما والمدلول لهما. (١)
«مَثَلُ نُورِهِ» صفة نوره العجيبة الشأن وإضافته إلى ضميره سبحانه دليل على أن إطلاقه عليه لم يكن على ظاهر «كَمِشْكَاتِهِ» كصفة مشكاة وهي الكوة الغير النافذة «فِيهَا مِصْبَاحٌ» سراج ضخم ثابت وقيل المشكاة الأنبوبة في وسط القنديل والمصباح القنبلة المشتعلة «الْمِصْبَاحُ فِي رُجَائِجِهِ» في قنديل من الزجاج «الرُّجَائِجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ» مضيء متألل كالزهرة في صفاته وزهرته منسوب إلى الدر أو فصيل كبريك من الدر فإنه يدفع الظلام بضوئه أو بعض ضوئه بعضاً من لمعانه إلا أنه قلب همزته ياء ويدل عليه قراءة حمزة وأبي بكر على الأصل وقراءة

(٢) هود: ٧٣.

(٤) آل عمران: ٦٧.

(١) تفسير القمي ٢: ٧٨ - ٧٩.

(٢) آل عمران: ٣٣ - ٣٤.

(٥) الكافي ٨: ٣٧٩ - ٣٨١ ح ٥٧٤.

أبي عمرو والكسائي دري: كشرِب و قد قرئ به مقلوبا «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ» أي ابتداء توقد المصباح من شجرة الزيتون المتكاثرة نفعه بأن رويت زبالتها بزيتها^(١) وفي إيهام الشجرة وصفه بالبركة ثم إبدال الزيتون عنها تفخيم لشأنها وقرأ نافع وابن عامر وحفص بالياء والبناء للمفعول من أوقد و الكسائي وأبو بكر بالتاء كذلك على إسناده إلى الزجاجية بحذف المضاف و قرئ توقد بمعنى تتوقد و توقد بحذف التاء لاجتماع الزياتين و هو غريب «لَا شَرْقِيَّةٌ وَلَا غَرْبِيَّةٌ» يقع الشمس عليها حين بل بحيث يقع عليها طول النهار كالتى تكون على قلة أو صحراء واسعة فإن ثمرتها تكون أنضج وزيتها أصفى أو لا ثابتة^(٢) في شرق المعمورة وغربها بل في وسطها و هو الشام فإن زيتونه أجود الزيتون أو لا في مضى^(٣) تشرق الشمس عليها دائما فتحرقها ومقناة تغيب عنها دائما فيتركها نيا وفي الحديث لا خير في شجرة ولا في نبات في مقناة^(٤) ولا خير فيها في مضى «يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ» وَلَوْ لَمْ تُنْسَسْهُ نَارٌ أي يكاد يضيء بنفسه من غير نار للتأله و فرط بيضه^(٥) «نُورٌ عَلَى نُورٍ» متضاعف فإن نور المصباح زاد في إنارته صفاء الزيت وزهرة القنديل وضبط المشكاة لأشعثه.

و قد ذكر في معنى التمثيل وجوه:

الأول: أنه تمثيل للهدى الذي دل عليه الآيات البينات في جلاء مضمونها وظهور ما تضمنته من الهدى بالمشكاة المنعوتة أو تشبيه للهدى من حيث إنه محفوظ من ظلمات أوهام الناس وخيالاتهم بالمصباح وإنما ولي الكاف المشكاة لاشتمالها عليها وتشبيهه به أوفق من تشبيهه بالشمس أو تمثيل لما نور الله به قلب المؤمن من المعارف والعلوم بنور المشكاة المثبت فيها من مصباحها ويؤيده قراءة أبي مثل نور المؤمن أو تمثيل لما منح الله عباده من القوى الدراكة الخمس المترتبة التي بها المعاش والمعاد وهي الحاسة التي تدرك المحسوسات بالحواس الخمس والخيالية التي تحفظ صورة تلك المحسوسات لتعرضها على القوة العقلية متى شاءت والعلمية التي تدرك الحقائق الكلية والفكرة وهي التي تؤلف المعقولات لتستنتج منها علم ما لم تعلم والقوة القدسية التي يتجلى فيها لواضع الغيب وأسرار الملكوت المختصة بالأنبياء والأولياء المعنية بقوله تعالى «وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا»^(٦) بالأشياء الخمسة المذكورة في الآية وهي المشكاة والزجاجة والمصباح والشجرة والزيت فإن الحاسة كالمشكاة لأن محلها كالكرة وجهها إلى الظاهر لا يدرك ما وراءها وإضاءتها بالمعقولات لا بالذات والخيالية كالزجاجة في قبول صور المدركات من الجوانب وضبطها للأنوار العقلية وإنارتها بما يشتمل عليها من المعقولات والعاقلة كالمصباح لإضاءتها بالإدراكات الكلية والمعارف الإلهية والفكرة كالشجرة المباركة لتأديتها إلى ثمرات لا نهاية لها والزيتونة المثمرة بالزيت الذي هو مادة المصباح التي لا تكون شرقية ولا غربية لتجردها عن اللواحق الجسمية أو لوقوعها بين الصور والمعاني متصرفة في القبيلتين منتفعة من الجانبين والقوة القدسية كالزيت فإنها لصفاتها وشدة ذكائها تكاد زيتها تضيء بالمعارف من غير تفكر ولا تعليم.

أو تمثيل للقوة العقلية في مراتبها بذلك فإنها في بدء أمرها خالية عن العلوم مستعدة لقبولها كالمشكاة ثم ينتش بالعلوم الضرورية بتوسط إحساس الجزئيات بحيث يتمكن من تحصيل النظريات فتصير كالزجاجة متألثة في نفسها قابلة للأنوار وذلك الممكن إن كان بفكر واجتهاد فكالشجرة الزيتون وإن كان بالحدس فكالزيت وإن كان بقوة قدسية فكالذي يكاد زيتها يضيء لأنها تكاد تعلم وإن لم تتصل بملك الوحي والإلهام الذي مثله النار من حيث إن العقول تشتعل عنها ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث يتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح فإذا استحضرها كان نوراً على نور «يَهْدِي اللَّهُ لِلنَّوْرِ» الثاقب «مَنْ يَشَاءُ» فإن الأسباب دون مشيئته لاغية إذ بها تمامها «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَنْشُلَ لِلنَّاسِ» إثناء للمعقول من المحسوس توضيحا وبيانا «وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» معقولا كان أو محسوسا ظاهرا أو خفيا وفيه وعد وعيد لمن تدبرها ولمن لم يكثر بها انتهى.^(٧)

(١) كذا في «أ» ما في «ط»: زبالتها. والذبال: القبيلة التي تسرج. لسان العرب ٢٦:٥.

(٢) كذا في «أ» والمصدر. وفي «ط» ثابتة.

(٣) المضاعف: الأرض البارزة التي لا تكاد الشمس تغيب عنها. لسان العرب ٣٠:٨.

(٤) المقناة والمقنوة: الموضع الذي لا تصيبه الشمس في الشتاء. لسان العرب ١١:٣١٢.

(٥) ط: بياض.

(٦) الشورى: ٥٢.

(٧) تفسير البياضى ١٩٨:١ - ٢٠١ وفيه فروق يسيرة منها: وفي إيهام الشجرة وصفها. وكذا: وقرىء توقد من تتوقد. وكذا: في جلاء

و قال الطبرسي رحمه الله اختلف في هذا التشبيه و المشبه به على أقوال:

أحدها: أنه مثل ضربه الله لنبيه محمد ﷺ فالمشكاة صدره و الزجاجة قلبه و المصباح فيه النبوة «لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ» أي لا يهودية و لا نصرانية «يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» يعني شجرة النبوة و هي إبراهيم يكاد نور محمد يتبين^(١) و لو لم يتكلم به كما أن ذلك الزيت يكاد يضيء «وَلَوْ لَمْ تَنْفَسْهُ نَارٌ أَيْ تَصْبِيهِ النَّارُ» و قيل إن المشكاة إبراهيم و الزجاجة إسماعيل و المصباح محمد كما سمي سراجا في موضع آخر «مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ» يعني إبراهيم لأن أكثر الأنبياء من صلبه «لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ» لا نصرانية و لا يهودية لأن النصارى تصلي إلى المشرق و اليهود تصلي إلى المغرب يكادُ رَئِيسُهَا يَضيءُ أي يكاد محاسن محمد تظهر قبل أن يوحى إليه «نُورٌ عَلَى نُورٍ» أي نبي من نسل نبي و قيل إن المشكاة عبد المطلب و الزجاجة عبد الله و المصباح هو النبي لَا شَرْقِيَّةَ وَلَا غَرْبِيَّةَ بل مكية لأن مكة وسط الدنيا.

و روي عن الرضا^(٢) أنه قال نحن المشكاة و المصباح محمد ﷺ يهدي الله لولايتنا من أحب و ثانیها: أنها مثل ضربه الله للمؤمن المشكاة نفسه و الزجاجة صدره و المصباح الإيمان و القرآن في قلبه يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ هي الإخلاص لله وحده لا شريك له فهي خضراء ناعمة كشجرة التفت بها الشجر فلا يصيبها الشمس على أي حال كانت لا إذا طلعت و لا إذا غربت و كذلك المؤمن قد احتزن من أن يصيبه شيء من الفتن فهو بين أربع خلال إن أعطي شكر و إن ابتلي صبر و إن حكم عدل و إن قال صدق فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي بين قبور الأموات نُورٌ عَلَى نُورٍ كلامه نور و عمله نور و مدخله نور و مخرجه نور و مصيره إلى نور يوم القيامة عن أبي بن كعب.

و ثالثها: أنه مثل القرآن في قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به و هو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به و يعمل به فالمصباح هو القرآن و الزجاجة قلب المؤمن و المشكاة لسانه و فمه و الشجرة المباركة شجرة الوحي «يَكَادُ رَئِيسُهَا يَضيءُ» تكاد حجج القرآن تتضح و إن لم يقرأ و قيل تكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها و تدبرها و لو لم ينزل القرآن نُورٌ عَلَى نُورٍ أي أن القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا به نورا على نور انتهى كلامه رحمه الله.^(٣)

معنى حجة الله عز و جل

باب ٤

١- (يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي الجارود عن محمد بن بشر الهمداني قال سمعت محمد بن الحنفية يقول حدثني أمير المؤمنين^(١) أن رسول الله ﷺ يوم القيامة أخذ بحجة الله و نحن أخذون بحجة نبينا و شيعتنا أخذون بحجرتنا قلت.

يا أمير المؤمنين و ما الحجة قال الله أعظم من أن يوصف بحجة أو غير ذلك و لكن رسول الله ﷺ أخذ بأمر الله و نحن آل محمد أخذون بأمر نبينا و شيعتنا أخذون بأمرنا.^(٢)

٢- (يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا^(٣)] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن الحسن بن علي الخزاز عن أبي الحسن الرضا^(٤) قال إن رسول الله ﷺ يوم القيامة أخذ بحجة الله و نحن أخذون بحجة نبينا و شيعتنا أخذون بحجرتنا ثم قال الحجة النور.^(٥)

مدلولها و ظهور. و كذا: و هي الحاسة التي تترك بها المحسوسات. و كذا: من حيث إن العقول تشغل عنه ثم إذا حصلت لها العلوم بحيث تتمكن من استحضارها متى شاءت كان كالمصباح. فإذا استحضرتها كان نورا على نور.

(١) كذا في «أ» و المصدر. وفي «ط» يتبين.

(٢) مجمع البيان ٤: ٢٢٥ - ٢٢٧ ب فيه: يمشي بين القبور.

(٣) التوحيد: ١٦٥ ب ٢٣ و فيه: أعظم من أن يوصف بالحجة.

(٤) عيون أخبار الرضا^(٥) ١: ١١٦ ب ١١ ج ٢٠. التوحيد: ١٦٥ - ١٦٦ ب ٢٣ ح ٢.



٣- ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] - يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن الحسن بن يوسف عن عبد السلام عن عمار عن أبي اليقظان عن أبي عبد الله عليه السلام قال يحيى رسول الله ص يوم القيامة أخذًا بحجزة ربه ونحن آخذون بحجزة نبينا وشيعتنا آخذون بحجزة فنحن وشيعتنا حزب الله وحزب الله هم الغالبون والله ما نزع منها حجة الإزار ولكنها أعظم من ذلك يحيى رسول الله ص أخذًا بدين الله ونجى نحن آخذين بدين نبينا ويحيى شيعتنا آخذين بديننا.

٤- وقد روي عن الصادق عليه السلام أنه قال الصلاة حجة الله وذلك أنها تحجز المصلي عن المعاصي ما دام في صلاته قال الله عز وجل «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ» (١) (٢).

بيان: الأخذ بالحجزة كناية عن التمسك بالسبب الذي جعلوه في الدنيا بينهم وبين ربه ونبيهم وحججهم أي الأخذ بدينهم وطاعتهم ومتابعة أمرهم وتلك الأسباب الحسنة تتمثل في الآخرة بالأنوار فإذا عرفت ذلك فاعلم أن مضامين تلك الأخبار ترجع إلى أمر واحد فقله عليه السلام في الخبر الأول ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بأمر الله أي بما عمل به من أوامر الله فيحتج في ذلك اليوم وبتمسك بأنه عمل بما أمره الله به وكذا النور الذي ورد في الخبر الثاني يرجع إلى ذلك إذ الأدب والأخلاق والأعمال الحسنة أنوار معنوية تظهر للناس في القيامة والثالث ظاهر قال الجزري فيه إن الرحم أخذت بحجزة الرحمن أي اعتصمت به والتجأت إليه مستجيرة وأصل الحجزة موضع شد الإزار ثم قيل للإزار حجة للمجاورة واحتجز الرجل بالإزار إذا شده على وسطه فاستعاره للاعتصام والاتجاء والتمسك بالشيء والتعلق به ومنه الحديث الآخر يا ليتني أخذ بحجزة الله أي بسبب منه. (٣)

نفي الرؤية وتأويل الآيات فيها

باب ٥

الآيات:

النساء: «يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِنْ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ» ١٥٣.

الأنعام: «لَا تَذَرِكُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ١٠٣.

١- لي: [الأمالي للصديق] أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عن علي بن معبد عن واصل عن عبد الله بن سنان عن أبيه قال حضرت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام ودخل عليه رجل من الخوارج فقال يا أبا جعفر أي شيء تعبد قال الله قال رأيته قال لم تره العيون بمشاهدة العيان ورأته القلوب بحقائق الإيمان لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس موصوف بالآيات معروف بالعلامات لا يجوز في حكمه ذلك الله لا إله إلا هو قال فخرج الرجل وهو يقول اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ (٤) رسالته (٥).

يد: [التوحيد] أبي عن علي عن أبيه عن علي بن معبد عن عبد الله بن سنان عن أبيه مثله. (٦)

ج: [الإحتجاج] مرسلًا عن عبد الله بن سنان عن أبيه مثله. (٧)

(١) العنكبوت ٤٥. (٢) التوحيد: ١٦٦ ب ٢٣ ح ٣ - ٤.

(٣) النهاية في غريب الحديث والاثار ٣٤٤: ١ وفيه: والنبي أخذ بحجزة الله.

(٤) وفي نسخة: حيث يجعل رسالته.

(٥) أمالي الصديق ص ٢٢٩ م ٧٢ ح ٤٤ وقد سقطت منه عبارة: ولا يدرك بالحواس.

(٦) التوحيد: ١٠٨ ب ٨ ح ٥ مع فروق يسيرة.

(٧) الإحتجاج: ٣٢١ وفيه: بلى لم تره العيون بمشاهدة الابصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان. ولا يعرف بالقياس. لا يدرك بالحواس. موصوف بالآيات. معروف بالدلالات.

بيان: قوله ﷺ بحقائق الإيمان أي بالعقائد التي هي حقائق أي عقائد عقلية ثابتة بيقينية لا ينطرق إليها الزوال والتغير هي أركان الإيمان أو بالأنوار والآثار التي حصلت في القلب من الإيمان أو بالتصديقات والإذاعات التي تحق أن تسمى إيماناً أو المراد بحقائق الإيمان ما ينتمي إليه تلك العقائد من البراهين العقلية فإن الحقيقة ما يصير إليه حق الأمر وجوبه ذكره المصطرزي في الغريبين لا يعرف بالقياس أي بالمقاييس بغيره وقوله ﷺ ولا يشبه بالناس كالتعليل لقوله لا يدرك بالحواس موصوف بالآيات أي إذا أريد أن يذكر ويوصف بأن له الآيات الصادرة عنه المنتمية إليه وإنما يوصف بالصفات الكمالية بما يشاهد من آيات قدرته وعظمته ويزنه عن مشابهاها لما يرى من العجز والنقص فيها معروف بالعلامات أي يعرف وجوده وصفاته العينية الكمالية بالعلامات الدالة عليه لا بالكثرة.

٢- يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] القطان والدقاق والسنانى^(١) عن ابن زكريا القطان عن محمد بن العباس عن محمد بن أبي السري عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن ابن طريف^(٢) عن الأصغري في حديث قال قام إليه رجل يقال له ذعلب فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك فقال ويحك يا ذعلب لم أكن بالذي أعبد رباً لم أره.

قال فكيف رأيته صفه لنا قال ويحك لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ويحك يا ذعلب إن ربي لا يوصف بالبعد ولا بالحركة ولا بالسكون ولا بالقيام قيام انتصاب ولا بجئنة ولا بذهاب لطيف اللطافة لا يوصف باللطف عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ رءوف الرحمة لا يوصف بالركة مؤمن لا بعباده مدرك لا بمجسة قائل لا بلفظ هو في الأشياء على غير مازجة خارج منها على غير مباينة فوق كل شيء ولا يقال شيء فوقه أمام كل شيء ولا يقال له أمام داخل في الأشياء لا كشيء في شيء داخل وخارج منها لا كشيء من خارج فخر ذعلب مغشياً عليه الخبر^(٣)

بيان: ذعلب بكسر الدال المعجمة وسكون العين المهملة وكسر اللام كما ضبطه الشهيد رحمه الله والأبصار بفتح الهزرة ويحتمل كسرهما قوله ﷺ لطيف اللطافة أي لطافته لطيفة عن أن تدرك بالعقول والفهم ولا يوصف باللطف المدرك لعباده في دقائق الأشياء ولطائفها وعظمته أعظم من أن يحيط به الأذهان وهو لا يوصف بالعظم الذي يدركه مدارك الخلق من عظام الأشياء وجلالته وكبريائه أكبر من أن يوصف ويعبر عنه بالعبادة^(٤) والبيان وهو لا يوصف بالكبر الذي يتصف به خلقه وجلالته أجل من أن يصل إليه أفهام الخلق وهو لا يوصف بالغلظ كما يوصف الجلائل من الخلق به والمراد بالغلظ إما الغلظ في الخلق أو الخشونة في الخلق قوله ﷺ لا يوصف بالركة أي رقة القلب لأنه من صفات الخلق بل المراد فيه تعالى غايته قوله ﷺ مؤمن لا بعباده أي يؤمن بعباده من عذابه من غير أن يستحقوا ذلك بعباده أو يطلب عليه المؤمن لا كما يطلق بمعنى الإيمان والإذعان والتعبد قوله ﷺ لا بلفظ أي من غير تلفظ بلسان أو من غير احتياج إلى إظهار لفظ بل يلقي في قلوب من يشاء من خلقه ما يشاء.

٣- لي: [الأمالي للصدوق] علي بن أحمد بن موسى عن الصوفي عن الروياني عن عبد العظيم الحسيني عن إبراهيم بن أبي محمود قال قال علي بن موسى الرضا ﷺ في قول الله عز وجل «وَجُودُهُ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ»^(٥) قال يعني مشرقة تنتظر ثواب ربها.^(٦)

(١) السنانى ليس موجوداً في سند التوحيد.

(٢) في التوحيد: سعد الكنانى، وفي الأمالي سعد بن طريف الكنانى، وكلاهما لا ينطبقان على ما يبدو أنه عناء في مختصرات الاسانيد في الجزء الأول بسعد بن طريف الاسكاف، أولاً لأن السند الموجود يخالف الطريق الذى ذكره في مشيخة الفقيه الى سعد الاسكاف انظر: «من لا يحضره الفقيه ٤: ٥٣٧ - ٥٣٨».

وثانياً: لأنه تميمي وفق ما اشار اليه الإمام الخوئي - الله على مقامه الشريف - في المعجم «٦٩٨ رقم ٥٠٤٣» و«هكذا كانى، وكنايته ليسوا من تميم».

يقين أن نشير الى ان سعد الاسكاف يروى عن الاصغري بن نباتة كما اشار اليه النجاشي. «رجال النجاشي ٤٠٤: ٤٠٤ رقم ٤٦٦» والله العالم بحقيقة الحال.

(٣) التوحيد: ٣٠٥ ب ٤٣ ح ١، أمالي الصدوق: ٢٨١ ح ٥ م ٥٠٥ ح ١.

(٤) القيامة: ٢٢ - ٢٣.

(٥) كذا في «أ» وفي «ط» بالعبادة.

(٦) أمالي الصدوق: ٢٣٤ م ٦٤ ح ١.

يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] | الدقاق عن الصوفي مثله. (١)
ج: [الإحتجاج] مرسلًا مثله. (٢)

بيان:

اعلم أن للفرقة المحقة في الجواب عن الاستدلال بتلك الآية على جواز الرؤية وجوها:
الأول: ما ذكره في هذا الخبر من أن المراد بالناظرة المنتظرة كقوله تعالى ﴿فَنَظَرَتْ بِمَرِّ جَعِ الثُّرُسُلُونَ﴾ (٣)
روي ذلك عن مجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة والضحاك وهو المروي عن علي عليه السلام واعتراض عليه بأن النظر
بمعنى الانتظار لا يتعدى إلى وأجيب بأن تعديته بهذا المعنى بإلى كثيرة كما قال الشاعر.
إني إليك لما وعدت لناظر
ونظر الفقير إلى الغني الموسر.
وقال آخر.

وسوم بذى قار رأيت وجوههم
إلى الموت من وقع السيوف نواظر.
والشواهد عليه كثيرة مذكورة في مظانه ويحكى عن الخليل أنه قال يقال نظرت إلى فلان بمعنى انتظرته (٤) و
عن ابن عباس أنه قال العرب تقول إنما أنظر إلى الله ثم إلى فلان وهذا يعم الأعمى والبصير فيقولون عيني شاخت
إلى فلان وطامحة إليك ونظري إلى الله وإليك وقال الرازي وتحقيق الكلام فيه أن قولهم في الانتظار نظرت به غير
صلة فإنما ذلك في الانتظار لمجيء الإنسان بنفسه فأما إذا كان منتظرا لرفده ومعوته فقد يقال فيه نظرت إليه انتهى (٥).
وأجيب أيضا بأن لا نسلم أن لفظة إلى صلة للنظر بل هو واحد الآلاء ومفعول به للنظر بمعنى الانتظار ومنه قال
الشاعر:

أبيض لا يرهب الهزال ولا
يقطع رحما ولا يخون إلي
أي لا يخون نعمة.

الثاني: أن يكون فيه حذف مضاف أي إلى ثواب ربه أي هي ناظرة إلى نعيم الجنة حالا بعد حال فيزداد بذلك سروره
وذكر الوجوه والمراد به أصحاب الوجوه روي ذلك عن جماعة من علماء المفسرين من الصحابة والتابعين وغيرهم.
الثالث: أن يكون إلى بمعنى عند وهو معنى معروف عند النحاة وله شواهد كقول الشاعر:
فهل لكم فيما إلي فإني
طبيب بما أعيا النطاسي حذما (٦)

أي فيما عندي وعلى هذا يحتمل تعلق الظرف بناظرة وبنظرة والأول أظهر.
الرابع: أن يكون النظر إلى الرب كناية عن حصول غاية المعرفة بكشف العلائق الجسمانية فكأنها ناظرة إليه
تعالى كقوله ﷺ أعبد الله كأنك تراه.

٤- لي: [الأمالي للصديق] المكتب عن محمد الأسدي عن ابن بزيع عن الرضا عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿لَا
تُذَكِّرُ الْبَاطِلُ وَهُوَ يُذَكِّرُ الْبَاطِلُ﴾ (٧) قال لا تذرك أوهام القلوب فكيف تذركه أبصار العيون. (٨)

بيان: هذه الآية إحدى الدلالات التي استدلل بها النافون للرؤية وقرروها بوجهين أحدهما أن
إدراك البصر عبارة شائعة في الإدراك بالبصر إسنادا للفعل إلى الآلة والإدراك بالبصر هو الرؤية
بمعنى اتحاد المفهومين أو تلازمهما والجمع المعرف باللام عند عدم قرينة المهدية والبعضية
للمعوم والاستغراق بإجماع أهل العربية والأصول وأئمة التفسير وبشهادة استعمال الفضحاء و

(١) التوحيد: ١١٦ ب ٨ ح ١٩، عيون الأخبار الرضا عليه السلام: ١٠٥ ب ١١ ح ٢.

(٢) الإحتجاج: ٤٠٩.

(٣) النمل: ٣٥.

(٤) تفسير الرازي: ٢٢٨: ٣٠.

(٥) كتاب العين: ١٥٦٨.

(٦) النطاسي: المتطلب، الصحاح: ٩٨٣ وحذمت الشيء حذما: قطعته، سيف حذيم، الصحاح: ١٨٩٥.

(٧) الانعام: ١٠٣.

(٨) أمالي الصديق: ٣٣٤ م ٣٣٤ ح ٢.

صحة الاستثناء فالله سبحانه قد أخبر بأنه لا يراه أحد في المستقبل فلو رآه المؤمنون في الجنة لزم كذبه تعالى وهو محال.

واعترض عليه بأن اللام في الجمع لو كان للعموم والاستغراق كما ذكرتم كان قوله تدركه الأبصار موجبة كلية وقد دخل عليها النفي فرفعها هو رفع الإيجاب الكلي ورفع الإيجاب الكلي سلب جزئي ولو لم يكن للعموم كان قوله لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ سالبة مهمله في قوة الجزئية فكان المعنى لا تدركه بعض الأبصار ونحن نقول بموجبة حيث لا يراه الكافرون ولو سلم فلا نسلم عمومه في الأحوال والأوقات فيحمل على نفي الرؤية في الدنيا جمعاً بين الأدلة.

والجواب أنه قد تقرر في موضعه أن الجمع المحلى باللام عام نفي وإثباتاً في المنفي والمثبت كقوله تعالى ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾^(١) و﴿وَمَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٢) حتى أنه لم يرد في سياق النفي في شيء من الكتاب الكريم إلا بمعنى عموم النفي ولم يرد لنفي العموم أصلاً نعم قد اختلف في النفي الداخل على لفظة كل لكنه في القرآن المجيد أيضاً بالمعنى الذي ذكرنا كقوله تعالى ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾^(٣) إلى غير ذلك وقد اعترف بما ذكرنا في شرح المقاصد وبالغ فيه وأما منع عموم الأحوال والأوقات فلا يخفى فسادُه فإن النفي المطلق الغير المقيد لا وجه لتخصيصه ببعض الأوقات إذ لا ترجيح لبعضها على بعض وهو أحد الأدلة على العموم عند علماء الأصول وأيضاً صحة الاستثناء دليل عليه وهل يمنع أحد صحة قولنا ما كلمت زيدا إلا يوم الجمعة ولا أكلمه إلا يوم العيد وإلا تعالى ﴿وَلَا تَفْضُلُوهُمْ﴾^(٤) إلى قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ﴾ وقال ﴿لَا تَخْرُجُوهُمْ﴾^(٥) إلى قوله ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ﴾ وأيضاً كل نفي ورد في القرآن بالنسبة إلى ذاته تعالى فهو للتأييد وعموم الأوقات لا سيما فيما قبل هذه الآية وأيضاً عدم إدراك الأبصار جميعاً شيء لا يختص بشيء من الموجودات خصوصاً مع اعتبار شمول الأحوال والأوقات فلا يختص به تعالى فنتعين أن يكون التمدح بعدم إدراك شيء من الأبصار له في شيء من الأوقات.

وثانیهما: أنه تعالى تمدح بكونه لا يرى فإنه ذكره في أثناء المدائح وما كان من الصفات عدمه مدحاً كان وجوده نقصاً يجب تنزيه الله تعالى عنه وإنما قلنا من الصفات احترازاً عن الأفعال كالعفو والانتقام فإن الأول تفضل والثاني عدل وكلاهما كمال.

٥- لي: [الأمالي للصدوق] الطالقاني عن ابن عقدة عن المنذر بن محمد عن علي بن إسماعيل الميثمي عن إسماعيل بن الفضل قال سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الله تبارك وتعالى هل يرى في المعاد فقال سبحانه الله وتعالى عن ذلك علواً كبيراً يا ابن الفضل إن الأبصار لا تدرك إلا ما له لون وكيفية والله خالق الألوان والكيفية.^(٦)

٦- يد: [التوحيد]: (يعون أخبار الرضا عليه السلام إلي: [الأمالي للصدوق] الهمداني عن علي بن أبيه عن الهروي قال قلت لعلي بن موسى الرضا عليه السلام يا ابن رسول الله ما تقول في الحديث الذي يرويه أهل الحديث إن المؤمنين يزورون ربهم من منازلهم في الجنة فقال عليه السلام يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى فضل نبيه محمداً عليه السلام على جميع خلقه من النبيين والملائكة وجعل طاعته طاعته ومبايعته مبايعته^(٧) وزيارته في الدنيا والآخرة زيارته فقال الله عز وجل ﴿مَنْ يَطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(٨) وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٩) وقال النبي صلى الله عليه وآله من زارني في حياتي أو بعد موتي فقد زار الله جل جلاله ودرجة النبي ص في الجنة أرفع الدرجات فمن زاره إلى درجته في الجنة من منزله فقد زار الله تبارك وتعالى قال فقلت له يا ابن رسول الله فما معنى الخبر الذي

(١) التوبة: ٩١.

(٢) النساء: ٩٩.

(٣) أمالي الصدوق: ٣٣٤ م ٦٤ ح ٣.

(٤) النساء: ٨٠.

(٥) الطلاق: ١.

(٦) كذا في «أ» والمصادر جميعها وفي «ط» ومبايعته مبايعته.

(٧) الفتح: ١٠.

(٨) الفتح: ١٠.

رووه أن ثواب لا إله إلا الله النظر إلى وجه الله فقال ﷺ يا أبا الصلت من وصف الله بوجه كالوجه فقد كفر ولكن وجهه الله أنبياءه ورسله وحججه صلوات الله عليهم هم الذين بهم يتوجه إلى الله وإلى دينه ومعرفته وقال الله عز وجل ﴿كُلٌّ مِنْ عَلَيْهَا فَأَنْ يُبْقِي وَجْهَ رَبِّكَ﴾ (١) وقال عز وجل ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢) فالنظر إلى أنبياء الله ورسله وحججه ﷺ في درجاتهم ثواب عظيم للمؤمنين يوم القيامة وقد قال النبي ﷺ من أبغض أهل بيتي وعترتي لم يرني ولم أراه يوم القيامة وقال ﷺ إن فيكم من لا يراني بعد أن يفارقني يا أبا الصلت إن الله تبارك وتعالى لا يوصف بمكان ولا يدرك بالأبصار والأوهام الخبر. (٣)

ج: [الاحتجاج] مرسلًا مثله. (٤)

٧- لي: [الأمالي للصديق] ابن ناتانة عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن إبراهيم الكرخي قال قلت للصديق جعفر بن محمد ﷺ إن رجلاً رأى ربه عز وجل في منامه فما يكون ذلك فقال ذلك رجل لا دين له إن الله تبارك وتعالى لا يرى في اليقظة ولا في المنام ولا في الدنيا ولا في الآخرة. (٥)

بيان: لعل المراد أنه كذب في تلك الرؤيا أو أنه لما كان مجسماً تخيل له ذلك أو أن هذه الرؤيا من الشيطان وذكرها يدل على كونه معتقداً للتجسم.

٨- شا: [الإرشاد] ج: [الاحتجاج] روى أهل السير أن رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال يا أمير المؤمنين أخبرني عن الله أرايته حين عبدت الله فقال له أمير المؤمنين لم أك بالذي أعبد من لم أراه (٦) فقال كيف رأيته يا أمير المؤمنين فقال له ويحك لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان معروف بالدلالات منوعة بالعلامات لا يقاس بالناس ولا يدرك بالحواس فانصرف الرجل وهو يقول اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ. (٧)

٩- ج: [الاحتجاج] في خبر الزنديق الذي سأل أمير المؤمنين ﷺ عما توهمه من التناقض في القرآن قال ﷺ وأما قوله تعالى ﴿وَجُوهٌ يُؤْمِنُونَ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ (٨) ذلك في موضع ينتهي فيه أولياء الله عز وجل بعد ما يفرغ من الحساب إلى نهر يسمى الحيوان فيفتسلون فيه ويشربون من آخر فتبيض وجوههم فيذهب عنهم كل قذى وعث ثم يؤمرون بدخول الجنة فمن هذا المقام ينظرون إلى ربهم كيف يشيهم ومنه يدخلون الجنة فذلك قوله عز وجل في تسليم الملائكة عليهم ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (٩) فعند ذلك أتىوا بدخول الجنة والنظر إلى ما وعدهم الله عز وجل فذلك قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ والناظرة في بعض اللغة هي المنتظرة ألم تسمع إلى قوله تعالى ﴿فَنَاطِرَةٌ يَمْ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ (١٠) أي منتظرة بم يرجع المرسلون.

وأما قوله ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ (١١) يعني محمداً ﷺ حين كان عند سدرة المنتهى حيث لا يجاوزها خلق من خلق الله عز وجل وقوله في آخر الآية ﴿مَّا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾ (١٢) رأى جبرئيل ﷺ في صورته مرتين هذه المرة ومرة أخرى وذلك أن خلق جبرئيل عظيم فهو من الروحانيين الذين لا يدرك خلقهم وصورته (١٣) إلا رب العالمين الخبر. (١٤)

بيان: الوعث والعشاء المشقة قوله صلوات الله عليه والنظر إلى ما وعدهم الله يحتمل أن يكون المراد بالنظر الانتظار فيكون قوله والناظرة في بعض اللغة تنمة وتأييدا للتوجيه الأول والأظهر أنه ﷺ أشار إلى تأويلين الأول تقدير مضاف في الكلام أي ناظرة إلى ثواب ربها فيكون النظر بمعنى الإبصار والثاني أن يكون النظر بمعنى الانتظار ويؤيده ما في التوحيد في تنمة التوجيه

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) التوحيد: ١١٧ ج ٨ ص ٢١. عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ١٠٥-١٠٦ ب ١١ ج ٣ أمالي الصديق: ٣٧٢ م ٧٠٠ ج ٧.

(٤) أمالي الصديق: ٤٨٨ م ٨٩ ج ٥.

(٥) الإرشاد: ١٢٠ وفيه: ولا تدركه الحواس. الاحتجاج: ٢٠٩.

(٦) الزمر: ٧٣.

(٧) النجم: ١٣-١٤.

(٨) وفي نسخة، وكذا في الاحتجاج: لا يدرك خلقهم وصفتهم.

(١١) الرحمن ٢٦-٢٧.

(١٢) التوحيد: ١١٧ ج ٨ ص ٢١.

(١٣) الاحتجاج: ٤٠٨-٤٠٩.

(١٤) في «أ»: لم أك أعبد من لم أراه.

(١٥) القيامة ٢٢-٢٣.

(١٦) النمل: ٣٥.

(١٧) النجم ١٧-١٨.

(١٨) الاحتجاج: ٢٤٣.

الأول فذلك قوله ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ وإنما يعني بالنظر إليه النظر إلى ثوابه تبارك وتعالى و أرجع ﷺ الضمير في قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ إلى جبرئيل ﷺ وسيأتي القول فيه.

١٠-ج: [الإحتجاج] يونس بن ظبيان قال دخل رجل على أبي عبد الله ﷺ قال أرأيت الله حين عبده قال له ما كنت أعبد شيئا لم أره قال وكيف رأيته قال لم تره الأبصار بمشاهدة العيان ولكن رأيته القلوب بحقائق الإيمان لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بغير تشبيه.^(١)

١١-ج: [الإحتجاج] عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ في قوله ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾^(٢) قال إحاطة الوهم ألا ترى إلى قوله ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِّنْ رَبِّكُمْ﴾ ليس يعني بصر العيون ﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ ليس يعني من البصر بعينه ﴿وَمَنْ غَمِيَ فَقَلْبُهَا﴾^(٣) ليس يعني عمي العيون إنما عنى إحاطة الوهم كما يقال فلان بصير بالشعر وفلان بصير بالفقه وفلان بصير بالدرهم وفلان بصير بالثياب الله أعظم من أن يرى بالعين.^(٤)

يد: [التوحيد] أبي عن محمد العطار عن ابن عيسى عن ابن أبي نجران عن عبد الله بن سنان مثله.^(٥)

بيان: قوله ﷺ الله أعظم من أن يرى بالعين هذا تفريع على ما سبق أي إذا لم يكن مدركا بالأوهام فيكون أعظم من أن يدرك بالعين ويحتمل أن يكون المعنى أنه أعظم من أن يشك أو يتوهم فيه أنه مدرك بالعين حتى يتعرض لنفيه فيكون دليلا على أن المراد بالأبصار الأوهام.

١٢-ج: [الإحتجاج] أحمد بن إسحاق قال كتبت إلى أبي الحسن علي بن محمد ﷺ أسأله عن الرؤية وما فيه الخلق فكتب ﷺ لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الراي والمرئي هواء ينفذه البصر فمتى انقطع الهواء وعدم الضياء لم تصح الرؤية وفي وجوب اتصال الضياء بين الراي والمرئي وجوب الاشتباه وتعالى الله عن الاشتباه فثبت أنه لا تجوز عليه سبحانه الرؤية بالأبصار لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات.^(٦)

١٣-يد: [التوحيد] ابن إدريس عن أبيه عن أحمد بن إسحاق قال كتبت إلى أبي الحسن الثالث ﷺ أسأله عن الرؤية وما فيه الناس فكتب لا تجوز الرؤية ما لم يكن بين الراي والمرئي هواء ينفذه البصر فإذا انقطع الهواء وعدم الضياء عن الراي والمرئي لم تصح الرؤية وكان في ذلك الاشتباه لأن الراي متى ساوى المرئي في السبب الموجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه وكان في ذلك التشبيه لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات.^(٧)

بيان: استدلل ﷺ على عدم جواز الرؤية بأنها تستلزم كون المرئي جسمانيا ذا جهة وحيز وبين ذلك بأنه لا بد أن يكون بين الراي والمرئي هواء ينفذه البصر وظاهره كون الرؤية بخروج الشعاع وإن أمكن أن يكون كناية عن تحقق الإبصار بذلك وتوقفه عليه فإذا لم يكن بينهما هواء وانقطع الهواء وعدم الضياء الذي هو أيضا من شرائط الرؤية عن الراي والمرئي لم تصح الرؤية بالبصر وكان في ذلك أي في كون الهواء بين الراي والمرئي الاشتباه يعني شبه كل منها بالآخر يقال اشتبهوا إذا شبه كل منها الآخر لأن الراي متى ساوى المرئي ومثله في النسبة إلى السبب الذي أوجب بينهما في الرؤية وجب الاشتباه ومشابهة أحدهما الآخر في توسط الهواء بينهما وكان في ذلك التشبيه أي كون الراي والمرئي في طرفي الهواء الواقع بينهما يستلزم الحكم بمشابهة المرئي بالراي^(٨) من الوقوع في جهة ليصح كون الهواء بينهما فيكون متحيزا ذا صورة وضعية فإن كون الشيء في طرف مخصوص من طرفي الهواء وتوسط الهواء بينه وبين شيء آخر سبب عقلي للحكم بكونه في جهة ومتحيزا وذا وضع وهو المراد بقوله لأن الأسباب لا بد من اتصالها بالمسببات ويحتمل أن يكون ذلك تعليلا لجميع ما ذكر من كون الرؤية متوقفة على الهواء إلى آخر ما ذكر وحاصله يرجع إلى ما ادعاه جماعة من أهل الحق من العلم الضروري بأن الإدراك

(١) الإحتجاج: ٣٣٦.
(٢) الانعام: ١٠٣.
(٣) الانعام: ١٠٤.
(٤) الإحتجاج: ٣٣٦.
(٥) التوحيد: ١١ ب ٨ ح ١٠.
(٦) الإحتجاج: ٤٤٩ - ٤٥٠ وفيه: والله منزله الاشتباه فثبت أنه لا يجوز.
(٧) التوحيد: ١٠٩ ب ٨ ح ٧.
(٨) في «ط»: بالراي.

المخصوص المعلوم بالوجه الممتاز عن غيره لا يمكن أن يتعلق بما ليس في جهة وإلا لم يكن للبصر مدخل فيه ولا كسب لرؤيته بل المدخل في ذلك للعقل فلا وجه حينئذ لتسميته إحصاراً والحاصل أن الإبصار بهذه الحاسة يستحيل أن يتعلق بما ليس في جهة بدئية وإلا لم يكن لها مدخل فيه وهم قد جوزوا الإدراك بهذه الجارحة الحساسة وأيضاً هذا النوع من الإدراك يستحيل ضرورة أن يتعلق بما ليس في جهة مع قطع النظر عن أن تعلق هذه الحاسة يستدعي الجهة والمقابلة وما ذكره الفخر الرازي من أن الضروري لا يصير محلاً للخلاف وأن الحكم المذكور مما يقتضيه الوهم ويعين عليه وهو ليس مأموناً لظهور خطائه في الحكم بتجسم الباري تعالى وتحيزه وما ظهر خطؤه مرة فلا يؤمن بل ينهم ففاسد لأن خلاف بعض العقلاء في الضروريات جائز كالسوفسطائية والمعتزلة في قولهم باتفكك الشيئية والوجود وثبت الحال وأما قوله بأنه حكم الوهم الغير المأمون فظريف جداً لأنه منقوض بجميع أحكام العقل لأنه أيضاً مما ظهر خطؤه مراراً وجميع الهندسيات والحسابيات وأيضاً مدخلية الوهم في الحكم المذكور ممنوع وإنما هو عقلي صرف عندنا وكذلك ليس كون الباري تعالى متحيزاً مما يحكم به ويجزم بل هو تخيل يجري مجرى سائر الأكاذيب في أن الوهم وإن صوره وخيله إلينا لكن العقل لا يكاد يجوز به بل يحيله ويجزم بطلانه وكون ظهور الخطأ مرة سبباً لعدم إيمان المخطئ وانهاهه ممنوع أيضاً وإلا قدح في الحسيات وسائر الضروريات وقد تقرر بطلانه في موضعه في رد شبه الفادحين في الضروريات.

١٤- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن أحمد بن إدريس^(١) عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال سألتني أبو قرة المحدث أن أدخله إلى أبي الحسن الرضا^(ع) فاستأذنته في ذلك فأذن لي فدخل عليه فسأله عن الحلال والحرام والأحكام حتى بلغ سؤاله التوحيد فقال أبو قرة إنا رويناه أن الله عز وجل قسم الروية والكلام بين اثنين فقسم لموسى^(ع) الكلام ولمحمد^(ع) الروية فقال أبو الحسن^(ع) فمن المبلغ عن الله عز وجل إلى الثقلين الجن والإنس «لَا تُذَرُّكَ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً»^(٢) «وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٣) أليس محمد^(ع) قال بلى قال فكيف يجيء رجل إلى الخلق جميعاً فيخبرهم أنه جاء من عند الله وأنه يدعوهم إلى الله بأمر الله ويقول «لَا تُذَرُّكَ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ» «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً» «وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» ثم يقول أنا رأيته بعيني وأحطت به علماً وهو على صورة البشر أما يستحيون ما قدرت الزنادقة أن ترميه بهذا أن يكون يأتي عن الله بشيء ثم يأتي بخلافه من وجه آخر قال أبو قرة فإنه يقول «وَلَقَدْ رَأَوْهُ نَزْلَةً أُخْرَى»^(٤) فقال أبو الحسن^(ع) إن بعد هذه الآية ما يدل على ما رأى حيث قال «مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى»^(٥) يقول ما كذب فؤاد محمد^(ع) ما رأت عيناه ثم أخبر بما رأى فقال «وَلَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»^(٦) فأيات الله غير الله وقد قال «وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْماً» فإذا رأيته الأبصار فقد أحاطت به العلم وقعت المعرفة فقال أبو قرة فتكذب الروايات^(٧) فقال أبو الحسن^(ع) إذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذبت بها وما أجمع المسلمون عليه^(٨) أنه لا يحيط به علم ولا تُذَرُّكَ الْأَبْصَارُ وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ»^(٩)

بيان: اعلم أن المفسرين اختلفوا في تفسير تلك الآيات قوله تعالى «مَا كَذَّبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» يحتمل كون ضمير الفاعل في رأى راجعاً إلى النبي^(ص) وإلى الفؤاد قال البيضاوي ما كذب الفؤاد

(١) قال النجاشي: أحمد بن إدريس بن أحمد. أبو علي الأشعري القمي، كان ثقة، فقيهاً في أصحابنا. كثير الحديث. صحيح الرواية له كتاب: نوادر أخبرني عنه من أصحابنا إجازة عن أحمد بن جعفر بن سفيان عنه ومات أحمد بن إدريس بالقرعاء سنة ٣٠٦ م طريق مكة على طريق الكوفة «رجال النجاشي»: ٢٣٦ رقم ٢٢٦.

وكرر الشيخ الطوسي نفس الكلام تقريباً مع وصف كتابه بأنه: كبير كثير الفائدة. وطريقه نفس طريق النجاشي. «الفهرست ص ٢٦ رقم ٧١». وعده في رجال العسكري^(ع) وقال: أحمد بن إدريس القمي المعلم لحقه^(ع) ولم يرو عنه. «رجال الطوسي»: ٤٢٨ رقم ١٦ و ذكره في (لم) وقال: أحمد بن إدريس القمي الأشعري يكنى أبا علي وكان من القواد، روى عنه الثعلبكي. قال: سمعت منه أحاديث يسيرة في دار ابن همام وليس لي منه إجازة «رجال الشيخ ٤٤٤ رقم ٢٧».

(٢) طه: ١١٠.

(٣) الشورى: ١١.

(٤) النجم: ١١.

(٥) النجم: ١١.

(٦) النجم: ١١.

(٧) وفي نسخة: وما اجتمع المسلمون عليه.

(٨) في «أ»: فتكذب الرواية.

(٩) التوحيد: ١١٠ - ١١٢ ب ٨ ح ٩.

ما رأى يبصره من صورة جبرئيل أو الله أي ما كذب الفؤاد بصره بما حكا له فإن الأمور القدسية تدرك أولا بالقلب ثم ينتقل منه إلى البصر أو ما قال فؤاده لما رآه لم أعرفك و لو قال ذلك كان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه بصره أو ما رآه بقلبه والمعنى لم يكن تخيلا كاذبا ويدل عليه أنه سئل عنه هل رأيت ربك فقال رأيتُه بفؤادي و قرئ ما كذب أي صدقه و لم يشك فيه ﴿أَفَتُفَنَّاوْنُهُ عَلَيَّ مَا يَرَى﴾ ففتجادلونه عليه من المراء و هو المجادلة انتهى ^(١) قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال الرازي يحتمل الكلام وجوها ثلاثة الأول الرب تعالى ^(٢) و الثاني جبرئيل عليه السلام و الثالث الآيات العجيبة الإلهية انتهى ^(٣) أي و لقد رآه نازلا نزلة أخرى فيحتمل نزوله عليه السلام و نزول مرثيه.

فإذا عرفت محتملات تلك الآيات عرفت سخافة استدلالهم بها على جواز الرؤية و وقوعها بوجوه الأول أنه يحتمل أن يكون المرني جبرئيل إذا المرني غير مذكور في اللفظ و قد أشار أمير المؤمنين عليه السلام إلى هذا الوجه في الخبر السابق و روى مسلم في صحيحه بإسناده عن زرعة ^(٤) عن عبد الله ^(٥) ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ قال رأى جبرئيل عليه السلام له ستمائة جناح ^(٦) و روى أيضا بإسناده عن أبي هريرة ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى﴾ قال رأى جبرئيل عليه السلام بصورته التي له في الخلقة الأصلية ^(٧) الثاني ما ذكره عليه السلام في هذا الخبر و هو قريب من الأول لكنه أعم منه الثالث أن يكون ضمير الرؤية راجعا إلى الفؤاد فعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الله تعالى أيضا لا فساد فيه الرابع أن يكون على تقدير إرجاع الضمير إليه عليه السلام و كون المرني هو الله تعالى المراد بالرؤية غاية مرتبة المعرفة و نهاية الانكشاف.

و أما استدلاله عليه السلام بقوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ فهو إما لأن الرؤية تستلزم الجهة و المكان و كونه جسما أو جسمانيا أو لأن الصورة التي تحصل منه في المدركة تشبهه قوله عليه السلام حيث قال أي أولا قبل هذه الآية و إنما ذكر عليه السلام ذلك لبيان أن المرني قبل هذه الآية غير مفسر أيضا بل إنما يفسره ما سيأتي بعدها قوله عليه السلام و ما أجمع المسلمون عليه أي اتفق المسلمون على حقيقة مدلول ما في الكتاب ممحلا و الحاصل أن الكتاب قطعي السند متفق عليه بين جميع الفرق فلا يعارضه الأخبار المختلفة المتخالفة التي تفردتم بروايتها.

ثم اعلم أنه عليه السلام أشار في هذا الخبر إلى دققة غفل عنها الأكثر ^(٨) و هي أن الأشاعرة وافقونا في أن كنهه تعالى يستحيل أن يتمثل في قوة عقلية حتى أن المحقق الدواني نسب إلى الأشاعرة موهما اتفاقهم عليه و جوزوا ارتسامه و تمثله في قوة جسمانية و تجويز إدراك القوة الجسمانية لها دون العقلية بعيد عن العقل مستغرب فأشار عليه السلام إلى أن كل ما ينفي العلم بكنهه تعالى من السمع ينفي الرؤية أيضا فإن الكلام ليس في رؤية عرض من أعراضه تعالى بل في رؤية ذاته و هو نوع من العلم بكنهه تعالى ^(٩).

(١) تفسير البيضاوي ٤: ٢٠٤.

(٢) روه عن عدد من الصحابة والتابعين. و حكاه الطبري عن ابن عباس وانس بن مالك و محمد بن كعب و عكرمة و عطاء و ابي صالح والريث، وغيرهم. (تفسير الطبري ٢٧ - ٢٦ - ٢٩) و نقل السيوطي تخريجات جملة من اثمة حديث القوم، منهم البيهقي في الاسماء و الصفات و ابن المنذر و عبيد بن حميد و الطبراني في السنة و مسلم و احمد و ابن مردويه و الترمذى و الحاكم و النسائي و ابن ابي حاتم و غيرهم (الدر المنثور ٧: ٦٤٦ - ٦٤٩) و ان تعش أراك الدهر عجباً !!! (٣) تفسير الرازي ٢٨: ٢٨٩.

(٤) كذا في «أ» والمصدر. و هو الصحيح، و في «ط» زرعه و هو تصحيف، و قد عدّه الشيخ الطوسي في اصحاب الإمام على عليه السلام. قال: زر بن حبيش و كان فاضلا «رجال الشيخ ٤٢ رقم: ٥» و قال في الاصابة: زر بن حبيش بن حاشية بن اوس بن بلال بن جعالة الاسدي ثم الغاضري ابو مريم. مشهور من كبار التابعين، قال عاصم: كان من اعراب الناس، و كان ابن مسعود يسأله عن العربية. «الاصابة في تمييز الصحابة ١: ٥٧٧ رقم ٢٩٧١» و قال ابن عبد البر في الاستيعاب: يكنى ابا مريم قيل ابا مطرف ادرك الجاهلية و لم ير النبي ﷺ. و هو من اجلة التابعين و من كبار اصحاب ابن مسعود و كان عالما بالقرآن قارئا فاضلا توفي سنة ٨٣ و هو ابن مائة و عشرين سنة بدير الجماجم «الاستيعاب المطبوع بهامش الاصابة ١: ٥٨٨ - ٥٨٩» و نقل في التهذيب توثيق جملة من علماء الرجال له منهم ابن معين و ابن سعد و العجلي و البغدادي «تهذيب التهذيب ٣: ٧٧ - ٧٨ رقم ٥٩٧».

(٦) صحيح مسلم المطبوع بهامشه شرح النووي ٣: ٣ و ذلك باسنادين.

(٧) رواه مسلم منسوبا لمسروق عن عائشة ١٠: ٣ - ١١.

(٨) في «أ»: غفل عنها الاكثر.

(٩) قال السيد الطباطبائي «ره» في هامش «ط»: لا ملازمة بين الامرين فان حس البصر لا ياتى الا الاضواء والالوان، و اما جوهر الاجسام اغنى

١٥- يد: [التوحيد] أبي عن محمد بن العطار عن ابن عيسى عن البرنظي عن الرضا عليه السلام قال قال رسول الله ﷺ لما أسري بي إلى السماء بلغ بي جبرئيل عليه السلام مكانا لم يطؤه جبرئيل قط فكشف لي فأراني الله عز وجل من نور عظمتها ما أحب. (١)

١٦- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن أحمد بن محمد عن أبي هاشم الجعفري عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال سألت عن الله عز وجل هل يوصف فقال أما تقرأ القرآن قلت بلى قال أما تقرأ قوله عز وجل ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ قلت بلى قال فتعرفون الأبصار قلت بلى قال وما هي قلت أبصار العيون فقال إن أوهام القلوب أكثر من أبصار العيون فهو لا تدركه الأبصار وهو يدرك أوهام. (٢)

بيان: أكثر أي أعم إدراكا فهو أولى بالتعرض لنفيه.

١٧- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن ذكره عن محمد بن عيسى عن أبي هاشم الجعفري قال قلت لأبي جعفر [عليه السلام] بن الرضا عليه السلام ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ فقال يا أبا هاشم أوهام القلوب أدق من أبصار العيون أنت قد تدرِك بوهمك السند والهند والبلدان التي لم تدخلها ولم تدرِكها ببصرك (٣) فأوهام القلوب لا تدرِك فكيف أبصار العيون. (٤)

ج: [الاحتجاج] عن الجعفري مثله. (٥)

١٨- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن ابن أبان عن بكر بن صالح عن الحسن بن سعيد (٦) عن إبراهيم بن محمد الخزاز ومحمد بن الحسين قالا دخلنا على أبي الحسن الرضا عليه السلام فحكينا له ما روي أن محمدا ﷺ رأى ربه في هيئة الشاب الموقف في سن أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة وقلنا إن هشام بن سالم وصاحب الطاق (٧) والميثمي (٨) يقولون إنه أجوف إلى السرة والباقي صمد فخر ساجدا ثم قال سبحانه ما عرفوك ولا وحدوك فمن أجل ذلك وصفوك سبحانه لو عرفوك لوصفوك بما وصفت به نفسك سبحانه كيف طاعتهم أنفسهم أن شبهوك بغيرك إلهي لا أضفك إلا بما وصفت به نفسك ولا أشبهك بخلقك أنت أهل لكل خير فلا تجعلني من القوم الظالمين. (٩)

ثم التفت إلينا فقال ما توهمتم من شيء فتوهما الله غيره ثم قال نحن آل محمد النمط الوسطى الذي لا يدركنا الغالي ولا يسبقنا التالي يا محمد إن رسول الله ﷺ حين نظر إلى عظمة ربه كان في هيئة الشاب الموقف و سن أبناء ثلاثين سنة يا محمد عظم ربي وجل أن يكون في صفة المخلوقين.

قال قلت جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة قال ذاك محمد ﷺ كان إذا نظر إلى ربه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتى يستبين له ما في الحجب إن نور الله منه اخضر ما اخضر ومنه احمر ما احمر ومنه ابيض ما ابيض ومنه غير ذلك يا محمد ما شهد به الكتاب والسنة فنحن القائلون به. (١٠)

بيان: قوله ﷺ النمط الوسطى وفي الكافي الأوسط (١١) قال الجزري. في حديث علي عليه السلام خير هذه الأمة النمط الأوسط. النمط الطريقة من الطرائق والضروب يقال ليس هذا من ذلك النمط أي من ذلك الضرب والنمط الجماعة من الناس أمرهم واحد (١٢) انتهى قوله ﷺ لا يدركنا الغالي في أكثر النسخ بالعين المعجمة وفي بعضها بالعين المهملة وعلى التقديرين المراد به من يتجاوز الحد في الأمور أي لا يدركنا ولا يلحقنا في سلوك طريق النجاة من يغلو فينا أو في كل شيء. والتالي أي

موضوع هذه الاعراض لا يتناهى شيء من الحواس لا البصر ولا غيره، وإنما طريق نيله الفكر والقياس والرواية غير متعرضة لشيء من ذلك. (١١) التوحيد: ١٠٨ ب ٨ ح ٤.

(٢) التوحيد: ١١٢ - ١١٣ ب ٨ ح ١١.

(٤) التوحيد: ١١٣ ب ٨ ح ١٢.

(٥) الاحتجاج: ٤٤٢ وفيه: فأوهام القلوب لا تدرِك فكيف تدرِكه الابصار.

(٦) في المصدر: الحسين بن سعيد وشابه ما في الكافي المتن. (٧) هو: محمد بن علي بن النعمان. أبو جعفر الاحول وسأني ترجمته.

(٨) المقصود: علي بن اسماعيل الميثمي.

(١٠) التوحيد: ١١٣ - ١١٤ ب ٨ ح ١٣.

(١٢) النهاية في غريب الحديث والاثار ١١٩:٥.

التابع لنا لا يصل إلى النجاة إلا بالأخذ عنا فلا يسبقنا بأن يصل إلى المطلوب لا بالتوصل بنا وفي الكافي أن نور الله منه أخضر ومنه أحمر ومنه أبيض ومنه غير ذلك وسيأتي في باب العرش في خبر أبي الطفيل أن الله خلق العرش من أنوار مختلفة فمن ذلك النور نور أخضر اخضرت منه الخضرة ونور أصفر اصفرت منه الصفرة ونور أحمر احمرت منه الحمرة ونور أبيض وهو نور الأنوار ومنه ضوء النهار.

ثم اعلم أنه يمكن إبقاء الحجب والأنوار على ظواهرها بأن يكون المراد بالحجب أجساماً لطيفة مثل العرش والكرسي يسكنها الملائكة الروحانيون كما يظهر من بعض الدعوات والأخبار أي أفاض عليه شبيه نور الحجب ليتمكن له رؤية الحجب كنور الشمس بالنسبة إلى عالمنا ويحتمل التأويل أيضاً بأن يكون المراد بها الوجوه التي يمكن الوصول إليها في معرفة ذاته تعالى وصفاته إذ لا سبيل لأحد إلى الكنه وهي تختلف باختلاف درجات العارفين قرباً وبعداً فالمراد بنور الحجب قابلية تلك المعارف وتسميتها بالحجب إما لأنها وسائط بين العارف والرب تعالى كالحجاب أو لأنها موانع عن أن يسند إليه تعالى ما لا يليق به أو لأنها لما لم تكن موصلة إلى الكنه فكانها حجب إذ الناظر خلف الحجاب لا يتبين له حقيقة الشيء كما هي.

وقيل إن المراد بها العقول فإنها حجب نور الأنوار ووسائط النفوس الكاملة والنفس إذا استكملت ناسبت نوريتها تورية تلك الأنوار فاستحقت الاتصال بها والاستفادة منها فالمراد بجعله في نور الحجب جعله في نور العلم والكمال مثل نور الحجب حتى يناسب جوهر ذاته جوهر ذاتهم^(١) فيستبين له ما في ذاتهم ولا يخفى فسادَه على أصولنا بوجوه شتى.

و أما تأويل ألوان الأنوار فقد قيل فيه وجوه:

الأول: أنها كناية عن تفاوت مراتب تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار فالأبيض هو الأقرب والأخضر هو الأبعد كأنه ممزوج^(٢) بضرب من الظلمة والأحمر هو المتوسط بينهما ثم ما بين كل اثنين ألوان أخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقرئها وبعدها من نور الشمس.

الثاني: أنها كناية عن صفاته المقدسة فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضته الأرواح التي هي عيون الحياة ومنايع الخضرة والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب والأبيض لطفه على عباده كما قال تعالى ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ أُبَيضُوا وَجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٣).

الثالث: ما استندته من الوالد العلامة قدس الله روحه وذكر أنه مما أفيض عليه من أنوار الكشف واليقين وبيانه يتوقف على تمهيد مقدمة وهي أن لكل شيء مثالا في عالم الرؤيا والمكاشفة وتظهر تلك الصور والأمثال على النفوس مختلفة باختلاف مراتبها في النقص والكمال فبعدها أقرب إلى ذي الصورة وبعضها أبعد وشأن المعبر أن ينتقل منها إلى ذواتها.

فإذا عرفت هذا فالنور الأصفر عبارة عن العبادة ونورها كما هو المجرب في الرؤيا فإنه كثير ما يرى الرائي الصفرة في المنام فيتيسر له بعد ذلك عبادة يفرح بها وكما هو المعاني في جباه المتجهدين وقد ورد في الخبر في شأنهم أنه بالسهم الله من نوره لما خلوا به والنور الأبيض العلم لأنه منشأ للظهور وقد جرب في المنام أيضا والنور الأحمر المحبة كما هو المشاهد في وجوه المحبين عند طغيان المحبة وقد جرب في الأحلام أيضا والنور الأخضر المعرفة كما تشهد به الرؤيا ويناسبه هذا الخبر لأنه ﷺ في مقام غاية العرفان كانت رجلاه في خضرة ولعلهم ﷺ إنا

(٢) كذا في «أ» وفي «ط» ممزوج.

(١) في «أ»: حتى يناسب جوهر ذاتهم.

(٣) آل عمران: ١٠٧.

عبروا عن تلك المعاني على تقدير كونها مرادة بهذه التعبيرات لقصور أفهامنا عن محض الحقيقة كما تعرض على النفوس الناقصة في الرؤيا هذه الصور ولأننا في منام طويل من الغفلة عن الحقائق كما قال ﷺ الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا^(١) وهذه التأويلات غاية ما يصل إليه أفهامنا القاصرة والله أعلم بمراد حججه وأوليائه ﷺ.

١٩- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن إبراهيم بن هاشم عن ابن أبي عمير عن مرازم عن أبي عبد الله ﷺ قال سمعته يقول رأى رسول الله ﷺ ربه عز وجل يعني بقلبه.

و تصديق ذلك ما حدثنا به ابن الوليد عن الصغار عن ابن أبي الخطاب عن محمد بن الفضيل قال سألت أبا الحسن ﷺ هل رأى رسول الله ﷺ ربه عز وجل فقال نعم بقلبه رآه أما سمعت الله عز وجل يقول ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ لم يره بالبصر ولكن رآه بالقلوب^(٢).

٢٠- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن الأصمغاني عن المنقري عن حفص أو غيره قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ قال رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض^(٣).

٢١- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن علي بن أبي القاسم عن يعقوب بن إسحاق قال كتبت إلى أبي محمد ﷺ أسأله كيف يعبد العبد ربه وهو لا يراه فوق ﷺ يا أبا يوسف جل سدي ومولاي والمنعم علي وعلى آبائي أن يرى قال وسأنته هل رأى رسول الله ﷺ ربه فوق ﷺ أن الله تبارك وتعالى أرى رسوله بقلبه من نور عظمتة ما أحب^(٤).

٢٢- يد: [التوحيد] ابن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان عن ابن حميد قال ذكرت أبا عبد الله ﷺ فيما يروون من الرواية فقال الشمس جزء من سبعين جزءا من نور الكرسي والكرسي جزء من سبعين جزءا من نور العرش والعرش جزء من سبعين جزءا من نور الحجاب والحجاب جزء من سبعين جزءا من نور السر فإن كانوا صادقين فليملئوا أعينهم من الشمس ليس دونها سحاب^(٥).

بيان: لعله تمثيل وتنبه على عجز القوى الجسمانية وبيان لأن لإدراكها حدا لا تتجاوزه ويحتمل أن يكون تنبيها بضعف القوى الظاهرة على ضعف القوى الباطنة أي كما لا يقدر بصرك في رأسك على تحديد النظر إلى الشمس فكذلك لا يقدر عين قلبك على مطالعة شمس ذاته وأنوار جلالة والأول أظهر.

٢٣- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن عيسى^(٦) عن البرزطي عن أبي الحسن الموصلي عن أبي عبد الله ﷺ قال جاء حبر إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك حين عبدته فقال ويلك ما كنت أعبد ربا لم أره قال وكيف رأيت قال ويلك لا تدركه العيون في مشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان^(٧).

٢٤- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن الثوفي عن البطائني عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال قلت له أخبرني عن الله عز وجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة قال نعم وقد رآوه قبل يوم القيامة فقلت متى قال حين قال لهم ﴿الَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَلُوَابِلِي﴾^(٨) ثم سكت ساعة ثم قال وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة أ لست تراه في وقتك هذا.

قال أبو بصير فقلت له جعلت فداك فأحدث بهذا عنك فقال لا فإنك إذا حدثت به فأنكره منكر جاهل بمعنى ما تقوله ثم قدر أن ذلك تشبيه وكفر وليست الرؤية بالقلب كالرؤية بالعين تعالى الله عما يصفه المشبهون والمحدثون^(٩).

(١) انظر: كلمة للإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ص ٥٤ الكلمة الثانية.

(٢) التوحيد: ١١٦ ح ٨ ١٦ - ١٧.

(٣) التوحيد: ١٠٨ ح ٨ ٢.

(٤) التوحيد: ١٠٨ ح ٨ ٣.

(٥) التوحيد: ١٠٩ ح ٨ ٦.

(٦) ابن عيسى سقط في المصدر. وأقول سقط. لأن محمد بن عيسى سمع من البرزطي وفقا للتجاذب: ٢٠٣ رقم ١٧٨ والبرزطي سيأتي مترجما.

(٧) الاعراف: ١٧٢.

(٨) التوحيد: ١١٧ ح ٨ ٢٠. أما رؤيته - جل - ولا - يوم القيامة فيمعني ما سيلحظه الانسان عيانا لمظاهر عظمتة وكبريائه وملكوته

٢٥- لي: [الأمالي للصديق]- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن السعدآبادي عن البرقي عن أبيه عن أحمد بن النضر^(١) عن محمد بن مروان عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن عبد الله بن عباس في قوله عز وجل ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢) قال يقول سبحانه تبث إليك من أن أسألك رؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لا ترى^(٣).

قال الصديق رحمه الله إن موسى ﷺ علم أن الله عز وجل لا يجوز عليه الرؤية وإنما سأل الله عز وجل أن يريه ينظر إليه عن قوله حين ألحوا عليه في ذلك فسأل موسى ربه ذلك من غير أن يستأذنه فقال ﴿وَبِأَرْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ الشَّفَقَةَ مَكَانُهُ﴾ في حال تدكدكه ﴿فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ ومعناه أنك لا تراني أبداً لأن الجبل لا يكون ساكناً متحركاً في حال أبداً وهذا مثل قوله عز وجل ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ ومعناه أنهم لا يدخلون الجنة أبداً كما لا يلج الجمال في سم الخياط أبداً ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ أَيْ ظَهَرَ بِآيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ وَتَلَكَ آيَةُ نُورٍ مِنَ الْأَنْوَارِ الَّتِي خَلَقَهَا أَلْقَى مِنْهَا عَلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ ﴿فَجَعَلَهُ ذَكَاً وَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً﴾ من هول تدكدك ذلك الجبل على عظمه وكبره ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ بُنْتُ إِلَيْكَ﴾ أي رجعت إلى معرفتي بك عادلاً عما حملني عليه قومي من سؤالات الرؤية ولم تكن هذه التوبة من ذنبه لأن الأنبياء لا يذنبون ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولم يكن الاستئذان قبل السؤال بواجب عليه لكنه كان أدباً أن يستعمله ويأخذ به نفسه متى أراد أن يسأله على أنه قد روى قوم أنه قد استأذن في ذلك فأذن له ليعلم قومه بذلك أن الرؤية لا تجوز على الله عز وجل وقوله ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول أنا أول المؤمنين من القوم الذين كانوا معه وسأله أن يسأل ربه أن يريه ينظر إليه بأنك لا ترى. والأخبار التي رويت في هذا المعنى وأخرجها مشايخنا رضي الله عنهم في مصنفاتهم عندي صحيحة وإنما تركت إيرادها في هذا الباب خشية أن يقرأها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عز وجل وهو لا يعلم.

والأخبار التي ذكرها أحمد بن محمد بن عيسى في نوادره والتي أوردها محمد بن أحمد بن يحيى في جامعهم في معنى الرؤية صحيحة لا يردّها إلا مكذب بالحق أو جاهل به وألفاظها ألفاظ القرآن ولكل خبر معنى ينفي التشبيه والتعطيل ويثبت التوحيد وقد أمرنا الأئمة صلوات الله عليهم أن لا نكلم الناس إلا على قدر عقولهم ومعنى الرؤية هنا الواردة في الأخبار العلم وذلك أن الدنيا دار شكوك وارتباب وخطرات فإذا كان يوم القيامة كشف للعباد من آيات الله وأمره في ثوابه وعقابه ما تزول به الشكوك ويعلم حقيقة قدرة الله عز وجل وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل ﴿لَقَدْ كُنْتُ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٤) فمعنى ما روي في الحديث أنه عز وجل يرى أي يعلم علماً يقيني كقوله عز وجل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ﴾^(٥) وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾^(٦) وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ﴾^(٧) وقوله ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾^(٨) وأشياء ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين وأما قول الله عز وجل ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ فمعناه لما ظهر عز وجل للجبل بآية من آيات الآخرة التي يكون بها الجبال سرايا والذي

٤٦

٤٧

بشكل يزول مع أي أثر للشك. فهي هي القيامة أمامه عياناً - بعثاً وحشراً وحساباً وثواباً وعقاباً - ومعها لا مجال لشك وريب مرتاب. أمراه برؤيته قبلها والتي اشغفها بعد ذلك برؤية القلب، تحديث عن إمكان الرؤية القلبية لما خلف أشكال آياته ومظاهر قدرته وجلاله. وهذا الامكان المنوع لقلب الانسان يقوى او يذوى حسب طبيعة الوضع الروحي للانسان. فقد يقوى حتى يصل الى الحالة التي يعبر عنها كلام الامام عليه السلام: متى غبت حتى تحتاج الى دليل يدل عليك وقد يذوى بحيث يهوى الى الحالة التي يعبر عنها قوله تعالى: (صم بكم عني فهم لا يسمعون).

وكيفها يمكن فالرؤية ليس المراد منها تأمل الشكل والكييفية - جل جلاله - منزع عن الشكل والكييفية، وإنما المراد السعي لكشف المزيد من مظاهر الرحمة والقدرة وصولاً الى نور منبعاها.

(١) قال النجاشي: أحمد بن النضر الخزاز. ابوالحسن الجعفي، مولى، كوفي، ثقة، له كتاب ثم ذكر طريقه اليه (رجال النجاشي) ١: ٢٤٧ - ٢٤٨ رقم ٢٤٢.

(٢) وذكر الشيخ كتابه في الفهرست وذكر طريقه اليه ص ٣٤ - ٣٥ رقم ٩١.

(٣) الاعراف: ١٤٣. (٤) الامالي للصديق: ١٢٤ م ٧٧ ح ٣.

(٥) سورة ق: ٢٢. (٦) البقرة: ٢٥٨.

(٧) البقرة: ٢٤٣. (٨) الفيل: ١.

ينسف بها الجبال نسفاً تذكرك الجبل فصار تراباً لأنه لم يطق حمل تلك الآية و قد قيل إنه بدا له نور العرش.^(١)

و تصديق ما ذكرته ما حدثنا به تميم القرشي عن أبيه عن حمدان بن سليمان^(٢) عن علي بن محمد بن الجهم قال حضرت مجلس المأمون و عنده الرضا علي بن موسى^{عليه السلام} فقال له المأمون يا ابن رسول الله أليس من قولك إن الأنبياء معصومون قال بلى فسأله عن آيات من القرآن فكان فيما سأل أن قال له فما معنى قول الله عز و جل ﴿وَلَوْ كُنَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ فِي الْآيَةِ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ مُوسَىٰ بْنِ عِمْرَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ ذَكَرَهُ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الرُّؤْيَا حَتَّىٰ يَسْأَلَ عَنْ هَذَا السُّؤَالُ؟

فقال الرضا^{عليه السلام} إن كلم الله موسى بن عمران^{عليه السلام} علم أن الله تعالى عن أن يرى بالأبصار و لكنه لما كلمه الله عز و جل و قربته نجياً رجع إلى قومه فأخبرهم أن الله عز و جل كلمه و قربته و نجاه فقالوا لن نؤمن لك حتى نسمع كلامه كما سمعت و كان القوم سبعمئة ألف رجل فاختار منهم سبعين ألفاً ثم اختار منهم سبعة آلاف ثم اختار منهم سبعة مائة ثم اختار منهم سبعين رجلاً لميقات ربه فخرج بهم إلى طور سيناء فأقامهم في سفح الجبل و صعد موسى^{عليه السلام} إلى الطور و سأل الله تبارك و تعالى أن يكلمه و يسمعهم كلامه فكلمه الله تعالى ذكره و سمعوا كلامه من فوق و أسفل و يمين و شمال و وراء و أمام لأن الله عز و جل أحدثه في الشجرة ثم جعله منبئاً منها حتى سمعوه من جميع الوجوه فقالوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ بِأَنَّ هَذَا الَّذِي سَمِعْنَاهُ كَلَامُ اللَّهِ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَلَمَّا قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ الْعَظِيمُ وَاسْتَكْبَرُوا وَ عَتَوْا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ عَلَيْهِمْ صَاعِقَةً فَأَخَذَتْهُمْ بِظُلْمِهِمْ فَمَاتُوا فَقَالَ مُوسَىٰ يَا رَبِّ مَا أَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِذَا رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ وَ قَالُوا إِنَّكَ ذَهَبْتَ بِهِمْ فَقَتَلْتَهُمْ لِأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ صَادِقاً فِيمَا ادَّعَيْتَ مِنْ مُنَاجَاةِ اللَّهِ إِلَيْكَ فَأَحْيَاهُمُ اللَّهُ وَ بَعَثَهُمْ مَعَهُ فَقَالُوا إِنَّكَ لَوْ سَأَلْتَ اللَّهَ أَنْ يَرِيكَ تَنْتَظِرُ إِلَيْهِ لِأَجَابِكَ وَ كُنْتَ تَخْبِرُنَا كَيْفَ هُوَ فَنَعْرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ فَقَالَ مُوسَىٰ^{عليه السلام} يَا قَوْمُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَرَىٰ بِالْأَبْصَارِ وَ لَا كَيْفِيَّةَ لَهُ وَ إِنَّمَا يَعْرِفُ بِآيَاتِهِ وَ يَعْلَمُ بِأَعْلَامِهِ فَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَسْأَلَ.

فقال موسى^{عليه السلام} يا رب إنك قد سمعت مقالة بني إسرائيل و أنت أعلم بصلاحتهم فأوحى الله جل جلاله إليه يا موسى اسألني ما سألك فلن أواخذك بهلهم فعند ذلك قال موسى^{عليه السلام} ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ نَرَاكَ وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ وَ هُوَ يَهْوِي فَسَوْفَ نَرَاكَ تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ بِآيَاتِهِ ﴿جَعَلَهُ دَكًّا وَ خَرَّ مُوسَىٰ ضِعْفًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ يقول رجع إلى معرفتي بك عن جهل قومي ﴿وَ أَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ منهم بأنك لا ترى فقال المأمون لله درك يا أبا الحسن الخبر.^(٣)

ن: [عيون أخبار الرضا^{عليه السلام}] تميم القرشي مثله.^(٤)

بيان:

اعلم أن المنكرين للرؤية و المثبتين لها كليهما استدلوا بما ورد في تلك القصة على مطلوبهم فأما المثبتون فاحتجوا بها بوجهين:

الأول: أن موسى^{عليه السلام} سأل الرؤية و لو امتنع كونه تعالى مرثياً لما سأل لأنه حينئذ إما أن يعلم امتناعه أو يجله فإن علمه بالعاقب لا يطلب المحال لأنه عبث و إن جهله بالفاجهل بما لا يجوز على الله تعالى و يمتنع لا يكون نبياً كليماً. و أوجب عنه بوجوه:

الأول: ما ورد في هذا الخبر من أن السؤال إنما كان بسبب قومه لا لنفسه لأنه كان عالماً بامتناعها و هذا أظهر الوجوه و اختاره السيد الأجل المرتضى في كتابي تنزيه الأنبياء^(٥) و غرر الفوائد^(٦) و أيده بوجوه منها حكاية طلب الرؤية من بني إسرائيل في مواضع كقوله تعالى ﴿فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ

(١) التوحيد: ١١٨ - ١٢٠ ب ٨ ح ٢٢ و ذيله وفيه: في حال نزله و تذكركه.

(٢) وفي نسخة: أحمد بن سليمان.

(٣) التوحيد: ١٢١ ب ٨ ح ٢٤.

(٤) عيون أخبار الرضا^{عليه السلام} ١: ١٧٨ ب ١٥ ح ١ وفيه: إن كلم الله موسى بن عمران^{عليه السلام} علم أن الله تعالى اعز أن يرى بالأبصار.

(٥) تنزيه الأنبياء: ٧٥ و ما بعدها.

(٦) أمالي الشريف المرتضى ٤: ١٢٣ و ما بعدها.

الصَّاعِقَةُ يُظْلِمُهُمْ»^(١) وقوله تعالى ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ»^(٢) ومنها أن موسى ﷺ أضاف ذلك إلى السفهاء قال الله تعالى ﴿فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِنِّي أَنْهَلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا»^(٣) وإضافة ذلك إلى السفهاء تدل على أنه كان بسببهم ومن أجلهم حيث سألوها ما لا يجوز عليه تعالى.

فإن قيل فلم أضاف السؤال إلى نفسه ووقع الجواب مختصا به قلنا لا يمتنع وقوع الإضافة على هذا الوجه مع أن السؤال كان لأجل الغير إذا كانت هناك دلالة تؤمن من اللبس فلهذا يقول أحدنا إذا شفع في حاجة غيره للمشفوع إليه أسألك أن تفعل بي كذا وتجيبي إلى ذلك ويحسن أن يقول المشفوع إليه قد أجبتك وشفعتك وما جرى مجرى ذلك على أنه قد ذكر في الخبر ما يغني عن هذا الجواب.

وأما ما يورد في هذا المقام من أن السؤال إذا كان للغير فأى جرم كان لموسى حتى تاب منه فأجاب ﷺ بحمل التوبة على معناه اللغوي^(٤) أي الرجوع أي كنت قطعت النظر عما كنت أعرفه من عدم جواز رؤيتك وسألت ذلك للقوم فلما انتقضت المصلحة في ذلك تركت هذا السؤال ورجعت إلى معرفتي بعدم جواز رؤيتك وما تقتضيه من عدم السؤال.

وأجاب السيد قدس الله روحه عنه بأنه يجوز أن يكون التوبة لأمر آخر غير هذا الطلب أو يكون ما أظهره من التوبة على سبيل الرجوع إلى الله تعالى وإظهار الانقطاع إليه والتقرب منه وإن لم يكن هناك ذنب والحاصل أن الغرض من ذلك إنشاء التذلل والخضوع ويجوز أن يضاف إلى ذلك تنبيه القوم المخطئين على التوبة مما التمسوه من الرؤية المستحيلة عليه بل أقول يحتمل أن تكون التوبة من قبلهم كما كان السؤال كذلك.

الثاني: أنه ﷺ لم يسأل الرؤية بل تجوز بها عن العلم الضروري لأنه لازمها وإطلاق اسم الملزوم على اللازم شائع سيما استعمال رأى بمعنى علم وأرى بمعنى أعلم والحاصل أنه سأله أن يعلم نفسه ضرورة بإظهار بعض أعلام الآخرة التي تضطره إلى المعرفة فتزول عنه الدواعي والشكوك ويستغني عن الاستدلال كما سأل إبراهيم ﷺ ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى»^(٥)

الثالث: أن في الكلام مضافا محذوفا أي أرني آية من آياتك أنظر إلى آيتك وحاصله يرجع إلى الثاني.

الرابع: أنه ﷺ سأل الرؤية مع علمه بامتناعها لزيادة الطمأنينة بتعاقد دليل العقل والسمع كما في طلب إبراهيم ﷺ وحاصله يرجع إلى منع أن العاقل لا يطلب المحال الذي علم استحالاته إذ يمكن أن يكون الطلب لغرض آخر غير حصول المطلوب فلا يلزم العبث لجواز ترتب غرض آخر عليه والعبث ما لا فائدة فيه أصلا ولعل في هذا السؤال فوائد عظيمة سوى ما ذكر أيضا ولا يلزمنا تعيين الفائدة بل على المستدل أن يدل على انتفائها مطلقا ونحن من وراء المنع وما يستغرب من الأشاعة أنهم أجمعوا على أن الطلب غير الإرادة واحتجوا عليه بأن الأمر ربما أمر عبده بأمر وهو لا يريده بل يريد تقيضه ثم يقولون ها هنا بأن طلب ما علم استحالاته لا يتأتى من العاقل.

الثاني من وجهي احتجاجهم: هو أنه تعالى علق الرؤية على استقرار الجبل وهو أمر ممكن في نفسه والمعلق على الممكن ممكن لأن معنى التعليق إن المعلق يقع على تقدير وقوع المعلق عليه والمحال لا يقع على شيء من التقادير ويمكن الجواب عنه بوجوه أوجهها أن يقال التعليق إما أن يكون الغرض منه بيان وقت المعلق وتحديد وقوعه بزمان وشرط ومن البين أن ما نحن فيه ليس من هذا القبيل وإما أن يكون المطلوب فيه مجرد بيان تحقق الملازمة وعلاقة الاستلزام بأن يكون لإفادة النسبة التي بين الشرط والجزاء مع قطع النظر عن وقوع شيء من الطرفين وعدم وقوعه ولا يخفى على ذي لب أن لا علاقة بين استقرار الجبل ورويته تعالى في نفس الأمر ولا ملازمة على أن إفادة مثل هذا الحكم وهو تحقق علاقة اللزوم بين هاتين القضيتين لا يليق بسياق مقاصد القرآن الحكيم مع ما فيه من بعده عن مقام سؤال الكلام فإن المناسب لما طلب من الرؤية بيان وقوعه ولا وقوعه لا مجرد

(١) النساء: ٥٥.

(٢) البقرة: ٥٥.

(٣) الاعراف: ١٥٥.

(٤) البقرة: ٢٦٠.

(٥) البقرة: ٢٦٠.

٢٧- نهج: [نهج البلاغة] من كلام له عليه السلام وقد سأله ذعبل اليماني فقال هل رأيت ربك يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام أفأعبد ما لا أرى قال وكيف تراه قال لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الإيمان قريب من الأشياء غير ملامس^(١) بعيد منها غير مباين متكلم لا بروية ومريد بلا همة صانع لا بجارحة لطيف لا يوصف بالخفاء كبير لا يوصف بالجفاء بصير لا يوصف بالحاسة رحيم لا يوصف بالركة تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته^(٢) ٢٨- سنن: [المحاسن] البرنظي عن رجل من أهل الجزيرة عن أبي عبد الله عليه السلام أن رجلا من اليهود أتى أمير المؤمنين عليه السلام فقال يا علي هل رأيت ربك فقال ما كنت بالذي أعبد^(٣) إلها لم أره ثم قال لم تره العيون في مشاهدة الأبصار غير أن الإيمان بالغيب من عقد القلوب^(٤)

٢٩- شي: [تفسير العياشي] عن الأشعث بن حاتم قال قال ذو الرئاسين قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام جعلت فداك أخبرني عما اختلف فيه الناس من الرؤية فقال بعضهم لا يرى فقال يا أبا العباس من وصف الله بخلاف ما وصف به نفسه فقد أعظم القرية على الله قال الله تعالى «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» هذه الأبصار ليست هي الأعين إنما هي الأبصار التي في القلوب لا تقع عليه الأوهام ولا يدرك كيف هو^(٥) ٣٠- ضه: [روضة الواعظين] سأل محمد الحلبي الصادق عليه السلام فقال رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه قال نعم رآه بقلبه فأما رينا بل جلالة فلا تدركه أبصار حدق الناظرين ولا يحيط به أسماع السامعين^(٦) ٣١- وسئل الصادق عليه السلام هل يرى الله في المعاد فقال سبحانه تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا إن الأبصار لا تدركه إلا ما له لون وكيفية والله خالق الألوان والكيفية^(٧)

٣٢- نص: [كفاية الأثر] الحسين بن علي عن هارون بن موسى عن محمد بن الحسن عن الصفار عن يعقوب بن يزيد^(٨) عن ابن أبي عمير عن هشام قال كنت عند الصادق جعفر بن محمد عليه السلام إذ دخل عليه معاوية بن وهب وعبد الملك بن أعين فقال له معاوية بن وهب يا ابن رسول الله ما تقول في الخبر الذي روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربه على أي صورة رآه وعن الحديث الذي روه أن المؤمنين يرون ربهم في الجنة على أي صورة يرونه؟ فتبسم^(٩) ثم قال يا معاوية ما أقبح بالرجل يأتي عليه سبعون سنة أو ثمانون سنة يعيش في ملك الله ويأكل من نعمه ثم لا يعرف الله حق معرفته.

ثم قال عليه السلام يا معاوية إن محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم ير الرب تبارك وتعالى بمشاهدة العيان وإن الرؤية على وجهين رؤية القلب ورؤية البصر فمن عنى برؤية القلب فهو مصيب ومن عنى برؤية البصر فقد كفر بالله وبآياته لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من شبه الله بخلقه فقد كفر ولقد حدثني أبي عن أبيه عن الحسين بن علي قال سئل أمير المؤمنين عليه السلام قيل يا أبا رسول الله هل رأيت ربك فقال وكيف أعبد من لم أره لم تره العيون بمشاهدة العيان ولكن رآته القلوب بحقائق الإيمان فإذا كان المؤمن يرى ربه بمشاهدة البصر فإن كل من جاز عليه البصر والرؤية فهو مخلوق ولا بد للمخلوق من الخالق فقد جعلته إذا محدثا مخلوقا ومن شبهه بخلقه فقد اتخذ مع الله شريكا ويلهم أو لم يسمعوا يقول الله تعالى «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» وقوله «لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ قَسُوفٌ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا» وإنما طلع من نوره على الجبل كضوء يخرج من سم

(١) كذا في النسخ، وفي النهج غير ملامس وهو الانسب.

(٢) نهج البلاغة خ ١٧٩ ص ١٨٦ وفيه: ومريد بلا همة، وتجب القلوب؛ بمعنى تتعطف وتنشق [الصالح: ٩٦].

(٣) في «أ»: ما كنت أعبد.

(٤) المحاسن: ٢٣٩ المصاحب ٢٤ ح ٢١٦، وفيه: أن الإيمان بالغيب بين عقد القلوب.

(٥) تفسير العياشي ١: ٤٠٣ سورة الانعام ح ٧٨، وفيه: إنما هي الأبصار التي في القلب.

(٦) روضة الواعظين: ٤١.

(٧) روضة الواعظين: ٤٢.

(٨) قال النجاشي - طاب ثراه - يعقوب بن يزيد بن حماد الانباري السلمي أبو يوسف من كتاب المنتصر روى عن أبي جعفر الثاني عليه السلام وانتقل إلى بغداد وكان ثقة صدوقا ثم ذكر كتبه والطريق إليه (رجال النجاشي ٢: ٢٤٦ - ٢٤٧ رقم ١٢١٦) وذكر الشيخ في الفهرست موقفا قال: يعقوب بن يزيد الكاتب الانباري كثير الرواية، ثقة له كتب ثم ذكر طريقه إليها (ص ١٨٠ رقم ٧٨٢) وقد عده في رجاله ضمن رجال الإمام الرضا عليه السلام وثقة قال: هو ويزيد ابوه ثقتان (رجال الشيخ ص ٣٩٥ رقم: ١٢) وثقة كذلك في أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ص ٤٢٥ رقم: ٢٠ و كان البرقي قد عده ضمن أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام في رجاله ص ٥٢ وكذا في أصحاب الإمام الهادي عليه السلام ص ٦٠.

الغياط فدكدكت الأرض وصعقت الجبال ﴿فَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ أي ميتا ﴿فَلَمَّا أَفَاقَ﴾ ورد عليه روحه ﴿فَقَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ﴾ من قول من زعم أنك ترى ورجعت إلى معرفتي بك أن الأبصار لا تدركك ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ و أول المقربين بأنك ترى ولا ترى وأنت بالمع نظر الأعلى.

ثم قال ﷺ إن أفضل الفرائض وأوجها على الإنسان معرفة الرب والإقرار له بالعبودية وحد المعرفة أن يعرف أنه لا إله غيره ولا شبيه له ولا نظير وأن يعرف أنه قديم مثبت موجود غير فقيد موصوف من غير شبيه ولا مبطل ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ وبعده معرفة الرسول والشهادة بالنبوة وأدنى معرفة الرسول الإقرار بنبوته وأن ما أتى به من كتاب أو أمر أو نهي فذلك من الله عز وجل وبعده معرفة الإمام الذي به تأتم نبعته وصفته واسمه في حال العسر واليسر وأدنى معرفة الإمام أنه عدل النبي إلا درجة النبوة ووارثه وأن طاعته طاعة الله وطاعة رسول الله والتسليم له في كل أمر والرد إليه والأخذ بقوله ويعلم أن الإمام بعد رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وبعده الحسن ثم الحسين ثم علي بن محمد بن علي ثم أنا ثم بعدي موسى ابني وبعده علي ابنه وبعده علي محمد ابنه وبعده محمد علي ابنه وبعده علي الحسن ابنه والحجة من ولد الحسن ثم قال يا معاوية جعلت لك أصلا في هذا فاعمل عليه فلو كنت تموت على ما كنت عليه لكان حالك أسوأ الأحوال فلا يغرنك قول من زعم أن الله تعالى يرى بالبصر قال وقد قالوا أعجب من هذا أو لم ينسبوا آدم ﷺ إلى المكروه أو لم ينسبوا إبراهيم ﷺ إلى ما نسبوه أو لم ينسبوا داود ﷺ إلى ما نسبوه من حديث الطير أو لم ينسبوا يوسف الصديق إلى ما نسبوه من حديث زليخا أو لم ينسبوا موسى ﷺ إلى ما نسبوه من القتل أو لم ينسبوا رسول الله ﷺ إلى ما نسبوه من حديث زيد أو لم ينسبوا علي بن أبي طالب ﷺ إلى ما نسبوه من حديث القطيفة أنهم أرادوا بذلك توبيخ الإسلام ليرجعوا على أعقابهم أعمى الله أبصارهم كما أعمى قلوبهم تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا^(١)

٣٣- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن أحمد بن إدريس عن ابن عيسى عن علي بن سيف عن محمد بن عبيدة قال كتبت إلى أبي الحسن الرضا ﷺ أسأله عن الرؤية وما ترويه العامة والخاصة وسأته أن يشرح لي ذلك.

فكتب ﷺ بخطه اتفق الجميع لا تمنع بينهم إن المعرفة من جهة الرؤية ضرورة فإذا جاز أن يرى الله عز وجل بالعين^(٢) وقعت المعرفة ضرورة ثم لم تخل تلك المعرفة من أن تكون إيمانا أو ليست بإيمان فإن كانت تلك المعرفة من جهة الرؤية إيمانا فالمعرفة التي في دار الدنيا من جهة الاكتساب ليست بإيمان لأنها ضده فلا يكون في الدنيا أحد مؤمنا لأنهم لم يروا الله عز وجل وإن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيمانا لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب أن تزول أو لا تزال في المعاد فهذا دليل على أن الله عز وجل لا يرى بالعين إذ العين يؤدي إلى ما وصفناه^(٣)

إيضاح: اعلم أن الناظرين في هذا الخبر قد سلكوا مسالك شتى في حلها ولنذكر بعضها:

الأول: وهو الأقرب إلى الأفهام وإن كان أبعد من سياق الكلام وكان الوالد العلامة قدس الله روحه يرويه عن المشايخ الأعلام وتقريره على ما حرره بعض الأفاضل الكرام هو أن المراد أنه اتفق الجميع أي جميع العقلاء من مجوزي الرؤية ومحيلها لا تمنع ولا تنازع بينهم على أن المعرفة من جهة الرؤية ضرورة أي كل ما يرى يعرف بأنه على ما يرى وأنه متصف بالصفات التي يرى عليها ضرورة فحصول معرفة المرئي بالصفات التي يرى عليها ضروري وهذا الكلام يحتمل وجهين أحدهما كون قوله من جهة الرؤية خبرا أي إن المعرفة بالمرئي يحصل من جهة الرؤية ضرورة وثانيهما تعلق الظرف بالمعرفة وكون قوله ضرورة خبرا أي المعرفة الناشئة من جهة الرؤية ضرورة^(٤) أي ضرورة والضرورة على الاحتمالين تحتل الوجوب والبدهة وتقرير الدليل أن حصول المعرفة من جهة الرؤية ضروري فلو جاز أن يرى الله سبحانه بالعين وقعت المعرفة من جهة الرؤية ضرورة فتلك المعرفة لا يخلو من أن يكون إيمانا أو لا يكون إيمانا وما

(١) كتابة الاثر في النص على الائمة الاثني عشر ص ٢٥٦ وفيه: او لم ينسبوا موسى ﷺ إلى ما نسبوه؟

(٢) وفي نسخة: فإذا جاز أن يرى الله عز وجل بالعين.

(٣) التوحيد: ١٠٩ - ١١٠ ب ٨ ح ٨ وفيه: أن تزول ولا تزول في المعاد.

(٤) في "أ": من جهة الرؤية عند الرؤية ضرورة.

باطلان لأنه إن كانت إيمانا لم تكن المعرفة الحاصلة في الدنيا من جهة الاكتساب إيمانا لأنهما متضادان فإن المعرفة الحاصلة بالاكتساب أنه ليس بجسم و ليس في مكان و ليس بمتكلم و لا متكيف و الرؤية بالعين لا يكون إلا بإدراك صورة متحيزة من شأنها الانطباع في مادة جسمانية و المعرفة الحاصلة من جهتها معرفة بالمرئي بأنه متصف بالصفات المدركة في الصورة فهما متضادتان لا يجتمعان في المطابقة للواقع فإن كانت هذه إيمانا لم تكن تلك إيمانا فلا يكون في الدنيا مؤمن لأنهم لم يروا الله عز ذكره و ليس لهم إلا المعرفة من جهة الاكتساب فلو لم يكن إيمانا لم يكن في الدنيا مؤمن و إن لم تكن تلك المعرفة التي من جهة الرؤية إيمانا أي اعتقادا مطابقا للواقع و كانت المعرفة الاكتسابية إيمانا لم تخل هذه المعرفة التي من جهة الاكتساب من أن تزول عند المعرفة من جهة الرؤية لتضادهما أو لا تزول لامتناع زوال الإيمان في الآخرة.

و هذه العبارة تحتل ثلاثة أوجه أحدها لم تخل هذه المعرفة من الزوال عند الرؤية و المعرفة من جهتها لتضادهما و الزوال مستحيل لا يقع لامتناع زوال الإيمان في الآخرة و ثانيها لم تخل هذه المعرفة من الزوال و عدم الزوال و يكون متصفا بكلهما في المعاد عند وقوع الرؤية و المعرفة من جهتها لامتناع اجتماع الضدين و امتناع زوال الإيمان في المعاد و المستلزم لاجتماع التقيضين مستحيل و ثالثها لم تخل هذه المعرفة من الزوال و عدم الزوال و لا بد من أحدهما و كل منهما محال.

و أما بيان أن الإيمان لا يزول في المعاد بعد الاتفاق و الاجتماع عليه أن الاعتقاد الثابت المطابق للواقع الحاصل بالبرهان مع معارضة الوسواس الحاصلة في الدنيا يمتنع زوالها عند ارتفاع الوسواس و الموانع على أن الرؤية عند مجوزيتها أنها تقع للخواص من المؤمنين و الكامل منهم في الجنة فلو زال إيمانهم لزم كون غير المؤمن أعلى درجة من المؤمن و كون الأحرط مرتبة أكمل من الأعلى درجة و فساد ظاهر.

أقول: الاحتمالات الثلاثة إنما هي على ما في الكافي من الواو^(١) و أما على ما في التوحيد من كلمة أو فالأخير متعين.

ثم اعلم أنه يرد على هذا الحل أن من لم يسلم امتناع الرؤية كيف يسلم كون الإيمان المكتسب منافيا لها و إن ادعى الضرورة في كون الرؤية مستلزما لما اتفقوا على امتناعه فهو كاف في إثبات المطلوب إلا أن يقال إنما أورد هكذا بيانا لكثرة الفساد و إيضاها للمراد أو يقال لعله ﷺ كان بين للسائل امتناع الرؤية بالدلائل فلما ذكر السائل ما تزويه العامة في ذلك بين امتناع وقوع ما ثبت لنا بالبراهين امتناعه و أمنا به بهذا الوجه.

الثاني: أن حاصل الدليل أن المعرفة من جهة الرؤية غير متوقفة على الكسب و النظر و المعرفة في دار الدنيا متوقفة عليه ضعيفة بالنسبة إلى الأولى فتخالفتا مثل الحرارة القوية و الحرارة الضعيفة فإن كانت المعرفة من جهة الرؤية إيمانا لم تكن المعرفة من جهة الكسب إيمانا كاملا لأن المعرفة من جهة الرؤية أكمل منها و إن لم يكن إيمانا يلزم سلب الإيمان عن الرأيين لامتناع اجتماع المرتبتين في زمان واحد في قلب واحد يعني قيام تصديقين أحدهما أقوى من الآخر بذهن واحد و أحدهما حاصل من جهة الرؤية و الآخر من جهة الدليل كما يمتنع قيام حرارتين بماء واحد في زمان واحد و يرد عليه النقض بكثير من المعارف التي تعرف في الدنيا بالدليل و تصير في الآخرة بالمعينة ضرورية و يمكن بيان الفرق بتكلف.

الثالث: ما حققه بعض الأفاضل بعد ما مهد من أن نور العلم و الإيمان يشتد حتى يستهي إلى المشاهدة و العيان لكن العلم إذا صار عينا لم يصر عينا محسوسا و المعرفة إذا انقلبت مشاهدة لم تنقلب مشاهدة بصرية حسية لأن الحس و المحسوس نوع مضاد للعقل و المعقول ليس نسبة أحدهما إلى الآخر نسبة النقص إلى الكمال و الضعف إلى الشدة بل لكل منهما في حدود نوعه

مراتب في الكمال والنقص لا يمكن لشيء من أفراد أحد النوعين المتضادين أن ينتهي في مراتب استكمالته و اشتداده إلى شيء من أفراد النوع الآخر فالإبصار إذا اشتد لا يصير تخيلاً مثلاً ولا التخيّل إذا اشتد يصير تعقلاً ولا بالعكس نعم إذا اشتد التخيّل تصير مشاهدة و رؤية بعين الخيال لا بعين الحس و كثيراً ما يقع الغلط من صاحبه أنه رأى بعين الخيال أم بعين الحس الظاهر كما يقع للمبرسمين والمجانين^(١) وكذا التعقل إذا اشتد يصير مشاهدة عقلية و رؤية عقلية لا خيالية ولا حسية وبالجملة الإحساس والتخيّل والتعقل أنواع متقابلة من المدارك كل منها في عالم آخر من العوالم الثلاثة و يكون تأكد كل منها حجاً مانعاً عن الوصول إلى الآخر فإذا تمهد هذا فنقول اتفق الجميع أن المعرفة من جهة الرؤية أمر ضروري و أن رؤية الشيء متضمنة لمعرفته بالضرورة بل الرؤية بالحس نوع من المعرفة فإن من رأى شيئاً فقد عرفه بالضرورة فإن كان الإيمان بعينه هو هذه المعرفة التي مرجعها الإدراك البصري و الرؤية الحسية فلم تكن المعرفة العلمية التي حصلت للإنسان من جهة الاكتساب بطريق الفكر و النظر إيماناً لأنها ضده لأنك قد علمت أن الإحساس ضد التخيّل و أن الصورة الحسية ضد الصورة العقلية فإذا لم يكن الإيمان بالحقيقة مشتركاً بينهما و لا أمراً جامعاً لهما لثبوت التضاد و غاية الخلاف بينهما و لا جنساً مبهماً بينهما غير تام الحقيقة المتحصلة كجنس المتضادين مثل اللونية بين نوعي السواد والبياض لأن الإيمان أمر محصل و حقيقة معينة فهو إما هذا و إما ذلك فإذا كان ذلك لم يكن هذا و إن كان هذا لم يكن ذلك ثم ساق الدليل إلى آخره كما مر و لا يخفى أن شيئاً من الوجوه لا يخلو من تكلفات إما لفظية و إما معنوية و لعله ﷺ بنى ذلك على بعض المقدمات المقررة بين الخصوم في ذلك الزمان إلزاماً عليهم كما صدر عنهم كثير من الأخبار كذلك و الله تعالى يعلم و حججه حقائق كلامهم ﷺ.

تذييل:

اعلم أن الأمة اختلفوا في رؤية الله تعالى على أقوال فذهب الإمامية و المعتزلة إلى امتناعها مطلقاً و ذهب المشبهة و الكرامية^(٢) إلى جواز رؤيته تعالى في الجهة و المكان لكونه تعالى عندهم جسماً و ذهب الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى منزها عن المقابلة و الجهة و المكان.

قال الآبي في كتاب إكمال الإكمال ناقلاً عن بعض علمائهم أن رؤية الله تعالى جائزة في الدنيا عقلاً و اختلف في وقوعها و في أنه هل رآه النبي ﷺ ليلة الأسرى أم لا فأنكرته عائشة و جماعة من الصحابة و التابعين و المتكلمين و أثبت ذلك ابن عباس^(٣) و قال إن الله اخضعه بالرؤية و موسى بالكلام و إبراهيم بالخلة و أخذ به جماعة من السلف و الأشعرى في جماعة من أصحابه و ابن حنبل و كان الحسن يقسم لقد رآه^(٤) و توقف فيه جماعة هذا حال رؤيته في الدنيا و أما رؤيته في الآخرة فجائزة عقلاً و أجمع على وقوعها أهل السنة و أهلها المعتزلة و المرجئة و الخارج و الفرق بين الدنيا و الآخرة أن القوى و الإدراكات ضعيفة في الدنيا حتى إذا كانوا في الآخرة و خلقهم للبقاء قوى إدراكهم فأطاقوا رؤيته انتهى كلامه.

و قد عرفت مما مر أن استحالة ذلك مطلقاً هو المعلوم من مذهب أهل البيت ﷺ و عليه إجماع الشيعة باتفاق المخالف و المؤلف و قد دلت عليه الآيات الكريمة و أقيمت عليه البراهين الجلية و قد أشرنا إلى بعضها و تمام الكلام في ذلك موكول إلى الكتب الكلامية.

(١) الرسام: علة يهذي بها، كذا قال الفيروز آبادي في القاموس المحيط ٤: ٨٠.

(٢) أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام، قال الشهرستاني كان ممن يثبت الصفات، إلا أنه ينتهي فيها إلى التجسيم و التشبيه و هم طوائف يبلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة و أصولها ستة: العالدية و التونية و الزينية و الاسحاقية و الواحدية. ثم قال: نص أبو عبد الله على أن معبوده على عرش استقرا و أنه مساس للعرش من الصفحة العليا، و جواز الانتقال و التحول و النزول، و منهم من قال أنه على بعض أجزاء العرش، و قال بعضهم استلأ العرش به (الملك و النحل ١: ١٥٩) و لقبه ابن حجر بالسجستاني، و نقل عن الحاكم قوله: إن أصله من زرع و نشأ بسجستان مات سنة ٢٥٥ هـ في الشام (لسان الميزان ٥: ٤٠٠ - ٤٠١ رقم ٧٩٤٦).

(٣) نقل القوم عن ابن عباس أقوالاً متعددة و متناقضة و من بينها هذا القول. إلا أنهم يروون عنه أيضاً أنه رآه بالقلب و من روى عنه ذلك مسلم و أحمد و الطبراني و ابن مردويه و البيهقي و عبد بن حميد و الترمذي و حسنة و ابن جرير و ابن المنذر. ذلك ما قاله في (الدر المنثور ٧: ٦٤٦).

(٤) انظر تفسير الطبري ٢٧: ٢٦ - ٢٩ و تفسير الدر المنثور ٧: ٦٤٦ - ٦٤٩.

أبواب الصفات

باب ١

نفي التركيب واختلاف المعاني والصفات وأنه
ليس محلا للحوادث والتغيرات وتأويل
الآيات فيها والفرق بين صفات الذات و صفات
الأفعال

٦٢
٤
١-ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الفضل بن سليمان الكوفي عن الحسين بن خالد قال سمعت الرضا علي بن موسى عليه السلام يقول لم يزل الله تبارك وتعالى عالما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا فقلت له يا ابن رسول الله إن قوما يقولون إنه عز وجل لم يزل عالما بعلم وقادرا بقدرة وحيا بحياة وقديما بقدم وسميعا بسمع وبصيرا ببصر فقال عليه السلام من قال بذلك ودان به فقد اتخذ مع الله آلهة أخرى وليس من ولايتنا على شيء ثم قال عليه السلام لم يزل الله عز وجل عالما قادرا حيا قديما سميعا بصيرا لذاته تعالى عما يقول المشركون والمشبّهون علوا كبيرا. (١)
ج: [الإحتجاج] مرسلا مثله (٢).

بيان: اعلم أن أكثر أخبار هذا الباب تدل على نفي زيادة الصفات أي على نفي صفات موجودة زائدة على ذاته تعالى وأما كونها عين ذاته تعالى بمعنى أنها تصدق عليها أو أنها قائمة مقام الصفات الحاصلة في غيره تعالى أو أنها أمور اعتبارية غير موجودة في الخارج واجبة الثبوت لذاته تعالى فلا نص (٣) فيها على شيء منها وإن كان الظاهر من بعضها أحد المعنيين الأولين ولتحقيق الكلام في ذلك مقام آخر.

قال المحقق الدواني لا خلاف بين المتكلمين كلهم والحكماء في كونه تعالى عالما قديما مريدا متكلمًا وهكذا في سائر الصفات ولكنهم يخالفوا في أن الصفات عين ذاته أو غير ذاته أو لا هو ولا

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١، ١٠٩ ب ١١ ح ١٠ التوحيد: ١٣٩ - ١٤٠ ب ١١ ح ٣، أمالي الصدوق: ٢٢٩ م ٤٧ ح ٥.

(٢) الإحتجاج: ٤١٠.

(٣) قال السيد الطباطبائي: وهذا من عجيب الكلام ودلالة الروايات على عينية الصفات للذات مما لا غبار عليها، بمعنى أن لله سبحانه مثلا علما حقيقة بالاشياء لا مجازا ولا اثر العلم ونتاجته، وهذا العلم بذاته لا بصفة غير ذاته.

غيره فذهبت المعتزلة والفلاسفة إلى الأول وجمهور المتكلمين^(١) إلى الثاني والأشعري إلى الثالث والفلاسفة حققوا عينية الصفات بأن ذاته تعالى من حيث إنه مبدأ لانكشاف الأشياء عليه علم ولما كان مبدأ الانكشاف عين ذاته كان عالماً بذاته وكذا الحال في القدرة والإرادة وغيرهما من الصفات قالوا وهذه المرتبة أعلى من أن تكون تلك الصفات زائدة عليه فإننا نحتاج في انكشاف الأشياء علينا إلى صفة مغايرة لنا قائمة بنا والله تعالى لا يحتاج إليه بل بذاته ينكشف الأشياء عليه ولذلك قيل محصول كلامهم في الصفات وإثبات نتائجها وغاياتها وأما المعتزلة فظاهر كلامهم أنها عندهم من الاعتبارات العقلية التي لا وجود لها في الخارج انتهى.

٢- يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصديق] ابن ماجيلويه عن عمه عن الكوفي عن محمد بن سنان عن أبان الأحمر قال قلت للصادق جعفر بن محمد^(٢) أخبرني عن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بصيراً عليماً قادراً قال نعم. فقلت له إن رجلاً ينتحل قول الاتكم أهل البيت يقول إن الله تبارك وتعالى لم يزل سميعاً بسمع وبصيراً ببصر وعلماً بعلم وقادراً بقدرة.

قال فغضب ثم قال من قال ذلك ودان به فهو مشرك وليس من ولا يتنا على شيء إن الله تبارك وتعالى ذات علامة سمعية بصيرة قادرة.^(٣)

٣- يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصديق] القطان عن السكري عن الجوهري عن محمد بن عمار عن أبيه قال سألت الصادق جعفر بن محمد^(٤) فقلت له يا ابن رسول الله أخبرني عن الله هل له رضى وسخط فقال نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين ولكن غضب الله عقابه ورضاه ثوابه.^(٥)

٤- يد: [التوحيد] ان: [عيون أخبار الرضا] ابن عصام عن الكليني عن العلاء^(٦) عن عمران بن موسى عن الحسن بن القاسم^(٧) عن القاسم بن مسلم عن أخيه عبد العزيز قال سألت الرضا علي بن موسى^(٨) عن قول الله عز وجل ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٩) فقال إن الله تبارك وتعالى لا ينسى ولا يسهو وإنما ينسى ويسهو المخلوق المحدث ألا تسمعه عز وجل يقول ﴿وَمَا كُنَّا رَبُّكَ نَسِيًّا﴾^(١٠) وإنما يجازي من نسيه ونسى لقاء يومه بأن ينسيهم أنفسهم كما قال الله تعالى ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١١) وقال تعالى ﴿قَالِ يَوْمَ نَسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا﴾^(١٢) أي تركهم كما تركوا الاستعداد للقاء يومهم هذا.

قال الصديق رحمه الله قوله تركهم أي لا نجعل لهم ثواب من كان يرجو لقاء يومه لأن الترك لا يجوز على الله تعالى عز وجل وأما قول الله عز وجل ﴿وَوَرَّكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ﴾^(١٣) أي لم يعاجلهم بالعقوبة وأمهلهم ليتوبوا.^(١٤)

بيان: أراد الصديق رحمه الله أن ينبه على أن الترك لا يعنى به الإهمال فإن ترك التكليف في الدنيا أو ترك الجزاء في الآخرة لا يجوز على الله تعالى بل المراد ترك الإثابة والرحمة وتشديد العذاب عليهم.

ثم إنه عليه السلام أشار إلى الوجهين الذين يمكن أن يتوهم بهما أمثال تلك الآيات الأول أن يكون الله تعالى

(١) قال السيد الطباطبائي: من أهل السنة.

(٢) التوحيد: ١٤٣ - ١٤٤ ب ١١ ح ٨، أمالي الصديق: ٤٨٨ م ٨٩ ح ٦.

(٣) التوحيد: ٢٢٩ ب ٤٧ ح ٦، أمالي الصديق: ١٧٠ م ٢٦ ح ٤.

(٤) والصحيح، علان، قال النجاشي: علي بن محمد بن إبراهيم بن أبان الرازي الكليني المعروف بعلاء يكنى: أبا الحسن ثقة عين. له كتاب اخبار القائم عليه السلام ثم ذكر الطريق إليه. وقل علان: بطريق مكة، وكان استاذن صاحب^(٥) في الحج (كتاب الإمام عليه السلام): توقف عنه في هذه السنة فخالف (رجال النجاشي) ٨٨: ٢٢ رقم ٦٠. وما بين المعوقتين إضافة منا.

وفي أمر المخالفة هذا قال الإمام الخوئي - قدس سره الشريف - أن مخالفة علي بن محمد علان لا مر الحجة سلام الله عليه بتوقفه عن الخروج لا ينافي وثاقته، مع أنه يمكن أن علي بن محمد لم يفهم من أمره - سلام الله عليه - أنه أمر مولوي، فعله جملة على الارشاد، كما لعله الغالب في أوامره الشخصية إلى أصحابهم (معجم رجال الحديث ١٢: ١٢٩ رقم ٨٣٨٩).

(٥) في العيون: الحسين بن القاسم.

(٦) التوبة: ٦٧.

(٧) مريم: ٦٤.

(٨) الحشر: ١٩.

(٩) البقرة: ١٧.

(١٠) التوحيد: ١٥٩ - ١٦٠ ب ١٦ ح ١، عيون أخبار الرضا (ع) ١: ١١٤ - ١١٥ م ١١ ح ١٨.

عبر عن جزاء النسيان بالنسيان على مجاز المشاكلة والثاني أن يكون المراد بالنسيان الترك قال الجوهرى النسيان الترك قال الله تعالى ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ وقوله تعالى ﴿وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ (١) (٢).

وقال البيضاوي ﴿نَسُوا اللَّهَ أَغْفَلُوا ذَكَرَ اللَّهُ وَتَرَكَوا طَاعَتَهُ فَنَسِيَهُمْ فَتَرَكَهُمْ مِنْ لُطْفِهِ وَفَضْلِهِ وَقَالَ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ نَسْوًا فَنَاسَاهُمْ أَنْفُسُهُمْ فَجَعَلَهُمْ نَاسِينَ لَهَا حَتَّى لَمْ يَسْمَعُوا مَا يَنْفَعُهُمْ وَلَمْ يَفْعَلُوا مَا يَخْلُصُهَا أَوْ أَرَاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ مَا أَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ﴾ (٣).

٥- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن أحمد بن إدريس عن البرقي عن اليقطيني عن حمزة بن الربيع عن ذكره قال كنت في مجلس أبي جعفر عليه السلام إذ دخل عليه عمرو بن عبيد فقال له جعلت فداك قول الله عز وجل ﴿وَمَنْ يَخْلُلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ (٤) ما ذلك الغضب فقال أبو جعفر عليه السلام هو العقاب يا عمرو إنه من زعم أن الله عز وجل قد زال من شيء إلى شيء فقد وصفه صفة مخلوق إن الله عز وجل لا يستغزه شيء ولا يغيره. (٥)

٦- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] بهذا الإسناد عن البرقي عن أبيه يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ (٦) قال إن الله تبارك وتعالى لا يأسف كأسفنا ولكنه خلق أولياء لنفسه يأسفون ويرضون وهم مخلوقون مدبرون فجعل رضاهم لنفسه رضى وسخطهم لنفسه سخطا وذلك لأنه جعلهم الدعاة إليه والأدلاء عليه ولذلك صاروا كذلك وليس أن ذلك يصل إلى الله عز وجل كما يصل إلى خلقه ولكن هذا معنى ما قال من ذلك وقد قال أيضا من أهان لي ولما فقد بارزني بالمحاربة ودعاني إليها وقال أيضا ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ (٧) وقال أيضا ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾ (٨) وكل هذا وشبهه على ما ذكرت لك وهكذا الرضا والغضب وغيرهما من الأشياء مما يشاكل ذلك ولو كان يصل إلى المكون الأسف والضجر وهو الذي أحدثهما وأنشأهما لجاز لقائل أن يقول إن المكون يبيد يوما لأنه إذا دخله الضجر والغضب دخله التغيير وإذا دخله التغيير لم يؤمن عليه الإبادة ولو كان ذلك كذلك لم يعرف المكون من المكون ولا القادر من المقدور ولا الخالق من المخلوق تعالى الله عن هذا القول علوا كبيرا هو الخالق للأشياء لا لاجبة فإذا كان لا لاجبة استحالة الحد والكيف فيه فافهم ذلك إن شاء الله. (٩)

بيان: قال الطبرسي رحمه الله ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا﴾ أي أغضبونا عن ابن عباس ومجاهد وغضب الله سبحانه على العصاة إرادة عقابهم ورضاه عن المطيعين إرادة ثوابهم وقيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله تعالى انتهى. (١٠)

وقوله عليه السلام وهو الذي أحدثهما إشارة إلى وجه آخر لاستحالة ذلك كما مر في بعض الأخبار أن الله لا يوصف بخلقه وأشار عليه السلام آخر إلى أن الاحتياج إلى الغير ينافي الخالقية وجوب الوجود كما هو المشهور.

٧- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن العباس بن عمرو الفقيمي عن هشام بن الحكم أن رجلا سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك وتعالى له رضى وسخط قال نعم وليس ذلك على ما يوجد من المخلوقين وذلك لأن الرضا والغضب دخال يدخل عليه فينتقله من حال إلى حال معتمل مركب للأشياء فيه مدخل وخالقنا لا مدخل للأشياء فيه واحد أحدي الذات وأحدي المعنى فرضاه ثوابه وسخطه عقابه من غير شيء يتداخله فيهيجه وينقله من حال إلى حال فإن ذلك صفة المخلوقين العاجزين المحتاجين وهو تبارك وتعالى القوي العزيز لا

(٢) الصحاح: ٢٥٠٨.

(٤) طه: ٨١.

(٥) التوحيد: ٢٦ ب ١٩: معاني الأخبار: ١٩ ح ١ وفيه: إن الله عز وجل لا يتغزه شيء ولا يعزه شيء.

(٧) النساء: ٨٠.

(٩) التوحيد: ١٦٨ - ١٦٩ ب ٢٦، معاني الأخبار: ١٩ ب ١٤ ح ٢.

(١) البقرة: ٢٣٧.

(٣) تفسير البيضاوي ٤: ٢٦٥.

(٥) التوحيد: ٢٦ ب ١٩ ح ١.

(٦) الزخرف: ٥٥.

(٨) الفتح: ١٠.

(١٠) مجمع البيان ٥: ٨٠.

حاجة به إلى شيء مما خلق و خلقه جميعا محتاجون إليه إنما خلق الأشياء لا من حاجة ولا سبب اختراعا و ابتداء^(١)

بيان: في الكافي هكذا فينقله من حال إلى حال لأن المخلوق أجوف معتمل^(٢) و هو الظاهر.

و الحاصل أن عروض تلك الأحوال و التغيرات إنما يكون لمخلوق أجوف له قابلية ما يحصل فيه و يدخله معتمل يعمل بأعمال صفاته و آلاته مركب من أمور مختلفة و جهات مختلفة للأشياء من الصفات و الجهات و الآلات فيه مدخل و خالقنا تبارك اسمه لا مدخل للأشياء فيه لاستحالة التركيب في ذاته فإنه أحدي الذات و أحدي المعنى فإذا كثرة فيه لا في ذاته و لا في صفاته الحقيقية و إنما الاختلاف في الفعل فيثيب عند الرضا و يعاقب عند السخط قال السيد الداماد رحمه الله المخلوق أجوف لما قد برهن و استبان في حكمه ما فوق الطبيعة أن كل ممكن زوج تركيبي و كل مركب مزوج الحقيقة فإنه أجوف الذات لا محالة فما لأجوف لذاته على الحقيقة هو الأحد الحق سبحانه لا غير فإنه الصمد الحق ليس هو إلا الذات الأحدية الحققة من كل جهة فقد تصح من هذا الحديث الشريف تأويل الصمد بما لا جوف له و ما لا مدخل لمفهوم من المفهومات و شيء من الأشياء في ذاته أصلا.

٨-ج: [الإحتجاج] عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق عن الصادق عليه السلام فقال فلم يزل صانع العالم عالما بالأحداث التي أحدثها قبل أن يحدثها قال لم يزل يعلم فخلق قال أمختلف هو أم مؤتلف قال لا يليق به الاختلاف و لا الائتلاف إنما يختلف المتجزى و يأتلف المتبعض فلا يقال له مؤتلف و لا مختلف قال فكيف هو الله الواحد قال واحد في ذاته فلا واحد كواحد لأن ما سواه من الواحد متجزئ و هو تبارك و تعالى واحد لا متجزئ و لا يقع عليه العد^(٣).

٩-ج: [الإحتجاج] روى بعض أصحابنا أن عمرو بن عبيد دخل على الباقر عليه السلام فقال له جعلت فداك قال الله عز و جل ﴿وَمَنْ يُحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾^(٤) ما ذلك الغضب؟

قال العذاب يا عمرو إنما يغضب المخلوق الذي يأتيه الشيء فيستغزه و يغيره عن الحال التي هو بها إلى غيرها فمن زعم أن الله يغيره الغضب و الرضا و يزول عنه من هذا فقد وصفه بصفة المخلوق^(٥).

١٠-ج: [الإحتجاج] روي أن عمرو بن عبيد وفد على محمد بن علي الباقر عليه السلام لامتحانه بالسؤال عنه فقال له جعلت فداك ما معنى قوله تعالى ﴿وَأُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾^(٦) ما هذا الرق و الفتق فقال أبو جعفر عليه السلام رتقا لا تنزل القطر و كانت الأرض رتقا لا تخرج النبات ففتق الله السماء بالقطر و فتق الأرض بالنبات فانطلق عمرو و لم يجد اعتراضا و مضى ثم عاد إليه فقال أخبرني جعلت فداك عن قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ﴾ ما غضب الله فقال له أبو جعفر عليه السلام غضب الله تعالى عقابه يا عمرو من ظن أن الله يغيره شيء فقد كفر^(٧).

١١-أ: [الأمالي للطوسي] شيخ الطائفة عن المفيد عن ابن قولويه عن الكليني عن علي بن إبراهيم عن الطيالسي عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام يقول لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته و لا معلوم و لم يزل قادرا بذاته و لا مقدور قلت له جعلت فداك فلم يزل متكلما قال الكلام محدث كان الله عز و جل و ليس بمتكلم ثم أحدث الكلام^(٨).

١٢-يد: [التوحيد] الهمداني عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن هارون بن عبد الملك قال سئل أبو عبد الله عليه السلام عن التوحيد فقال هو عز و جل مثبت موجود لا مبطل و لا معدود و لا في شيء من صفة المخلوقين و له عز و جل نعوت و صفات فالصفات له و أسماؤها جارية على المخلوقين مثل السميع و البصير و الرؤوف و الرحيم و أشباه

(١) التوحيد: ١٦٩ ب ٢٦ ح ٣ وفيه: إنما خلق الأشياء من غير حاجة، معاني الاخبار: ٢٠ ب ١٤ ح ٣.

(٢) الكافي: ١١٠ ح ٦ و المراد بالمعتمل نسبة عمله إلى غيره فاما بالكسر فهو يعمل بأعمال صفاته، او بالفتح إشارة لكونه مخلوق.

(٣) الإحتجاج: ٢٣٨ وفيه: فلم يزل يعلم فخلق ما علم، وكذا: لا يتجزئ و لا يقع عليه العد.

(٤) طه: ٨١.

(٥) الإحتجاج: ٣٢٢ وفيه: و يزول عن هذا فقد وصفه.

(٦) الانبياء: ٣٠.

(٧) الإحتجاج: ٣٢٦ وفيه: فانقطع عمرو و لم يجد اعتراضا.

(٨) أمالي الطوسي: ١٧٠ ج ٦ ح ٣٤.

ذلك والتعوت نعوت الذات لا يليق إلا بالله تبارك وتعالى والله نور لا ظلام فيه وحي لا موت فيه وعالم لا جهل فيه وصمد لا مدخل فيه ربنا نوري الذات حي الذات عالم الذات صمدي الذات^(١).

بيان: قوله ﷺ فالصفات له أي لا تجري صفاته بالمعنى الذي يطلق عليه تعالى على المخلوقين بل إنما يطلب عليهم هذا الاسم بمعنى آخر وإن اشترك المعنيان بوجه من الوجوه والنور هو الوجود لأنه منشأ الظهور والظلام الإمكان وقال الحكماء الحي في حقه تعالى هو الدراك الفعال وعند المتكلمين من المعتزلة والشيعية هي كونه تعالى منشأ للعلم والإرادة وبعبارة أخرى كونه تعالى بحيث يصح أن يعلم ويقدّر وذهبت الأشاعرة المثبتون للصفات الزائدة أنها صفة توجب صحة العلم والقدرة وقد عرفت بطلانها.

١٣- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن أبيه عن أحمد بن النضر عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال إن الله تبارك وتعالى كان ولا شيء غيره نوراً لا ظلام فيه وصادقاً لا كذب فيه وعالم لا جهل فيه وحي لا موت فيه وكذلك هو اليوم وكذلك لا يزال أبداً^(٢).
سن: [المحاسن] أبي مثله^(٣).

١٤- يد: [التوحيد] حمزة بن محمد العلوي عن علي بن إبراهيم عن القيطيني عن حماد عن حريز عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر ﷺ أنه قال في صفة القديم إنه واحد أحد صمد أحدي المعنى ليس بمعان كثيرة مختلفة قال قلت جعلت فداك يزعم قوم من أهل العراق أنه يسمع بغير الذي يبصر ويبصر بغير الذي يسمع قال فقال كذبوا وألحدوا وشبهوا تعالى الله عن ذلك إنه سميع بصير يسمع بما يبصر ويبصر بما يسمع قال قلت يزعمون أنه بصير على ما يعقلونه قال فقال الله إنما يعقل ما كان بصفة المخلوق وليس الله كذلك^(٤).
ج: [الإحتجاج] عن محمد بن مسلم مثله^(٥).

بيان: قوله ﷺ على ما يعقلونه أي من الإبصار بآلة البصر فيكون نقلاً للكلام المجسمة أو باعتبار صفة زائدة قائمة بالذات فيكون نقلاً للكلام الأشاعرة والجواب أنه إنما يعقل بهذا الوجه من كان بصفة المخلوق أو المراد تعالى الله أن يتصف بما يحصل ويرسم في العقول والأذهان والحاصل أنهم يثبتون لله تعالى ما يعقلون من صفاتهم والله منزّه عن مشابهمهم ومشاركهم في تلك الصفات الإمكانية.

١٥- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن العباس بن عمرو عن هشام بن الحكم قال في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله ﷺ أنه قال له أتقول إنه سميع بصير فقال أبو عبد الله ﷺ هو سميع بصير سميع بغير جارحة وبصير بغير آلة بل يسمع بنفسه ويبصر بنفسه وليس قولني إنه يسمع بنفسه أنه شيء والنفس شيء آخر ولكني أردت عبارة عن نفسي إذ كنت مسئولاً وإفهاماً لك إذ كنت سائلاً فأقول يسمع بكله لا أن كله له بعض ولكني أردت إفهامك والتعبير عن نفسي وليس مرجعي في ذلك إلا إلى أنه السميع البصير العالم الخبير بلا اختلاف الذات ولا اختلاف معنى^(٦).

١٦- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار وسعد معا عن ابن عيسى عن أبيه والحسين بن سعيد ومحمد البرقي^(٧) عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال دخلت على أبي عبد الله ﷺ فقال لي أتنتع الله قلت نعم قال هات فقلت هو السميع البصير قال هذه صفة يشترك فيها المخلوقون قلت فكيف ننعت^(٨) فقال هو نور لا ظلمة فيه وحياة لا موت فيه وعلم لا جهل فيه وحق لا باطل فيه فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد^(٩).
قال الصدوق رحمه الله إذا وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فإنما ننفي عنه بكل صفة منها ضدها فمتى

(١) التوحيد: ١٤٠ ب ١١ ح ٤ وفيه: وحي لا موت له. (٢) التوحيد: ١٤٠ - ١٤١ ب ١١ ح ٥.

(٣) المحاسن: ٢٤٢ مصابيح ب ٢٣ ح ١٢٨.

(٤) التوحيد: ١٤٤ ب ١١ ح ١١.

(٥) الإحتجاج: ٣٢٢ وفيه: أنه بصير على ما يعقله. قال: فقال: تعالى الله إنما يعقل من كان بصفة المخلوق.

(٦) التوحيد: ١٤٤ ب ١١ ح ١٠.

(٧) وفي نسخة: عن أبيه.

(٨) في نسخة: كيف ننعت.

(٩) التوحيد: ١٤٦ ب ١١ ح ١٤.

قلنا إنه حي نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت ومتى قلنا عليم نفينا عنه ضد العلم وهو الجهل ومتى قلنا سميع نفينا عنه ضد السمع وهو الصمم ومتى قلنا بصير نفينا عنه ضد البصر وهو العمى ومتى قلنا عزيز نفينا عنه ضد العزة وهو الذلة ومتى قلنا حكيم نفينا عنه ضد الحكمة وهو الخطأ ومتى قلنا غني نفينا عنه ضد الغنى وهو الفقر ومتى قلنا عدل نفينا عنه الجور وهو الظلم ومتى قلنا حلیم نفينا عنه العجلة ومتى قلنا قادر نفينا عنه العجز ولو لم نفعل ذلك أثبتنا معه أشياء لم تزل معه ومتى قلنا لم يزل حيا سميعا بصيرا عزيزا حكيمًا غنيا ملكا فلما جعلنا معنى كل صفة^(١) من هذه الصفات التي هي صفات ذاته نفى ضدها أثبتنا أن الله لم يزل واحدا لا شيء معه وليس الإرادة والمشيئة والرضا والغضب^(٢) وما يشبه ذلك من صفات الأفعال بمثابة صفات الذات فإنه لا يجوز أن يقال لم يزل الله مريدا شائيا كما يجوز أن يقال لم يزل الله قادرا عالما^(٣)

بيان: حاصل كلامه أن كل ما يكون اتصاف ذاته تعالى به بنفي ضده عنه مطلقا فهي من صفات الذات ويمكن أن يكون عين ذاته ولا يلزم من قدمها تعدد في ذاته ولا في صفاته وأما الصفات التي قد يتصف بها بالنسبة إلى شيء وقد يتصف بنقيضها بالنسبة إلى شيء آخر فلا يمكن أن يكون التقيض عين ذاته فلا بد من زيادتها فلا يكون من صفات الذات وأيضا يلزم من كونها من صفات الذات قدمها مع زيادتها فيلزم تعدد القدماء وأيضا لو كانت من صفات الذات يلزم زوالها عند طرو تقيضها فيلزم التغير في الصفات الذاتية وقد أشار الكليني إلى هذا الوجه الأخير بعد ما ذكر في وجه الفرق ما تقدم ذكره وسيأتي تحقيق الإرادة في بابها^(٤)

وقال الصدوق رحمه الله في موضع آخر من التوحيد والدليل على أن الله عز وجل عالم قادر حي بنفسه لا يعلم وقدرة وحياة هو غيره أنه لو كان عالما بعلم لم يخل علمه من أحد أمرين إما أن يكون قديما أو حادثا فإن كان حادثا فهو جل ثناؤه قبل حدوث العلم غير عالم وهذا من صفات النقص وكل منقوص محدث بما قدمناه وإن كان قديما وجب أن يكون غير الله عز وجل قديما وهذا كفر بالإجماع وكذلك القول في القادر وقدرته والحي وحياته والدليل على أنه عز وجل لم يزل قادرا عالما حيا أنه قد ثبت أنه عالم قادر حي بنفسه وصح بالدلائل أنه عز وجل قديم وإذا كان كذلك كان عالما لم يزل إذ نفسه التي لها علم لم تزل ونفس هذا يدل على أنه قادر حي لم يزل^(٥)

١٧- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] بإسناد المجاشعي عن الصادق عن آبائه عليهم السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قال الله تعالى ﴿كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ فإن من شأنه أن يغير ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوما ويضع آخرين^(٦)

١٨- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن الطيالسي عن صفوان عن ابن مسكان عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لم يزل الله جل وعز ربنا والعلم ذاته ولا معلوم والسمع ذاته ولا مبصر والقدرة ذاته ولا مقدور فلما أحدث الأشياء وكان المعلوم وقع العلم منه على المعلوم والسمع على المسموع والبصر على المبصر والقدرة على المقدور.

قال قلت فلم يزل الله متكلما قال إن الكلام صفة محدثة ليست بأزلية كان الله عز وجل ولا متكلما^(٧)

بيان: قوله عليه السلام وقع العلم منه على المعلوم أي وقع على ما كان معلوما في الأزول وانطبق عليه وتحقق مصداقه وليس المقصود تعلقه به تعلقا لم يكن قبل الإيجاد أو المراد بوقوع العلم على المعلوم العلم به على أنه حاضر موجود وكان قد تعلق العلم به قبل ذلك على وجه النسيبة وأنه سيوجد والتغير يرجع إلى المعلوم لا إلى العلم.

(١) في «أ»: فلما جعلنا مع كل صفة.

(٢) التوحيد ص ١٤٨ - ١٤٩ ب ١١ ح ١٩ وفيه: حكيمًا غنيا ملكا حليما عدلا كريما.

(٤) قال الكليني - أعلى الله مقامه - أنك تثبت في الوجود ما يريد وما لا يريد، وما مرضاه وما يسخطه، وما يجب وما يفيض، فلو كانت الإرادة من صفات الذات مثل العلم والقدرة كان ما لا يريد ناقضا لتلك الصفة ولو كان ما يجب من صفات الذات كان ما يفيض ناقضا لتلك الصفة. (الكافي ١: ١١١ ب ٣٧ ذيل أحاديث الباب).

(٥) التوحيد: ٢٢٣ ب ٢٩ ذيل ح ١٤.

(٦) التوحيد: ١٣٩ ب ١١ ح ١.

(٧) أمالى الطوسي: ٥٣٣ ج ١٨.

و تحقيق المقام أن علمه تعالى بأن شيئا وجد هو عين العلم الذي كان له تعالى بأنه سيوجد فإن العلم بالقضية إنما يتغير بتغيرها وهو إما بتغير موضوعها أو محمولها والمعلوم هاهنا هي القضية القائلة بأن زيدا موجود في الوقت الفلاني ولا يخفى أن زيدا لا يتغير معناه بحضوره وغيبته نعم يمكن أن يشار إليه إشارة خاصة بالموجود حين وجوده^(١) ولا يمكن في غيره وتفاوت الإشارة إلى الموضوع لا يؤثر في تفاوت العلم بالقضية ونفس تفاوت الإشارة راجع إلى تغير المعلوم لا العلم^(٢).

وأما الحكماء فذهب محققهم إلى أن الزمان والزمانيات كلها حاضرة عنده تعالى لخروجه عن الزمان كالخيوط الممتد من غير غيبة لبعضها دون بعض وعلى هذا فلا إشكال لكن فيه إشكالات لا يسع المقام إيرادها.

١٩- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن محمد بن عيسى عن إسماعيل بن سهل عن حماد بن عيسى قال سألت أبا عبد الله عليه السلام قلت لم يزل الله يعلم قال أتى يكون يعلم ولا معلوم قال قلت فلم يزل الله يسمع قال أتى يكون ذلك ولا مسموع قال قلت فلم يزل يبصر قال أتى يكون ذلك ولا مبصر قال ثم قال لم يزل الله عليمًا سميعًا بصيرًا ذات علامة سمعية بصيرة^(٣).

بيان: لعل السائل إنما سأل عن العلم على وجه الحضور بأن يكون المعلوم حاضرا موجودا فنفي عليه السلام ذلك ثم أثبت كونه تعالى أزلا متصفا بالعلم لكن لا مع وجود المعلوم وحضوره وكذا السمع والبصر ثم أعلم أن السمع والبصر قد يظن أنهما نوعان من الإدراك لا يتعلقان إلا بالموجود العيني فهما من توابع الفعل فيكونان حادثين بعد الوجود ومع قطع النظر عن المفساد التي ترد عليه لا يوافق الأخبار الكثيرة الدالة صريحا على قدمهما وكونهما من صفات الذات فهما إما راجعان إلى العلم بالمسموع والمبصر وإنما يمتازان عن سائر العلوم بالمتعلق أو أنهما ممتازان عن غيرهما من العلوم لا بمجرد المتعلق المعلوم بل بنفسهما لكنهما قديمان يمكن تعلقهما بالمعدوم^(٤) كسائر العلوم وبعد وجود المسموع والمبصر يتعلقان بهما من حيث الوجود والحضور ولا تفاوت بين حضورهما باعتبار الوجود وعدمه فيما يرجع إلى هاتين الصفتين كما مر في العلم بالحوادث أنفا نعم لما كان هذان النوعان من الإدراك في الإنسان مشروطين بشرائط لا يتصور في المعدوم كالمقابلة وتوسط الشفاف في البصر لم يمكن تعلقه بالمعدوم ولا يشترط شيء من ذلك في إحصاره تعالى فلا يستحيل تعلقه بالمعدوم وكذا السمع وقيل يحتمل أن يكون المراد بكون السمع والبصر قديما أن إمكان إحصار المبصرات الموجودة وسماع المسموعات الموجودة وما يساوق هذا المعنى قديم فإذا تحقق المبصر صار مبصرا بالفعل بخلاف العلم فإن تعلقه بجميع المعلومات قديم وبرد عليه أن الفرق بين العلم والسمع والبصر على هذا الوجه بعيد عن تلك الأخبار الكثيرة المتقدمة والله تعالى يعلم وحججه عليه السلام.

أقول: سيأتي خبر سليمان المروزي في أبواب الاحتجاجات وهو يناسب هذا الباب.

(١) في «أ»: بالوجود حين وجوده.

(٢) قال السيد الطباطبائي: العلم الذي لا يتغير حاله مع وجود المعلوم الخارجي وعدمه وقيله وبعده، كما هو لازم هذا البيان علم كلي و سيأتي طعن المؤلف على من يقول به، والحق أن علمه تعالى حضوري لا حصولي تفصيل بيانه في محله وعليه ينبغي أن يوجه الخبر لا على العلم الحصولي.

(٣) التوحيد: ١٣٩ ب ١١ ح ٢.

(٤) في «أ» بالمعلوم.



العلم وكيفيته والآيات الواردة فيه

باب ٢

الآيات:

- البقرة: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٩.
- وقال تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾ ١٩٧.
- وقال تعالى ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٢١٥.
- وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (في موضعين ٢١٦ و ٢٣٢).
- وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ ٢٢٠.
- وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٢٤.
- وقال تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٢٧.
- وقال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٣١.
- وقال ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٣٣.
- وقال تعالى ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٣٤.
- وقال تعالى ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾ ٢٣٥.
- وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٣٧.
- وقال ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٤٤.
- وقال ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٤٧.
- وقال ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ ٢٥٥.
- وقال ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٢٦٥.
- وقال تعالى ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ ٢٧٠.
- وقال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٢٧٣.
- وقال ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٢٨٢ و قال ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ ٢٨٣.
- آل عمران: ﴿وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ﴾ (مرتين ١٥ و ٢٠).
- وقال تعالى ﴿قُلْ إِنْ تَخْشَوْنَ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ يُبْدُوهُ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ٢٩.
- وقال ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٤.
- وقال ﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٣٥.
- وقال ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ ٩٢.
- وقال ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ١١٥.
- وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١١٩.
- وقال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ١٢٠.
- وقال ﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ١٢١.
- وقال ﴿وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٥٣.
- وقال ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾ ١٦٦ - ١٦٧.

النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١١ و ٢٤.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٣٢.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ ٣٣.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ ٣٥.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ ٣٩.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ ٥٨.

و قال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ ٧٠.

و قال ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ ١٠٨.

و قال ﴿وَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٧٦.

الماندة: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٩٧.

و قال تعالى ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْذُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ٩٩.

الأنعام: ﴿وَ عِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَ يَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرِ وَ مَا تَسْقُطُ مِنَ رِيقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَ لَا حَتَّىٰ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٌ وَ لَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ وَ هُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَ يَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ ٥٩ - ٦٠.

و قال ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١١٧.

الأعراف: ﴿وَ سِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٨٩.

الأنفال: ﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٤٢.

و قال ﴿وَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ ٤٧.

التوبة: ﴿وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾ ٤٤.

و قال ﴿وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ ٤٧.

و قال تعالى ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ ٧٨.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١١٥.

يونس: ﴿وَ مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَ مَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَ لَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَ مَا يَغْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ وَ لَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَ لَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦١.

هود: ﴿وَ يَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَ مُسْتَوْدَعَهَا كُلِّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٦.

و قال ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١١٢.

و قال ﴿وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأُمُورُ كُلُّهَا عَائِدُهُ وَ تَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ١٢٣.

الرعد: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَ مَا تَفِيضُ الْأَرْحَامُ وَ مَا تَزَادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ غَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلُ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ ٨ - ١٠.

و قال ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ﴾ ٤٢.

الحجر: ﴿وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ﴾ ٢٤.

النحل: ﴿وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ﴾ ١٩.

و قال ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ﴾ ٢٣.

و قال تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِعَن ضَلِّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ١٢٥.



الإسراء: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ١٧.

و قال تعالى ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ ٢٥.

و قال تعالى ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٥٥.

و قال تعالى ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾ ٩٦.

مريم: ﴿لَقَدْ أَحْضَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا﴾ ٩٤.

طه: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ ١١٠.

الأنبياء: ﴿قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٤.

و قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ ٢٨.

و قال تعالى ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ ١١٠.

الحج: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ ٧٠.

المؤمنين: ﴿غَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ ٩٢.

النور: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ ٢٩.

و قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٣٠.

و قال ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٣٥ و ٦٤.

الفرقان: ﴿قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٦.

النمل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾

٧٤-٧٥.

العنكبوت: ﴿أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾ ١٠ - ١١.

و قال تعالى ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٥٢.

لقمان: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ عَدًّا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ٣٤.

أحزاب: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ ٥١.

﴿و قال تعالى وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾ ٥٢.

و قال عز و جل ﴿إِنْ تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تَخْفَوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٥٤.

و قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ ٥٥.

سبا: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ ٢.

و قال عز و جل ﴿غَالِمِ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَضَعُفٌ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ٣.

و قال تعالى ﴿إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ ٥٠.

فاطر: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ ٨.

و قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ ٣١.

و قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ غَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٣٨.

يس: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ ١٢.

و قال تعالى ﴿فَلَا يَخْرُجُ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ ٧٦.

المؤمن: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ ١٩.

- السجدة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْجِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ ٤٠.
- و قال تعالى ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ٤٠.
- و قال سبحانه ﴿إِلَيْهِ يَرْجِعُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْنَانِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ﴾ ٤٧.
- الزخرف: ﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ ٨٠.
- محمد: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ ١٩ و قال ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ﴾ ٢٦.
- الفتح: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ ١٨.
- و قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ ٢٤.
- و قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٢٦.
- و قال تعالى ﴿وَوَكَّفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ٢٨.
- الحجرات: ﴿وََاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٨.
- و قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ ١٣.
- و قال ﴿قُلْ أَتَعْلَمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ١٦.
- و قال سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ١٨.
- ق: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوْشَوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ١٦.
- و قال تعالى ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ﴾ ٤٥.
- النجم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ﴾ ٣٠.
- و قال تعالى ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْتُهُ فِي يُطُونَ أَمْهَاتِكُمْ فَلَا تَزْكُوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ ٣٢.
- المجادلة: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُنَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ ١.
- و قال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَافِعُهُمْ وَلَا حُمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ إِنَّمَا كَانُوا تُمَّ يُتَّبِعُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٧.
- الممتحنة: ﴿وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ﴾ ١.
- و قال تعالى ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِمْ﴾ ١٠.
- الملك: ﴿وَأَسْرَرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ ١٣ - ١٤.
- ن: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ ٧.
- الجن: ﴿غَالِمُ الْفَيْبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ﴾ ٢٦ - ٢٧.
- و قال ﴿وَ أَخَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ ٢٨.
- الأعلى: ﴿إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ ٧.
- العلق: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾ ١٤.

١- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب القرشي عن أحمد بن الفضل بن المغيرة عن منصور بن عبد الله بن إبراهيم الأصفهاني عن علي بن عبد الله عن الحسين بن بشار عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا قال سأله أعلم الله الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون أو لا يعلم إلا ما يكون فقال إن الله تعالى هو العالم بالأشياء قبل كون الأشياء قال عز وجل ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَبِئُكَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١) و قال لأهل النار

﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا إِمَّا نَهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^(١) فقد علم عز وجل أنه لو ردهم لعادوا لما نهوا عنه وقال للملائكة لما قالوا^(٢) ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^(٣) فلم يزل الله عز وجل علمه سابقا للأشياء قديما قبل أن يخلقها فبارك ربنا وتعالى علوا كبيرا خلق الأشياء وعلمه بها سابق لها كما شاء كذلك لم يزل ربنا علما سميعا بصيرا^(٤)

بيان: قال الطبرسي رحمه الله ﴿هَذَا كِتَابُنَا﴾ يعني ديوان الحفظه ﴿يُنْطَقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ أي يشهد عليكم بالحق ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنَسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي ستكتب الحفظه ما كنتم تعملون في دار الدنيا وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضي فيه من خير وشر وعلى هذا فيكون معنى نستنسخ أن الحفظه تستنسخ ما هو مدون عندها من أحوال العباد وهو قول ابن عباس انتهى^(٥) أقول بناء استشهاده ﷺ على المعنى الثاني وإن كان المشهور بين المفسرين هو المعنى الأول.

٢- مع: [معاني الأخبار] ماجيلويه عن عمه عن الكوفي عن موسى بن سعدان الحنات عن عبد الله بن القاسم عن عبد الله بن مسكان عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٦) قال السر ما كنتمه في نفسك وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته^(٧)

بيان: قال الطبرسي رحمه الله السر ما حدث به العبد غيره في خفية وأخفى منه ما أضمره في نفسه ما لم تحدث غيره عن ابن عباس وقيل السر ما أضمره العبد في نفسه وأخفى منه ما لم يكن ولا أضمره أحد وقيل السر ما تحدث به نفسك وأخفى منه ما تريد أن تحدث به نفسك في ثاني الحال وقيل السر العمل الذي تستره عن الناس وأخفى منه الوسوسة وقيل معناه يعلم أسرار الخلق وأخفى أي سر نفسه عن زيد بن أسلم جعله فعلا ماضيا ثم روى هذا الخبر عن الباقر والصادق ﷺ^(٨)

٣- مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد عن أحمد بن عيسى عن ابن فضال عن ثعلبة بن ميمون عن بعض أصحابنا عن أبي عبد الله ﷺ في قوله عز وجل ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾^(٩) فقال الغيب ما لم يكن والشهادة ما قد كان^(١٠)

بيان: قال الطبرسي رحمه الله أي عالم بما غاب عن حس العباد وبما تشاهده العباد وقيل عالم بالمردود والموجود وقيل عالم السر والعلانية والأولى أن يحمل على العموم^(١١)

٤- مع: [معاني الأخبار] بالإسناد المتقدم عن ثعلبة عن عبد الرحمن بن سلمة الحريري^(١٢) قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن قوله عز وجل ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ﴾^(١٣) فقال ألم تر إلى الرجل ينظر إلى الشيء وكأنه لا ينظر إليه فذلك خائنة الأعين^(١٤)

بيان: قال الطبرسي رحمه الله خائنة الأعين أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه وقيل تقديره يعلم الأعين الخائنة وقيل هو الرمز بالعين وقيل هو قول الإنسان ما رأيت وقد رأى ورأيت ما رأى^(١٥)

(١) الانعام: ٢٨.

(٢) البقرة: ٣٠.

(٣) التوحيد: ١٣٦ - ١٣٧ ب ١٠ ح ٨. عيون أخبار الرضا ﷺ ١: ١٠٨ - ١٠٩ ب ١١ ح ٨.

(٤) طه: ٧.

(٥) مجمع البيان ٥: ١٢٠.

(٦) مجمع البيان ٤: ٦٤.

(٧) معاني الأخبار: ١٤٣ ب ٨٢ ح ١.

(٨) معاني الأخبار: ١٤٦ ب ٨٨ ح ١.

(٩) الجمعة: ٨.

(١٠) مجمع البيان ٣: ٤٣٠ - ٤٣١.

(١١) كذا في النسخ. وفي المصدر: عبد الرحمن بن سلمة الحريري وهو الصحيح. ذكر الشيخ ضمن أصحاب الإمام الصادق ﷺ «رجال الشيخ»

٢٦٦ رقم ٧١٣ وقد أشار محقق كتاب الرجال إلى أن بعض النسخ خلت من اسمه.

(١٢) غافر: ١٩.

(١٣) معاني الأخبار: ١٤٧ ب ٨٩ ح ١.

(١٤) مجمع البيان ٤: ٨٠٧.

٥- (يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] تميم القرشي عن أبيه عن الأنصاري عن الهروي قال قال المأمون الرضا عليه السلام^(١) في خبر طويل عن قوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(٢) فقال إنه عز وجل خلق خلقه ليلبوهم بتكليف طاعته وعبادته لا على سبيل الامتحان والتجربة لأنه لم يزل عليهما بكل شيء^(٣).

٦- [معاني الأخبار] محمد بن الحسن بن الحسين بن الحسن بن أبيان عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد^(٤) عن يحيى بن عمران الحلبي عن أبي بصير قال سألته عن قوله عز وجل ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا وَالْأَرْضُ فِي ظُلُمَاتٍ أَلْأَرْضُ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾^(٥) قال فقال الورقة السقط والحببة الولد وظلمات الأرض الأرحام والرطب ما يحيا واليابس ما يفيض وكل في كتاب مبين^(٦). كتاب مبين^(٧). شي: [تفسير العياشي] عن أبي الربيع الشامي عن أبي عبد الله عليه السلام مثله^(٨).

بيان: في أكثر نسخ الكتابين يفيض بالعين المعجمة والياء المشناة من تحت من الفيض بمعنى النقص كما قال تعالى ﴿وَمَا تَفِيضُ الْأَرْحَامُ﴾ وقال الفيروز آبادي الفيض السقط الذي لم يتم خلقه^(٩) فيحتمل أن يكون المراد بالسقط ما يسقط قبل حلول الروح أو قبل تمام خلق البدن أيضا وبالجهة ما يكون في علم الله أنه تحل فيه الروح وهو ينقسم إلى قسمين فإما أن ينزل في أوانه و يعيش خارج الرحم فهو الرطب وإما أن ينزل قبل كماله فيموت إما في الرحم أو في خارجها وهو اليابس وفي بعض نسخ مع والكافي يفيض^(١٠) بالفاء فيحتمل أن لا يكون ذلك تفصيلا لأحوال السقط بل يكون المراد أنه يعلم الحي من الناس والميت منهم.

ثم اعلم أن هذا التفسير وما سيأتي من بطون الآية الكريمة لا ينافي كون ظاهرها أيضا مرادا قال الطبرسي قوله تعالى ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا﴾ قال الزجاج المعنى أنه يعلمها ساقطة و ثابتة وقيل يعلم ما سقط من ورق الأشجار وما بقي ويعلم كم انقلبت ظهر البطن عند سقوطها ﴿وَمَا تَفِيضُ فِي ظُلُمَاتٍ الْأَرْضُ﴾ معناه وما تسقط من حبة في باطن الأرض إلا يعلمها وكنى بالظلمة عن باطن الأرض لأنه لا يدرك كما لا يدرك ما حصل في الظلمة وقال ابن عباس يعني تحت الصخرة وأسفل الأرضين السبع أو تحت حجر أو شيء ﴿وَمَا يَابِسٌ﴾ قد جمع الأشياء كلها لأن الأجسام لا تخلو من أحد هذين وقيل أراد ما ينبت وما لا ينبت عن ابن عباس وعنه أيضا أن الرطب الماء واليابس البادية وقيل الرطب الحي واليابس الميت انتهى^(١١).

٧- [فس: [تفسير القمي] قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾^(١٢) ما تَغِيضُ أي ما تسقط قبل التمام وما تَزْدَادُ يعني على تسعة أشهر كل ما رأت المرأة من حيض في أيام حملها زاد ذلك على حملها^(١٣).

٨- وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾^(١٤) السر والعانية عنده سواء وقوله ﴿وَمَنْ هُوَ مُسْتَخَفٌّ بِاللَّيْلِ﴾ أي مستخف في جوف بيته.

(١) كذا في «أ» والمصدرين. أما في «ط»: قال المأمون الرضا عليه السلام وهو تصحيف.
(٢) الملك: ٢.

(٣) التوحيد: ٣٢٠ - ٣٢١ ح ٤٩ ج ٢، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٢٣ ب ١١ ح ٣٣.

(٤) قال النجاشي: نضر بن السريد الصيرفي، كوفي، ثقة، صحيح الحديث. انتقل إلى بغداد، له كتاب نوادر رواها عنه جماعة ثم ذكر طريقه إليه رجال النجاشي: ٢: ٣٨٤ رقم ١١٤٨) وذكر الشيخ كتابه والطريق إليه في فهرسه ص ١٧١ رقم ٧٥٠ وفي رجاله و ثقة و عده من اصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ص ٣٦٢ رقم ٢ وعده البرقي في رجال الإمام الكاظم عليه السلام أيضا «رجال البرقي ص ٤٩».

(٥) الانعام: ٥٩.

(٦) في «أ»: واليابس ما ذلك يفيض، وكل في ... وفي نسخة، واليابس ما يفيض وفي المصدر: واليابس ما يفيض وكل ذلك في.

(٧) معاني الأخبار ص ٢١٥ ح ٢٠٦ ج ١.

(٨) تفسير العياشي: ١: ٣٩١ سورة الانعام ح ٢٨.

(٩) في الكافي: يفيض: ٨: ٢٤٩ ح ٣٤٩.

(١٠) الرعد: ٨.

(١١) مجمع البيان: ٢: ٤٨١.

(١٢) تفسير القمي: ١: ٣٦١ وفيه: أي ما تسقط من قبل التمام.

(١٣) الرعد: ١٠.

و قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ يعني تحت الأرض فذلك كله عند الله عز وجل واحد يعلمه. (١)

بيان: قال الطبرسي أي من هو مستتر متوار بالليل ومن هو سالك في سره أي في مذهبه ماض في حوائجه بالنهار وقال الحسن معناه ومن هو مستتر في الليل ومن هو مستتر في النهار وصح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل في كناسه. (٢)

٩-فس: [تفسير القمي] قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٣) قال الصادق عليه السلام هذا الخمسة أشياء لم يطلع عليها ملك مقربا ولا نبي مرسل وهي من صفات الله عز وجل. (٤)

بيان: أي بدون تعليم الله تعالى ووحيه.

١٠-يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن بن بردة عن القمي عن إبراهيم بن محمد العلوي عن فتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال قلت له يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون قال ويحك إن مسألتك لصعبة أما سمعت الله يقول ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (٥) وقوله ﴿وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ (٦) وقال يحكي قول أهل النار ﴿أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ ضَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ (٧) وقال ﴿وَلَوْ رُدُّوْنَا لَنَأْذُنَا وَإِنَّا لَمُنَافِقُونَ﴾ (٨) فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون الخبر. (٩)

١١-يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن عمه التوفلي عن سليمان بن سفيان عن أبي علي القصاب قال كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت الحمد لله منتهى علمه فقال لا تقل ذلك فإنه ليس لعلمه منتهى. (١٠)

نوادير علي بن أسباط: عن القصاب (١١) مثله. (١٢)

١٢-يد: [التوحيد] أبي وابن الوليد عن محمد العطار وأحمد بن إدريس معا عن الأشعري عن علي بن إسماعيل عن صفوان عن الكاهلي قال كتبت إلى أبي الحسن عليه السلام في دعاء الحمد لله منتهى علمه فكتب إلي لا تقولن منتهى علمه ولكن قل منتهى رضا. (١٣)

١٣-يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن التوفلي عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال العلم هو من كماله. (١٤)

يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن هاشم عن ابن أبي عمير عن أبي الحسن الصيرفي عن بكار الواسطي عن الثمالي عن حمران عن أبي جعفر عليه السلام في العلم قال هو كيدك. (١٥)

قال الصدوق رحمه الله يعني أن العلم ليس هو غيره وأنه من صفات ذاته لأن الله عز وجل ذات علامة سمعية بصيرة وإنما نريد بوصفنا إياه بالعلم نفى الجهل عنه ولا نقول إن العلم غيره لأننا متى قلنا ذلك ثم قلنا إن الله لم يزل عالما أثبتنا معه شيئا قديما لم يزل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا. (١٦)

أقول: في بعض نسخ التوحيد زيادة في هذا المقام وهي هذه فيه إلحاق بخلق بعض المشايخ رحمه الله يقول هذا غلط من الراوي والصحيح الخبر الأول والإمام أجل من أن يبعض الله سبحانه بعلمه منه ككون يد الإنسان منه و

(١) تفسير القمي ١: ٣٦٦.

(٢) مجمع البيان ٣: ٤٣١ وفيه: إذا دخل في كناسه.

(٣) والمكس (بالفتح) والتسكين والكسر: مولى الوحش من الظباء والبق تستكن فيه من الحر. وهو الكناس. الجمع اكنته وكنس، وهو من ذلك لأنها تكس الرمل حتى تصل إلى الثرى (لسان العرب ١٢: ١٦٦).

(٤) لقمان: ٣٤.

(٥) الانبياء: ٢٢.

(٦) فاطر: ٣٧.

(٧) التوحيد: ٦٠ - ٦٥ ح ٢ و ١٨ وفيه: ويحك إن مسائلتك صعبة.

(٨) التوحيد: ١٣٤ ب ١٠ ح ١.

(٩) كتاب الأصول الستة عشر: نوادر علي بن أسباط ص ١٢٥.

(١٠) التوحيد: ١٣٤ ب ١٠ ح ٣.

(١١) التوحيد: ١٣٤ ب ١٠ ذيل ح ٤.

(١٢) في المصدر: أبو علي القطان.

(١٣) التوحيد: ١٣٤ ب ١٠ ح ٢.

(١٤) التوحيد: ١٣٤ ب ١٠ ح ٤ وفيه: هو كيدك منك.

الحق فيه أحمد بن محمد الموصلي أن قال إن الإمام عليه السلام يخاطب الناس على قدر فهمهم وكنه عقولهم وليس في هذه الرواية ما يتنافى الرواية التي قبلها لأن قوله عليه السلام في العلم هو كيدك منك أراد كما أن يد الإنسان من كماله كذلك الله سبحانه كونه عالما من كماله و لو لم يكن عالما لم يكن كاملا كما أن الإنسان لو لم يكن له يد لم يكن كاملا و على هذا لا تنافي بينهما.

بيان: أقول يحتمل أن يكون التشبيه لبيان غاية ظهور معلوماته تعالى عنده فإن اليد أظهر أعضاء الإنسان أي يعلم جميع الأشياء كما تعلم يدك وهذا مثل معروف بين العرب فلا حاجة إلى هذه التكاليف.

١٤- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن هاشم عن ابن أبي عمير عن ابن حازم عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له رأيت ما كان و ما هو كائن إلى يوم القيامة أليس كان في علم الله تعالى قال فقال بلى قبل أن يخلق السماوات والأرض. (١)
سنن: [المحاسن] أبي عن ابن أبي عمير مثله. (٢)

١٥- يد: [التوحيد] ابن إدريس عن أبيه عن الأشعري عن علي بن إسماعيل و ابن إبراهيم معا عن صفوان عن ابن حازم قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله عز و جل قال لا بل كان في علمه قبل أن ينشئ السماوات والأرض. (٣)

١٦- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن هاشم عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن الصيقل (٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله علم لا جهل فيه حياة لا موت فيه نور لا ظلمة فيه. (٥)

١٧- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن اليقطيني عن يونس قال قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام روي أن الله علم لا جهل فيه حياة لا موت فيه نور لا ظلمة فيه قال كذلك هو. (٦)

١٨- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن اليقطيني عن ابن أبي عمير عن هشام بن الحكم عن عيسى بن أبي منصور عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول إن الله نور لا ظلمة فيه و علم لا جهل فيه و حياة لا موت فيه. (٧)

١٩- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن ابن سنان عن جعفر بن محمد عن أبيه عليه السلام قال إن لله علما خاصا و علما عاما فأما العلم الخاص فالعلم الذي لم يطلع عليه ملائكته المقربين و أنبياءه المرسلين و أما علمه العام فإنه علمه الذي أطلع عليه ملائكته المقربين و أنبياءه المرسلين و قد وقع إلينا من رسول الله عليه السلام. (٨)

٢٠- يد: [التوحيد] عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب عن أحمد بن الفضل عن منصور بن عبد الله الأصفهاني عن صفوان عن ابن مسكان قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الله تبارك و تعالى أكان يعلم المكان قبل أن يخلق المكان أم علمه عند ما خلقه و بعد ما خلقه فقال تعالى الله بل لم يزل عالما بالمكان قبل تكوينه كعلمه به بعد ما كونه و كذلك علمه بجميع الأشياء كعلمه بالمكان. (٩)

قال الصدوق رحمه الله من الدليل على أن الله تعالى عالم أن الأفعال المختلفة التقدير المتضادة التدبير متفاوتة الصنعة لا يقع على ما ينبغي أن تكون عليه من الحكمة ممن لا يعلمها و لا يستمر على منهاج منتظم ممن يجهلها. ألا ترى أنه لا يصوغ قرطا يحكم صنعته و يضع كلا من دقيقة و جليفة موضعه من لا يعرف الصياغة و لا أن ينظم كتابة يتبع كل حرف منها ما قبله من لا يعلم الكتابة و العالم ألطف صنعة و أبعد تقديرا مما وصفناه فوقه من غير

(١) التوحيد: ١٢٥ ب ١٠ ح ٥. (٢) المحاسن: ٢٤٣ المصايب ب ٢٥ ح ٢٢٣.

(٣) التوحيد: ١٣٥ ب ١٠ ح ٦.

(٤) في المصدر: منصور الصيقل، و الرجل عدّه البرقي من اصحاب الصادق عليه السلام قال: منصور الصيقل كوفي «رجال البرقي: ٣٩» و قد ذكر الإمام الغوثي - طيب الله ثراه - عدة روايات من الكافي تتعلق به، ثم قال: هذه الروايات اشعار بأن منصور الصيقل كان من الشيعة الخلف. (معجم رجال الحديث ١٨: ٣٥٦ - ٣٥٧ رقم ١٢٦٨٩).

(٥) التوحيد: ١٣٧ ب ١٠ ح ١١.

(٦) التوحيد: ١٣٨ ب ١٠ ح ١٣.

(٧) التوحيد: ١٣٨ ب ١٠ ح ٩.

(٨) التوحيد: ١٣٨ ب ١٠ ح ١٤.

(٩) التوحيد: ١٣٧ ب ١٠ ح ٩.

عالم بكيفيته قبل وجوده أبعد وأشد استحالةً وتصديق ذلك ما حدثنا به ابن عديس عن ابن قتيبة عن الفضل قال سمعت الرضا علي بن موسى عليه السلام يقول في دعائه سبحانه من خلق الخلق بقدرته أتقن ما خلق بحكمته ووضع كل شيء منه موضعه بعلمه سبحانه من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور وليس كَيْفِيهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(١)

٢١- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن النخعي عن التوفلي عن زيد بن المعدل النميري وعبد الله بن سنان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال إن لله لعلمًا لا يعلمه غيره وعلمًا يعلمه ملائكته المقربون وأنبياءه المرسلون ونحن نعلمه^(٢)

٢٢- يد: [التوحيد] بهذا الإسناد عن التوفلي عن يحيى بن أبي يحيى عن عبد الله بن الصامت عن عبد الأعلى عن العبد الصالح موسى بن جعفر عليه السلام قال علم الله لا يوصف الله منه بآين ولا يوصف العلم من الله بكيف ولا يفرد العلم من الله ولا يبين الله منه وليس بين الله وبين علمه حد^(٣) (٤)

بيان: قوله لا يوصف الله منه بآين أي ليس علمه تعالى شيئًا مباينًا منه بحسب المكان بأن يكون هو تعالى في مكان وعلمه في مكان آخر أو لا يوصف بسبب العلم بمكان بأن يقال علم ذلك الشيء في هذا المكان أي لا يحتاج في العلم بالأمور إلى الدنو منها والإحاطة الجسمية بها ويحتمل أن يكون المراد أنه تعالى ليس مكانًا للمعلوم بأن يحل ويحصل فيه صورته لكنه بعيد وقوله عليه السلام ولا يوصف العلم من الله بكيف أي ليس علمه تعالى كيفية كما في المخلوقين أو لا يعلم كنه علمه تعالى وكيفية تعلقه بالمعلومات وقوله وليس بين الله وبين علمه حد إما إشارة إلى عدم مغايرة العلم للذات أو إلى عدم حدوث علمه تعالى أي لم ينفك علمه تعالى عنه حتى يكون بين وجوده تعالى وعلمه حد وأمد حتى يقال كان ثم حدث علمه في وقت معين وحد معلوم.

٢٣- يد: [التوحيد] أبي عن محمد العطار عن ابن أبي الخطاب عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال سمعته يقول كان الله ولا شيء غيره ولم يزل الله عالما بما كون فعله به قبل كونه كعلمه به بعد ما كونه^(٥)

٢٤- يد: [التوحيد] العطار عن أبيه عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن عبد الصمد بن بشير عن فضيل بن سكرة^(٦) قال قلت لأبي جعفر عليه السلام جعلت فداك إن رأيت أن تعلمني هل كان الله جل ذكره يعلم قبل أن يخلق الخلق أنه وحده فقد اختلف مواليك فقال بعضهم قد كان يعلم تبارك وتعالى أنه وحده قيل أن يخلق شيئًا من خلقه وقال بعضهم إنما معنى يعلم يفعل فهو اليوم يعلم أنه لا غيره قبل فعل الأشياء وقالوا إن أثبتنا أنه لم يزل عالما بأنه لا غيره فقد أثبتنا معه غيره في أزليته فإن رأيت يا سيدي أن تعلمني ما لا أعدهه إلى غيره فكتب عليه السلام ما زال الله عالما تبارك وتعالى ذكره^(٧)

بيان: قوله عليه السلام إنما معنى يعلم يفعل أي إن تعلق علمه تعالى بشيء يوجب وجود ذلك الشيء^(٨) وتحققه فلو كان لم يزل عالما كان لم يزل فاعلا فكان معه شيء في الأزل أو إن تعلق العلم بشيء يستدعي انكشاف ذلك الشيء وانكشاف الشيء يستدعي نحو حصول له وكل حصول وجود لغيره سبحانه مستند إليه فيكون من فعله فيكون معه في الأزل شيء من فعله فأجاب عليه السلام بأنه لم يزل عالما ولم ينفك إلى بيان فساد متمسك نافية إما لظهوره أو لتعليم أنه لا ينبغي الخوض في تلك المسائل المتعلقة بذاته وصفاته تعالى فإنها مما تنقص عنه الأفهام وتزل فيه الأقدام. ثم اعلم

(١) التوحيد: ١٣٧ ب ١٠ ح ١٥. (٢) التوحيد: ١٣٨ ب ١٠ ح ١٥.

(٣) قال السيد الطباطبائي: من الروايات الدالة على عينية العلم للذات صراحة.

(٤) التوحيد: ١٣٨ ب ١٠ ح ١٦. (٥) التوحيد: ١٤٥ ب ١١ ح ١٢.

(٦) الفضيل بن سكرة، ذكره الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام وقال: كوفي «رجال الطوسي: ٢٧٢ رقم ١٢٧» وكذا ذكره البرقي في رجاله «ص ٣٤» وفي رواية للشيخ الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» يظهر منه حسن حاله قال: وقد روى عن أبي كهمس أنه قال: تقدمت إلى شريك في شهادة لزمتمني، فقال لي: كيف أجيز شهادتك وانت تنسب إلى ما تنسب إليه. قال أبو كهمس، فقلت: وما هو؟ قال: الرفض. قال: فبكيت ثم قلت: نسبتني إلى قوم أخاف ألا أكون منهم، فاجاز شهادتي، وقد وقع مثل ذلك لابن أبي يعفور ولفضيل سكرة انظر: «من لا يحضره الفقيه ٣: ٧٥» ٣٥ ذيل ح، ٣٣٦٦ واحتمل الإمام الخوئي: إن كلمة سكرة قد تكون لقبًا له ولا يبه معجم رجال الحديث ١٣: ٣٢٨ رقم ٩٤١٤ واحتماله هذا جاء نتيجة لخلو بعض النسخ من كلمة ابن كمالًا حذفا في رواية الشيخ الصدوق.

(٧) التوحيد: ١٤٥ ب ١١ ح ١١. (٨) في «أ»: يوجب وجود ذلك الشيء.

أن من ضروريات المذهب كونه تعالى عالماً أزلاً وأبداً بجميع الأشياء كلياتها وجزئياتها من غير تغيير في علمه تعالى وخالف في ذلك جمهور الحكماء فنفوا العلم بالجزئيات عنه تعالى ولقدماء الفلاسفة في العلم مذاهب غريبة:

منها أنه تعالى لا يعلم شيئاً أصلاً ومنها أنه لا يعلم ما سواه ويعلم ذاته وذهب بعضهم إلى العكس ومنها أنه لا يعلم جميع ما سواه وإن علم بعضه ومنها أنه لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها ونسب الأخير إلى أبي الحسين البصري وهشام بن الحكم كما ورد في الأخبار أيضاً ولعله كان مذهبه قبل اختيار الحق أو أشبهه على التأقلين بعض كلماته وجميع هذه المذاهب الباطلة كفر صريح مخالف لضرورة العقل والدين وقد دلت البراهين القاطعة على نفيها ولهم في ذلك شبه ليس هذا موضع ذكرها وبيان سخافتها.

٢٥- يد: [التوحيد] العطار عن سعد عن أيوب بن نوح أنه كتب إلى أبي الحسن عليه السلام يسأله عن الله عز وجل أن يعلم الأشياء قبل أن يخلق الأشياء وكونها أو لم يعلم ذلك حتى خلقها وأراد خلقها وتكوينها فعلم ما خلق عند ما خلق ما كون عند ما كون فوق عليه السلام بخطه لم يزل الله عالماً بالأشياء قبل أن يخلق الأشياء كلمه بالأشياء بعد ما خلق الأشياء.^(١)

٢٦- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ع: [عين أخبار الرضا عليه السلام] أ: [ب] عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبيد الله ^(٢) عن محمد بن عبد الله وموسى بن عمرو ^(٣) والحسن بن علي بن أبي عثمان عن محمد بن سنان قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام هل كان الله عارفاً بنفسه قبل أن يخلق الخلق قال نعم قلت يراها ويسمعها قال ما كان محتاجاً إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها ولا يطلب منها هو نفسه ونفسه هو قدرته نافذة فليس يحتاج إلى أن يسمى نفسه ولكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوه بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف فأول ما اختار لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأسماء كلها فمعناه الله واسمه العلي العظيم هو أول أسمائه لأنه علي علا كل شيء.^(٤)

بيان: قوله ويسمعها أي يسمي نفسه ويسمعها ويمكن أن يقرأ من باب الإفعال قوله فمعناه الله أي مدلول هذا اللفظ ويدل ظاهراً على أن الله اسم للذات غير صفة.

٢٧- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن الأصفيهاني عن المنقري عن حفص قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» ^(٥) قال علمه.^(٦)

٢٨- يد: [التوحيد] أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل «وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» فقال السماوات والأرض وما بينهما في الكرسي والعرش هو العلم الذي لا يقدر أحد قدره.^(٧)

بيان: هذا الخبر والذي تقدمه يدلان على أن العرش والكرسي قد يطلق كل منهما على علمه تعالى وسيأتي تحقيقه في كتاب السماء والعالم.

(١) التوحيد: ١٤٥ ج ١١ ح ١٣.

(٢) في المعاني: الحسين بن عبده، وخو واحد في الاثنين، وهو الحسين بن عبده السعدي. قال النجاشي: أبو عبده بن عبده بن سهل من طعن عليه ورمى بالغلو. له كتب صحيحة الحديث. ثم ذكر كتبه والطريق إليه. انظر رجال النجاشي ١: ١٤٣ - ١٤٦ رقم ٨٥ وقد ذكره في ترجمة الحسن بن أبي عثمان وقال: حدثنا الحسين بن عبده بن سهل في حال استقامته (رجال النجاشي ١: ١٧٧ رقم ١٣٩) وذكر الشيخ كتابه في الفهرست، وذكر الطريق إليه وفي الحسين بن علي بن شيبان القزويني، والذي كان سبباً في تضعيف طريق الشيخ إليه وفق موازين الإجماع الخوئي انظر (الفهرست: ٥٧ رقم ٢٠٩) و«معجم رجال الحديث ٦: ٢٣ رقم ٣٤٨٣». هذا وقد عدّه الشيخ في (لم) وقال: روى عنه ابن حاتم «رجال الشيخ (لم) ٤٧١ رقم ٥٤».

يقف أن تشير إلى ما قاله المحقق المامقاني فيمن نسب إليه الغلو من قبل القميين حيث قال: قد نبهنا غير مرة على أن رمى القدماء سيما القميين منهم الرجل بالغلو لا يعتنى به لأن الاعتقاد بجملة مما هو الآن من ضروريات المذهب كان معدوداً عندهم من الغلو، لا ترى عدهم نفى السهو عن النبي صلى الله عليه وآله والائمة غلو مع أن من لم ينف السهو عنهم اليوم لا يعد مؤمناً، ولقد أجاب الفاضل الحائري حيث قال: رمى القميين بالغلو وخراجهم من قم لا يدل على ضعف أصلاً، فإن أجاب علماءنا وأوتهم غالى على زعمهم ولو وجدوه في قم لا يخرجوه منها لا محالة (تنقيح المقال ١: ٣٣٤).

(٤) التوحيد: ١٩١ - ١٩٢ ج ٢٩ ح ٤، معاني الأخبار: ٢ ج ٢ ح ٢، عين أخبار الرضا عليه السلام: ١: ١١٨ ج ١١ ب ٢٤ وفيها: لانه اعلى الاشياء كلها، فمعناه الله.

(٥) البقرة: ٢٥٥.

(٦) التوحيد: ٢٢٧ ج ٥٢ ح ١.

(٧) التوحيد: ٢٢٧ ج ٥٢ ح ٢.

٢٩- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن علي بن إبراهيم عن اليقطيني عن يونس عن ابن حازم قال سألت أبا عبد الله عليه السلام هل يكون اليوم شيء لم يكن في علم الله بالأمس قال لا من قال هذا فأخذه الله قلت أرايت ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة أليس في علم الله قال بلى قبل أن يخلق الخلق. (١)

٣٠- يز: [بصائر الدرجات] عبد الله بن عامر عن الربيع بن أبي الخطاب عن جعفر بن بشير عن ضريس عن أبي جعفر عليه السلام قال إن لله علمين علما مبدولا وعلما مكتوبا فأما المبدول فإنه ليس من شيء يعلمه الملائكة والرسول إلا نحن نعلمه وأما المكتوف فهو الذي عند الله في أم الكتاب. (٢)

٣١- يز: [بصائر الدرجات] عبد الله بن جعفر عن محمد بن عيسى عن ابن أبي عمير عن ربعي عن الفضيل (٣) عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن لله علما يعلمه ملائكته وأنبيأؤه ورسله ألا ونحن نعلمه والله علم لا يعلمه ملائكته وأنبيأؤه ورسله. (٤)

٣٢- يز: [بصائر الدرجات] ابن هاشم عن البرقي رفعه قال قال أبو عبد الله عليه السلام إن لله علمين علم تعلمه ملائكته ورسله وعلم لا يعلمه غيره فما كان مما يعلمه ملائكته ورسله فنحن نعلمه وما خرج من العلم الذي لا يعلم غيره فإلينا يخرج. (٥)

٣٣- يج: [الخرائج والجراح] قال أبو هاشم الجعفري سأل محمد بن صالح الأرمني أبا محمد عليه السلام عن قوله تعالى وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْزِلُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٦) فقال هل يمحوا إلا ما كان وما لم يكن فقلت في نفسي هذا خلاف قول هشام بن الحكم إنه لا يعلم بالشيء حتى يكون (٧) فنظر إلي فقال تعالى الجبار الحاكم العالم بالأمور قبل كونها قلت أشهد أنك حجة الله. (٨)

٣٤- كشف: [كشف الغمة] من دلائل الحميري عن الجعفري مثله وفي آخره تعالى الجبار الحاكم بالأمور قبل كونها الخالق إذ لا مخلوق والرب إذ لا مروب والقادر قبل المقدور عليه (٩) فقلت أشهد أنك ولي الله وحجته والقائم بقسطه وأنت على منهاج أمير المؤمنين وعلمه. (١٠)

٣٥- شي: [تفسير العياشي] عن داود الرقي قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْآلِهَةُ لَمَّا خَلَّوْا فِي الْأَرْضِ جَاهِدُوا مَا يُنْكِرُ) (١١) قال إن الله هو أعلم بما هو مكنونه قبل أن يكونه وهم ذر وعلم من يجاهد ممن لا يجاهد كما علم أنه يعيت خلقه قبل أن يعيتهم ولم يره موتى وهم أحياء. (١٢)

بيان: فالعلم كناية عن الوقوع أو المراد العلم بعد الوقوع.

٣٦- شي: [تفسير العياشي] عن الحسين بن خالد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتَّخَذُوا الْآلِهَةُ لَمَّا خَلَّوْا فِي الْأَرْضِ جَاهِدُوا مَا يُنْكِرُ) (١٣) عن قول الله (مَا تَسْقُطُ مِنْ رَاقٍ إِلَّا يَحْمِلُهَا وَيُخَوِّفُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَظِي وَلَا يَأْسُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) (١٤) فقال الورق السقط يسقط من بطن أمه من قبل أن يهل الولد (١٥) قال فقلت وقوله وَلَا حِجَّةَ قَالَ يَعْنِي الْوَلَدَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ إِذَا أَهْلٌ وَاسْقُطَ مِنْ قَبْلِ الْوَلَادَةِ قَالَ قُلْتُ قَوْلُهُ وَلَا رَظِي قَالَ يَعْنِي الْمَضْغَةَ إِذَا اسْتَكُنَّتْ فِي الرَّحِمِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ خَلْقُهَا قَبْلَ أَنْ يَنْتَقِلَ قَالَ قَوْلُهُ وَلَا يَأْسُ قَالَ الْوَلَدُ التَّامُ قَالَ قُلْتُ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ قَالَ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ. (١٦)

٣٧- شي: [تفسير العياشي] عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام (نَسُوا اللَّهَ) قال تركوا طاعة الله (فَنَسِيَهُمْ) (١٧) قال فتركهم. (١٨)

- (١) التوحيد: ٣٣٤ ب ٥٢ ح ٨.
(٢) المصدر عن ربعي، عن عبدالله، عن الفضيل بن يسار والصحيح هو ربعي بن عبدالله بن الجارود بن أبي سبرة الهذلي صاحب الفضيل بن يسار.
(٣) بصائر الدرجات: ١٣٢ ج ٢ ب ٢١ ح ١١.
(٤) بصائر الدرجات: ١٣٢ ج ٢ ب ١٦.
(٥) الرعد: ٣٩.
(٦) الخرائج والجراح: ٦٨٧ ج ١٠.
(٧) كشف الغمة في معرفة الإمامة عليه السلام: ٣: ٢١٥.
(٨) آل عمران: ١٤٢.
(٩) تفسير العياشي ١: ٢٢٣ سورة آل عمران ح ١٤٧ وفيه: ولم يره موتهم وهم أحياء.
(١٠) كذا في النسخ. وفي المصدر: سألت أبا الحسن عليه السلام.
(١١) الانعام: ٥٩.
(١٢) تفسير العياشي ١: ٣٩١ سورة الانعام ح ٢٩ مع فرق يسير.
(١٣) تفسير العياشي ٢: ١٠٢ سورة التوبة ح ٨٥.
(١٤) التوبة: ٧٧.
(١٥) التوبة: ١٧.

٣٨- شي: [تفسير العياشي] عن أبي معمر السعدي^(١) قال قال علي^{عليه السلام} في قول الله «نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ» فإنما يعني أنهم نسوا الله في دار الدنيا فلم يعملوا له بالطاعة ولم يؤمنوا به وبرسوله فنسيهم في الآخرة أي لم يجعل لهم في ثوابه نصيبا فصاروا منسيين من الخير.^(٢)

٣٩- شي: [تفسير العياشي] عن حريز رفعه إلى أحدهما^{عليه السلام} في قول الله «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزْدَادُ»^(٣) قال الغيض كل حمل دون تسعة أشهر^(٤) وما تزداد كل شيء يزداد على تسعة أشهر وكلما رأت الدم في حملها من الحيض يزداد بعدد الأيام التي رأت في حملها من الدم.^(٥)

٤٠- شي: [تفسير العياشي] عن زرارة عن أبي جعفر أو أبي عبد الله^{عليه السلام} في قوله تعالى «مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» يعني الذكر والأنثى «وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ» قال الغيض ما كان أقل من الحمل وما تزداد ما زاد على الحمل فهو مكان ما رأت من الدم في حملها.^(٦)

٤١- شي: [تفسير العياشي] محمد بن مسلم وجران و زرارة عنهما قال^(٨) «مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» أنثى أو ذكر «وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ» التي لا تحمل «وَمَا تَزْدَادُ» من أنثى أو ذكر.

٤٢- شي: [تفسير العياشي] عن محمد بن مسلم قال سألت أبا عبد الله^{عليه السلام} عن قول الله «مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ» قال ما لم يكن حملا «وَمَا تَزْدَادُ» قال الذكر والأنثى جميعا.^(١٠)

٤٣- شي: [تفسير العياشي] عن زرارة عن أبي عبد الله^{عليه السلام} في قول الله «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» قال الذكر والأنثى «وَمَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ» قال ما كان دون التسعة وهو غيض «وَمَا تَزْدَادُ» قال ما رأت الدم في حال حملها ازداد به على التسعة الأشهر^(١١) إن كان رأت الدم خمسة أيام أو أقل أو أكثر زاد ذلك على التسعة الأشهر.^(١٢)

بيان: قال الطبرسي رحمه الله «اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» أي يعلم ما في بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام ويعلم لونه وصفاته «مَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ» أي يعلم الوقت الذي تنقسه الأرحام من المدة التي هي تسعة أشهر «وَمَا تَزْدَادُ» على ذلك عن أكثر المفسرين وقال الضحاك الغيض النقصان من الأجل والزيادة ما يزداد على الأجل وذلك أن النساء لا يلدون لأجل واحد و قيل يعني بقوله «مَا يَغِيضُ الْأَرْحَامَ» الولد الذي تأتي به المرأة لأقل من ستة أشهر «وَمَا تَزْدَادُ» الولد الذي تأتي به لأقصى مدة الحمل.

وقيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض وهو انقطاع الحيض وما تزداد بدم النفاس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف وابن زيد.^(١٣)

٤٤- نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له^{عليه السلام} يعلم عجيج الوحوش في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف النينان^(١٤) في البحار الفامرات وتلاطم الماء بالرياح^(١٥) العاصفات.

أقول: سيأتي بعض الأخبار في باب معاني الأسماء وباب جوامع التوحيد وباب البدء وأبواب علوم الأئمة^(١٦) وقد سبق بعضها في الباب السابق.

(١) وفي نسخة من المصدر: السعداني.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢١٩ سورة الرعد ح ٨٠.

(٣) الرعد: ٨.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢١٩ سورة الرعد ح ١١.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٢٠ سورة الرعد ح ١٢ وفيه: (و ما يغيض الارحام) ما لم يكن حملا و ما تزداد.

(٦) في نسخة: عن أبي جعفر و أبي عبد الله^{عليه السلام} و هو ما في المصدر.

(٧) ظ: قال.

(٨) (١١) الى هنا في «أ» و قد سقطت العبارة الاخيرة منها.

(٩) تفسير العياشي ٢: ٢٢٠ سورة الرعد ح ١٣.

(١٠) تفسير العياشي ٢: ٢٢٠ سورة الرعد ح ١٤ وفيه: ما كان دون التسعة فهو غيض، وكذا: ان كانت رأت الدم.

(١١) مجمع البيان ٣: ٤٣٠.

(١٢) (١٤) النون: العوت، و المجمع انوان و نينان «لسان العرب ١٤: ٣٤٠».

(١٣) في «أ»: و ابواب علوم الاسماء.

(١٤) نهج البلاغة خ ١٩٨ ص ٢٢٨.

الآيات:

البقرة: ﴿مَا تَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٠٦.
المائدة: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ٦٤.
الأنعام: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ ٢.
الرعد: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَتَحَوَّلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ ٣٨ - ٣٩.

١- لي: [الأمالي للصدوق] علي بن عيسى عن ماجيلويه عن البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان المجاور عن أحمد بن نصر الطحان عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله الصادق جعفر بن محمد^(١) أن عيسى روح الله مر يقوم مجليين فقال ما لهؤلاء قيل يا روح الله إن فلانة بنت فلان تهدي إلى فلان بن فلان في ليلتها هذه.
قال يجلبون اليوم و يبكون غد فقال قائل منهم و لم يا رسول الله قال لأن صاحبته ميتة في ليلتها هذه فقال القائلون بمقاتته صدق الله و صدق رسوله و قال أهل النفاق ما أقرب غدا فلما أصبحوا جاءوا فوجدوها على حالها لم يحدث بها شيء فقالوا يا روح الله إن التي أخبرتنا أمس أنها ميتة لم تمت فقال عيسى على نبينا و آله و عليه السلام يفعل الله ما يشاء فاذهبوا بنا إليها فذهبوا يتسابقون حتى قرعوا الباب فخرج زوجها فقال له عيسى ﷺ استأذن لي على صاحبتك قال فدخل عليها فأخبرها أن روح الله و كلمته بالباب مع عدة قال فتخدرت فدخل عليها فقال لها ما صنعت ليلتك هذه قالت لم أصنع شيئا إلا و قد كنت أصنعه فيما مضى إنه كان يعترينا سائل في كل ليلة جمعة فننيله ما يقوته إلى مثلها و إنه جاءني في ليلتي هذه و أنا مشغولة بأمرى و أهلي في مشاغل فهتف فلم يجبه أحد ثم هتف فلم يجب حتى هتف مرارا فلما سمعت مقاتته قمت متنكرة حتى نلتها كما كنا ننيله فقال لها تتحي عن مجلسك فإذا تحت ثيابها أفعى مثل جذعة عاض على ذنبه فقال ﷺ بما صنعت صرف عنك هذا^(٢).

بيان: قال الفيروز آبادي جلبيه و يجلبه و اجنبله ساقه من موضع إلى موضع آخر و الجلب اختلاط الصوت كالجلبة جلبوا و يجلبون و أجلبوا و جلبوا و أجب و أجب جمع الجمع انتهى^(٣).

و تخدرت دخلت في الخدر و هو ستر يمد للجارية في ناحية البيت و يقال عره و اعتره و اعتره به و عراه^(٤) و اعتراه إذا أتاه يطلب معروفه و قولها متنكرة أي بحيث لا يعرفني أحد و الجذع بالكسر ساق النخلة.

٢- [عيون أخبار الرضا ﷺ] جعفر بن علي بن أحمد الفقيه عن حسن بن محمد بن علي بن صدقة عن محمد بن عمر بن عبد العزيز عمن سمع الحسن بن محمد النوفلي يقول قال الرضا ﷺ لسليمان المروزي ما أنكرت من البداء يا سليمان و الله عز و جل يقول ﴿وَأَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَلِيلٍ وَلَمْ يَكْ شَيْئًا﴾^(٥) و يقول عز و جل ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾^(٦) و يقول ﴿يَبْدِئُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٧) و يقول عز و جل ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾^(٨) و يقول ﴿وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾^(٩) و يقول عز و جل ﴿وَوَآخَرُونَ مُّرْجُونَ لِلَّهِ إِذَا يَعْذِبُهُمْ وَ إِيَّاسُئُوبُ عَلَيْهِمْ﴾^(١٠) و يقول عز و جل ﴿وَمَا يَعْرِفُ مِنْ مَعَمَّرٍ وَلَا يُنْقِصُ مِنْ عُمرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(١١).

(١) ظ: سمعت من أبا عبد الله أو سمعت أبا عبد الله ... يقول.

(٢) أمالي الصدوق: ٤٠٤ - ٤٠٥ م ٧٥ ح ٣ و فيه: بما صنعت صرف الله عنك هذا.

(٣) القاموس المحيط ٤٨١: ٤٨٠.

(٤) مريم: ٦٧.

(٥) الروم: ٢٧.

(٦) البقرة: ١١٧.

(٧) السجدة: ٧.

(٨) التوبة: ١٠٦.

سليمان هل رويت فيه عن آبائك شيئا قال نعم رويت عن أبي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال إن الله عز وجل علمين علما مخزونا مكتونا لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البدا وعلمنا علمه ملائكة ورسله فالعلماء من أهل بيت نبيك يعلمونه قال سليمان أحب أن تنزعني لي من كتاب الله عز وجل قال قول الله عز وجل **﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَتَتْ بِدَلِيلِهِمْ﴾** ^(١٢) أراد إهلاكهم ثم بدا فقال **﴿وَذَكَرْنَا الذِّكْرَ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنَفَّعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾** ^(١٣).
قال سليمان زدني جعلت فداك.

قال الرضا عليه السلام لقد أخبرني أبي عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال إن الله عز وجل أوحى إلى نبي من أنبيائه أن أخبر فلان الملك إنني متوفيه إلى كذا وكذا فأثابه ذلك النبي فأخبره فدعا الله الملك وهو على سريره حتى سقط من السرير وقال يا رب أجلني حتى يشب طفلي وأقضي أمري فأوحى الله عز وجل إلى ذلك النبي أن آتت فلان الملك فأعلمه أنني قد أنسيت أجله ^(١٤) وزدت في عمره خمس عشرة سنة فقال ذلك النبي يا رب إنك لتعلم أني لم أكذب قط فأوحى الله عز وجل إليه إنما أنت عبد مأمور فأبلغه ذلك والله لا يسئَلُ عَمَّا يُفَعَّلُ.

ثم التفت إلى سليمان فقال له أحسبك ضاهيت اليهود في هذا الباب قال أعوذ بالله من ذلك وما قالت اليهود قال **﴿فَالَّتِ الْيَهُودُ بِدَلِّ اللَّهِ مَعْلُومَةً﴾** ^(١٥) يعنون أن الله قد فرغ من الأمر فليس يحدث شيئا فقال الله عز وجل **﴿وَعَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَمِنُوا يَمُنُوا﴾** ولقد سمعت قوما سألوا أبي موسى بن جعفر عليه السلام عن البداء فقال وما ينكر الناس من البداء وأن يقف الله قوما يرجئهم لأمره.

قال سليمان ألا تخبرني عن **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾** ^(١٦) في أي شيء أنزلت قال يا سليمان ليلة القدر يقدر الله عز وجل فيها ما يكون من السنة إلى السنة من حياة أو موت أو خير أو شر أو رزق فما قدره في تلك الليلة فهو من المحتوم. قال سليمان الآن قد فهمت فداك فزدني قال يا سلمان إن من الأمور أمورا موقوفة عند الله تبارك وتعالى يقدم منها ما يشاء ويؤخر ما يشاء ^(١٧) يا سليمان إن عليا عليه السلام كان يقول العلم علمان فعلم علمه الله ملائكة ورسله فما علمه ملائكة ورسله فإنه يكون ولا يكذب نفسه ولا ملائكة ولا رسله وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ويثبت ما يشاء ^(١٨) قال سليمان للمأمون يا أمير المؤمنين لا أنكر بعد يومي هذا البداء ولا أكذب به إن شاء الله. ^(١٩)

بيان: لعل استدلاله عليه السلام أولا بالآيات لرفع الاستبعاد عما هو مبنى البداء من أن الله تعالى أن يحدث شيئا لم يكن وبغير ما قد كان وليس على ما قالت اليهود ومن بضاهيهم إن الله فعل ما فعل وقدر ما قدر في أول الأمر فلا يغير شيئا من خلقه ولا أحكامه وإن لله كتابا يمحو فيه ما قد ثبت ويثبت فيه ما لم يكن على ما سيأتي تحقيقه وذكر بعض ما يدل على النسخ إما على التنظير والتشليل لمشابهة البداء النسخ في أن أحدهما تغيير في الأمر التكليفي والآخر تغيير في الأمر التكويني أو لأن المراد هنا ما يعم النسخ أيضا.

٣- عيون أخبار الرضا عليه السلام | الهمداني عن علي بن إبراهيم عن الريان بن الصلت قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ما بعث الله عز وجل نبيا إلا بتحريم الخمر وأن يقر له بأن الله يفعل ما يشاء وأن يكون في تراثه الكندر. ^(٢٠)
غطف: [الغيبة للشيخ الطوسي] الأسدي عن علي بن إبراهيم مثله. ^(٢١)

٤- ج: [الإحتجاج] عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال لو لا آية في كتاب الله لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو

(١٢) فاطر: ٨١.

(١٣) الذاريات: ٥٥.

(١٤) في المصدر: قد أنسيت في أجله.

(١٥) المائدة: ٦٤.

(١٦) القدر: ١.

(١٧) في المصدر: ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء.

(١٨) في المصدر: ويؤخر منه ما يشاء، ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء.

(١٩) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥٩ - ١٦١ ج ١٣ ح ١.

(٢٠) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١٧: ٢ ب ٣٠ ح ٣٣ والكندر: اللبان ضرب من العلك «لسان العرب ١٢: ١٦٤».

(٢١) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٣٠ ح ٧ ج ١٩ مع فرق يسير.

كائن إلى يوم القيامة وهي هذه الآية ﴿يَفْخَرُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ﴾ أُمُّ الْكِتَابِ (١).

لي: [الأمالي للصدوق] يد: [التوحيد] القطان والدقاق عن ابن زكريا القطان عن محمد بن العباس عن محمد بن أبي السري عن أحمد بن عبد الله بن يونس عن سعد عن الأصمغ مثل (٢).

٥- ب: [قرب الإسناد] أحمد عن البرنطي قال قلت للرضا عليه السلام إن رجلا من أصحابنا سمعني وأنا أقول إن مروان بن محمد لو سئل عنه صاحب القبر ما كان عنده منه علم فقال الرجل إنما عنى بذلك أبو بكر وعمر فقال لقد جعلهما في موضع صدق قال جعفر بن محمد إن مروان بن محمد لو سئل عنه محمد رسول الله ﷺ ما كان عنده منه علم لم يكن من الملوك الذين سماوا له وإنما كان له أمر طرأ قال أبو عبد الله وأبو جعفر وعلي بن الحسين والحسين بن علي والحسن بن علي وعلي بن أبي طالب عليهم السلام والله لو لا آية في كتاب الله لحدثناكم بما يكون إلى أن تقوم الساعة ﴿يَفْخَرُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُنَبِّئُ عَنْهُ﴾ أُمُّ الْكِتَابِ (٣).

بيان: مروان بن محمد هو الذي من خلفاء بني أمية وكانت خلافته من الأمور الغريبة كما يظهر من السير والمقصود أن خلافته كانت من الأمور البدائية التي لم تصل إلى النبي ﷺ في حياته فلو كان ﷺ سئل في حياته عن هذا الأمر لم يكن له علم بذلك لأن مروان لم يكن من الملوك الذين سماوا للنبي ﷺ فالمراد بصاحب القبر الرسول ﷺ ولما حملته السامع على الشيخين قال ﷺ قد جعل هذا الرجل هذين في موضع صدق وأكرمهما حيث جعلهما جاهلين بهذا الأمر حسب وليس في معرض العلم بالأمور المعنوية حتى ينفي خصوص ذلك عنهما هكذا حقق هذا الخبر وكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ.

٦- فس: [تفسير القمي] قوله ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾ بَلْ يَذَاهُ مَبْسُوطَتَانِ (٤) قال قالوا قد فرغ الله من الأمر لا يحدث الله غير ما قدره في التقدير الأول فرد الله عليهم فقال ﴿بَلْ يَذَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ أي يقدم ويؤخر ويزيد وينقص وله البداءة والمشية (٥).

بيان: ذكر الرازي في الآية وجوها من التأويل:
الأول أن القوم إنما قالوا ذلك على الإلزام فإنهم لما سمعوا قوله تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَغْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ (٦) قالوا لو احتاج إلى القرض لكان فقيرا عاجزا.
الثاني أن القوم لما رأوا أصحاب الرسول ﷺ في غاية الشدة والفقر قالوا على سبيل الاستهزاء إن إله محمد فقير مغلول اليد.

الثالث قال المفسرون إن اليهود كانوا أكثر الناس مالا وثروة فلما بعث الله محمدا ﷺ وكذبوا به ضيق الله عليهم المعيشة فعند ذلك قالت اليهود يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ أي مقبوضة عن العطاء.

الرابع لعله كان فيهم من كان على مذهب الفلسفة وهو أن الله تعالى موجب لذاته وأن حدوث الحوادث عنه لا يمكن إلا على نهج واحد وسنن واحد وأنه تعالى غير قادر على إحداث الحوادث غير الوجوه التي عليها يقع (٧) فعبروا عن عدم الاقتدار على التغيير والتبديل بقل اليد.

الخامس قال بعضهم المراد هو قول اليهود إن الله لا يعذبنا إلا قدر الأيام التي عبدنا فيها العجل فعبروا عنه بهذه العبارة (٨).

أقول: الوجه الرابع قريب مما ورد في بعض الأخبار.

(١) الاحتجاج: ٣٥٨.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٨٠ م ٥٥ ح ١. التوحيد: ٣٠٤ - ٣٠٥ ب ٤٣ ح ١.

(٣) قرب الإسناد: ١٥٥. (٤) المائدة: ٦٤.

(٥) تفسير القمي ١: ١٧٨. (٦) البقرة: ٢٤٥.

(٧) قال السيد الطباطبائي «ره»: هذا من النسب التي ينتبأ منها أهل الفلسفة وإنما هي ناشئة من سوء الفهم في المقاصد البرهانية.

(٨) تفسير الرازي ١١: ٤٣ - ٤٤ بتصرف واختصار قليلين.

٧- فس: [تفسير القمي] قوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ﴾^(١) فإنه حدثني أبي عن النضر بن سويد عن الحلبي عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال الأجل المقضي هو المحتوم الذي قضاه الله وحمته والمسمى هو الذي فيه البدء يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء والمحتوم ليس فيه تقديم ولا تأخير^(٢).
٨- وحدثني ياسر عن الرضا عليه السلام قال ما بعث الله نبيا إلا بتحريم الخمر وأن يقر له بالبداء أن يفعل الله ما يشاء وأن يكون في ترائه الكندر^(٣).

٩- فس: [تفسير القمي] أبي عن محمد بن الفضل عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له جعلت فداك بلغنا أن لآل جعفر راية و لآل العباس رايتين فهل انتهى إليك من علم ذلك شيء قال أما آل جعفر فليس بشيء و لا إلى شيء و أما آل العباس فإن لهم ملكا مبينا يقرّبون فيه البعيد و يباعدون فيه القريب و سلطانهم عسر ليس فيه يسر حتى إذا أمّوا مكر الله و أمّوا عقابه صبح فيهم صيحة لا يبقى لهم مال^(٤) يجمعهم و لا رجال ينعمهم^(٥) و هو قول الله ﴿حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَارْتَبَتْ﴾^(٦) الآية قلت جعلت فداك فمتى يكون ذلك قال أما إنه لم يوقت لنا فيه وقت و لكن إذا حدثناكم بشيء فكان كما نقول فقولوا صدق الله و رسوله و إن كان بخلاف ذلك فقولوا صدق الله و رسوله تؤجروا مرتين و لكن إذا اشتدت الحاجة و الفاقة و أنكر الناس بعضهم بعضا فعند ذلك توقعوا هذا الأمر صباحا مساء قلت جعلت فداك الحاجة و الفاقة قد عرفناها فما إنكار الناس بعضهم بعضا قال يأتي الرجل أخاه في حاجة فيلقاه بغير الوجه الذي كان يلقاه فيه و يكلمه بغير الكلام الذي كان يكلمه^(٧).

١٠- فس: [تفسير القمي] قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَفْخُورُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْهَىٰ عَنْهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ فإنه حدثني أبي عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله عليه السلام قال إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة و الروح و الكتبة إلى سماء الدنيا فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة فإذا أراد الله أن يقدم شيئا أو يؤخره أو ينقص شيئا أمر الملك أن يمحو ما يشاء ثم أثبت الذي أراد قلت و كل شيء هو عند الله مثبت في كتاب قال نعم قلت فأبي شيء يكون بعده قال سبحانه الله ثم يحدث الله أيضا ما يشاء تبارك و تعالى^(٨).

١١- فس: [تفسير القمي] «الم غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَ هُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ»^(٩) فإنه حدثني أبي عن محمد بن أبي عمير عن جميل عن أبي عبيدة عن أبي جعفر عليه السلام قال سألته عن قول الله «الم غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ» قال يا أبا عبيدة إن لهذا تأويلا لا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم من الأئمة إن رسول الله صلى الله عليه وآله لما هاجر إلى المدينة و قد ظهر الإسلام كتب إلى ملك الروم كتابا و بعث إليه رسولا يدعوه إلى الإسلام و كتب إلى ملك فارس كتابا و بعث إليه رسولا يدعوه إلى الإسلام فأما ملك الروم فإنه عظم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله و أكرم رسوله و أما ملك فارس فإنه مزق كتابه و استخف برسول رسول الله صلى الله عليه وآله و كان ملك فارس يومئذ يقاتل ملك الروم و كان المسلمون يهون أن يغلب ملك الروم فارس و كانوا لناحية ملك الروم أرحى منهم لملك فارس فلما غلب ملك فارس ملك الروم بكى لذلك المسلمون و اغتموا فأنزل الله «الم غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ» يعني غلبتها فارس في أدنى الأرض و هي الشامات و ما حولها ثم قال و فارس مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمُ الرُّومُ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ قوله «لِللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ» أن يأمر «وَمِنْ بَعْدُ» أن يقضي بما يشاء قوله «وَيَوْمَئِذٍ يُفْرِغُ الْمُؤْمِنُونَ بُخْرًا لَّهُ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ»^(١٠) قلت أليس الله يقول «فِي بَضْعِ سِنِينَ» و قد مضى للمسلمين سنون كثيرة مع رسول الله صلى الله عليه وآله و في إمارة أبي بكر و إنما غلب المؤمنون فارس في إمارة عمر فقال ألم أقل لك إن لهذا تأويلا و تفسيرا و القرآن يا أبا عبيدة ناسخ و منسوخ أما تسمع قوله «لِللَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ» يعني إليه المشيئة في القول أن يؤخر ما قدم و

(١) تفسير القمي ٢٠١: ٢.

(٢) في «أ» والمصدر: لا يبقى لهم مثال.

(٣) يونس: ٢٤.

(٤) و في نسخة: ولا إذا نسمعهم.

(٥) تفسير القمي ٣١١: ٢ وفيه: و يباعدون فيه القريب و سلطانهم عسر ليس يسر.

(٦) تفسير القمي ٣٦٧ - ٣٦٨: وفيه: أو ينقص شيئا أو يزيد أمر الله. و كذا: و كل شيء عنده بمقدار مثبت في كتابه.

(٧) (١٠) الروم: ٤٤.

(٨) (٩) الروم: ٤.

يقدم ما أخر إلى يوم يحتم القضاء بنزول النصر فيه على المؤمنين و ذلك قوله ﴿وَيُؤْمِنُ بِفَرَحِ الْمُؤْمِنِينَ يَنْصُرُ اللَّهُ﴾^(١) يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ.

بيان: قد فرئ في بعض الشواذ غلبت بالفتح و سبغون بالضم قوله ﷺ يعني غلبنا فارس الظاهر أن إضافة الغلبة إلى الضمير إضافة إلى المفعول أي مغلوبية روم من فارس و يمكن أن يقرأ فعلا و قوله و فارس تفسير لضمير هم فالظاهر أنه كان في قراءتهم ﷺ غلبت و سبغون كلاهما على المجهول و هي مركبة من القراءتين و يحتمل أن يكون قراءتهم ﷺ على وفق الشاذة بأن تكون إضافة الغلبة إلى الضمير إضافة إلى الفاعل و إضافة غلبهم في الآية إضافة إلى المفعول أي بعد مغلوبية فارس عن الروم سبغون عن المسلمين أيضا أو إلى الفاعل فيكون في الآية إشارة إلى غلبة فارس و مغلوبيتهم عن الروم و عن المسلمين جميعا و لكنه يحتاج إلى تكلف.

ثم إن البضع لما كان بحسب اللغة إنما يطلق على ما بين الثلاث إلى التسع و كان تمام الغلبة على فارس في السابع عشر أو أواخر السادس عشر من الهجرة فعلى المشهور بين المفسرين من نزول الآية بمكة قبل الهجرة لا بد من أن يكون بين نزول الآية و بين الفتح ست عشرة سنة و على ما هو الظاهر من الخبر من كون نزول الآية بعد مراسلة قيصر و كسرى و كانت على الأشهر في السنة السادسة فيزيد على البضع أيضا بقليل فلذا اعتبر الضمير السائل عليه ﷺ بذلك فأجاب ﷺ بأن الآية مشعرة باحتمال وقوع البدء حيث قال ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي لله أن يقدم الأمر قبل البضع و يؤخره بعده كما هو الظاهر من تفسيره ﷺ و سيأتي تمام القول في تفسير تلك الآية في كتاب أحوال النبي ﷺ إن شاء الله تعالى.

١٢-فس: [تفسير القمي] قال علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَمَا يَعْزَرُ مِنْ مُعَزَّرٍ وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عَزْمِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾^(٢)

يعني يكتب في كتاب و هو رد على من ينكر البدء.^(٣)

١٣-فس: [تفسير القمي] ﴿فِيهَا بَرَقَ﴾ في ليلة القدر ﴿كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾^(٤) أي يقدر الله كل أمر من الحق و من الباطل و ما يكون في تلك السنة و له فيه البدء و المشيئة يقدم ما يشاء و يؤخر ما يشاء من الآجال و الأزاق و البلايا و الأعراض و الأمراض و يزيد فيها ما يشاء و ينقص ما يشاء و يليقه رسول الله ﷺ إلى أمير المؤمنين ﷺ و يليقه أمير المؤمنين ﷺ إلى الأئمة ﷺ حتى ينتهي ذلك إلى صاحب الزمان عجل الله فرجه و يشترط له فيه البدء و المشيئة و التقديم و التأخير قال حدثني بذلك أبي عن ابن أبي عمير عن عبد الله بن مسكان عن أبي جعفر و أبي عبد الله و أبي الحسن صلوات الله عليهم.^(٥)

١٤-فس: [تفسير القمي] أحمد بن إدريس عن أحمد بن محمد عن الحسين بن سعيد عن النضر بن سويد عن يحيى الحلبي عن هارون بن خازم^(٦) عن أبي بصير عن أبي جعفر ﷺ في قول الله ﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾^(٧) قال إن عند الله كتباً موقوتة^(٨) يقدم منها ما يشاء و يؤخر فإذا كان ليلة القدر أنزل الله فيها كل شيء يكون إلى

(١) تفسير القمي ٢: ١٣٠ مع فاروق يسير.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٨٣.

(٣) تفسير القمي ٢: ١٦٤.

(٤) هارون بن خازم: قال التجاشي: كوفي، ثقة، و أخوه مراد، روى عن أبي عبد الله ﷺ. له كتب تختلف الرواة ثم ذكر الطريق إليه. «رجال التجاشي» ٤: ٤٠٤ رقم ١١٧٧ و قد ذكر الشيخ كتابه في فهرسته: ١٧٦ رقم ٧٦٥ و عده في رجاله ضمن اصحاب الصادق ﷺ. و قال: هارون بن خازم الصيرفي، مولى، كوفي، أبو الحسن، و أخوه مراد الصيرفي وابنه الحسن «رجال الشيخ» ٣٢٨ رقم ٢ و قريب من ذلك ما ذكره البرقي في رجاله. ص ٣٠ هذا و قد ذكر الشيخ في رجاله بعد ذكر هارون بن خازم الصيرفي. قال: هارون بن خازم الانصاري: كوفي مما يعنى ظاهراً التصديق والتفاير. «ص ٣٢٨ رقم ٤» إلا أن الإمام الخوئي أكد أن الاتحاد ما لا ينبغي الربب فيه أو جهن:

الاول: أن هارون بن خازم الصيرفي أخوه مراد، على ما صرح به الشيخ وغيره، و قد مر في مراد بن خازم توصيفه بالانصاري، و يلزمه أن هارون بن خازم الصيرفي أيضا انصاري.

الثاني: أن التجاشي و الشيخ في الفهرست، و البرقي و الصدوق في الشيعة، ذكروا هارون بن خازم و لم يصفوه بوصف فلو كان المسمى بهذا الاسم الاثنان لزمهم التعيين لازالة الشبهة و الله العالم «معجم رجال الحديث» ١٩: ٢٢٦ رقم ١٣٢٢٦.

(٧) المناقب: ١١. (٨) و في نسخة: أن عند الله كتباً موقوفة، و كذا في المصدر.

ليلة مثلها^(١) وذلك قوله «لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا» إذا أنزل وكتبه كتاب السماوات وهو الذي لا يؤخره. (٢)

١٥- ما: [الأمالى للشيخ الطوسي] المعيد عن أحمد بن الوليد عن أبيه عن الصغار عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن العلاء عن محمد قال سئل أبو جعفر^(٣) عن ليلة القدر فقال تنزل فيها الملائكة والكتب إلى سماء الدنيا فيكتبون ما هو كائن في أمر السنة وما يصيب العباد فيها قال وأمر موقوف لله تعالى فيه المشيئة يقدم منه ما يشاء ويؤخر ما يشاء وهو قوله تعالى «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِثْدَهُ أَمْ الْكِتَابِ» (٣) شي: [تفسير العياشي] عن محمد مثله. (٤)

١٦- ع: [علل الشرائع] ابن المتوكل عن الحميري عن ابن عيسى عن ابن محبوب عن مالك بن عطية عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر^(٥) إن الله عز وجل عرض على آدم أسماء الأنبياء وأعمارهم قال فر بآدم اسم داود النبي فإذا عمره في العالم أربعون سنة فقال آدم يا رب ما أقل عمر داود وما أكثر عمري يا رب إن أنا زدت داود من عمري ثلاثين سنة أثبتت ذلك له قال نعم يا آدم قال فإني قد زدت من عمري ثلاثين سنة فأنفذ ذلك له وأثبتها له عندك واطرحها من عمري قال أبو جعفر^(٦) فأثبت الله عز وجل لداود في عمره ثلاثين سنة وكانت له عند الله مثبته فذلك قول الله عز وجل «يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِثْدَهُ أَمْ الْكِتَابِ» قال فمحا الله ما كان عنده مثبته لآدم وأثبت لداود ما لم يكن عنده مثبته قال فمضى عمر آدم فحط ملك الموت لقبض روحه فقال له آدم يا ملك الموت إنه قد بقي من عمري ثلاثون سنة فقال له ملك الموت يا آدم ألم تجعلها لابنك داود النبي وطرحتها من عمرك حين عرض عليك أسماء الأنبياء من ذريتك وقد عرضت عليك أعمارهم وأنت يومئذ بوادي الدخياء قال فقال له آدم ما أذكر هذا قال فقال له ملك الموت يا آدم لا تجحد ألم تسأل الله عز وجل أن يثبتها لداود ويمحوها من عمرك فأثبتها لداود في الزبور ومحاه من عمرك في الذكر قال آدم حتى أعلم ذلك قال أبو جعفر^(٧) وكان آدم صادقاً لم يذكر ولم يجحد فمن ذلك اليوم أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا وتعاملوا إلى أجل مسمى لنسيان آدم وجوده ما جعل على نفسه. (٥)

بيان: قد شرحناه في كتب النبوة.

١٧- ع: [علل الشرائع] أبي عن سعد عن ابن عيسى عن عثمان بن عيسى عن أبي إسحاق الأرجاني عن أبي عبد الله^(٨) قال إن الله عز وجل جعل لمن جعل له سلطاناً مدة من ليالي وأيام وسنين وشهور فإن عدلوا في الناس أمر الله عز وجل صاحب الفلك أن يبطي بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنومهم وشهورهم وإن هم جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله عز وجل صاحب الفلك فأسرع إدارته وأسرع فناء لياليهم وأيامهم وسنيهم وشهورهم وقد وفي تبارك وتعالى لهم بعدد الليالي والأيام والشهور. (٦)

بيان: لعل المراد سرعة تسبب أسباب زوال ملكهم وانقراض دولتهم وبالعكس على الاستعارة التمثيلية فالمراد بالوفاة بعدد شهورهم وسنيهم أن تلك الشهور والسنين التي كانت مقدرة قبل ذلك كانت مشروطة بعدم الإتيان بتلك الأفعال وقد أخبر الله بنقصان ملكهم مع الإتيان بها فلم يخلف الله ما وعده لهم^(٧) ويحتمل أن يكون لكل دولة فلك سوى الأفلاك المعروفة بالحركات وقد قدر لدولتهم عدد من الدورات فإذا أراد الله إطالة مدتهم أمر بإبطائه في الحركة وإذا أراد سرعة فنائها أمر بإسراعه.

(١) في «أ» يكون إلى مثلها.

(٢) تفسير القمي ٣٥٣:٢.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ سورة الرعد ح ٥٩.

(٣) أمالي الطوسي ص ٦٠ ج ٢.

(٥) علل الشرائع: ٥٥٣ ب ٣٤١ ح ١ مع فروقات ضئيلة.

(٦) علل الشرائع: ٥٥٣ ب ٣٤١ ح ١ مع فروقات ضئيلة. (٧) علل الشرائع: ٥٦٦ ب ٣٦٧ ح ١. (٧) أقول: مباركة الله لا يام العدل تأتي ضمن سنة الله إذ من شأن العدل أن يوفر عدالة في التوزيع، والعدالة في التوزيع تؤدي حتماً إلى فائض في عائد الثروات، مما يعني تمكن الإنسان من تسريب هذا العائد في المنافذ التي تحقق له مزيداً من الرفاهية والدعة، وهو أمر يؤول بالنتيجة إلى احساس الإنسان بالازمن أكثر لقلته انشغالاته وهوم. والعكس بالعكس إذ أن أيام الظلم التي تتسم بالظلم الاجتماعي المتمثل بسوء توزيع الثروة وما يترتب على ذلك من اتساع الفقر وزيادة الهوة بين الشرائع الاجتماعية وهيمنة أخلاق السيطرة والتسلط كل ذلك يؤدي لا محالة إلى إضافة نفسية ضخمة على كاهل النفس الانسانية وما يتخلف من ذلك من هوم تضعف احساس الإنسان بالزمن، اما ما ذهب إليه المصنف - ر - فأت به خير.

١٨- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد عن البرقي عن أبيه عن علي بن النعمان عن إسحاق عمن سمعه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال في قول الله عز وجل ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ لم يعنوا أنه هكذا ولكنهم قالوا قد فرغ من الأمر فلا يزيد ولا ينقص فقال الله جل جلاله تكذبا لقولهم ﴿وَعَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلَعِنُوا فَمَا قَالُوا بِإِلَٰهَ مَبْسُوطَتَانِ يُثَبِّتُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ ألم تسمع الله عز وجل يقول ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (١)

١٩- م: [تفسير الإمام عليه السلام] إ قوله عز وجل ﴿مَنْ نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْشِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ قال عليه السلام إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٢) قال الإمام عليه السلام قال محمد بن علي بن موسى الرضا عليه السلام ﴿مَنْ نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ﴾ بأن نرفع حكمها ﴿أَوْ نُنْشِهَا﴾ بأن نرفع رسمها وقد تلي (٣) وعن القلوب حفظها وعن قلبك يا محمد كما قال ﴿سَتَقَرُّنَا فَلَا تَنْفُسُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ (٤) أن ينسبك فرفع عن قلبك ذكره ﴿نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا﴾ يعني بخير لكم فهذه الثانية أعظم لتوايكم وأجل لمصالحكم من الآية الأولى المنسوخة ﴿أَوْ مِثْلَهَا﴾ أي مثلها في الصلاح لكم لأننا لا ننسخ ولا نبديل إلا و غرضنا في ذلك مصالحكم ثم قال يا محمد ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فلا تله قدير يقدر على النسخ وغيره ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وهو العالم بتدبيرها ومصلحتها هو يديركم بعلمه ﴿وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ﴾ بإصلاحكم إذا كان العالم بالمصالح هو الله عز وجل دون غيره ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ وما لكم ناصر ينصركم من مكره إن أراد الله إنزاله بكم أو عذابه إن أراد إحلاله لكم (٥). وقال محمد بن علي الباقر ومما قدر الله عليه النسخ والتزويل لمصالحكم ومنافعكم لتؤمنوا (٦) ويتوفر عليكم الثواب بالتصديق بها فهو يفعل ما يشاء مما فيه صلاحكم والخيرة لكم ثم قال ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد ﴿أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فهو يملكهما بقدرته ويصرفهما تحت مشيئته (٧) لا مقدم لما أخر ولا مؤخر لما قدم ثم قال الله تعالى ﴿وَمَا لَكُمْ﴾ يا معشر اليهود والمكذبين بمحمد عليه السلام والجاحدين نسخ الشرائع (٨) ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ سوى الله تعالى ﴿مِنْ وَلِيٍّ﴾ يلي مصالحكم إن لم يدلكم ربكم للمصالح ﴿وَلَا نَصِيرٌ﴾ ينصركم من الله يدفع عنكم عذابه (٩).

قال عليه السلام وذلك أن رسول الله عليه السلام لما كان بمكة أمره الله تعالى أن يتوجه نحو البيت المقدس في صلاته ويجعل الكعبة بينه وبينها إذا أمكن وإذا لم يتمكن استقبال البيت المقدس كيف كان فكان رسول الله عليه السلام يفعل ذلك طول مقامه بها ثلاثة عشر سنة فلما كان بالمدينة وكان متعبدا باستقبال بيت المقدس استقبله وانحرف عن الكعبة سبعة عشر شهرا أو ستة عشر شهرا وجعل قوم من مردة اليهود يقولون والله ما درى محمد كيف صلى حتى صار يتوجه إلى قبلتنا ويأخذ في صلاته بهدانا ونسكنا فاشتد ذلك على رسول الله عليه السلام لما اتصل به عنهم وكره قبلتهم وأحب الكعبة فجاءه جبرئيل عليه السلام فقال له رسول الله عليه السلام يا جبرئيل لوددت لو صرفني الله تعالى عن بيت المقدس إلى الكعبة فقد تأذيت بما يتصل بي من قبل اليهود من قبلتهم فقال جبرئيل فأسأل ربك أن يحولك إليها فإنه لا يردك عن طلبك ولا يخيبك من بغيتك فلما استتم دعاؤه صعد جبرئيل ثم عاد من ساعته فقال اقرأ يا محمد ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ (١٠) الآيات فقالت اليهود عند ذلك ﴿مَنْ وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا﴾ فأجابهم الله أحسن جواب فقال ﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ﴾ وهو يملكهما وتكليفه التحول إلى جانب كتحويله لكم إلى جانب آخر ﴿يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (١١) هو مصلحتهم وتوذيدهم طاعتهم إلى جنات النعيم.

فقال أبو محمد عليه السلام وجاء قوم من اليهود إلى رسول الله عليه السلام فقالوا يا محمد هذه القبلة بيت المقدس قد صليت إليها أربع عشر سنة ثم تركتها الآن أفحقا كان ما كنت عليه فقد تركته إلى باطل فإنما يخالف الحق الباطل (١٢) أو باطلا

(١) التوحيد: ١٦٧ ب ٢٥ ح ١، معاني الأخبار: ١٨ ب ١٣ ح ١. (٢) البقرة: ١٠٦-١٠٧.

(٣) كذا في النسخ، وفي المصدر: وتزويل ولعله هو الاظهر. (٤) سورة الاعلى: ٦.

(٥) في المصدر: ينصركم من مكره ان اراد الله بكم، او عقابه ان اراد احلاله بكم.

(٦) في المصدر: ربما قدر الله عليه النسخ والتبديل لمصالحكم ومنافعكم لتؤمنوا بها.

(٧) في المصدر: ويصرفهما بحسب مشيئته. (٨) في المصدر: ينسخ الشرائع.

(٩) في المصدر: ينصركم من دون الله فيدفع عنكم عذابه. (١٠) البقرة: ١٤٤.

(١١) البقرة: ١٤٢.

(١٢) في المصدر: فان ما يخالف الحق هو الباطل.

١٠٦ كان ذلك فقد كنت عليه طول هذه المدة فما يؤمننا أن تكون الآن على باطل فقال رسول الله ﷺ بل ذلك كان حقا وهذا حق يقول الله **﴿قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾** إذا عرف صلاحكم يا أيها العباد في استقبال المشرق أمركم به وإذا عرف صلاحكم في استقبال المغرب أمركم به وإن عرف صلاحكم في غيرها أمركم به فلا تتكروا تدبير الله في عبادته وقصده إلى مصالحكم فقال رسول الله ﷺ لقد تركتم العمل في يوم السبت ثم علمتم بعده سائر الأيام ثم تركتموه في السبت ثم علمتم بعده أفرقتكم الحق إلى باطل أو الباطل إلى حق أو الباطل إلى باطل أو الحق إلى حق قولوا كيف شئتم فهو قول محمد ﷺ وجوابه لكم قالوا بل ترك العمل في السبت حق والعمل بعده حق فقال رسول الله ﷺ فكذلك قبلة بيت المقدس في وقته حق ثم قبلة الكعبة في وقته حق فقالوا يا محمد أفيدا لربك فيما كان أمركم به بزعيمكم من الصلاة إلى بيت المقدس حتى تنقلك إلى الكعبة فقال رسول الله ﷺ ما بدا له عن ذلك فإنه العالم بالعواقب والقادر على المصالح لا يستدرك على نفسه غلطا ولا يستحدث رأيا يخالف المتقدم جل عن ذلك ولا يقع عليه أيضا مانع يمنعه من مراده وليس يبدو وإلا لما كان هذا وصفه وهو عز وجل متعال عن هذه الصفات علوا كبيرا.

ثم قال لهم رسول الله ﷺ أيها اليهود أخبروني عن الله أليس يعرض ثم يصح ويصح ثم يمرض أبدا له في ذلك أليس يحيي ويميت أبدا له في كل واحد من ذلك فقالوا لا قال فكذلك الله تعبد نبيه محمدا بالصلاة إلى الكعبة بعد أن تعبد بالصلاة إلى بيت المقدس وما بدا له في الأول ثم قال أليس الله يأتي بالشتاء في أثر الصيف والصيف في أثر الشتاء أبدا له في كل واحد من ذلك قالوا لا قال رسول الله ﷺ فكذلك لم يبد له في القبلة قال ثم قال أليس قد أزمكم في الشتاء أن تحترزوا من البرد بالثياب الغليظة وأزكم في الصيف أن تحترزوا من الحر فبدا له في الصيف حتى أمركم بخلاف ما كان أمركم به في الشتاء قالوا لا قال رسول الله ﷺ فكذلك الله تعبدكم في وقت لصالح يعلمه بشيء ثم تعبدكم في وقت آخر لصالح آخر يعلمه بشيء آخر وإذا أعلمتم الله في الحالتين استحققت ثوابه وأنزل الله **﴿وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَوا فَسَمَّ وَجْهَ اللَّهِ﴾** ^(١) يعني إذا توجهتم بأمره فسم الوجه الذي تصدون منه الله وتأمّلون ثوابه ثم قال رسول الله ﷺ يا عباد الله أنتم كالمرضى ^(٢) والله رب العالمين كالطبيب فصلاح المرضى فيما يعلمه الطبيب ويدبره به لا فيما يشتهي المريض ويقترحه ألا فسلموا الله أمره تكونوا من الفائزين قليل يا ابن رسول الله فلم أمر بالقبلة الأولى فقال لما قال الله عز وجل **﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا﴾** وهي بيت المقدس **﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾** ^(٣) إلا لنعلم ذلك منه وجودا ^(٤) بعد أن علمناه سيوجده ذلك أن هوى أهل مكة كان في الكعبة فأراد الله أن يبين متبع محمد ﷺ من مخالفته بتابع القبلة التي كرهها ومحمد ﷺ يأمر بها ولما كان هوى أهل المدينة في بيت المقدس أمرهم بمخالفتها والتوجه إلى الكعبة ليبين من يوافق محمدا فيما يكرهه فهو مصدقه وموافق ثم قال **﴿وَأِنْ كُنْتُمْ لَكِبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾** إنما كان التوجه إلى بيت المقدس في ذلك الوقت كبيرة إلا على من يهدي الله ففرغ أن الله يتعبد بخلاف ما يريد المرء ليلبتي طامعته في مخالفة هواه. ^(٥)

بيان: قوله أو ستة عشر شهرا التردد إما من الراوي أو منه ﷺ لبيان الاختلاف بين المخالفين.

أقول: لما كان الكلام في النسخ وتجويزه مثبتا في الكتب الأصولية لم تعرض لذكره وبسط القول فيه مع أن هذا الخبر مشتمل على رد شبه النافين له على أبلغ الوجوه.

٢٠- يد: {التوحيد} أبي عن محمد العطار عن ابن عيسى عن الحجال ^(٦) عن ثعلبة عن زرارة عن أحدهما ﷺ قال ما

(١) البقرة: ١١٥. (٢) في المصدر: كالمرضى، وكذا التي بعدها.

(٣) البقرة: ١٤٣. (٤) إلا لنعلم ذلك منه موجودا.

(٥) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري ﷺ: ٤٩١ - ٤٩٥ ح ٢١١ وفيه فروق بسيرة أخرى.

(٦) الحجال هنا هو عبدالله بن محمد الاسدي، قال النجاشي: مولاهم كوفي، الحجال المخزف، أبو مصد، وقيل: أنه من موالى بنى يثم، ثقة، ثبت، له كتاب يرويه عدة من أصحابنا ثم ذكر الطريق إليه. «رجال النجاشي»: ٣٠ - ٣١ رقم ٥٩٣. وقد وثقه الشيخ في رجال الإمام الرضا ع. وقال: عبدالله بن محمد الحجال مولى بنى يثم الله ثقة «رجال الشيخ ص ٢٨١ رقم ١٨».

وعده البرقي في رجال الإمام الرضا ع. وقال في رجاله: -عبدالله بن محمد الحجال، أخو عبدالله- و من ولده أحمد بن عبدالله الكرخي «رجال البرقي: ٥٥» وذكر الشيخ كتابه في الفهرست وذكر طريقه إليه «الفهرست: ١٠٢ رقم ٤٢٨» وقد ذكر الكشي أن الحجال كان: يدعى الكلام و

عبد الله عز وجل بشيء مثل البدء^(١) (٢)

٢١- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصغار عن أيوب بن نوح عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما عظم الله عز وجل بمثل البدء^(٣)

٢٢- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن علي بن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما بعث الله عز وجل نبيا حتى يأخذ عليه ثلاث خصال الإقرار بالعبودية وخلع الأنداد وأن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء^(٤)

شي: [تفسير العياشي] عن محمد مثله^(٥)

٢٣- يد: [التوحيد] بهذا الإسناد عن هشام بن سالم وحفص بن البختري وغيرهما عن أبي عبد الله عليه السلام في هذه الآية «يُذْخِرُوا اللَّهَ مَا يَشَاءُ وَيُؤْخِرُ» قال فقال وهل يمحو الله ما كان^(٦) وهل يثبت إلا ما لم يكن^(٧)

٢٤- يد: [التوحيد] حمزة العلوي عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن مرازم بن حكيم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ما تنبأ نبي قط حتى يقر لله تعالى بخمس بالبدء والمشيئة والسجود والعبودية والطاعة^(٨)
سن: [المحاسن] بعض أصحابنا عن محمد بن عمر الكوفي أخي يحيى عن مرازم مثله^(٩)

٢٥- سن: [المحاسن] أبي عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن زرارة ومحمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال ما بعث الله نبيا قط حتى يأخذ عليه ثلاثا الإقرار لله بالعبودية وخلع الأنداد وأن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء^(١٠)
٢٦- يد: [التوحيد] حمزة العلوي عن علي بن إبراهيم عن الريان قال سمعت الرضا عليه السلام يقول ما بعث الله نبيا قط إلا بتحريم الخمر وأن يقر له بالبدء^(١١)

٢٧- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن علي بن إبراهيم عن اليقطيني عن يونس عن مالك الجهني قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لو يعلم الناس ما في القول بالبدء من الأجر ما قتروا عن الكلام فيه^(١٢)

قال الصدوق رحمه الله في التوحيد ليس البدء كما تظنه جهال الناس بأنه بدء ندامة تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ولكن يجب علينا أن نقر لله عز وجل بأن له البدء معناه أن له أن يبدأ بشيء من خلقه فيخلق قبل شيء ثم يعدم ذلك الشيء ويبدأ بخلق غيره أو يأمر بأمر ثم ينهي عن مثله أو ينهي عن شيء ثم يأمر بمثل ما نهى عنه وذلك مثل نسخ الشرائع وتحويل القبلة وعدة المتوفي عنها زوجها ولا يأمر الله عباده بأمر في وقت ما إلا وهو يعلم أن الصلاح لهم في ذلك الوقت في أن يأمرهم بذلك ويعلم أن في وقت آخر الصلاح لهم في أن ينهاهم عن مثل ما أمرهم به فإذا كان ذلك الوقت أمرهم بما يصلحهم فمن أقر لله عز وجل بأن له أن يفعل ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويخلق مكانه ما يشاء ويؤخر ما يشاء كيف فقد أقر بالبدء وما عظم الله عز وجل بشيء أفضل من الإقرار بأن له الخلق والأمر والتقديم والتأخير وإثبات ما لم يكن ومحو ما قد كان والبدء هو رد على اليهود لأنهم قالوا إن الله قد فرغ من الأمر فقلنا إن الله كل يوم في شأن يحيي ويميت ويرزق ويفعل ما يشاء والبدء ليس من ندامة وإنما هو ظهور أمر تقول العرب بدا لي شخص في طريقي أي ظهر وقال الله عز وجل «وَبَدَأَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ»^(١٣) أي ظهر لهم ومتى ظهر لله تعالى ذكره من عبد صلة لرحمه زاد في عمره ومتى ظهر له قطيعة رحم نقص من عمره ومتى ظهر له من عبد إتيان الزنا نقص من رزقه وعمره^(١٤) ومتى ظهر له منه التعفف عن الزنا زاد في رزقه وعمره.

(١) في بعض النسخ: ما عبدالله عزوجل بشيء افضل من البدء.

كان من اجدل الناس «اختيار معرفة الرجال: ٨٠١ ح ٩٩٢».

(٣) التوحيد: ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٣.

(٢) التوحيد: ٣٣١ ب ٥٤ ح ١.

(٥) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ ح ٥٨ من سورة الرعد.

(٤) التوحيد: ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٣.

(٧) التوحيد: ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٤.

(٨) التوحيد: ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٥.

(٩) المحاسن: ٢٣٤ ب ٢٠ ح ١٩٠.

(١٠) المحاسن: ٢٣٣ - ٢٣٤ ب ٢٠ ح ١٨٩.

(١١) التوحيد: ٣٣٣ ب ٥٤ ح ٦.

(١٢) التوحيد: ٣٣٤ ب ٥٤ ح ٧.

(١٣) الزمر: ٤٧.

(١٤) التوحيد: ٣٣٥ ب ٥٤ ذيل ح ٩ وفيه: بان له ان يفعل ما يشاء ويعدم ما يشاء وكذا: ومتى ظهر له منه قطيعة لرحمه نقص من عمره.

ومن ذلك قول الصادق عليه السلام ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل ابني يقول ما ظهر لله أمر كما ظهر له في إسماعيل ابني إذ اخترمه^(١) قبلي ليعلم بذلك أنه ليس بإمام بعدي^(٢).

وقد روي لي من طريق أبي الحسين الأسدي رضوان الله عليه في ذلك شيء غريب وهو أنه روي أن الصادق عليه السلام قال ما بدا لله بداء كما بدا له في إسماعيل أبي إذا أمر أباه بذبحة ثم فداء بذبحة عظيم.

وفي الحديث على الوجهين جميعاً عندي نظر إلا أنني أوردته لمعنى لفظ البداء والله الموفق للصواب^(٣).

بيان: ليس غرضه رحمه الله من قوله إن له أن يبدأ بشيء إن البداء مشتق من المهوول بل قد صرح آخر بخلافه وإنما أراد أن هذا مما يتفرع عليه كما مر في خبر المروزي وستراف أنه لا استبعاد في صحة الخبرين الذين نفاهاها.

٢٨- بر: [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن ابن أبي عمير أو عن روه عن ابن أبي عمير عن جعفر بن عثمان^(٤)

عن سماعة عن أبي بصير ووهب عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن لله علمين علم مكنون مخزون لا يعلمه إلا هو من ذلك يكون البداء وعلم علمه ملائكته ورسله وأنبياءه ونحن نعلمه^(٥).

٢٩- بر: [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن الأهوازي عن القاسم بن محمد عن أبي حمزة عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى قال لنبية ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾^(٦) أراد أن يعذب أهل الأرض ثم بدا لله فنزلت الرحمة فقال ذكر يا محمد فإن الذكرى تنفع المؤمنين فرجعت من قابل فقلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك إني حدثت أصحابنا^(٧) فقالوا بدا لله ما لم يكن في علمه^(٨) قال فقال أبو عبد الله إن لله علمين علم عنده لم يطلع عليه أحداً من خلقه وعلم نبذه إلى ملائكته ورسله فما نبذه إلى ملائكته فقد انتهى إلينا^(٩).

٣٠- بر: [بصائر الدرجات] أحمد بن محمد عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن سدير قال سأل حمران أبا جعفر عليه السلام قوله تعالى ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾^(١٠) فقال له أبو جعفر عليه السلام ﴿إِلَّا مَنْ أَرِضْنِي مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْئَلُكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾^(١١) وكان والله محمد ممن ارتضاه وأما قوله ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ﴾ فإن الله تبارك وتعالى عالم بما غاب عن خلقه بما يقدر من شيء ويقضيه في علمه فذلك يا حمران علم موقوف عنده إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد ويبدو له فيه فلا يمضيه فأما العلم الذي يقدره الله ويقضيه ويمضيه فهو العلم الذي انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم إلينا^(١٢).

(١) اخترمه: أماته. «لسان العرب ٤: ٧٧».

(٢) التوحيد: ٣٣٦ ب ٤٤ هـ ١٠.

(٣) التوحيد: ٣٣٦ ب ٤٤ هـ ١١.

(٤) قال النجاشي: جعفر بن عثمان بن شريك بن عدي الكلابي الوحيد بن أخي (عبدالله بن شريك) وأخوه الحسين بن عثمان روي عن أبي عبدالله عليه السلام ذكر ذلك أصحاب الرجال له كتاب رواه عن جماعة ثم ساق ذكرهم. «رجال النجاشي ١: ٣٠٧ رقم ٣١٨» وكون أخوه الحسين بن عثمان يجعله متحداً مع جعفر بن عثمان الرواسي وذلك لقول الكشي فيما رواه عن حمديوه: سمعت أبا شيخي، يذكرهم حماداً، وجعفرًا والحسين، بن عثمان بن زياد الرواسي - وحماد يلقب بالثاب - كلهم فاضلون خيار فقات، «اختيار معرفة الرجال ٦٧٠: ٦٩٤ رقم ٢٢٩ - ٢٣١» والرواسيون كما نقل الإمام الغوثي عن الإمام الخوئي من بني كلاب، وقد ذكر الشيخ في أصحاب الصادق عليه السلام ضمن رجاله «ص ١٦١ رقم ٦» ووفقاً لما اكده الإمام الخوئي فإن الرجل هو نفسه الذي ذكر الشيخ في الفهرست تحت عنوان: جعفر بن عثمان صاحب أبي بصير، له كتاب ثم ذكر الطريق إليه «ص ٤٤ رقم ١٤٠».

و استدلال السيد الخوئي على الاتحاد بمايلي:

اولاً: من جهة بعد أن يكون المسمى بهذا الاسم رجلين، لكل منهما كتاب يتعرض النجاشي لاحدهما، ويتعرض الشيخ للآخر.
وثانياً: أن الشيخ لم يتعرض في رجاله إلا لجعفر بن عثمان الرواسي فلو كان هذا غيره لتعرض له، كما تعرض له في الفهرست، مع أن تأليف الفهرست كان قبل تأليف الرجال على ما صرح به في عدة موارد «معجم رجال الحديث ٨: ٧٨ - ٧٩ أرقام ٢١٨٨، ٢١٨٩، ٢١٨٩».

(٥) بصائر الدرجات: ١٢٩ ج ٢ ب ٢١ ح ٢.

(٦) الذاريات: ٥٤.

(٧) قال في هامش «ط»: أي بما حدثني في العام الماضي من البداء.
(٨) قال في هامش «ط»: لعلمه قومه على سبيل الاستفهام الإنكارى، أو قالوا: إن لازم ما حدثت من الاتيين أن بداءه ما لم يكن في علمه، فهو خلاف ما عليه الشيعة، ولما رأى أبو بصير ذلك الإنكار والاعجاب من أصحابه - وهم بطائفة - عرض ذلك عليه، فاجاب عليه بأنه لا يلزم ذلك، لأن الله علمين: علم عنده مختص به، لم يطلع عليه أحداً ففيه البداء؛ يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويثبت ما يشاء، ويحذف ما يشاء، على ما تقتضيه مصالح الأشياء ومنافعها، مع علمه في الآزل بتقديره ذلك وتأخيرها؛ ومحوه وإثباته.

(٩) بصائر الدرجات: ٢٠ ج ٢ ب ٢١ ح ٤.

(١٠) الجن: ٢٧.

(١١) بصائر الدرجات: ١٣٣ ج ٢ باب نادر ح ١ وفيه: بما غاب عن خلقه، فما يقدر من شيء ويقضيه في علمه قبل أن يخلقه وقبل أن يقضيه

وحدثنا عبد الله بن محمد عن ابن محبوب بهذا الإسناد وزاد فيه فما يقدر من شيء ويقضيه في علمه أن يخلقته وقبل أن يقضيه إلى ملائكته فذلك يا حمران علم موقوف عنده غير مقضي لا يعلمه غيره إليه فيه المشيئة فيقضيه إذا أراد إلى آخر الحديث.^(١)

٣١-ك: [إكمال الدين] أبي عن محمد العطار عن الأشعري عن الجاموراني عن اللؤلؤي عن محمد بن سنان عن عمار عن أبي بصير وسماعة عن أبي عبد الله عليه السلام قال من زعم أن الله عز وجل يبدو له في شيء لم يعلمه أمس فابروا منه.^(٢)

٣٢-ص: [قصص الأنبياء عليهم السلام] بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه عن سعد عن ابن عيسى عن الوشاء عن علي بن سوقة عن عيسى الفراء وأبي علي العطار عن رجل عن الثمالى عن أبي جعفر عليه السلام قال بينا داود على نبينا وآله وعليه السلام جالس وعنده شاب رث الهيئة يكثر الجلوس عنده ويطلب الصمت إذا أتاه ملك الموت فسلم عليه وأحد ملك الموت النظر إلى الشاب فقال داود على نبينا وآله وعليه السلام نظرت إلى هذا فقال نعم إنني أمرت بقبض روحه إلى سبعة أيام في هذا الموضع فرحمه داود فقال يا شاب هل لك امرأة قال لا وما تزوجت قط قال داود فأت فلانا رجلا كان عظيم القدر في بني إسرائيل فقال له إن داود يأمرك أن تزوجني ابنتك وتدخلها الليلة وخذ من النفقة ما تحتاج إليه وكن عندها فإذا مضت سبعة أيام فوافني في هذا الموضع فمضى الشاب برسالة داود على نبينا وآله

وعليه السلام فزوجه الرجل ابنته وأدخلوها عليه وأقام عندها سبعة أيام ثم وافى داود يوم الثامن فقال له داود يا شاب كيف رأيت ما كنت فيه قال ما كنت في نعمه ولا سرور قط أعظم مما كنت فيه قال داود اجلس فجلس وداود ينتظر أن يقبض روحه فلما طال قال انصرف إلى منزلك فكن مع أهلك فإذا كان يوم الثامن فوافني هاهنا فمضى الشاب ثم وافاه يوم الثامن وجلس عنده ثم انصرف أسبوعا آخر ثم أتاه وجلس فجاء ملك الموت داود فقال داود صلوات الله عليه ألتست حدثتني بأنك أمرت بقبض روح هذا الشاب إلى سبعة أيام قال بلى فقال قد مضت ثمانية وثمانية قال يا داود إن الله تعالى رحمه برحمتك له فأخر في أجله ثلاثين سنة.^(٣)

٣٣-كتاب الإمامة والتبصرة: لعلي بن بابويه عن محمد بن يحيى وأحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن محمد بن محمد بن الفضيل عن إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان في بني إسرائيل نبي وعده الله أن ينصره إلى خمسة عشرة ليلة فأخبر بذلك قومه فقالوا والله إذا كان ليفعلن وليفعلن فأخبره الله إلى خمسة عشرة سنة وكان فيهم من وعده الله النصره إلى خمس عشرة سنة فأخبر بذلك النبي قومه فقالوا ما شاء الله فعجله الله لهم في خمس عشرة ليلة.^(٤)

٣٤-ص: [قصص الأنبياء عليهم السلام] بالإسناد إلى الصدوق عن أبيه عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم قال سأل عبد الأعلى مولى بني سام الصادق عليه السلام وأنا عنده حديث يرويه الناس فقال وما هو قال يروون أن الله عز وجل أوحى إلى حزقيل النبي صلوات الله عليه أن أخبر فلان الملك أنني متوفيك يوم كذا فأتى حزقيل الملك فأخبره بذلك قال فدعا الله وهو على سريرته حتى سقط ما بين الحائط والسرير فقال يا رب أخرني حتى يشب طفلي وأقضي أمري فأوحى الله إلى ذلك النبي أن أنت فلانا وقل إنني أنست في عمره خمسة عشرة سنة فقال النبي يا رب وعزتك إنك تعلم أنني لم أكذب كذبة قط فأوحى الله إليه إنما أنت عبد مأمور فأبلغه.^(٥)

أقول: سيأتي مثله في قصة شعيا على نبينا وآله وعليه السلام.

٣٥-ير: [بصائر الدرجات] عبد الله بن محمد عن علي بن مهزيار عن ابن مسافر^(٦) قال قال لي أبو جعفر عليه السلام في

إلى الملائكة فذلك يا حمران.

(١) بصائر الدرجات: ١٣٣ ج ٢ باب نادر ح ٢ وفيه: فذلك يا حمران علم مقدم موقوف.

(٢) كمال الدين وتمام النعمة: ٧٥.

(٣) قصص الأنبياء: ٢٠٤ ح ٢٦٥ وفيه: وتدخلها الليلة على، وخذ من النفقة ما تحتاج إليه.

(٤) الإمامة والتبصرة من الحيرة: ٩٤ ب ٢٣ ح ٨٦.

(٥) قصص الأنبياء: ٢٤١ ف ٢ ح ٢٨٣.

(٦) كذا في النسخ، وفي المصدر: أبي مسافر. والصحيح هو أبو مسافر. وقد ذكره الشيخ في رجاله ضمن أصحاب الإمام الجواد عليه السلام «ص ٤٠٨

رقم ٣» وكذا كان البرقي قد ذكر «رجال البرقي: ٥٧».

العشية التي اعتل فيها من ليلتها العلة التي توفي منها يا عبد الله ما أرسل الله نبيا من أنبيائه إلى أحد حتى يأخذ عليه ثلاثة أشياء قلت وأني شيء هو يا سيدي قال الإقرار بالله بالعبودية والوحدانية وأن الله يقدم ما يشاء ونحن قوم أو نحن معشر إذا لم يرض الله لأحدنا الدنيا نقلنا إليه. (١)

٣٦- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] الحسين بن إبراهيم القزويني عن محمد بن وهبان عن أحمد بن إبراهيم عن الحسن بن علي الزعفراني عن أحمد البرقي عن أبيه محمد عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله تعالى ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يُدْعِي اللَّهُ مَعْلُوءَةً﴾ فقال كانوا يقولون قد فرغ من الأمر. (٢)

٣٧- سنن: [المحاسن] أبي عن حماد عن ربعي عن الفضيل قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول العلم علمان علم عند الله مخزون لم يطلع عليه أحدا من خلقه وعلم علمه ملائكته ورسله فأما ما علم ملائكته ورسله فإنه سيكون لا يكذب نفسه ولا ملائكته ولا رسله وعلم عنده مخزون يقدم فيه ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويثبت ما يشاء. (٣)

شي: [تفسير العياشي] عن حماد بن عيسى مثله. (٤)

٣٨- سنن: [المحاسن] بهذا الإسناد عن فضيل قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول من الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ويؤخر منها ما يشاء ويثبت منها ما يشاء. (٥)

٣٩- غط: [الغيبة للشيخ الطوسي] الفضل بن شاذان عن محمد بن علي عن سعدان بن مسلم عن أبي بصير قال قلت له أنهدا الأمر أمد تريخ إليه أبداننا وننتهي إليه قال بلى ولكنكم أذعتم فزاد الله فيه. (٦)

٤٠- غط: [الغيبة للشيخ الطوسي] الفضل عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي قال قلت لأبي جعفر عليه السلام إن عليا عليه السلام كان يقول إلى السبعين بلاء وكان يقول بعد البلاء رخاء وقد مضت السبعون ولم نر رخاء فقال أبو جعفر عليه السلام يا ثابت إن الله تعالى كان وقت هذا الأمر في السبعين فلما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخذه إلى أربعين ومائة سنة فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر فأخذه الله ولم يجعل له بعد ذلك وقتا عدتنا و **يَدْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُ الْكِتَابِ** قال أبو حمزة و قلت ذلك لأبي عبد الله عليه السلام فقال قد كان ذلك. (٧)

٤١- غط: [الغيبة للشيخ الطوسي] الفضل عن محمد بن إسماعيل عن محمد بن سنان عن أبي يحيى التميمي (٨) السلمي عن عثمان النواء قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كان هذا الأمر في فأخذه الله ويقبل بعد في ذريتي ما يشاء. (٩)

أقول: قال الشيخ بعد نقل هذه الأخبار الوجه في هذه الأخبار أن نقول إن صحت أنه لا يتمتع أن يكون الله تعالى قد وقت هذا الأمر في الأوقات التي ذكرت فلما تجدد ما تجدد تغيرت المصلحة واقتضت تأخيره إلى وقت آخر وكذلك فيما بعد ويكون الوقت الأول وكل وقت يجوز أن يؤخر مشروطاً بأن لا يتجدد ما تقتضي المصلحة تأخيره إلى أن يجيء الوقت الذي لا يغيره شيء فيكون محتوماً وعلى هذا يتأول ما روي في تأخير الأعمار عن أوقاتها والزيادة فيها عند الدعاء وصلة الأرحام وما روي في تنقيص الأعمار عن أوقاتها إلى ما قبله عند فعل الظلم وقطع الرحم وغير ذلك وهو تعالى وإن كان عالماً بالأميرين (١٠) فلا يتمتع أن يكون أحدهما معلوماً بشرط والآخر بلا شرط وهذه الجملة لا خلاف فيها بين أهل العدل وعلى هذا يتأول أيضاً ما روي من أخبارنا المتضمنة للفظ البدء وبين أن معناها النسخ على ما يريده جميع أهل العدل فيما يجوز فيه النسخ أو تغير شروطها إن كان طريقها الخبر عن الكائنات لأن البدء في اللغة هو الظهور فلا يتمتع أن يظهر لنا من أفعال الله تعالى ما كنا نظن خلافه أو نعلم ولا نعلم شرطه. (١١)

(١) بصائر الدرجات: ٥٠١ ج ١٠ ح ٩ ب ٤ وفيه: في العشية التي اعتل فيها من ليلتها العلة التي توفي فيها.

(٢) أمالي الطوسي: ٦٧٣ م ١٧. (٣) المحاسن: ٢٤٣ مصابيح ب ٢٤ ح ٢٤. ١٣١.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٣٣ سورة الرعد ح ٦٨. (٥) المحاسن: ٢٤٣ مصابيح ب ٢٤ ح ٢٤. ١٣٢.

(٦) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٢٧ ح ٤١٦ وفيه: بهذا الأمر أمد تريخ إليه أبداننا. وفي «ط» تريخ.

(٧) غيبة الشيخ: ٤٢٨ ح ٤١٧. (٨) وفي نسخة: عن أبي يحيى التميمي.

(٩) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٢٨ - ٤٢٩ ح ٤١٨. (١٠) وفي نسخة: وهو أنه وإن كان عالماً بالأميرين.

(١١) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٢٩ - ٤٣٠ وفي نسخة منه: عند الدعاء والصدقات وصلة الأرحام.

فمن ذلك ما رواه سعد عن ابن عيسى عن البرزطي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال علي بن الحسين و علي بن أبي طالب قبله و محمد بن علي و جعفر بن محمد عليه السلام كيف لنا بالحدِيث مع هذه الآية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ يُعْذِّدُ أَمْ أَلِكُنَابِ﴾.

فأما من قال بأن الله تعالى لا يعلم الشيء إلا بعد كونه فقد كفر و خرج عن التوحيد. (١)

و قد روى سعد بن عبد الله عن أبي هاشم الجعفري قال سألت محمد بن صالح الأرمني أبا محمد العسكري عليه السلام عن قول الله عز و جل ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ يُعْذِّدُ أَمْ أَلِكُنَابِ﴾ فقال أبو محمد و هل يمحو إلا ما كان و يثبت إلا ما لم يكن فقلت في نفسي هذا خلاف ما يقول هشام بن الحكم إنه لا يعلم الشيء حتى يكون فنظر إلي أبو محمد فقال تعالى الجبار العالم بالأشياء قبل كونها و الحديث مختصر (٢) و الوجه في هذه الأخبار ما قدما ذكره من تغيير المصلحة فيه و اقتضائها تأخير الأمر إلى وقت آخر على ما بيناه دون ظهور الأمر له تعالى فإننا لا نقول به و لا نجوزُه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

فإن قيل هذا يؤدي إلى أن لا تنق بشيء من أخبار الله تعالى قلنا الأخبار على ضربين ضرب لا يجوز فيه التغيير في مخبراته فإننا نقطع عليها لعلنا بأنه لا يجوز أن يتغير المخبر في نفسه كالإخبار عن صفات الله و عن الكائنات فيما مضى و كالإخبار بأنه يثيب المؤمنين و الضرب الآخر هو ما يجوز تغييره في نفسه لتغير المصلحة عند تغيير شروطه فإننا نجوز جميع ذلك كالإخبار عن الحوادث في المستقبل إلا أن يرد الخبر على وجه يعلم أن مخبره لا يتغير فحينئذ نقطع بكونه و لأجل ذلك قرن الحتم بكثير من المخبرات فأعلمنا أنه مما لا يتغير أصلا فعد ذلك تقطع به. (٣)

٤٢- يج: [الخرائج و الجرائع] قال أبو هاشم سألت محمد بن صالح أبا محمد عليه السلام عن قوله تعالى ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ﴾ (٤) فقال له الأمر من قبل أن يأمر به و له الأمر من بعد أن يأمر به بما يشاء فقلت في نفسي هذا قول الله ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٥) فأقبل علي فقال هو كما أسرت في نفسك ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَ الْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ قلت أشهد أنك حجة الله و ابن حجة في خلقه. (٦)

كشف: [كشف الغمة] من دلائل الحميري عن الجعفري مثله. (٧)

٤٣- شي: [تفسير العياشي] عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ (٨) قال الناسخ ما حول و ما ينسها مثل الغيب الذي لم يكن بعد كقوله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ يُعْذِّدُ أَمْ أَلِكُنَابِ﴾ قال فيقول الله ما يشاء و يحول ما يشاء مثل قوم يونس إذا بدا (٩) له فرحمهم و مثل قوله ﴿فَتَوَلَّى عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٌ﴾ (١٠) قال أدركمهم رحمته. (١١)

٤٤- شي: [تفسير العياشي] عن عمر بن يزيد قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾ فقال كذبوا ما هكذا هي إذا كان ينسي و ينسخها و يأتي بمثلها لم ينسخها قلت هكذا قال الله قال ليس هكذا قال تبارك و تعالى قلت فكيف قال قال ليس فيها ألف و لا واو قال «ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها مثلها» يقول ما نمت من إمام أو ننس ذكره نأت بخير منه من صلبه مثله. (١٢)

بيان: لعل الخيرية باعتبار أن الإمام المتأخر أصلح لأهل عصره من المتقدم و إن كانا متساويين في الكمال كما يدل عليه قوله مثله.

٤٥- شي: [تفسير العياشي] عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وَنُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٣١ ح ٤٢٢.

(٤) الروم: ٤.

(٦) الخرائج و الجرائع: ٦٨٦ - ٦٨٧ ح ٨.

(٨) البقرة: ١٠٦.

(١٠) الذاريات: ٥٤.

(١٢) تفسير العياشي ١: ٧٤ سورة البقرة ح ٧٨.

(١) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٣٠ ح ٤٢٠.

(٣) غيبة الشيخ الطوسي: ٤٣١.

(٥) الاعراف: ٥٤.

(٧) كشف الغمة في معرفة الأئمة ٣: ٢١٦ - ٢١٧ مع اختصار.

(٩) ظ: إذ بدا.

(١١) تفسير العياشي ١: ٧٤ سورة البقرة ح ٧٧.

عَنْدَهُ^(١) قال الأجل الذي غير مسمى موقوف يقدم منه ما شاء و يؤخر منه ما شاء و أما الأجل المسمى فهو الذي ينزل مما يريد أن يكون من ليلة القدر إلى مثلها من قابل فذلك قول الله ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَفْذِمُونَ﴾^(٢) (٣).

٤٦- شي: [تفسير العياشي] عن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال سألت عن قول الله ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عَنْدَهُ﴾ قال المسمى ما سمي لملك الموت في تلك الليلة و هو الذي قال الله ﴿وَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَفْذِمُونَ﴾ و هو الذي سمي لملك الموت في ليلة القدر و الآخر له فيه المشيئة إن شاء قدمه و إن شاء أخره^(٤).

٤٧- شي: [تفسير العياشي] عن حمران قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عَنْدَهُ﴾ قال فقال هما أجلان أجل موقوف يصنع الله ما يشاء و أجل محتوم.

و في رواية حمران عنه أما الأجل الذي غير مسمى عنده فهو أجل موقوف يقدم فيه ما يشاء و يؤخر فيه ما يشاء و أما الأجل المسمى هو الذي يسمى في ليلة القدر^(٥).

٤٨- شي: [تفسير العياشي] عن حصين عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عَنْدَهُ﴾ قال ثم قال أبو عبد الله عليه السلام الأجل الأول هو ما نبذه إلى الملائكة و الرسل و الأنبياء و الأجل المسمى عنده هو الذي ستره الله عن الخلائق^(٦).

بيان: هذا الخبر و خبر ابن مسكان يدلان على أن الأجل الذي فيه البدء هو المسمى و سائر الأخبار على أنه هو المقضي و يشكل الجمع بينهما إلا أن يقال صدر بعضها موافقة لبعض العامة أو أنه اشتبه على بعض الرواة أو أن أحد التأويلين من بطون الآية.

قال الرازي اختلف المفسرون في تفسير الأجلين على وجوه الأول أن المقضي آجال الماضين و المسمى عنده آجال الباقين الثاني أن الأول أجل الموت و الثاني أجل القيامة لأن مدة حياتهم في الآخرة لا آخر لها الثالث أن الأجل الأول ما بين أن يخلق إلى أن يموت و الثاني ما بين الموت و البعث الرابع أن الأول النوم و الثاني الموت الخامس أن الأول مقدار ما انقضي من عمر كل واحد و الثاني مقدار ما بقي من عمر كل أحد السادس و هو قول حكماء الإسلام أن لكل إنسان أجلين أحدهما الآجال الطبيعية و الثاني الآجال الاخترامية أما الآجال الطبيعية فهي التي لو بقي ذلك المزاج مصونا عن العوارض الخارجية لانتهت مدة بقائه إلى الوقت الفلاني و أما الآجال الاخترامية فهي التي تحصل بالأسباب الخارجية كالغرق و الحرق و غيرها من الأمور المنفصلة انتهى ملخص كلامه^(٧).

٤٩- شي: [تفسير العياشي] عن يعقوب بن شعيب^(٨) قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله ﴿قَالَ يَهُودُ يَدْ إِلِهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾ قال فقال ليس كذا و قال بيده إلى عنقه و لكنه قال قد فرغ من الأشياء و في رواية أخرى عنه قولهم فرغ من الأمر^(٩).

٥٠- شي: [تفسير العياشي] عن حماد عنه في قول الله ﴿يَدْ إِلَهُ مَغْلُولَةٌ﴾ يعنون قد فرغ مما هو كائن لنعوا بنا قالوا قال الله عز و جل ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾^(١٠).

(١) التحل: ٦١.

(١١) الانعام: ٢.

(٢) تفسير العياشي ١: ٣٨٤ سورة الانعام ح ٦.

(٣) تفسير العياشي ١: ٣٨٤ سورة الانعام ح ٥.

(٤) تفسير العياشي ١: ٣٨٥ سورة الانعام ح ٩.

(٥) تفسير العياشي ١: ٣٨٥ سورة الانعام ح ٧ - ٨.

(٦) تفسير الرازي ٢: ١٦٢.

(٧) يعقوب بن شعيب بن ميثم بن يحيى التمار. كذا قال النجاشي و اضاف: مولى بنى اسد. ابو محمد، فقه روى عن ابي عبد الله عليه السلام ذكره ابن سعيد و ابن نوح. له كتاب ثم ذكر طريقه اليه. «رجال النجاشي ٢: ٤٢٧ رقم ١٢١٧» و ذكر الشيخ كتابه ايضا في الفهرست و اكنى بذكر الطريق اليه «ص ١٨٠ رقم ٨٧٥» وعده البرقي في اصحاب الإمام الكاظم عليه السلام ممن ادرك الصادق عليه السلام «رجال البرقي ص ٤٧». ولكن الشيخ ذكر في اصحاب الإمام الباقر عليه السلام ملقباً اياه بالاسدي «رجال الشيخ ص ١٤٠ رقم ١» و في اصحاب الإمام الصادق عليه السلام و وصفه بالكوفي «ص ٣٣٦ رقم ٥٣» و في اصحاب الكاظم عليه السلام و قال: له كتاب ص ٣٦٣ رقم ١» و من خلال كلام ابن داود الذي ترجمه في القسم الاول من كتابه يظهر كثرة ما رواه حيث قال: روى عن ابي عبد الله عليه السلام. خمسة الاف حديث رجال ابن داود ص ٢٨٩ باب «في ذكر جماعة ضبطت روايتهم بالعدد».

(٨) تفسير العياشي ١: ٣٥٩ سورة المائدة ح ١٤٦ او ضمير قولهم راجع الى اليهود.

(٩) تفسير العياشي ١: ٣٥٩ سورة المائدة ح ١٤٧ و فيه: يعنون انه قد فرغ مما هو كائن.

٥١- شي: [تفسير العياشي] عن الفضل بن أبي قرة قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول أوحى الله إلى إبراهيم أنه سيولد لك فقال لسارة فقالت ألد وأنا عجوز فأوحى الله إليه أنها ستلد ويعذب أولادها أربعمائة سنة بردها الكلام علي قال فلما طال على بني إسرائيل العذاب ضجوا وبكوا إلى الله أربعين صباحا فأوحى الله إلى موسى وهارون يخلصهم من فرعون فحط عنهم سبعين ومائة سنة قال وقال أبو عبد الله عليه السلام هكذا أنتم لو فعلتم لفرج الله عنا فأما إذا لم تكونوا فإن الأمر ينتهي إلى منتهاه. (١)

٥٢- شي: [تفسير العياشي] عن علي بن عبد الله بن مروان عن أيوب بن نوح قال قال لي أبو الحسن العسكري عليه السلام وأنا واقف بين يديه بالمدينة ابتداء من غير مسألة يا أيوب إنه ما نبأ الله من نبي إلا بعد أن يأخذ عليه ثلاث خلال شهادة أن لا إله إلا الله وخلع الأنداد من دون الله وأن المشيئة بقدم ما يشاء (٢) ويؤخر ما يشاء أما إنه إذا جرى الاختلاف بينهم لم يزل الاختلاف بينهم إلى أن يقوم صاحب هذا الأمر. (٣)

٥٣- شي: [تفسير العياشي] عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال كان علي بن الحسين عليه السلام يقول لو لا آية في كتاب الله لحدثكم بما يكون إلى يوم القيامة فقلت آية آية قال قول الله وَيَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٤).
٥٤- شي: [تفسير العياشي] عن جميل بن دراج عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله وَيَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ قال هل يثبت إلا ما لم يكن وهل يمحو إلا ما كان. (٥)

٥٥- شي: [تفسير العياشي] عن الفضل بن بشار (٦) عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله لم يدع شيئا كان أو يكون إلا كتبه في كتاب فهو موضوع بين يديه ينظر إليه فما شاء منه قدم وما شاء منه أخر وما شاء منه محا وما شاء منه كان وما لم يشأ لم يكن. (٧)

٥٦- شي: [تفسير العياشي] عن حمران قال سألت أبا عبد الله عليه السلام وَيَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ فقال يا حمران إنه إذا كان ليلة القدر ونزلت الملائكة الكتبة إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يقضى في تلك السنة من أمر فإذا أراد الله أن يقدم شيئا أو يؤخره أو ينقص منه أو يزيد أمر الملك فحما ما شاء ثم أثبت الذي أراد قال فقلت له عند ذلك فكل شيء يكون فهو عند الله في كتاب قال نعم فقلت فيكون كذا وكذا ثم كذا وكذا حتى ينتهي إلى آخره قال نعم قلت فأى شيء يكون بيده بعده قال سبحانه الله ثم يحدث الله أيضا ما شاء تبارك وتعالى. (٨)

٥٧- شي: [تفسير العياشي] عن الفضيل قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول العلم علمان علم علمه ملائكته ورسله وأنبياؤه وعلم عنده مخزون لم يطلع عليه آخر يحدث فيه ما يشاء. (٩)

٥٨- شي: [تفسير العياشي] عن الفضيل بن يسار عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله كتب كتابا فيه ما كان وما هو كائن فوضعه بين يديه فما شاء منه قدم وما شاء منه أخر وما شاء منه محا وما شاء منه أثبت وما شاء منه كان وما لم يشأ منه لم يكن. (١٠)

٥٩- شي: [تفسير العياشي] عن الفضيل قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة ومن الأمور أمر موقوفة عند الله يقدم منها ما يشاء ويمحو منها ما يشاء يثبت منها ما يشاء لم يطلع على ذلك أحدا يعني الموقوفة فأما ما جاءت به الرسل فهي كائنة لا يكذب نفسه ولا نبيه ولا ملائكته. (١١)

٦٠- شي: [تفسير العياشي] عن أبي حمزة الثمالي قال قال أبو جعفر وأبو عبد الله عليهما السلام يا أبا حمزة إن حدثناك بأمر

(١) تفسير العياشي ٢: ١٦٣ سورة هود ٤٩.

(٢) كذا في «أ» والمصدر، وفي «ط»: وأن المشيئة له يقدم ما يشاء.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٣٠ سورة الرعد ح ٥٧.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ سورة الرعد ح ٦١.

(٥) كذا في النسخ، وفي المصدر: الفضل بن يسار.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٢٣١ سورة الرعد ح ٦٢.

(٧) تفسير العياشي ٢: ٢٣٢ سورة الرعد ح ٦٤.

(٨) تفسير العياشي ٢: ٢٣٢ سورة الرعد ح ٦٥.

(٩) تفسير العياشي ٢: ٢٣٢ سورة الرعد ح ٦٦ وفيه: من الأمور أمور محتومة كائنة لا محالة - ومن الأمور موقوفة عند الله يقدم فيها ما يشاء.

أنه يجيء من هاهنا فإن الله يصنع ما يشاء وإن حدثناك اليوم بحديث وحدثناك غدا بخلافه فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت. (١)

١٢٠
٤-٦١- شبي: [تفسير العياشي] عن عمرو بن الحق قال دخلت على أمير المؤمنين عليه السلام حين ضرب على قرنه فقال لي يا عمرو إني مفارقكم ثم قال سنة السبعين فيها بلاء قالها ثلاثا فقلت فهل بعد البلاء رقاء فلم يجبني وأغص عليه فبكت أم كلثوم فأفاق فقال يا أم كلثوم لا تؤذيني فإنك لو قد ترين ما أرى لم تبكي إن الملائكة في السماوات السبع بعضهم خلف بعض والتبيون خلفهم وهذا محمد عليه السلام أخذ بيدي يقول انطلق يا علي فما أمامك خير لك مما أنت فيه فقلت بأبي أنت وأمي قلت إلى السبعين بلاء فهل بعد السبعين رقاء قال نعم يا عمرو إن بعد البلاء رقاء وهو يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. (٢)

٦٢- قال أبو حمزة فقلت لأبي جعفر عليه السلام إن عليا عليه السلام كان يقول إلى السبعين بلاء وبعد السبعين رقاء فقد مضت السبعين ولم يروا رقاء فقال لي أبو جعفر عليه السلام يا ثابت إن الله كان قد وقت هذا الأمر في السبعين فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل الأرض فأخذه إلى أربعين ومائة سنة فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتم قناع السر فأخذه الله ولم يجعل لذلك عدنا وقتا ثم قال ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. (٣)

٦٣- شبي: [تفسير العياشي] عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال إن الله إذا أراد فناء قوم أمر الفلك فأسرع الدور بهم فكان ما يريد من النقصان فإذا أراد الله بقاء قوم أمر الفلك فأبطأ الدور بهم فكان ما يريد من الزيادة فلا تنكروا فإن الله يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. (٤)

١٢١
٤-٦٤- شبي: [تفسير العياشي] عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام يقول إن الله يقدم ما يشاء ويؤخر ما يشاء ويمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب وقال فكل أمر يريد الله فهو في علمه قبل أن يصنعه ليس شيء يبدو له إلا وقد كان في علمه أن الله لا يبدو له من جهل. (٥)

٦٥- شبي: [تفسير العياشي] عن أبي ميثم بن أبي يحيى عن جعفر بن محمد عليه السلام قال ما من مولود يولد إلا وإبليس من الأبالة بحضرته فإن علم الله أنه من شيعتنا حجه من ذلك الشيطان وإن لم يكن من شيعتنا أثبت الشيطان إصبعه السبابة في دبره فكان مأبونا فإن كان امرأة أثبت في فرجها فكانت فاجرة فعند ذلك يبكي الصبي بكاء شديدا إذا هو خرج من بطن أمه والله بعد ذلك يمحو ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب. (٦)

٦٦- شبي: [تفسير العياشي] عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن قول الله ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ قال إن ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فمن ذلك الذي يرد الدعاء القضاء وذلك الدعاء مكتوب عليه الذي يرد به القضاء حتى إذا صار إلى أم الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئا. (٧)

٦٧- شبي: [تفسير العياشي] عن الحسين بن زيد بن علي عن جعفر بن محمد عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن المرء ليصل رحمه وما بقي من عمره إلا ثلاث سنين فيمدها الله إلى ثلاث وثلاثين سنة وإن المرء ليقطع رحمه وقد بقي من عمره ثلاث وثلاثون سنة فيقصرها الله إلى ثلاث سنين أو أدنى قال الحسين وكان جعفر يتلو هذه الآية ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾. (٨)

٦٨- كا: [الكافي] علي بن إبراهيم (٩) عن أحمد بن محمد عن محمد بن علي عن عبد الرحمن بن محمد الأسدي عن سالم بن مكرم عن أبي عبد الله عليه السلام قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وآله فقال السام عليك فقال النبي صلى الله عليه وآله عليك فقال أصحابه إنما سلم عليك بالموت فقال الموت عليك فقال النبي صلى الله عليه وآله وكذلك رددت ثم قال النبي صلى الله عليه وآله إن هذا اليهودي يعضه أسود في قفاه فيقتله قال فذهب اليهودي فاحتطب خطبا كثيرا فاحتمله ثم لم يلبث أن انصرف فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٣٣ سورة الرعد ح ٦٩.

(٤) تفسير العياشي ٢: ٢٣٤ سورة الرعد ح ٧١.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٢٣٤ سورة الرعد ح ٧٢.

(٨) تفسير العياشي ٢: ٢٣٦ سورة الرعد ح ٧٤.

(١) تفسير العياشي ٢: ٢٣٣ سورة الرعد ح ٦٧.

(٣) تفسير العياشي ٢: ٢٣٣ سورة الرعد ح ٧٠.

(٦) تفسير العياشي ٢: ٢٣٤ سورة الرعد ح ٧٢.

(٧) تفسير العياشي ٢: ٢٣٦ سورة الرعد ح ٧٥.

(٩) في المصدر: علي بن محمد.



ضعه فوضع الحطب فإذا أسود في جوف الحطب عاض على عود فقال يا يهودي ما عملت اليوم قال ما عملت عملاً إلا حظي هذا حملته فجئت به و كان معي كعكان فأكلت واحدة و تصدقت بواحدة على مسكين فقال رسول الله ﷺ بها دفع الله عنه و قال إن الصدقة تدفع ميتة السوء عن الإنسان^(١)

٦٩- كتاب زيد النرسي: عن محمد بن علي الحلبي عن أبي عبد الله ﷺ قال قلت له كانت الدنيا قط منذ كانت و ليس في الأرض حبة قال قد كانت الأرض و ليس فيها رسول و لا نبي و لا حجة و ذلك بين آدم و نوح في الفترة و لو سألت هؤلاء عن هذا لقالوا لن تخلو الأرض من الحجة و كذبوا إنما ذلك شيء بدا الله عز و جل فيه فبعث الله النبيين مبشرين و منذرين و قد كان بين عيسى و محمد ﷺ فترة من الزمان لم يكن في الأرض نبي و لا رسول و لا عالم فبعث الله محمداً ﷺ بشيراً و نذيراً و داعياً إليه^(٢)

بيان: لعل المراد عدم الحجة و العالم الظاهرين لنظائر الأخبار بعدم خلو الأرض من حجة قط.
٧٠- و من كتاب المذكور عن عبيد بن زرارة عن أبي عبد الله ﷺ قال ما بدا لله بداء أعظم من بداء بدا له في إسماعيل ابني^(٣)

٧١- كتاب حسين بن عثمان: عن سليمان الطلحي قال قلت لأبي جعفر ﷺ أخبرني عما أخبرتك به الرسول عن ربها و أنتهت ذلك إلى قومها أيكون لله البداء فيه قال أما إني لا أقول لك إنه يفعل و لكن إن شاء فعل^(٤)

بسط كلام لرفع شكوك وأوهام

١٣٢
٤

اعلم أن البداء مما ظن أن الإمامية قد تفردت به و قد شنع عليهم بذلك كثير من المخالفين و الأخبار في ثبوتها كثيرة مستفيضة من الجانبين كما عرفت و لنشر إلى بعض ما قيل في تحقيق ذلك ثم إلى ما ظهر لي من الأخبار مما هو الحق في المقام.

اعلم أنه لما كان البداء ممدوداً في اللغة بمعنى ظهور رأي لم يكن يقال بدا الأمر بدواً ظهر و بدا له في هذا الأمر بدا أي نشأ له فيه رأي كما ذكره الجوهري^(٥) و غيره فلذلك يشكل القول بذلك في جناب الحق تعالى لاستلزامه حدوث علمه تعالى بشيء بعد جهله و هذا محال و لهذا شنع كثير من المخالفين على الإمامية في ذلك نظراً إلى ظاهر اللفظ من غير تحقيق لمرامهم حتى أن الناصبي المتعصب الفخر الرازي ذكر في خاتمة كتاب المحصل حاكياً عن سليمان بن جرير أن الأئمة الراضة و ضعا القول بالبداة لشيعتهم فإذا قالوا إنه سيكون لهم أمر و شوكة ثم لا يكون الأمر على ما أخبروه قالوا بدا لله تعالى فيه و أعجب منه أنه أجاب المحقق الطوسي رحمه الله في نقد المحصل عن ذلك لعدم إحاطته كثيراً بالأخبار بأنهم لا يقولون بالبداة و إنما القول به ما كان إلا في رواية روهها عن جعفر الصادق ﷺ أنه جعل إسماعيل القائم مقامه بعده فظهر من إسماعيل ما لم يرتضه منه فجعل القائم مقامه موسى ﷺ فستل عن ذلك فقال بدا لله في إسماعيل و هذه رواية و عندهم أن خبر الواحد لا يوجب علماً و لا عملاً انتهت.

فانظر إلى هذا المعاند كيف أعمت العصبية عينه حيث نسب إلى أئمة الدين الذين لم يختلف مخالف و لا مؤالف في فضلهم و علمهم و ورعهم و كونهم أتقى الناس و أعلاهم شأنًا و رفعة الكذب و الحيلة و الخديعة و لم يعلم أن مثل هذه الألفاظ المجازية الموهمة لبعض المعاني الباطلة قد وردت في القرآن الكريم و أخبار الطرفين كقوله تعالى ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾^(٦) و ﴿مَكَرَ اللَّهُ﴾^(٧) و ﴿يَبْلُغُكُمْ﴾^(٨) و ﴿لَعَلَّكُمْ﴾^(٩) و ﴿يَدِّ اللَّهُ﴾^(١٠) و ﴿وَجْهَ اللَّهِ﴾^(١١) و ﴿جَنَّبَ اللَّهُ﴾^(١٢) إلى غير ذلك مما لا يحصى و قد ورد في أخبارهم ما يدل على البداء بالمعنى الذي قالت به الشيعة أكثر مما

(١) الكافي ٤: ٥ ب ٢ ح ٣ وفيه: هذا احتمله فجتت به.

(٢) الاصول الستة عشر. كتاب زيد النرسي: ٤٩.

(٣) الاصول ستة عشر. كتاب الحسين بن عثمان: ١١٠.

(٤) البقرة: ١٥.

(٥) الصحاح: ٢٢٧٨.

(٦) المائدة: ٤٨ و غيرها.

(٧) آل عمران: ٥٤ و غيرها.

(٨) المائدة: ٦٤ و غيرها.

(٩) البقرة: ١٤٣ و غيرها.

(١٠) الزمر: ٥٦.

(١١) البقرة: ١١٥ و غيرها.

وردي في أخبارنا كخير دعاء النبي ﷺ على اليهودي وأخبار عيسى على نبينا وآله وعليه السلام وأن الصدقة والدعاء يغيران القضاء وغير ذلك وقال ابن الأثير في النهاية: في حديث الأقرع والأبرص والأعمى بدا لله عز وجل أن يتبليهم أي قضى بذلك وهو معنى البدء هاهنا لأن القضاء سابق والبدء استصواب شيء علم بعد أن لم يعلم وذلك على الله غير جائز انتهى^(١).

وقد دلت الآية على الأجلين وفسرهما أخيراً بما عرفت وقد قال تعالى ﴿يَتَحَوَّلُوا مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ وقال هذا الناصبي في تفسيرها في هذه الآية قولان:

الأول: أنها عامة في كل شيء كما يقتضيه ظاهر اللفظ قالوا إن الله يمحو من الرزق ويزيد فيه وكذا القول في الأجل والسعادة والشقاوة والإيمان والكفر وهو مذهب عمرو بن مسعود^(٢) ورواه جابر عن رسول الله ﷺ.

والثاني: أنها خاصة في بعض الأشياء دون البعض ففيها وجوه الأول أن المراد من المحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر بدلا عن الأول الثاني أنه تعالى يمحو من ديوان الحفظ ما ليس بحسنة ولا سيئة لأنهم مأمورون بكتبته كل قول وفعل ويثبت غيره الثالث أنه تعالى أراد بالمحو أن من أذنب أثبت ذلك الذنب في ديوانه فإذا تاب عنه محاه ديوانه الرابع يمحو الله ما يشاء وهو من جاء أجله ويدع من لم يحيى أجله ويثبت الخامسة أنه تعالى يثبت في أول السنة^(٣) فإذا مضت السنة محيت وأثبت كتاب آخر للمستقبل السادس يمحو نور القمر ويثبت نور الشمس السابع يمحو الدنيا ويثبت الآخرة الثامن أنه في الأرزاق والمحن والمصائب يثبتها في الكتاب ثم يزيلها بالدعاء والصدقة وفيه حث على الانقطاع إلى الله تعالى التاسع تعير أحوال العبد فما مضى منها فهو المحو وما حضر وحصل فهو الإثبات العاشر يزيل ما يشاء^(٤) من حكمه لا يطلع على غيبه أحد فهو المتفرد بالحكم كما يشاء وهو المستقل بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة والإغناء والإفقار بحيث لا يطلع على تلك الغيوب أحد من خلقه.

واعلم أن هذا الباب فيه مجال عظيم فإن قال قائل أليس تزعمون أن المقادير سابقة قد جف بها القلم فكيف يستقيم مع هذا المعنى المحو والإثبات قلنا ذلك المحو والإثبات أيضا مما قد جف به القلم فلا يمحو إلا ما سبق في علمه وقضائه محوه ثم قال قالت الرافضة البدء جائز على الله تعالى وهو أن يعتقد شيئا ثم يظهر له أن الأمر بخلاف ما اعتقدوه وتمسكوا فيه بقوله تعالى ﴿يَتَحَوَّلُوا مَا يَشَاءُ﴾ انتهى كلامه لعنه الله^(٥).

ولا أدري من أين أخذ هذا القول الذي افترى عليهم مع أن كتب الإمامية المتقدمين عليه كالصدوق^(٦) والمفيد^(٧)

(١) النهاية في غريب الحديث والاثني عشر: ١٠٩. (٢) في «ط»: عمرو بن مسعود وما فيه ظاهر. (٣) في المصدر: يثبت في أول السنة حكم تلك السنة. (٤) في المصدر: يزيل ما يشاء ويثبت ما يشاء. (٥) تفسير الرازي ١٩: ٦٦ - ٦٧ وكلامه عن الرافضة يظهر مدى ما يمكن للتصعب أن يسد منافذ الفكر حتى يجعله لا يقبل على موضوع الحقيقة وإنما يستهو به أمر يثرى أهواءه. وإن يغدو الفكر تابعا للهوى فهو الضلال المبين. ولعمري من أين جاء الرازي بهذه القرينة؟ وإي من الرافضة اعتقد بالبدء على هذه الصورة؟ وما هي كتب الإمامية الاعتقادية لم تخلو من الحديث عن البدء وليس صعبا عليه أن يعرف أن ادعاه لم يقترن من افترائه هذا وهو يستبين كل هذه النسب الباطلة على ساحة القدس له. لما يجعلها كفرا صريحا به - جل وعلا - وما اصدق من قال فيه:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد وينكر القم طعم الماء من سقم.
(٦) قال الصدوق في كتاب العقائد: «باب الاعتقاد في البدء» أن الله تبارك وتعالى قد فرغ من الأمر قلنا: بل هو تعالى كل يوم هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن. يحيى ويميت، ويخلق ويرزق، ويفعل ما يشاء وقلنا: (يحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب) وأنه لا يحو إلا ما كان، ولا يثبت إلا ما لا يمكن، وهذا ليس ببدء كما قلت اليهود واتباعها فسنيما في ذلك إلى القول بالبدء. وتبعم على ذلك من خالفنا من أهل الأهواء المختلفة وقال الصادق عليه السلام: «ما بعث الله نبيا قط حتى يأخذ عليه الإقرار بالله بالعبودية وخلق الانداد. وإن الله يوزر ما يشاء، ويقدم ما يشاء» ونسخ الشرائع والأحكام بشريعة نبيه وأحكامه من ذلك، ونسخ الكتب بأقران من ذلك، وقال الصادق عليه السلام: «من زعم أن الله عز وجل بدا في شيء ولم يعلمه أمس فأبره منه» قال: «من زعم أن الله بداله من شيء بذا ندامة فهو عندنا كفر بالله العظيم» أه

(٧) وقال الإمام العلامة معلم الأمة الشيخ المفيد محمد بن النعمان في كتاب تصحيح الاعتقاد في شرح ما قدمنا كم كلام الصدوق: قول الإمامية في البدء طريقه السمع دون العقل وقد جاءت الأخبار به عن أئمة الهدى عليهم السلام، والاصل في البدء هو الظهور، قال الله تعالى (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبونه) يعني به ظهر لهم من أفعال الله تعالى بهم ما لم يكن في حسانهم وتقديرهم. وقال (وبدا لهم سيئات ما كسبوا وحاق بهم) يعني ظهر لهم جزاء كسبهم وبان لهم ذلك، وتقول العرب: «قد بدال فلان عمل حسن، وبدا له كلام فصيح» كما يقولون: «بدا من فلان كذا» فيجملون اللام قاتنة مقام، فالمنعني في قول الإمامية: ببدء الله في كذا أي ظهر له فيه، ومعنى ظهر فيه أي ظهر منه، وليس المراد منه تعقب الرأي ووضوح أمر كان قد خفي عنه وجميع أفعاله تعالى الظاهرة في خلقه بعد أن لم تكن فهي معلومة فيها لم يزل، وإنما يوصف منها بالبدء، ما لم يكن في الاحتساب ظهوره، ولا في غالب الظن وقوعه، فاما ما علم كونه وغلب في الظن حصولي فلا يستعمل في لفظ البدء، وقول أبي

والشيخ^(١) والمرضى^(٢) وغيرهم رضوان الله عليهم مشحونة بالتبري عن ذلك ولا يقولون إلا ببعض ما ذكره سابقاً أو بما هو أصوب منها كما ستعرف والعجب أنهم في أكثر الموارد ينسبون إلى الرب تعالى ما لا يليق به والإمامية قدس الله أسرارهم يبالغون في تنزيهه تعالى ويفحشون بالحجج البالغة ولما لم يظفروا في عقائدهم بما يوجب نقصاً بيهاتونهم ويفترون عليهم بأمثال تلك الأقاويل الفاسدة وهل البهتان والافتراء إلا دأب العاجزين ولو فرض أن بعض من الجهلة المنتحلين للتشيع قال بذلك فالإمامية يتبرءون منه ومن قوله كما يتبرءون من هذا الناصبي وأمثاله وأقاييلهم الفاسدة.

فأما ما قيل في توجيه البداء فقد عرفت ما ذكره الصدوق والشيخ قدس الله روحهما في ذلك.

وقد قيل فيه وجوه أخر:

أول: ما ذكره السيد الداماد قدس الله روحه في نبراس الضياء حيث قال البداء منزلته في التكوين منزلة النسخ في التشريع فما في الأمر التشريعي والأحكام التكليفية نسخ فهو في الأمر التكويني والمكونات الزمانية بداء فالنسخ كأنه بداء تشريعي والبداء كأنه نسخ تكويني ولا بداء في القضاء ولا بالنسبة إلى جناب القدس الحق والمفارقات المحضة من ملائكته القدسية وفي متن الدهر الذي هو ظرف مطلق الحصول القار والثبات البات وعاء عالم الوجود كله وإنما البداء في القدر وفي امتداد الزمان الذي هو أفق التقضي والتجدد وظرف التدرج والتعاقب وبالنسبة إلى الكائنات الزمانية ومن في عالم الزمان والمكان وإقليم المادة والطبيعة وكما حقيقة النسخ عند التحقيق انتهاء الحكم التشريعي وانقطاع استمراره لا رفعه وارتفاعه من وعاء الواقع فكذا حقيقة البداء عند الفحص البالغ انتبات استمرار الأمر التكويني وانتهاء اتصال الإفاضة ومرجعه إلى تحديد زمان الكون وتخصيص وقت الإفاضة لا أنه ارتفاع المعلول الكائن عن وقت كونه وبطلانه في حد حصوله انتهى.

الثاني: ما ذكره بعض الأفاضل في شرحه على الكافي وتبعه غيره من معاصرينا وهو أن القوى المنطبعة الفلكية لم تحط بتفاصيل ما يسبق من الأمور دفعة واحدة لعدم تناهي تلك الأمور بل إنما ينقش فيها الحوادث شيئاً فشيئاً وجملة فجعلت مع أسبابها وعللها على نهج مستمر ونظام مستمر فإن ما يحدث في عالم الكون والفساد فإنما هو من

عبدالله ﷺ: «ما بدله في شيء كما بداله في اسماعيل» فأنما أراد ما ظهر من الله تعالى فيه من دفاع القتل عنه وقد كان محفوظاً عليه من ذلك، مطنونا به فلطف له في دفعه عنه، وقد جاء الخبر بذلك عن الصادق عليه السلام فروى عنه ﷺ أنه قال: «أن القتل قد كتب على اسماعيل مرتين فسلت الله في دفعه عنه فدفعه» وقد يكون الشيء مكتوباً بشرط تغيير الحال فيه، قال الله تعالى: (ثم قضى آجلاً وأجل مسمى عنده) فبين أن الآجال على ضربين: ضرب منها مشترك يصح فيه الزيادة والنقصان، الأخرى إلى قوله تعالى: «وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره إلا في كتاب» وقوله تعالى «وإن أهلكوا لآتوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض» فبين أن آجالهم كانت مشتركة في الامتداد بالبر والافتقار بالفسق، وقال تعالى «فما خبر به عن نوح» في خطابه لقوله: (استغفروا ربكم إنه كان غفاراً * يرسل السماء عليكم مدراراً) إلى آخر الآيات، فاشتراط لهم في مد الآجال وسيرور النعم الاستغفار، فلما لم يفعلوه قطع آجالهم وبرز أعمارهم واستأصلهم بالعذاب؛ فالبداء من الله تعالى يخص ما كان مشتركاً في التقدير، وليس هو الانتقال من عزيمة إلى عزيمة، ولا من تعب الرأي - تعالى الله عما يقول المبطلون علواً كبيراً.

وقد قال بعض أصحابنا: إن لفظ البداء أطلق في أصل اللغة على تعقب الرأي والانتقال من عزيمة إلى عزيمة، وإنما أطلق على الله تعالى على وجه الاستعارة كما يطلق عليه الغضب والرضا غير حقيقة، وإن هذا القول لم يضر بالمذهب، إذ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد السمعة وقد ورد السمع بالبداء على ما بيننا، والذي اعتمدناه في معنى البداء أنه الظهور على ما قدمت القول في معناه، فهو خاص فيما يظهر من الفعل الذي كان وقوعه بعد في النظر (الظن ل) دون المعناد، إذ لو كان في كل واقع من أفعال الله تعالى لكان الله تعالى موصوفاً بالبداء في كل أفعاله وذلك باطل بالاتفاق انتهى كلامه.

(١) وقال الشيخ الطوسي في العدة: البداء حقيقة في اللغة هو الظهور، ولذلك يقال: بدأنا سور المدينة، وبدأنا وجه الرأي، وقال تعالى: (وإذا جاءهم سيئات ما عملوا، وبدأ لهم سيئات ما كتبوا) ويراد بذلك كله «ظهر» وقد يستعمل ذلك في العلم بالشيء، بعد أن لم يكن حاصلًا، وكذلك في الظن فإذا أضيف هذه اللفظة إلى الله تعالى فمعناه يجوز إطلاقه عليه ومنه ما لا يجوز، فاما ما يجوز من ذلك فهو ما افاد النسخ بعينه، ويكون إطلاق ذلك عليه على ضرب من التوسع، وعلى هذا الوجه يحمل جميع ما ورد عن الصادقين عليه السلام من الأخبار المتضمنة لاضافة البداء إلى الله تعالى، دون ما لا يجوز عليه من حصول العلم بعد أن لم يكن، ويكون وجه إطلاق ذلك فيه تعالى والتشبيه هو أنه إذا كان ما يدل على النسخ يظهر به للمكلفين مالم يكن ظاهراً لهم وبجها لهم العلم به بعد أن لم يكن حاصلًا لهم إطلاق على ذلك لفظ البداء.

(٢) وذكر سيدنا الأجل المرتضى «قدس الله روحه» وجهاً آخر في ذلك: وهو أن قال: يمكن حمل ذلك على حقيقته بأن يقال: بداله تعالى بمعنى أنه ظهر له الملام من الملام ما لم يكن ظاهراً له، وبداله من النهي ما لم يكن ظاهراً له، لأن قبل وجود الأمر والنهي لا يكونان ظاهرين مدركين، وإنما يعلم أنه يأمر أو ينهى في المستقبل، فاما كونه أمراً أو ناهياً فلا يصح أن يعلمه إلا إذا وجد الأمر والنهي، وجرى ذلك مجرى أحد الوجهين المذكورين في قوله تعالى: «ولنولينكم حتى تعلموا ما كان حكمكم منكم» بأن يحمله على أن المراد حتى تعلم جهادكم موجوداً، لأن قبل وجود الجهاد لا يعلم الجهاد موجوداً، وإنما يعلم كذلك بعد حصوله فكذلك القول في البداء وجه حسن جداً

لوازم حركات الأفلاك المسخرة لله تعالى و نتائج بركاتها فهي تعلم أنه كلما كان كذا كان كذا فمهما حصل لها العلم بأسباب حدوث أمر ما في هذا العالم حكمت بوقوعه فيه فينتش فيها ذلك الحكم وربما تأخر بعض الأسباب الموجب لوقوع الحادث على خلاف ما يوجبه بقية الأسباب لو لا ذلك السبب و لم يحصل لها العلم بذلك بعد لعدم اطلاعها على سبب ذلك السبب^(١) ثم لما جاء أوانه و اطلعت عليه حكمت بخلاف الحكم الأول فيمحي عنها نقش الحكم السابق و يثبت الحكم الآخر مثلا لما حصل لها العلم بموت زيد بمرض كذا لأسباب تقتضي ذلك و لم يحصل لها العلم بتصدقه الذي سيأتي به قبل ذلك الوقت لعدم اطلاعها على أسباب التصديق بعد ثم علمت به و كان موته بتلك الأسباب مشروطا بأن لا يتصدق فتحكم أولا بالموت و ثانيا بالبرء و إذا كانت الأسباب لوقوع أمر و لا وقوعه متكافئة و لم يحصل لها العلم برجحان أحدهما بعد لعدم مجيء أوان سبب ذلك الرجحان بعد كان لها التردد في وقوع ذلك الأمر و لا وقوعه فينتش فيها الوقوع تارة و اللاوقوع أخرى فهذا هو السبب في البدء و المحو و الإثبات و التردد و أمثال ذلك في أمور العالم فإذا اتصلت بتلك القوى نفس النبي أو الإمام عليهما الصلاة و السلام و قرأ فيها بعض تلك الأمور فله أن يخبر بما رآه بعين قلبه أو شاهده بنور بصيرته أو سمع بأذن قلبه و أما نسبة ذلك كله إلى الله تعالى فلأن كل ما يجري في العالم الملوكوتي إنما يجري بإرادة الله تعالى بل فعلهم بعينه فعل الله سبحانه حيث إنهم لا يَقْضُونَ اللَّهَ مَا أَمَرُهُمْ وَ يَقْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ إذ لا داعي لهم على الفعل إلا إرادة الله عز و جل لاستهلاك إرادتهم في إرادته تعالى و مثلهم كمثل الحواس للإنسان كلما هم بأمر محسوس امتثلت الحواس لما هم به فكل كتابة تكون في هذه الألواح و الصحف فهو أيضا مكتوب لله عز و جل بعد قضائه السابق المكتوب بقلمه الأول فيصح أن يوصف الله عز و جل نفسه بأمثال ذلك بهذا الاعتبار و إن كان مثل هذه الأمور يشعر بالتغير و السنوح و هو سبحانه منزّه عنه فإن كل ما وجد فهو غير خارج عن عالم ربوبيته.

الثالث: ما ذكره بعض المحققين حيث قال تحقيق القول في البدء أن الأمور كلها عامها و خاصها و مطلقها و مقيدها و ناسخها و منسوخها و مفرداتها و مركباتها و إخباراتها و إنشاءاتها بحيث لا يشذ عنها شيء منتشرة في اللوح و الفائض منه على الملائكة و النفوس العلوية و النفوس السفلية قد يكون الأمر العام المطلق أو المنسوخ حسب ما تقتضيه الحكمة الكاملة من الفيضان في ذلك الوقت و يتأخر المبين إلى وقت تقتضي الحكمة فيضانه فيه و هذه النفوس العلوية و ما يشبهها يعبر عنها بكتاب المحو و الإثبات و البدء عبارة عن هذا التغير في ذلك الكتاب. الرابع: ما ذكره السيد المرتضى رضوان الله عليه في جواب مسائل أهل الري و هو و إنه قال المراد بالبدء النسخ و ادعى أنه ليس بخارج عن معناه اللغوي^(٢)

أقول: هذا ما قيل في هذا الباب و قد قيل فيه وجوه آخر لا طائل في إيرادها و الوجوه التي أوردناها بعضها بمعزل عن معنى البدء و بينهما كما بين الأرض و السماء و بعضها مبنية على مقدمات لم تثبت في الدين بل ادعى على خلافها إجماع المسلمين و كلها يشتمل على تأويل نصوص كثيرة بلا ضرورة تدعو إليه و تفصيل القول في كل منها يفضي إلى الإطناب و لنذكر ما ظهر لنا من الآيات و الأخبار بحيث تدل عليه النصوص الصريحة و تأبى عنه العقول الصحيحة. فنقول و بالله التوفيق إنهم عليهم السلام إنما بالغوا في البدء ردا على اليهود الذين يقولون إن الله قد فرغ من الأمر و على النظام و بعض المعتزلة الذين يقولون إن الله خلق الموجودات دفعة واحدة على ما هي عليه الآن معادن و نباتا و حيوانا و إنسانا و لم يتقدم خلق آدم على خلق أولاده و التقدم إنما يقع في ظهورها. لا في حدوثها و وجودها و إنما أخذوا هذه المقالة من أصحاب الكمون و الظهور من الفلاسفة و على بعض الفلاسفة القائلين بالعقول و النفوس الفلكية و بأن الله تعالى لم يؤثر حقيقة إلا في العقل الأول فهم يعزلونه تعالى عن ملكه و ينسبون الحوادث إلى هؤلاء فنفوا عليهم السلام ذلك و أثبتوا أنه تعالى كل يوم في شأن من إعدام شيء و إحداث آخر و إماتة شخص و إحياء آخر إلى غير

(١) و في نسخة: ذلك السبب الحادث.

(٢) قال السيد الطباطبائي: ما عد رحمه الله من الوجوه العديدة ليس إلا وجها واحدا و هو الذي ذكر في الرواية ومحصله كون البدء نسبة حاصلة للشيء إلى علته الناقصة و القضاء نسبة إلى علته التامة و بيانه التفصيلي يحتاج إلى محل آخر ولينه - رحمه الله - اقتصر على إيراد نفس الروايات فإن بيانها شاف كاف.

ذلك لئلا يتركوا العباد التضرع إلى الله و مسألته و طاعته و التقرب إليه بما يصلح أمور دنياهم و عقابهم و ليرجوا عند التصديق على الفقراء و صلة الأرحام و بر الوالدين و المعروف و الإحسان ما وعدوا عليها من طول العمر و زيادة الرزق و غير ذلك.

ثم اعلم أن الآيات و الأخبار تدل على أن الله خلق لوحين أثبت فيهما ما يحدث من الكائنات:

أحدهما اللوح المحفوظ الذي لا تغير فيه أصلا و هو مطابق لعلمه تعالى و الآخر لوح المحو و الإثبات فيثبت فيه شيئا ثم يحوه لحكم كثيرة لا تخفى على أولي الأبواب مثلا يكتب فيه أن عمر زيد خمسون سنة و معناه أن مقتضى الحكمة أن يكون عمره كذا إذا لم يفعل ما يقتضي طوله أو قصره فإذا وصل الرحم مثلا يمحي الخمسون و يكتب مكانه ستون و إذا قطعها يكتب مكانه أربعون و في اللوح المحفوظ أنه يصل و عمره ستون كما أن الطبيب الحاذق إذا اطلع على مزاج شخص يحكم بأن عمره بحسب هذا المزاج يكون ستين سنة فإذا شرب سما و مات أو قتله إنسان فنقص من ذلك أو استعمل دواء قوي مزاجه به فزاد عليه لم يخالف قول الطبيب و التغير الواقع في هذا اللوح مسمى بالبداء إما لأنه مشبه به كما في سائر ما يطلق عليه تعالى من الابتلاء و الاستهزاء و السخرية و أمثالها أو لأنه يظهر للملائكة أو للخلق إذا أخبروا بالأول خلاف ما علموا أولا و أي استبعاد في تحقق هذين^(١) اللوحين. و أية استحالة في هذا المحو و الإثبات حتى يحتاج إلى التأويل و التكلف و إن لم تظهر الحكمة فيه لنا لعجز عقولنا عن الإحاطة بها مع أن الحكم فيه ظاهرة^(٢).

منها أن يظهر للملائكة الكاتبين في اللوح و المطلعين عليه لطفه تعالى بعباده و إيصالهم في الدنيا إلى ما يستحقونه فيزدادوا به معرفة.

و منها أن يعلم بإخبار الرسل و الحجج عليهم الصلاة و السلام أن لأعمالهم الحسنة مثل هذه التأثيرات في صلاح أمورهم و لأعمالهم السيئة تأثيرا في فسادها فيكون داعيا لهم إلى الخيرات صارفا لهم عن السيئات فظهر أن لهذا اللوح تقدما على اللوح المحفوظ من جهة لصيرورته سببا لحصول بعض الأعمال فبذلك انتقش في اللوح المحفوظ حصوله فلا يتوهم أنه بعد ما كتب في هذا اللوح حصوله لا فائدة في المحو و الإثبات.

و منها أنه إذا أخبر الأنبياء و الأوصياء أحيانا من كتاب المحو و الإثبات ثم أخبروا بخلافه يلزمهم الإذعان به و يكون ذلك تشديدا للتكليف عليهم تسببا لمزيد الأجر لهم كما في سائر ما يتتلى الله عبادته منه من التكالييف الشاقة و إيراد الأمور التي تعجز أكثر العقول عن الإحاطة بها و بها يمتاز المسلمون الذين فازوا بدرجات اليقين عن الضعفاء الذين ليس لهم قدم راسخ في الدين.

و منها أن يكون هذه الأخبار تسلية من المؤمنين^(٣) المنتظرين لفرج أولياء الله و غلبة الحق و أهله كما روي في قصة نوح على نبينا و آله و عليه السلام حين أخبر بهلاك القوم ثم أخر ذلك مرارا و كما روي في فرج أهل البيت^(٤) و غلبتهم لأنهم^(٥) لو كانوا أخبروا الشيعة في أول ابتلائهم باستيلاء المخالفين و شدة محتنتهم أنه ليس فرجهم إلا بعد ألف سنة ليسوا و رجعوا عن الدين و لكنهم أخبروا شيعتهم بتعجيل الفرج و ربما أخبروهم بأنه يمكن أن يحصل الفرج في بعض الأزمنة القريبة ليثبتوا على الدين و يثابروا بانتظار الفرج كما مر في خبر أمير المؤمنين صلوات الله عليه و روى الكليني عن محمد بن يحيى و أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن السياري عن الحسن بن علي بن يقطين عن أخيه الحسين عن أبيه علي بن يقطين^(٦) قال قال لي أبو الحسن^(٧) الشيعة تربى بالأمانى منذ مائتي سنة. قال و قال يقطين لابنه علي بن يقطين ما بالنا قيل لنا فكان و قيل لكم فلم يكن قال فقال له علي إن الذي قيل لنا و لكم كان من مخرج واحد غير أن أمركم حضر فأعطيتم محضة فكان كما قيل لكم و أن أمرنا لم يحضر فعللنا

(١) في «أ» في تحقيق هذين.

(٢) قال السيد الطباطبائي «هـ» أن كنا بحثنا عن اللوح من جهة العقل فالبرهان يثبت في الوجود أمرا نسبته إلى الحوادث الكونية نسبة الكتاب إلى ما فيه من المكتوب. و من البدهي أن لوحا جسامانيا لا يسع كتابته ما يستقبل نفسه و أجزاءه من الحالات و القصص في أزمنة غير متناهية و أن أكبر ما كبر فضلا عن شرح حال كل شيء في الابد الغير المتناهي. و أن كنا بحثنا من جهة النقل فالأخبار نفسها تزول اللوح و القلم إلى ملكين من ملائكة الله كما سيبي في المجلد الرابع عشر من هذا الكتاب و على أي حال فلا وجه لما ذكره رحمه الله.

(٣) ظ: أن تكون هذه الأخبار تسلية للمؤمنين.

(٤) إلى هنا السند في «أ» قد سقط منه الباقي.

بالأماني فلو قيل لنا إن هذا الأمر لا يكون إلا إلى مائتي سنة أو ثلاثمائة سنة لقتت القلوب و لرجع عامة الناس عن الإسلام و لكن قالوا ما أسرع و ما أقرب تآلفا لقلوب الناس و تقريبا للفرج^(١).
و قوله قيل لنا أي في خلافة العباسية و كان من شيعتهم أو في دولة آل يقطين و قيل لكم أي في أمر القائم و ظهور فرج الشيعة.

و روي أيضا عن الحسين بن محمد عن معلى بن محمد عن الحسن بن علي الخزاز عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي عن الفضيل بن يسار^(٢) عن أبي جعفر^(٣) قال قلت لهذا الأمر وقت فقال كذب الوقاتون كذب الوقاتون كذب الوقاتون إن موسى على نبينا و آله و عليه السلام لما خرج وافدا إلى ربه واعدهم ثلاثين يوما فلما زاد الله إلى الثلاثين عشرا قال قومه قد أخلقنا موسى فصنعوا ما صنعوا فإذا حدثناكم الحديث فجاء على ما حدثناكم فقولوا صدق الله و إذا حدثناكم الحديث فجاء على خلاف ما حدثناكم به فقولوا صدق الله تؤجروا مرتين^(٤).

و سيأتي كثير من الأخبار في ذلك في كتاب النبوة لا سيما في أبواب قصص نوح و موسى و شعيا على نبينا و آله و عليه السلام و سيأتي أيضا في كتاب الغيبة فأخبارهم^(٥) بما يظهر خلافه ظاهرا من قبيل الجملات و المتشابهات التي تصدر عنهم بمقتضى الحكم ثم يصدر عنهم بعد ذلك تفسيرها و بيانها و قولهم يقع الأمر الفلاني في وقت كذا معناه إن كان كذا أو إن لم يقع الأمر الفلاني الذي يتناهى و إن لم يذكر الشرط كما قالوا في النسخ قبل الفعل و قد أوضحناه في باب ذبح إسماعيل على نبينا و آله و عليه السلام فمعنى قولهم^(٦) ما عبد الله بمثل البدء أن الإيمان بالبدء من أعظم العبادات القلبية لصعوبته و معارضته الوسواس الشيطانية فيه و لكونه إقرارا بأن لهُ الخَلْقُ و التأثر و

هذا كمال التوحيد أو المعنى أنه من أعظم الأسباب و الدواعي لعبادة الرب تعالى كما عرفت و كذا قولهم^(٧) ما عظم الله بمثل البدء احتمل الوجهين و إن كان الأول فيه أظهر و أما قول الصادق^(٨) لو علم الناس ما في القول بالبدء من الأجر ما ففروا عن الكلام فيه فلما مر أيضا من أن أكثر مصالح العباد موقوفة على القول بالبدء إذ لو اعتقدوا أن كل ما قدر في الأزل فلا بد من وقوعه حتما لما دعا الله في شيء من مطالبهم و ما تضرعوا إليه و ما استكانوا لديه و لا خافوا منه و لا رجعوا إليه^(٩) إلى غير ذلك مما قد أومأنا إليه و أما إن هذه الأمور من جملة الأسباب المقدرة في الأزل أن يقع الأمر بها لا بدونها فمما لا يصل إليه عقول أكثر الخلق فظهر أن هذا اللوح و علمهم بما يقع فيه من المحو و الإثبات أصلح لهم من كل شيء.

بقي هاهنا إشكال آخر و هو أنه يظهر من كثير من الأخبار المتقدمة أن البدء لا يقع فيما يصل علمه إلى الأنبياء و الأئمة عليهم الصلاة و السلام و يظهر من كثير منها وقوع البدء فيما وصل إليهم أيضا و يمكن الجمع بينهما بوجوه:
الأول: أن يكون المراد بالأخبار الأولية عدم وقوع البدء فيما وصل إليهم على سبيل التبليغ بأن يؤمروا بتبليغه ليكون أخبارهم بها من قبل أنفسهم لا على وجه التبليغ.

الثاني: أن يكون المراد بالأولة الوحي و يكون و ما يخبرون به من جهة الإلهام و اطلاع نفوسهم على الصحف السماوية و هذا قريب من الأول.

الثالث: أن تكون الأولية محمولة على الغالب فلا يتنافي ما وقع على سبيل الندرة.

الرابع: ما أشار إليه الشيخ قدس الله روحه من أن المراد بالأخبار الأولية عدم وصول الخبر إليهم و أخبارهم على سبيل الحتم فيكون أخبارهم على قسمين أحدهما ما أوحى إليهم أنه من الأمور المحتمومة فهم يخبرون كذلك و لا بدء فيه و ثانيهما ما يوحى إليهم لا على هذا الوجه فهم يخبرون كذلك و ربما أشعروا أيضا باحتمال وقوع البدء فيه كما قال أمير المؤمنين^(١٠) بعد الإخبار بالسبعين و يَسْخُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ و هذا وجه قريب.

الخامس: أن يكون المراد بالأخبار الأولية أنهم لا يخبرون بشيء لا يظهر وجه الحكمة فيه على الخلق لئلا يوجب تكذيبهم بل لو أخبروا بشيء من ذلك يظهر وجه الصدق فيما أخبروا به كخبر عيسى على نبينا و آله و عليه السلام و

(١) الكافي ١: ٣٦٩ ب ١٤٠ ح ٦. (٢) في المصدر: الفضل بن يسار.

(٣) الكافي ١: ٣٦٨ - ٣٦٩ ب ١٤٠ ح ٥ و فيه: فلما زاده الله على الثلاثين عشرا.

(٤) و في نسخة: و لا رجوا إليه.

النبي حيث ظهرت الحية دالة على صدق مقالهما و سيأتي بعض القول في ذلك في باب ليلة القدر و سيأتي بعض أخبار البداء في باب القضاء و إيفاء حق الكلام في هذه المسألة يقتضي رسالة مفردة و الله الموفق.

القدرة و الإرادة

باب ٤

الآيات:

البقرة: ﴿قَالَ أَغْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٥٩.

آل عمران: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٩ و ١٨٩.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٦٥.

النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٥٦.

و قال تعالى ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ ١٣٣.

و قال تعالى ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ ١٤٩.

المائدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ ١.

التوبة: ﴿فَلَا تُجْعِلْهُمُ أَهْلًا لَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ إِنَّا نُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ ٥٥.

هود: ﴿هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤.

إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ

بَعِزٌّ﴾ ١٩ - ٢٠.

النحل: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٤٠.

الكهف: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا﴾ ٤٥.

الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ ١٤.

و قال تعالى ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ﴾ ١٦.

النور: ﴿يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٤٥.

الأحزاب: ﴿قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا

وَلَا نَصِيرًا﴾ ١٧.

و قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾ ٢٥.

و قال تعالى ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ٢٧.

فاطر: ﴿إِنْ يَشَاءُ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ ١٦ - ١٧.

و قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ ٤٤.

يس: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ

شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ٨١ - ٨٢.

الفتح: ﴿وَأُخْرَى لَمْ تَقْرَأُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾ ٢١.

القمر: ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَفِ بِالنَّصْرِ﴾ ٥٠.

المعارج: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَلْمُزُونَ فَلَا أَقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ عَلَى أَنْ نَبْدِلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ مَا

نَحْنُ بِمُسْبِكِينَ﴾ ٣٩ - ٤١.

الجن: «وَأَنَّا ظَنَنَّا أَن لَّنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا» ١٢.

١٣٦
٤

١-يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصدوق] ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن ابن محبوب عن مقاتل بن سليمان عن أبي عبد الله عليه السلام قال لما صعد موسى على نبينا وآله وعليه السلام إلى الطور فنادى ربه عز وجل قال يا رب أرني خزائنك قال يا موسى إنما خزائني إذا أردت شيئا أن أقول له كن فيكون^(١).

٢-ل: [الخصال] ماجيلويه عن محمد العطار عن الأشعري عن أحمد بن محمد عن ابن معروف عن ابن مهزيار عن حكم بن بهلول عن إسماعيل بن همام عن ابن أذينة عن أبان بن أبي عياش عن سليم بن قيس الهلالي قال سمعت عليا عليه السلام يقول لأبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني يا أبا الطفيل العلم علمان علم لا يسع الناس إلا النظر فيه وهو صيغة الإسلام وعلم يسمع^(٢) الناس ترك النظر فيه وهو قدرة الله عز وجل.

بيان: صيغة الإسلام هي العلوم التي يوجب العلم بها الدخول في دين الإسلام والتلون بلونه من توحيد الواجب تعالى وتنزيهه عن النقائص وسائر ما يعد من أصول المذهب وأما قوله وهو قدرة الله تعالى فلعل المراد بها التفكير في قضاء الله وقدره كما نهى في أخبار آخر عن التفكير فيها و يحتمل أن يكون المراد التفكير في كيفية القدرة ويشكل بأن التفكير في كيفية سائر الصفات منهى عنه فلا يختص بالقدرة.

٣-ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] السناني عن محمد الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن محمد بن عيسى عن محمد بن عرفة قال قلت للرضا عليه السلام خلق الله الأشياء بالقدرة أم بغير القدرة فقال عليه السلام لا يجوز أن يكون خلق الأشياء بالقدرة لأنك إذا قلت خلق الأشياء بالقدرة فكأنك قد جعلت القدرة شيئا غيره وجعلتها آلة له بها خلق^(٤) الأشياء وهذا شرك وإذا قلت خلق الأشياء بقدرة^(٥) فإنما تصفه أنه جعلها باقتدار عليها وقدرة ولكن ليس هو بضعيف ولا عاجز ولا محتاج إلى غيره بل هو سبحانه قادر لذاته لا بالقدرة^(٦).
يد: [التوحيد] الدقاق عن أبي القاسم العلوي عن البرمكي مثله إلى قوله إلى غيره.

ثم قال الصدوق رحمه الله إذا قلنا إن الله لم يزل قادرا فإنما نريد بذلك نفي العجز عنه ولا نريد إثبات شيء معه لأنه عز وجل لم يزل واحدا لا شيء معه^(٧).

١٣٧
٤

٤-يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] ابن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى قال قلت لأبي الحسن عليه السلام أخبرني عن الإرادة من الله عز وجل ومن الخلق^(٨) فقال الإرادة من المخلوق الضمير وما يبدو له بعد ذلك من الفعل وأما من الله عز وجل فإرادته إحداثه لا غير ذلك لأنه لا يروي ولا يهيم ولا يتفكر وهذه الصفات منفية عنه وهي من صفات الخلق فإرادة الله هي الفعل لا غير ذلك يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما أنه بلا كيف^(٩).

ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن ابن قولويه عن الكليني عن أحمد بن إدريس مثله^(١٠).

بيان: اعلم أن إرادة الله تعالى كما ذهب إليه أكثر متكلمي الإمامية هي العلم بالخير والنفع وما هو الأصلح ولا يشنون فيه تعالى وراء العلم شيئا^(١١) ولعل المراد بهذا الخير وأمثاله من الأخبار الدالة

(١) التوحيد: ١٣٣ ج ٩ ص ١٧، أمالي الصدوق: ٤١٣ م ٧٧ ج ٤ واللفظ له.

(٢) في «ط»: يسمع، وهو تصحيح.

(٣) الخصال: ٤١ ج ٢ ص ٣٠.

(٤) في «أ»: وجعلتها الذي بها خلق.

(٥) في نسخة: ومن المخلوق، وكذا في المصدر.

(٦) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٠٨ ج ١ ص ١١.

(٧) التوحيد: ١٤٧ ج ١١ ص ١٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٠٩ - ١١٠ ج ١١ ص ١١.

(٨) في نسخة: ومن المخلوق، وكذا في المصدر.

(٩) التوحيد: ١٤٧ ج ١١ ص ١٧، عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٠٩ - ١١٠ ج ١١ ص ١١.

(١٠) أمالي الشيخ الطوسي: ٢١٤ ج ٨.

(١١) قال السيد الطباطبائي «هه»: هذا الذي ذكره تصوير للإرادة الذاتية التي هي عين الذات - ان صحت تصويرهم - وأما الإرادة التي هي في الإخبار فهي الإرادة التي هي من الصفات الفعلية، كالرزق والخلق وهي نفس الوجود الخارجى من زيد وعمرو والارض والسماء كما ذكره شيخنا المفيد رحمه الله.

على حدوث الإرادة هو أنه يكون في الإنسان قبل حدوث الفعل اعتقاد النفع فيه ثم الروية ثم الهمة ثم انبعاث الشوق منه ثم تأكده إلى أن يصير إجماعاً باعثاً على الفعل وذلك كله إرادة فينا متوسطة بين ذاتنا وبين الفعل وليس فيه تعالى بعد العلم القديم بالمصلحة من الأمور المقارنة للفعل سوى الإحداث والإيجاد فالإحداث في الوقت الذي تقتضي المصلحة صدور الفعل فيه قائم مقام ما يحدث من الأمور في غيره تعالى فالمعنى أنه ذاته تعالى بصفاته الذاتية الكمالية كافية في حدوث الحادث من غير حاجة إلى حدوث أمر في ذاته عند حدوث الفعل.

قال بعض المحققين في شرح هذا الخبر الظاهر أن المراد بالإرادة مخصص أحد الطرفين و ما به يرجح القادر أحد مقدوريه على الآخر لا ما يطلق في مقابل الكراهة كما يقال يريد الصلاح والطاعة ويكره الفساد والمعصية وحاصل الجواب أن الإرادة من الخلق الضمير أي أمر يدخل خواطرهم وأذهانهم ويوجد في نفوسهم ويحل فيها بعد ما لم يكن فيها وكانت هي خالية عنه.

وقوله و ما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل يحتمل أن يكون جملة معطوفة على الجملة السابقة وانظر خبرا للموصول ويحتمل أن يكون الموصول معطوفاً على قوله الضمير ويكون قوله من الفعل بياناً للموصول والمعنى على الأول أن الإرادة من الخلق الضمير والذي يكون لهم بعد ذلك من الفعل لا من إرادتهم وعلى الثاني أن إرادتهم مجموع ضمير يحصل في قلوبهم و ما يكون لهم من الفعل المترتب عليه فالمقصود هنا من الفعل ما يشمل الشوق إلى المراد و ما يتبعه من التحريك إليه والحركة وأما الإرادة من الله فيستحيل أن يكون كذلك فإنه يتعالى أن يقبل شيئاً زائداً على ذاته بل إرادته المرجحة للمراد من مراتب الإحداث لا غير ذلك إذ ليس في الغائب إلا ذاته الأحدية ولا يتصور هناك كثرة المعاني ولا له بعد ذاته و ما لذاته بذاته إلا ما ينسب إلى الفعل فإرادة الله سبحانه من مراتب الفعل المنسوب إليه لا غير ذلك.

أقول: ويحتمل على الاحتمال الأول أن يكون المراد بالضمير تصور الفعل و بما يبدو لهم بعد ذلك اعتقاد النفع والشوق وغير ذلك لقوله من الفعل أي من أسباب الفعل وقوله و لا كيف لذلك أي لا صفة حقيقة لقوله ذلك وإرادته كما أنه لا كيف لذاته ولا يعرف كيفية إرادته على الحقيقة كما لا يعرف كيفية ذاته وصفاته بالكنه. وقال الشيخ المفيد قدس الله روحه إن الإرادة من الله جل اسمه نفس الفعل ومن الخلق الضمير وأشباهه مما لا يجوز إلا على ذوي الحاجة والنقص وذلك^(١) لأن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلا بقلب كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا لذی قلب و لا تصح النية والضمير والعزم إلا على ذي خاطر^(٢) يضطر معها في الفعل الذي يغلب عليه إلى الإرادة له والنية فيه والعزم ولما كان الله تعالى يجلب عن الحاجات ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والأدوات ولا يجوز عليه الدواعي والخطرات بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى القصد والعزمات وثبت أن وصفه بالإرادة مخالف في معناه لوصف العباد وأنها نفس فعله الأشياء وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى ثم أورد هذه الرواية.

ثم قال هذا نص على اختياري في الإرادة وفيه نص على مذهب لي آخر وهو أن إرادة العبد تكون قبل فعله وإلى هذا ذهب البلخي والقول في تقدم الإرادة للمراد كالقول في تقدم القدرة للفعل وقوله و لا كيف لذلك إن الإرادة من الخلق الضمير و ما يبدو لهم بعد الفعل صريح في وجوب تقدمها للفعل إذ كان الفعل يبدو من العبد بعدها ولو كان الأمر فيها على مذهب الجبائي لكان الفعل بادناً في حالها ولم يتأخر بدوه إلى الحال التي هي بعد حالها.

٥- يد: [التوحيد] في خبر الفتح بن يزيد عن أبي الحسن عليه السلام قال إن لله إرادتين ومشييتين إرادة حم^(٣) وإرادة

(٢) في «أ»: «أ»: لا على ذي خطر.

(١) في «أ»: في النقض في ذلك.

(٣) ولا يتخلف المراد عنها كما هو شأن إرادته بالنسبة إلى أفعال نفسه.

عزم^(١) ينهى و هو يشاء و يأمر و هو لا يشاء أو ما رأيت الله نهى آدم و زوجته أن يأكلا من الشجرة و هو شاء ذلك إذ لو لم يشأ لم يأكلا و لو أكلا لقلبت مشيتهما مشيتة الله و أمر إبراهيم بذبح ابنه و شاء أن لا يذبحه و لو لم يشأ أن لا يذبحه لقلبت مشيتة إبراهيم مشيتة الله عز و جل^(٢) و الخير بإسناده أوردناه في باب جوامع التوحيد.

بيان: قوله ﷺ و هو شاء ذلك قيل أي علم ذلك و الأظهر أن يقال إنه لما لم يصرفهما عن إرادتهما و كلهما إلى اختيارهما للمصالح العظيمة فكانه شاء ذلك^(٣) و سيأتي القول في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله.

٦-يد: [التوحيد] الغامي عن محمد الحميري عن أبيه عن ابن عيسى عن أبيه عن ابن أبي عمير عن غير واحد عن أبي عبد الله ﷺ قال إن من شبه الله بخلقه فهو مشرك و من أنكر قدرته فهو كافر^(٤).

٧-يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن علي بن إبراهيم عن محمد بن أبي إسحاق عن عدة من أصحابنا أن عبد الله الديصاني أتى هشام بن الحكم فقال له ألك رب فقال بلى قال قادر قال نعم قادر قاهر قال يقدر أن يدخل الدنيا كلها في البيضة لا تكبر البيضة و لا تصغر الدنيا فقال هشام النظره فقال له قد أنظرتك حولا ثم خرج عنه فركب هشام إلى أبي عبد الله ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فقال يا ابن رسول الله أتاني عبد الله الديصاني بمسألة ليس المعول فيها إلا على الله و عليك فقال له أبو عبد الله ﷺ عما ذا سألك فقال قال لي كيت و كيت فقال أبو عبد الله ﷺ يا هشام كم حواسك قال خمس فقال أيها أصغر فقال الناظر قال و كم قدر الناظر قال مثل العدسة أو أقل منها فقال يا هشام فانظر أمامك و فوقك و أخبرني بما ترى فقال أرى سماء و أرضا و دورا و قصورا و ترابا و جبالا و أنهارا فقال له أبو عبد الله ﷺ إن الذي قدر أن يدخل الذي تراه العدسة أو أقل منها قادر أن يدخل الدنيا كلها البيضة لا تصغر الدنيا و لا تكبر البيضة فأنكب هشام عليه و قبل يديه و رأسه و رجليه و قال حسبي يا ابن رسول الله فانصرف إلى منزله و غدا

عليه الديصاني^(٥) فقال له يا هشام إني جئتكم مسلما و لم أجتكم متقاضيا للجواب فقال له هشام إن كنت جئت متقاضيا فهناك الجواب فخرج عنه الديصاني فأخبر أن هشاما دخل على أبي عبد الله ﷺ فعلمه الجواب فمضى عبد الله الديصاني حتى أتى باب أبي عبد الله ﷺ فاستأذن عليه فأذن له فلما قعد قال له يا جعفر بن محمد دلني على معبودي فقال له أبو عبد الله ﷺ ما اسمك فخرج عنه و لم يخبره باسمه فقال له أصحابه كيف لم تخبره باسمك قال لو كنت قلت له عبد الله كان يقول من هذا الذي أنت له عبد فقالوا له عد إليه فقل له بذلك على معبودك و لا يسألك عن اسمك فخرج إليه فقال له يا جعفر دلني على معبودي و لا تسألني عن اسمي فقال له أبو عبد الله ﷺ اجلس و إذا غلام له صغير في كفه بيضة يلعب بها فقال أبو عبد الله ﷺ تاولني يا غلام البيضة فنأوله إياها فقال له أبو عبد الله ﷺ يا ديصاني هذا حصن مكنون له جلد غليظ و تحت الجلد الغليظ جلد رقيق و تحت الجلد الرقيق ذهب مائة و فضة ذاتية فلا الذهب المائنة تختلط بالفضة الذاتية و لا الفضة الذاتية تختلط بالذهب المائنة هي على حالها لم يخرج منها مصلح فيخبر عن إصلاحها و لا دخل فيها مفسد فيخبر عن فسادها لا تدري للذكر خلقت أم للأنثى يتفلق عن مثل ألوان الطاوويس أترى لها مدبرا؟

قال فأطرق مليا ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمدا عبده و رسوله و أنك إمام و حجة من الله على خلقه و أنا نائب مما كنت فيه^(٦).

بيان: يمكن أن يؤول هذا الخبر بوجوه:

الأول: أن يكون غرض السائل أنه هل يجوز أن يحصل كبير في صغير بنحو من أنحاء التحقق فأجاب ﷺ بأن له نحوه من التحقق و هو دخول الصورة المحسوسة المتقدمة بالمقدار الكبير بنحو

(١) يمكن تخلف المراد عنها كما هو شأن إرادته تعالى بالنسبة إلى أفعال العباد.

(٢) التوحيد: ٦٤ ب ٢ ح ١٨.

(٣) قال السيد الطباطبائي: الذي في الخبر هو تقسيم الإرادة إلى تشريعية و تكوينية و سيجيء إن شاء الله: و اما ما استظهره المصنف فهو انما

(٤) التوحيد: ٧٦ ب ٢ ح ٣١.

(٥) التوحيد ص ١٢٢ - ١٢٣ ب ٩ ذيل ح ١.

(٦) في «ط»: و غدا عليه الديصاني.

الوجود الظلي في الحاسة أي مادتها الموصوفة بالمقدار الصغير والقريبة على أن كان مراده المعنى الأعم أنه قنع بالجواب ولم يراجع فيه باعتراض.

الثاني: أن يكون المعنى أن الذي يقدر على أن يدخل ما تراه العدسة لا يصح أن ينسب إلى العجز لا يتوهم فيه أنه غير قادر على شيء أصلاً وعدم قدرته على ما ذكرت ليس من تلقاء قدرته لقصور فيها بل إنما ذلك من نقصان ما فرضته حيث إنه محال ليس له حظ من الشئينة والإمكان فالغرض من ذكر ذلك بيان كمال قدرته تعالى حتى لا يتوهم فيه عجز.

الثالث: أن المعنى أن ما ذكرت محال وما يتصور من ذلك إنما هو بحسب الوجود الانطباعي وقد فعله فما كان من السؤال له محمل ممكن فهو تعالى قادر عليه وما أردت من ظاهره فهو محال لا يصلح تعلق القدرة به.

الرابع: وهو الأظهر أن السائل لما كان قاصراً عن فهم ما هو الحق معانداً فلو أجاب ﷺ صريحاً بعدم تعلق القدرة به لتثبت بذلك ولج وعاند فأجاب ﷺ بجواب متشابه له وجهان لعلمه ﷺ بأنه لا يفرق بين الوجود العيني والانطباعي ولذا قنع بذلك ورجع كما أنه ﷺ لما علم أنه عاجز عن الجواب عن سؤال الاسم أورد عليه إفحاماً له وإظهاراً لعجزه عن فهم الأمور الظاهرة ولما كان السائلون في الأخبار الآخر الآتية قابلين لفهم الحق غير معاندين أجابهم بما هو الحق الصريح ثم أعلم أنه على التقادير كلها يدل على أن الإبصار بالانطباع وإن كان فيما سوى الثاني أظهر وعلى الرابع يحتمل أيضاً أن يكون إقناعياً مبنيًا على المقدمة المشهورة لدى الجمهور أن الرؤية بدخول المرئيات في العضو البصري فلا ينافي كون الإبصار حقيقة بخروج الشعاع.

٨- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن البرقي ^(١) عن ابن يزيد عن حماد بن عيسى عن ربعي بن عبد الله عن الفضيل بن يسار قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول إن الله عز وجل لا يوصف قال وقال زرارة قال أبو جعفر ﷺ إن الله عز وجل لا يوصف بعجز وكيف يوصف وقد قال في كتابه ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ ^(٢) فلا يوصف بقدرة إلا كان أعظم من ذلك. ^(٣)

٩- يد: [التوحيد] الطار عن سعد ^(٤) عن ابن يزيد عن ابن أبي عمير عن ذكره عن أبي عبد الله ﷺ قال إن إبليس قال لعيسى ابن مريم أيقدر ربك على أن يدخل الأرض بيضة لا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة فقال عيسى على نبينا وآله وعليه السلام وملك إن الله لا يوصف بعجز ^(٥) ومن أقدر ممن يلفظ أرض ويعظم البيضة. ^(٦)

١٠- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن عمه عن البرقي عن علي بن أبي أيوب المدني عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله ﷺ قال قيل لأمر المؤمنين ﷺ هل يقدر ربك أن يدخل الدنيا في بيضة من غير أن تصغر الدنيا أو تكبر البيضة قال إن الله تبارك وتعالى لا ينسب إلى العجز والذي سألتني لا يكون. ^(٧)

١١- يد: [التوحيد] ابن مسرور عن ابن عامر عن عمه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان عن أبي عبد الله ﷺ قال جاء رجل إلى أمير المؤمنين ﷺ فقال أيقدر الله أن يدخل الأرض في بيضة ولا تصغر الأرض ولا تكبر البيضة فقال له وملك إن الله لا يوصف بالعجز ومن أقدر ممن يلفظ الأرض ويعظم البيضة. ^(٨)

١٢- يد: [التوحيد] ابن البرقي عن أبيه عن جده أحمد عن البرنطي قال جاء رجل إلى الرضا ﷺ فقال هل يقدر ربك أن يجعل السماوات والأرض وما بينهما في بيضة قال نعم وفي أصغر من البيضة وقد جعلها في عينك وهي أقل

(١) سقط البرقي من إسناد المصدر.

(٢) الانعام: ٩١.

(٣) التوحيد ص ١٢٧ - ١٢٨ ب ٩ ح ٦.

(٤) وفي نسخة: إن الله لا يوصف بالعجز.

(٥) التوحيد: ١٣٠ ب ٩ ح ٩.

(٦) التوحيد: ١٢٧ ب ٩ ح ٥.

(٧) التوحيد: ١٣٠ ب ٩ ح ٩ وقوله ﷺ: لا يكون، لا يعني امتناعه على القدرة الإلهية، وإنما هو امتناع تكويني، فمثلها ان العلم لا يصح محلولاً ولا تحول إلى شيء آخر، إذا عدم حصول الشيء لا يعني عدم إمكانية الخالق، وإنما عدم تقبل المخلوق لذلك، كذلك موضوع الأرض والبيضة، ليست المشكلة في قدرة الخالق، وإنما المشكلة في المخلوق، وتعبير الفلاسفة المشكلة ليست في الفاعل وإنما في القابل.

(٨) التوحيد: ١٣٠ ب ٩ ح ١٠.

من البيضة لأتلك إذا فتحتها عاينت السماء والأرض وما بينهما ولو شاء لأعماك عنها.^(١)

١٣- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن ابن أبي الخطاب عن البرنظي قال جاء قوم من وراء النهر إلى أبي الحسن عليه السلام فقالوا له جئناك نسألك عن ثلاث مسائل فإن أجبتنا فيها علمنا أنك عالم فقال سلوا فقالوا أخبرنا عن ثلاث مسائل فإن أجبتنا فيها علمنا أنك عالم فقال سلوا فقالوا أخبرنا عن الله أين كان وكيف كان وعلى أي شيء كان اعتماده فقال إن الله عز وجل كيف الكيف فهو بلا كيف وأين الأين فهو بلا أين وكان اعتماده على قدرته فقالوا نشهد أنك عالم.^(٢) قال الصدوق رحمه الله يعني بقوله وكان اعتماده على قدرته أي على ذاته لأن القدرة من صفات ذات الله عز وجل. ثم قال الصدوق رحمه الله من الدليل على أن الله قادر أن العالم لما ثبت أنه صنع لصانع ولم نجد أن يصنع الشيء من ليس بقادر عليه بدلالة أن المقعد لا يقع منه المشي والعاجز لا يتأتى له الفعل صح أن الذي صنعه قادر ولو ^{١٤٤} لو جاز غير ذلك لجاز منا الطيران مع فقد ما يكون به من الآلة ولصح لنا الإدراك وإن عدنا الحاسة فلما كان إجازة هذا خروجاً عن المعقول كان الأول مثله.^(٣)

١٤- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن البرقي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال المشيئة محدثة.^(٤)

١٥- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن ابن أبان عن بكر بن صالح عن ابن أسباط عن الحسن بن الجهم عن بكر بن أعين^(٥) قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام علم الله ومشيتته هما مختلفان أم متفقان فقال العلم ليس هو المشيئة ألا ترى أنك تقول سأفعل كذا إن شاء الله ولا تقول سأفعل كذا إن علم الله فقولك إن شاء الله دليل على أنه لم يشأ فإذا شاء كان الذي شاء كما شاء وعلم الله سابق للمشيئة.^(٦)

بيان: لعل المراد المشيئة المتأخرة عن العلم الحادثة عند حدوث المعلوم وقد عرفت أنه في الله تعالى ليس سوى الإيجاد ومغايرته للعلم ظاهر ويحتمل أن يكون المقصود بيان عدم اتحاد مفهوميهما إذ ليست الإرادة مطلق العلم إذ العلم يتعلق بكل شيء بل هي العلم بكونه خيراً وصالحاً ونافعا ولا تتعلق إلا بما هو كذلك وفرق آخر بينهما وهو أن علمه تعالى بشيء لا يستدعي حصوله بخلاف علمه به على النحو الخاص فالسبق على هذا يكون محمولاً على السبق الذاتي الذي يكون للعلم على الخاص والأول أظهر كما عرفت.^(٧)

١٦- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن ابن أبان عن الحسين بن سعيد عن النضر عن ابن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له لم يزل الله مريداً فقال إن المريد لا يكون إلا لمراد معه بل لم يزل عالماً قادراً ثم أراد.^(٨)

بيان: لما عرفت أن الإرادة المقارنة للفعل ليس فيه تعالى إلا نفس الإيجاد فهي حادثة والعلم أزلي وقال بعض المحققين أي لا يكون المريد بحال إلا حال كون المراد معه ولا يكون مفارقاً من المراد وحاصله أن ذاته تعالى منطاط لعلمه وقدرته أي صحة الصدور واللاصدور بأن يريد فيفعل و

(١) التوحيد: ١٣٠ ب ٩ ح ٣.

(٢) التوحيد: ١٤٧ ب ١١ ح ١٨.

(٣) التوحيد: ١٣٣ - ١٣٤ ب ٩ ح ١٧.

(٤) في المصدر: بكير بن أعين، وهو الصحيح.

قال الشيخ: بكير بن أعين بن سنان الشيباني الكوفي، روى عنه -أي عن الباقر عليه السلام وعن أبي عبد الله عليه السلام ويقال أبا الجهم- وله ستة أولاد ذكور: عبد الله والجهم وعبد الحميد وعبد الأعلى وعمر وزيد «رجال الشيخ: ١٠٩ رقم ١٧» وعده في رجال الإمام الصادق عليه السلام أيضاً قال: بكير بن أعين الشيباني يكنى أبا عبد الله، مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام ١٥٧ رقم ٤٣، وكان الشيخ في الفهرست قد ذكر أن بكير ممن له روايات عن الإمام السجاد عليه السلام «الفهرست: ٧٤ رقم ٣٠٢». وذكر الكشي -رحمه الله- أخباراً تمدحه كثيراً، صلوات الله عليهما - وكذا قوله عليه السلام: رحم الله بكيرا، وقد لما بلغه وفاة بكير بن أعين: أما والله لقد انزله الله بين رسول الله وبين أمير المؤمنين -صلوات الله عليهما- «معجم رجال الحديث ٣: ٣٦٠ رقم ١٨٧٥» وذكر فعل «اختيار معرفة الرجال: ٤١٩ ح ٣١٥ - ٣١٦». وقد صرح الإمام الخوئي الحديثين «معجم رجال الحديث ٣: ٣٦٠ رقم ١٨٧٥» وذكر الكشي أيضاً باسناد محمد بن مسعود إلى الحسن بن علي بن يقطين أنه قال: حدثني المشايخ: أن جبرئيل ووزارة وعبد المملك وبكيرا وعبد الرحمن بن أعين كانوا مستقيمين «اختيار معرفة الرجال: ٣٨٢ رقم ٢٧٠».

(٦) التوحيد: ١٤٦ ب ١١ ح ١٦.

(٧) قال السيد الطباطبائي: قد عرفت دلالة الأخبار على أن المشيئة والإرادة نفس المعلوم الخارجي، وإصراره مع ذلك على كونهما على العلم بالصالح والغیر عجيب.

(٨) التوحيد: ١٤٦ ب ١١ ح ١٥.



أن لا يريد فيترك؛ فهو بذاته مناط لصحة الإرادة وصحة عدمها فلا يكون بذاته مناط للإرادة وعدمها بل المناطق فيها الذات مع حال المراد فالإرادة أي المخصصة لأحد الطرفين لم يكن من صفات الذات فهو بذاته عالم قادر مناط لهما وليس بذاته مریدا مناط لها بل بمدخلية مغاير متأخر عن الذات وهذا معنى قوله لم يزل عالما قادرا ثم أراد.

١٧- كتاب زيد النرسي: قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول كان الله و هو لا يريد بلا عدد أكثر مما كان مریدا. (١)

١٨- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن اليقطيني عن الجعفري قال قال الرضا عليه السلام المشيئة من صفات الأفعال فمن زعم أن الله لم يزل مریدا شائيا فليس بموحد. (٢)

١٩- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن محمد العطار عن الأشعري عن موسى بن عمر عن ابن سنان عن أبي سعيد القمط قال قال أبو عبد الله عليه السلام خلق الله المشيئة قبل الأشياء ثم خلق الأشياء بالمشيئة. (٣)

٢٠- يد: [التوحيد] أبي عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال خلق الله المشيئة (٤) بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة. (٥)

بيان: هذا الخبر الذي هو من غوامض الأخبار يحتمل وجوها من التأويل:

الأول أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة بل إحدى مراتب التقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشيء كالتقدير في اللوح مثلا والإثبات فيه فإن اللوح وما أثبت فيه لم يحصل بتقدير آخر في لوح سوى ذلك اللوح وإنما وجد سائر الأشياء بما قدر في ذلك اللوح وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار كما سيأتي في كتاب العدل وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير.

الثاني أن يكون خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفة على إرادة أخرى بها فيكون نسبة الخلق إليها مجازا عن تحققها بنفسها منتزعة عن ذاته تعالى بلا توقف على مشيئة أخرى أو أنه كناية عن أنه اقتضى علمه الكامل وحكمته الشاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح فالمعنى أنه لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شيء إلا على الوجه الأصلح والأكمل فلذا لا يصدر شيء عنه تعالى إلا بإرادته المقتضية لذلك.

الثالث ما ذكره السيد الداماد قدس الله روحه أن المراد بالمشيئة هنا مشيئة العباد لأفعالهم الاختيارية لتقدسه سبحانه عن مشيئة مخلوقة زائدة على ذاته عز وجل وبالأشياء أفعالهم المترتبة وجودها على تلك المشيئة وبذلك تتحل شبهة ربما أوردت ها هنا وهي أنه لو كانت أفعال العباد مسبوبة بإرادتهم لكانت الإرادة مسبوبة بإرادة أخرى وتسلسلت الإرادات لا إلى نهاية.

الرابع ما ذكره بعض الأفاضل وهو أن للمشيئة معنيين أحدهما متعلق بالشائي وهي صفة كمالية قديمة هي نفس ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير والصالح والآخر يتعلق بالشيء وهو حادث بحدوث المخلوقات لا يتخلف المخلوقات عنه وهو إيجادها سبحانه إياها بحسب اختياره وليست صفة زائدة على ذاته عز وجل وعلى المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها المتتسبين معا.

فنقول إنه لما كان ها هنا مظنة شبهة هي أنه إن كان الله عز وجل خلق الأشياء بالمشيئة فبم خلق المشيئة أمبشيتة أخرى فيلزم أن تكون قبل كل مشيئة مشيئة إلى ما لا نهاية له فأفاد الإمام عليه السلام أن الأشياء مخلوقة بالمشيئة وأما المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئة أخرى بل هي مخلوقة

(١) الأصول الستة عشر، كتاب زيد النرسي: ٥٥.

(٢) التوحيد: ٣٣٧ - ٣٣٨ ب ٥٥ ح ٥ وفيه: المشيئة والإرادة من صفات الأفعال.

(٣) التوحيد: ٣٣٩ ب ٥٥ ح ٨.

(٤) (٥) التوحيد: ١٤٧ ب ١١ ح ١٩.

(٤) في «أ»: خلق الله المشيئة قبل الأشياء.

بنفسها لأنها نسبة وإضافة بين الشائي والمشيء تتحصل بوجوديهما العيني والعلمي ولذا أضأن خلقها إلى الله سبحانه لأن كلا الوجودين له^(١) وفيه ومنه وفي قوله ﷺ بنفسها دون أن يقول بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلك نظير ذلك ما يقال إن الأشياء إنما توجد بالوجود فأما الوجود نفسه فلا يفتر إلى وجود آخر بل إنما يوجد بنفسه.

الخامس ما ذكره بعض المحققين بعد ما حقق أن إرادة الله المتجددة هي نفس أفعاله المتجددة الكائنة الفاسدة فأرادته لكل حادث بالمعنى الإضافي يرجع إلى إيجاديه ومعنى المرادية ترجع إلى وجوده قال نحن إذا فعلنا شيئاً بقدرتنا واختيارنا فأردناه أولاً ثم فعلناه بسبب الإرادة نشأت من أنفسنا بذاتها لا بإرادة أخرى وإلا لتسلسل الأمر لا إلى نهاية فالإرادة مرادة لذاتها والفعل مراد بالإرادة وكذا الشهوة في الحيوان مشتهية لذاتها لذية بنفسها وسائر الأشياء مرغوبة بالشهوة فعلى هذا المثال حال مشيئة الله المخلوقة وهي نفس وجودات الأشياء فإن الوجود خير ومؤثر لذاته ومجوعول بنفسه والأشياء بالوجود موجودة والوجود مشيء بالذات والأشياء مشيئة بالوجود وكما أن الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص فكذا الخيرية والمشيئة وليس الخير المحض الذي لا يشوبه شر إلا الوجود البحت الذي لا يمازجه عدم ونقص وهو ذات البارئ جل مجده فهو المراد الحقيقي إلى آخر ما حققه.

و الأوفق بأصولنا هو الوجه الأول كما سيظهر لك في كتاب العدل وسيأتي بعض الأخبار المناسبة لهذا الباب هناك وخبر سليمان المروزي في باب احتجاجات الرضا عليه السلام وسنورد هناك بعض ما تركناه هاهنا إن شاء الله تعالى وقد مر بعضها في باب نفي الجسم والصورة وباب نفي الزمان والمكان.

باب ٥ أنه تعالى خالق كل شيء وليس الموجد والمعدم إلا الله تعالى وأن ما سواه مخلوق

الآيات:

الرعد: ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ ١٦.

المؤمنين: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ١٤.

الزمر: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٦٢ - ٦٣.

١- يد: [التوحيد] في خبر الفتح بن يزيد الجرجاني قلت لأبي الحسن عليه السلام هل غير الخالق الجليل خالق قال إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ فقد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين منهم عيسى صلى الله عليه وآله خلق من الطين كهنية الطير بإذن الله فنفخ فيه فصار طائراً بإذن الله والسمري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار.^(٢)

بيان: لا ريب في أن خالق الأجسام ليس إلا الله تعالى وأما الأعراض فذهبت الأشاعرة إلى أنها جميعاً مخلوقة لله تعالى وذهبت الإمامية والمعتزلة إلى أن أفعال العباد وحركاتهم واقعة بقدرتهم واختيارهم فهم خالقون لها.^(٣) وما في الآيات من أنه تعالى خالق كل شيء وأمثالها فإما مخصص بما سوى أفعال العباد أو مؤول بأن المعنى أنه خالق كل شيء إما بلا واسطة أو بواسطة مخلوقاته و

(١) في «أ»: لأن كلا الوجودين له. (٢) التوحيد: ٦٣ ح ٢ و ٨ وفيه: إن في عباده خالقين، منهم عيسى. (٣) قال السيد الطباطبائي «ره» أما المعتزلة فم لا يبالون بامثال هذا الشرك الظاهر، وأما الإمامية فهم تبعاً لآية أهل البيت عليه السلام وحاشاهم عن القول بذلك، وإنك لا تجد حتى في خبر واحد صحيح منهم القول بأن مع الله الخالق لكل شيء خالقاً آخر لا لذات ولا لفعل بالمعنى التنازع فيه وهو الإيجاد؛ بل الأخبار المتكاثرة تصرح بخلافه.

أما خلق عيسى ﷺ فذهب الأكثر إلى أن المراد به التقدير والتصوير و يظهر من الخبر أن تكون الهيئة العارضة للطير من فعله على نبينا وآله وعليه السلام ومخلوقا له ولا استبعاد فيه وإن أمكن أن يكون نسبة الخلق إليه لكونه معدا لفيضان الهيئة والصورة كما تقوله الحكماء وكذا السامري سيأتي تمام القول في ذلك في كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

٢- يد: [التوحيد] أبي عن أحمد بن إدريس عن محمد بن أحمد عن سهل بن زياد عن أحمد بن بشر^(١) عن محمد بن جمهور العمي عن محمد بن الفضيل بن يسار عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله ﷺ قال قال في الربوبية العظمى والإلهية الكبرى لا يكون الشيء لا من شيء إلا الله ولا ينقل الشيء من جوهريته إلى جوهر آخر إلا الله ولا ينقل الشيء من الوجود إلى العدم إلا الله.^(٢)

بيان: أي في علم الربوبية والإلهية والكلام فيه كالكلام فيما سبق وذهب بعض الحكماء إلى أن المؤثر في عالم الوجود ليس إلا الرب تعالى وأما غيره فإنما هم شرائط معدة لإفاضته قال بهمنيار في التصحيح فإن سألت الحق فلا يصح أن يكون علة الوجود إلا ما هو بريء من كل وجه عن معنى ما بالقوة وهذا هو صفة الأول لا غير انتهى^(٣) وقد بيناه ما هو الحق عند الفرقة المحقة سابقا.

٣- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصغار عن البرقي عن أبيه عن النضر^(٤) عن يحيى الحلبي عن ابن مسكان عن زرارة قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول إن الله تبارك وتعالى خلقه وخلقه خلوه منه وكل ما وقع عليه اسم شيء ما خلا الله عز وجل فهو مخلوق والله خالق كل شيء تبارك الذي ليس كمثله شيء.^(٥)

يد: [التوحيد] حمزة بن محمد العلوي عن علي بن أبيه عن ابن أبي عمير عن علي بن عطية عن خثيمة عن أبي جعفر ﷺ مثله إلى قوله خالق كل شيء.^(٦)

٤- يد: [التوحيد] ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن محمد بن عيسى عن يونس عن أبي المغراء رفعه عن أبي جعفر ﷺ قال إن الله تبارك وتعالى خلقه وخلقه خلوه منه وكل ما وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله عز وجل.^(٧)

٥- ثو: [ثواب الأعمال] أبي عن سعد عن البرقي عن أبيه عن محمد بن سنان عن أبي العلاء عن أبي خالد الصيقل عن أبي جعفر ﷺ قال إن الله عز وجل فوض الأمر إلى ملك من الملائكة فخلق سبع سموات وسبع أرضين وأشياء فلما رأى الأشياء قد انقادت له قال من مثلي فأرسل الله عز وجل نورية من نار قلت وما نورية من نار قال نار بمثل أنملة قال فاستقبلها بجميع ما خلق فتخللت لذلك^(٨) حتى وصلت إليه لما أن دخله العجب.^(٩)

بيان: لعل المراد بخلق الملك أن الله تعالى خلقها عند إرادة الملك كما سنحقق في المعجزة.

(١) بقرينة رواية سهل بن زياد، فالمقصود هو أحمد بن بسير البرقي أو الرقي. ذكره الشيخ في (لم) مضغافاياه وقال: روى عنه أحمد بن محمد بن يحيى * وذكر تضعيف الشيخ الصدوق له. «رجال الشيخ: ٤٤٧ رقم ٥٥» ونقل النجاشي تضعيف محمد بن الحسن بن الوليد إياه وأنه كان يستثنى من روايات محمد بن أحمد بن يحيى ما رواه عن أحمد بن بشير الرقي. وكان النجاشي قد ذكر أن محمد بن أحمد بن يحيى يروي عن الضعفاء مما يعز من تضعيف الرجل. رجال النجاشي ٢: ٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ٩٤٠.

* من المؤكد أن سهوا حصل على أيدي النساخ وأن تقدما وتأخيرا قد حصل في اسم الرجل. فهو: محمد بن أحمد بن يحيى. أقول: سهل بن زياد الأدمي. ومحمد بن جمهور العمي ضعيفان.

(٢) قال السيد الطباطبائي: ومراده أن الله سبحانه خالق للذوات، والإنسان خالق للأفعال؛ وإنما قال بذلك من قال فرارا عن محذور الجبر فوق في محذور التفويض. وقد اشترنا في الحاشية السابقة أن مذهب أئمة أهل البيت ﷺ خلاف ذلك، وأما محذور الجبر فسجى في أخبار الجبر والتفويض أن الذي قام عليه البرهان وأطبق عليه الكتاب والسنة هو مذهب أئمة أهل البيت ﷺ خلاف القولين جميعا.

(٥) التوحيد: ١٠٥ ب ٧ ح ٣.

(٧) التوحيد: ١٠٥ ب ٧ ح ٥.

(٩) ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٩٧ ب ٨٥ ح ١.

كلامه تعالى ومعنى قوله تعالى قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا^(١) الْآيَةَ

١- ما: [الأمالي الطوسي] المفيد عن ابن قولويه عن الكليني عن علي بن إبراهيم عن الطيالسي عن صفوان بن يحيى عن ابن مسكان عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لم يزل الله جل اسمه عالما بذاته ولا معلوم ولا لم يزل قادرا بذاته ولا مقدور قلت جعلت فداك فلم يزل متكلمًا قال الكلام محدث كان الله عز وجل وليس بمتكلم ثم أحدث الكلام.^(٢)

بيان: اعلم أنه لا خلاف بين أهل الملل في كونه تعالى متكلمًا لكن اختلفوا في تحقيق كلامه و حدوثه وقدمه فالإمامية قالوا بحدوث كلامه تعالى وأنه مؤلف من أصوات وحروف وهو قائم بغيره ومعنى كونه تعالى متكلمًا عندهم أنه موجد تلك الحروف والأصوات في الجسم كاللوح المحفوظ أو جبرئيل أو النبي صلى الله عليه وآله أو غيرهم كشجرة موسى وبه قالت المعتزلة أيضًا والحنابلة ذهبوا إلى أن كلامه تعالى حروف وأصوات وهي قديمة بل قال بعضهم بقدم الجلد والغلاف أيضًا والكرامية ذهبوا إلى أن كلامه تعالى صفة له مؤلفة من الحروف والأصوات الحادثة القائمة بذاته تعالى والأشاعرة أثبتوا الكلام النفسي وقالوا كلامه معنى واحد بسيط قائم بذاته تعالى قديم وقد قامت البراهين على إبطال ما سوى المذهب الأول وتشهد البديهة بطلان بعضها وقد دلت الأخبار الكثيرة على بطلان كل منها وقد تقدم بعضها وسيأتي بعضها في كتاب القرآن نعم القدرة على إيجاد الكلام قديمة غير زائدة على الذات وكذا العلم بمدلولاتها وظاهر أن الكلام غيرهما.

٢- فس: [تفسير القمي] جعفر بن أحمد^(٣) عن عبيد الله بن موسى^(٤) عن ابن البطاني عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله «خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْتَغُونَ غَوْلًا» قال «خَالِدِينَ فِيهَا» لا يخرجون منها «وَلَا يَبْتَغُونَ غَوْلًا» قال لا يريدون بها بدلًا قلت قوله «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا لَكِلَيَاتُ رَبِّي لَتَفِدَّ كِلَيَاتُ رَبِّي لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مِزَادًا»^(٥) قال قد أخبرك أن كلام الله ليس له آخر ولا غاية ولا ينقطع أبداً قلت قوله «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا»^(٦) قال هذه نزلت في أبي ذر والمقداد وسلمان الفارسي وعمار بن ياسر جعل الله لهم جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا مأوى ومنزلاً قال ثم قال قُلْ يَا مُحَمَّد «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا»^(٨) فهذا الشرك شرك^(٩) رياء. ٣- ج: [الإحتجاج] سأل يحيى بن أكرم أبا الحسن عليه السلام عن قوله تعالى «سَبْعَةُ أَثُورَ مَا فِدَّتْ كِلَيَاتُ اللَّهِ»^(١٠) ما هي فقال هي عين الكبريت وعين اليمن وعين البرهوت^(١١) وعين الطبرية^(١٢) وحمه^(١٣) ماسيدان وحمه إفريقية^(١٤) و

(١) الكهف: ١٠٩. (٢) أمالي الطوسي: ١٧٠ ج ٦. (٣) في المصدر: محمد بن أحمد. (٤) في المصدر: عبدالله بن موسى. (٥) الكهف: ١٠٨. (٦) الكهف: ١٠٩. (٧) الكهف: ١٠٧. (٨) الكهف: ١١٠. (٩) تفسير القمي ٢: ٢٠٠. (١٠) البرهوت بشر بحضرموت. «معجم البلدان» ٤: ٥٠٤. (١١) لعل المقصود بحيرة المعروفة في بلاد الشام، أو حمامات طبرية وعنها قال الحموي وهي: موضع في أعمال طبرية شرقي قرية يقال لها الحسينية في واد وهي عمارة قديمة يقال إنها من عمارة سليمان بن داود وهو يهكل يخرج الماء من صدره، وقد كان يخرج من اثنتي عشرة عيناً كل عين مخصوصة بمرض إذا اغتسل فيها صاحب ذلك المرض برى، باذن الله تعالى. والماء شديدة الحرارة جدا صاف عذاب طيب الرائحة ويقصده المرضى يستشفون به «معجم البلدان» ٤: ١٨٠. (١٢) الحمه كما قال ياقوت: العين الحارة يستشفى بها الاعلاء والمرض. وذكر عدة أسماء لحم موجودة في بلاد العرب وغيرها ولم يذكر (ما سيدان) «معجم البلدان» ٢: ٣٠٦. (١٣) في المصدر: إفريقيا، وقال الحموي: الحمه مدينة بإفريقيا من عمل قسطنطية من نواحي بلاد الجريد «معجم البلدان» ٦: ٣٠٦. (١٤)

عين باجوران^(١) ونحن الكلمات التي لا تدرك فضائلها^(٢) ولا تستقصى^(٣).

١٥٢
٤

مخرج: [الاحتجاج] عن صفوان بن يحيى قال سأل أبو قرّة المحدث عن الرضا عليه السلام^(٤) فقال أخبرني جعلني الله فداك عن كلام الله لموسى فقال الله أعلم بأي لسان كلمه بالسريانية أم بالعبرانية فأخذ أبو قرّة بلسانه فقال إنما أسألك عن هذا اللسان فقال أبو الحسن عليه السلام سبحان الله مما تقول ومعاذ الله أن يشبه خلقه أو يتكلم بمثل ما هم متكلمون ولكنه تبارك وتعالى ليس كمثل شيء ولا كمثل فاعل قال كيف ذلك قال كلام الخالق لمخلوق ليس ككلام المخلوق لمخلوق ولا يلفظ بشق فم ولسان ولكن يقول له كن فكان بمشيئته ما خاطب به موسى من الأمر والنهي من غير تردد في نفس الخير^(٥).
أقول: قد أثبتنا بعض أخبار هذا الباب في باب صفات الذات والأفعال و باب نفي الجسم والصورة و باب نفي الزمان والمكان.

(١) في نسخة: باجوران. وفي المصدر: ماجوران. وفي نسخة أخرى: باجوران. وفي «ط»: باجوران وما أثبتناه في المتن استظهارا لما في «أ» حيث أثبت النسخ باجوران وهو تصحيف وما في المتن هو الصحيح. قال ياقوت: باجوران مدينة ن نواحي باب الابواب قرب شروان. عندها عين الحياة التي وجدها الخضر عليه السلام وقيل هي القرية التي استظم موسى والخضر عليه السلام اهها. «معجم البلدان ١: ٣١٣».

(٢) وفي «ط» فضائلها.

(٣) الاحتجاج: ٤٠٥.

(٤) ط: سأل أبو قرّة المحدث، الرضا عليه السلام.

(٥) الاحتجاج: ٤٠٥ وفيه: بمثل ما هم به متكلمون.

أبواب أسمائه تعالى وحقائقها وصفاتها ومعانيها.

باب ١

المغايرة بين الاسم والمعنى وأن المعبود هو المعنى والاسم حادث

١٥٣
٤
[١-ج: الإحتجاج] عن أبي هاشم الجعفري قال كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال أخبرني عن الرب تبارك وتعالى أله أسماء وصفات في كتابه وهل أسماؤه وصفاته هي هو فقال أبو جعفر عليه السلام إن لهذا الكلام وجهين إن كنت تقول هي هو أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك وإن كنت تقول هذه الأسماء والصفات لم تزل فإنما لم تزل محتمل معنيين^(١) فإن قلت لم تزل عنده في علمه وهو يستحقها فنعم وإن كنت تقول لم تزل^(٢) صورها وهجاؤها وتقطيع حروفها فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره بل كان الله تعالى ذكره ولا خلق ثم خلقها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره وكان الله سبحانه ولا ذكر والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل والأسماء والصفات مخلوقات والمعني بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف وإنما يختلف ويأتلّف المتجزى ولا يقال له قليل ولا كثير ولكنه القديم في ذاته لأن ما سوى الواحد متجزئ والله واحد لا متجزئ ولا متوهم بالقلّة والكثرة وكل متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دال على خالق له فقولك إن الله قدير خبرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز وجعلت العجز سواء وكذلك قولك عالم إنما نفيت بالكلمة الجهل وجعلت الجهل سواء فإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهواء والتقطيع فلا يزال من لم يزل عالماً.

فقال الرجل فكف سمينا ربنا سميعاً فقال لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالأسماع ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس نو كذلك سمينا بصيراً لأنه لا يخفى عليه ما يدرك بالابصار من لون أو شخص أو غير ذلك ولم نصفه ببصر طرفة العين وكذلك سمينا لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وما هو أخفى من ذلك وموضع المشي منها والعقل والشهوة للسفاد والحدب على أولادها وإقامة بعضها على بعض ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية^(٣) والفار فعلماً بذلك أن خالقها لطيف بلا كيف إذ الكيفية للمخلوق المكيف وكذلك سمينا ربنا قويا بلا قوة البطش المعروف من الخلق ولو كان قوته قوة البطش المعروف من الخلق لوقع التشبيه واحتمل الزيادة وما احتمل الزيادة احتمل النقصان وما كان ناقصاً كان غير قديم وما كان غير قديم كان عاجزاً فربنا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضد ولا ند ولا كيفية ولا نهاية ولا تصاريح محرم على القلوب أن تحتمله وعلى

(١) في نسخة: فإن لم تزل محتمل معنيين. وفي «أ» فإن ما لم يزل محتمل معنيين.

(٢) في المصدر: لم تزل.

(٣) في المصدر: والمفاوز والأودية.

الأوهام أن تحده وعلى الضمائر أن تصوره جل وعز عن أداة خلقه وسمات بريته وتعالى عن ذلك علوا كبيرا^(١).
يد: التوحيد | الدقاق عن الأسدي عن محمد بن بشر عن الجعفي مثله^(٢).

إيضاح:

اعلم أن المتكلمين اختلفوا في أن الاسم هل هو عين المسمى أو غيره فذهب أكثر الأشاعرة إلى الأول والإمامية والمعتزلة إلى الثاني وقد وردت هذه الأخبار ردا على القائلين بالعينية وأول بعض المتأخرين كلامهم لسخافته وإن كانت كلماتهم صريحة فيما نسب إليهم قال شارح المقاصد الاسم هو اللفظ المفرد الموضوع للمعنى على ما يعم أنواع الكلمة وقد يقيد بالاستقبال والتجرد عن الزمان فيقابل الفعل والحروف^(٣) على ما هو مصطلح النحاة والمسمى هو المعنى الذي وضع الاسم بإزائه والتسمية هو وضع الاسم للمعنى وقد يراد بها ذكر الشيء باسمه كما يقال يسمى زيدا ولم يسم عمرو فلا خفاء في تباين الأمور الثلاثة وإنما الخفاء فيما ذهب إليه بعض أصحابنا من أن الاسم نفس المسمى وفيما ذكره الشيخ الأشعري من أن أسماء الله تعالى ثلاثة أقسام ما هو نفس المسمى مثل الله الدال على الوجود أي الذات وما هو غيره كالخالق والرازق ونحو ذلك مما يدل على فعل وما لا يقال إنه هو ولا غيره كالعالم والقادر وكل ما يدل على الصفات وأما التسمية فغير الاسم والمسمى وتوضيحه أنهم يريدون بالتسمية اللفظ وبالاسم مدلوله كما يريدون بالوصف قول الواصف وبالصفة مدلوله وكما يقولون إن القراءة حادثة والمعروف قديم إلا أن أصحاب اعتبروا المدلول المطابق فأطلقوا القول بأن الاسم نفس المسمى للقطع بأن مدلول الخالق شيء ما له الخلق لا نفس الخلق ومدلول العالم شيء ما له العلم لا نفس العلم والشيخ أخذ المدلول أعم واعتبر في أسماء الصفات المعاني المقصودة فزعم أن مدلول الخالق الخلق وهو غير الذات ومدلول العالم العلم وهو لا عين ولا غير انتهى.

فإذا عرفت هذا فاعلم أن الظاهر أن المراد بالأسماء الأسماء الدالة على الذات من غير ملاحظة صفة وبالصفات ما يدل على الذات متصفا بصفة واستفسر^(٤) مراد السائل وذكر احتملاته وهي ثلاثة وينقسم بالتقسيم الأول إلى احتمالين لأن المراد إما معناه الظاهر أو مؤول بمعنى مجازي لكون معناه الظاهر في غاية السخافة.
الأول: أن يكون المراد كون كل من تلك الأسماء والحروف المؤلفة المركبة عين ذاته تعالى وحكم بأنه تعالى منزعه عن ذلك لاستلزامه تركيبه وحدوثه وتعددده كما سيأتي تعالى الله عن ذلك.

الثاني: أن يكون قوله هي هو كناية عن كونها دائما معه في الأزل فكأنها عينه وهذا يحتمل معنيين الأول أن يكون المراد أنه تعالى كان في الأزل مستحقا لإطلاق تلك الأسماء عليه وكون تلك الأسماء في علمه تعالى من غير تعدد في ذاته تعالى وصفاته ومن غير أن يكون معه شيء في الأزل فهذا حق والثاني أن يكون المراد كون تلك الأصوات والحروف المؤلفة دائما معه في الأزل فمعاد الله أن يكون معه غيره في الأزل وهذا صريح في نفي تعدد القدماء ولا يقبل التأويل ثم أشار^(٥) إلى حكمة خلق الأسماء والصفات بأنها وسيلة بينه وبين خلقه يتضرعون بها إليه ويعبدونه وهي ذكره بالضمير أي يذكر بها والمذكور بالذكر قديم والذكر حادث ومنهم من قرأ بالثاء قال الجوهري الذكر والذكرى نقيض النسيان وكذلك الذكر انتهى^(٦).

قوله^(٧) والأسماء والصفات مخلوقات هاهنا النسخ مختلفة ففي التوحيد مخلوقات المعاني أي معانيها اللغوية ومفهوماتها الكلية مخلوقة وفي الإحتجاج ليس لفظ المعاني أصلا وفي الكافي^(٨) والمعاني بالعطف فالمراد بها إما مصادق مدلولاتها ويكون قوله والمعني بها عطف تفسير له أو هي معطوفة على الأسماء أي والمعاني وهي حقائق مفهومات الصفات مخلوقة أو المراد بالأسماء الألفاظ وبالصفات ما وضع ألفاظها له وقوله مخلوقات والمعاني خيران لقوله الأسماء والصفات أي الأسماء مخلوقات والصفات هي المعاني.

(١) الإحتجاج: ٤٤٢ مع فاروق يسير.

(٢) في «ط» و قد يقيد بالاستقبال والتجرد عن الزمان فيقابل الفعل والحرف.

(٣) الصالح: ٦٦٤.

(٤) الكافي ١١٦: ١ - ١١٧ ح ٣٩ ج ٧.

(٥) التوحيد: ١٩٣ ب ٢٨ ح ٧ وفيه بعض الاختلاف.

و قوله و المعني بها هو الله أي المقصود بها المذكور بالذكر و مصداق تلك المعاني المطلوب بها هو ذات الله و المراد بالاختلاف تكثر الأفراد أو تكثر الصفات أو الأحوال المتغيرة أو اختلاف الأجزاء و تباينها بحسب الحقيقة أو الانفكاك و التحلل و بالابتلاف التركب من الأجزاء^(١) أو الأجزاء المتفقة الحقائق.

قوله ﷺ فإذا أفنى الله الأشياء استدلال على مغاييرته تعالى للأسماء و هجائها و تقطيعها و المعاني الحاصلة منها في الأذهان من جهة النهاية كما أن المذكور سابقا كان. من جهة البداية و الحاصل أن علمه تعالى ليس عين قولنا عالم و ليس اتصافه تعالى به متوقفا على التكلم بذلك و كذا الصور الذهنية ليست عين حقيقة ذاته و صفاته تعالى و ليس اتصافه تعالى بالصفات متوقفا على حصول تلك الصور إذ بعد فناء الأشياء تنفى تلك الأمور مع بقائه تعالى متصفا بجميع الصفات الكمالية كما أن قبل حدوثها كان متصفا بها.

ثم اعلم أن المقصود مما ذكر في هذا الخبر و غيره من أخبار البابين هو نفي تعقل كنه ذاته و صفاته تعالى و بيان أن صفات المخلوقات مشوبة بأنواع العجز و الله تعالى متصف بها معرى من جهات النقص و العجز كالسمع فإنه فينا هو العلم بالمسموعات بالحاسة المخصوصة و لما كان توقف علمنا على الحاسة لعجزنا و كان حصولها لنا من جهة تجسمنا و إمكاننا و نقصنا و أيضا ليس علمنا من ذاتنا لعجزنا و علمنا حادث لحدوثنا و ليس علمنا محيطا بحقائق ما نسمعه كما هي لقصورنا عن الإحاطة و كل هذه نقائص شابت ذلك الكمال فقد أثبتنا له تعالى ما هو الكمال و هو أصل العلم و نفينا عنه جميع تلك الجهات التي هي من سمات النقص و العجز و لما كان علمه تعالى غير متصور لنا بالكنه و إنما رأينا الجهل فينا نقضا نفينا عنه فكأنما لم نتصور من علمه تعالى إلا عدم الجهل فأثبتنا العلم له تعالى إنما يرجع إلى نفي الجهل لأننا لم نتصور علمه تعالى إلا بهذا الوجه و إذا تدبرت في ذلك حق التدبر وجدته نافيا لما يدعيه جماعة عن^(٢) الاشتراك اللفظي في الوجود و سائر الصفات لا مثبتا له و قد عرفت أن الأخبار الدالة على نفي التعطيل ينفي هذا القول و قد سبق تفسير بعض أجزاء الخبر فيما سبق فلا نعيده.

٢- ج: [الإحتجاج] عن هشام بن الحكم قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن أسماء الله عز ذكره و اشتقاقها فقلت الله مما هو مشتق قال يا هشام الله مشتق من أله و أله يقتضي مألوها و الاسم غير المسمى فمن عبد الاسم دون المعنى فقد كفر و لم يعبد شيئا و من عبد الاسم و المعنى فقد كفر و عبد اثنين و من عبد المعنى دون الاسم فذلك التوحيد فهت يا هشام قال فقلت زدني فقال إن لله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسما فلو كان الاسم هو المسمى لكان كل اسم منها إلها و لكن الله معنى يدل عليه بهذه الأسماء و كلها غيره يا هشام الخبز اسم للمأكول و الماء اسم للمشروب و الثوب اسم للملبوس و النار اسم للمحرق^(٣) أهمت يا هشام فهما تدفع به و تناضل أعداءنا و المتخذين مع الله عز و جل^(٤) غيره قلت نعم قال فقال نفعلك الله به و ثبتك قال هشام فو الله ما قهرني أحد في علم التوحيد حتى قمت مقامي هذا.^(٥)

يد: [التوحيد] ابن عصام و الدقاق عن الكليني عن علي عن أبيه عن النضر عن هشام مثله.

بيان: هذا الخبر يدل على أن لفظ الجلالة مشتق و قد سبق الكلام فيه في باب التوحيد^(٦) و قوله الله مشتق من أله إما اسم على فعال بمعنى المفعول أي المعبود أو غيره من المعاني التي تقدم ذكرها أو فعل بمعنى عبد أو نحوه و الظاهر أنه ليس المقصود أولا الاستدلال على المغايرة بين الاسم و المسمى بل المعنى أن هذا اللفظ بجوهره يدل على وجود معبود يعبد ثم بين أنه لا يجوز عبادة اللفظ بوجه ثم استدلال على المغايرة بين الاسم و المسمى و يحتمل أن يكون استدلالا بأن هذا اللفظ يدل على معنى و الدال غير المدلول بدبهة و على هذا يحتمل أن يكون ما يذكر بعد ذلك تحقيقا آخر لبيان ما يجب أن يقصد بالعبادة و أن يكون تنمة لهذا الدليل تكثيرا للإيراد و إيضاحا

(١) في «أ»: بالابتلاف التركيب من الأجزاء. (٢) في «ط»: جماعة عن.

(٣) في «أ»: الخبز اسم المأكول، و الماء اسم المشروب و الثوب اسم الملبوس و النار اسم المحروق.

(٤) و في نسخة: والمحدثين مع الله عز وجل.

(٥) الإحتجاج: ٣٣٣ وفيه: ولكن الله معنى يدل عليه هذه الأسماء كلها غيره.

(٦) التوحيد: ٢٢٠ - ٢٢١ ب ٢٩ ح ١٣ وفيه: و تناضل به أعداءنا.

لما يلزمهم من الفساد بأن يكون المعنى أن العقل لما حكم بالمغايرة فمن توهم الاتحاد أن جعل هذه الحروف معبودا بتوهم أن الذات عينها فلم يعبد شيئا أصيلا إذ ليس لهذه الأسماء بقاء واستمرار وجود إلا بتبعية النقوش في الألواح أو الأذهان وإن جعل المعبود مجموع الاسم والمسمى فقد أشرك وعبد مع الله غيره وإن عبد الذات الخالص فهو التوحيد وبطل الاتحاد بين الاسم والمسمى والأول أظهر ويحتمل أن يكون المراد بالمألوه من له الإله كما يظهر من بعض الأخبار أنه يستعمل بهذا المعنى كقوله ﷺ كان إلهها إذ لا مألوه وعالمها إذ لا معلوم فالمعنى أن الإله يقتضي نسبة إلى غيره ولا يتحقق بدون الغير والمسمى لا حاجة له إلى غيره فالاسم غير المسمى.

ثم استدلل ﷺ على المغايرة بوجهين آخرين الأول أن الله تعالى أسماء متعددة فلو كان الاسم عين المسمى لزم تعدد الآلهة لبداية مغايرة تلك الأسماء بعضها لبعض قوله ولكن الله أي ذاته تعالى لا هذا الاسم الثاني أن الخبز اسم لشيء يحكم عليه بأنه مأكول ومعلوم أن هذا اللفظ غير مأكول وكذا البواقي.

وقيل إن المقصود من أول الخبر إلى آخره بيان المغايرة بين المفهومات العرضية التي هي موضوعات تلك الأسماء وذاته تعالى الذي هو مصداق تلك المفهومات فقوله ﷺ والإله يقتضي مألوها معناه أن هذا المعنى المصدري يقتضي أن يكون في الخارج موجود هو ذات المعبود الحقيقي ليدل على أن مفهوم الاسم غير المسمى والحق تعالى ذاته نفس الوجود الصرف بلا ماهية أخرى فجميع مفهومات الأسماء والصفات خارجة عنه فصدقها وحملها عليه ليس كصدق الذاتيات على الماهية إذ الماهية له كلية ولا كصدق الرضيات إذ لا قيام لأفرادها بذاته تعالى ولكن ذاته تعالى بذاته الأحدية البسيطة مما ينتزع منه هذه المفهومات وتحمل عليه فالمفهومات كثيرة والجميع غيره فيلزم من عينية تلك المفهومات تعدد الآلهة وقوله ﷺ الخبز اسم للمأكول حجة أخرى على ذلك فإن مفهوم المأكول اسم لما يصدق عليه كالخبز ومفهوم المشروب يصدق على الماء ومفهوم الملبوس على الثوب والمحرق على النار ثم إذا نظرت إلى كل من هذه المعاني في أنفسها وجدتها غير محكوم عليها بأحكامها فإن معنى المأكول غير مأكول إنما المأكول شيء آخر كالخبز وكذا البواقي ولا يخفى ما فيه.

٣- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] أبي عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبيد الله عن محمد بن عبد الله و موسى بن عمرو والحسن بن أبي عثمان عن محمد بن سنان قال سألت الرضا ﷺ عن الاسم ما هو قال صفة لموصوف. (١)

بيان: أي سمة و علامة تدل على ذات فهي غير الذات أو المعنى أن أسماء الله تعالى تدل على صفات تصدق عليه ويحتمل أن يكون المراد بالاسم هنا ما أشرنا إليه سابقا أي المفهوم الكلي الذي هو موضوع اللفظ.

٤- ج: [الإحتجاج] سئل أبو الحسن علي بن محمد ﷺ عن التوحيد فقيل له لم يزل الله وحده لا شيء معه ثم خلق الأشياء بديعا واختار لنفسه أحسن الأسماء أو لم تزل الأسماء والحروف معه قديمة فكتب لم يزل الله موجودا ثم كون ما أراد لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه تاهت أوهام المتوهمين وقصر طرف الطارفين (٢) وتلاشت أوصاف الرافضين واضمحلت أقاويل المبطلين عن الدرك لعجيب شأنه والوقوع بالبلوغ على علو مكانه فهو بالموضع الذي لا يتناهى وبالمكان الذي لم تقع عليه الناعتون بإشارة ولا عبارة هيئات هيئات. (٣)

٥- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن يزيد بن عبد الله عن الحسن بن سعيد الخزاز عن رجاله عن أبي عبد الله ﷺ قال الله غاية من غياه فالمغيا غير الغاية توحده بالربوبية و وصف نفسه بغير محدودية فالذاكر الله غير الله والله غير أسماء وكل شيء وقع عليه اسم شيء سواه فهو مخلوق ألا ترى قوله العزة

(١) التوحيد: ١٩٢ ج ٢٩ ح ٥ معاني الأخبار ص ٢ ب ٢ ح ١ عيون أخبار الرضا ﷺ ١١٨: ١١ ح ٢٥.

(٢) وفي نسخة: وقصر طرف العارفين.

(٣) الإحتجاج: ٤٤٩.

لله العظمة لله و قال ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾^(١) و قال ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾^(٢) فالأسماء مضافة إليه و هو التوحيد الخالص^(٣).

بيان: استدل عليه على المغايرة بين الاسم و المسمى بما أضيف إليه من الأسماء فإن الإضافة تدل على المغايرة بين الاسم و المسمى يقال المال لزيد و لا يقال زيد لنفسه و قوله العزة لله العظمة لله يومى إلى أن المراد بالاسم المفهوم كما مر.

٦- يد: [التوحيد] ابن المتوكل عن محمد العطار عن ابن أبان عن ابن أورمة عن علي بن الحسين بن محمد^(٤) عن خالد بن يزيد^(٥) عن عبد الأعلى عن أبي عبد الله عليه قال اسم الله غير الله و كل شيء وقع عليه اسم شيء فهو مخلوق ما خلا الله فأما ما عبرت الألسن عنه أو عملت الأيدي فيه فهو مخلوق و الله غاية من غاياه و المغيا غير الغاية و الغاية موصوفة و كل موصوف مصنوع و صانع الأشياء غير موصوف بعد مسمى لم يتكون فتعرف كينونته بصنع غيره و لم يتناه إلى غاية إلا كانت غيره لا يزل من فهم هذا الحكم أبداً و هو التوحيد الخالص فاعقدوه و صدقوه و تفهموه بإذن الله عز و جل و من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال فهو مشرك لأن الحجاب و المثال و الصورة غيره و إنما هو واحد موحد فكيف يوجد من زعم أنه عرفه بغيره إنما عرف الله من عرفه بالله فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنما يعرف غيره ليس بين الخالق و المخلوق شيء و الله خالق الأشياء لا من شيء يسمى بأسمائه فهو غير أسمائه و الأسماء غيره و الموصوف غير الواصف فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف فهو ضال عن المعرفة لا يدرك مخلوق شيئاً إلا بالله و لا تدرك معرفة الله إلا بالله و الله خلو من خلقه و خلقه خلو منه و إذا أراد شيئاً كان كما أراد بأمره من غير نطق لا ملجأ لعباده مما قضى و لا حجة لهم فيما ارتضى لم يقدروا على عمل و لا معالجة مما أحدث في أبدانهم المخلوقة إلا ببرهم فمن زعم أنه يقوى على عمل لم يرد الله عز و جل فقد زعم أن إرادته تغلب إرادة الله تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٦)

يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن بعض أصحابه عن بكر بن صالح عن علي بن الحسن بن محمد عن خالد عن عبد الأعلى مثله إلى قوله و الأسماء غيره^(٧).

قال الصدوق رحمه الله معنى ذلك أن من زعم أنه يقوى على عمل لم يرد الله أن يقويه عليه فقد زعم أن إرادته تغلب إرادة الله تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٨).

بيان: قوله اسم شيء أي لفظ الشيء أو هذا المفهوم المركب و الأول أظهر ثم بين المغايرة بأن اللفظ الذي يعبر به الألسن و الخط الذي تعمله الأيدي فظاهر أنه مخلوق قوله و الله غاية من غاياه اعلم أن الغاية تطلق على المدى و النهاية و على امتداد المسافة و على الغرض و المقصود من الشيء و على الراية و العلامة و هذه العبارة تحتمل وجوها:

الأول: أن تكون الغاية بمعنى الغرض و المقصود أي كلمة الجلالة مقصود من جعله مقصوداً و ذريعة من جعله ذريعة أي كل من كان له مطلب و عجز عن تحصيله بسعيه يتوسل إليه باسم الله و المغيا بالغين المعجمة و الياء المثناة المفتوحة أي المتوسل إليه بتلك الغاية غير الغاية أو بآليات المكسورة أي الذي جعل لنا الغاية غاية هو غيرها و في بعض النسخ و المعنى بالعين المهملة و النون أي المقصود بذلك التوسل أو المعنى المصطلح غير تلك الغاية التي هي الوسيلة إليه.

الثاني: أن يكون المراد بالغاية النهاية و بالله الذات لا الاسم أي الرب تعالى غاية آمال الخلق يدعونه عند الشدائد بأسمائه العظام و المغيا بفتح الياء المشددة المسافة ذات الغاية و المراد هنا الأسماء فكأنها طرق و مسالك توصل الخلق إلى الله في حوائجهم و المعنى أن العقل يحكم بأن

(١) الاسماء: ١١٠.

(١) الاعراف: ١٨٠.

(٢) في المصدر: علي بن الحسن بن محمد.

(٣) التوحيد: ٥٨ - ٥٩ ب ٢ ح ١٦.

(٤) بقرينة روايته عن عبد الأعلى، يبدو انه خالد بن يزيد القمي، كما اسماه الإمام الخوئي في «المعجم ٤: ٢٠٧ رقم ٤٢٢٨».

(٥) التوحيد: ١٤٢ - ١٤٣ ب ١١ ح ٧.

(٦) التوحيد: ١٩٢ ب ٢٩ ح ٦.

(٨) التوحيد: ١٤٣ ب ١١ ذيل ح ٧.

الوسيلة غير المقصود بالحاجة وهذا لا يلائمه قوله والغاية موصوفة إلا بتكلف تام.

الثالث: أن يكون المراد بالغاية العلامة وصفت غاياه بغاياته أي علامة من علاماته والمعنى أي المقصود أو المعنى أي ذو العلامة غيرها.

الرابع: أن يكون المقصود أن الحق تعالى غاية أفكار من جعله غاية وتفكر فيه والمعنى المقصود أعني ذات الحق غير ما هو غاية أفكارهم ومضوع عقولهم إذ غاية ما يصل إليه أفكارهم ويحصل في أذهانهم موصوف بالصفات الزائدة الإمكانية وكل موصوف كذلك موصوف.

الخامس: ما صفه بعض الأفاضل حيث قرأ عانه من عاناه أي الاسم ملاس من لا يسه قال في النهاية معاناة الشيء ملاسته ومباشرته أو مهم من اهتم به من قولهم غنيت به فأننا عان أي اهتممت به واشتغلت أو أسير من أسره^(١) وفي النهاية العاني الأسير وكل من ذل واستكان وخضع فقد عان يعنو فهو عان أو محبوس من حبسه وفي النهاية وعنوا بالأصوات أي احبسوها^(٢) والمعنى أي المقصود بالاسم غير العانة أي غير ما نتصوره ونعقله ثم اعلم أنه على بعض التقادير يمكن أن يقرأ والله بالكسر بأن يكون الواو للقسام.

قوله غير موصوف بحد أي من الحدود الجسمانية أو الصفات الإمكانية أو الحدود العقلية وقوله مسمى صفة لحد للتعميم كقوله تعالى ﴿لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً﴾^(٣) ويحتمل أن يكون المراد أنه غير موصوف بالصفات التي هي مدلولات تلك الأسماء وقيل هو خبر بعد خبر أو خبر مبتدأ محذوف.

قوله لم يتكون فيعرف كينونه بصنع غيره قيل المراد أنه لم يتكون فيكون محدثاً بفعل غيره فتعرف كينونه و صفات حدوثه بصنع صانعه كما تعرف المعلولات بالعلل.

أقول: لعل المراد أنه غير مصنوع حتى يعرف بالمقايسة إلى مصنوع آخر كما تعرف المصنوعات بمقايسة بعضها إلى بعض فيكون الصنع بمعنى المصنوع وغيره صفة له أو أنه لا يعرف بحصول صورة هي مصنوعة لغيره إذ كل صورة ذهنية مصنوعة للمدرك معلولة له.

قوله ولم يتناه أي هو تعالى في المعرفة أو عرفانه أو العارف في عرفانه إلى نهاية إلا كانت تلك النهاية غيرته تعالى ومباينة له غير محمولة عليه.

قوله ﷻ لا يزل في بعض النسخ بالذال أي ذل الجهل والضلال من فهم هذا الحكم وعرف سلب جميع ما يفاير عته وعلم أن كل ما يصل إليه أفهام الخلق فهو غيره تعالى.

قوله ﷻ ومن زعم أنه يعرف الله بحجاب أي بالأسماء التي هي حجب بين الله وبين خلقه و وسائل بها يتوسلون إليه بأن زعم أنه تعالى عين تلك الأسماء أو الأنبياء والأئمة ﷺ بأن زعم أن الله تعالى اتحد بهم أو بالصفات الزائدة فإنها حجب عن الوصول إلى حقيقة الذات الأحدية أو بصورة أي بأنه ذو صورة كما قالت المشبهة أو بصورة عقلية زعم أنها كنه ذاته وصفاته تعالى أو بمثال أي خيالي أو بأن جعل له مائثلاً ومثابهاً من خلقه فهو مشرك لما عرفت مراراً من لزوم تركيبه تعالى وكونه ذات حقائق مختلفة وذات أجزاء تعالى الله عن ذلك ويحتمل أن يكون إشارة إلى أنه لا يمكن الوصول إلى حقيقته تعالى بوجه من الوجوه لا بحجاب و رسول يبين ذلك ولا بصورة عقلية ولا خيالية إذ لا بد بين المعرفة والمعرف من مائثلة و جهة اتحاد وإلا فليس ذلك الشيء معرفاً أصلاً والله تعالى مجرد الذات عن كل ما سواه فحجابه ومثاله و صورته غيره من كل وجه إذ لا مشاركة بينه وبين غيره في جنس أو فصل أو مادة أو موضوع أو عارض وإنما هو واحد موحد فرد عما سواه فإنما يعرف الله بالله إذا نفى عنه جميع ما سواه وكل ما وصل إليه عقله كما مر أنه التوحيد الخالص.

(١) النهاية في غريب الحديث واللائر ٣: ٣١٤.

(٢) النهاية في غريب الحديث واللائر ٣: ٣١٤.

(٣) الانسان: ٨.

و قال بعض المحققين من زعم أنه يعرف الله بحجاب أو بصورة أو بمثال أي بحقيقة من الحقائق الإمكانية كالجسم والنور أو بصفة من صفاتها التي هي عليها كما أسند إلى القائلين بالصورة أو بصفة من صفاتها عند حصولها في العقل كما في قول الفلاسفة في رؤية العقول المفارقة فهو مشترك لأن الحجاب والصورة والمثال كلها مغايرة له غير محمولة عليه فمن عبد الموصوف بها عبد غيره فكيف يكون موحدًا له عارفًا به إنما عرف الله من عرفه بذاته و حقيقته المسلوب عنه جميع ما يغايره فمن لم يعرفه به فليس يعرفه إنما يكون يعرف غيره.

أقول: لا يخفى أن هذا الوجه و ما أوردته سابقا من الاحتمالات التي سمحت بها قريحتي القاصرة لا يخلو كل منها من تكلف^(١) و قد قبل فيه وجه آخر أعرضت عنها صفحا لعدم موافقتها لأصولنا.

و أظهر عندي أن هذا الخبر موافق لما مر و سيأتي في كتاب العدل أيضا من أن المعرفة من صنعه تعالى و ليس للعباد فيها صنع و أنه تعالى يهبها لمن طلبها و لم يقصر فيما يوجب استحقاق إفاضتها و القول بأن غيره تعالى يقدر على ذلك نوع من الشرك في ربوبيته و إلهيته فإن التوحيد الخالص هو أن يعلم أنه تعالى مفيض جميع العلوم و الخيرات و المعارف و السعادات كما قال تعالى ﴿مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَ مَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾^(٢) فالمراد بالحجاب إما أمانة الضلال و علماء السوء الذين يدعون أنهم يعرفونه تعالى بعقولهم و لا يرجعون في ذلك إلى حجج الله تعالى فإنهم حجب يحجبون الخلق عن معرفته و عبادته تعالى فالمعنى أنه تعالى إنما يعرف بما عرف به نفسه للناس لا بأفكار و عقولهم أو أمانة الحق للناس فأما إفاضة المعرفة و الإيصال إلى البغية فليس إلا من الحق تعالى كما قال سبحانه ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾^(٣) و يجري في الصورة و المثال ما مر من الاحتمالات.

فقوله ﷺ ليس بين الخالق و المخلوق شيء أي ليس بينه تعالى و بين خلقه حقيقة أو مادة مشتركة حتى يمكنهم معرفته من تلك الجهة بل أوجدتهم لا من شيء كان قوله ﷺ غير الواصف يحتمل أن يكون المراد بالواصف الاسم الذي يصف الذات بمدلوله قوله ﷺ فمن زعم أنه يؤمن بما لا يعرف أي لا يؤمن أحد بالله إلا بعد معرفته و المعرفة لا يكون إلا منه تعالى فالتعريف من الله و الإيمان و الإذعان و عدم الإنكار من الخلق و يحتمل أن يكون المراد على بعض الوجوه السابقة بيان أنه و إن لم يعرف بالكنه لكن لا يمكن الإيمان به إلا بعد معرفته بوجه من الوجوه فيكون المقصود نفي التعطيل و الأول أظهر و هذه الفقرات كلها مؤيدة للمعنى الأخير كما لا يخفى لمن تأمل فيها ثم بين ﷺ كون الأشياء إنما يحصل بمشيئته تعالى و أن إرادة الخلق لا يغلب إرادته تعالى كما سيأتي تحقيقه في كتاب العدل و الله الموفق.

٧- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن اليقطيني عن ابن محبوب عن ابن رثاب عن غير واحد عن أبي عبد الله ﷺ قال من عبد الله بالتوهم فقد كفر و من عبد الاسم و لم يعبد المعنى فقد كفر و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي يصف بها نفسه^(٤) فقد غلب عليه قلبه و نطق به لسانه في سر أمره و علانيته فأولئك أصحاب أمير المؤمنين ﷺ و في حديث آخر أولئك هم المؤمنون حقا^(٥)

(١) قال السيد الطباطبائي «ره»: و لقد انصف رحمه الله في الاعتراف بأن الرواية لا تتضح بما أورده من الوجوه، و اما ما استظهره من أن المراد بها ما ورد في الاخبار من أنه لا صنع لغيره تعالى في المعرفة فهو أوهن من الوجوه السابقة، فإن مدلول تلك الاخبار بيان أن الفاعل للمعرفة هو الله سبحانه، و اما نفي الوساطة و الوسيلة من بين فلا كيف و القرآن صريح في أن التقوى و الأنابة و التدبير و التفكير و التنقل و كذا الانبياء و الملائكة و الأئمة و سائر لمعرفة الله في آيات كثيرة و قد قال في خصوص القرآن (يهدى به الله من اتبع رضوانه) الآية؛ فالروايات المذكورة لا تنفي الوساطة بهذا المعنى. اما هذه الرواية فهي صريحة في نفي الوساطة، و في أنه تعالى معروف بذاته و كل شيء سواء معروف معلوم به، على خلاف ما اشتهر أن الأشياء تعرف بذاتها أو صفاتها أو آثارها و إن الله يعرف بالأشياء فالرواية تحتاج في بيانها الى اصول علمية عالية غير الاصول الساذجة المعمولة المذكورة في الكتاب، و لا يوضحها محل آخر.

(٢) النساء: ٧٩.

(٣) كذا في نسخة و في المصدر. و في «ط» و بقية النسخ: يصف بها نفسه.

(٤) التوحيد: ٢٢٠ ب ٢٩ ح ١٢ و فيه: و نطق به لسانه في سرائره و علانيته.

(٥) القصص: ٥٦.

إيضاح: قوله من عبد الله بالتوهم أي من غير أن يكون على يقين في وجوده تعالى وصفاته أو بأن يتوهمه محدوداً مدركاً بالوهم فقد كفر لأن الشك كفر ولأن كل محدود ومدرك بالوهم غيره سبحانه فمن عبده كان عابداً لغيره فهو كافر وقوله ﷺ ومن عبد الاسم أي الحروف أو المفهوم الوصفي له دون المعنى أي المعبر عنه بالاسم فقد كفر لأن الحروف والمفهوم غير الواجب الخالق لكل تعالى شأنه.

٨- يد: [التوحيد] الدقاق عن الكليني عن علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد عن الحسين بن يزيد عن ابن البطاني عن إبراهيم بن عمر^(١) عن أبي عبد الله ﷺ قال إن الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف غير منعت وباللفظ غير منطوق وبالشخص غير مجسد وبالتشبيه غير موصوف وباللون غير مصبوغ منفي عنه الأقطار مبعد عنه الحدود محجوب عنه حس كل متوهم مستتر غير مستور فجعله كلمة تامة على أربعة أجزاء معاً ليس منها واحد قبل الآخر فأظهر منها ثلاثة أسماء لاقاة للخلق إليها وحجب واحداً منها وهو الاسم المكنون المخزون بهذه الأسماء الثلاثة التي أظهرت فالظاهر هو الله وتبارك وسبحان لكل اسم من هذه أربعة أركان فذلك اثنا عشر ركناً ثم خلق لكل ركن منها ثلاثين اسماً فعلاً منسوباً إليها فهو الرُخْنُ الرَّجِيمُ الْمَلَكُ الْقُدُّوسُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الْحَكِيمُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ الْمُقْتَدِرُ الْقَادِرُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيِّئُ الْبَارِئُ الْمُنْشِئُ الْبَدِيعُ الرَّفِيعُ الْجَلِيلُ الْكَرِيمُ الرَّازِقُ الْمُحْيِي الْمُمِيتُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ فَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ مَا كَانَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنَى حَتَّى تَمَّ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسِتِينَ اسْماً فَهِيَ نِسْبَةٌ لِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ الثَّلَاثَةُ أَرْكَانٌ وَحِجْبٌ لِلْإِسْمِ الْوَاحِدِ الْمَكْنُونِ بِهَذِهِ الْأَسْمَاءِ الثَّلَاثَةِ وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرُّحْمَنَ أَيُّمَا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى^(٢) (٣)

بيان: اعلم أن هذا الخبر من متشابهات الأخبار وغوامض الأسرار التي لا يعلم تأويلها إلا الله والراغبون في العلم والسكوت عن تفسيره والإقرار بالعجز عن فهمه أصوب وأولى وأحوط وأحرى ولذكر وجهها تبعاً لمن تكلم فيه على سبيل الاحتمال^(٤) فنقول أسماء في بعض النسخ بصيغة الجمع وفي بعضها بصورة المفرد والأخير أظهر والأول لعله مبني على أنه مجزئ بأربعة أجزاء كل منها اسم فلذا أطلق عليه صيغة الجمع وقوله بالحروف غير منعت وفي بعض النسخ كما في الكافي^(٥) غير منصوت وكذا ما بعده من الفقرات تحتل كونها حالاً عن فاعل خلق وعن قوله اسماً ويؤيد الأول ما في أكثر نسخ التوحيد خلق اسماً بالحروف وهو عز وجل بالحروف غير منعت^(٦) فيكون المقصود ببيان المغايرة بين الاسم والمسمى بعدم جريان صفات الاسم بحسب ظهوراته النطقية والكتيبية فيه تعالى وأما على الثاني فلعله إشارة إلى حصوله في علمه تعالى فيكون الخلق بمعنى التقدير والعلم وهذا الاسم عند حصوله في العلم الأقدس لم يكن ذا صوت ولا ذا صورة ولا ذا شكل ولا ذا صبغ ويحتمل أن يكون إشارة إلى أن أول خلقه كان

(١) إبراهيم بن عمر اليماني الصنعاني. كذا قال النجاشي - ره - و: اضاف: شيخ من اصحابنا، ثقة، روى عن ابي جعفر و ابي عبد الله - عليه السلام - ذكر ذلك ابو العباس وغيره. له كتاب يرويه عنه حماد بن عيسى وغيره ثم ذكر طريقه اليه. «رجال النجاشي» ١: ٩٨ رقم ٢٥٥ و ذكر الشيخ وقال: له اصل، ثم ذكر طريقه اليه. «الفهرست» ٩ رقم ٢٠٠ وعده في اصحاب الإمام الباقر - عليه السلام - وقال: له اصول رواها عنه حماد بن عيسى «رجال الشيخ» ١٠٣ رقم ٧ و ذكره ايضا في اصحاب الإمام الصادق - عليه السلام - «ص» ١٤٥ رقم ٥٨ و كان البرقي قد عده في احوال الإمام الباقر - عليه السلام - «رجال البرقي» ١١١ و الإمام الكاظم - عليه السلام - «ص» ٤٧.

وقد ضمه ابن الضائري على ما نقله عنه الإمام الخوئي، غير انه قال: الرجل يعتمد على روايته لتوثيق النجاشي له، ولا يعارضه التضعيف عن ابن الضائري لما عرفت من عدم ثبوت نسبة الكتاب اليه «معجم رجال الحديث» ١: ٢٦٤ رقم ٢٢٨.

(٢) الاسراء: ١١٠.

(٣) التوحيد ص ١٩٠ و ٢٩ ح ٣. وفيه: ان الله تبارك وتعالى خلق اسماً بالحروف وهو عزوجل بالحروف غير منعت، وكذا: فالظاهر هو الله تبارك وتعالى وسخر سبحانه.

(٤) قال السيد الطباطبائي «ره»: المراد بالرواية ان ذاته تعالى اجل من ان يحيط به مفاهيم الاسماء، يسقط عنده كل اسم و رسم و ان لمعاني الاسماء نحو تاخر عنه غير انه بالخلق، ولها مراتب و درجات فيما بينها انفسها وقد شرحنا الرواية في رسالة الصفات من الرسائل السبع بعض الشرح.

(٥) الكافي ١: ١١٢ ح ٣٨ أ.

(٦) قال السيد الطباطبائي: هذا من قبيل النقل بالمعنى ارتكبه بعض الرواة اصلاحاً للمعنى على زعمه مع منافاته للبيئة لسائر فقرات الرواية.

بالإضافة على روح النبي ﷺ وأرواح الأنمة بغير نطق وصيغ ولون وخط بقلم.

ولنرجع إلى تفصيل كل من الفقرات وتوضيحها فعلى الأول قوله غير منصوت إما على البناء للفاعل أي لم يكن خلقها بإيجاد حرف وصوت أو على البناء للمفعول أي هو تعالى ليس من قبيل الأصوات والحروف حتى يصلح كون الاسم عينه تعالى لكن الظاهر من كلام اللغويين أن تصوت لازم فيكون على البناء للفاعل بالمعنى الثاني فيزيد الوجه الأول.

وقوله ﷻ وباللفظ غير منطوق بفتح الطاء أي ناطق أو أنه غير منطوق^(١) باللفظ كالحروف ليكون من جنسها أو بالكسر أي لم يجعل الحروف ناطقة على الإسناد المجازي كقوله تعالى هذا كُنَّا نُنَاطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ^(٢) وهذا التوجيه يجري في الثاني من احتمالي الفتح وتطبيق تلك الفقرات على الاحتمال الثاني وهو كونها حالاً عن الاسم بعد ما ذكرنا ظاهر وكذا تطبيق الفقرات الآتية على الاحتمالين.

قوله ﷻ مستتر غير مستور أي كنه حقيقته مستور عن الخلق مع أنه من حيث الآثار أظهر من كل شيء أو مستتر بكمال ذاته من غير ستر وحاجب أو أنه غير مستور عن الخلق^(٣) بل هو في غاية الظهور والنقص إنما هو من قبلنا و يجري نظير الاحتمالات في الثاني ويحتمل على الثاني أن يكون المراد أنه مستور عن الخلق غير مستور عنه تعالى.

وأما تفصيل الأجزاء وتشعب الأسماء فيمكن أن يقال إنه لما كان كنه ذاته تعالى مستورا عن عقول جميع الخلق فالاسم الدال عليه ينبغي أن يكون مستورا عنهم فالاسم الجامع هو الاسم الذي يدل على كنه الذات مع جميع الصفات الكمالية ولما كانت أسماءه تعالى ترجع إلى أربعة لأنها إما أن تدل على الذات أو الصفات الثبوتية الكمالية أو السلبية التنزيهية أو صفات الأفعال^(٤) فجزا ذلك الاسم الجامع إلى أربعة أسماء جامعة واحدة منها للذات فقط فلما ذكرنا سابقا استبدت تعالى به ولم يعطه خلقه و ثلاثة منها تتعلق بالأنواع الثلاثة من الصفات فأعطاهما خلقه ليعرفه بها بوجه من الوجوه فهذه الثلاثة حجب و سائط بين الخلق وبين هذا الاسم المكنون إذ بها يتوسلون إلى الذات وإلى الاسم المخصص بها ولما كانت تلك الأسماء الأربعة مطوية في الاسم الجامع على الإجمال لم يكن بينها تقدم وتأخر ولذا قال ليس منها واحد قبل الآخر ويمكن أن يقال على بعض المحتملات السابقة أنه لما كان تحققها في العلم الأقدس لم يكن بينها تقدم وتأخر في الوجود كما يكون في تكلم الخلق والأول أظهر.

ثم بين الأسماء الثلاثة فأولها الله وهو الدال على النوع الأول لكونه موضوعا للذات المستجمع للصفات الذاتية الكمالية والثاني تبارك لأنه من البركة والنمو وهو إشارة إلى أنه معدن القيوض ومنبع الخيرات التي لا تنهاه وهو رئيس جميع الصفات الفعلية من الخالقية والرازقية والمنعمية و سائر ما هو منسوب إلى الفعل كما أن الأول رئيس الصفات الوجودية من العلم والقدرة وغيرهما ولما كان المراد بالاسم كل ما يدل على ذاته وصفاته تعالى أعم من أن يكون اسماً أو فعلاً أو جملة لا محذور في عد تبارك من الأسماء والثالث هو سبحانه الدال على تنزيهه تعالى عن جميع النقائص فيندرج فيه ويتبعه جميع الصفات السلبية والتنزيهية هذا على نسخه التوحيد وفي الكافي هو الله تبارك وتعالى وسخر لكل اسم فعل المراد أن الظاهر بهذه الأسماء هو الله تعالى وهذه الأسماء إنما جعلها ليظهر بها على الخلق فالمظهر هو الاسم والظاهر به هو الرب سبحانه.

ثم لما كان لكل من تلك الأسماء الثلاثة الجامعة شعب أربع ترجع إليها جعل لكل منها أربعة أركان هي بمنزلة دعائمه فأما الله فلدلالته على الصفات الكمالية الوجودية له أربع دعائم وهي وجوب الوجود المعبر عنه بالصمدية والقيومية والعلم والقدرة والحياة أو مكان الحياة اللطف أو الرحمة

أو العزة وإنما جعلت هذه الأربعة أركان لأن سائر الصفات الكمالية إنما ترجع إليها كالسميع والبصير والخبير مثلاً فإنها راجعة إلى العلم والعلم يشملها وهكذا.

وأما تبارك فله أركان أربعة هي الإيجاد والتربية في الدارين والهداية في الدنيا والمجازاة في الآخرة أي الموجد أو الخالق والرب والهادي والديان ويمكن إدخال الهداية في التربية وجعل المجازاة ركنين الإثابة والانتقام ولكل منها شعب من أسماء الله الحسنى كما لا يخفى بعد التأمل والتتبع.

وأما سبحانه فله أربعة أركان لأنه إما تنزيه الذات عن مشابهة الممكنات أو تنزيهه عن إدراك الحواس والأوهام والعقول أو تنزيه صفاته عما يوجب النقص أو تنزيه أفعاله عما يوجب الظلم والعجز والنقص ويحتمل وجهاً آخر وهو تنزيهه عن الشريك والأضداد والأنداد وتنزيهه عن المشاكلة والمشابهة وتنزيهه عن إدراك العقول والأوهام وتنزيهه عما يوجب النقص والعجز من التركيب والصاحبة والولد والتغيرات والعوارض والظلم والجور والجهل وغير ذلك وظاهر أن لكل منها شعباً كثيرة فجعل ﷺ شعب كل منها ثلاثين وذكر بعض أسماؤه الحسنى على التمثيل وأجمل الباقي ويحتمل على ما في الكافي أن تكون الأسماء الثلاثة ما يدل على وجوب الوجود العلم والقدرة والافتناء عشر ما يدل على الصفات الكمالية والتنزيهية التي تتبع تلك الصفات والمراد بالثلاثين صفات الأفعال التي هي آثار تلك الصفات الكمالية ويؤيده قوله فعلاً منسوباً إليها وعلى الأول يكون المعنى أنها من توابع تلك الصفات فكأنها من فعلها.

هذا ما خطر ببالي في حل هذا الخبر وإنما أوردته على سبيل الاحتمال من غير تعيين لمراد المعصوم ﷺ ولعله أظهر الاحتمالات التي أوردتها أقوام على وفق مذاهبهم المختلفة وطرائقهم المشتتة وإنما هداني إلى ذلك ما أورده ذريعتي إلى الدرجات العلى وسيلتي إلى مسالك الهدى بعد أئمة الورى ﷺ أعني والذي العلامة قدس الله روحه في شرح هذا الخبر على ما في الكافي حيث قال الذي يخطر بالبال في تفسير هذا الخبر على الإجمال هو أن الاسم الأول كان اسماً جامعاً للدلالة على الذات والصفات ولما كان معرفة الذات محجوبة عن غيره تعالى جزأ ذلك الاسم على أربعة أجزاء وجعل الاسم الدال على الذات محجوباً عن الخلق وهو الاسم الأعظم باعتبار والدال على المجموع اسم أعظم باعتبار آخر ويشبه أن يكون الجامع هو الله والدال على الذات فقط هو وتكون المحجوبة باعتبار عدم التعيين كما قيل^(١) إن الاسم الأعظم داخل في جملة الأسماء المعروفة ولكنها غير معينة لنا ويمكن أن يكون غيرها.

والأسماء التي أظهرها الله للخلق على ثلاثة أقسام:

منها ما يدل على التقديس مثل العلي العظيم العزيز الجبار المتكبر ومنها ما يدل على علمه تعالى ومنها ما يدل على قدرته تعالى وانقسامه كل واحد منها إلى أربعة أقسام بأن يكون التنزيه إما مطلقاً أو للذات أو للصفات أو الأفعال ويكون ما يدل على العلم إما لمطلق العلم أو للعلم بالجزئيات كالسميع والبصير أو الظاهر أو الباطن وما يدل على القدرة إما للرحمة الظاهرة أو الباطنة أو الغضب ظاهراً أو باطناً أو ما يقرب من ذلك التقسيم والأسماء المفردة على ما ورد في القرآن والأخبار يقرب من ثلاثمائة وستين اسماً ذكرها الكفعمي^(٢) في مصباحه فليكن جمعها والتدبر في ربط كل منها بركن من تلك الأركان انتهى كلامه رفع الله مقامه.

أقول: بعض الناظرين في هذا الخبر جعل الاثني عشر كناية عن البروج الفلكية والثلاثمائة والستين عن درجاتها ولعمري لقد تكلف بأبعد مما بين السماء والأرض ومنهم من جعل الاسم كناية عن مخلوقاته تعالى والاسم الأول الجامع عن أول مخلوقاته وبزعم القائل هو العقل وجعل ما بعد ذلك كناية عن كيفية تشعب المخلوقات وتعدد

العوامل وكفى ما أومأنا إليه للاستغراب وذكرها بطولها يوجب الإطناب.

قوله وذلك قوله عز وجل استشهد بأن له تعالى أسماء حسنى وأنه إنما وضعها ليدعوه الخلق بها فقال تعالى قل ادعوه تعالى بالله أو بالرحمن أو بغيرهما فالمقصود واحد وهو الرب وله أسماء حسنى كل منها يدل على صفة من صفاته المقدسة فأيا ما تدعو فهو حسن قيل نزلت الآية حين سمع المشركون رسول الله ﷺ يقول يا الله يا رحمان فقالوا إنه ينهانا أن نعبد إلهمين وهو يدعو إلها آخر^(١) وقالت اليهود إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثره الله في التوراة فنزلت الآية ردا لما توهموا من التعدد أو عدم الإتيان بذكر الرحمن^(٢).

١٧٢
٤

باب ٢ معاني الأسماء واشتقاقها وما يجوز إطلاقه عليه تعالى وما لا يجوز

١- ل: [الخصال] ن: [عيون أخبار الرضا] [أبي عن سعد عن إبراهيم بن هاشم عن أحمد بن سليمان^(٣)] قال سألت رجلا أبا الحسن عليه السلام وهو في الطواف فقال له أخبرني عن الجواد فقال إن لكلامك وجهين فإن كنت تسأل عن المخلوق فإن الجواد الذي يؤدي ما افترض الله عز وجل عليه واليخيل من يخل بما افترض الله عليه وإن كنت تعني الخالق فهو الجواد إن أعطى وهو الجواد إن منع لأنه إن أعطى عبدا أعطاه ما ليس له وإن منع منع ما ليس له^(٤).
مع: [معاني الأخبار] أبي عن سعد عن البرقي عن أبيه عن أبي الجهم عن موسى بن بكر عن أحمد بن سلمة^(٥) مثله إلا أن فيه ما افترض الله عليه وإن كنت تسأل عن الخالق لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك وإن منعك منعك ما ليس لك^(٦).

بيان: لعل المراد أن المخلوق إنما يوصف باليخل إن منع لأنه لا يؤدي ما فرض الله عليه من حقوق الخلق وأما الله سبحانه فلا يوصف باليخل إن منع لأنه ليس لأحد حق على الله فالمراد بقوله إنه جواد أن مع أنه ليس ببخيل أو أنه جواد من حيث عطاياه الغير المتناهية الآخر وهذا المنع لا ينافي جوده لعدم لزومه عليه ويحتمل أن يكون المراد بقوله ما ليس له أخيرا غير ما هو المراد به أولا أي ما لا يستحق التفضل عليه به وليس صلاحه في إعطائه فجوده من جهة هذا المنع أيضا ثابت لأن إعطاء ما يضر السائل ليس بجود بل منعه عنه عين الجود.

١٧٣
٤

٢- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] [ماجيلويه عن علي بن إبراهيم عن المختار بن محمد بن المختار الهمداني عن الفتح بن يزيد الجرجاني عن أبي الحسن عليه السلام قال سمعته يقول في الله عز وجل هو اللطيف الخبير السميع البصير الواحد الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد منشئ الأشياء ومجسم الأجسام ومصور الصور لو كان كما يقولون لم يعرف الخالق من المخلوق ولا المنشئ من المنشئ فرق بين من جسمه وصورة وأنشأه إذ كان لا يشبهه شيء ولا يشبهه هو شيئا قلت أجل جعلني الله فداك لكنك قلت الأحد الصمد قلت لا يشبه شيئا والله واحد والإنسان واحد أليس قد تشابهت الوجدانية قال يا فتاح أحلت ثبتك الله إنما التشبيه في المعاني فأما في الأسماء فهي واحدة وهي دلالة على المسمى وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جثة واحدة وليس بآثنين فالإنسان نفسه ليس بواحد لأن أعضائه مختلفة وألوانه مختلفة كثيرة غير واحدة وهو أجزاء مجزأة ليست بسواء دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشره وسواده غير بياضه وكذلك سائر الخلق^(٧).

(١) وهو قول ابن عباس على ما رواه في المجمع ٦٨٨: ٣. (٢) وهو قول الضحاك على ما رواه في المجمع ٦٨٨: ٣.

(٣) أحمد بن سليمان. ذكره الشيخ في أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام «رجال الشيخ» ص ٣٤٤ رقم ٢٧.

(٤) الخصال: ٢٣ ب ٢ ح ٣٦. عيون أخبار الرضا ١: ١٢٩ ب ١١ ح ٤١.

(٥) قرينة رواية موسى بن بكر عنه. لا يبعد أن يكون ذلك تصحيف أحمد بن سليمان والله العالم.

(٦) معاني الأخبار: ٢٥٦ - ٢٥٧ ب ٢٨٧ ح ١.

(٧) في «أ»: وكذلك جميع الخلق، وفي العيون: وكذلك سائر جميع الخلق.



فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى والله جل جلاله واحد لا واحد غيره^(١) لا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ونقصان فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف من أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد. قلت جعلت فداك فرجت عني فرج الله عنك فقولك اللطيفُ الخبيرُ فسر له لي كما فسرت الواحد فإني أعلم أن لطفه على خلاف لطف خلقه للفضل غير أنني أحب أن تشرح ذلك لي.

فقال يا فتاح إنما قلنا اللطيف للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف وغير اللطيف وفي الخلق اللطيف من الحيوان الصغار من البعوض والجرجس وما هو أصغر منهما ما لا يكاد تستبينه العيون بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والحدث المولود من القديم فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب ومن الموت والجمع لما يصلحه مما في ليج البحار وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وفهم بعضها عن بعض منطقها وما يفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع خضرة وما لا تكاد عيوننا تستبينه بتمام خلقها ولا تراه عيوننا ولا تلمسه أيدينا علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف لطف في خلق ما سميانه بلا علاج ولا أداة ولا آلة وأن كل صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء^(٢) يد: [التوحيد] الدقاق عن محمد الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن بن بردة^(٣) عن العباس بن عمرو الفقيمي عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد العلوي^(٤) عن الفتح بن يزيد الجرجاني مثله مع زيادات وتغييرات أوردناه في باب جوامع التوحيد^(٥).

توضيح: أبو الحسن هو الرضا عليه السلام كما يظهر من الكليني^(٦) ويحتمل الهادي عليه السلام حيث عد الشيخ رحمه الله الفتح من أصحابه^(٧) والأول أظهر قوله عليه السلام مجسم الأجسام أي خالقها أو معطي ماهياتها على القول بجعلها قوله فرق إما فعل أو اسم أي الفرق حاصل بينه وبين من جسمه قوله عليه السلام أحلت أي أنبت بالمحال قوله عليه السلام إنما التشبيه في المعاني أي التشبيه الممنوع منه إنما هو تشبيه معنى حاصل فيه تعالى بمعنى حاصل للخلق لا محض إطلاق لفظ واحد عليه تعالى وعلى الخلق بمعنيين متغايرين أو المعنى أنه ليس لتشبيه في كنه الحقيقة والذات وإنما التشبيه في المفاهيم الكلية التي هي مدلولات الألفاظ وتصدق عليه تعالى كما مر تحقيقه.

قوله عليه السلام فأما في الأسماء فهي واحدة أي الأسماء التي تطلق عليه تعالى وعلى الخلق واحدة لكنها لا توجب التشابه إذ الأسماء دالة على السمييات وليست عينها حتى يلزم الاشتراك في حقيقة الذات والصفات ثم بين^(٨) عدم كون التشابه في المعنى في اشتراك لفظ الواحد بأن الوحدة في المخلوق هي الوحدة الشخصية التي تجتمع مع أنواع التكررات وليست إلا تألف أجزاء واجتماع أمور متكررة وحدته سبحانه هي نفي الكثرة والتجزؤ والتعدد عنه مطلقاً.

قوله عليه السلام فأما الإنسان يحتمل أن يكون كل من المخلوق والمصنوع والمؤلف والطرف خبراً وإن كان الأول أظهر قوله للفضل أي للفرق الظاهر بينه وبين خلقه قوله في لطفه أي مع لطف ذلك المخلوق أو بسبب لطفه تعالى قوله بتمام في بعض النسخ لدماة^(٩) بالهملة وهي الحفارة.

٣- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ن: [عيون أخبار الرضا عليه السلام] أبي عن أحمد بن إدريس عن الحسين بن عبيد

(١) هكذا في النسخ والعيون. وفي التوحيد: والله جل جلاله هو واحد في المعنى، لا واحد غيره.
(٢) التوحيد: ١٨٥ - ١٨٦ ب ٢٩ ح ١ وفيه: وإنشاءً وبينة أذا كان لا يشبهه شيء وكذا: والوانه مختلفة غير واحدة وكذا: وبياض مع حمرة عيون أخبار الرضا عليه السلام: ١٨٨ ب ١١ ح ٢٣ وفيه: وبياضها مع خضرة. أقول فيها معاً: ولا والنشئة من النشئة، لكنه النشئة. فرق بين من جسمه.
(٣) وفقاً للكاظمي فإن الصحيح هو الحسين بن الحسن بن بردة الدينوري حيث روى الأسدي عن البرمكي، عنه، وروى هو عن محمد بن علي، عن محمد بن عبد الله الخراساني خادم الرضا عليه السلام. [انظر الكافي: ١: ٧٨ ب ٢٤ ح ٣].
(٤) لعله هو من ذكره الشيخ في (الم) وقال: إبراهيم بن محمد بن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام الحسن العلوي الكوفي، روى عنه التلعكبري. [رجال الشيخ: ٤٤١ رقم ٢٧]. (٥) التوحيد: ٦٠ - ٦١ ب ٦١ ح ٢. ١٨.
(٦) ذكر الكليني الحديث دون أن يظهر منه شيء يساعد كلام المصنف - ره - «الكاظمي: ١: ١١٨ - ١٢٠ ب ٤٠ ح ١» ولو أنه رحمه الله ذكر الصدوق بدلاً من الكليني لكان أوفق للكلام فذكره في العيون يدل على روايته عن الرضا عليه السلام.
(٧) رجال الشيخ الطوسي: ٤٢٠ رقم ٢.
(٨) كذا في الكافي: ١: ١٢٠ ب ٤٠ ح ١.

الله^(١) عن محمد بن عبد الله^(٢) و موسى بن عمرو و الحسن بن علي بن أبي عثمان عن محمد بن سنان قال سألت أبا الحسن الرضا^(٣) هل كان الله عارفا بنفسه قبل أن يخلق الخلق قال نعم قلت يراها و يسمعها قال ما كان محتاجا إلى ذلك لأنه لم يكن يسألها و لا يطلب منها هو نفسه و نفسه هو قدرته نافذة فليس يحتاج إلى أن يسمى نفسه و لكنه اختار لنفسه أسماء لغيره يدعوها بها لأنه إذا لم يدع باسمه لم يعرف فأول ما اختار لنفسه العلي العظيم لأنه أعلى الأسماء كلها فمعناه الله و اسمه الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ و هو أول أسمائه لأنه علي عاقل شيء^(٤).

ج: [الاحتجاج] مرسلًا مثله^(٥).

٤-ن: [عيون أخبار الرضا^(٦)] ماجيلويه عن عمه عن أبي سمينة عن محمد بن عبد الله الخراساني قال دخل رجل من الزنادقة على الرضا^(٧) فقال في جملة ما سأله فأخبرني عن قولكم إنه لطيف و سميع و بصير و عليم و حكيم يكون السميع إلا بالأذن و البصير إلا بالعين و اللطيف إلا بعمل اليدين و الحكيم إلا بالصنعة فقال أبو الحسن^(٨) إن اللطيف منا على حد اتخاذ الصنعة أو ما رأيت الرجل يتخذ شيئا يلطف في اتخاذه فيقال ما أنطف فلانا فكيف لا يقال للخالق الجليل لطيف إذ خلق خلقا لطيفا و جليلا و ركب في الحيوان منه أرواحها و خلق كل جنس متبائنا من جنسه في الصورة و لا يشبه بعضه بعضا فكل له لطف من الخالق اللطيف الخبير في تركيب صورته ثم نظرنا إلى الأشجار و حملها أطايبها المأكولة منها و غير المأكولة فقلنا عند ذلك أن خالقنا لطيف لا كلطف خلقه في صنعته و قلنا إنه سميع لا يخفي عليه أصوات خلقه ما بين العرش إلى الثرى من الذرة إلى أكبر منها في برها و بحرها و لا تشبه عليه لغاتها فقلنا عند ذلك إنه سميع لا يأذن و قلنا إنه بصير لا يبصر لأنه يرى أثر الذرة السحماء^(٩) في الليلة الظلماء على الصخرة السوداء و يرى ديبب النمل في الليلة الدجّة و يرى مضارها و منافعها و أثر سقاداتها و فرائحها و نسلها فقلنا عند ذلك إنه بصير لا كبصر خلقه قال فما برح حتى أسلم^(١٠).

ج: [الاحتجاج] مرسلًا مثله^(١١).

٥-يد: [التوحيد:ن] [عيون أخبار الرضا^(١٢)] الدقاق عن الكليني عن علان عن محمد بن عيسى عن الحسين بن خالد عن أبي الحسن الرضا^(١٣) أنه قال اعلم علمك الله الخير أن الله تبارك و تعالى قديم و القدم صفة دلت العاقل على أنه لا شيء قبله و لا شيء معه في ديموميته فقد بان لنا بإقرار العامة معجزة الصفة^(١٤) أنه لا شيء قبل الله و لا شيء مع الله في بقائه و بطل قول من زعم أنه كان قبله شيء أو كان معه شيء في بقائه لم يجز أن يكون خالقا له لأنه لم يزل معه فكيف يكون خالقا لمن لم يزل معه و لو كان قبله شيء كان الأول ذلك الشيء لا هذا و كان الأول أولى بأن يكون خالقا للأول الثاني^(١٥) ثم وصف نفسه تبارك و تعالى بأسماء دعا الخلق إذ خلقهم و تعبدتهم و ابتلاهم إلى أن يدعوها بها فسمى نفسه سميعا بصيرا قادرا قاهرا حيا قيوما ظاهرا باطنا لطيفا خبيرا قويا عزيزا حكима عليما و ما أشبه هذه الأسماء فلما رأى ذلك من أسمائه الغالون المكذوبون و قد سمعونا نحدث عن الله أنه لا شيء مثله و لا شيء من الخلق في حاله قالوا أخبرونا^(١٦) إذ زعمتم أنه لا مثل لله و لا شبه له كيف شاركتموه في أسمائه الحسنی فتسميتهم بجميعها فإن في ذلك دليلا على أنكم مثله في حالاته كلها أو في بعضها دون بعض إذ قد جمعتكم الأسماء الطيبة قيل لهم إن الله تبارك و تعالى أزم العباد أسماء من أسمائه على اختلاف المعاني و ذلك كما يجمع الاسم الواحد معنيين مختلفين و الدليل على ذلك قول الناس الجائر عندهم السائح^(١٧) هو الذي خاطب الله عز و جل به الخلق فكلهم بما يعقلون ليكون عليهم حجة في تضيق ما ضيعوا و قد يقال للرجل كلب و حمار و ثور و سكرة و علقمة و أسد كل ذلك

(١) و في نسخة: الحسين بن عبدالله، و كذا في العيون و المعاني، و قد تقدم الكلام فيه.

(٢) في العيون: محمد بن عبدالله.

(٣) التوحيد: ١٩١ - ١٩٢ ب ١١ ح ٤ و فيه: لانه اعلى الاشياء كلها، معاني الاخبار: ٢ ب ٢ ح ٢ عيون الاخبار: ١١٨: ١١ ح ٢٤.

(٤) الاحتجاج: ٤١٠ - ٤١١ مع فارق يسير.

(٥) السحمة: السواد «لسان العرب ٦: ١٩٨».

(٦) عيون أخبار الرضا^(٦): ١٢٠: ١١ ب ٢٨ و فيه: و حملها أطايبها المأكولة فقلنا عند ذلك.

(٧) الاحتجاج: ٣٩٧ و فيه: أو ما رأيت أن الرجل اتخذ شيئا يلفظ في اتخاذه، و كذا: ثم نظر إلى الأشجار، و كذا، و يرى ديبب النمل في الليلة الدجّة والمؤدى واحد.

(٨) في التوحيد: مع معجزة الصفة.

(٩) كذا في التوحيد أيضا، و في العيون والكافي، و كان الاول اولي بان يكون خالقا للاول، و في «أ» و كان الاول اولي بان يكون خالقا للثاني

(١٠) و في «أ» اخبرنا.

(١١) و في التوحيد و الكافي: الجائر عندهم شائع.

على خلافه لأنه لم تقع الأسماء على معانيها التي كانت بنيت عليها لأن الإنسان ليس بأسد ولا كلب فافهم ذلك رحمك الله.

وإنما تسمى الله بالعالم لغير علم حادث علم به الأشياء واستعان به على حفظ ما يستقبل من أمره والروية فيما يخلق من خلقه ويفيه مما مضى^(١) مما أُنْشِئ من خلقه مما لو لم يحضره ذلك العلم ويغيبه^(٢) كان جاهلا ضعيفا كما أنا رأينا علماء الخلق إنما سموا بالعلم لعلم حادث إذ كانوا قبله جهلة وربما فارقهم العلم بالأشياء فصاروا إلى الجهل وإنما سمي الله عالما لأنه لا يجهل شيئا فقد جمع الخالق والمخلوق اسم العلم واختلف المعنى على ما رأيت وسمي ربنا سميا لا بجزء^(٣) فيه يسمع به الصوت لا يبصر به. كما أن جزءا الذي نسمع به لا تقوى على النظر به ولكنه عز وجل أخبر أنه لا تخفى عليه الأصوات ليس على حد ما سمينا به نحن فقد جمعنا الاسم بالسمع واختلف المعنى وهكذا البصير لا بجزء به أبصر كما أنا نبصر بجزء منا لا نتفقه به في غيره^(٤) ولكن الله بصير لا يجهل شخصا منظورا إليه فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وهو قائم ليس على معنى انتصاب وقيام على ساق في كيد كما قامت الأشياء ولكنه أخبر أنه قائم يخبر أنه حافظ كقول الرجل القائم بأمرنا فلان وهو عز وجل القائم على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ والقائم أيضا في كلام الناس الباقي والقائم أيضا يخبر عن الكفاية كقولك للرجل قم بأمر فلان أي اكفه والقائم منا قائم على ساق فقد جمعنا الاسم ولم يجمعنا المعنى.

وأما اللطيف فليس على قلة وقضاة وصغر ولكن ذلك على النفاذ في الأشياء والامتناع من أن يدرك كقولك لطف عني هذا الأمر ولطف فلان في مذهبه وقوله يخبرك أنه غمض فيهر العقل وفات الطلب وعاد متعمقا متلطفا^(٥) لا يدركه الوهم فهكذا لطف الله تبارك وتعالى عن أن يدرك بحد أو يحد بوصف والطاقة منا الصغر والقلة فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وأما الخبير فالذي لا يعزب عنه شيء ولا يفوته^(٦) ليس للتجربة ولا للاعتبار بالأشياء فتفيده التجربة^(٧) والاعتبار علما لولاها ما علم لأن من كان كذلك كان جاهلا والله لم يزل خبيرا بما يخلق والخبير من الناس المستخير عن جهل المتعلم وقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وأما الظاهر فليس من أجل أنه علا الأشياء بركوب فوقها وقعود عليها وتسمن لذراها ولكن ذلك لقهرو ولغلبته الأشياء وقدرته عليها^(٨) كقول الرجل ظهرت على أعدائي وأظهرني الله على خصمي يخبر عن الفلج والغلبة فهكذا ظهور الله على الأشياء وجه آخر أنه الظاهر لمن أراد لا يخفى عليه شيء وأنه مدبر لكل ما يرى^(٩) فأني ظاهر أظهر وأوضح أمرا من الله تبارك وتعالى فإنه لا تعدم صنعته حيثما توجهت وفيك من آثاره ما يغنيك والظاهر منا البارز بنفسه والمعلوم بحده فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى^(١٠).

وأما الباطن فليس على معنى الاستبطان للأشياء بأن يغور فيها ولكن ذلك منه على استبطانه للأشياء علما وحفظا وتديرا كقول القائل أبطنته يعني خبرته وعلمت مكتوم سره والباطن منا بمعنى الغائر في الشيء المستتر فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وأما القاهر فإنه ليس على علاج ونصب واحتيال ومدارة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضا فالمقهور منهم يعود قاهرا والقاهر يعود مقهورا ولكن ذلك من الله تبارك وتعالى على أن جميع ما خلق متلبس به^(١١) الدل لفاعله وقلة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين غير أنه يقول له كن فيكون فالقاهر منا على ما ذكرت وصفت فقد جمعنا الاسم واختلف المعنى وهكذا جميع الأسماء وإن كنا لم نسمها كلها فقد تكفي للاعتبار^(١٢) بما ألقينا إليك والله عوننا وعونك في إرشادنا وتوفيقنا.^(١٣)

(١) في التوحيد: وبهينه ما مضى، وفي الكافي: يفسد ما مضى، وفي العيون: وتنفية ما مضى.

(٢) في التوحيد: بعنه.

(٣) في «أ»: أنا نبصر بجزء منها لا ينتفع به في غيره.

(٤) في «أ»: أنا نبصر بجزء منها لا ينتفع به في غيره.

(٥) في العيون متطلقا.

(٦) في التوحيد: فيفيده التجربة، وفي الكافي: فعند التجربة.

(٧) في «أ»: والعيون: ولكن ذلك لقهرو ولغلبة الأشياء وقدرته عليها وفي التوحيد: قدرته عليها.

(٨) في التوحيد: والكافي: لكل ما برا.

(٩) في التوحيد: جميع ما خلق متلبس به في العيون: جميع ما يخلق متلبس به وفي الكافي: جميع ما خلق متلبس.

(١٠) في الكافي والعيون: فقد يكفي الاعتبار وفي التوحيد: فقد يكفي للاعتبار.

ج: الإحتجاج | مرسل من قوله إنما نسمي الله تعالى بالعالم إلى قوله والباطن منا الغائر في الشيء المستتر فيه قد جمعنا الاسم و اختلف المعنى قال وهكذا جميع الأسماء^(١٤) وإن كنا لم نسمها كلها.

توضيح: الإقرار إما من أقر بالحق إذا اعترف به أو من أقر الحق في مكانه فاستقر هو فقوله ﷺ معجزة الصفة على الأول منصوب بنزع الخافض وعلى الثاني منصوب على المفعولية والمعجزة اسم فاعل من أعجزته بمعنى وجدته عاجزا أو جعلته عاجزا أو من أعجزه الشيء بمعنى فاته وإضافتها إلى الصفة والمراد بها القدم من إضافة الصفة إلى الموصوف وإنا وصفها بالإعجاز لأنها تجدهم أو تجعلهم لنباهة شأنها عاجزين عن إدراكهم كنهها أو عن انتصافهم بها أو عن إنكارهم لها أو لأنها تفوتهم وهم فاقدون لها ويحتمل أن تكون المعجزة مصدر عجز عن الشيء عجزا أو معجزة بفتح الميم وكسر الجيم وفتحها أي إقرارهم بعجزهم عن الانتصاف بتلك الصفة ويمكن أن يقرأ على بناء المفعول بأن يكون حالا عن العامة أو صفة لها أي بإقرارهم موصوفين بالعجز عن ترك الإقرار أو الحال أن صفة القدم أعجزتهم وألجأهم إلى الإقرار فالمقر به والمبين شيء واحد وهو قوله إنه لا شيء قبل الله قال بعض الأفاضل المراد بقوله إقرار العامة إذعانهم أو الإثبات وعلى الأول متعلق بالإذعان إما معجزة الصفة بحذف الصلة أو محذوف أي إقرار العامة بأنه خالق كل شيء ومعجزة الصفة صفة للإقرار أو بدل عنه أي إقرار العامة بأنه خالق كل شيء معجزة الصفة أي صفة الخالقية لكل شيء أو صفة القدم لا يسع أحدا أن ينكره وأما على الثاني فمعجزة الصفة مفعول الإقرار أو صفة للإقرار أو بدل عنه والمفعول محذوف وعلى تقدير كونه مفعولا فمعجزة الصفة من إضافة الصفة إلى الموصوف أي الصفة التي هي معجزة لهم عن أن لا يثبتوا له خالقية كل شيء أو المعجزة بمعناه المتعارف والإضافة لامية أي إثباتهم الخالقية للكل معجزة هذه الصفة حيث لا يسعهم أن ينكروها وإن أرادوا الإنكار ويحتمل أن يكون معجزة الصفة فاعل بأن ويكون قوله إنه لا شيء قبل الله بيانا أو بدلا لمعجزة الصفة انتهى^(١٥)

أقول: لا يخفى أنه يدل على أنه لا قديم سوى الله وعلى أن التأثير لا يعقل إلا في الحادث وأن القدم مستلزم لوجوب الوجود.

قوله ﷺ ثم وصف أي سمي نفسه بأسماء بالتثنية دعاء الخلق بالنصب أي لدعائهم ويحتمل إضافة الأسماء إلى الدعاء والأظهر أنه على صيغة الفعل وقوله إلى أن يدعو متعلق به أو بالابتلاء أيضا على التنازع لكن في أكثر نسخ الكليني مهموز^(١٦) قوله ﷺ وابتلاهم أي بالمصائب والحوادث وألجأهم إلى أن يدعو بتلك الأسماء قوله ﷺ والدليل على ذلك أي على إطلاق اللفظ الواحد على المعنيين المختلفين والقول السائغ هو ما فسره ﷺ بقوله وقد يقال والعلم شجر مر ويقال للحفظ ولكل شيء مر علم قوله ﷺ على خلافه أي على خلاف موضوعه الأصلي قوله ﷺ و يقنيه مما مضى كذا في بعض نسخ الكتائب فهو عطف على يخلق وفي بعض نسخ نقيته ما مضى أي إفتاؤها وفي بعض نسخ يد تقفيه ما مضى مما أفنى أي جعل بعض ما يفنى في قفاء ما مضى أي يكون مستحضرا لما مضى مما أعدمه سابقا حتى يفنى ما يفنى بعده على طريقته وعلى التقديرين معطوف على الموصول قوله ﷺ لا يجزء في في^(١٧) لا يخرت في المواضع.

وهو بالفتح والضم الثقب في الأذن وغيرها والكبد بالتحريك المشقة والتعب والقضاضة بالفاء والضاد المعجزة ثم الفاء الدقة والنحافة. قوله ﷺ فبهر العقل أي غلبه فلا يصل العقل إليه ويمكن أن يقرأ على البناء المجهول^(١٨) وفي في فيه العقل وفات الطلب أي وفات ذلك الشيء عن الطلب فلا يدركه الطلب أو وفات عن العقل الطلب فلا يمكنه طلبه ويحتمل على هذا أن يكون الطلب بمعنى

(١٣) التوحيد: ١٨٦ - ١٩٠ ب ٢٩ ح ٢. عيون أخبار الرضا: ١٣٣: ١ - ١٣٥ ب ١١ ح ٥٠.
(١٤) في «هـ»: وهكذا جميع الأشياء. (١٥) الإحتجاج: ٣٩٧ مع فروقات.
(١٦) الكافي ١: ١٢٠ - ١٢٣ ب ٤٠ ح ٢.
(١٧) المقصود كتاب الكافي.
(١٨) وفي نسخة: على البناء للمفعول.

المطلوب وعاد أي العقل أو الوهم على التنازع أو ذلك الشيء فالمراد أنه صار ذا عمق ولطافة ودقة لا يدركه الوهم لبعده عمقه وغاية دقته وسنم كل شيء أعلاه ومنه تسمة أي غلاه والذري بضم الذال المعجمة وكسرها جمع الذروة بهما وهي أيضا أعلى الشيء.

قوله ﷺ لا يخفى عليه شيء، يحتمل إرجاع الضمير المجزوء إلى الموصول أي لا يخفى على من أراد معرفة شيء من أموره من وجوده وعلمه وقدرته وحكمته وعلى تقدير إرجاعه إليه تعالى لعله ذكر استطرادا أو إنما ذكر لأنه مؤيد لكونه مدبرا لكل شيء أو لأنه مسبب عن عليه كل شيء أو لأن ظهوره لكل شيء وظهور كل شيء له مسببان عن تجرده تعالى ويحتمل أن يكون وجه آخر لإطلاق الظاهر عليه تعالى لأن في المخلوقين لما كان المطلع على شيء حاضرا عنده ظاهرا له جاز أن يعبر عن هذا المعنى بالظهور والعلاج العمل والمزاولة بالجوارح.

٦- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] أبي عن ابن عيسى وسلمة بن الخطاب^(١) عن القاسم^(٢) عن جده عن أبي الحسن موسى ﷺ قال سئل عن معنى الله عز وجل فقال استولى على ما دق وجل^(٣).

١٨٢
٤

بيان: لعله من باب تفسير الشيء بلازمه فإن معنى الإلهية يلزمه الاستيلاء على جميع الأشياء دقيقتها وجليها وقيل السؤال إنما كان عن مفهوم الاسم ومناطه فأجاب ﷺ بأن الاستيلاء على جميع الأشياء مناط المعبودية بالحق لكل شيء.

٧- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] المفسر بإسناده إلى أبي محمد ﷺ قال الله هو الذي يتأله إليه عند الحوائج والشدائد كل مخلوق عند انتطاق الرجاء من كل من دونه وتقطع الأسباب من جميع من سواه^(٤). أقول: تمامه في كتاب القرآن في تفسير سورة الفاتحة.

٨- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن ابن أذينة عن محمد بن حكيم عن ميمون البان قال سمعت أبا عبد الله ﷺ وقد سئل عن قوله جل وعز ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾^(٥) فقال الأول لا عن أول قبله ولا عن بدء سبقه وآخر لا عن نهاية كما يعقل من صفات المخلوقين ولكن قديم أول آخر لم يزل ولا يزال بلا بدء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال خالق كل شيء^(٦).

٩- يد: [التوحيد] ابن إدريس عن أبيه عن محمد بن عبد الجبار عن صفوان بن يحيى عن فضيل بن عثمان عن ابن أبي يعفور قال سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجل ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ وقلت أما الأول فقد عرفناه وأما الآخر فبين لنا تفسيره فقال إنه ليس شيء إلا يبيد أو يتغير أو يدخله التغير والزوال أو ينتقل من لون إلى لون ومن هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان إلى زيادة إلا رب العالمين فإنه لم يزل ولا يزال واحدا هو الأول قبل كل شيء وهو الآخر على ما لم يزل لا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون ترابا مرة ومررة لحما ومررة دما ومررة رفاتا ورميما وكالتمر الذي يكون مرة بلحا ومررة بسرا ومررة رطبا ومررة تمرا فيتبدل عليه الأسماء والصفات والله عز وجل بخلاف ذلك^(٧).

١٨٣
٤

بيان: يبيد أي يهلك والرفات المتكسر من الأشياء اليابسة والرميم ما بلي من العظام والبلح محرقة ما بين الخلال والبسر قال الجوهري البلح قبل البسر لأن أول التمر طلع ثم خلال ثم بلح ثم رطب^(٨).

أقول: الغرض أن دوام الجنة والنار وأهلها وغيرها لا يتناهي آخريته تعالى واختصاصها به فإن هذه الأشياء دائما في التغير والتبدل وفي معرض الفناء والزوال وهو تعالى باق من حيث الذات والصفات أزلا وأبدا من حيث لا يلحقه تغير أصلا فكل شيء هالك وفان إلا وجهه تعالى.

(١) في التوحيد: أبي، عن سعد، عن سلمة بن الخطاب، وفي المعاني: أبي، عن سعيد، عن ابن عيسى. وليس فيه سلمة بن الخطاب.

(٢) هم القاسم بن يحيى بن الحسن بن راشد.

(٣) التوحيد: ٢٣٠ - ٢٣١ ب ٣١ ح ٥ تفارق سير معاني الأخبار: ٤ ب ٥ ح ١.

(٤) التوحيد: ٢٣٠ - ٢٣١ ب ٣١ ح ٥ تفارق سير معاني الأخبار: ٤ ب ٥ ح ١.

(٥) الحديد: ٣.

(٦) التوحيد: ٣١٣ ب ٤٧ ح ١ معاني الأخبار: ١٢ ب ١٢ ح ١.

(٧) التوحيد: ٣١٤ ب ٤٧ ح ٢.

(٨) الصحاح: ٣٥٦.

١٠-م: [تفسير الإمام عليه السلام] «الرَّحْمَنُ» قال الإمام عليه السلام الرحمن العاطف على خلقه بالرزق لا يقطع عنهم مواد رزقه و إن انقطعوا عن إطاعته الرحيم بعباده المؤمنين في تخفيفه عليهم طاعاته و بعباده الكافرين في الرزق لهم و في دعائهم إلى موافقته^(١) و قال أمير المؤمنين عليه السلام رحيم بعباده المؤمنين و من رحمته أنه خلق مائة رحمة جعل منها رحمة واحدة في الخلق كلهم فيها يتراحم الناس و ترحم الوالدة ولدها و تحنو الأمهات من الحيوانات على أولادها فإذا كان يوم القيامة أضاف هذه الرحمة الواحدة إلى تسع و تسعين رحمة فيرحم بها أمة محمد عليه السلام ثم يشفعهم فيمن يحبون له الشفاعة من أهل الملة تمام الخير^(٢)

١١-فس: [تفسير القمي] قوله «وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبَّنَا»^(٣) قال هو شيء قالته الجن بجهالة فلم يرضه الله تعالى منهم و معنى جد ربنا أي بخت ربنا^(٤)

١٢-ل: [الخصال] في خبر الأعمش عن الصادق عليه السلام يقال في افتتاح الصلاة تعالى عرشك و لا يقال تعالى جدك^(٥) أقول: قد مضى بعض الأخبار المناسبة للباب في باب إثبات الصانع و سيأتي بعضها في باب الجوامع.

باب ٣ عدد أسماء الله تعالى و فضل إحصائها و شرحها

الآيات:

- الفتاححة: «إِلَى مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» ٤.
البقرة: «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» ٢٩.
و قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ١٧٢ و ١٨٢ و ١٩٩ و ٢٢٦.
و قال «وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ» ٢٠٢.
و قال تعالى «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» ١٩٦.
و قال تعالى «وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ» ٢٠٧.
و قال تعالى «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٢٠٩.
و قال تعالى «فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» ٢١١.
و قال تعالى «وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ٢١٨.
و قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٢٢٠.
و قال تعالى «وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ٢٢٤ و ٢٥٦.
و قال تعالى «وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» ٢٢٥.
و قال تعالى «فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ» ١٩٢.
و قال تعالى «فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» ٢٢٧.
و قال تعالى «وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» ٢٢٨ و ٢٤٠.
و قال تعالى «وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» ٢٣٣.

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ٣٤ ح ١٢ و فيه: و بعبادة الكافرين في الرفق بهم.

(٢) الجن: ٣.

(٣) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام ٣٧ ح ١٣.

(٤) التفسير القمي ٣٧٨: ٢.

(٥) الخصال: ٦٠٤ ب ٢٦ ح ٩.

و قال ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ٢٣٤ و ٢٧١.

و قال تعالى ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ ٢٣٥.

و قال ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٤٤.

و قال ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ (في مواضع) ٢٤٧ و ٢٥٦ و ٢٦١ و ٢٦٨.

و قال ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ ٢٥٥.

و قال ﴿رَبَّنَا﴾ (في مواضع): ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٥٠، ٢٨٥.

و قال تعالى ﴿إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ٢٥٥.

و قال ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ ٢٦٣.

و قال ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ٢٦٧.

و قال ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ٢٨٤.

آل عمران: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ ٨.

النساء: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ ١.

و قال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ٦.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ ١٦.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا﴾ ٣٤.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا غَفُورًا﴾ ٤٣.

و قال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾ ٤٥.

و قال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ ٧٩.

و قال ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٨١.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ ٨٥.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾ ٨٦.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ ١٣٠.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ ١٤٧.

الأعراف: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِمِينَ﴾ ٨٧.

و قال ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾ ٨٩.

و قال تعالى ﴿وَاللَّهُ الْأَشْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

١٨٠.

الأنفال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ ٤٩.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٥٢.

يونس: ﴿وَهُوَ خَيْرُ الْخَاكِمِينَ﴾ ١٠٩.

هود: ﴿مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ ١.

يوسف: ﴿الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ ٣٩.

و قال ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ ٦٤.

الرعد: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١٣.

الأسرى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ ١١٠.

طه: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾ ١١٤.

الحج: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ ٤٠.

النور: ﴿وَيُغْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ ٢٥.

و قال تعالى ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ٣٢.

الأحزاب: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ٣٤.

فاطر: ﴿إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ ٣٠.

الفتح: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٧.

الحجرات: ﴿إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ ١٢.

الذاريات: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ ٥٨.

الرحمن: ﴿ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ ٢٧.

المجادلة: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ﴾ ٢.

الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ غَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَكَبِّرُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٢ - ٢٤.

الجمعة: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ١١.

١٨٦
ع

١- يد: [التوحيد] القطان عن ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن أبي الحسن العبدى عن سليمان بن مهران^(١) عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب^(٢) قال قال رسول الله ﷺ إن لله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدة من أحصاها دخل الجنة و هي الله الإله الواحد الأحد الصمد الأول الآخر السميع البصير التقدير القاهر العلي الأعلى الباقي البديع الباري الأكرم الظاهر الباطن الحي الحكيم العليم الحليم الحفيظ الحق الحسيب الحميد الحفي الرب الرحمن الرحيم الذارئ الرازق الرقيب الرؤف الرائي السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُتَكَبِّرُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ السيد السبوح الشهيد الصادق الصانع الطاهر العدل العفو الغفور الغني الغياث الفاطر الفرد الفتاح الفائق القديم الملك القدوس القوي القريب القيوم القابض الباسط قاضي الحاجات المجيد المولى المنان المحييط المبين المسقيت المصور الكريم الكبير الكافي كاشف الضر الوتر النور الوهاب الناصر الواسع الدود الهادي الوفي الوكيل الوارث البر الباعث التواب الجليل الجواد الخبير الخالق خير الناصرين الديان الشكور العظيم اللطيف الشافي^(٣).

١٨٧
ع

ل: [الخصال] بالإسناد المذكور مثله و قال فيه و قد رويت هذا الخبر من طرق مختلفة و ألفاظ مختلفة^(٤).

٢- يد: [التوحيد] الهمداني عن علي عن أبيه عن الهروي عن علي بن موسى الرضا عن أبيه عن أبيه عن علي^(٥) قال قال رسول الله ﷺ إن لله عز و جل تسعة و تسعين اسما من دعا الله بها استجاب له و من أحصاها دخل الجنة^(٦). قال الصدوق رحمه الله معنى قول النبي ﷺ لله تبارك و تعالى تسعة و تسعون اسما من أحصاها دخل الجنة

(١) سليمان بن مهران، ذكر الشيخ في أصحاب الصادق ﷺ، قال: سليمان بن مهران، أبو محمد الاسدي، مولاهم الاعمش الكوفي، «رجال الشيخ» ٢٠٦ رقم ٧٢، «أورده ابن داود في القسم الاول من رجاله (غير الضعفاء) و نقل كلام الشيخ اعلاه، و قال: مهمل «رجال ابن داود: ١٧٧ في ١ رقم ٧١٨».

و هو مترجم في كتاب اهل السنة موثق لديهم، قال الذهبي: سليمان بن مهران الكاهلي الكوفي الاعمش، أبو محمد، أحد الأئمة الثقات عداده في صفات التابعين، ما تقوا عليه إلا التدليس. و نقل عن جرير بن عبد الحميد قوله: سمعت مغيرة يقول: اهلك اهل الكوفة أبو اسحاق و اعيشكم هذا، كانته الرواية عن جابر، و إلا فالاعمش عدل صادق ثبت، صاحب سنة و قرآن يحسن الظن بمن يحدثه، و يروى عنه، و لا يمكن أن تنقطع عليه بأنه علم ضعف ذلك الذي يدلسه فان هذا حرام مات سنة ١٤٨ هـ (ميزان الاعتدال ٢: ٢٢٤ رقم ٣٥١٧).

(٢) التوحيد: ١٩٤ - ١٩٥ ب ٢١ ح ٨. (٣) الخصال: ٥٩٣ ب ٢٥ ح ٤ و لا يوجد فيه اسم: الراثي.

(٤) التوحيد: ١٩٥ ب ٢٩ ح ٩.

إحصاؤها هو الإحاطة بها والوقوف على معانيها وليس معنى الإحصاء عدها وبالله التوفيق.

«الله والإله» الله والإله المستحق للعبادة ولا تحق العبادة إلا له وتقول لم يزل إلها بمعنى أنه يحق له العبادة ولهذا لما ضل المشركون فقدروا أن العبادة تجب للأصنام^(١) سموها آلهة وأصله الآلهة^(٢) وهي العبادة ويقال أصله الإله يقال ألّه الرجل يألّه إليه أي فرّغ إليه من أمر نزل به وألّه أي أجاره ومثاله من الكلام الإمام فاجتمعت همزتان في كلمة كثر استعمالهم لها فاستقلوها فحذفوا الأصلية لأنهم وجدوا فيما بقي دلالة عليها فاجتمعت لأمان أولهما ساكنة فأدغموها في الأخرى فصارت لاما مثقلة في قولك الله.

«الأحد الواحد» الأحد معناه أنه واحد في ذاته ليس بذي أبعاد ولا أجزاء ولا أعضاء ولا يجوز عليه الإعداد والاختلاف لأن اختلاف الأشياء من آيات وحدانيته مما دل به على نفسه ويقال لم يزل الله واحدا ومعنى ثان أنه واحد لا نظير له ولا يشاركه في معنى الوحدانية غيره لأن كل من كان له نظراء أو أشباه لم يكن واحدا في الحقيقة ويقال فلان واحد الناس أي لا نظير له فيما يوصف به والله واحد لا من عدد لأنه عز وجل لا يعد في الأجناس ولكنه واحد ليس له نظير وقال بعض الحكماء في الواحد والأحد إنما قيل الواحد لأنه متوحد والأول لا ثاني له^(٣) ثم ابتدع الخلق كلهم محتاجا بعضهم إلى بعض والواحد من العدد في الحساب ليس قبله شيء بل هو قبل كل عدد والواحد كيف ما أردته^(٤) أو جزأته لم يزد فيه شيء ولم ينقص منه شيء وتقول واحد في واحد فلم يزد عليه شيء ولم يتغير اللفظ عن الواحد فدل أنه لا شيء قبله وإذا دل أنه لا شيء قبله دل أنه محدث الشيء وإذا كان هو مفني الشيء دل أنه لا شيء بعده^(٥) فإذا لم يكن قبله شيء ولا بعده شيء فهو المتوحد بالأزل فلذلك قيل واحد أحد وفي الأحد خصوصية ليست في الواحد تقول ليس في الدار واحد يجوز أن واحدا من الدواب أو الطير أو الوحوش أو الإنس لا يكون في الدار وكان الواحد بعض الناس وغير الناس وإذا قلت ليس في الدار أحد فهو مخصوص للآدميين دون سائرهم والأحد ممتنع من الدخول في الضرب والعدد والقسمة وفي شيء من الحساب وهو متفرد بالأحادية والواحد متقاد للعدد والقسمة وغيرها داخل في الحساب تقول واحد واثنان وثلاثة فهذا العدد والقسمة والواحد^(٦) علة العدد وهو خارج من العدد وليس بعدد وتقول واحد في اثنين أو ثلاثة فما فوقها وتقول في القسمة واحد بين اثنين أو ثلاثة لكل واحد من الاثنين واحد ونصف^(٧) ومن الثلاثة ثلث فهذه القسمة والأحد ممتنع في هذه كلها لا يقال أحد واثنان ولا أحد في أحد^(٨) ولا يقال أحد بين اثنين والأحد والواحد وغيرهما من هذه الألفاظ كلها مشتقة من الوحدة.

«الصمد» معناه السيد ومن ذهب إلى هذا المعنى جاز له أن يقول له لم يزل صمدا ويقال للسيد المطاع في قومه الذي لا يقضون أمرا دونه صمد وقد قال الشاعر:

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأتى السيد الصمد

وللصمد معنى ثان وهو أنه المصمود إليه في الحوائج يقال صمدت صمدا هذا الأمر أي قصدت قصده ومن ذهب إلى هذا المعنى لم يجز له أن يقول لم يزل صمدا. لأنه قد وصفه عز وجل بصفة من صفات فعله وهو مصيب أيضا والصمد الذي ليس بجسم ولا جوف له.

أقول: وقد أخرجت في معنى الصمد في تفسير «قل هو الله أحد»^(٩) في هذا الكتاب معاني أخرى لم أحب إعادتها في هذا الباب.

(١) وفي نسخة: فقد راوا أن العبادة تجب للأصنام.

(٢) في المصدر: واصله الآلاهة.

(٣) وفي نسخة: لا ثاني معه.

(٤) كذا في «أ» والمصدر: واما في «ط» اردته.

(٥) في المصدر: فدل على أنه لا شيء قبله، وإذا دل على أنه لا شيء قبله دل على أنه محدث الشيء، وإذا كان هو محدث الشيء دل أنه مفني الشيء، وإذا كان هو مفني الشيء دل على أنه لا شيء بعده.

(٦) في المصدر: فهذا العدد والواحد.

(٧) في المصدر: وتقول واحد في اثنين أو ثلاثة فيما فوقها، فهذا الضرب، وتقول واحد بين اثنين أو ثلاثة لكل واحد من الاثنين نصف.

(٨) في المصدر: لا يقال: أحد واثنان، ولا أحد في أحد ولا واحد في أحد.

(٩) الأخلاص: ٨.

«الأول والآخر» الأول والآخر معناهما أنه الأول بغير ابتداء والآخر بغير انتهاء.

«السميع» السميع معناه إذا وجد المسموع كان له سامعا ومعنى ثان أنه سميع الدعاء أي مجيب الدعاء وأما السامع فإنه يتعدى إلى مسموع ويوجب وجوده ولا يجوز فيه بهذا المعنى لم يزل والبارئ عز وجل سميع لذاته. «البصير» البصير معناه إذا كانت المبصرات كان لها مبصرا فلذلك جاز أن يقال لم يزل بصيرا ولم يجز أن يقال لم يزل مبصرا لأنه يتعدى إلى مبصر ويوجب وجوده والبصارة في اللغة مصدر البصيرة وبصر بصارة والله عز وجل بصير لذاته وليس وصفنا له تبارك وتعالى بأنه سميع بصير وصفا بأنه عالم بل معناه ما قدمناه من كونه مدركا وهذه الصفة صفة كل حي لا آفة به.

بيان: أي ليس السمع والبصر مطلق العلم بل العلم بالجزئيات المخصوصة أو نوع خاص من العلم وقد مر تحقيقه.

«التقدير والقاهر» التقدير والقاهر معناهما أن الأشياء لا تطيق الامتناع منه ومما يريد الإنفاذ فيها وقد قيل إن القادر من يصح منه الفعل إذا لم يكن في حكم الممنوع والقهر الغلبة والقدرة مصدر قولك قدر قدرة أي ملك فهو تقدير قادر مقتدر وقدرته على ما لم يوجد واقتداره على إيجادها هو قهره وملكه لها^(١) وقد قال عز ذكره «مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ» ويوم الدين لم يوجد بعد ويقال إنه عز وجل قاهر لم يزل ومعناه أن الأشياء لا تطيق الامتناع منه ومما يريد إنفاذه فيها ولم يزل مقتدرا عليها ولم تكن موجودة كما يقال مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ ويوم الدين لم يوجد. «العلي» العلي معناه القاهر فالله العلي ذو العلا والتعالى أي ذو القدرة والقهر واقتدار يقال علا الملك علوا ويقال لكل شيء علا قد علا علوا وعلا يعلى علاء والمعلقة مكسب الشرف^(٢) وهي من المعالي وعلو كل شيء أعلاه برفع العين وخفضها وفلان من عليه الناس وهو اسم ومعنى الارتفاع والصعود والهبوط عن الله تبارك وتعالى منفي ومعنى ثان أنه على تعالى عن الأشباه والأنداد وعما خاضت فيه وساس الجبال وترامت إليه فكر الضلال فهو علي متعال عما يقول الظالمون علوا كبيرا.

وأما «الأعلى» فعنائه العلي القاهر ويؤيده قوله عز وجل لموسى على نبينا وآله وعليه السلام ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَىٰ﴾^(٣) أي الغالب^(٤) وقوله عز وجل في تحريض المؤمنين على القتال ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٥) وقوله عز وجل ﴿إِنْ فِرْعَوْنُ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾^(٦) أي غلبهم واستولى عليهم وقد قال الشاعر في هذا المعنى.

فلما علونا واستوتينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

ومعنى ثان أنه متعال عن الأشباه والأنداد أي متنزه كما قال ﴿تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٧)

بيان: الكاسر العقاب.

«الباقى» الباقي معناه الكائن بغير حدوث ولا فناء والبقاء ضد الفناء بقي الشيء بقاء ويقال ما بقيت منهم باقية ولا وقتهم من الله واقية والدائم في صفاته هو الباقي أيضا الذي لا يبيد ولا يفتنى.

«البديع» البديع مبدع البدائع ومحدث الأشياء على غير مثال واحتذاء وهو فاعل بمعنى مفعول كقوله عز وجل ﴿عَذَابُ الْيَمِّ﴾^(٨) والمعنى مؤلم وتقول العرب ضرب وجيع والمعنى موجع وقال الشاعر في هذا المعنى.

أمن ريحانة الداعي السميع يسؤرقتني وأصحابي هجوع

فالمعنى الداعي المسمع والبدع الشيء الذي يكون أولا في كل أمر ومنه قوله عز وجل ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ﴾^(٩) أي لست بأول مرسل والبدعة اسم ما ابتدع من الدين وغيره وقال الشاعر في هذا المعنى.

(١) ظ: و ملكه له.

(٢) في المصدر: مكسب الشرف.

(٣) في المصدر: أي القاهر.

(٤) القصص: ٤.

(٥) الحشر: ١٥.

(٦) طه: ٦٨.

(٧) آل عمران: ١٣٩.

(٨) يونس: ١٨.

(٩) الاحقاف: ٩.

و كفاك لم تخلفا للندى
فكف عن الخير مقبوضة
وأخرى ثلاثة آلائها
و يقال لقد جئت بأمر يدع أي مبدع عجب.^(١)
و لم يك بـخلهما بدعة
كما حط عن مائة سبعة
و تسع مائتها لها شرعة

بيان: ربحانة اسم المعشوقة و الأرق بالتحريك السهر و أرقني كذا تأريفا أي أسهرني أي أذهب عني النوم الداعي للمسح من قبل ربحانة و الحال أن أصحابي نيام و الأبيات الآخر هجو لرجل يوصفه بغاية البخل و الذي خطر بالبال أن هذا مبني على حساب العقود و غرضه أن كفيه مقبوضتان و قوله فكف يريد بها اليمنى و إذا حط عن مائة سبعة كان ثلاثة و تسعين و علامة الثلاثة في العقود عقد الخصر و البنصر و الوسطى من اليمنى و علامة التسعين وضع ظفر السبابة على مفصل العقدة الثانية من الإبهام منها فهذا وصف كون جميع أصابع كفه اليمنى معقودة و قوله و أخرى إشارة إلى كفه اليسرى و عقد الثلاثة المذكورة أولا من اليسرى موضوعة لثلاثة آلاف و ما كان للتسعين في اليمنى فهي بعينها لتسع مائة في اليسرى فهذا بين كون أصابع كفه اليسرى أيضا كلها معقودة و قوله لها شرعة أي طريقة و عادة فافهم و كن من الشاكرين.

«البارئ» البارئ معناه أنه بارئ البرايا أي خالق الخلاق برأهم يبرؤهم أي خلقهم يخلقهم و البرئة^(٢) الخليفة و أكثر العرب على ترك همزها و هي فعيلة بمعنى مفعولة و قال بعضهم بل هي مأخوذة من برئت العود و منهم من يزعم أنه من البرى و هو التراب أي خلقهم من التراب و قالوا لذلك لا يهزم.

«الأكرم» الأكرم معناه الكريم و قد يجيء أفعل في معنى الفعيل مثل قوله عز و جل ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٣) أي هين عليه و مثل قوله تعالى ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾^(٤) و قوله ﴿وَسَيَجْزِيَنَهَا أَتَقَى﴾^(٥) يعني بالأشقى و الأتقى الشقى و التقى و قد قال الشاعر في هذا المعنى.

أن الذي سمك السماء بنا لنا
بيتا دعائمه أعز و أطول

«الظاهر» الظاهر معناه أنه الظاهر بآياته التي أظهرها من شواهد قدرته و آثار حكمته و بينات حجته التي عجز الخلق عن إبداع^(٦) أصغرها و إنشاء أسرها و أحقرها عندهم كما قال الله عز و جل ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ﴾^(٧) فليس شيء من خلقه إلا و هو شاهد له على وحدانيته من جميع جهاته و أعرض تبارك و تعالى عن وصف ذاته فهو ظاهر بآياته محتجب بذاته^(٨) و معنى ثان أنه ظاهر غالب قادر على ما يشاء و منه قوله عز و جل ﴿فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾^(٩) أي غالبين لهم.

«الباطن» الباطن معناه أنه قد بطن عن الأوهام فهو باطن بلا إحاطة لا يحيط به محيط لأنه قدم الفكر فحبت عنه و سبق العلوم^(١٠) فلم تحط به و فات الأوهام فلم تكنه و حارت عنه الأبصار فلم تدركه فهو باطن كل باطن و محتجب كل محتجب بطن بالذات و ظهر و علا بالآيات فهو الباطن بلا حجاب و الظاهر بلا اقتراب و معنى ثان أنه باطن كل شيء أي خبير بصير بما يسرون و ما يعلنون و بكل ما ذرا و بطانة الرجل وليجته من القوم الذين يداخلهم و يداخلونه في دخلة أمره و المعنى أنه عز و جل عالم بسرائرهم لا أنه عز و جل يبطن في شيء يواريه.

«الحي» الحي معناه أنه الفعال المدبر و هو حي لنفسه لا يجوز عليه الموت و الفناء و ليس يحتاج إلى حياة بها يحيا.^(١١)

(١) في المصدر: مبتدع عجب.

(٢) في «أ» و المصدر: والبرية، و معنا من تبيينها رغم صحتها تكلمة كلامه - ره -

(٣) الليل: ١٥ - ١٧.

(٤) الروم: ٢٧.

(٥) الليل: ١٥ - ١٧.

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) الص: ١٤.

(٨) في «أ»: و ليس يحتاج إلى حياة يحيى.

(٩) في المصدر: التي عجز الخلق جميعا عن إبداع.

(١٠) في المصدر: فهو ظاهر بآياته و شواهد قدرته محتجب بذاته.

(١١) في المصدر: و سبق المعلوم.

«الحكيم» الحكيم معناه أنه عالم والحكمة في اللغة العلم ومنه قوله عز وجل ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾^(١) ومعنى ثان أنه محكم وأفعاله محكمة متقنة من الفساد وقد حكمته وأحكمته لغتان وحكمة اللجام سميت بذلك لأنها تمنعه من الجري الشديد وهو ما أحاطت بهنكه.

«العليم» العليم معناه أنه عليم بنفسه عالم بالسرائر مطلع على الضمائر لا تخفى عليه خافية ولا يُعْزَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ علم الأشياء قبل حدوثها وبعد ما أحدثها سرها وعلايتها ظاهرها وباطنها وفي علمه عز وجل بالأشياء على خلاف علم الخلق دليل على أنه تبارك وتعالى بخلافهم في جميع معانيهم والله عالم لذاته والعالم من يصح منه الفعل المحكم المتقن فلا يقال إنه يعلم الأشياء بعلم كما لا يثبت معه قديم غيره بل يقال إنه ذات عالمة وهكذا يقال في جميع صفات ذاته.

«الحليم» الحليم معناه أنه حليم عمن عصاه لا يعجل عليهم يعقوبة.^(٢)

«الحفيظ» الحفيظ معناه الحافظ وهو فاعل بمعنى فاعل ومعناه أنه يحفظ الأشياء ويصرف عنها البلاء ولا يوصف بالحفظ على معنى العلم لأننا نوصف بحفظ القرآن والعلوم على المجاز والمراد بذلك أننا إذا علمناه لم يذهب عنا كما إذا حفظنا الشيء لم يذهب عنا.

«الحق» الحق معناه المحق ويوصف به توسعا لأنه مصدر وهو كقولهم غياث المستغيثين ومعنى ثان يراد به أن عبادة الله هي الحق وعبادة غيره هي الباطل ويؤيد ذلك قوله عز وجل ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يُدْعَوْنَ مِنْ دُونِهِ بِالْبَاطِلِ﴾^(٣) أي يبطل ويذهب ولا يملك لأحد ثوابا ولا عقابا.

«الحسيب» الحسيب معناه المحصي لكل شيء العالم به لا يخفى عليه شيء ومعنى ثان أنه المحاسب لعباده يحاسبهم بأعمالهم ويجازيهم عليها وهو فاعل على معنى مفاعل مثل جليس ومجالس ومعنى ثالث أنه الكافي والله حسيب وحسبك أي كافينا وأحسبني هذا الشيء أي كفاني وأحسبته أي أعطيته حتى قال حسيبي ومنه قوله عز وجل ﴿جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءٌ حِسَابًا﴾^(٤) أي كافيا.

«الحميد» الحميد معناه المحمود وهو فاعل في معنى مفعول والحمد نقيض الذم ويقال حمدت فلانا إذا رضيت فعله ونشرته في الناس.

«الحفي» الحفي معناه العالم ومنه قوله عز وجل ﴿يَسْئَلُونَكَ كَأَنَّكَ خَفِيٌّ عَنْهَا﴾^(٥) أي يسألونك عن الساعة كأنك عالم بوقت مجيئها ومعنى ثان أنه اللطيف والحفاية مصدر الحفي اللطيف المحنفي بك ببرك وبلطفك.

«الرب» الرب المالك وكل من ملك شيئا فهو ربه ومنه قوله عز وجل ﴿أَرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾^(٦) أي إلى سيدك ومليكك وقال قائل يوم حنين لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن يريد أن يملكني ويصير لي ربا ومالكا ولا يقال لمخلوق الرب بالألف واللام لأن الألف واللام دالتان على العموم وإنما يقال للمخلوق رب كذا فيعرف بالإضافة لأنه لا يملك غيره فينسب إلى ملكيته^(٧) والربانيون نسبوا إلى التائه والعبادة للرب في معنى الربوبية له والربيون الذين صبروا مع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

«الرحمن» الرحمن معناه الواسع الرحمة على عباده يعمهم بالرزق والإنعام عليهم ويقال هو اسم من أسماء الله تبارك وتعالى في الكتب لا سمي له فيه ويقال للرجل رحيم القلب ولا يقال رحمان لأن الرحمن يقدر على كشف البلى ولا يقدر الرحيم من خلقه على ذلك وقد جوز قوم أن يقال للرجل رحمان وأرادوا به الغاية في الرحمة وهذا خطأ والرحمن هو لجميع العالم والرحيم هو للمؤمنين خاصة.^(٨)

(١) البقرة: ٢٦٩. (٢) وفي نسخة: لا يعجل عليهم يعقوبة: وكذا في المصدر.

(٣) الحج: ٣٦. (٤) التبا: ٣٦.

(٥) الاعراف: ١٨٧. وفي «أ»: يسألونك عن الساعة ... كأنك حفي عنها أو أنه أراد المعنى وليس الآية.

(٦) يوسف: ٥٠. (٧) في المصدر: فينسب الي ما يملكه.

(٨) وكذا رأى العديد من المفسرين، وربما عضدت الروايات كلامهم. ولابد من حمل الروايات على ما يجعلها متوافقة مع القرآن وذلك لأن صفة الرحيم المستخدمة في القرآن لا تشير إلى اختصاصها بالمؤمنين. وإنما توجد بعض الآيات تشير إلى شمولها لجميع الناس كقوله تعالى: «إن الله بالناس لرؤوف رحيم» «الحج: ٦٥» وتشير أخرى إلى إمكانية شمولها إلى بعض أعداء المؤمنين كالمؤمنين كقوله تعالى: (ويعذب

«الرحيم» الرحيم معناه أنه رحيم بالمؤمنين يخصهم برحمته في عاقبة أمرهم كما قال الله عز وجل ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾^(١) والرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة على وزن ندمان ونديم ومعنى الرحمة النعمة والراحم المنعم كما قال عز وجل لرسوله ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) يعني نعمة عليهم ويقال للقرآن هدى ورحمة وللقيث رحمة يعني نعمة وليس معنى الرحمة الرقة لأن الرقة عن الله عز وجل منفية وإنما سمي رقيق القلب من الناس رحيمًا لكثرة ما يوجد الرحمة منه ويقال ما أقرب رحم فلان إذا كان ذا مرحمة وبر والرحمة الرحمة ويقال رحمته مرحمة ورحمة.

«الذاري» الذاري معناه الخالق يقال ذرأ الله الخلق وبرأهم أي خلقهم وقد قيل إن الذرية منه اشتق اسمها كأنهم ذهبوا إلى أنها خلق الله عز وجل خلقها من الرجل وأكثر العرب على ترك همزها وإنما تركوا الهمز في هذا المذهب لكثرة ترددها في أفواههم كما تركوا همزة البرية وهمزة بريء وأشياء ذلك ومنهم من يزعم أنها من ذروت أو ذريت معاً يريد أنه قد كثروهم وبثهم في الأرض بثاً كما قال عز وجل ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَ رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾^(٣).

بيان: ذرو الرياح يكون بالواو والياء معاً.

«الرازق» الرازق معناه أنه عز وجل يرزق عباده برهم وفاجرهم رزقاً بفتح الراء رواية من العرب ولو أرادوا المصدر لقالوا رزقاً بكسر الراء ويقال ارتزق الجند رزقة واحدة أي أخذه مرة واحدة.

«الرقيب» الرقيب معناه الحافظ وهو فعيل بمعنى فاعل ورقيب القوم حارسهم.

«الرووف» الرووف معناه الرحيم والرأفة الرحمة.

«الرائي» الرائي معناه العالم والرؤية العلم ومعنى ثاب أنه المبصر ومعنى الرؤية الأبصار ويجوز في معنى العلم لم يزل رائياً ولا يجوز ذلك في معنى الأبصار.

«السلام» السلام معناه المسلم وهو توسع لأن السلام مصدر والمراد به أن السلامة تنال من قبله والسلام والسلامة مثل الرضاع والرضاعة واللذأة والمعنى ثاب أنه يوصف بهذه الصفة لسلامته مما يلحق الخلق من العيب والنقص والزوال والانتقال والفناء والموت وقوله عز وجل ﴿لَهُمْ ذَا السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾^(٤) والسلام هو الله عز وجل وداره الجنة ويجوز أن يكون سماها سلاماً لأن الصائر إليها يسلم فيها من كل ما يكون في الدنيا من مرض ووصب وموت وهم وأشياء ذلك فهي دار السلامة من الآفات والعاهات وقوله عز وجل ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾^(٥) يقول فسلامة لك منهم أي تخبرك عنهم سلامة والسلامة في اللغة الصواب والسداد أيضاً منه قوله عز وجل ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(٦) أي سداداً وصواباً ويقال سمي الصواب من القول سلاماً لأنه يسلم من العيب والإثم.

«المؤمن» المؤمن معناه المصدق والإيمان التصديق في اللغة يدل على ذلك قوله عز وجل حكاية عن إخوة يوسف على نبينا وآله وعليه السلام ﴿وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾^(٧) فالعبد مؤمن مصدق بتوحيد الله وآياته والله مؤمن مصدق لما وعده ومحققه ومعنى ثاب أنه محقق حق وحدانيته بآياته عند خلقهم وعرفهم حقيقته لما أبدى من علاماته وأبان من بيناته وعجائب تدبيره ولطائف تقديره ومعنى ثالث أنه آمنهم من الظلم والجور.

الماتقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيمًا) الأحزاب: ٢٤.

وأغلب الظن أن الرحيم هي مصداق مطلق الرحمة الإلهية أو بتعبير آخر هي ذات الرحمة الإلهية - أما الرحمن - والتي استعملت في القرآن غالباً بمعنى الاسم لا الصفة - فهي تعبير عن الرحمة التشريعية إذا صح التعبير عن ذلك. فقد جاءت على صيغة فعلاًن وهذه الصيغة استعملها العرب للحالات المنعقدة بمادة الكلمة فيقال عشانن لمن يحس بالعطش فعلاًن، وغضبانن لمن يتعريه الغضب فعلاًن، وكذا جوعانن ونعانن وما إلى ذلك، وبذا تكون الرحمن تعبير عن الرحمة الفاضلة فعلاًن على مخلوقاته، وما يتأتى من رحمة الرحيم، فهو فيض من الأصل. لأن صيغة فعيل عادة ما يعبر بها عما تأصل في الشيء من مادة اللفظ، فهذا رجل كريم وذلك لئيم تعبير عما يعرف من سلوكهم العام من صفة غدت كالتأصل في ذاتهم (وقد بحثنا عن ذلك مفصلاً في كلامنا عن سورة الفاتحة) في كتابنا: في رحاب القرآن الكريم.

(١) الأنبياء: ١٠٧.

(٢) الانعام: ١٢٧.

(٣) الفرقان: ٦٣.

(٤) النساء: ١.

(٥) الواقعة: ٩١.

(٦) يوسف: ١٧.

قال الصادق عليه السلام: سمي البارئ عز وجل مؤمناً لأنه يؤمن من عذابه من أطاعه و سمي العبد مؤمناً لأنه يؤمن على الله فيجيز الله أمانه. وقال عليه السلام: المؤمن من آمن جاره بوائقه. وقال عليه السلام: المؤمن الذي يأتونه المسلمون على أموالهم و دماهم.^(١)

١٩٧
٤

«المهيمن» المهيمن معناه الشاهد و هو كقوله عز وجل ﴿وَمُهَيِّئْنَا عَلَيْهِ﴾^(٢) أي شأها عليه و معنى ثان أنه اسم مبني من الأمين و الأمين اسم من أسماء الله عز وجل كما بني المبيطر من البيطر و البيطار و كان الأصل فيه مؤيمنا فقلبت الهمزة هاء كما قلبت همزة أرق و أبيات فليل هرت و هيات و أمين اسم من أسماء الله عز وجل و من طول الألف أراد يا أمين فأخرجه مخرج قولهم أزيد على معنى يا زيد و يقال المهيمن من أسماء الله عز وجل في الكتب السابقة.

«العزیز» العزیز معناه أنه لا يعجزه شيء و لا يتمتع عليه شيء أرادته فهو قاهر للأشياء غالب غير مغلوب و قد يقال في مثل من عز بز أي من غلب سلب و قوله عز وجل حكاية عن الخصمين ﴿وَعَزَّيْنِي فِي الْخُطَابِ﴾^(٣) أي غلبني في مجاورة الكلام و معنى ثان أنه الملك و يقال للملك العزیز كما قال إخوة يوسف ليوسف على نبينا و آله و عليه السلام يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ^(٤) و المراد به يا أيها الملك.

«الجبار» الجبار معناه القاهر الذي لا ينال و له التجير و الجبروت أي التعظم و العظمة و يقال للنخلة التي لا تنال جبارة و الجبر أن تجبر إنسانا على ما يكرهه قهرا تقول جبرته على ما ليس كذا و كذا.^(٥) و قال الصادق عليه السلام لا جبر و لا تفويض بل أمر بين أمرين. عنى بذلك أن الله تبارك و تعالى لم يجبر عباده على المعاصي و لم يفوض إليهم أمر الدين حتى يقولوا بأرائهم و مقاييسهم فإنه عز وجل قد حد و وظف و شرع و فرض و سن و أكمل لهم الدين فلا تفويض مع التحديد و التوظيف و الشرع و الفرض و السنة و إكمال الدين.^(٦)

«المتكبر» المتكبر مأخوذ من الكبرياء و هو اسم للتكبر و التعظم.

«السيد» السيد معناه الملك و يقال لملك القوم و عظيمهم سيد و قد سادهم يسودهم و قيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندي و كف الأذى و نصر المولى. و قال النبي صلى الله عليه و آله علي سيد العرب فقالت عائشة يا رسول الله أأنت سيد العرب قال أنا سيد ولد آدم و علي سيد العرب فقالت عائشة يا رسول الله و ما السيد قال من افترض طاعته كما افترض طاعتي.

١٩٨
٤

و قد أخرج هذا الحديث مسندا في كتاب معاني الأخبار فعلى معنى هذا الحديث السيد هو الملك الواجب الطاعة. «سبوح» سبوح هو حرف مبني على فاعول^(٧) و ليس في كلام العرب فاعول إلا سبوح قدوس و معناها واحد و سبحان الله تنزيها له عن كل ما لا ينبغي أن يوصف به و نصبه لأنه في موضع فعل على معنى تسبيحا لله يريد سيحت تسبيحا و يجوز أن يكون نصبا على الظرف و معناه نسبح لله و سبحوا لله.

بيان: الواو في قوله و سبحوا لله للحال و هو بيان لحاصل معنى الظرفية أي أصبح الله عند تسبيح كل مسبح لله.

«الشهيد» الشهيد معناه الشاهد بكل مكان صاعنا و مدبرا على أن المكان مكان لصنعه و تدييره لا على أن المكان مكان له لأنه عز وجل كان و لا مكان.

«الصادق» الصادق معناه أنه صادق في وعده و لا يبخس ثواب من يفى بعهده.

«الصانع» الصانع معناه أنه صانع كل مصنوع أي خالق كل مخلوق و مبدع جميع البدائع و كل ذلك دال على أنه لا

(١) و في نسخة: على أموالهم و انفسهم و كذا في المصدر. (٢) المائدة: ٤٨.

(٣) ص: ٢٣.

(٤) يوسف: ٨٧.

(٥) وفي المصدر: جبرته على امر كذا و كذا.

(٦) قال السيد الطباطبائي: سيجيء في باب الجبر و التفويض من المجلد الثالث أن معنى الرواية نفى الجبر و التفويض في الافعال و اثبات الواسطة. لانفى الجبر في الافعال و التفويض في الاحكام.

(٧) في المصدر: هم اسم مبنى على فعل.



يشبه شيئا من خلقه^(١) لأننا لم نجد فيما شاهدنا فعلا يشبه فاعله لأنهم أجسام وأفعالهم غير أجسام والله تعالى عن أن يشبه أفعاله وأفعاله لحم ودم وعظم وشعر وعصب وعروق وأعضاء وجوارح وأجزاء ونور وظلمة وأرض وسماء وشجر وحجر وغير ذلك من صنوف الخلق وكل ذلك فعله وصنعه عز وجل وجميع ذلك دليل على وحدانيته شاهد على انفراده وعلى أنه بخلاف خلقه وأنه لا شريك له وقال بعض الحكماء في هذا المعنى وهو يصف الترجس.

عيون في جفون في فنون
بأبصار التفتيح طامحات
بدت فأجاد صنعتها المليك
كان حذاقها ذهب سبيك
على غصن الزمرد مخبرات
بأن الله ليس له شريك

«الطاهر» الطاهر معناه أنه متزهة عن الأشياء والأنداد والأضداد والأمثال والحدود والزوال والانتقال ومعاني الخلق من العرض والطول والأقطار والثقل والخفة والدقة والغلظ^(٢) والدخول والخروج والملازمة والمباينة والرائحة والطعم واللون والمجسة والخشونة واللين والحرارة والبرودة والحركة والسكون والاجتماع والافتراق والتسكن في مكان دون مكان لأن جميع ذلك محدث مخلوق عاجز ضعيف من جميع الجهات دليل على محدث أحدثه وصانع صنعه قادر قوي طاهر عن معانيها لا يشبه شيئا منها لأنها دلت من جميع جهاتها على صانع صنعها ومحدث أحدثها وأوجبت على جميع ما غاب عنها من أشباهها وأمثالها أن يكون دالة على صانع صنعها تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

«العدل» العدل معناه الحكم بالعدل والحق وسمي به توسعا لأنه مصدر والمراد به العادل والعدل من الناس المرضي قوله وفعله وحكمه.

«العفو» العفو اسم مشتق من العفو على وزن فعول والعفو المحو يقال عفا الشيء إذا امحى وذهب ودرس وغفوت أنا إذا محوته ومنه قوله عز وجل «عَفَا اللَّهُ عَنْكَ»^(٣) أي محاه الله عنك إذنك لهم.^(٤)

«الغفور» الغفور اسم مشتق من المغفرة وهو الغافر الغفار وأصله في اللغة التغطية والستر تقول غفرت الشيء إذا غطيته ويقال هذا أغفر من هذا أي أستر وغفر الخبز والصوف ما علا فوق الثوب منهما كالزئبر يسمى غفرا لأنه ستر الثوب ويقال لجنة الرأس مغفر لأنها تستر الرأس والغفور الساتر لبعده برحمته.

بيان: الغفر بالتحريك الزئبر بكسر الزاء فالهمزة الساكنة فالباء الموحدة المكسورة وهو ما يعلو الثوب الجديد مثل ما يعلو الخبز.

«الغني» الغني معناه أنه الغني بنفسه عن غيره وعن الاستعانة بالآلات والأدوات وغيرها والأشياء كلها سوى الله عز وجل متشابهة في الضعف والحاجة فلا يقوم بعضها إلا ببعض ولا يستغني بعضها عن بعض.

«الغياث» الغياث معناه المغيث سمي به توسعا لأنه مصدر.

«الفاطر» الفاطر معناه الخالق فطر الخلق أي خلقهم وابتدأ صنعة الأشياء وابتدعها فهو فاطرها أي خالقها ومبدعها.

«الغود» الغود معناه أنه المتفرد بالربوبية والأمر دون الخلق ومعنى ثان أنه موجود وحده لا موجود معه.

«الفتاح» الفتح معناه أنه الحاكم ومنه قوله عز وجل «وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ»^(٥) وقوله عز وجل «وَهُوَ الْفَتْاحُ الْعَلِيمُ»^(٦).

«الفالق» الفالق اسم مشتق من الفلق ومعناه في أصل اللغة الشق يقال سمعت هذا من فلق فيه وفلقت الفسقة

(١) في المصدر: لا يشبهه شيئا من خلقه.

(٢) التوبة: ٤٣.

(٤) في «أ»: محاله عنك لم اذنت لهم، ولكنه اشار الى ما موجود في المتن ايضا.

(٥) الأعراف: ٨٩.

(٦) سبأ: ٢٦.

(٢) في المصدر: والركة والفظة: وهو الانسب.

فانفلقت و خلق الله تبارك و تعالى كل شيء فانفلق عن جميع ما خلق فلق الأرحام فانفلقت عن الحيوان و فلق الحب و النوى فانفلقا عن النبات و فلق الأرض فانفلقت عن كل ما أخرج منها هو كقوله عز و جل ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصُّدُحِ﴾^(١) صدعها فانصدعت و فلق الظلام فانفلق عن الإصباح و فلق السماء فانفلقت عن القطر و فلق البحر لموسى على نبينا و آله و عليه السلام فانفلق فكان كلُّ فُرْقٍ منه كَالطُّورِ الْعَظِيمِ.

«القديم» القديم معناه المتقدم للأشياء كلها و كل متقدم لشيء يسمى قديما إذا بلغ في الرصف و لكنه سبحانه قديم لنفسه بلا أول و لا نهاية و سائر الأشياء لها أول و نهاية و لم يكن لها هذا الاسم في بدتها فهي قديمة من وجه و محدثة من وجه و قد قيل إن القديم معناه أنه الموجود لم يزل و إذا قيل لغيره إنه قديم كان على المجاز لأن غيره محدث ليس بقديم.

«الملك» الملك هو مالك الملك قد ملك كل شيء و الملكوت ملك الله عز و جل زيدت فيه التاء كما زيدت في رهبوت و رحموت^(٢) تقول العرب رهبوت خير من رحموت أي لأن ترهب خير من أن ترحم.

«القدوس» القدوس معناه الطاهر و التقديس التطهير و التنزيه و قوله عز و جل حكاية عن الملائكة ﴿وَنُحِىَ عَنْهُمْ نُجَسٌ بِحَمْدِكَ وَتَقَدَّسَ لَكَ﴾^(٣) أي تنسبك إلى. الطهارة و تنسبك و تنسج بحمدك و تقدس لك بمعنى واحد و حظيرة القدس موضع القدس^(٤) من الأندلس التي تكون في الدنيا و الأوصاب و الأوجاع و أشباه ذلك و قد قيل إن القدوس من أسماء الله عز و جل في الكتب.

«القوي» القوي معناه معروف و هو القوي بلا معاناة و لا استعانة.

«القريب» القريب معناه المجيب و يؤيد ذلك قوله عز و جل ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِيبٌ دَعْوَةُ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾^(٥) و معنى ثأن أنه عالم بوساوس القلوب لا حجاب بينه و بينها و لا مسافة و يؤيد هذا المعنى قوله عز و جل ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسُّوْسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(٦) فهو قريب من غير مماسة بائن من خلقه بغير طريق و لا مسافة بل هو على المفارقة لهم في المخالطة و المخالفة لهم في المشابهة و كذلك التقريب إلى الله ليس من جهة الطرق و المساييف^(٧) إنما هو من جهة الطاعة و حسن العبادة فالله تبارك و تعالى قريب دان دونة من غير تنقل^(٨) لأنه ليس باقنطاع المساييف يدنو و لا باجتياز الهواء يعلو كيف و قد كان قبل السفلى و العلو و قبل أن يوصف بالعلو و الدنو.

«القيوم» القيوم و القيام هما فيعول و فيعال من قمت بالشيء إذا وليته بنفسك و توليت حفظه و إصلاحه و تقديره قوله^(٩) ما فيها من ديور و لا ديار.

«القابض» اسم مشتق من القبض و للقبض معان منها الملك يقال فلان في قبضي و هذا الضيعة في قبضي و منه قوله عز و جل ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١٠) و هذا كقول الله عز و جل ﴿وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾^(١١) و قوله ﴿الْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾^(١٢) و قوله ﴿مَالِكِ يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١٣) و منها إفاء الشيء و من ذلك قولهم لميت قبضه الله إليه و منه قوله عز و جل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا السَّمَاسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾^(١٤) فالشمس لا يقبض بالبراجم و الله تبارك و تعالى قابضها و مطلقها و من هذا قوله عز و جل ﴿وَاللَّهُ يَفْضِصُ وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١٥) فهو باسط على عباده فضله و قابض ما يشاء من عائدته و آياديه و القبض قبض البراجم أيضا و هو عن الله تعالى ذكره منفي و لو كان القبض و البسط الذي ذكره الله عز و جل من قبل البراجم لما جاز أن يكون في وقت

(٢) في «أ» رهبوت.

(٤) في المصدر: موضع الطهارة.

(٦) ق: ١٦.

(٨) في المصدر: من غير سفلى.

(١٠) الزمر: ٦٧.

(١٢) الانطار: ١٩.

(١٤) الفرقان: ٤٥ - ٤٦.

(١) الطارق: ١٢.

(٣) البقرة: ٣٠.

(٥) البقرة: ١٨٦.

(٧) أراد بالمسافة جمع مسافة.

(٩) في المصدر: و إصلاحه و تقديره، و نظيره قوله.

(١١) الانعام: ٧٣.

(١٣) الحمد: ٤.

(١٥) البقرة: ٢٤٥.

واحد قابضا وباسطا لاستحالة ذلك^(١) والله تعالى ذكره في كل ساعة يقبض الأنفس وييسط الرزق ويفعل ما يريد. بيان: البراجم مفاصل الأصابع التي بين الأشاجع^(٢) والرواجب^(٣) وهي رءوس السلاميات^(٤) من ظهر الكف إذا قبض القابض كفه ارتفعت.

«الباسط» الباسط معناه المنعم المفضل قد بسط على عباده فضله وإحسانه وأسبغ عليهم نعمه. «القاضي»^(٥) القاضي اسم مشتق من القضاء ومعنى القضاء من الله عز وجل ثلاثة أوجه فوجه منها هو الحكيم والإلزام يقال قضى القاضي على فلان بكذا أي حكم عليه به وألزمه إياه ومنه قوله عز وجل «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ»^(٦) ووجه منها هو الخبر ومنه قوله عز وجل «وَوَقَّضْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَٰئِيلَ فِي الْكِتَابِ»^(٧) أي أخبرناهم بذلك على لسان النبي ووجه منها هو الإتمام ومنه قوله عز وجل «فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَنَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ»^(٨) ومنه قول الناس قضى فلان حاجتي يريد أنه أتم حاجتي على ما سألته.

«المجيد» المجيد معناه الكريم العزيز ومنه قوله عز وجل «بَلِّغْ هَٰذَا الْقُرْآنَ مَجِيدٌ»^(٩) أي كريم عزيز والمجد في اللغة نيل الشرف والمجد الرجل وأمجده لفتان وأمجده كرم فعاله ومعنى ثان أنه مجيد مجده خلقه أي عظموه. «المولى» المولى معناه الناصر ينصر المؤمنين ويتولى نصرهم على عدوهم ويتولى ثوابهم وكرامتهم وولي الطفل هو الذي يتولى إصلاح شأنه والله ولي المؤمنين وهو مولاهم وناصرهم والمولى في وجه آخر هو الأولي ومنه قول النبي ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه وذلك على أثر كلام قد تقدمه وهو أن قال أولى بكم من أنفسكم قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه إلى من كنت أولى به من نفسه فعلي مولاه أي أولى به من نفسه. «المنان» المنان معناه المعطي المنعم ومنه قوله عز وجل «فَأَمَّا نُرُّ أَوْ أَمْسِكُ فَلْيُحْسِبِ أَحْسَبُ»^(١٠) وقوله عز وجل «وَلَا تَعْنَنَّ سَتُحْكِرَنَّ»^(١١)

«المحيط» المحيط معناه أنه محيط بالأشياء عالم بها كلها وكل من أخذ شيئا كله أو بلغ علمه أقصاه فقد أحاط به وهذا على التوسع لأن الإحاطة في الحقيقة إحاطة الجسم الكبير بالجسم الصغير من جوانبه كإحاطة البيت بما فيه وإحاطة السور بالمدن ولهذا المعنى يسمى الحائط حائطا ومعنى ثان يحتمل أن يكون نصبا على الظرف معناه مستوليا مقتدرا كقوله عز وجل «وَوُضِّعُوا لَهُمْ حُيُوطٌ»^(١٢) فسماء إحاطة لهم لأن القوم إذا أحاطوا بعدوهم لم يقدر العدو على التخلص منهم.

«المبين» المبين معناه الظاهر البين حكمته المظهر لها بما أبان من بيناته وآثار قدرته ويقال بان الشيء وأبان واستبان بمعنى واحد.

«المقيت» المقيت معناه الحافظ الرقيب ويقال بل هو التقدير.

«المصور» المصور هو اسم مشتق من التصوير يصور الصور في الأرحام كيف يشاء فهو مصور كل صورة وخالق كل مصور في رحم ومدرك بصير وتمثل في نفس وليس الله تبارك وتعالى بالصورة والجوارح يوصف ولا بالحدود والأبعاد يعرف ولا في سعة الهواء بالأوهام يطلب ولكن بالآيات يعرف وبالعلامات والدلالات يحقق بها يوقن وبالقدرة والعظمة والجلال والكبرياء يوصف لأنه ليس له في خلقه شبيه ولا في برئته عدل. «الكريم» الكريم معناه العزيز يقال فلان أكرم علي من فلان أي أعز منه ومنه قوله عز وجل «إِنَّهُ لَكَرِيمٌ»

(١) وقيل ذلك تكون قد جسمناه - تعالى عن ذلك علوا كبيرا.

(٢) الأشجع في اليد والرجل: العصب الممدود فوق السلامي من بين الرسخ إلى أصول الأصابع التي يقال لها أطباق الأصابع فوق ظهر الكف ... «لسان العرب ٧: ٣٧».

(٣) الرواجب واحدتها راجبة: مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل. «لسان العرب ٥: ١٤٠».

(٤) السلامي (بضم السين وتشديد هاء) - عظام الأصابع في اليد والقدم، وقيل: كل عظم مجوف من صفار العظام. «لسان العرب ٦: ٣٤٩».

(٥) في المصدر: القاضي الحاجات.

(٦) الأسراء: ٢٣.

(٧) فصلت: ١٢.

(٨) البروج: ٢١.

(٩) المائدة: ١١٢.

(١٠) ص: ٣٩.

(١١) يونس: ٢٢.

كَرِيمٌ»^(١) وكذلك قوله عز وجل ﴿ذُوْىُ الْإِنِّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾^(٢) ومعنى ثان أنه الجواد المفضل يقال رجل كريم أي جواد وقوم كرام أي أجواد وكريم وكرم مثل أديم وأدم.

«الكبير» الكبير السيد يقال لسيد القوم كبيرهم والكبرياء اسم للتكبر والتعظم.

«الكافي» الكافي اسم مشتق من الكفاية وكل من توكل عليه كفاه ولا يلجئه إلى غيره.

«الكاشف» الكاشف معناه المفرج يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَا وَ يَكْشِفُ السُّوءَ والكشف في اللغة رفعك شيئا عما يواريه ويقطيه.

«الوتر» الوتر معناه الفرد وكل شيء كان فردا قيل وتر.

«النور» النور معناه المنير ومنه قوله عز وجل ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) أي منير لهم وآمرهم وهاديهم فهم يهتدون به في مصالحهم كما يهتدون في النور والضياء وهذا توسع والنور الضياء والله عز وجل متعال عن ذلك علوا كبيرا لأن الأنوار محدثة ومحدثها قديم لا يشبهه شيء وعلى سبيل التوسع قيل إن القرآن نور لأن الناس يهتدون به في دينهم كما يهتدون بالضياء في مسالكهم ولهذا المعنى كان النبي ﷺ منيرا.

«الوهاب» الوهاب معروف وهو من الهبة يهب لعباده ما يشاء ويمن عليهم بما يشاء ومنه قوله عز وجل ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاءً وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾^(٤)

«الناصر» الناصر والتصير بمعنى واحد والنصرة حسن المعونة.

«الواسع» الواسع الغني والسعة الغنى يقال فلان يعطي من سعة أي من غنى والوسع جدة الرجل وقدره ذات يده ويقال أنفق على قدر وسعك.

«الودود» الودود فعول بمعنى مفعول كما يقال هبوب بمعنى مهيب يراد به أنه مودود محبوب ويقال بل فعول بمعنى فاعل كقولك غفور بمعنى غافر أي يود عباده الصالحين ويحبهم والود والوداد مصدر المودة وفلان ودك وديدك أي حبك وحبيبك.

«الهادي» الهادي معناه أنه عز اسمه يهديهم للحق والهدى من الله عز وجل على ثلاثة أوجه فوجه هو الدلالة قد دلهم جميعا على الدين والثاني هو الإيمان والإيمان هدى من الله عز وجل كما أنه نعمة من الله والثالث هو النجاة وقد بين الله عز وجل أنه سيهدي المؤمنين بعد وفاتهم فقال ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالُهُمْ سَيَهْدِيهِمْ وَيُضِلُّهُمُ بِالْهَمِّ﴾^(٥) ولا يكون الهدى بعد الموت والقتل إلا القواب والنجاة وكذلك قوله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾^(٦) وهو ضد الضلال الذي هو عقوبة الكافر وقال الله عز وجل ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾^(٧) أي يهلكهم ويعاقبهم وهو كقوله عز وجل ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾^(٨) أي أهلك أعمالهم وأحبطها بكفرهم.

«الوفي» الوفي معناه يفي بعهدهم ويوفي بعهده ويقال رجل وفي وموف وقد وفيت بعهدك وأوفيت لفتان.

«الوكيل» الوكيل معناه المتولي أي القائم بحفظنا وهذا هو معنى الوكيل على المال منا ومعنى ثان أنه المعتمد والملجأ والتوكل الاعتماد عليه والالتجاء إليه.

«الوارث» الوارث معناه أن كل من ملكه الله شيئا يموت ويبقى ما كان في ملكه ولا يملكه إلا الله تبارك وتعالى.

«البر» البر معناه الصادق يقال صدق فلان وبر ويقال برت يمين فلان إذا صدقت وأبرها الله أي أمضاها على الصدق.

«الباعث» الباعث معناه أنه يبعث مَنْ فِي الْقُبُورِ ويحييهم وينشرهم للجزاء والبقاء.

(٢) الدخان: ٤٩.

(٤) الشورى: ٤٩.

(٦) يونس: ٩.

(٨) محمد: ٨.

(١) الواقعة: ٧٧.

(٣) النور: ٣٥.

(٥) محمد: ٥ - ٤.

(٧) إبراهيم: ٢٧.



«التوابع» التوابع معناه أنه يُقْبَلُ التَّوْبَةُ ويعفو عن الحوبة إذا تاب منها العبد يقال تاب العبد إلى الله عز وجل فهو تاب تواب إليه و تاب الله عليه أي قبل توبته فهو تواب عليه و التوب التوبة و يقال أتأب فلان من كذا مهموزا إذا استحيا منه و يقال ما طعامك بطعام توبة أي لا يحتشم منه و لا يستحيا منه.

بيان: لعل مراده بقوله مهموز الأول أي يوزن باب الإفعال و لم أعثر على ما ذكره من المعنى الأخير فيما عندنا من كتب اللغة.^(١)

«الجليل» الجليل معناه السيد يقال لسيد القوم جليلهم و عظيمهم و جل جلال الله فهو الجليل ذو الجلال و الإكرام و يقال جل فلان في عيني أي عظم و أجلته أي عظمته.

«الجواد» الجواد معناه المحسن المنعم الكثير الإنعام و الإحسان يقال جاد السخي من الناس يوجد جودا و رجل جواد و قوم أجواد و جود أي أسخياء و لا يقال لله عز و جل سخي لأن الأصل السخاوة راجع إلى اللين يقال أرض سخاوة و قرطاس سخاوي إذا كان لينا و سمي السخي سخيا للينة عند الحوائج إليه.

«الخبير» الخبير معناه العالم و الخبر و الخبر في اللغة واحد و الخبر علمك بالشيء يقال لي به خبر أي علم.

بيان: قال الفيروز آبادي رجل خابر و خبير و خبر ككف و حجر عالم به.^(٢)

«الخالق» الخالق معناه الخالق خلق الخلائق خلقا و خليفة و الخليفة الخلق و الجمع الخلائق و الخلق في اللغة تقدير ك الشيء يقال في مثل إنبي إذا خلقت فريت لا كمن يخلق و لا يفري و في قول أئمتنا عليهم السلام إن أفعال العباد مخلوقة خلق تقدير لا خلق تكوين و خلق عيسى على نبينا و آله و عليه السلام من الطين كهينة الطير هو خلق تقدير أيضا و مكون الطير و خالقه في الحقيقة الله عز و جل.

بيان: قال الجوهرى الخلق التقدير يقال خلقت الأديم إذا قدرته قبل القطع و قال الحجاج ما خلقت إلا فريت و لا وعدت إلا وفيت انتهى^(٣) و الفري القطع.

«خَيْرُ النَّاصِرِينَ» خير الناصرين و خَيْرُ الرَّاجِعِينَ معناه أنه فاعل الخير إذا أكثر ذلك منه سمي خيرا توسعا.

بيان: الظاهر أن الخير بمعنى التفضيل أي الأخير و هو صفة و لا حاجة إلى ما تكلفه.

«الديان» الديان هو الذي يدين العباد و يجزيهم بأعمالهم و الدين الجزاء و لا تجمع لأنه مصدر يقال دان يدين دينا و يقال في مثل كما تدين تدان أي كما تجزي تجزي قال الشاعر.

كما يدين الفتى يوما يدين به من يزرع الثوم لا يقلعه ريحانا

«الشكور» الشكور و الشاكر معناهما أنه يشكر للعبد عمله و هو توسع لأن الشكر في اللغة عرفان الإحسان و هو المحسن إلى عباده المنعم عليهم لكنه سبحانه لما كان مجازيا للمطيعين على طاعتهم جعل مجازاته شكرا لهم على المجاز كما سميت مكافاة المنعم شكرا.

«العظيم» العظيم معناه السيد و سيد القوم عظيمهم و جليلهم و معنى ثان أنه يوصف بالعظمة لغلبة على الأشياء و قدرته عليها و لذلك كان الواصف بذلك عظما و معنى ثالث أنه عظيم لأن ما سواه كله ذليل خاضع فهو عظيم السلطان عظيم الشأن و معنى رابع أنه المجيد يقال عظم فلان في المجد عظامة و العظامة مصدر الأمر العظيم و العظمة من التجبر و ليس معنى العظيم ضخم طويل عريض ثقيل لأن هذه المعاني معاني الخلق و آيات الصنع و الحدث و هي عن الله تبارك و تعالى منفية و قد روي في الخبر أنه سمي العظيم لأنه خالق الخلق العظيم و رب العرش العظيم و خالقه.

(١) مراد الشيخ الصدوق يوزن باب الإفعال، و المعنى الذى ذكره متداول في معظم كتب اللغة إذا لم يكن جميعها. قال في اللسان: التوبة الاستحياء و أصلها و أبة مأخوذ من الابة و هى العيب، و واب منه و اتاب: خزى و استحيا و قد اتاب الرجل من الشيء يتشب فهو متشب. استحياء. افتعال. «لسان العرب ١٥: ١٩٠». و قريب منه في الصحاح: ٢٣٠ والقاموس المحيط ١: ١٤١. «و تاج العروس ٤: ٣٢٦ - ٣٢٧».

(٢) القاموس المحيط ١٢: ٣١.

(٣) الصحاح: ١٤٧١.

«اللطيف» اللطيف معناه أنه لطيفٌ بِعِبَادِهِ فهو لطيف بهم بار بهم منعم عليهم و اللطف البر و التكرمة يقال فلان لطيف بالناس بار بهم يبرهم و يلطفهم أظافا و معنى ثان أنه لطيف في تدبيره و فعله يقال فلان لطيف العمل و قد روي أن معنى اللطيف هو أنه الخالق للخلق اللطيف كما أنه سمي العظيم لأنه الخالق للخلق العظيم.

«الشافى» الشافى معناه معروف و هو من الشفاء كما قال الله عز و جل حكاية عن إبراهيم «وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ»^(١).

فجملته هذه الأسماء الحسنى تسعة و تسعون اسما و أما تبارك فهو من البركة و هو عز و جل ذو بركة و هو فاعل البركة و خالقها و جاعلها في خلقه و تبارك و تعالى عن الولد و الصاحبة و الشريك و عما يقول الظالمون علوا كبيرا و قد قيل إن معنى قول الله عز و جل «تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا»^(٢) إنما عني به أن الله الذي يدوم بقاؤه و يبقى نعمه و يصير ذكره بركة على عباده و استدامة نعم الله عندهم هو الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا و الفرقان هو القرآن و إنما سماه فرقانا لأن الله عز و جل فرق به بين الحق و الباطل و عبده الذي نزل عليه بذلك هو محمد ﷺ و سماه عبداً ثلاثا يتخذ ربا معبودا و هذا رد على من يغلو فيه و بين عز و جل أنه نزل عليه ذلك لينذر به العالمين و ليخوفهم به من معاصي الله و أليم عقابه و العالمون الناس «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا»^(٣) كما قالت النصارى إذ أضافوا إليه الولد كذبا عليه و خروجا من توحيده «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا»^(٤) يعني أنه خلق الأشياء كلها على مقدار يعرفه و أنه لم يخلق شيئا من ذلك على سبيل سهو و لا على غفلة و لا على تنحيب و لا على مجازفة بل على المقدار الذي يعلم أنه صواب من تدبيره و أنه استصلاح لعباده في أمر دينهم و أنه عدل منه على خلقه لأنه لو لم يخلق ذلك على مقدار يعرفه على سبيل ما وصفنا لوجد ذلك التفاوت و الظلم و الخروج عن الحكم^(٥) و صواب التدبير إلى العتب و إلى الظلم و الفساد كما يوجد مثل ذلك في فعل خلقه الذين يحبون في أفعالهم و يفعلون في ذلك ما لا يعرفون مقداره و لم يعن بذلك أنه خلق لذلك تقديرا فعرف به مقدار ما يفعله ثم فعل أفعاله بعد ذلك لأن ذلك إنما يوجد في فعل من لا يعلم مقدار ما يفعله إلا بهذا التقدير و هذا التدبير و الله سبحانه له لم يزل عالما بكل شيء و إنما عني بقوله قدره تقديرا أي فعل ذلك على مقدار يعرفه على ما بيناه و على أن يقدر أفعاله لعباده بأن يعرفهم مقدارها و وقت كونها و مكانها الذي يحدث فيه ليعرفوا ذلك و هذا التقدير من الله عز و جل كتاب و خبر كتبه لملائكته و أخبرهم به ليعرفوه فلما كان كلامه لم يوجد إلا على مقدار يعرفه ثلاثا يخرج عن حد الصدق إلى الكذب و عن حد الصواب إلى الخطاء و عن حد البيان إلى التليس كان ذلك دلالة على أن الله قد قدره على ما هو به و أحكمه و أحدثه فلماذا صار محكما لا خلل فيه و لا تفاوت و لا فساد.^(٦)

بيان: يقال نحبوا تنحيبا أي جدوا في عملهم و لعل كناية عن عدم رعاية الحكم فيها لأن من يجد في عمله لا يقع على ما ينبغي و لا يمكنه رعاية الدقائق فيه.

أقول: إنما اقتصرنا هاهنا في شرح الأسماء على ما ذكره الصدوق رحمه الله و لم نزد عليه شيئا و لم نتعرض لما ذكره أيضا إلا بما يوضح كلامه ثلاثا يطول الكلام في هذا المقام و سنشرحه في كتاب الدعاء إن شاء الله تعالى.

٣- يد: [التوحيد] علي بن عبد الله بن أحمد الأسواري عن مكى بن أحمد عن إبراهيم بن عبد الرحمن عن موسى

بن عامر عن الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد عن موسى بن عقبة عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال إن لله تبارك و تعالى تسعة و تسعين اسما مائة إلا واحدا إنه وتر يحب الوتر من أحصاها دخل الجنة فبلغنا أن غير واحد من أهل العلم قال إن أولها يفتح ب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك و له الخدع بيده الخير و هو على كل شيء قدير لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى الله الواحد الصمد الأول الآخر الظاهر الباطن الخالق البارئ المصور الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الرحمن الرحيم اللطيف الخبير السميع البصير العلي

(١) الفرقان: ١.

(١) الشعراء: ٨٠.

(٢) الفرقان: ٢.

(٣) الفرقان: ٢٠.

(٤) التوحيد: ١٩٥ - ٢١٨ ب ٢٩ ذيل ح ٩.

(٥) في المصدر: الخروج عن الحكمة.

الْعَظِيمُ الْبَارِ^(١) الْمُتَعَالَى الْجَلِيلُ الْجَمِيلُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ الْقَادِرُ الْقَاهِرُ الْحَكِيمُ وَ الْقَرِيبُ الْحَسِيبُ الْغَنِيُّ الرَّؤُفُ الرَّؤُودُ الشَّكُورُ الْمَاجِدُ الْأَحَدُ الْوَلِيُّ الرَّشِيدُ الْغَفُورُ الْكَرِيمُ الْحَلِيمُ الرَّؤُوفُ الرَّبُّ الْمَجِيدُ الْغَمِيدُ الْوَفِيُّ الشَّهِيدُ الْمُتَيْنُّ الْبَرَّهَانُ الرَّءُوفُ الْمَبْدِيُّ الْمَعِيدُ الْبَاعِثُ الْوَارِثُ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ الضَّارُّ النَّافِعُ الْوَافِي الْحَافِظُ الرَّافِعُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الْعَزَّازُ الْمَذِلُّ الرَّازِقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمُتَيْنُّ الْقَائِمُ الْوَكِيلُ الْعَادِلُ الْجَامِعُ الْمُعْطِي الْمَجْتَبِي الْحَمِيدُ الْمُمِيتُ الْكَافِي الْهَادِي الْأَبَدُ الصَّادِقُ النُّورُ الْقَدِيمُ الْحَقُّ الْفَرْدُ الْوَتَرُ الْوَاسِعُ الْمُحْصَى الْمُقْتَدِرُ الْمَقْدَمُ الْمُؤَخَّرُ الْمُنْتَقَمُ الْبَدِيعُ^(٢)

و قال تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَانِمًا بِالْقِسْطِ إِنَّهُ إِلَهٌ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٨.
و قال تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ
يَبْدَأُ الْخَيْرَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ
الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ ٢٦ - ٢٧.

و قال ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦٢.

و قال ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ٧٣.

و قال تعالى ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ ٨٣.

و قال ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ١٠٩.

و قال ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١٥٤.

و قال ﴿وَاللَّهُ يُخَيِّبُ وَيُعِيبُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ ١٥٦.

و قال ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ١٨٠.

النساء: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ٢٦.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ١٧ و ١١١.

و قال ﴿وَاللَّهُ أَشَدُّ بَاسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ ٨٤.

و قال ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَضْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ٨٧.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ ٩٤.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ٩٦.

و قال ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا﴾ ١٢٦.

و قال ﴿وَمَا تَعْمَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا﴾ ١٢٧.

و قال ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ ١٣١.

المائدة: ﴿إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ ٢.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٤.

و قال ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ٧.

و قال ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ ٩٥.

و قال ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ٩٨.

و قال ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١٢٠.

الأنعام: ﴿الْحَسْبُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ هُوَ الَّذِي
خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَ
جَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ ١ - ٣.

و قال تعالى ﴿قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ
فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ قُلْ أَغْنَى اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يَطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ١٢ - ١٤.

و قال تعالى ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَهُوَ الْغَايُ
قُورُ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ١٧ - ١٨.

و قال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَ يَوْمَ يَقُولُ كُنْ فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ
فِي الصُّورِ غَالِمٌ غَافِقٌ وَالْشَّهَادَةُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ٧٣.

و قال ﴿مَا مِنْ دَآئِبَةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ٥٦.

و قال ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ ٥٧.

يوسف: ﴿فَاطْرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ ١٠١.

الرعد: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا يَقْدُمُ حَتَّى يَغَيِّرُوهُ أَمَّا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ وَيَسْتَبِشِرُ الرُّعْدَ بِحُمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ ١١ - ١٣.

و قال ﴿وَاللَّهُ يَخْكُمُ لَا مُعَقَّبَ لِخُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ ٤١.

إبراهيم: ﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ ١ - ٢.

النحل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَكَّرُوا ظَالِمًا عَنِ التَّيْمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ ذَاخِرُونَ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَآئِبَةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ٤٨ - ٥٠.

و قال تعالى ﴿وَالِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٦٠.

و قال تعالى ﴿وَالِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٧٧.

الإسراء: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذَّلِّ وَكَبِيرُهُ تَكْبِيرًا﴾ ١١١.

٢١٦
٤٤
مريم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ ٦٤ - ٦٥.

طه: ﴿تَنَزَّلُ بِمَا مَنَّ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى وَإِنْ تَجَهَّرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَا تَأْخُذُهُ الْأَشْيَاءُ الْحُسْنَى﴾ ٤ - ٨.

و قال ﴿إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ ٩٨.

و قال تعالى ﴿وَوَعَّتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ ١١١.

الأنبياء: ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ ١١٢.

الحج: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ١٨.

و قال تعالى ﴿وَالِلَّهِ غَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ ٤١.

و قال تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ تَعَفَّى غَفُورٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ ٦٠ - ٦١.

و قال تعالى ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ ٧٦.

النور: ﴿أَلَا إِنَّ إِلَهًا لَنَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ تَزْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنْشِئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ٦٤.

الفراق: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ ١ - ٢.

٢١٧
٤٤
و قال تعالى ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ وَكَفَى بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ الرَّحْمَنُ فَسُئِلَ بِهِ خَيْرًا ﴿٥٨ - ٥٩﴾.

الشعراء: ﴿وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ١٩١.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ٢١٧-٢١٨.

القصص: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخُفْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٦٨ - ٧٠.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٨. العنكبوت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ ٦.

وَقَالَ ﴿يَعْدِبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ ٢١ - ٢٢.

الروم: ﴿يُنْصَرُّ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ ٥.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ وَلَهُ الْخُفْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُخِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ ١٧ - ١٩.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ لَهُ قَائِمُونَ﴾ ٢٦.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٢٧.

لقمان: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ٢٦.

التنزيل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ ٤.

وَقَالَ سُبْحَانَهُ ﴿ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ ٦ - ٧.

الأحزاب: ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ ٤.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ ٣٩.

وَقَالَ ﴿وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ ٤٠.

وَقَالَ ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ ٤٣.

وَقَالَ ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ ٤٨.

وَقَالَ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ ٦٢.

سبا: ﴿الْخُفْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْخُفْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ ١.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ ٢١.

فاطر: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ١٠.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ١٥.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿قُلْ لَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ ٤٣.

يس: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَبْدِئُ مَلَكُوتَ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٣.

الصفات: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ١٨٠.

الزمر: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ

مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انْتِقَامٍ﴾ ٣٦ - ٣٧.

المؤمن: ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهِهِ الْمَصِيرُ﴾ ٢ - ٣.

السجدة: ﴿تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ ٤٢.

و قال تعالى ﴿إِن رَّبَّكَ لَدُوٌّ مَعْفَرٌ وَ ذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ ٤٣.

حمصسق: ﴿كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقَيْهِ وَ الْعَالَمَاتُ يَسْتَخْفُونَ بِحُجُرِهِمْ وَ يَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَ مَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ﴾ ٢ - ٦.

و قال تعالى ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ ١٩.

و قال عز و جل ﴿فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يُخْذِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَ يَمَحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَ يُحْيِي الْحَقَّ يَكْلِمُنِيهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ وَ هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَقْفُوا عَنْ السَّيِّئَاتِ وَ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ وَ يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ يَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَ الْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ لَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لَكِنْ يَنْزِلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ وَ هُوَ الَّذِي يَنْزِلُ الْفَيْثُ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَ يَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَ هُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ ٢٤ - ٢٨.

و قال سبحانه ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْكَوْثُورُ وَ يَزِيدُهُمْ ذِكْرًا وَ إِنْ شَاءَ يَجْعَلْ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ ٤٩ - ٥٠.

و قال تعالى ﴿صِرَاطُ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ ٥٣.

الزخرف: ﴿وَ هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ وَ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا يَبْنِيهِمَا وَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٤ - ٨٥.

الدخان: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَ يُمِيتُ رَبُّكُمْ وَ رَبُّ آبَائِكُمْ الْأَوَّلِينَ﴾ ٧ - ٨.

الجنائية: ﴿قُلْ لِلَّهِ الْخُدُوعُ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَ رَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَ لَهُ الْكِتَابُ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ٣٦ - ٣٧.

الأحقاف: ﴿حَمْدُ تَنْزِيلِ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ ١ - ٣.

و قال سبحانه ﴿قُلْ إِنْ أَفْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَى بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَ بَيْنَكُمْ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ٨.

الفتح: ﴿وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ٤.

و قال تعالى ﴿وَ لِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ ٧.

و قال سبحانه ﴿وَ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَ كَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ ١٤.

النجم: ﴿وَ أَوْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى وَ أَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَ أَبْكَى وَ أَنَّهُ هُوَ أَمَاتُ وَ أَحْيَا وَ أَنَّهُ خَلَقَ الرَّجُلَ مِنْ عَلَقٍ وَ الْأُنثَى مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى وَ أَنْ عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَى وَ أَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَ أَفْنَى وَ أَنَّهُ هُوَ رَبُّ السَّعْرَى﴾ ٤٢ - ٤٩.

الرحمن: ﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ ٢٩.

و قال وَ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَ الْإِكْرَامِ ٧٨.

الحديد: ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يُحْيِي وَ يُمِيتُ وَ هُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَ الْآخِرُ وَ الظَّاهِرُ وَ الْبَاطِنُ وَ هُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَ مَا يَعْرُجُ فِيهَا وَ هُوَ مَعََكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ إِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يَوْمَ الْبَلَاءِ فِي النَّهَارِ وَ

يُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١﴾ - ٦.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿ثَلَاثًا يَعْلَمُ أَهْلَ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ ٢٩.

الحشر: وَالصَّف: ﴿يَسْبَحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١.

الجمعة: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١.

المنافقين: ﴿وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ٧.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَلِلَّهِ الْغَنَاءُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ٨.

التغابن: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ١ - ٤.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ ٦.

وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ ﴿إِنْ تَقْرَءُوا اللَّهَ فَرَضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ غَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ١٧ - ١٨.

الطلاق: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ ٣.

التحريم: ﴿وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ ٢.

الملك: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ١ - ٢.

البروج: ﴿وَمَا تَقْضُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ ٨ - ٩.

﴿وَقَالَ تَعَالَى إِنْ يَطَّشْ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ ١٢٦ - ١٢٧.

وَقَالَ تَعَالَى ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ ٢٠.

الأعلى: ﴿يُسَبِّحُ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى الَّذِي خَلَقَ فَسُوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى وَالَّذِي أَخْرَجَ الْحَرَمَ عَنْهُ غَتَاةً أَحْوَى﴾ ١ - ٥.

الناس: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ﴾ ١ - ٣.

١- يد: [التوحيد] لي: [الأمالي للصديق] ابن عصام عن الكليني عن محمد بن علي بن معن عن محمد بن علي بن عاتكة عن الحسين بن النضر الفهري عن عمرو الأزاعي عن عمرو بن شمر عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عن أبيه عن جده عليه السلام قال قال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة خطبها بعد موت النبي صلى الله عليه وآله تسعة أيام وذلك حين فرغ من جمع القرآن فقال الحمد لله الذي أعجز الأوهام أن تتال إلا وجوده وحجب العقول عن أن تخيل ذاته في امتناعها من الشبه والشكل بل هو الذي لم يتفاوت في ذاته ولم يتبعض بتجزية العدد في كماله فارق الأشياء لا على اختلاف الأماكن وتمكن منها لا على الممازجة وعلمها لا بأداة لا يكون العلم إلا بها وليس بينه وبين معلومه علم غيره إن قيل كان فعلى تأويل أزلية الوجود وإن قيل لم يزل فعلى تأويل نفي العدم فسبحانه وتعالى عن قول من عبد سواه واتخذ إلها غيره علوا كبيرا ^(١).

ف: [تحف العقول] خطبة المعروفة بالوسيلة الحمد لله الذي أعدم الأوهام أن تنال إلى وجوده إلى آخر ما مر^(١).

أقول: سيأتي الخطبة بتامها في أبواب المواعظ مع شرحها.

٢- يد: [التوحيد: ن] عيون أخبار الرضا عليه السلام | حدثنا أبو العباس محمد بن إبراهيم بن إسحاق الطالقاني رضوان الله عليه قال حدثنا أبو سعيد الحسن بن علي العدوي قال حدثنا الهيثم بن عبد الله الرماني^(٢) قال حدثني علي بن موسى الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عليه السلام قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام الناس في مسجد الكوفة فقال الحمد لله الذي لا من شيء كان ولا شيء^{٢٢٢} من شيء كون ما قد كان المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته وبما رسمها به من العجز على قدرته وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه لم يخل منه مكان فيدرك بأينته ولا له شئ مثال فيوصف بكيفية^(٣) ولم يغب عن شيء فيعلم بحيشته^(٤) مبين لجميع ما أحدث في الصفات وممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات وخارج بالكبرياء والعظمة من جميع تصرف الحالات محرم على بوارق ناقيات الفطن تحديده وعلى عوامق ثاقبات الفكر تكييفه وعلى غوائص سابحات النظر^(٥) تصويره لا تحويه الأماكن لعظمته ولا تدركه المقادير^(٦) لجلاله ولا تقطعه المقاييس لكبريائه ممتنع عن الأوهام أن تكتنه وعن الأفهام أن تستغرقه وعن الأذهان أن تمتلئه قد يست من استنباط الإحاطة به طوامع العقول ونضبت عن الإشارة إليه بالاكتهاء بحار العلوم ورجعت بالصغر عن السمو إلى وصف قدرته لطائف الخصوم واحد لا من عدد ودائم لا بآمد وقائم لا بعهد وليس بجنس فتعذر له الأجناس ولا يشيع فتضارعه الأشباح ولا كالأشياء فتقع عليه الصفات قد ضلت العقول في أمواج تيار إدراكه وتحيرت الأوهام عن إحاطة ذكر أزليته وحشرت الأفهام عن استشعار وصف قدرته وغرقت الأذهان في ليج أفلاك ملكوته مقتدر بالآلاء وممتنع بالكبرياء ومتملك على الأشياء فلا دهر يخلقه ولا وصف يحيط به قد خضعت له رواتب الصعاب^(٧) في محل تخوم قرارها وأذعنت له رواصن الأسباب في منتهى شواقي أقطارها مستشهد بكلية الأجناس على ربوبيته ويعجزها على قدرته وبفطورها على قدمته وبزوالها على بقاءه فلا لها محيص عن إدراكه إياها ولا خروج من إحاطته بها ولا احتجاب عن إحصائه لها ولا امتناع من قدرته عليها كفي بإتقان الصنع لها آية وبمركب الطبع عليها دلالة وبحدوث الفطر عليها قدمة وبأحكام الصنعة لها عبرة فلا إليه حد منسوب ولا له مثل مضروب ولا شيء عنه بمحجوب تعالى عن ضرب الأمثال والصفات المخلوقة علوا كبيرا وأشهد أن لا إله إلا هو إيماناً بربوبيته وخلافاً على من أنكره وأشهد أن محمداً عبده ورسوله المقر في خير مستقر المتناسخ من أكارم الأصلاب و^{٢٢٣} مظهرات الأرحام المخرج من أكرم المعادن محتداً وأفضل المنابت منبتاً من أمنع ذروة وأعز أرومة من الشجرة التي صاغ الله منها أنبياءه وانتجب منها أمناه الطيبة العود المعتدلة العمود الباسقة الفروع الناضرة الغضون اليبانة الثمار الكريمة الحشا^(٨) في كرم غرست وفي حرم أنبتت وفيه تشعبت وأثمرت وعزت وامتنت فسمت به وشمخت حتى أكرمها الله عز وجل بالروح الأمين والنور المنير^(٩) والكتاب المستبين وسخر له البراق وصافحته الملائكة وأرعب به الأبالس وهدم به الأصنام والآلهة المعبودة دونه سنته الرشيد وسيرته العدل وحكمه الحق صدى بما أمره ربه وبلغ ما حمله حتى أفصح بالتوحيد دعوته وأظهر في الخلق أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له حتى خلصت الوجدانية و صفت الربوبية وأظهر الله بالتوحيد حجته وأعلى بالإسلام درجته واختار الله عز وجل لنبيه ما عنده من الروح والدرجة والوسيلة صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين^(١٠)

بيان: قوله عليه السلام ولا من شيء كون ما قد كان رد على من يقول بأن كل حادث مسبوق بالمادة

(١) تحف العقول: ٩٢ مع فوارق لفظية.

(٢) الهيثم بن عبد الله الرماني، قال النجاشي: كوفي، روى عن موسى والرضا عليه السلام له كتاب: «رجال النجاشي» ٤٠٣: ٢ رقم ١١٧٣.

(٣) في «أ» والعيون، ولا له شئ مثال فيوصف بكيفية وفي التوحيد: ولا له شبه مثال فيوصف بكيفية.

(٤) كذا في «أ» وفي العيون، وفي التوحيد: ولم يغب عن شيء فيعلم بحيشته.

(٥) في التوحيد: سابحات الفطر. (٦) في العيون: ولا تدركه المقادير.

(٧) في العيون: فلا دهر يخلقه، ولا زمان يبليه، ولا وصف يحيط به قد خضعت له الرقاب الصعاب.

(٨) في العيون: الكريمة الجناء. (٩) في العيون والتوحيد: والنور البين.

(١٠) التوحيد: ٦٩ - ٧٢ ب ٢ ح ٦ عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١١١ - ١١٣ ب ١١ ح ١٥.

المستشهد بحدوث الأشياء على أزليته الاستشهاد بطلب الشهادة أي طلب من العقول بما بين لها من حدوث الأشياء الشهادة على أزليته أو من الأشياء أنفسها بأن جعلها حادثة فهي بلسان حدوثها تشهد على أزليته والمعنى على التقديرين أن العقل يحكم بأن كل حادث يحتاج إلى موجد وأنه لا بد من أن تنتهي سلسلة الاحتياج إلى ما لا يحتاج إلى موجد فيحكم بأن علة العلل لا بد أن يكون أزليا وإلا لكان محتاجا إلى موجد آخر يحكم المقدمة الأولى.

وبما وسماها من العجز على قدرته الوسم الكي شبه ﷺ ما أظهر عليها من آثار العجز والإيمان والاحتياج بالسمة التي تكون على العبيد والنعم وتدل على كونها مقهورة مملوكة وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه إذ فناؤها يدل على إمكانها وحدوثها فيدل على احتياجها إلى صانع ليس كذلك.

لم يخل منه مكان فيدرك بأينية أي ليس ذا مكان حتى يكون في مكان دون مكان كما هو من لوازم المتمكنات فيدرك بأنه ذو أين ومكان بل نسبة المجرى إلى جميع الأمكنة على السواء ولم يخل منه مكان من حيث الإحاطة العلمية والعلية والحفظ والتربية أو أنه لم يخل منه مكان حتى يكون إدراكه بالوصول إلى مكانه بل آثاره ظاهرة في كل شيء ولا له شبح مثال فيوصف بكيفية إضافة الشبح بيانية أي ليس له شبح مماثل له لا في الخارج ولا في الأذهان فيوصف بأنه ذو كيفية من الكيفيات الجسمانية أو الإمكانية ويحتمل أن يكون المراد بالكيفية الصورة العلمية.

و لم يرغب عن شيء فيعلم بحيشة أي لم يرغب عن شيء من حيث العلم حتى يعلم أنه ذو حيث ومكان إذ شأن المكانيات أن يغيبوا عن شيء فلا يحيطوا به علما فيكون كالتأكيد للفقرة السابقة ويحتمل أن يكون حيث هنا للزمان قال ابن هشام قال الأخفش وقد ترد حيث للزمان أي لم يرغب عن شيء بالعدم ليكون وجوده مخصوصا بزمان دون زمان ويحتمل على هذا أن يكون إشارة إلى ما قيل من أنه تعالى لما كان خارجا عن الزمان فجميع الأزمنة حاضرة عنده كخيوط مع ما فيه من الزمانيات وإنما يغيب شيء عما لم يأت إذا كان داخل في الزمان ويحتمل أن تكون الحيشة تعليلية أي لم يجهل شيئا فيكون علمه به معللا بعلة وعلى هذا يمكن أن يقرأ يعلم على بناء المعلوم وفي التوحيد لم يرغب عن علمه شيء.

و ممتنع عن الإدراك بما ابتدع من تصريف الذوات أي أظهر بما أبدع من الذوات. المتغيرة المتقلة من حال إلى حال أنه يمتنع إدراكه إما لوجوب وجود المانع من حصول حقيقته في الأذهان لما مر أو لأن حصوله فيها يستلزم كونه كسائر الذوات الممكنة محلا للصفات المتغيرة فيحتاج إلى صانع أو لأن العقل يحكم بمباينة الصانع للمصنوع في الصفات فلا يدرك كما تدرك تلك الذوات ويحتمل أن يكون الظرف متعلقا بالإدراك أي يمتنع عن أن يدرك بخلقه أي بمشابهتها أو بالصور العلمية التي هي مخلوقة له.

من جميع تصرف الحالات أي الصفات الحادثة المتغيرة محرم على بوارع ناقيات الفطن تحديده البوارع جمع البارع و هي الفائقة والتعب والتعب ولعل المراد بالتحديد العقلي ويحتمل الأعم و الناقيات التافذات أو المضينات والتكيف إثبات كيف له أو الإحاطة بكيفية ذاته و صفاته أي كنهها وكذا التصوير إثبات الصورة أو تصويره بالكنه والأخير فيهما أظهر.

قوله لعظمته أي لكونه أعظم شأنًا من أن يكون محتاجا إلى المكان قوله ﷻ لجلاله أي لكونه أجل قدرا عن أن يكون ذا مقدار قوله ﷻ ولا تقطعه من قطعه كسمعه أي أبانه أو من قطع الوادي وقطع المسافة والمقاييس أعم من المقاييس الجسمانية والعقلانية والكنه بالضم جوهر الشيء وغايته وقدره ووقته وجهه واكتننه وأكنهه بلغ كنهه ذكره الفيروزآبادي (١).

قوله ﷺ أن تستغفره قال الفيروز آبادي استغفر استوعب^(١) وفي التوحيد أن تستغفره أي تطلب معرفته قوله ﷺ أن تمتلئه قال الفيروز آبادي امتلئه تصوره^(٢) وفي التوحيد تمثله قوله من استنباط أي استخراج الإحاطة به وبكنهه طوامح العقول أي العقول الطامحة الرفيعة وكل مرتفع طامح.

قوله ﷺ ونضبت يقال نضب الماء نضوباً أي غار أي يبست بحار العلوم قبل أن تشير إلى كنه ذاته أو تبين غاية صفاته قوله بالصغر بالضم أي مع الذل والسمو الارتفاع والعلو ولعل إضافة اللطائف إلى الخصوم ليست من قبيل إضافة الصفة إلى الموصوف بل المراد المناظرات اللطيفة بينهم أو فكرهم الدقيقة أو عقولهم ونفوسهم اللطيفة.

قوله ﷺ واحد لا من عدد أي من غير أن يكون فيه تعدد أو من غير أن يكون معه ثان من جنسه والأمد الغاية والعمد بالتحريك جمع العمود أي ليس قيامه قياماً جسيماً يكون بالعمد الدينية أو بالاعتماد على السابقين أو أنه قائم باق من غير استناد إلى سبب يعتمد عليه وبقيمه كسائر الموجودات الممكنة قوله ﷺ ليس بجنس أي ذا جنس فيكون ممكناً معادلاً لسائر الممكنات الداخلة تحت جنسه أو أجناسها والشيخ بالتحريك الشخص وجمعه أشباح والمضاربة المشابهة وقال الجزري التيار موج البحر ولجته انتهى^(٣).

وحصر الرجل كعلم تعب وحصرت صدورهم ضاقت وكل من امتنع من شيء لم يقدر عليه فقد حصر عنه ذكرها الجوهر^(٤) والاستشعار لبس الشعار والثوب الذي يلي الجسد كناية عن ملازمة الوصف ويحتمل أن يكون المراد به هنا طلب العلم والشعور والملوكوت الملك والعزة والسلطان قوله ﷺ بالآلاء أي عليها والملك الملك قهراً وضمن معنى التسلط والاستيلاء وفي بعض نسخ التوحيد مستملك.

قوله يخلقه من باب الإفعال من الخلق ضد الجديد والراتب الثابت والصعب تقيض الذلول والتخم منتهى الشيء والجمع التخوم بالضم والرصين المحكم الثابت وأسباب السماء مراقبها أو نواحيها أو أبوابها والشاهق المرتفع من الجبال والأنبية وغيرها فرواتب الصعاب إشارة إلى الجبال الشاهقة التي تشبه الإبل الصعاب حيث أُنبتت بعروقها إلى منتهى الأرض ويحتمل أن تكون إشارة إلى جميع الأسباب الأرضية من الأرض والجبال والماء والثور والسحمة والصخرة وغيرها حيث أثبت كلامها في مقرها بحيث لا يزول عنه ولا يتزلزل ولا يضطرب وإنما عبر عنها بالصعاب إشارة إلى أن من شأنها أن تضطرب وتزلزل لو لأن الله أثبتت بقدرته ورواض الأسباب إشارة إلى الأسباب السماوية من الأفلاك والكواكب حيث رتبها على نظام لا يختل ولا يتبدل ولا يختلف ولذا أورد ﷺ في الأول التخوم وفي الثاني الشواق وما بعد ذلك من الفقرات مؤكدة لما مر والإدراك والإحاطة والإحصاء كل منها يحتمل أن يكون بالعلم أو بالقدرة والعلية والقهر والغلبة أو بالمعنى الأعم أو بالتوزيع.

قوله ﷺ كفى بإتقان الصنع الباء زائدة أي كفى إحكام صنعه تعالى للأشياء لكونها آية لوجوده و صفاته الكمالية والركب مصدر ميمي بمعنى الركوب أي كفى ركوب الطبايع وغلبتها على الأشياء للدلالة على من جعل الطبايع فيها وجعلها مسخرة لها ويحتمل أن يكون اسم مفعول من التركيب كما يقال ركبت الفص في الخاتم أو عليه أي كفى الطبع الذي ركب على الأشياء دلالة على مركبها وعلى التقديرين رد على الطبيعيين المنكرين للصانع بإسناد الأشياء إلى الطبايع والفطر الخلق والابتداء والاختراع ويحتمل أن يكون هنا الفطر بكسر الفاء وفتح الطاء على صيغة الجمع أي كفى حدوث الخلق على الأشياء دلالة على قدمه.

قوله ﷺ فلا إليه حد أي ليس له حد ينسب إليه قوله إيماناً حال أو مفعول لأجله وكذا قوله خلافاً

قوله ﷺ المقر على صيغة المفعول وخير مستقر المراد به إما عالم الأرواح أو الأصلاب الطاهرة أو أعلى عليين بعد الوفاة.

قوله المتناسخ أي المتزايل والمتنقل والمحتد بكسر التاء الأصل يقال فلان في محتد صدق ذكره الجوهري^(١) والمنبت بكسر الباء موضع النبات والأرومة بفتح الهزرة وضم الراء أصل الشجرة و يسق النخل بسوقا طال ومنه قوله تعالى ﴿وَالْتَحَلَّ بِأَسْقَاتٍ﴾^(٢) والبالغ النضيج والحشا واحد أخشاء البطن والمراد هنا داخل الشجرة ويحتمل أن يكون من قولهم أنا في حشاه أي في كنفه و ناحيته و سمت و شخمت كلاهما بمعنى ارتفعت و الباء في قوله به لتعديتهما والمراد بالشجرة الإبراهيمية ثم القرشية ثم الهاشمية و صدع بالحق تكلم به جهارا والإفصاح البيان بفصاحة أي أظهر دعوته متلبسا بالتوحيد ويمكن أن تقرأ دعوته بالرفع ليكون فاعل الإفصاح والضمير في قوله حجته و درجته راجع إلى الرسول.

٣- يد: [التوحيد] ن: [عيون أخبار الرضا] ع حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي الله عنه قال حدثنا محمد بن عمرو الكاتب عن محمد بن أبي زياد القلزمي^(٣) عن محمد بن أبي زياد الجدي صاحب الصلاة بجدة قال حدثني محمد بن يحيى بن عمر بن علي بن أبي طالب قال سمعت أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلم بهذا الكلام عند المأمون في التوحيد قال ابن أبي زياد و رواه لي أيضا أحمد بن عبد الله العلوي مولى لهم و خلا لبعضهم عن القاسم بن أيوب العلوي أن المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام جمع بني هاشم فقال إني أريد أن أستعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي فحسده بنو هاشم و قالوا تولى رجلا جاهلا ليس له بصر بتدبير الخلافة فابعث إليه يأتنا فترى من جهله ما تستدل به عليه فبعث إليه فأثاه فقال له بنو هاشم يا أبا الحسن اصعد المنبر و انصب لنا علما نعبد الله عليه فصعد المنبر فقعده مليا لا يتكلم مطرقا ثم انتفض انتفاضة و استوى قائما و حمد الله و أثنى عليه و صلى على نبيه و أهل بيته ثم قال أول عبادة الله معرفته و أصل معرفة الله توحيده و نظام توحيد الله نفي الصفات عنه لشهادة العقول أن كل صفة و موصوف مخلوق و شهادة كل موصوف أن له خالقا ليس بصفة و لا موصوف و شهادة كل صفة و موصوف بالاتقارن و شهادة الاتقارن بالحدث و شهادة الحدث بالامتناع من الأزل الممتنع من الحدث فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته^(٤) و لا إياه وحد من اكنته و لا حقيقته أصاب من مثله و لا به صدق من نها و لا صمد صمده من أشار إليه و لا إياه عنى من شبهه و لا له تدل من بعضه و لا إياه أراد من توهمه كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم في سواه معلول يصنع الله يستدل عليه و بالعقول تعتقد معرفته و بالقطرة تثبت حجته خلقه الله الخلق حجاب بينه و بينهم^(٥) و مباينته إياهم مفارقتهم أي نيتهم^(٦) و ابتداءه إياهم دليلهم على أن لا ابتداء له لعجز كل مبتدئ عن ابتداء غيره و أدوه إياهم دليل^(٧) على أن لا أداة فيه لشهادة الأدوات بفاقية الماديين فأسأوه تعبير و أفعاله تفهيم و ذاته حقيقة و كنهه تفریق بينه و بين خلقه و غيره^(٨) تحديد لما سواه فقد جهل الله من استوصفه و قد تعداه من اشتمله^(٩) و قد أخطأه من اكنته و من قال كيف فقد شبهه و من قال لم فقد عله و من قال متى فقد وقته و من قال فيم فقد ضمنه و من قال إلام فقد نهاه و من قال حتام فقد غياه و من غياه فقد غاياه و من غاياه فقد جزاه و من جزاه فقد وصفه و من وصفه فقد أحد فيه لا يتغير الله بانغيار المخلوق^(١٠) كما لا ينحد بتحديد المحدود^(١١) أحد لا بتأويل عدد ظاهر لا بتأويل المباشرة متجل لا باستهلال رؤية باطن لا بمزايلة مباين لا بمسافة قريب لا بمدانة لطيف لا بتجسم موجود لا بعد عدم فاعل لا باضطرار مقدر لا بجول فكرة مدبر لا بحركة مريد لا بهمامة شاء لا بهمة مدرك لا

٢٢٩

٤

٢٢٩

٤

(١) الصحاح: ٤٦٧.

(٢) في المصدرين: محمد بن زياد القلزمي، و لم اعثر عليه و على بقية رجال السند.

(٣) في التوحيد و الاحتجاج: فليس الله عرف من عرف بالتشبيه ذاته.

(٤) و في نسخة: خلق الله الخلق حجاب بينه و بينهم، و في أخرى: خلق الله الخلق حجاب بينه و بينهم. و هو ما عليه نسخة التوحيد أيضا. و في

(٥) في نسخة: خلق الخلق حجابا بينه و بينهم.

(٦) في التوحيد: مفارقتهم.

(٧) في «أ» و في العيون: دليلهم.

(٨) كذا في النسخ، والعيون، وبعض نسخ التوحيد، و في متن التوحيد غيوره بالباء الموحدة، من غير معنى البقاء «لسان العرب ١٠: ٨» و في

(٩) في الاحتجاج: غيره.

(١٠) في الاحتجاج: بتغير المخلوق.

(١١) في التوحيد والعيون: لا يتحدد بتحديد المحدود.

بمجة سمع لا بآلة بصير لا بأداة لا تصحبه الأوقات ولا تضمنه الأماكن ولا تأخذه السنوات ولا تحده الصفات ولا تنقده الأدوات سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله بتشييره المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جواهر له وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأمور عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة والجلالة بالبهيم والجسوء بالليل^(١) والصرد بالحرور مؤلف بين متعاداتها مفرق بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها ذلك قوله جل وعز ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أقل قبل له ولا بعد شاهده بغرائها إلا غريزة لمغرضها دالة بتفاوتها إلا تفاوت لمفاوتها مخبرة بتوقيفها إلا وقت لموقتها حجب بعضها عن بعض ليعلم ألا حجاب بينه وبينها من غيرها^(٣) له معنى الربوبية إذ لا مربوب وحقيقة الإلهية إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم ومعنى الخالق ولا مخلوق وتأويل السمع ولا مسموع ليس مذ خلق استحق معنى الخالق ولا بإحداثة البرايا استفاد معنى البارئ كيف ولا تغيبه مذ والسمع ولا تدنيه قد ولا يحجبه لعل ولا يوقته متى ولا يشتمله حين ولا تقارنه مع إنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلة إلى نظائرها وفي الأشياء يوجد أفعالها معنتها مذ القدمة وحمتها قد الأزلية وجنتها لو لا التكملة^(٤) افترقت فدلّت على مفرقها وتباينت فأعربت عن مباينتها بها تجلى^(٥) صانعها للعقول وبها احتجب عن الرؤية وإلهها تحاكم الأوهام وفيها أثبت غيره ومنها أنيط الدليل وبها عرفها بالإقرار بالعقول يعتقد التصديق بالله وبالإقرار يكمل الإيمان به لا ديانة إلا بعد معرفة ولا معرفة إلا بإخلاص ولا إخلاص مع التشبيه ولا نفي مع إثبات الصفات للتشبيه فكل ما في الخلق لا يوجد في خالقه وكل ما يمكن فيه يمتنع في صانعه لا تجري عليه الحركة والسكون وكيف يجري عليه ما هو أجراه أو يعود فيه ما هو ابتداءه إذا لتفاوتت ذاته ولتجزأ كنهه ولا تمتنع من الأزل معناه ولما كان للبارئ معنى غير المبروء ولوحده وراء إذا حد له إمام ولو التمس له التمام إذا لزمه النقصان كيف يستحق الأزل من لا يمتنع من الحدث وكيف ينشئ الأشياء من لا يمتنع من الإنشاء إذا لقامت فيه آية المصنوع ولتحول دليلا بعد ما كان مدلولاً عليه ليس في محال القول حجة ولا في المسألة عنه جواب ولا في معناه له تعظيم ولا في إبانته عن الخلق ضيم إلا بامتناع الأزلي أن ينشئ وما لا بدأ له أن يبدأ إلا إله إلا الله العلي العظيم كذب العادلون بالله وضلوا ضللاً بعيداً وخسروا خسارنا مبيناً وصلى الله على محمد وآله الطاهرين^(٦)

ج: [الإحتجاج] رواه مرسلًا من قوله وكان المأمون لما أراد أن يستعمل الرضا^(٧) إلى آخر الخبر.

٤- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] المفيد عن الحسن بن حمزة العلوي عن محمد بن الحويرث عن أبيه عن ابن عيسى عن مروك بن عبيد^(٨) عن محمد بن زيد الطوسي^(٩) قال سمعت الرضا^(١٠) يتكلم في توحيد الله فقال أول عبادة الله معرفته إلى آخر الخطبة^(١١)

(١) جسا جسوا: يسس وصب. «لسان العرب ٢: ٢٨٤» وكذا: جسا يجسا جسوء: صلب وخشن. «لسان العرب ٢: ٢٨١» وفي العيون، والحصو بالليل والحصو ما تنتفش الأرض من الرمل «لسان العرب ٣: ١٨٢».

(٢) الذاريات: ٤٩.

(٣) في «أ» والعيون والاحتجاج، والتوحيد: وبينها غيرها، نسخ التوحيد تطابق المتن.

(٤) في «ب» العيون: لو لا الكلمة.

(٥) في نسخة: لما تجلى.

(٦) التوحيد: ٣٤ - ٤١ ح ٢ ح ٢ وفيه فرق يسير، عيون اخبار الرضا^(١٢) ١: ١٣٥ - ١٣٨ ح ١١ ح ٥١ مع فارق يسير.

(٧) الاحتجاج: ٣٩٨ مع فارق.

(٨) قال النجاشي، مروك بن عبيد بن سالم بن أبي حفصة، مولى بني عجل، قال بعض اصحابنا: انه مولى عمار بن ميارك العلجي، واسم مروك: صالح، واسم أبي حفصة زياد. قال اصحابنا القميون: له نوادر اصل. ثم ذكر طريقه اليه «رجال النجاشي ٢: ٣٧٩ رقم ١١٤٣» وذكر الشيخ كتابه في الفهرست ذاكرا طريقه اليه ص ١٦٨ رقم ٧٤٣. وعده الشيخ من اصحاب الإمام الجواد^(١٣) مكتفيا بذكر الاسم «رجال الشيخ: ٤٠٦ رقم ٢١» وفي نسخة الإمام الخوئي انه اضاف اليه عبارة: من قم «معجم رجال الحديث ١٨: ١٢٧ رقم: ١٢٢٣٦».

وكان الكشي - طاب ثراه - قد نقل عن العياشي محمد بن مسعود قوله: سألت علي بن الحسن عن مروك بن عبيد بن سالم بن أبي حفصة فقال ثقة شيخ صدوق «اختيار معرفة الرجال: ٨٣٥ ح ١٠٦٣».

(٩) كذا في نسخة من البحار، وفي امالي المفيد، اما في المصدر فقد وقع اسمه هكذا: محمد بن يزيد الطبري. وفي «ط» و«أ»: محمد بن زيد الطوسي. عده الشيخ من اصحاب الرضا^(١٤) قال: محمد بن زيد الطبري اصله كوفي. «رجال الشيخ ص ٣٨٧ رقم ١٦» وفي الكافي وقع اسمه كما ابتناه في المتن راويا عن الإمام الرضا^(١٥)، ومرويا عنه من قبل مروك بن عبيد «الكافي ١٨٧: ١٠ ح ١٠» وكذا وقع اسمه في «٥٤٧ ح ٢٥» وقد وقع في التهذيب ٣٩٩: ١٣٩ ح ٢٩٥ وكذا في الاستبصار والامالي. اما احتمال التصحيح فيعود الي ما يفترض ان يكون الشيخ اكثر عناية في تدقيق الاسم في كتاب الرجال، وتطابقه مع ما وقع في اسانيد الكافي وامالي المفيد يعزز من ذلك. خاصة وان اسناد الشيخ هو نفس اسناد استاذ المفيد - وه -

(١٠) امالي الشيخ الطوسي: ٢٢ - ٢٣ ج ١ مع فارق.

جا: (المجالس للمفيد) عن الحسن بن حمزة مثله بتغيير ما^(١).

بيان: ملأ أي طويلا و الانتفاض شبه الارتعاد والاقشعرار قوله ﷺ أول عبادة الله أي أشرفها و أقدمها زمانا و رتبة لاشرط قبول سائر الطاعات بها و أصل المعرفة التوحيد إذ مع إثبات الشريك أو القول بتركب الذات أو زيادة الصفات يلزم القول بالإمكان فلم يعرف المشرك الواجب و لم يشبهه و نظام التوحيد و تمامه نفي الصفات الزائدة الموجودة عنه إذ أول التوحيد نفي الشريك ثم نفي التركب ثم نفي الصفات الزائدة فهذا اكماله و نظامه.

ثم استدل على نفي زيادة الصفات و يمكن تقريره بوجوه:

الأول: أن يكون إشارة إلى دليلين الأول أن كل صفة و موصوف لا بد من أن يكونا مخلوقين إذ الصفة محتاجة إلى الموصوف لقيامها به و هو ظاهر و الموصوف محتاج إلى الصفة في كماله و الصفة غيره و كل محتاج إلى الغير ممكن فلا يكون شيء منهما واجبا و لا المركب منهما فثبت احتياجهما إلى علة ثالثة ليس بموصوف و لا صفة و إلا لعاد المحذور. الثاني: أن الصانع لا بد أن يكون كاملا أزلا و أبدا لشهادة جميع العقول به فلا بد من أن تكون الصفات الزائدة مقارنة له غير منفكة عنه و يجوز قدم الجميع لبطان تعدد القدماء فيلزم حدوث الذات و الصفات معا فلا يكون شيء منها واجبا فالمراد بقوله شهادة كل موصوف و صفة^(٢) شهادة كل موصوف فرض كونه صانعا و صفته أو الصفات اللازمة للذوات.

الوجه الثاني: أن يكون إشارة إلى دليلين على وجه آخر:

الأول: أنه لو كانت له تعالى صفات زائدة لكانت ممكنة لامتناع تعدد الواجب و لا يجوز أن يكون الواجب موجدا لها إما لامتناع كون الشيء قابلا و فاعلا لشيء واحد أو لأن تأثير الواجب فيها يتوقف على اتصافه بتلك الصفات إذ لو لم يتوقف التأثير في تلك الصفات التي هي منشأ صدور جميع الممكنات عليها لم يتوقف التأثير في شيء عليها فلا يثبت له تعالى شيء من الصفات فتكون معولة لغيره تعالى و من كانت جميع صفاته الكمالية من غيره لا يكون واجبا صانعا لجميع الموجودات بالضرورة.

الثاني: أن التوصيف اقتران خاص يوجب الاحتياج من الجانبين كما مر و الاحتياج موجب للحدوث المنافي للأزلية.

الوجه الثالث: أن يكون راجعا إلى دليل واحد و تقريره أنه لو كانت الصفات زائدة لكانت الذات و الصفات مخلوقة و هذا خلف و بين الملازمة بقوله و شهادة كل صفة و موصوف بالاقتران بنحو ما مر من الاحتياج المستلزم للإمكان.

قوله ﷺ فليس الله من عرف بالتشبيه ذاته أي ليس من عرف ذاته بالتشبيه بالممكنات واجبا لأنه يكون ممكنا مثلها و يمكن أن يقرأ الله بالرفع و النصب و الأول أظهر قوله من اكتنحه أي بين كنهه ذاته أو طلب الوصول إلى كنهه إذ لو كان يعرف كنهه لكان شريكا مع الممكنات في التركب و الصفات الإمكانية فهو ينافي التوحيد أو لأن حصول الكنه في الذهن يستلزم تعدد أفراد الواجب كما قبل.

قوله ﷺ من مثله أي جعل له شخصا و مثالا أو مثله في ذهنه و جعل الصورة الذهنية مثالا له أو المراد أثبت له مثلا و شبهه بغيره قال الفيروز آبادي مثله له تمثيلا صورة له حتى كأنه ينظر إليه و مثل فلانا فلانا و به شبهه به انتهى^(٣) و على ما ذكره يمكن أن يقرأ بالتخفيف أيضا قوله ﷺ من نهاء بالتشديد أي جعل له حدا و نهاية من النهايات الجسمانية و من جعله كذلك فلم يصدق بوجوده بل يمكن غيره و يحتمل أن يكون المعنى جعله نهاية لفكره و زعم أنه وصل إلى كنهه قوله ﷺ و لا صمد صمده أي لا قصد نحوه من أشار إليه إشارة حسية أو الأعم منها و من الوهمية و العقلية و في

(١) أمالي الشيخ المفيد: ٢٥٣ - ٢٥٨ م ٣٠٠ ح ٤.

(٢) في «ط»: كل موصوف وصفة. و هو يخالف ما في «أ» و ما في متن الخطبة المثبت في النسخ.

(٣) القاموس المحيط ٤: ٥٠.

«جا» من أشار إليه بشيء من الحواس قوله ﷺ من بعضه أي حكم بأن له أجزاء وأبعاض فهو في عبادة لم يتدخل له بل لمن عرفه وهو غيره تعالى قوله ﷺ من توهمه أي من تخيل له في نفسه صورة أو هيئة وشكلا أو المعنى أن كل ما يصل إليه عقول العارفين فهو غير كنهه تعالى.

قوله ﷺ كل معروف بنفسه مصنوع أي كل ما يعلم وجوده ضرورة بالحواس من غير أن يستدل عليه بالآثار فهو مصنوع أو كل ما هو معلوم بكنهه الحقيقة إما بالحواس أو بالأوهام أو العقول فهو مصنوع مخلوق إما لما ذكر أن كنه الشيء إنما يعلم من جهة أجزائه وكل ذي جزء فهو مركب ممكن أو لما مر من أن الصورة العقلية تكون فردا لتلك الحقيقة فيلزم التعدد وهو يستلزم التركب ويحتمل أن يكون المعنى أن الأشياء إنما تعلم بصورها الذهنية والمعروف بنفسه هو نفس تلك الصورة وهو حال في محل حادث ممكن محتاج فكيف يكون كنه حقيقة البارئ تعالى شأنه فيكون قوله ﷺ و كل قائم في سواه معلول كالدليل عليها وعلى الأولين يكون نفيا لحلوله تعالى في الأشياء و قيامه بها و يؤيد المعنى الأول قوله ﷺ يصنع الله يستدل عليه. قوله ﷺ بالقطرة تثبت حجته أي بأن فطرهم و خلقهم خلقه قابلة للتصديق والإذعان والمعرفة والاستدلال أو يتعرفهم في الميثاق و فطرهم على ذلك التعريف و قد مر بيانه في باب الدين الحنيف و يحتمل أن يكون المراد هنا أن حجته تمام^(١) على الخلق بما فطر و ابتدئ من خلقه قوله خلقه الله الخلق أي كونه خالقا و أن الخالق لا يكون بصفة المخلوق و يكون ميانا له في الصفات صار سببا لاحتجابه عن الخلق فلا يدركونه بحواسهم و لا عقولهم و الحاصل أن كماله و نقص مخلوقه حجاب بينه و بينهم.

قوله ﷺ و مباينته إياهم أي مباينته تعالى إياهم ليس بحسب المكان حتى يكون في مكان و غيره في مكان آخر بل إنما هي بأن فارق أبنيتهم فليس له أين و مكان و هم محبوسون في مطبوعة المكان أو المعنى أن مباينته لمخلوقيه في الصفات صار سببا لأن ليس له مكان.

قوله ﷺ و أدوه إياهم أي جعلهم ذوي أدوات يحتاجون إليها في الأعمال من الأعضاء و الجوارح و القوى و سائر الآلات دليل على أنه ليس فيه شيء منها لشهادة الأدوات فيما يشاهد في المادين بفاقتهم و احتياجهم إليها و هو منزّه عن الاحتياج أو المعنى أن الأدوات التي هي أجزاء للمادين تشهد بفاقتهم إلى موجد لكون كل ذي جزء محتاجا ممكنا فكيف تكون فيه تعالى.

قوله فأسماؤه تعبير أي ليست عين ذاته و صفاته بل هي معبرات عنها و أفعاله تفهيم ليعرفوه و يستدلوا بها على وجوده و علمه و قدرته و حكمته و رحمته قوله ﷺ و ذاته حقيقة أي حقيقة مكنونة عالية لا تصل إليها عقول الخلق بأن يكون التنوين للتعظيم و التثنية أو خليقة بأن تتصف بالكمالات دون غيرها أو ثابتة واجبة لا يعتريها التغير و الزوال فإن الحقيقة ترد بتلك المعاني كلها و في بعض نسخ التوحيد حقاقة أي مثبتة موجدة لسائر الحقائق.

قوله ﷺ و كنهه تفريق بينه و بين خلقه لعل الغرض بيان أنه لا يشترك في ذاتي مع الممكنات بأبلغ وجه أي كنهه يفرق بينه و بينهم لعدم اشتراكهم معهم في شيء و يحتمل أن يكون المعنى أن غاية توحيد الموحدين و معرفتهم نفي الصفات الممكنات عنه و الحاصل عدم إمكان معرفة كنهه بل إنما يعرف بالوجوه التي ترجع إلى نفي النقاظ عنه كما مر تحقيقه و يؤيد الأول قوله ﷺ و غيوره تحديد لما سواه فالغيور إما مصدر أو جمع غير أي كونه مغايرا له تحديد لما سواه فكل ما سواه مغاير له في الكنه و يحتمل أن يكون المراد بالمغايرة المباينة بحيث لا يكون من توابعه أصلا جزاء له و لا صفة أي كل ما هو غير ذاته فهو سواه فليس جزءا له و لا صفة^(٢) قوله ﷺ من استوصه أي من طلب وصف كنهه أو سأل عن الأوصاف و الكيفيات الجسمانية له فقد جهل عظمتها و تنزهه.

(١) ط: حجته تامة.

(٢) في هامش ط: في النسخة المقررة على المصنف كذا: و يحتمل أن يكون المراد بقوله: ما سواه ما لم يكن من توابعه أصلا، لا جزؤه و لا صفة، أي كل ما هو غير ذاته فهو سواه، فليس له جزء و لا صفة زائدة.

قوله ﷺ وقد تعداه أي تجاوزوه ولم يعرفه من اشتمله أي توهمه شاملا لنفسه محيطا به من قولهم اشتمل التوب إذا تلفف به فيكون ردا على القائلين بالحللول. والاتحاد أو من توهم أنه تعالى محيط بكل شيء إحاطة جسمية ويحتمل أن يكون كناية عن نهاية المعرفة به والوصول إلى كنهه وفي بعض نسخ يد أشمله أي جعل شيئا شاملا له بأن توهمه محاطا بمكان ومثله قوله ﷺ من اكنته أي توهمه أنه أصاب كنهه.

قوله ﷺ ومن قال كيف أي سأل عن الكيفيات الجسمية فقد شبهه بخلقه ومن قال لم صار موجودا أو لم صار عالما أو قادرا فقد علله بعلته وليس لذاته وصفاته علة وفي جا وأكثر نسخ يد علله وهو أظهر ومن قال متى وجد فقد وقت أول وجوده وليس له أول ومن قال فيم أي في أي شيء هو فقد جعله في ضمن شيء وجعل شيئا متضمنا له وهو من خواص الجسمانيات ومن قال إلام أي إلى أي شيء ينتهي شخصه فقد نهاه أي جعل له حدودا ونهايات جسمية وهو تعالى منزها عنها ومن قال حتام يكون وجوده فقد غياه أي جعل لبقائه غاية ونهاية ومن جعل له غاية فقد غياهه أي حكم باشتراكه مع المخلوقين في الفناء فيصح أن يقال غايته قبل غاية فلان أو بعده ومن قال به فقد حكم باشتراكه معهم في الماهية في الجملة فقد حكم بأنه ذو أجزاء ومن قال به فقد وصفه بالإمكان والعجز وسائر نقائص الممكنات ومن حكم به فقد الحد في ذاته تعالى ويحتمل أن يكون المعنى أن من جعل لبقائه غاية فقد جعل لذاته أيضا غايات وحدودا جسمية بناء على عدم ثبوت مجرد سوى الله تعالى وتفرع التجزؤ وما بعده على ذلك ظاهر ويمكن أن يقال الغاية في الثاني بمعنى العلة الغائية كما هو المعروف أو الفاعلية وقد تطلق عليها أيضا بناء على العلول المنتهي إليها فهي غاية له فعلى الأول المعنى أنه من حكم بانتهاه فقد علق وجوده على غاية ومصلحة كالممكنات التي عند انتهاء المصلحة ينتهي بقاؤهم وعلى الثاني المراد أنه لو كان وجوده واجبا لما تطرق إليه الفناء فيكون مستندا إلى علة وعلى الوجهين فيكون وجوده زائدا على ذاته فاتصف حينئذ بالصفات الزائدة وهذا قول يتعدد الواجب وهو إلحاد فيه وفي جا ومن قال حتام فقد غياه ومن غياه فقد حواه ومن حواه فقد ألحد فيه.

قوله ﷺ لا يتغير الله بتغير المخلوق أي ليس التغيرات التي تكون في مخلوقاته موجبة للتغير في ذاته وصفاته الحقيقية بل إنما التغير في الإضافات الاعتبارية كما أن خلقه للمحدودين حدودا لا يوجب كونه متحددا بحدود مثلهم ويحتمل أن يكون المراد أنه لا يتغير كتنغير المخلوقين ولا يتحدد كتحديد المحدودين وفي جا لا يتغير الله بتغير المخلوق ولا يتحدد بتحدد المحدود.

قوله ﷺ أحد لا يتأويل عدد أي بأن يكون معه ثان من جنسه أو بأن يكون واحدا مشتتلا على أعداد وقد مر تحقيقه مرارا قوله ﷺ ظاهر لا يتأويل المباشرة أي ليس ظهوره بأن يباشره حاسة من الحواس أو ليس ظهوره بأن يكون فوق جسم يباشره كما يقال ظهر على السطح بل هو ظاهر بآثاره غالب على كل شيء بقدرته قوله ﷺ متجلي الانكشاف والظهور ويقال استهل الهلال على المجهول والمعلوم أي ظهر وتبين أي ظاهر لا بظهور من جهة الرؤية.

قوله ﷺ لا بمزايلة أي لا بمقارفة مكان بأن انتقل عن مكان إلى مكان حتى خفي عنهم أو بأن دخل في بواطنهم حتى عرفها بل لخفاء كنهه عن عقولهم وعلمه ببواطنهم وأسرأ. حم قوله ﷺ لا بمسافة أي ليس مباينته لبعده بحسب المسافة عنهم بل لغاية كماله ونقصهم باينهم في الذات والصفات قوله ﷺ لا بمدانة أي ليس قربه قربا مكانيا بالدنو من الأشياء بل بالعلم والعلية والتربية والرحمة.

قوله ﷺ لا بتجسم أي لطيف لا يكونه جسما له قوام رقيق أو حجم صغير أو تركيب غريب وصنع عجيب أو لا لون له بل لخلقه الأشياء اللطيفة وعلمه بها كما. مر أو تجرده قوله ﷺ فاعل لا باضطرار أي هو فاعل مختار ليس بموجب وفي النهج لا باضطراب آلة أي لا بتحريك الآلات و

الأدوات^(١) قوله لا بجول فكرة أي ليس في تقديره للأشياء محتاجا إلى جولان الفكر وحركته و في النهج بعد ذلك غني لا باستفادة قوله ﷺ لا بحركة أي حركة ذهنية أو بدنية.

قوله ﷺ لا بهامة أي عزم و اهتمام و تردد قوله شاء أي ذو مشية لا بهمة و قصد و عزم حادث و الجنس المس باليد و موضعه المجسة قوله ﷺ لا تصحبه الأوقات أي دائما لحدوثها و قدمه أو ليس بزمانى أصلا قوله ﷺ و لا تضمنه بحذف إحدى التاءين و السنة مبدأ النوم قوله و لا تحده الصفات أي لا تحيط به صفات زائدة أو لا تحده توصيفات الخلق قوله ﷺ و لا تقيد الأدوات أي لا ينتفع و لا يستفيد منها و في بعض نسخ يد و لا تقيد بالقاف ليس فعله مقيدا مقصورا على الأدوات لاحتياج إليها و في خطبة أمير المؤمنين ﷺ و لا ترفده من قولهم رفدت فلانا إذا أعتته.

قوله كونه بالرفع أي كان وجوده سابقا على الأزمنة و الأوقات بحسب الزمان الوهمي أو التقديري و كان علة لها أو غلبها فلم يقيد بها قوله ﷺ و العدم وجوده بنصف العدم و رفع الوجود أي وجوده لوجوبه سبق و غلب العدم فلا يعتربه عدم أصلا و قيل المراد عدم الممكنات لأن عدم العالم قبل وجوده كان مستندا إلى عدم الداعي إلى إيجاده المستند إلى وجوده فوجوده سبق عدم الممكنات أيضا و قيل أريد به إعدام الممكنات المقارنة لابتداء وجوداتها فيكون كناية عن أزليته و عدم ابتداء لوجوده و فيه بعد قوله و الابتداء أزله أي سبق وجوده الأزلي كل ابتداء فليس لوجوده و لا شيء من صفاته ابتداء أو إن أزليته سبق^(٢) بالعلية كل ابتداء و مبتدا.

قوله بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له أي بخلقه المشاعر الإدراكية و إفاضتها على الخلق عرف أن لا مشعر له إما لما مر من أنه تعالى لا يتصف بخلقه أو لأنا بعد إفاضة المشاعر علمنا احتياجنا في الإدراك إليها فحكمنا بتنزعه تعالى عنها لاستحالة احتياجه تعالى إلى شيء أو لما يحكم العقل به من المباينة بين الخالق و المخلوق في الصفات.

و قال ابن ميثم لأنه لو كان له مشاعر لكان وجودها له إما من غيره و هو محال أما أولا فلا أنه مشعر المشاعر و أما ثانيا فلا أنه يكون محتاجا في كماله إلى غيره فهو ناقص بذاته و هذا محال وإما منه و هو أيضا محال لأنها إن كانت من كمالات ألوهيته كان موجدا لها من حيث هو فاقد كمالا فكان ناقصا بذاته و هذا محال و إن لم تكن كمالا كان إثباتها له نقصا لأن الزيادة على الكمال نقصان فكان إيجاده لها مستلزما لنقصانه و هو محال.^(٣)

و اعترض عليه بعض الأفاضل بوجوه أحدها بالنقض لأنه لو تم ما ذكره يلزم أن لا يثبت له تعالى على الإطلاق صفة كمالية كالعلم و القدرة و نحوهما و ثانيها بالحل باختبار شق آخر و هو أن يكون ذلك المشعر عين ذاته سبحانه كالعلم و القدرة و ثالثها بأن هذا الكلام على تقدير تمامه استدلال برأسه لم يظهر فيه مدخلة قوله ﷺ بتشعيره المشاعر في نفي المشعر عنه تعالى وإنما استعمله في إثبات مقدمة لم يثبت به و قد ثبت بغيره.

ثم قال فالأولى أن يقال قد تقرر أن الطبيعة الواحدة لا يمكن أن يكون بعض أفرادها علة لبعض آخر لذاته فإنه لو فرض كون نار مثلا علة لنار فعلية هذه و معلولية تلك إما لنفس كونها نارا فلا رجحان لإحداهما في العلية و للآخرى في المعلولية بل يلزم أن يكون كل نار علة للآخرى بل علة لذاتها و معلولة لذاتها و هو محال و إن كانت العلية لانضمام شيء آخر فلم يكن ما فرضناه علة علة بل العلة حينئذ ذلك الشيء فقط لعدم الرجحان في إحداهما للشرطية و الجزئية أيضا لاتحادهما من جهة المعنى المشترك و كذلك لو فرض المعلولية لأجل ضمنية فقد تبين أن جاعل الشيء يستحيل أن يكون مشاركا لمجموعه و به يعرف أن كل كمال و كل أمر وجودي يستحق في الموجودات الإمكانية فوعه و جنسه مسلوب عنه تعالى ولكن يوجد له ما هو أعلى وأشرف منه

(٢) ظ: سبقت.

(١) نهج البلاغة خ ١٨٦ ص ١٩٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٤: ١٥٦ خ ٢٢٨ لابن ميثم البرقي. و فيه: لأنها إن كانت من الكمالات الوهمية كان موجدا لها.

أما الأول فلتنعاليه. عن النقص وكل مجعول ناقص وإلا لم يكن مفتقرا إلى جاعل وكذا ما يساويه في المرتبة كآحاد نوعه وأفراد جنسه وأما الثاني فلأن معطي كل كمال ليس بفاقد له بل هو منبعه و معدنه وما في المجعول رشحة وظلة انتهى.

وقال ابن أبي الحديد وذلك لأن الجسم لا يصح منه فعل الأجسام وهذا هو الدليل الذي يعول عليه المتكلمون في أنه تعالى ليس بجسم^(١).

وقوله وبتجويره الجواهر أي بتحقيق حقائقها وإيجاد ماهياتها عرف أنها ممكنة وكل ممكن محتاج إلى مبدأ فمبدأ المبادي لا يكون حقيقة من هذه الحقائق وقوله وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له المراد بال ضد إما المعنى المصطلح أي موجودان متعاقبان على موضوع أو محل واحد أو المعنى العرفي الذي هو المساوي للشيء في القوة فعلى الأول تقول لما خلق الأضداد في محالها وجدناها محتاجة إليها علمنا عدم كونه ضد الشيء للزوم الحاجة إلى المحل السانفية لوجوب الوجود أو لأنها رأينا كلا من الضدين يمنع وجود الآخر ويدفعه وبفنيه فعلنا أنه تعالى منزّه عن ذلك أو لأن التضاد إنما يكون للتحديد بحدود معينة لا تتجامع غيرها كمراتب الألوان والكيفيات وهو تعالى منزّه عن الحدود وأيضا كيف يضاد الخالق مخلوقه والفاض مفيضه وأما على الثاني فلأن المساوي في القوة للواجب يجب أن يكون واجبا فيلزم تعدد الواجب وقد مر بطلانه.

وقوله ﷺ وبمقارنته بين الأمور أي يجعل بعضها مقارنا لبعض كالأعراض ومحالها والتمكنات وأمكنتها والملزومات ولوازمها عرف أنه ليس له قرين مثلها لدلالة كل نوع منها على أنواع النقص والعجز والافتقار وقيل أي جعلها متحدة بتحددات متناسبة موجبة للمقارنة عرف أن لا قرين له وكيف يناسب المتحد بتحدد خاص دون المتحد بتحدد آخر من لا تتحدد له فإن نسبة اللامتحد مطلقا إلى المتحدات كلها سواء قوله ﷺ ضاد النور بالظلمة يدل على أن الظلمة أمر وجودي كما هو المشهور إن كان التضاد محمولا على المعنى المصطلح والجلالية الوضوح والظهور والبهم الخفاء وفي النهج والوضوح بالبهمة وفسرهما الشراح بالبياض والسواد ولا يخفى بعده وقال الفيروز آبادي جسا جسوا صلب وجسات الأرض بالضم فهي مجسوءة من الجساء وهو الجلد الخشن والماء الجامد^(٢) والصرد يفتح الراء وسكونها البرد فارسي معرب^(٣) والحرور بالفتح الريح الحارة^(٤).

وقوله ﷺ مؤلف بين متعادياتها كما ألف بين العناصر المختلفة الكيفيات وبين الروح والبدن وبين القلوب المتشبهة الأهواء وغير ذلك قوله مفرق بين متدانياتها كما يفرق بين أجزاء العناصر و كلياتها للتركيب وكما يفرق بين الروح والبدن وبين أجزاء المركبات عند انحلالها والأبدان بعد موتها وبين القلوب المتناسبة لحكم لا تحصى فدل التأليف والتفريق المذكوران الواقعان على خلاف مقتضى الطبايع على قاسر يقسرها عليهما وكونهما على غاية الحكمة ونهاية الأحكام على علم القاسر وقدرته وكماله.

وقوله ﷺ ذلك قوله جل وعز يحتمل أن يكون استشهدا لكون المضادة والمقارنة دليلين على عدم انصافه بهما كما فسر بعض المفسرين الآية بأن الله تعالى خلق كل جنس من أجناس الموجودات نوعين متقابلين وهما زوجان لأن كل واحد منها مزدوج بالآخر كالذكر والأنثى والسواد والبياض والسماء والأرض والنور والظلمة والليل والنهار والبارد والحر واليبس واليابس والشمس والقمر والنوابة والسيارات والسهل والجبل والبحر والبر والصف والشتاء والجن والإنس والعلم والجهل والشجاعة واللين والجد والبخل والإيمان والكفر والسعادة والشقاوة والحلاوة والمرارة والصحة والسقم والغناء والفقر والضحك والبكاء والفرح والحزن والحياة

(١) شرح نهج البلاغة ١٣: ٧٣٢ خ ٢٣٢: لاين أبي الحديد.

(٢) القاموس المحيط ١٠: ١ وفيه: جسا - كجعل جسوء.

(٣) القاموس المحيط ٨: ٢.

(٤) القاموس المحيط ١: ٣١٨.

الموت إلى غير ذلك مما لا يحصى خلقهم كذلك لينذكروا أن لهم موقدا ليس هو كذلك و يحتمل أن يكون استشهدا لكون التأليف و التفريق دالين على الصانع لدلالة خلق الزوجين على المفرق و المؤلف لهما لأنه خلق الزوجين من واحد بالنوع فيحتاج^(١) إلى مفرق يجعلهما متفرقين و جعلهما مزاوجين مؤتلفين أفقه بخصوصهما فيحتاج إلى مؤلف يجعلهما مؤتلفين و قيل كل موجود دون الله فيه زوجان اثنان كالماهية و الوجود و الوجوب و الإمكان و المادة. و الصورة و الجنس و الفصل و أيضا كل ما عده يوصف بالمتضايين كالعلية و المعلولية و القرب و البعد و المقارنة و المباينة و التألف و التفريق و المعادة و الموافقة و غيرها من الأمور الإضافية و قال بعض المفسرين المراد بالشيء الجنس و أقل ما يكون تحت الجنس نوعان فمن كل جنس نوعان كالجوهر منه المادي و المجرد و من المادي الجماد و النامي و من النامي النبات و المدرك و من المدرك الصامت و الناطق و كل ذلك يدل على أنه واحد لا كثرة فيه فقله ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^(٢) أي تعرفون من انصاف كل مخلوق بصفة التركيب و الزوجية و التضاييف أن خالقها واحد أحد لا يوصف بصفاتها.

قوله ليعلم أن لا قبل له و لا بعد يدل على عدم كونه تعالى زمانيا و يحتمل أن يكون المعنى عرفهم معنى القلبية و البعدية ليحكموا أن ليس شيء قبله و لا بعده و يعلم الفقرات التالية بما قدما في الكلمات السابقة و الغرائز الطبايع و مغزها موجد غرائزها و مقبضها عليها و يمكن حملها و أمثالها على الجعل البسيط إن كان واقعا و المفاوت على صيغة اسم الفاعل من جعل بينها التفاوت و توقيتها تخصيص حدوث كل منها بوقت و بقائها إلى وقت.

قوله حجب بعضها عن بعض أي بالحجب الجسمانية أو الأعم ليعلم أن ذلك نقص و عجز و هو منزه عن ذلك بل ليس لهم حجاب عن الرب إلا أنفسهم لإمكانهم و نقصهم قوله له معنى الرسوبية أي القدرة على التربية إذ هي الكمال قوله إذ لا مألوه أي من له الإله أي كان مستحقا للمعبودية إذ لا عابد و إنما قال و تأويل السمع لأنه ليس فيه تعالى حقيقة بل مؤول بعلمه بالسموعات قوله ﷻ ليس مذ خلق استحق معنى الخالق إذ الخالقية التي هي كماله هي القدرة على خلق كل ما علم أنه أصلح و نفس الخلق من آثار تلك الصفة الكمالية و لا يتوقف كماله عليه و البرائية بالتشديد الخلاقية.

قوله ﷻ كيف و لا تنبيه مذ أي كيف لا يكون مستحقا لهذه الأسماء في الأزل و الحال أنه لا يصير مذ الذي هو لأول الزمان سببا لأن يغيب عنه شيء فإن الممكن إذا كان قبل ذلك المبدأ أو بعده يغيب هذا عنه و الله تعالى جميع الأشياء مع أزمنتها. حاضرة في العلم في الأزل وأنه ليس لوجوده زمان حتى يغيب عن غيره فيقال مذ كان موجودا كان كذا و لما لم يكن زمانيا لا تدانيه كلمة قد التي هي لتقريب الماضي إلى الحال أو ليس في علمه شدة و ضعف حتى تقربه كلمة قد التي للتحقيق إلى العلم بحصول شيء و لا تحجبه كلمة لعل التي هي لترجي أمر في المستقبل أي لا يخفى عليه الأمور المستقبلية أو ليس له شك في أمر حتى يمكن أن يقول لعل و ليس له وقت أول حتى يقال له متى وجد أو متى علم أو متى قدر و هكذا أو مطلق الوقت كما مر مرارا و لا يشتمله حين و زمان و على الاحتمال الثاني تأكيد فيؤيد الأول و لا تقارنه مع بأن يقال كان شيء معه أزلا أو مطلق المعية بناء على نفي الزمان أو الأعم من المعية الزمانية أيضا فمن كان كذلك فليس تخلف الخلق عنه عجزا له و نقصا في كماله بل هو عين كماله حيث راعى المصلحة في ذلك و يمكن أن تطبق بعض الفقرات على ما قيل إنه لخروجه عن الزمان كان جميع الزمانيات حاضرة عنده في الأزل كل في وقته و بذلك وجهوا نفي التخلف مع الحدوث لكن في هذا القول إشكالات ليس المقام موضع ذكرها و ليس في «جا» و «ج» كيف و فيهما لا تنبيه مذ فلا يحتاج إلى تكلف.

قوله ﷻ إنما تحد الأدوات أنفسها الأدوات و الآلات الجوارح البدنية و القوى الجسمانية أي هذه

الأعضاء والقوى إنما تحد وتشير إلى جسماني مثلها فالمراد بقوله أنفسها أنواعها وأجناسها وقيل يعني ذوي الأدوات والآلات.

أقول: لا يبعد أن يكون المراد بالأدوات هذه الحروف والكلمات التي نقاها عنه تعالى سابقا فيكون كالتعليل لما سبق وفي الأشياء الممكنة توجد فعال تلك الآلات والأدوات وآثارها لا فيه تعالى.

قوله ﷻ منعتهما في النهج: منعتهما منذ القدمة وحمتهما قد الأزلية وجنبتهما لو لا التكملة بها تجلي صانعها للعقول وبها امتنع نظر العيون وقد روي القدمة والأزلية والتكملة بالنصب وقيل كذا كانت في نسخة الرضي رضي الله عنه بخطه فتكون مفعولات ثانية والمفعولات الأولى الضمائر المتصلة بالأفعال وتكون منذ وقد ولو لا في موضع الرفع. بالفاعلية والمعنى حينئذ أن إطلاق لفظ منذ وقد ولو لا على الآلات تمنعها عن كونها أزلية قديمة كاملة فلا تكون الآلات محددة له سبحانه مشيرة إليه جل شأنه إذ هي لحدوثها ونقصها بعيدة المناسبة عن الكامل المطلق القديم في ذاته أما الأولى فلأنها لا ابتداء الزمان و لا رب أن منذ وجدت الآلة تنافي قدمها وأما الثانية فلأنها لتقريب الماضي من الحال فقوله قد وجدت هذه الآلة تحكم بقرنها من الحال وعدم أزليتها وقوله حمتهما أي منعتهما وأما لو لا فلأن قولك إلى المستحسنة منها والمتوقد من الأذهان ما أحسنها لو لأن فيها كذا فيدل على نقص فيها فيجبها عن الكامل المطلق.

ويروى أيضا برفع القدمة والأزلية والتكملة على الفاعلية فتكون الضمائر المتصلة مفعولات أول وقد و منذ ولو لا مفعولات ثانية ويكون المعنى أن قدم الباري سبحانه وأزليته وكمال المطلق منعت الآلات والأدوات عن إطلاق لفظ قد و منذ ولو لا عليه سبحانه لأنه تعالى قديم كامل وقد و منذ لا يطلقان إلا على محدث ولو لا لا تطلق إلا على ناقص.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد القدمة التقديرية أي لو كانت قديمة لمنعت عن إطلاق مذ عليها وكذا في نظيرها.

قوله ﷻ بها تجلى أي بمشاعرنا وخلقه إياها وتصويره لها تجلى لعقولنا بالوجود والعلم والقدرة قوله ﷻ وبها امتنع أي بمشاعرنا استنبطنا استحالة كونه تعالى مرئيا بالعيون لأننا بالمشاعر الحواس كملت عقولنا وبعقولنا استخرجنا الدلالة على أنه لا تصح رؤيته أو بإيجاد المشاعر مدركة بحاسة البصر ظهر امتناعه عن نظر العيون لأن المشاعر إنما تدرك بالبصر لأنها ذات وضع ولون وغيره من شرائط الرؤية فيها علمنا أنه يمتنع أن يكون محلا لنظر العيون أو لما رأينا المشاعر إنما تدرك ما كان ذا وضع بالنسبة إليها علمنا أنه لا يدرك بها لاستحالة الوضع فيه.

ثم اعلم أنه على ما في تلك النسخ الفقرتان الأوليان مشتركتان إلا أنه يحتمل إرجاع الضميرين البارزين في منعتهما وحمتهما إلى الأشياء لا سيما إذا حملنا الأدوات والآلات على الحروف وأما الثالثة فالمعنى أنه لو لأن الكلمة أي اللغات والأصوات أو الآراء والعزائم أو المخلوقات فإنها كلم الرب لدالتها على وجوده و سائر كمالاته اختلفت فدلّت على مفروقها وتباينت فأعربت وأظهرت عن مباينتها أي من جعلها متباينة أو عن صانع هي مباين لها في الصفات لما تجلى وظهر صانعها للعقول كما قال تعالى ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اخْتِلَافُ السِّتَرِ﴾ (١) وبها أي بالعقول احتجب عن الرؤية لأن الحاكم بامتناع رؤيته هو العقل وإلى العقل تنحاز الأوهام عند اختلافها.

قوله ﷻ وفيها أثبت غيره أي كل ما يشبّه ويرسم في العقل فهو غيره تعالى ويحتمل أن يكون غيره مصدرا بمعنى المغايرة أي بها يشبّه (٢) مغايرته الممكنات ويمكن إرجاع الضمير إلى

الأوهام أي القول بالشريك له تعالى فعل الوهم لا العقل لكن فيه تفكيك و من العقول يستنبط الدليل على الأشياء و بالعقول عرف الله العقول أو ذويها الإقرار به تعالى و يمكن إرجاع الضميرين أيضا إلى الأوهام أي الأوهام معينة للعقل و آلات في استنباط الدليل و بالأوهام عرف الله العقول الإقرار بأنه ليس من جنسها و من جنس مدركتها و بما ذكرنا يظهر جواز إرجاع الضميرين في النهج إلى العقول كما أنه يجوز إرجاع جميع الضمانات هنا إلى الآلات و الأدوات و لكنهما بعيدان و الأخير أبعد.

قوله و لا ديانة الديانة مصدر دان يدين و في المصادر الديانة ديندار غشتن أي لا تدين يدين الله أو من دان بمعنى أطاع و عبد أي لا عبادة إلا بعد معرفة الله و الإخلاص هو جعل المعرفة خالصة عما لا يناسب ذاته المقدسة من الجسمية و العرضية و الصفات الزائدة و العوارض الحادثة و حملة على الإخلاص في العبادة لا يستقيم إلا بتكلف و لا يتحقق الإخلاص مع تشبيهه تعالى بخلقه في الذات و الصفات و في بعض النسخ كما في «ج» و لا نقي مع إثبات الصفات للتشبيه و قوله للتشبيه متعلق بالنفي أي لم ينفى التشبيه من أثبت له الصفات الزائدة.

و في أكثر النسخ للتشبيه و لعل المراد به الإشارة إلى ما مر من أنه يجب إخراجه تعالى عن حد النفي و حد التشبيه أي إذا تفينا عنه التشبيه لا يلزم النفي المطلق مع أنا. ثبت الصفات لتشبيه الخلق على اتصافه بها على وجه لا يستلزم النقص كما تقول عالم لا كعلم العلماء قادر لا كقدرة القادرين و إنما قال للتشبيه إشارة إلى أنه لا يمكن تعقل كنه صفاته تعالى ثم بين ﷺ ذلك بقوله فكل ما في الخلق إلخ.

٢٤٥
٤

ثم استدل بعدم جريان الحركة و السكون عليه بوجوه:

الأول: أنه تعالى أجراها على خلقه و أحدثها فيهم فكيف يجريان فيه بناء على ما مر مرارا من أنه تعالى لا يتصف بخلقه و لا يستكمل به و استدل عليه بعضهم بأن المؤثر واجب التقدم بالوجود على الأثر فذلك الأثر إما أن يكون معتبرا في صفات الكمال فيلزم أن يكون تعالى باعتبار ما هو موجد له و مؤثر فيه ناقصا بذاته مستكملا بذلك الأثر و النقص عليه محال و إن لم يكن معتبرا في صفات كماله فله الكمال المطلق بدون ذلك الأثر فكان إثباته له نقصا في حقه لأن الزيادة على الكمال المطلق نقصان و هو عليه تعالى محال أو لأنه لو جريا عليه لم ينفك أحدهما عنه فيدل على حدوثه كما استدل المتكلمون على حدوث الأجسام بذلك و الأول أظهر لفظا و معنى.

الثاني: أنه يلزم أن تكون ذاته متفاوتة متغيرة بأن يكون تارة متحركا و أخرى ساكنا و الواجب لا يكون محلا للحوادث و التغيرات لرجوع التغير فيها إلى الذات.

الثالث: أنه يلزم أن يكون ذاته و كنهه متجزيا إما لأن الحركة من لوازم الجسم أو لأن الحركة بأنواعها إنما تكون في شيء يكون فيه ما بالقوة و ما بالفعل أو لأنه يستلزم شركته مع الممكنات فيلزم تركبه مما به الاشتراك و ما به الامتياز.

و أما قوله ﷺ و لا تمتنع إلى قوله غير المبروء كالتعليل لما سبق.

قوله ﷺ و لو حد له وراء أي لو قيل إن له وراء و خلفا فيكون له أمام أيضا فيكون منقسما إلى شيئين و لو هما فيلزم التجزؤ كما مر ثم بين ﷺ أنه لا يجوز أن يكون الله مستكملا بغيره أو يحدث فيه كمال لم يكن فيه و إلا لكان في ذاته ناقصا و النقص منفي عنه تعالى بإجماع جميع القلاء و أيضا يستلزم الاحتياج إلى الغير في الكمال المنافي لوجوب الوجود كما مر ثم أشار ﷺ إلى أن الأزلي لا يكون إلا من كان واجبا بالذات ممتنعا عن الحدوث و إلا كان ممكنا محتاجا إلى صانع فلا يكون أزليا إذ كل مصنوع حادث و يحتمل أن يكون المراد بامتناع الحدوث امتناع أن يحدث فيه الحوادث و كونه محلا لها و بيانه بأنه ينافي الأزلية و الوجوب.

٢٤٦
٤

قوله ﷺ و كيف يشئ الأشياء أي جميعها من لا يمتنع من كونه منشأ إذ هو نفسه و من أنشأه لا

يكونان من منشأته فكيف يكون منشأا للجميع أو أن منشى كل شيء و مبدعه لا يكون إلا واجبا كما مر في باب أنه تعالى خالق كل شيء و يحتمل أن يكون المراد عدم الامتناع من إنشاء شيء فيه إلا يجوز أن يكون منشى تلك الصفة نفسه و لا غيره ثم استدل على جميع ما تقدم بأنه لو كان فيه تلك الحوادث و التغيرات و إمكان الحدوث لقامت فيه علامة المصنوع و لكان دليلا على وجود صانع آخر غيره كسائر الممكنات لا شراكه معهم في صفات الإمكان و ما يوجب الاحتياج إلى العلة لا مدلولاً عليه بأنه صانع.

قوله ﷺ ليس في محال القول حجة أي ليس في هذا القول المحال أي إثبات الحوادث و الصفات الزائدة له حجة و لا في السؤال عن هذا القول لظهور خطئه جواب و ليس في إثبات معنى هذا القول له تعالى تعظيم بل هو نقص له كما عرفت و ليس في إبانته تعالى عن الخلق في الانصاف بتلك الصفات حيث نفيت عنه تعالى و أثبتت فيهم ضيم أي ظلم على الله تعالى أو على المخلوقين إلا بأن الأزلي يمتنع من الانتينية و إثبات الصفات الزائدة يوجب الانتينية في الأزلي و بأن ما لا بدأ له على المصدر أو بديء له على فعليل بمعنى مفعول يمتنع من أن يبدأ و يكون له مبدأ و ما نسبوا إليه تعالى مما مر مستلزماً لكونه تعالى ذا مبدأ و علة فالمعنى أنه لا يتوهم ظلم إلا بهذا الوجه و هذا ليس بظلم كما في قول الشاعر.

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم يهن فلول من قراع الكتائب

و العادلون بالله هم الذين يجعلون غيره تعالى معادلاً و متشاهلاً له.

أقول: قد روي في «ف»^(١) و النهج مثل هذه الخطبة مع زيادات عن أمير المؤمنين ﷺ و قد أوردتها في أبواب خطبه ﷺ.

٥- نهج: [نهج البلاغة] ج: [الإحتجاج] عن أمير المؤمنين ﷺ الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون و لا يحصى نعمه العادون و لا يؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن^(٢) الذي ليس لصفته حد محدود و لا نعت موجود و لا وقت معدود و لا أجل محدود فطر الخلاق بقدرته و نشر الرياح برحمته و تد بالصور ميدان أرضه أول الدين معرفته و كمال معرفته التصديق به و كمال التصديق به توحيده و كمال توحيده الإخلاص له و كمال الإخلاص له نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف و شهادة كل موصوف أنه غير الصفة فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه و من قرنه فقد ثناه و من ثناه فقد جزأه و من جزأه فقد جهله و من أشار إليه فقد حده و من حده فقد عدده و من قال قيم فقد ضمنه و من قال علام فقد أخلا منه كائن لا عن حدث موجود لا عن عدم مع كل شيء لا بمقارنته و غير كل شيء لا بمزايلة^(٣) فاعل لا بمعنى الحركات و الآلة بصير إذ لا منظور إليه من خلقه متوحد إذ لا سكن يستأنس به و لا يستوحش لفقده أنشأ الخلق إنشاء^(٤) و ابتدأه ابتداء بلا روية أجالها و لا تجربة استفادها و لا حركة أحدثها و لا هامة نفس اضطرب فيها أجل الأشياء لأوقاتها^(٥) و لاء بين مختلفاتها و غرز غرائزها و ألزمها أشباحها عالماً بها قبل ابتدائها محيطاً بحدودها و انتهائها عارفاً بقرائنها و أحنائها^(٦).

بيان: الفقرة الأولى إقرار بالعجز عن الحمد باللسان كما أن الثانية اعتراف بالقصور عن الشكر بالجنان و الثالثة عن العمل بالأركان و الهمة القصد و الإرادة و بعدها علوها و تعلقها بالأمور العالية أي لا تدركه الهمم العالية المتعرضة لصعاب الأمور الطائفة إلى إدراك عوالي الأمور و الفطن بكسر الفاء و فتح الطاء جمع فطنة بالكسر الحذق و جوده استعداد الذهن لتصور ما يرد عليه أي لا يصل إلى كنه حقيقته الفطن الغائصة في بحار الأفكار.

(١) تحف العقول: ٦١ - ٦٧.

(٢) في «أ»: و لا يناله غوص الفطن.

(٣) في نسخة: و باين لا بمزايلة.

(٤) في النهج: أجال الأشياء لأوقاتها.

(٥) نهج البلاغة خ ١ ص ٧ - ٨ و فيه: و لا يحصى نعماء العادون. وكذا: و من جزأه فقد جهله. و من جهله فقد أشار إليه و من أشار إليه فقد حده الإحتجاج ص ١٩٨ - ٢٠٠ بفارق يسير جداً.

قوله ﷺ الذي ليس لصفته أي لا يدخل في صفاته الحقيقية حد محدود من الحدود و النهايات الجسمانية و يحتمل أن يكون الصفة بمعنى التوصيف أي لا يمكن توصيفه بحد و وصف الحد بالمحدود إما لأن كل حد من الحدود الجسمانية فله حد أيضا كالسطح ينتهي إلى الخط مثلا أو على المبالغة كقولهم شعر شاعر و يمكن أن يقرأ على الإضافة و إن كان خلاف ما هو المضبوط و يمكن أن يكون المعنى أنه ليس لتوصيفه تعالى صفات كماله حد ينتهي إليه بل محامده أكثر من أن تحصى و لا يوصف أيضا بنعت موجود أي بالصفات الزائدة ردا على الأشعري و إنما قيد بقوله موجود إذ لا ضرر في توصيفه بالصفات الاعتبارية و الإضافة و يحتمل أن يكون المراد نعت موجود في المخلوقين أو يكون الموجود من الوجدان أي نعت يحيط به العقل و احتمال الإضافة فيها و في فريتنها باق مع بعده و لا يمكن وصفه أيضا بالوقت و الأجل و الفرق بينهما باعتبار الابتداء و انتهاء أي ليس له وقت معدود من جهة الأزل و لا أجل مؤجل ممدود من جهة الأبد و قال ابن أبي الحديد يعني بصفته هاهنا كنهه و حقيقته يقول ليس لكنّه حد يعرف بذلك الحد قياسا على الأشياء المحدودة لأنه ليس بمركب و كل محدود مركب.^(١)

ثم قال و لا نعت موجود أي لا يدرك بالرسم كما يدرك الأشياء برسومها و هو أن يعرف بلازم من لوازمها و صفة من صفاتها ثم قال و لا وقت معدود و لا أجل ممدود و فيه إشارة إلى الرد على من قال إنا نعلم كنه الباري تعالى لا في هذه الدنيا بل في الآخرة.

و قال ابن ميثم المراد أنه ليس لمطلق ما يعتبره عقولنا له من الصفات السلبية و الإضافة نهاية معقولة تنف عندها فيكون حدا له و ليس لمطلق ما يوصف به أيضا وصف موجود بجمعه فيكون نعتا له و منحصرافه ثم قال ليس لصفته حد أي ليس لها غاية بالنسبة إلى متعلقاتها كالعالم بالنسبة إلى المعلومات و القدرة إلى المقدورات انتهى^(٢) و لا يخفى بعد تلك الوجه.

و الفطر الابتداء و الخلاق جمع خليفة بمعنى المخلوق أو الطبيعة و الأول أظهر و نشر الرياح أي بسطها برحمته أي بسبب المطر أو الأعم و يؤيد الأول قوله تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾^(٣) و تد بالصخور يقال وتد أي ضرب التود في حائط أو غيره و الصخور الحجارة العظام و الميدان بالتحريك الحركة تمايل هو الاسم من ماد يميل ميذا و هو من إضافة الصفة إلى موصوفها و التقدير و تد. بالصخور أرضه المائدة و إنما أسند إلى الصفة لأنها العلة في إيجاد الجبال كما قال تعالى ﴿وَالْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾^(٤) و قال ﴿وَالْجِبَالِ أَوْتَادًا﴾.

ثم اعلم أنهم اختلفوا في أنه لم صارت الجبال سببا لسكون الأرض على أقوال:

الأول: أنه السفينة إذا أقيمت على وجه الماء فإنها تميل فإذا وضعت فيها أجرام ثقيلة استقرت و لعل غرضهم أن الأرض إذا لم توتد بالجبال لأمكن أن تتحرك بتموج الهواء و نحوه حركة قسرية.

الثاني: ما ذكره الفخر الرازي حيث قال قد ثبت أن الأرض كره و أن هذه الجبال بمنزلة خشونات و تقريصات على وجه الكرة فلو فرضنا أن الأرض كانت كره حقيقة لتحركت بالاستدارة بأدنى سبب لأن الجرم البسيط المستدير يجب كونه متحركا على نفسه بأدنى سبب و إن لم تجب حركته بنفسه عقلا إذا حصل على سطحها هذه الجبال فكل واحد إنما يتوجه بطبعه إلى المركز فيكون بمنزلة الأوتاد^(٥) و لا يخفى ما فيه من التشويش و الفساد.

الثالث: ما يخطر بالبال و هو أن يكون مدخلة الجبال لعدم اضطراب الأرض بسبب اشتباكها و اتصال بعضها ببعض في أعماق الأرض بحيث تمنعها عن تفتت أجزائها و تفرقها فهي بمنزلة

(١) شرح نهج البلاغة ١: ١١٥ خ ١١٥٠ لا ابن ميثم البحراني.

(٢) التبا: ٧.

(٣) الاعراف: ٥٧.

(٤) تفسير الرازي ٩: ٢٠.



الأوتاد المغروزة المثبتة في الأبواب المركبة من قطع الخشب الكثيرة بحيث تصير سببا لالتصاق بعضها ببعض وعدم تفرقها وهذا معلوم ظاهر لمن حفر الآبار في الأرض فإنها تنتهي عند المبالغة في حفرها إلى الأحجار الصلبة.

الرابع: ما أول بعضهم الآية به وهو أن المراد بالأوتاد الأنبياء والعلماء وبالأرض الدنيا فإنهم سبب استقرار الدنيا ولا يخفى أنه لو استقام هذا الوجه في الآية لا يجري في كلامه ﷺ إلا بتكلف لا يرضيه عاقل.

الخامس: أن يقال المراد بالأرض قطعاتها وبقاعها لا مجموع كره الأرض ويكون الجبال أوتادا لها أنها حافظة لها عن المبدان والاضطراب بالزلزلة ونحوها إما لحركة البخارات المحققة في داخلها بإذن الله تعالى أو لغير ذلك من الأسباب التي يعلمها مبدعها ومنشئها ويؤيده ما سيأتي من خبر ذي القرنين وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب السماء والعالم.

قوله ﷺ وكمال معرفته التصديق به الفرق بينهما إما بحمل المعرفة على الإذعان بثبوت صانع في الجملة والتصديق على الإذعان بكونه واجب الوجود أو مع سائر الصفات الكمالية أو بحمل الأول على المعرفة الفطرية والثاني على الإذعان الحاصل بالدليل أو الأول على المعرفة الناقصة والثاني على التامة التي وصلت حد اليقين وإنما قال ﷺ وكمال التصديق به توحيداً لأن من لم يوحدوه أثبت له شريكاً فقد حكم بما يستلزم إمكانه فلم يصدق به بل بممكن غيره (١) فمن وصف الله أي بالصفات الزائدة فقد قرنه أي جعل له شيئاً يقارنه دائماً ومن حكم بذلك فقد حكم بأنه ذو أجزاء لتركبه مما به بائنيية الواجب إذ التدهيم لا يكون ممكناً ومن حكم بذلك فقد حكم بأنه ذو أجزاء لتركبه مما به الاشتراك وما به الامتياز أو لأن التوصيف بالأوصاف الزائدة الموجودة المتغايرة لا يكون إلا بسبب الأجزاء المتغايرة المختلفة أو لأن إله العالم ومبدعه إما أن يكون ذاته تعالى فقط مع قطع النظر عن هذه الصفات أو ذاته معها والأول باطل لأن الذات الخالية عنها لا تصلح للإلهية وكذا الثاني لأن واجب الوجود إذا يصير عبارة عن كثرة مجتمعة من أمور موجودة فكان مركباً (٢) فكان ممكناً.

قوله ﷺ ومن أشار إليه أي بالإشارة الحسية فقد حده بالحدود الجسمانية أو بالإشارة العقلية فقد حده بالحدود العقلانية ومن حده فقد حده أي جعله ذا عدد وأجزاء وقيل حده من الممكنات ولا يخفى بعده.

قوله ﷺ ولا يستوحش كأن كلمة لا تأكيد للنفي السابق أي ولا سكن يستوحش لفقده (٣) أو زائدة

(١) وفي «أه»: يمكن غيره، وقال في هامش «ط»: قوله: وكما توحيد الاخلاص له أي وكما توحيد جعله مختاراً خالصاً من الدنس، وتزيهه عن شوائب العجز والنقص، وتقديسه عما يخلق الممكنات ويعرضها من الجسم والتركيب غيرها من الصفات السلبية واما قوله: وكما الاخلاص له نفى الصفات عنه يحتمل أن يكون المراد به نفى المعاني والاحوال: قال ابن ميثم: وكما توحيد الاخلاص له نفى فيها إشارة الى ان التوحيد المطلق للعارف انما يتم بالاخلاص له، وهو الزهد الحقيقي الذي هو عبارة عن تنحية كل ما سوى الحق الاول عن سنن الايمان، وبيان ذلك انه ثبت في علم السلوك ان العارف ما دام يلتفت لملاحظة جلال الله وعظمته الى شيء سواه فهو بعد واقف دون مقام الوصول، جاعل مع الله غيباً، حتى ان اهل الاخلاص ليعدون ذلك شركاً خفياً، كما قال بعضهم:

من كان في قلبه مقال خردلة سوى جلالك فاعلم انه مرض
اقول: ما قلناه اظهر وانسب، وسياق الكلام يشهد بذلك وقال في شرح قوله: نفى الصفات عنه بعد احتمال ما ذكرنا، قلت: قد تقرر في مباحث القوم بيان ان كل ما يوصف به تعالى من الصفات الحقيقية والسلبية والاضافية اعتبارات تحدثها عقولنا عند مقايسة ذاته سبحانه الى غيرها، ولا يلزم تركيب في ذاته ولا كثرة، فيكون وصفه تعالى بها امراً معلوماً من الدين ليعم التوحيد والتنزيه كل طبقة من الناس، ولما كانت عقول الخلق على مراتب من التفاوت كان الاخلاص الذي ذكره أقصى ما تنتهي اليه القوى البشرية عند غرقها في انوار كبرياء الله، وهو ان تعتبره فقط من غير ملاحظة شيء آخر، وكان اثباته ﷺ الصفة في موضع آخر وصفه في الكتاب العزيز والسنن النبوية إشارة الى الاعتبار التي ذكرناها، اذ كان من هو دون درجة الاخلاص يمكن ان يعرف الله سبحانه بدونها انتهى.

وقال صدر التالبيين في شرح قوله ﷺ ذلك: اراد به نفى الصفات التي وجودها غير وجود الذات، والا فذاته بذاته مصدق لجميع النعوت الكمالية والأوصاف الإلهية من دون قيام امر ذاتي ارادته تعالى فرض انه صفة كمالية له فلعلمه وقدرته وادارته وحياته وسمعته وبصره كلها موجودة بوجود ذاته الاحدية، مع ان مفهوماتها ومعانيها متخالفة فان كمال الحقيقة الوجودية في جامعيتها للمعاني الكثيرة الكمالية مع وحدة الوجود.

(٢) في «أه»: قد كان مركباً.
(٣) قال في هامش «ط»: اراد ﷺ انه تعالى متوحد بذاته متفرد بوحديته، لانه انفرد عن مثل له، اذ المتعارف من استعمال لفظة «متوحد» اطلاقاً على من كان له من يستأنس بقربه، ويستوحش لبعد.

كما في قوله تعالى ﴿مَا مَنَعَكَ آلَا تَسْجُدَ﴾^(١) و يحتمل كون الجملة حالية.

قوله ﷺ وأزعمها أشباحها الضمير المنصوب في قوله أزعمها إما راجع إلى الغرائز أو إلى الأشياء فعلى الأول المراد بالأشباح الأشخاص أي جعل الغرائز والطباع لازمة لها وعلى الثاني فالمراد بها إما الأشخاص أي ألزم الأشياء بعد كونها كلية أشخاصها أو الأرواح إذ يطلق على عالمها في الأخبار عالم الأشباح وفي بعض النسخ أسنخها أي أصولها قوله ﷺ بقرائنها أي بما يقتزن بها والأحناء جمع حنو وهو الجانب والناحية.

٦-ج: [الإحتجاج] في خطبة أخرى له ﷺ أول عبادة الله معرفته وأصل معرفته توحيده ونظام توحيده نفى الصفات عنه جل أن تحله الصفات لشهادة العقول أن كل من حلته الصفات مصنوع وشهادة العقول أنه جل جلاله صانع ليس بمصنوع فصنع الله^(٢) يستدل عليه وبالعقول يعقد معرفته^(٣) وبالفكر تثبت حجته جعل الخلق دليلا عليه فكشف به عن ربوبيته هو الواحد الفرد في أزليته لا شريك له في إلهيته ولا ند له في ربوبيته بمضادته بين الأشياء المتضادة علم أن لا ضد له وبمقارنته بين الأمور المقترنة علم أن لا قرين له^(٤).

شأ: [الإرشاد] أبو الحسن الهزلي^(٥) عن الزهري وعيسى بن زيد عن صالح بن كيسان أن أمير المؤمنين ﷺ قال في الحث على معرفة الله سبحانه والتوحيد له أول عبادة الله معرفته إلى آخر الخبر^(٦).

٧-ج: [الإحتجاج] وقال ﷺ في خطبة أخرى دليله آياته وجوده إثباته ومعرفته توحيده وتوحيده تمييزه من خلقه وحكم التمييز بينونة صفة لا بينونة عزلة إنه رب خالق غير مربوب مخلوق ما تصور فهو بخلافه ثم قال بعد ذلك ليس بإله من عرف بنفسه هو الدال بالدليل عليه والمؤدي بالمعرفة إليه^(٧).

إيضاح: قوله ﷺ وجوده إثباته لعل الوجود مصدر بمعنى الوجدان يقال وجده وجودا ووجدانا أي أدركه أي ليس يمكن من وجدان كنه ذاته إلا إثباته ويحتمل أن يكون الحمل على المبالغة أي وجوده ظاهر مستلزم للإثبات.

قوله ﷺ بينونة صفة أي تميزه عن الخلق^(٨) بمباينته لهم في الصفات لا باعتزاله عنهم في المكان والمؤدي على اسم الفاعل ويحتمل اسم المفعول.

٨-ج: [الإحتجاج] وقال ﷺ في خطبة أخرى لا يشمل بعد ولا يحسب بعد وإنما تحد الأدوات أنفسها وتشير الآلات إلى نظائرها منعها منذ القدمة وحمتها^(٩) قد الأزلية وجنتها لو لا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع من نظر العيون لا تجري عليه الحركة والسكون وكيف يجري عليه ما هو أحرأه ويعود فيه^(١٠) ما هو أبدها و يحدث فيه ما هو أحدثه إذا لتفاوتت ذاته ولجزأكنه^(١١) ولا تمتنع من الأزل معناه ولكان له وراء إذا وجد له إمام ولا تلمس التمام إذا لزمه النقصان وإذا لقامت آية المصنوع فيه ولتحول دليلا بعد أن كان مدلولاً عليه وخرج بسلطان الامتناع من أن يؤثر فيه ما في غيره الذي لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الأفول لم يلد فيكون مولودا ولم يولد فيصير محدودا جل عن اتخاذ الأبناء وطهر عن ملامسة النساء لا تناله الأرواح فتقدرة ولا تتوهمه القطن فتصوره ولا تدركه الحواس فتحسه ولا تلمسه الأيدي فتلمسه ولا يتغير بحال ولا يتبدل بالأحوال ولا تبليه الليالي والأيام ولا يغيره الضياء والظلام ولا يوصف بشيء من الأجزاء ولا بالجوارح والأعضاء ولا بعرض من الأعراض ولا بالغيرية والأبعاد ولا يقال له حد ولا نهاية ولا انقطاع ولا غاية ولا أن الأشياء تحويه فتقله أو تهويه ولا أن الأشياء تحمله^(١٢) فيميله أو يعدله ليس في الأشياء بوالج ولا عنها بخارج يخبر لا بلسان ولهوات ويسمع لا بخروق

(٢) في «ط» فصنع الله. و ما في المتن من «أ» ومن المصدر.

(٤) الإحتجاج: ٢٠٠.

(٦) الإرشاد: ١١٩.

(٨) في «أ»: أي تمييزه عن الخلق.

(١٠) في المصدر: يعود إليه.

(١٢) في المصدر: ولا أن شيئا يحمله.

(١١) الاعراف: ١٢.

(٣) في «ط»: يعقد معرفته، و ما في المتن من «أ» ومن المصدر.

(٥) في «ط»: أبو الحسن الهزلي، والصحيح ما في المتن.

(٧) الإحتجاج: ٢٠١.

(٩) في «أ»: حمتها قد الأزلية.

(١١) في «ط» ولجزأكنه.

وأدوات يقول ولا يلفظ ويحفظ ولا يتحفظ ويريد ولا يضمر يحب ويرضى من غير رقة ويبغض ويغضب من غير مشقة يقول لما أراد كونه كُنْ فَيَكُونُ لا بصوت يقرع ولا نداء يسمع وإنما كلامه سبحانه فعل منه أنشاء ومثله لم يكن من قبل ذلك كائنا ولو كان قديما لكان إليها ثانيا لا يقال له كان بعد أن لم يكن فتجري عليه الصفات المحدثات ولا يكون بينها وبينه فصل ولا له عليها فضل فيستوي الصانع والمصنوع ويتكافأ المبتدع والبديع خلق الخلاق من غير مثال^(١) خلا من غيره ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه وأنشأ الأرض فأسكنها من غير اشتغال وأرسلها على غير قرار وأقامها بغير قوائم ورفعها بغير دعائم وحصلها^(٢) من الأود والاعوجاج ومنعها من التفات والانفراج^(٣) أرسى أوتادها وضرب أسداها واستفاض عيونها^(٤) وخد أوديتها فلم يهن ما بناه ولا ضعف ما قواه وهو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته والباطن لها بعلمه ومعرفته والعالي على كل شيء منها بجلاله وعزته ولا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه ولا يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج إلى ذي مال فيرزقه خضعت الأشياء له فذلت مستكينه لعظمته لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره فتمتنع من نفعه وضره ولا كفه له فيكافئه ولا نظير له فيساويه هو المعنى لها بعد وجودها حتى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء الدنيا بعد ابتداعها بأعجب من إنشائها واختراعها كيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحلها وسانمها وأصناف أسنانها^(٥) وأجناسها ومتبلدة أممها وأكياسها على إحداث بعوضة ما قدرت على إحداثها ولا عرفت كيف السبيل إلى إيجادها ولتحيرت عقولها في علم ذلك وتاهت وعجزت قواها وتناهت ورجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة مقررة بالعجز عن إنشائها مدعنة بالضعف عن إفنائها وأنه يعود سبحانه بعد فناء الدنيا وحده لا شيء معه كما كان قبل ابتدائها كذلك يكون بعد فنائها بلا وقت ولا مكان ولا حين ولا زمان عدمت عند ذلك الأجال والأوقات وزالت السنون والساعات فلا شيء إلا الواحد القهار الذي إليه مصير جميع الأمور بلا قدرة منها كان ابتداء خلقها وبغير امتناع منها كان فناؤها ولو قدرت على الامتناع لدام بقاؤها لم يتكاده صنع شيء منها إذ صنعه ولم يؤده منها خلق ما برأه وخلقها ولم يكونها لتشديد سلطان ولا لخوف من زوال ونقصان ولا للاستعانة بها على ند مكائرت ولا للاحتراز بها من ضد مشاوير^(٦) ولا للازدیاد بها في ملكه ولا لمكائرت شريك في شركة ولا لوحشة كانت منه فأراد أن يستأنس إليها ثم هو يفنيها بعد تكوينها لا لسأم دخل عليه في تصريفها وتديرها ولا لراحة وأصله إليه ولا لثقل شيء منها عليه لا يمله طول بقائها فيدعوه إلى سرعة إفنائها^(٧) لكنه سبحانه دبرها بلطفه وأمسكها بأمره وأتقنها بقدرته ثم يعيدها بعد الفناء من غير حاجة منه إليها ولا استعانة بشيء منها عليها ولا لانصراف من حال وحشة إلى حال استيناس ولا من حال جهل وعمی إلى حال علم والتماس ولا من فقر وحاجة إلى غنى وكثرة ولا من ذل وضعة إلى عز وقدره^(٨).

تبيين: لا يشمل بحد أي بالحدود والنهايات الجسمانية أو بالحد العقلي المركب من الجنس والفصل ولا يحسب بعد أي بالأجزاء والصفات الزائدة المعدادة وقال ابن أبي الحديد يحتمل أن يريد لا يحسب أزيلته بعد أي لا يقال له منذ وجد كذا وكذا كما يقال للأشياء المتقدمة العهد ويحتمل أن يريد به أنه ليس بمماثل للأشياء فيدخل تحت العدد كما تعد الجواهر وكما تعد الأمور المحسوسة^(٩) أقول وقد مر تفسير كثير من الفقرات.

قوله ﷻ إذا وجد له أمام أي لو جرت عليه الحركة لكان له أمام يتحرك إليه وحينئذ يستلزم أن يكون له وراء لأنها إضائتان لا تنفك إحداها عن الأخرى وذلك محال لأن كل ذي وجهين فهو منقسم وكل منقسم ممكن ويحتمل أن يكونا كنايةتين عما بالقوة وما بالفعل ليشمل سائر أنواع الحركة كما أومأنا إليه سابقا قوله ﷻ ولا تنمس التمام أي الحركة إنما تكون لتحصيل أمر بالقوة

(١) وفي نسخة: على غير مثال.

(٢) في «أ»: من التفات والانفراج، والظاهر صحة ما في المتن.

(٣) في «أ»: إشباحها.

(٤) في المصدر: إلى نزعة أعينها.

(٥) في «أ»: في «ط» ضد مشاوير.

(٦) الاحتجاج: ٢٠١ - ٢٠٤.

(٧) شرح نهج البلاغة ١٣: ٧٥ خ ٢٢٣ لابن أبي الحديد.

فمع عدمه ناقص و النقص عليه محال.

قوله ﷺ و خرج بسلطان الامتناع قيل هو معطوف على كان مدلولاً عليه و سلطان الامتناع وجوب الوجود و التجرد و كونه ليس بمتحيز و لا حال في المتحيز و قيل هو معطوف على قوله بها امتنع عن نظر العيون يعني بها امتنع عن نظر العيون و خرج بسلطان ذلك الامتناع أي امتناع أن يكون مثلها في كونها مرتبة للعيون عن أن يؤثر فيه ما يؤثر في غيره من المراتب و هي الأجسام و الجسمانيات و قيل إنه معطوف على قوله بها تجلي أي بها تجلي للعقول و خرج بسلطان امتناع كونه مثلاً لها أي يكونه واجب الوجود معتنع العدم عن أن يكون ممكناً فيقبل أثراً كما يقبل الممكنات.

أقول: الأظهر عطفه على قوله لا يجري عليه الحركة و السكون لكون ما بعدها من الفقرات دليلاً عليها و من توابعها و سلطان الامتناع وجوب الوجود المقضي للامتناع عن الاشتراك مع الممكنات و أما العطف على الفقرات السابقة مع تخلل الفقرات الأجنبية فلا يخفى بعده.

قوله ﷺ لا يحول أي لا يتغير و قال الفيروز آبادي كل ما تحرك أو تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال و الأول الغيبة^(١) قوله ﷺ فيكون مولوداً أي من جنسه و نوعه لأن الوالد و الولد يتشاركان في النوع و الصف و العوارض فيكون جسماً مركباً محتاجاً و يحتمل أن يكون المراد بالمولود المخلوق أي فيكون مخلوقاً.

و قال ابن أبي الحديد المراد أنه يلزم من فرض صحة كونه والدا صحة كونه مولوداً على التفسير المفهوم من الوالدية و هو أن يتصور من بعض أجزائه حي آخر من نوعه على سبيل الاستحالة لذلك الجزء كما في النطفة فصيح أن يكون مولوداً من والد آخر لأن الأجسام متماثلة في الجسمية و قد ثبت ذلك في موضعه و أما أنه لا يصح كونه مولوداً فلأن كل مولود متأخر عن والده بالزمان فيكون محدثاً^(٢).

و قال ابن ميثم يمكن أن يكون خطايا غايته الإقناع و يمكن أن يكون المراد بالوالدية و المولودية ما هو أعم من المعنى المشهور فإن الملازمة على المعنى المشهور غير واجب كما في أصول الحيوان الحادثة و حينئذ فيبانها أن مفهوم الولد هو الذي يتولد و ينفصل عن آخر مثله من نوعه لكن أشخاص النوع الواحد لا تتعين إلا بواسطة المادة و علاقتها كما علم في مظانه من الحكمة و كل ما كان مادياً فهو متولد عن مادته و صورته و أسباب وجوده و تركيبه و لو كان مولوداً بذلك المعنى لكان منتهياً إلى حدوده و هي أجزاؤه التي تنفك عندها و تنتهي في التحليل إليها و لكان محاطاً و محدوداً بالمحل الذي تولد منه انتهى^(٣).

قوله ﷺ فتقدره أي بمقدار و شكل و كيف و الفطنة سرعة الفهم قوله ﷺ فتصوره أي بصورة خيالية أو عقلية قوله ﷺ تنحسه أي تدركه بنحو الإحساس الموقوف على مباشرة و وضع خاص رداً على من زعم أنه يمكن أن يدرك بالحواس بدون مقارنة و محاذاة كذا ينبغي أن يفهم لا كما ذكره الفاضل البحراني حيث قال أي لو أدركنه الحواس لصدق أنها أحسسته أي لصدق هذا الاسم فيلزم أن يصدق عليه تعالى كونه محسوساً^(٤) و إنما ألزم ﷺ ذلك لكون الإحساس أشهر و أبين في استحالته على الله سبحانه و قال في الفقرة التالية أي لو صدق أنها تلمسه لصدق أنها تمسه و هو ظاهر إذ كان المس أعم من اللس و كلاهما ممتنعان عليه لاستلزامهما الجسمية^(٥) انتهى.

أقول: في الأعمية نظر و الأظهر أن يقال على نحو ما سبق أن المراد باللمس الإحساس بحاسة اللمس و باللمس المماس و المقارنة المخصوصة.

(١) القاموس ٣: ٣٢٩ و الكلام بمعناه.

(٢) شرح نهج البلاغة ٤: ١٦٣ - ١٦٤ خ ٢٢٨ لابن ميثم البحراني.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٤: ١٦٥ خ ٢٢٨.

(٤) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني ٤: ١٦٥ خ ٢٢٨.

(٥) شرح نهج البلاغة ١٣: ٨١ خ ٢٢٢ لابن أبي الحديد.

قوله بحال أي أبداً أو بسبب حدوث حال قوله ﷺ بالغيرية والأعضاء أي ليس له أعضاؤه يغاير بعضها بعضاً والنهاية تأكيد للحدوث كما أن الغاية تأكيد للانقطاع أو المراد بالحد الحدود العارضة والنهاية نهاية المكان الذي هو تعالى فيه وبالانقطاع ما هو من جانب الأزل وبالغاية ما هو من جانب الأبد أو يقال المراد بالانقطاع انقطاع وجوده وبالغاية الزمان الذي ينقطع فيه فيكون كالتأكيد له.

قوله فتنقله بالنصب بإضمار أن في جواب النفي أو بالرفع على العطف أي ليس بذی مكان يحويه فيرتفع بارتفاعه وينخفض بانخفاضه وكذا ليس محمولاً على شيء فيميله إلى جانب أو يعدله على ظهره من غير ميل قوله ولا عنها بخارج خروجاً مكانياً بأن يكون في مكان آخر سوى أمكنتها أو ليس عنها بخارج علماً وقدرة وتربية واللهوات هي اللحامات في سقف أقصى الفم.

قوله ﷺ ولا يلفظ يدل على أن التلفظ صريح في إخراج الحروف من آلة النطق بخلاف القول والكلام^(١) قوله ﷺ يحفظ أي يعلم الأشياء ويحفظها ولا يتحفظ أي لا يتكلف ذلك كالواحد منا يتحفظ الدرس ليحفظه ويحتمل أن يكون المراد بالتحفظ الانتقاش في الحافظة وقيل أي يحفظ العباد ويحرسهم ولا يحرز ولا يشفق على نفسه خوفاً من أن يبدره بادرة ولا يخفي بعده عن السياق قوله ﷺ من غير مشقة أي البغض والغضب في المخلوق يستلزمان ثوران دم القلب واضطرابه وانزعاجه وكل ذلك مشقة والله منزّه عنها.

وقوله ﷺ يقول لما أراد لعل غرضه بيان معنى الآية وأنه ليس مراده تعالى التكلم الحقيقي بأن يكون له صوت يقرع الأسماع ونداء يسمعه الآذان بل ليس له إلا تعلق إرادته تعالى وإنما هذا الكلام الذي عبر عن الإرادة به فعله تعالى وخلق الأشياء وتمثيلها وتصويرها وليست الإرادة قديمة وإلا لكان إلهاً ثانياً فيكون موافقاً للأخبار الدالة على حدوث الإرادة وقد مر شرحها ويحتمل أن يكون إنما كلامه إشارة إلى الكلام الحقيقي وبياناً لكيفية صدور وكونه حادثاً لا قديماً وقال ابن ميثم لا بصوت يقرع أي ليس بذی حاسة للسمع فيقرعها الصوت ولا نداء يسمع أي لا يخرج منه الصوت وقوله أنشأه أي أوجده في لسان النبي ﷺ ومثله أي سوى مثاله في ذهنه وقبل المعنى مثله لجبرئيل ﷺ في اللوح^(٢).

أقول: على التقادير يدل على أن القدم ينافي بالإمكان وأن القول يقدم العالم شرك.

قوله ﷺ الصفات المحدثات في أكثر نسخ «ج و النهج» الصفات معرفة باللام وفي بعضها بدونها وهو أظهر ليعود الضمير في قوله ﷺ بينها إلى ذوات المحدثات لا صفاتها وعلى التقدير الآخر يمكن أن يرتكب فيه شبه استخدام قوله ﷺ خلا من غيره أي مضى وسبق والمعنى أنه لم يحدث في صنعتته حذو غيره كالواحد منا قوله ﷺ من غير اشتغال أي بإمسائها عن غيره من الأمور.

قوله ﷺ وأرساها أي أثبتها على غير قرار أي مقر يتمكن عليه بل قامت بأمره والاعوجاج عطف تفسيري للأود بالتحريك والتهافت التناقص قطعاً قطعاً والأسداد إما جمع السد بمعنى الجبل أو بمعنى الحاجز أي التي تحجز بين بقاعها وبلادها والسد بالضم أيضاً السحاب الأسود واستفاض بمعنى أفاض وخذ أي شق والاستكانة الخضوع قوله من نفعه أي أنفعه واستغناء بالغير ويمكن أن يكون ذكره على الاستطراد والاستنباع قوله ﷺ فيكافئه أي يساويه في وجوب الوجود وسائر الكمالات أو يقابله ويفعل مثل فعله ويعارضه.

قوله ﷺ من أراحها قال ابن أبي الحديد المراح بالضم النعم ترد إلى المراح بالضم أيضاً وهو الموضع الذي تأوي إليه النعم وليس المراح ضد السائم على ما يظنه بعضهم ويقول إنه من عطف المختلف أو المتضاد بل أحدهما هو الآخر وضمهما المعلوفة ومثل هذا العطف كثير انتهى.

أقول: كونه من قبيل عطف الضدين ليس ببعيد إما باعتبار الوصفين والحالتين أو بأن يكون المراد بسانمها ما لا ترجع إلى مراح وأسناخها أصولها وفي بعض النسخ أشباحها أي أشخاصها والمتبلدة ذو اليلادة ضد الأكياس والخاسي الذليل الصاغر والحسير الكال المعبي.

قوله ﷺ عن إفنائها أي إعدامها بالمرءة وقال ابن ميثم فإن قلت كيف تقرر العقول بالعجز عن إفاء البعوضة مع سهولته قلت العبد إذا نظر إلى نفسه وجدها عاجزة عن كل شيء إلا بأقدار إلهي وأنه ليس له إلا الإلادة لحدوث ما ينسب إليه من الآثار وأيضاً فإن الله سبحانه كما أقدر العبد كذلك أقدر البعوضة على الهرب والامتناع بالطيران وغيره بل على أن تؤذيه ولا يتمكن من دفعها عن نفسه انتهى^(١).

ثم إن كلامه ﷺ يدل على أنه تعالى يفني جميع الأشياء حتى النفوس والأرواح والملائكة وسيأتي القول فيه في كتاب العدل والمعاد.

قوله ﷺ لم يتكاده بالمد أي لم يشق عليه ويجوز يتكاده بالتشديد والهمزة ولم يؤده أي لم يثقله والتد المثل والنظير والمكاثرة المغالبة بالكثرة والمشاورة الموائمة.

٢٦١
٤

٩-ج: [الإحتجاج] ومن خطبة له ﷺ الحمد لله الذي لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراه النواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه وبحدوث خلقه على وجوده وباشتياهم على أن لا شبه له الذي صدق في ميغاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط في خلقه وعدل عليهم في حكمه مستشهد بحدوث الأشياء على أزليته وبما وسما به من العجز على قدرته وبما اضطرها إليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد ودائم لا بآمد وقائم لا بعمد تتلقاه الأذهان لا بمشاعرة وتشهد له المراني لا بمحاضرة لم تحط به الأوهام بل تجلي لها بها وبها امتنع منها وإليها حاكمها ليس بذئ كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيما ولا بذئ عظم تناهت به الغايات ف عظمته تجسيدا بل كبر شأناً وعظم سلطانا^(٢).

إيضاح: الشواهد الحواس من قولهم شهد فلان كذا إذا حضره أو لأنها تشهد على ما تدركه وتشته عند العقل والمشاهد المجالس قوله ﷺ لا بمشاعرة أي لا من طريق المشاعر والحواس والمراني جمع مرأة يفتح الميم من قولهم هو حسن في مرأة عيني يعني أن الرؤية تشهد بوجوده تعالى من غير محاضرة منه للحواس ويحتمل أن يكون جمع مرئي أي المرئيات تشهد بوجوده وصفاته الكمالية من غير أن يكون حاضراً عندها محسوساً معها.

قوله ﷺ لم تحط به الأوهام قيل الأوهام هاهنا هي العقول أي أنه سبحانه لم تحط به العقول ولم تتصور كنه ذاته ولكنه تجلي للعقول بالعقول وتجليه هاهنا هو كشف ما يمكن أن تصل إليه العقول من صفاته الإضافية والسلبية وما يمكن الوصول إليه من أسرار مخلوقاته وقوله ﷺ وبالعقول امتنع من العقول أي بالعقول وبالنظر علمنا أنه تعالى يمتنع أن تدركه العقول.

وقوله ﷺ وإلى العقول حاكم العقول أي جعل العقول المدعية أنها أحاطت به وأدركته كالخصم له سبحانه ثم حاكمها إلى العقول السليمة الصحيحة فحكمت له سبحانه على العقول بأنها ليست أهلاً لذلك وقيل الأوهام بمعناها ولما كانت اعتبارها لأحوال أنفسها من وجوداتها والتغيرات اللاحقة لها شاهدة لحاجتها إلى موجد ومقيم ومساعدة للعقول على ذلك وكان إدراكها لذلك في أنفسها على وجه جزئي مخالف لإدراك العقول فكانت مشاهدة له بحسب ما طبعته عليه وبقدر إمكانها وهو متجل لها كذلك والباء في بها للسببية إذ وجودها هو السبب المادي في تجليه لها ويحتمل أن تكون بمعنى في أي تجلي لها في وجودها وبل للإضراب عن الإحاطة به.

وقوله وبها امتنع منها أي لما خلقت قاصرة عن إدراك المعاني الكلية وعن التعلق بالمجردات كانت بذلك مبدأ لامتناعه عن إدراكها له وإن كانت لذلك الامتناع أسباب أخرى ويحتمل أن يكون

٢٦٢
٤



المراد أنه تعالى باعترافها امتنع منها لأنها عند طلبها لمعرفة تعالى ولكنه اعترفت بالعجز عن إدراكها له.

قوله ﷺ وإلها حاكمها أي جعلها حكما بينها وبينه عند رجوعها من طلبه خاصة حسيرة معترفة بأنه لا ينال كنه معرفته وإسناد المحاكاة إليها مجاز وقيل يحتمل أن يكون أحد الضميرين في كل من الفقرات الثلاث راجعا إلى الأوهام والآخر إلى الأذهان فيكون المعنى أن بالأوهام وخلقته تعالى لها وإحكامها أو بإدراك الأوهام آثار صنعته وحكمته تجلى للعقول والعقول وحكمها بأنه تعالى لا يدرك بالأوهام امتنع من الأوهام وإلى العقول حاكم الأوهام لو ادعت معرفته حتى تحكم العقول بعجزها عن إدراك جلاله ويؤيده ما مر في الخطبة الكبيرة من بعض الفقرات على بعض الوجوه.

أقول: ويحتمل أن يكون الأوهام أعم منها ومن العقول وهذا الإطلاق شائع فالمراد تجلي الله لبعض الأوهام أي العقول ببعض الحواس وهكذا على سياق ما مر قوله النهايات أي السطوح المحيطة به.

٢٦٣/٤ ١٠-ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] وجدت في بعض الكتب نسخة كتاب الحياء والشرط من الرضا ﷺ إلى العمال في شأن الفضل بن سهل وأخيه و لم أرو ذلك عن أحد أما بعد فالحمد لله البديع القادر القاهر الرقيب على عبادته المقيت على خلقه الذي خضع كل شيء لمملكته وذل كل شيء لعزته واستسلم كل شيء لقدرته وتواضع كل شيء لسلطانه وعظمته وأحاط بكل شيء علمه وأحصى عدده فلا يتوده كبير ولا يعزب عنه صغير الذي لا تدركه أبصار الناظرين ولا تحيط به صفة الواصفين لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ وَالْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الْغَيَّيرُ^(١)

بيان: المثل بالتحريك الحجة أو الصفة^(٢) وما يتمثل به ويضرب من الأمثال أي له تعالى الحجة الأعلى والصفة العليا وهي الوجود الذاتي والغنى المطلق والنزاهة عن صفات المخلوقين أو الأمثال الحسننة التي يضربها لإنهام الخلق ولا يتنافي ذلك النهي عن ضرب الأمثال لغيره تعالى في قوله فَلَا تُضَرِّبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ^(٣) لأن عقولهم قاصرة عن ذكر ما يناسب علو ذاته تعالى على أنه يحتمل أن يكون المراد بالأمثال الأشياء.

١١-ع: [علل الشرائع] ماجيلويه عن محمد العطار عن سهل عن ابن بزيع عن محمد بن زيد^(٤) قال جئت إلى الرضا ﷺ أسأله عن التوحيد فأملى علي الحمد لله فاطر الأشياء إنشاء ومبتدعها ابتداء بقدرته وحكمته لا من شيء فيبطل الاختراع ولا لعله فلا يصح الابتداء خلق ما شاء كيف شاء متوحدا بذلك لإظهار حكمته وحقيقة ربوبيته تضبطه العقول ولا تبلفه الأوهام ولا تدركه الأبصار ولا يحيط به مقدار عجزت دونه العبارة وكلت دونه الأبصار وضل فيه تصاريف الصفات احتجب بغير حجاب محجوب واستتر بغير ستر مستور عرف بغير رؤية وصف بغير صورة ونعت بغير جسم لا إله إلا هو الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ^(٥)

يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصغار عن سهل مثله.^(٦)

١٢-مح: [معاني الأخبار] حدثنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن عيسى بن أحمد بن عيسى بن علي بن الحسين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عن محمد بن إبراهيم بن أسباط عن أحمد بن محمد بن زياد القطان عن أحمد بن محمد بن عبد الله عن عيسى بن جعفر بن محمد بن عبد الله بن محمد عمر بن علي بن أبي طالب عن آباءه عن عمر بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب ﷺ قال قال رسول الله ﷺ التوحيد ظاهره في باطنه وباطنه في ظاهره ظاهره موصوف لا يرى وباطنه موجود لا يخفى يطلب بكل مكان ولم يخل عنه مكان طرفه عين حاضر غير محدود وغائب غير مفقود.^(٧)

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ: ٢/ ١٦٥ ب ٤٠ ح ٢٣ وفيه: فالحمد لله البديع الرفيع وكذا: الذي خضع كل شيء لمملكته.

(٢) في «أ»: الحجة والصفة.

(٣) التخل: ٣٣.

(٤) علل الشرائع: ٩ ح ٩.

(٥) التوحيد: ٩٨ ب ٦ ح ٥.

(٦) معاني الأخبار: ١٠ ب ١٠ ح ١ وفيه: ولم يخل منه مكان طرفه عين.

بيان: لعل المراد به أن كل ما يتعلق بالتوحيد من وجود البارئ تعالى و صفاته ظاهره مقرون بباطنه أي كل ما كان ظاهرا منه بوجه باطن ومخفي بوجه آخر وكذا العكس ثم بين ﷺ ذلك بأن ظاهره أنه موصوف بالوجود و سائر الكمالات بما أظهر من الآثار في الممكنات ولكنه لا يرى فهو باطن عن الحواس و باطنه أنه موجود خاص لا كالموجودات ولكنه لا يخفى من حيث الآثار و يمكن أن يقال فسر ﷺ كلا منهما بما يناسب ضده لبيان تلازمهما و يحتمل أيضا أن يكون المراد بالظاهر مجمل التوحيد أو ما يكتفي به العوام و بالباطن مفصله أو ما يجب أن يعرفه الخواص فالمقصود بقوله ظاهره في باطنه أن كلا منهما لا يتنافى الآخر وإنما الفرق بينهما بالإجمال و التفصيل و ما ذكر بعد قوله و باطنه إلى آخر الخبر تفسير لباطن التوحيد و على الأولين قوله ﷺ يطلب إلى آخره توضيح لما ادعى أولا من التلازم والله يعلم.

١٣- يد: [التوحيد] مع: [معاني الأخبار] محتمل بن سعيد بن عزيز السمرقندي^(١) عن محمد بن أحمد الزاهد السمرقندي^(٢) بإسناد رفعه إلى الصادق ﷺ أنه سأله رجل فقال له إن أساس الدين التوحيد والعدل وعلمه كثير ولا بد لعالم منه فاذكر ما يسهل الوقوف عليه و يتهيأ حفظه فقال أما التوحيد فأن لا تجوز على ربك ما جاز عليك و أما العدل فأن لا تنسب إلى خالقك ما لامك عليه.^(٣)

١٤- يد: [التوحيد] أبي عن سعد عن البرقي عن أبيه عن أحمد بن النضر وغيره عن عمرو بن ثابت عن رجل سماه عن أبي إسحاق السبيعي^(٤) عن الحارث الأعور قال خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ يوما خطبة بعد العصر فعجب الناس من حسن صفته و ما ذكر من تعظيم الله جل جلاله قال أبو إسحاق فقلت للحارث أو ما حفظها قال قد كتبتها فأملأها علينا من كتابه الحمد لله الذي لا يموت و لا تنقضي عجائبه لأنه كل يوم في شأن من إحداه بديع لم يكن الذي لم يولد فيكون في العز مشاركا و لم يلد فيكون موروثا هالكا و لم تقع عليه الأوهام فتقدره شيئا مائلا و لم تدركه الأبصار فيكون بعد انتقالها حائلا الذي ليست له في أوليته نهاية و لا في آخريته حد و لا غاية الذي لم يسبقه وقت و لم يتقدمه زمان و لم يتعاوره زيادة و لا نقصان و لم يوصف بأين و لا بما و لا بمكان الذي بطن من خفيات الأمور و ظهر في العقول بما يرى في خلقه من علامات التدبير الذي سئل الأنبياء عنه فلم تصفه بعد و لا ببعض^(٥) بل وصفته بأفعاله و دلت عليه بآياته لا تستطيع عقول المتفكرين جرده لأن من كانت السماوات و الأرض فطرته و ما فيهن و ما بينهن و هو الصانع لهن فلا مدفع لقدرته الذي بان من الخلق فلا شيء كمثلته الذي خلق الخلق لعبادته و أقدرهم على طاعته بما جعل فيهم و قطع عذرهم بالحجج فعن بيته هلك من هلك و عن بيته نجا من نجا و للفضل مبدئا أو معيدا ثم إن الله و له الحمد افتتح الكتاب بالحمد لنفسه و ختم أمر الدنيا و مجيء الآخرة بالحمد لنفسه فقال ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٦).

الحمد لله اللابس الكبرياء بلا تجسد و المرتدي بالجلال بلا تمثيل و المستوي على العرش بلا زوال و المتعالي عن الخلق بلا تباعد القريب منهم بلا ملاسة منه لهم و ليس له حد ينتهي إلى حده و لا له مثل فيعرف بمثله ذل من تجبر عنه و صغر من تكبر دونه و تواضعت الأشياء لعظمته و انقادت لسلطانه و عزته و كلت عن إدراكه طروف

(١) كذا في النسخ و المصدرين: أبو الحسن محمد بن سعيد بن عزيز السمرقندي الفقيه بأرض بلخ.

(٢) كذا في النسخ، و في التوحيد: أبو أحمد محمد بن محمد الزاهد السمرقندي.

(٣) التوحيد: ٩٦ ح ٥، معاني الأخبار: ١١ ح ١٠ ج ٢.

(٤) هو عمرو بن عبدالله أبو إسحق الهمداني السبيعي الكوفي تابعي. كذا ذكره الشيخ في رجال الإمام الصادق ﷺ «ص ٢٤٦ رقم ٣٧٥» و ذكره في كنى أصحاب الإمام علي ﷺ تحت اسم: أبو إسحق الهمداني «ص ٦٤ رقم ٢٤» وكذا ما ذكره في كنى أصحاب الإمام الحسن ﷺ تحت نفس الاسم «ص ٧١ رقم ١». و ذكر الإمام الغوثي أن الشيخ ذكر تحت اسم: أبو إسحق السبيعي «معجم رجال الحديث ١٣: ١١١ - ١١٢ رقم ٨٩٣١» و هو سهو على الغالب، لأن من ذكره هو ابن كليب الذي سير ترجمه مستقلا في ٧: ٢١ تحت رقم ١٣٨٩٦ و باسم: أبو إسحق السبيعي ابن كليب. حيث جزم بان ابن كليب و عمرو رجلا. و لم يستبعد الإمام الغوثي أن يكون من العامة. و لم يثبت وثاقته و الرجل مترجم و بشكل موثق في كتب القوم. قال الذهبي في ميزان الاعتدال: من أئمة التابعين بالكوفة و أثباتهم، إلا أنه شاخ و نسي و لم يخطط، و نقل عن أبي حاتم قوله: ثقة يشبه الزهري في الكثرة. و قيل: كان صواما قواما و اتهم قوم بالاختلاف و نقل عن النسوي و جبريل والفيغرية ذلك «ميزان الاعتدال ٣: ٢٧٠ رقم ٦٣٩٣».

(٥) في نسخة: ولا ينقص و في المصدر. و في أخرى: ولا ينقص.

(٦) الزمر: ٧٥.



العيون و قصرت دون بلوغ صفته أو هام الخلاق الأول قبل كل شيء و الآخر بعد كل شيء و لا يعدله شيء الظاهر على كل شيء بالقهر له و المشاهد لجميع الأماكن بلا انتقال إليها و لا تلمسه لامتعة و لا تحسه حاسة و هُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَ فِي الْأَرْضِ إِلَهٌ وَ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ أَتَقَنَ مَا أَرَادَ خَلْقَهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا بِلَا مِثَالٍ سَبَقَ إِلَيْهِ وَ لَا لَنُوبٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي خَلْقِ مَا خَلَقَ لَهُ بِهِ ابْتَدَأَ مَا أَرَادَ ابْتَدَأَهُ وَ أَنْشَأَ مَا أَرَادَ أَنْشَأَهُ عَلَى مَا أَرَادَ مِنَ الثَّقَلَيْنِ الْجَنِّ وَ الْإِنْسِ لَتَعْرِفَ بِذَلِكَ رَبِّيَّتَهُ وَ يُمْكِنُ فِيهِمْ طَوَاعِيَتُهُ.

نحمده بجميع محامده كلها على جميع نعمائه كلها و نستهديه لمرشد أمورنا و نعوذ به من سيئات أعمالنا و نستغفره للذنوب التي سلفت منا و نشهد أن لا إله إلا الله و أن محمدا عبده و رسوله بعثه بالحق دالا عليه و هاديا إليه فهدانا به من الضلالة و استفتنا به من الجهالة مَنْ يَطْعُ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا وَ نال ثوابا كريما و من يعص الله و رسوله فقد خسر خسرانا مبينا و استحق عذابا أليما فأتبعوا بما يحق عليكم من السمع و الطاعة و إخلاص النصيحة و حسن الموازنة و أعينوا أنفسكم بلزوم الطريقة المستقيمة و هجر الأمور المكروهة و تعاطوا الحق بينكم و تعاونوا عليه و خذوا على يدي الظالم السفیه مروا بالمعروف و اتهاوا عن المنكر و اعرفوا لذوي الفضل فضلهم عصمنا الله و إياكم بالهدى و ثبتنا و إياكم على التقوى و أستغفر الله لي و لكم.^(١)

بيان: قوله ﷺ و لا تنقضي عجائبه أي كلما تأمل الإنسان يجد من آثار قدرته و عجائب صنعته ما لم يكن وجده قبل ذلك و لا ينتهي إلى حد و أنه كل يوم يظهر من آثار صنعه خلق عجب و طور غريب يحار فيه العقول و الأفهام.

قوله ﷺ فيكون في العز مشاركا كمشاركة الولد لوالده في العز و استحقاق التنظيم قوله موروثا أي يرثه ولده بعد موته كما هو شأن كل والد و الحاصل أن كل والد حادث هالك مورث قوله ﷺ شيحا ماثلا أي قائما أو ماثلا و مشايها للممكثات. قوله ﷺ حائلا أي متغيرا من حال الشيء إلى حال آخر إذا تغير أي لا تدركه الأبصار و إلا كان بعد انتقالها عنه متغيرا و متقلبا عن الحالة التي كانت له عند الأبصار من المقابلة و المحاذاة و الوضع الخاص و غير ذلك أو عن حلوله في الباصرة بزوال صورته الموافقة له في الحقيقة عنها و بعض الأفاضل قرأ بعد مضمومة الباء مرفوعة الإعراب على أن يكون اسم كان و الحائل بمعنى الحاجز أي كان بعد انتقال الأبصار إليه حائلا من رؤيته و منهم من قرأه خائلا بالخاء المعجمة أي ذا خيال و صورة متمثلة في المدرك و التماثل و التماثل على التناوب.

قوله ﷺ و لا بما إذ ليست له ماهية يمكن أن تعرف حتى يسأل عنها بما هو قوله ﷺ بطن من خفيات الأمور أي أدرك الباطن من خفيات الأمور و نفذ علمه في بواطنها أو المراد أن كنهه تعالى أبطن و أخفى من خفيات الأمور.

قوله ﷺ بما جعل فيهم أي من الأعضاء و الجوارح و القوة و الاستطاعة قوله بالحجج أي الباطنة و هي العقول و الظاهرة و هي الأنبياء و الأوصياء قوله فغن بينة أي بسبب بينة واضحة أو معرضا و مجاوزا عنها أو عز بمعنى بعد أي بعد وضوح بينة و الثاني لا يجري في الثاني و في الكافي و بمنه نجا من نجا.^(٢)

قوله ﷺ مبدئا و معيدا أي حال إبداء الخلق و إيجاده في الدنيا و حال إرجاعهم و إعادتهم بعد الفناء أو مبدئا حيث بدأ العباد مفسطورين على معرفته قادرين على طاعته و معيدا حيث لطف بهم و من عليهم بالرسول و الأئمة الهداة قوله ﷺ و له الحمد الجملة اعتراضية.

قوله افتتح الكتاب في في افتتح الحمد لنفسه أي في التنزيل الكريم أو في بدء الإيجاد بإيجاد الحمد أو ما يستحق الحمد عليه و ما هنا يؤيد الأول.

قوله ﷺ و مجيء الآخرة أي ختم أول أحوال الآخرة و هو الحشر و الحساب و يمكن أن يقدر فعل

(١) التوحيد: ٣١ - ٣٤ ب ٢ ح ١ و فيه: و لم يوصف باين و لا بمكان و كذا: و المرتدى بالجلال بلا تمل.

(٢) الكافي ١: ١٤١ - ١٤٢ ح ٤٥ ح ٧.

آخر يناسبه أي بدأ مجيء الآخرة قوله ﷺ وقضى بينهم أي بإدخال بعضهم الجنة وبعضهم النار و يظهر من الخبر أن القتال هو الله و يحتمل أن يكون الملائكة بأمره تعالى.

قوله ﷺ بلا تمثيل أي بمثال جسماني قوله بلا زوال أي بغير استواء جسماني يلزمه إمكان الزوال أو لا يزول اقتداره و استيلاؤه أبداً قوله من تجبر عنه في الكافي مكان عنه غيره فهو حال عن الفاعل وكذا قوله دونه قوله لعظمته أي عند عظمته أو عنده بسبب عظمته و الاحتمالان جاريان فيما بعده قوله ﷺ بلا مثال أي لا في الخارج و لا في الذهن.

قوله و لا لغوب أي تعب و يمكن إرجاع ضمير لديه إليه تعالى و إلى الخلق فالظرف على الأول متعلق بخلق و على الثاني يدخل قوله و يمكن على التفعيل و الطوعية الطاعة و في في طاعته و قال الفيروزآبادي المراشد مقاصد الطرق^(١).

قوله ﷺ فأنجعوا في بعض النسخ بالنون و الجيم من قولهم أنجع أي أفلحوا أي أفلحوا بما يجب عليكم من الأخذ سمعا و طاعة أو من النجعة بالضم و هي طلب الكلأ. من موضعه و في بعضها بالباء الموحدة فالخاء المعجمة قال الجزري فيه أناكم أهل اليمن هم أرق قلوبا و أبخع طاعة أي أبلغ و أنصح^(٢) في الطاعة من غيرهم كأنهم بالغوا في بخع أنفسهم أي قهرها و إذلالها بالطاعة^(٣) و قال الزمخشري في الفائق أي أبلغ طاعة من بخع الذبيحة إذا بالغ في ذبحها و هو يقطع عظم رقبتها هذا أصله ثم كثر حتى استعمل في كل مبالغة^(٤) فقليل بخعت له نصحي و جهدي و طاعتي.

قوله ﷺ و إخلاص النصيحة أي لله و لكتابه و لرسوله و للأئمة و لعامة المسلمين و الموازنة المعاونة قوله ﷺ و أعينوا أنفسكم أي على الشيطان و في في على أنفسكم أي النفس الأمارة بالسوء قوله ﷺ و تعاطوا الحق أي تناولوه بأن يأخذ بعضهم من بعض ليظهر و لا يضيع.

١٥- يد: [التوحيد] الدقاق عن محمد الأسدي و ابن زكريا القطان عن ابن حبيب عن ابن بهلول عن أبيه عن أبي معاوية عن الحصين بن عبد الرحمن^(٥) عن أبيه و حدثنا أحمد بن محمد بن الصقر الصانع عن محمد بن العباس بن بسام عن سعيد بن محمد البصري عن عمرة بنت أوس قالت حدثني جدي الحصين بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي عبد الله الصادق عن أبيه عن جده ﷺ أن أمير المؤمنين ﷺ استنهض الناس في حرب معاوية في المرة الثانية فلما حشد الناس قام خطيباً فقال الحمد لله الواحد الأحد الصمد المتفرد الذي لا من شيء كان و لا من شيء خلق ما كان قدرته بأن بها من الأشياء و بابت الأشياء منه فليست له صفة تتال و لا حد يضرب له فيه الأمثال كل دون صفاته تحبير اللغات و ضل هنالك تصاريف الصفات و حار في ملكوته عميقات مذاهب التفكير و انقطع دون الرسوخ في علمه جوامع التفسير و حال دون غيبه المكنون حجب من الغيوب و تاهت في أدنى أدانيها طامحات العقول في لطيفات الأمور فتبارك الله الذي لا يبلغه بعد الهمم و لا يناله غوص الفطن و تعالى الذي ليس له وقت محدود و لا أجل ممدود و لا نعت محدود و سبحانه الذي ليس له أول مبتدأ و لا غاية منتهى و لا آخر يفنى سبحانه هو كما وصف نفسه و الواصفون لا يبلغون نعتة حد الأشياء كلها عند خلقه إياها إبانة لها من شبهه و إبانة له من شبهها فلم يحل فيها فيقال هو فيها كائن و لم يتأ عنها فيقال هو منها باتن و لم يخل منها فيقال له أين لكنه سبحانه أحاط بها علمه و أتقنها صنعه و أحصاها حفظه لم يعزب عنه خفيات غيوب الهواء و لا غوامض مكنون ظلم الدجي و لا ما في السماوات العلى و الأرضين السفلى لكل شيء منها حافظ و رقيب و كل شيء منها بشيء محيط و المحيط بما أحاط منها الله الواحد الأحد الصمد الذي لم يغيره صروف الأزمان و لم يتكاده صنع شيء كان إنما قال لما شاء أن يكون «كن» فكان ابتدع ما خلق بلا مثال سبق و لا تعب و لا نصب و كل صانع شيء فمن شيء صنع و الله لا من

(٢) في «أ»: أي أبلغ طاعة و انصح.

(١) القاموس المحيط ٣٠٥:١.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر ١٠٢:١.

(٣) في «أ» و إذلالها في الطاعة.

(٥) عنه الشيخ ضمن أصحاب الإمام الصادق ﷺ و قال: حصين بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي، اسند عنه رجال الشيخ ص ١٧٨ رقم ٢٢١. ذكره النجاشي ضمن ذكره لأنه بسطام بن الحصين و قال عنه: كان وجهاً في أصحابنا و أبوه و عمومه، و كان أوجههم اسماعيل، و هم بيت بالكوفة من جعفي يقال لهم بنو أبي سيرة «رجال النجاشي» ٢٧٦:١ رقم ٢٧٩.



شيء صنع ما خلق وكل عالم فمن بعد جهل تعلم والله لم يجهل ولم يتعلم أحاط بالأشياء علما قبل كونها فلم يزد بكونها علما علمه بها قبل أن يكونها كعلمه بعد تكوينها لم يكونها لشدة سلطان ولا خوف من زوال ولا نقصان ولا استعانة على ضد مساور^(١) ولا ند مكاثر ولا شريك مكاييد لكن خلاقت مربوبون وعباد داخرون فسيحان الذي لا يثوده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما برأ ولا من عجز ولا من فترة بما خلق اكتفى علم ما خلق وخلق ما علم لا بالتفكير ولا يعلم حادث أصاب ما خلق ولا شبهة دخلت عليه فيما لم يخلق لكن قضاء مبرم وعلم محكم وأمر متقن وتوحد بالربوبية وخص نفسه بالوحدانية واستخلص المجد والثناء فتحمده بالتحميد وتمجده بالتمجيد وعلا عن اتخاذ الأبناء وتظهر وتقدس عن ملامسة النساء وعز وجل عن مجاورة الشركاء فليس له فيما خلق ضد ولا فيما ملك ند ولم يشرك في ملكه أحد الواحد الأحد الصمد المبيد للأبد والوارث للأمد الذي لم يزل ولا يزال وحدانيا أزليا قبل بدء الدهور وبعد صرف الأمور الذي لا يبيد ولا يفقد بذلك أصف ربي فلا إله إلا الله من عظيم ما أعظمه وجليل ما أجله وعزيم ما أعزه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا^(٢)

٢٧١
٤

توضيح: قوله ﷺ المتفرد أي في الخلق والتدبير أو بسائر الكمالات قوله ﷺ قدرته مبتدأ وبان بها خبره أو خبره كافية فكانت جملة استثنائية فكان سائلا سأل وقال فكيف خلق لا من شيء فأجاب بأن قدرته كافية وفي في قدرة^(٣) أي له قدرة أو هو عين القدرة بناء على عينية الصفات وقبل نصب على التمييز أو على أنه منزوع الخافض أي ولكن خلق الأشياء قدرة أو بقدرة.

قوله ولا حد أي جسماني أو عقلي أو ليس لمعرفة ذاته وصفاته تعالى حد ونهاية حتى يضرب له فيه الأمثال إذ الأمثال إنما تصح إذا كان له مشابهة بالممكنات بأحد هذه الوجوه والكلال العجز والإعيا والتجسير التحسين أي أعيا قبل الوصول إلى بيان صفاته أو عند تزيين الكلام باللغات البديعة الغريبة.

قوله ﷺ وذل هنالك أي في ذاته تعالى أو في توصيفه بصفاته تصاريص صفات الواصفين وأنحاء تعبيرات العارفين أو ضل وضاع في ذاته الصفات المتغيرة الحادثة فيكون نفيًا للصفات الحادثة عنه تعالى أو مطلق الصفات أي ليس في ذاته التغيرات الحاصلة من عروض الصفات المتغيرة فيكون نفيًا لزيادة الصفات مطلقا كل ذلك أفاده الوالد العلامة قدس الله روحه.

قوله ﷺ في ملكوته فلعول من الملك وقد يخص بعالم الغيب وعالم المجردات والملك بعالم الشهادة وعالم الماديات وأفكر في الشيء وفكر فيه وتفكر بمعنى أي تحير في إدراك حقائق ملكوته وخواصها وأثارها وكيفية نظامها وصدورها عنه تعالى الأفكار الحقيقة الواقعة في مذاهب التفكير أو مذاهب التفكير العميقة فيكون إسناد الحيرة إليها إسنادا مجازيا.

قوله ﷺ دون الرسوخ في علمه الرسوخ الثبوت أي انقطع جوامع تفسيرات المفسرين قبل الثبوت في علمه أو عنده إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾^(٤) وقد مرت الإشارة إلى توجيهه في باب النهي عن التفكير في ذاته تعالى.

٢٧٢
٤

قوله ﷺ وحال دون غيبه المكنون المكنون المستور والمراد به معرفة ذاته وصفاته فالمراد بالحجب الحجب النورانية والظلمانية المعنوية من كماله تعالى ونقص مخلوقاته أو الأعم منها ومن سائر العلوم المغيبة فالحجب أيضا أعم أو المراد أسرار الملوكوت الأعلى من العرش والكرسي والملائكة الحافين بهما وسائر ما هو مستور عن حواسنا بالحجب الجسمانية والتبعية التحير والأدنى الأقرب والأداني جمع الدني وهو القريب^(٥) والإضافة في طامحات العقول ولطيفات

(١) في التوحيد: مثاور. وكلاهما بمعنى واحد. وهو الموازية انظر «لسان العرب ١٤٨: ٢ و ٤٢٦: ٤».

(٢) التوحيد: ٤١ - ٤٤ ج ٢ و ٣ في: دون صفاته تعبير اللغات. وكذا: لم يعز عنه خفيات غيوب الهوى.

(٣) الكافي ١: ١٣٤ - ١٣٦ ج ٤ ح ١.

(٤) آل عمران: ٧.

(٥) سقطت العبارة التالية من «أ»: والاداني جمع الدني وهو القريب.

الأمور من إضافة الصفة إلى الموصوف والطامع المرتفع والظرف في قوله في لطيفات متعلق بالطامحات بأن يكون في بمعنى إلى أو حال منه.

قوله ﷺ فتبارك إما مشتق من البروك^(١) بمعنى الثبات والبقاء أو من البركة وهي الزيادة والهمة الغزم ويقال فلان بعيد الهمة إذا كانت إرادته تتعلق بالأمور العالية وقوله ولا تمت محدود أي الحدود الجسمانية أو العقلانية بأن يحاط بنعته قوله ﷺ ولا آخر يفني أي بعده قوله ﷺ كما وصف نفسه أي في كتبه وعلى السنة رسله وحججه وبقلم صنعه على دفاتر الآفاق والأنفس.

قوله ﷺ حد الأشياء كلها أي جعل للأشياء حدودا ونهايات أو أجزاء وذاتيات ليعلم بها أنها من صفات المخلوقين والخالق منزه عن صفاتهم أو خلق الممكنات التي من شأنها المحدودية ليعلم بذلك أنه ليس كذلك كما قال تعالى فخلقت الخلق لأعرف أو خلقها محدودة^(٢) لأنها لم يكن يمكن أن تكون غير محدودة لامتناع مشابهة الممكن الواجب في تلك الصفات التي هي من لوازم وجوب الوجود ولعل الأوسط أظهر.

قوله ﷺ ولم يخل منها أي بالخلو الذي هو بمعنى عدم الملكة بقرينة التفرع أي كخلو المحل عن الحال والمكان عن التمكن والدجى جمع دجية بالضم وهي الظلمة. قوله ﷺ لكل شيء منها حافظ وريب الظرف خبر لقوله حافظ وريب أو متعلق بكل منهما والمبتدأ محذوف أي هو لكل شيء منها حافظ وريب والأول أظهر فيكون إشارة إلى الملائكة الموكلين بالعرش والكرسي والسموات والأرضين والبحار والجبال وسائر الخلق.

قوله وكل شيء منها أي من السماوات والأرض وما بينهما محيط بشيء منها إحاطة علم وتدير فيكون مؤكدا للسابق على أحد الوجهين أو إحاطة جسمية والمحيط بكل من تلك المحيطات علما وقدرة وتديرا هو الله الواحد والدخور الصغار والذل قوله ﷺ ولا من عجز أي لم يكف بخلق ما خلق لعجزه ولا تنور بل لعدم كون الحكمة في أزيد من ذلك ثم أكد ﷺ ذلك بقوله علم ما خلق وخلق ما علم أي ما علم أن الصلاح في خلقه ويقال استخلصه لنفسه أي استخصه.

قوله فتحمد بالتحميد يقال هو يتحمد علي أي يمتن أي أنعم علينا واستحق الحمد والثناء بأن رخص لنا في تحميده أو بأن حمد نفسه ولم يكل حمده إلينا وفي في توحيد بالتوحيد فالتوحيد يحتمل الوجهين أيضا والتمجد إظهار المجد والعظمة والتمجيد يحتمل الوجهين أيضا قوله المبيد للأبد أي الملك المقتني للدهر والزمان الزمانيات والوارث للأمد أي الباقي بعد فناء الأمد أي الغاية والنهاية أو امتداد الزمان.

قوله ﷺ وبعد صرف الأمور أي تغيرها وفنائها وهذا ناظر إلى قوله لا يزال كما أن ما قبله ناظر إلى قوله لم يزل وفي في صروف الأمور.

أقول: رواه إبراهيم بن محمد الثقفي في كتاب الغارات بإسناده عن إبراهيم بن إسماعيل البشكري قال وكان ثقة إن عليا ﷺ سئل عن صفة الرب سبحانه وتعالى فقال وذكر نحو ما مر بآدنى تفسير إلى قوله كذلك الله الواحد الأحد الصمد المبيد للأمد والوارث للأبد الذي لا يبيد ولا ينفد فتعالى الله العلي الأعلى عالم كل خفية وشاهد كل نجوى لا كمشاهدة شيء من الأشياء مالا السماوات العلى إلى الأرضين السفلى وأحاط بجميع الأشياء علما فعلا الذي دنا و دنا الذي علا لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَالْأَسْمَاءُ الْخُسْنَى تبارك وتعالى^(٣)

١٦-يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن إسماعيل بن مهران عن إسماعيل بن إسحاق الجهني عن فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة قال سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول بينما أمير المؤمنين ﷺ يخطف على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال يا أمير المؤمنين صف لنا ربك تبارك وتعالى لنزداد له حبا وبه

(٢) في «أ»: أو خلقتها محدودة.

(١) في «أ»: فتبارك الله إما مشتق من البرك.

(٣) الغارات: ٩٨ - ١٠١.

معرفة فغضب أمير المؤمنين عليه السلام و نادى الصلاة جامعة فاجتمع الناس حتى غص المسجد بأهله ثم قام متغير اللون فقال الحمد لله الذي لا يفره المنع ولا يكديه الإعطاء إذ كل معط منتقص سواء المنيء بفوائد النعم و عوائد المزيد و بجوده ضمن عيالة الخلق فأنهض سبيل الطلب للراغبين إليه فليس بما سئل أجود منه بما لم يسأل و ما اختلف عليه دهر فتختلف منه الحال و لو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال و ضحكت عنه أصداف البحار من فلز اللجين و سبائك العقيان و تضائد المرجان لبعض عبيده لما أثر ذلك في جوده و لا أنفذ سعة ما عنده و لكان عنده من ذخائر الإفضال ما لا ينفده مطالب السؤال و لا يخطر لكثرة على بال لأنه الجواد الذي لا تنقصه المواهب و لا يبخله إلحاح الملحِين و إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ^(١) الذي عجزت الملائكة على قريبهم من كرسي كرامته و طول ولهم إليه و تعظيم جلال عزه و قريبهم من غيب ملكوته ^(٢) أن يعلموا من أمره إلا ما أعلمهم و هم من ملكوت القدس بحيث هم و من معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ.

فما ظنك أيها السائل بمن هو هكذا سبحانه و بحمده لم يحدث فيمكن فيه التغيير و الانتقال و لم يتصرف في ذاته بمرور الأحوال و لم يختلف عليه حقب الليالي و الأيام الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثله و لا مقدار احتذاء عليه من معبود كان قبله و لم تحط به الصفات فيكون بإدراكها إياه بالحدود متناها و ما زال لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ عن صفة المخلوقين متعالياً و انحسرت الأبصار عن أن تتاله فيكون بالعيان موصوفاً و بالذات التي لا يعلمها إلا هو عند خلقه معروفاً و فات لعلوه على الأشياء ^(٣) مواقع رجم المتوهمين و ارتفع عن أن تحوي كنه عظمتة فهأهه رويات المتفكرين فليس له مثل فيكون ما يخلق مشبهاً به و ما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباه و الأضداد منزهاً كذب العادلون بالله إذ شبهوه بمثل أوصافهم و حلوه حلية المخلوقين بأوصافهم و جزوه بتقدير منتج من خواطر همهم ^(٤) و قدروه على الخلق المختلفة القوى بقرائن عقولهم و كيف يكون من لا يقدر قدره مقدراً في رويات الأوهام و قد ضلت في إدراك كنهه هواجس الأحلام لأنه أجل من أن تحده ألباب البشر بالتفكير أو تحيط به الملائكة على قريبهم من ملكوت عزته بتقدير تعالى عن أن يكون له كفو فيشبهه به لأنه اللطيف الذي إذا أرادت الأوهام أن تقع عليه في عميقات غيوب ملكه و حاولت الفكر المبرات من خطر الوسواس إدراك علم ذاته و تولت القلوب إليه لتحري منه مكيفاً في صفاته و غمضت مداخل العقول من حيث لا تبلغه الصفات لتتال علم إلهيته ردعت خاسئة و هي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه رجعت إذ جهت معترقة بأنه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ^(٥) و لا يخطر ببال أولي الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته لبعده من أن يكون في قوى المحدودين لأنه. خلاف خلقه فلا شبه له من المخلوقين و إنما يشبه الشيء بعديله فأما ما لا عدل له فكيف يشبه بغير مثاله و هو البدئي الذي لم يكن شيء قبله و الآخر الذي ليس شيء بعده لا تتاله الأبصار في مجد جيروته ^(٦) إذ حجبها بحجب لا تنفذ في ثخن كفافته و لا تخرق إلى ذي العرش متانة خصائص ستراته الذي صدرت الأمور عن مشيته و تصاغرت عزة المتجبرين دون جلال عظمتة و خضعت له الرقاب و عنت له الوجوه من مخافته و ظهرت في بدائع الذي أحدثها آثار حكمته و صار كل شيء خلق حجة له و منتسباً إليه فإن كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة فيه فقدر ما خلق فأحكم تقديره و وضع كل شيء بلطف تدبيره موضعه و وجهه بجهة فلم يبلغ منه شيء محدود منزلته ^(٧) و لم يقصر دون الانتهاء إلى مشيته و لم يستعصب إذ أمر ^(٨) بالمضي إلى إرادته بلا معاناة للغوب مسه و لا مكاءة ^(٩) لمخالف له على أمره فتم خلقه و أذن لطاعته و وافى الوقت الذي أخرجه إليه إجابة لم يعترض دونها ريث المبطل و لا أناة المتلكي فأقام من الأشياء أودها و نهى معالم حدودها و لأم بقدرته بين متضاداتها و وصل أسباب قرائنها و خالف بين ألوانها و فرقها أجناساً مختلفات في الأقدار و الفرائز و الهيئات بدايا خلائق أحكم صنعها و فطرها على ما أراد و ابتدعها ^(١٠) انتظم علمه صنوف ذرتها و أدرك تدبيره حسن تقديرها.

(١) يس: ٨٢.

(٢) في «أ» و قريبهم من ملكوته.

(٤) في المصدر: منتج من خواطرهم.

(٦) و في نسخة: من مجد جيروته.

(٥) في التوحيد المطبوع: لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته.

(٨) في المصدر: و لم يستعصب إذ أمره.

(٧) في التوحيد المطبوع: فلم يبلغ منه شيء حدود منزلته.

(٩) في بعض النسخ: المكاءة.

(١٠) و في نسخة و فكرها على ما اراد اذا ابتدعها: حقائق.

أيها السائل اعلم أن من شبه ربنا الجليل بتأين أعضاء خلقه وبتلاحم أحقاق^(١) مفاسلهم المحتجة بتدبير حكمته أنه لم يعقد غيب ضميره علي معرفته و لم يشاهد قلبه اليقين بأنه لا ند له و كأنه لم يسمع بتيري التابعين من المتبوعين و هم يقولون ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ إِذْ نُؤْتِيكُمْ يَرْبُ الْعَالَمِينَ﴾^(٢) فمن ساوى ربنا بشيء فقد عدل به و العادل به كافر بما نزلت به محكمات آياته و نطقت به شواهد حجج بيناته لأنه الله الذي لم يتناه في العقول فيكون في مهبط فكرها مكيفا و في حواصل روياي هم النفوس محدودا مصرفا المنشئ أصناف الأشياء بلا روية احتاج إليها و لا قريحة غريزة أضمر عليها و لا تجربة أفادها من مر حوادث الدهور و لا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور الذي لما شبهه العادلون بالخلق المبعوض المحدود في صفاته ذي الأقطار و النواحي المختلفة في طبقاته و كان عز و جل الموجود بنفسه لا بأداته انتفى أن يكون قدروه حق قدره فقال تنزيها لنفسه عن مشاركة الأنداد و ارتفاعا عن قياس المقدرين له بالحدود من كفره العباد ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(٣) فما ذلك القرآن عليه^(٤) من صفته فاتبعه ليوصل بينك و بين معرفته و اثم به و استضى بنور هدايته فإنها نعمة و حكمة أوتيتهما^(٥) فخذ ما أوتيت و كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ و ما ذلك الشيطان عليه مما ليس في القرآن عليك فرضه و لا في سنة الرسول و أئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله عز و جل فإن ذلك منتهى حق الله عليك.

و اعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم الله عن الاحتجاج في السدد المضروبة دون الغيوب فلزموا الإقرار بجملته ما جهلوا^(٦) تفسيره من الغيب المحجوب فقالوا ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾^(٧) فمدح الله عز و جل اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما و سمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عنه منهم رسوخا فاقصر على ذلك و لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين.^(٨)

تبيين: قوله فضبط لعل غضبه ﷺ لأن السائل سأل عن الصفات الجسمانية و السمات الإمكانية أو لأنه ظن أنه يمكن الوصول إلى كنه صفته.

و قوله الصلاة منصوب بفعل مقدر أي احضروا الصلاة أو أقيموها و جامعة منصوب على الحال من الصلاة و يحتمل رفعهما بالابتدائية و الخبرية و غص المسجد بفتح الغين أي امتلا قوله ﷺ لا يفره أي لا يزيده في ماله يقال وفرت الشيء و فرا و فر الشيء نفسه و فورا يتعدى و لا يتعدى قوله و لا يكديه أي لا يفقره قوله منتقص على صيغة المفعول أي منقوص و يكون الانتقاص متعديا و لازما كالنقص و قال الجزري المليء بالهزمة الثقة الغني^(٩) و العائدة المعروف. قوله ﷺ عياله الخلق أي كونهم عياله يعولهم و يرزقهم و من قولهم عال الرجل عياله أي كثر عياله و في النهج عياله الخلائق ضمن أرزاقهم^(١٠) قوله ﷺ فليس بما سئل فإن جوده لا يتوقف على شيء سوى الاستحقاق و الاستعداد و هذا لا ينافي الحث على الدعاء و الأمر بالسؤال فإن الدعاء من متممات الاستعداد و فيه تنزيه له تعالى عن صفة المخلوقين لأن السؤال محرك لجودهم و الله تعالى منزه عن أن يكون فيه تغير أو اختلاف و إنما التغير في الممكن القابل للفيض و الجود بحسب استعداد و استياله.

قوله ﷺ و ما اختلف عليه دهر إشارة إلى ما قالوا من أن الزمان ظرف المتغيرات و لما لم يكن فيه تعالى تغير لا تختلف عليه الدهور و الأزمان و يحتمل أن يكون المراد نفي اختلاف الأزمنة بالنسبة إليه بأن يكون موجودا في زمان معدوما في زمان آخر أو عالما في زمان جاهلا في زمان آخر و هكذا و الأول أظهر.

قوله ما تنفست عنه لا يخفى مناسبته لما قيل من أن المعادن تتولد من بخارات الأرض و لا يخفى

(١) و في نسخة: حقاق.

(٢) الشعراء ٩٧ - ٩٨.

(٣) الزمر: ٦٧.

(٤) في المصدر: فما ذلك عليه القرآن و هو الانسب.

(٥) و في نسخة: هي نعمة و حكمة أوتيتهما.

(٦) و في نسخة: فلزموا إقرارا بجملته ما جهلوا.

(٧) التوحيد: ٤٨ - ٥٦ و ٢ ١٣.

(٨) نهج البلاغة خ ٩١ ص ٨٢.

(٩) النهاية في غريب الحديث و الاثر ٤: ٣٥٢.

(١٠) آل عمران: ٧.

أيضا لطف تشبيه الصدف بالفم والدر بالسن واللحمة التي في الصدف في رقة طرفها ولطافتها باللسان والفلز اسم الأجسام الذائبة كالذهب والفضة والرصاص واللجين مصغرا اسم الفضة والعيقان الذهب الخالص والنضد وضع الأشياء بعضها فوق بعض ولا يسعد أن يكون المراد بالمرجان هنا صغار اللؤلؤ^(١) كما فسر به في قوله تعالى ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾^(٢) قوله لا يخله على بناء التفعيل أي لا يصيره بخيلا أو على بناء الإفعال من قولهم أبخله إذا وجده بخيلا^(٣).

قوله ﷺ أن قالوا كلمة أن إما مفسرة لبيان كيفية عجزهم أو مقدر قبلها كلمة إلى أي إلى أن قالوا أو اللام التعليلية أي لأنهم قالوا أو هي بمعنى إذ كما قيل في قوله تعالى ﴿يَلْجَأُ بَنِى يُسُوفَ إِلَىٰ جِبَالِهِمْ﴾^(٤) والحجب بالضم وبضمتين ثمانون سنة أو أكثر والدره والسنه أو السنون.

قوله ﷺ على غير مثال امثله أي لم يمثل لنفسه مثالا قبل خلق العالم ليخلقها على هيئة ذلك المثال كما هو دأب المخلوقين في أبنيتهم وصنائعهم أو لم يمثل له فاعل آخر قبله مثالا اتبعه أو المراد بالمثال ما يرسم في الخيال كما مر.

قوله ﷺ ولم تحط به الصفات أي الصفات الجسمانية فيكون بإدراك الصفات له أي بلحوقها وعروضها له متناهي بالحدود أو لم تحط به توصيفات الواصفين فيكون بإدراكها إياه متناهي محدودا بالحدود العقلانية وتنتهي العقول إلى غاية معرفته قوله متعاليا خبر بعد خبر وقوله عن صفة متعلق به.

قوله ﷺ رجم المتوهمين الرجم الظن وكلام مرجم كمعظم لا يوقف على حقيقته أي فات عن مواقع ظنون المتوهمين فلم تدركه في كل ما وقعت عليه لكونه أعلى من كل ما توهمت الأوهام وأنه أعلى الأشياء قدرا ورتبة وكمالا ورفعة ولا يبعد أن يكون فات تصحيح فاق والفهامة العي وهي إما كناية عن غاية روياتهم. وأفكارهم بحيث انتهت أفكارهم وعرض لهم الإعياء أو إشارة إلى ضعف روياتهم وقصورها أي روياتهم الفهة الكالة وقال الجزري قد عدلنا بالله أي أشرطنا به وجعلنا له مثلا ومنه قول علي كذب العادلون بك إذ شبهوك بأصنامهم^(٥).

قوله ﷺ خواطر مهمهم الهمة العزم أي قدره تعالى بتقدير هو نتيجة العزمات الباطلة التي خمرت بباهلهم من التصدي لمعرفته تعالى بقولهم فلزمهم كونه تعالى ذا أجزاء وفي بعض النسخ بخواطرهم والقرائح جمع قريحة وهي القوة التي يستنبط بها المعقولات قوله ﷺ من لا يقدر قدره إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾^(٦) أي ما عرفوا الله حق معرفته أو ما عظموا الله حق تعظيمه^(٧) والهواجس الخواطر والوساوس.

قوله ﷺ في عميقات غيوب ملكه أي إذا أرادت الأوهام أن تشبهه في منتهى ملكه المغيب عن الأبصار كقوى العرش مثلا أو إذا أرادت أن تصل إلى حقيقته بسبب التفكرات العميقة في أسرار ملكه أي خلقه أو سلطنته^(٨) وخطر الوسواس بتسكين الطاء مصدر خطر له خاطر أي عرض في قلبه وتولت إليه أي اشدت عشقها حتى أصابه الوله وهو الحيرة.

قوله ﷺ وغمضت مداخل العقول أي غمض دخولها ودق في الأقطار العميقة التي لا تبلغها التوصيفات والردع الكف والمنع وردعت على بناء المجهول أي كل من الأوهام والفكر والقلوب

(١) بل هو شيء آخر بعيد عن اللؤلؤ وهو ينبت كشجيرات صغيرة وينمو في قيعان البحار، ويستخدمه حيوان معروف باسم البوليوس كملجأ له، ويستخرج من قاع البحر عروقا كصابغ الكف. وهو ثلاثة أنواع أشهرها الأحمر وهناك الأبيض والأسود. ويختلف العلماء بين عده نباتا أو معدنا.

(٢) الرحمن: ٢٢.

(٣) ص: ٤.

(٤) الانعام: ٩١.

(٥) وفي نسخة: أو سلطانه.

(٦) وهذا لا يناسب مقامه جل و علا، والاول اظهر.

(٧) النهاية في غريب الحديث والاثر ٩٩١: ٩.

(٨) وفي نسخة: حق عظمته.

والخاسي المبعد والصاغر وقوله تجوب أي تقطع والمهاوي المهالك الواحدة مهواة وهي ما بين حبلين أو حائطين أو نحو ذلك والسدف جمع سدفة وهي الظلمة والقطعة من الليل المظلم و جهت أي ردت من جبهته أي صككت جبهته والجور العدول عن الطريق والاعتساف قطع المسافة على غير جادة معلومة وقوله وهي تجوب في موضع الحال والعامل ردت و متخلصة أيضا حال والعامل إما تجوب أو ردت وتخلصها إليه توجهها بكليتها في طلب إدراكه سبحانه والحاصل أن جلالة تعالى يردع تلك العقول والأوهام في حال قطعها مهالك ظلم الجبال والمغيبات وتخلصها وتوجهها التام إلى معرفته فترجع بعد ذلك معترفة بأنه لا ينال كنه معرفته بالعقل الذي شأنه الجور والاعتساف وبأنه لا يخطر ببال أولي الرويات أي أصحاب الفكر خاطرة أي صورة مطابقة من تقدير جلال عزته لما قد مر مرارا أنه منزه من أن يكون في قوى المحدودين كنه ذاته وصفاته لأن تلك الصورة مخلوقة له وهو لا يشابه خلقه فكيف يوافقه في الحقيقة أو يشبهه وإنما يشبه الشيء بغيره فيلزم أن تكون تلك الصورة عديلا له أو المراد أن العقل والوهم والخيال إنما تحيط بما جانسها وشابهها وما شاهد أمثاله من الممكنات وهو تعالى ليس له شبيه ولا عدل فكيف تحيط به.

قوله ﷺ في مجد جبروته أي بسببه أو كائننا فيه والحاصل أن عظمة جبروته و جلالة تمنع عن نفوذ الأبصار فيه قوله ﷺ إذ حجبها أي الأبصار وإرجاع الضمير إلى الجبروت بعيد أي حجب الأبصار عنه بحجب لا تنفذ الأبصار في تخن كنفاته أي غلظته والأظهر كنفاتها لرجوع الضمير إلى الحجب ولعل الأفراد لأخذ الحجب كلها بمنزلة حجاب واحد أو يقال إن الضمير راجع إلى الحجاب المذكور في ضمن الحجب أي لا تنفذ في واحد منها فكيف في جميعها والمراد بالحجب الحجب المعنوية الراجعة إلى تقدسه تعالى ونقص الممكنات.

قوله ولا تخرق أي الأبصار متوجهها إلى ذي العرش متانة ستراته^(١) الخصصة به تعالى والمتانة الاستحكام وإنما نسب الخرق إليها مجازا أي ستراته المتينة ويمكن أن يقرأ تخرق على بناء المجهول ومتانة بالنصب بنزع الخافض أي لمتانة وفي بعض النسخ ميانة بالياء الموحدة ثم التاء المثلثة من باث الشيء بيوث بوثا أي بحث عنه فيكون فاعلا للخرق أي لا تخرق الحجب إلى ذي العرش البحث عن خصائص ستراته ويقال تصاغرت إليه نفسه أي تحاقرت وغنت الوجوه أي خضعت وذلت.

قوله ﷺ فوجهه بجهة أي وجه كل شيء إلى جهة وغاية خلقه لها كالخيال للركوب والفلك للدوران وأصناف الإنسان للعلم والمعرفة وسائر الصنائع والحرف كما قال تعالى ﴿لِكُلِّ وُجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّئُهَا﴾^(٢) وقال النبي ﷺ كل ميسر لما خلق له.

قوله ﷺ فلم يبلغ منه شيء محدود منزلته أي منزلة الرب تعالى أو أن كلا منهم في مرتبة التقصير عما خلق له وعما هي له من الكمال والأظهر فلم يتعد ولعله صنف أي لا يمكن لأحد التعدي والتجاوز عما قدر له من الكمال والاستعداد ويؤيده ما في النهج قدر ما خلق فأحكم تقديره وديره فألطف تدبيره ووجهه لوجهته فلم يتعد حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته.

قوله ﷺ ولم يستصعب أي لم يمتنع قوله ﷺ بلا معاناة أي مقاساة شدة واللغو التعب والإعياء أي لم يكن له تعالى في خلق الأشياء وتدبيرها على ما ذكر معاناة ولا لغو كما قال تعالى ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾^(٣) والمكايده في بعض النسخ بالياء الموحدة من قولهم كابدت الأمر إذا قاسيت شدته وفي بعضها بالياء المشناة من تحت من الكيد.

قوله ووافى الوقت أي لم يتأخر عن الوقت الذي أراد وجوده فيه وإجابة مفعول لأجله قوله ﷺ لم

يعترض أي لم يعرض للأشياء في إجابة دعوته سبحانه بطله ولا تأخير أو لم يعرض له تعالى من جهة ما هو فاعل شيء من تلك الكيفيات والريث البطء والأناة التأنى والمتملكى المتأخر والمتوقف والأود بالتحريك الأعوجاج.

قوله ﷺ ونهى أي أنهى وأعلم وبين المعالم التي وضع على الحدود التي لا ينبغي لها التجاوز عنها في غاياتها التي مرت الإشارة إليها أو من النهاية أي وضع معالم الحدود في نهاية ما قرر لهم من امتدادات المسافات المعنوية التي لا ينبغي لهم أن يخرجوا عنها ويقال لاثم بين كذا وكذا أي جمع قوله ﷺ وصل أسباب قرائنها إشارة إلى أن الموجودات لا تنفك عن أشياء تقترب بها من الهيئات والأشكال والفرائز وغيرها واقترب الشيين مستلزم لاقترب أسبابهما واتصالها وذلك الوصل مستند إليه تعالى لأنه مسبب الأسباب وقيل المراد بالقرائن النفوس المقرونة بالأبدان واعتدال المزاج سبب بقاء الروح أي وصل أسباب أنفسها بتعديل أمزجتها وقيل المراد هدايتها لما هو الأليق بها في معاشها ومعادها من قول القائل وصل الملك أسباب فلان إذا علقه عليه وصله ببره وإنعامه ثم المراد بالأجناس أعم مما هو مصطلح المنطقيين وقوله ﷺ بدايا خبر مبتدأ محذوف أي هي بدايا مخلوقات وبدايا هاهنا جمع بدئية وهي الحالة العجيبة يقال أبدى الرجل إذا جاء بالأمر المعجب البديء والبديئة أيضا الحالة المبتدأة المبتكرة ومنه قولهم فعله بادئ بديء على فاعيل أي أول كل شيء.

قوله ﷺ انتظم علمه لعله بمعنى نظم وإن لم يرد فيما عندنا من كتب اللغة أو علمه منصوب بنزع الخافض أي بعلمه أو في علمه أي انتظم في علمه تعالى جميع أصناف الخلق وأحوالها فكان علمه تعالى سلك نظم جميع الأشياء فيه ويحتمل أن يكون من قولهم انتظمه بالرمح إذا اختله وجعله فيه كما مر قوله وتلاحم التلاحم الالتئام والاتصاف والحقبة بالضم رأس الورك الذي فيها عظم الفخذ ورأس العضد الذي فيه الوابله والجمع أحقاق وحقاق بالكسر أي من شبهه بخلقه في ربط مفاصلهم ودخول بعضها في بعض وشدة ارتباطها واستحكامها وكون المفاصل محتاجة بما يستترها ويكتنفها من اللحم والجلد وكل ذلك بتدبير حكمته فمن حكم بهذا التشبيه فإنه لم يعقد غيب ضميره أي ما غيب في ضميره أو ضميره المغيب عن الخلق على معرفته تعالى ويمكن أن يقرأ يعقد على المعلوم وغيب بالنصب وعلى المجهول وغيب بالرفع.

قوله لم يتناه في العقول أي لم تصل العقول إلى نهاية معرفته بالوصول إلى كنه ذاته وصفته وليس في العقول ذنوايات وكونه في مهب الفكر أي محلها مكيفا على الوجهين ظاهر بنحو ما مر تقريره مرارا وكذا كونه محدودا بالحدود الجسمانية أو العقلانية وكونه مصرفا أي متغيرا ولا يخفى ما في تشبيه الرويات أو محلها بالحواصل من اللطف وإضافة الرويات إلى الهمم لامية أي الرويات نشأت من همم النفوس وعزوماتها ويحتمل أن تكون بيانية بأن يكون المراد بهم النفوس خواطرها.

قوله أضر عليها الضمير راجع إلى القريحة^(١) ولعل على تعليلية ويحتمل أن يراد بالقريحة نفس الفكر مجازا قوله أفادها أي استفادها والسدد جمع السدة وهي الباب المغلق وقد مر الكلام في آخر الخطبة في باب النهي عن التفكير.

١٧- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأُسدي عن البرمكي عن علي بن عباس عن جعفر بن محمد الأشعري عن فتح بن يزيد الجرجاني قال كتبت إلى أبي الحسن الرضا^(٢) أسأله عن شيء من التوحيد فكتب إلي بخطه قال جعفر وإن فتحا أخرج إلي الكتاب فقرأته بخط أبي الحسن^(٣).

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الحمد لله الملهم عباده الحمد و فاطرهم على معرفة ربوبيته الدال على وجوده بخلقه و بحدوث خلقه على أزليته و باشباههم على أن لا شبه له^(٢) المستشهد بآياته على قدرته المتمتع من الصفات ذاته

(١) في «أ» راجع إلى القريحتان. و ما في المتن هو الاصح لخلو النص من القريحتان.

(٢) في نسخة: و باشباههم على أن لا شبه له.

و من الأبصار رؤيته و من الأوهام الإحاطة به لا أمد لكونه و لا غاية لبقائه لا تشمله المشاعر و لا تحجبه الحجاب فالحجاب بينه و بين خلقه لامتناعه مما يمكن في ذاتهم و لإمكان ذاتهم مما يتمتع منه ذاته و لافتراق الصانع و المصنوع و الرب و المربوب و الحاد و المحدود أحد لا يتأول عدد الخالق لا بمعنى^(١) حركة السميع لا بأداة البصير لا بتفريق آلة الشاهد لا بمساسة البائن لا ببراح^(٢) مسافة الباطن لا باجتان الظاهر لا بمحاذا الذي قد حسرت دون كنهه نوافذ الأبصار و أقمع وجوده جوائل الأوهام أول الديانة معرفته و كمال المعرفة توحيده و كمال التوحيد نفي الصفات عنه لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف و شهادة الموصوف أنه غير الصفة و شهادتهما جميعا على أنفسهما بالبيئة المتمتع منها الأول فمن وصف الله فقد حده و من حده فقد عده و من عده فقد أبطل أزله و من قال كيف فقد استوصفه و من قال علام فقد حمله و من قال أين فقد أخلى منه و من قال إلام فقد وقته عالم إذا لا معلوم و خالق إذا لا مخلوق و رب إذا لا مربوب و إله إذا لا مألوه و كذلك يوصف ربنا و هو فوق ما يصفه الواصفون.^(٣)

توضيح: لا أمد أي أزلا و لا غاية أي أبدا قوله و بين خلقه و في في بعد ذلك خلقه إياهم لامتناعه^(٤) و هو أظهر و المعنى على ما في الكتاب أن ليس احتجابه إلا لهذه الوجوه و قد مر تحقيقها مرارا قوله مما يتمتع كلمة من صلة أو تبعية.

قوله ﷺ لا بتفريق آلة أي بفتح العين أو بعث الأشعة و توزيعها على المبصرات على القول بالشعاع أو قلب الحدة و توجيهها مرة إلى هذا المبصر و مرة إلى ذاك كما يقال فلان مفرق الهمة و الخاطر إذا وزع فكره على حفظ أشياء متباينة و مراعاتها و البراح الزوال عن المكان و في النهج^(٥) و الكافي لا يتراخي مسافة.

قوله ﷺ لا باجتان الاجتنان الاستتار أي إنه باطن بمعنى أن العقول و الأفهام لا تصل إلى كنهه لا باستتاره بستر و حجاب أو علم البواطن لا بالدخول فيها و الاستتار بها قوله لا بمحاذا^(٦) أي لا بأن يحاذيه شيء فإراه و ليست هذه الكلمة في بعض النسخ و فيها الظاهر الذي قد حسرت و قمعه كمنعه ضربه بالمقعة^(٧) و قهره و ذلله كآقمعه و آقمعته طلع علي فردته و الوجود يحتمل أن يكون هنا بمعنى الوجدان و جوائل الأوهام الجائلة المترددة في أنواع دقائق المعاني قوله بالبيئة أي المباشرة للآخر و في الكافي بالتثنية و هي أظهر و قد مر شرح سائر الفقرات.

١٨- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن علي بن العباس عن ابن محبوب عن حماد بن عمرو النصيبي قال سألت جعفر بن محمد ﷺ عن التوحيد فقال واحد صمد أزلي صمد لا ظل له يسكه و هو يسك الأشياء بأطلنتها عارف بالجهول معروف عند كل جاهل فرداني لا خلقه فيه و لا هو في خلقه غير محسوس و لا محسوس لا تُذَرِكُهُ الْأَبْصَارُ علا ف قرب و دنا فبعد و عصي فغفر و أطيع فشكر لا تحويه أرضه و لا تقله سماواته و إنه حامل الأشياء بقدرته ديموي أزلي لا ينسى و لا يلهو و لا يغلط و لا يلعب و لا لإرادته فصل و فصله جزاء و أمره واقع لم يَلِدْ فيورث و لم يُولَدْ فيشارك و لم يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.^(٨)

بيان: صمدى النسبة للمبالغة كالأحمري قوله ﷺ لا ظل له الظل من كل شيء شخصه أو قواؤه أو ستره أي لا شخص و لا شيء له يسكه كالبدن للنفس و الفرد المادي للحصة أو لا وافي له بقيه و منهم من حمل الظلال على المثل الأفلاطونية و قيل المراد بالظل الكنف يقال فلان في ظل فلان أي كنفه.

(١) في «ط» مبنى - و ما في المتن من «أ» والصدر. و احتمال التصحيف في «ط» ظاهر.

(٢) البراح مصدر قولك بوح مكانه أي زال عنه «لسان العرب ٣٦١:١».

(٣) التوحيد: ٥٦ - ٥٧ ب ٢ ح ١٤ و فيه: قد حسرت دون كنهه نوافذ الأبصار. و امتنع وجوده جوائل الاوهام.

(٤) الكافي ١: ١٤٠ ب ٤٥ ح ٥ و هو مروى عن أبي عبيدة الصادق ﷺ بروايته عن أمير المؤمنين ﷺ.

(٥) نهج البلاغة خ ١٥٢ ص ١٥١. (٦) في «أ»: لا بمحاذاة و هو تصحيف ظاهر.

(٧) القمع: القهر والذل، و المقمعة جمعها القامع: اعمدة حديد يضرب لها الرأس على شكل سياط رؤوسها معوجة «لسان العرب ٣٠٥:١ - ٣٠٦».

(٨) التوحيد: ٥٧ - ٥٨ ب ٢ ح ١٥.

أقول: و يحتمل أن يكون المراد بالظلم الروح إذ كثيرا ما يطلق عالم الظلال على عالم الأرواح أو الأبنية التي يكون الخلق عليها أو تحتها وهو يمسك الأشياء بأظلتها أي بأشخاصها وأشباحها أو بوقايئها أو بمثلها أو أرواحها أو بالأبنية التي تظلمها وتظلمها والباء للسببية أو بمعنى مع.

قوله ﷺ و لا لإرادته فصل أي لا فصل بينها وبين المراد أي لا يتأخر و لا ينصرف مراده عن إرادته أو لا تنقطع إرادته بل هو كل يوم في شأن أبد الدهر أو لا قاطع لإرادته بمنعها عن تعلقها بالمراد و قيل أي ليست إرادته فاصلة بين شيء و شيء بل تتعلق بكل شيء و قيل ليس لإرادته فصل أي شيء يداخله فيكون به راضيا أو ساخطا إنما كونه راضيا أو ساخطا بالإجابة و العقاب كما قال و فصله جزء أو المعنى أنه لا يكون لإرادته في فعل العبد قطع بالمراد فيتين وقوعه إنما قطعه في المراد من العبد الجزء.

أقول: على الوجه الأول المراد بقوله و فصله جزء أن فصله بين عباده المشار إليه بقوله سبحانه ﴿يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾^(١) جزء لهم و هو غير جائز فيه و يحتمل أن يكون الفصل في الأول القضاء بالحق بين الحق و الباطل أي لا يقضي في إرادته أحد بل هو الفاصل بينهم في الآخرة بمجازاتهم و في بعض النسخ و فضله بالضاد المعجمة أي سمي ما يتفضل به عليهم جزء و لا يستحق أحد عليه شيئا.

١٩- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار و سعد معا عن ابن عيسى و النهدي و ابن أبي الخطاب كلهم عن ابن محبوب عن عمرو بن أبي المقدام^(٢) عن إسحاق بن غالب^(٣) عن أبي عبد الله ﷺ عن آبائه ﷺ قال قال رسول الله ﷺ في بعض خطبه الحمد لله الذي كان في أوليته وحدانيا و في أزليته متعظما بالإلهية متكبيرا بكمبريائه و جبروته ابتدأ ما ابتدع و أنشأ ما خلق على غير مثال كان سبق لشيء مما خلق ربنا القديم بلطف ربوبيته و يعلم خبره فتق و بأحكام قدرته خلق جميع ما خلق و بنور الإصباح فلق فلا مبدل لخلقه و لا مغير لصنعه و لا مُقَبِّلٌ لِحُكْمِهِ و لا راد لأمره و لا مستراح عن دعوته و لا زوال لملكه و لا انقطاع لمدته و هو الكينون أولا و الديموم أبدا المحتجب بنوره دون خلقه في الأفق الطامح و العز الشامخ و الملك الباذخ فوق كل شيء علا و من كل شيء دنا فتجلى لخلقه من غير أن يكون يرى و هو بالمنظر الأعلى فأحب الاختصاص بالتوحيد إذا^(٤) احتجب بنوره و سما في علوه و استتر عن خلقه و بعث إليهم الرسل لتكون له الحجة البالغة على خلقه و يكون رسله إليهم شهداء عليهم و انبعث^(٥) فيهم النبيين مبشرين و منذرين لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَ يُحْيِيَ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ و ليعقل العباد عن ربهم ما جهلوه فيعرفوه بربوبيته بعد ما أنكروا و يوحده بالالهية بعد ما عندوا^(٦).

بيان: قوله متعظما أي مستحقا للتعظيم أو عظيما في غاية العظمة وكذا قوله متكبيرا و الغرض أنه لم يكن عظمتهم و كبرياؤه و إلهيته متوقفة على إيجاد خلقه و قوله ربنا مبتدأ و فتق خبره و الطرفان متعلقان بفتق و إضافة العلم إلى الخبر للتأكيد و في بعض النسخ بالجيم قوله فلق أي ظلمة الليل و

(١) الحج: ١٧.

(٢) قال النجاشي: عمرو بن أبي المقدام ثابت بن هرمز الحداد، مولى بنى عجل، روى عن علي بن الحسين و أبي جعفر و أبي عبد الله ﷺ. له كتاب لطيف و ذكر طريقه إليه «رجال النجاشي ١: ١٣٦ - ١٣٧ رقم ٧٧٥» و ذكر الشيخ في أصحاب الإمام الباقر ﷺ قال: عمرو بن ثابت «رجال الشيخ ١٣٠ رقم ٤٣» وعده في أصحاب الإمام الصادق ﷺ أيضا و قال: عمرو بن أبي المقدام ثابت بن هرمز الجعلي مولاهم، كوفي تابعي «ص ٢٤٧ رقم ٣٨٠» وعده البرقي في أصحاب الإمام الباقر ﷺ «رجال البرقي ص ١١» و من أصحاب الإمام الباقر ﷺ الذين أدرکوا الإمام الصادق ﷺ و قال: عمرو بن أبي المقدام، و اسم أبي المقدام ثابت «ص ١٦» و نقل الكشي رواية لعمدويه بن نصير فيها مجاهيل تظهر مدح الإمام الصادق ﷺ له. «اختيار معرفة الرجال ٦٩٠ ح ٧٣٨».

(٣) قال النجاشي ر: اسحق بن غالب الأسدي، والبي، عربي صلي • ثقة و أخوه عبدالله كذلك و كانا شاعرين روى عن أبي عبد الله ﷺ. له كتاب يرويه عدة من اصحابنا ثم ذكر طريقه إليه «رجال النجاشي ١: ١٩٦ رقم ١٧١» عدة الشيخ في أصحاب الإمام الصادق ﷺ و قال: اسحق بن غالب الأسدي كوفي «ص ١٤٩ رقم ١٤٤».

• الصليب: خالص النسب.

(٤) كذا في «أ» و في المصدر، «ط» فيها: و انبعث.

(٦) التوحيد: ٤٤ - ٤٥ ح ٢ ع ٤ و فيه: و يوحده بالالهية بعد ما عندوا.

هو إشارة إلى قوله تعالى ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾^(١)

قوله لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ أي لا راد له و حقيقته الذي يعقب الشيء بالإبطال و المستراح محل الاستراحة أي لا مفر عن دعوته و الكينون و الديموم مبالغتان في الكائن و الدائم قوله المحتجب بنوره أي ليس حجابيه إلا نوريته أي تجرده و كماله و رفعة و جلاله و الطامع المرتفع كالشامخ و الباذخ يقال جبل شامخ أي شاهق و شرف باذخ أي عال.

قوله و هو بالمنظر الأعلى المنظر الموضع المرتفع الذي ينظر إليه أي موضعه أرفع من أن ينظر إليه بالأبصار و الأوهام و العقول أو المراد بالمنظر المدارك و المشاعر أي هو أعلى و أرفع من أن يكون في مشاعر الخلق و يحتمل أن يكون كناية عن علمه بكل شيء أي الموضع الذي ينظر فيه^(٢) أعلى من كل شيء إذ الأعلى ينظر إلى الأسفل غالبا بسهولة.

٢٩٩
٤

قوله فأحب الاختصاص بالتوحيد أي بكونه موحدا أي لا يوحد و لا يعرفه غيره كما هو إذ هو محتجب عنهم أو أحب أن يوحدوه فقط دون غيره إذ لو كان ظاهرا للعقول و الحواس كان مشاركا للممكنات في الوحدة الاعتبارية فلا تكون الوحدة الصادقة عليه مختصة به و على هذا فالمحبة مؤولة باقتضاء ذاته تعالى من حيث كماله ذلك و كذا على الأول إلا أن يقال إن المراد أنه حجب عنهم أولا ما يمكنهم من معرفته ثم أفاض معرفته عليهم بتوسط الأنبياء و الرسل و بما يحصل لهم من القربات بالطاعات ليعلموا أن ليس توحيدهم له إلا بتوقيفه و هدايته تعالى و يؤيده ما بعده لا سيما قوله و ليعقل العباد.

٢٠- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد العطار و أحمد بن إدريس عن الأشعري عن بعض أصحابه رفعه قال جاء رجل إلى الحسن بن علي^{عليه السلام} فقال له يا ابن رسول الله صف لي ربك حتى كأني أنظر إليه فأطرق الحسن بن علي^{عليه السلام} مليا ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم و لا آخر متناه و لا قبل مدرك و لا بعد محدود و لا أمد بحتي و لا شخص فيتجزأ و لا اختلاف صفة فيتناهي فلا تدرك العقول و أوهامها و لا الفكر و خطراتها و لا الأبواب و أذهانها صفته فيقول متى و لا بدئي و مما و لا ظاهر على ما و لا باطن فيما و لا تارك فهلا خلق الخلق فكان بدنيا بديعا ابتدأ ما ابتدئ^(٣) و ابتدئ ما ابتدأ و فعل ما أراد و أراد ما استزاد ذلكم الله رب العالمين.^(٤)

بيان: قوله معلوم هذه الصفة و الصفات التي بعدها موضحات مؤكدات إذ لو كان له أول لكان معلوما و هكذا قوله^{عليه السلام} فيتناهي أي اختلاف الصفات ينافي الأزلية و الأبدية كما مر مرارا قوله^{عليه السلام} فتقول متى أي لو كانت العقول تبلغ صفته لكان كسائر الممكنات فكان يصح أن يقال متى وجد و من أي شيء بدئي على المجهول أو بدأ الأشياء بأن يقرأ على الفعل المعلوم أو على فيل و على أي شيء علا فهو ظاهر و في أي شيء بطن حتى يقال إنه باطن أو يقال لشيء ترك هلا فعل تحضيضا و تحريضا على الفعل أو توبيخا على تركه و الانتداع إيجاد بلا مادة أو بلا مثال.

٢٩٠
٤

٢١- يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن بن بردة عن العباس بن عمرو الفقيمي عن أبي القاسم إبراهيم بن محمد العلوي عن فتح بن يزيد الجرجاني قال لقيته^{عليه السلام} ^(١) على الطريق عند منصرفي عن مكة إلى خراسان و هو سائر إلى العراق فسمعتة يقول من اتقى الله يتقى و من أطاع الله يطاع فتلطفت في الوصول إليه فوصلت فسلمت فرد علي السلام ثم قال يا فتح من أَرْضَى الخالق لم يبال بسخط المخلوق و من أسخط الخالق فقم أن يسخط عليه سخط المخلوق و إن الخالق لا يوصف إلا بما وصف به نفسه و أنى يوصف الذي تعجز الحواس

(١) الانعام: ٩٦.

(٢) و في «أ» ابتدئ مع ما ابتدئ.

(٣) التوحيد: ٤٥ ب ٢ ح ٥.

(٤) الضمير عائد لابي الحسن^{عليه السلام} كما هو واضح من اسناد الكافي ١٣٧: ١ ح ٤٥ ب ٣. و الفتح يروي عن الرضا^{عليه السلام} او عن الهادي^{عليه السلام} كما سيأتي في ترجمته ان شاء الله. و لكنه هنا وفقا لما نقله الشيخ الصدوق - ره - لاجزاء تقرب من نصف الحديث في عيون اخبار الرضا^{عليه السلام} ١١٧: ١١٨ ب ١١ ح ٢٢ يتضح ان ابا الحسن هنا هو الرضا^{عليه السلام}.

(٢) و في نسخة: ينظر منه.

(٤) و في نسخة: ذلكم الله ربى رب العالمين.



أن تدركه والأوهام أن تناله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به جل عما وصفه الواصفون وتعالى عما ينعتة الناعتون نأى في قربه وقرب في نأيه فهو في نأيه قريب وفي قربه بعيد كيف الكيف فلا يقال له كيف وأين الأين فلا يقال له أين إذ هو مبدع الكيفية والأينونية.

يا فتح كل جسم مغذى بغذاء إلا الخالق الرازق فإنه جسم الأجسام وهو ليس بجسم ولا صورة لم يتجزأ ولم يتناه ولم يتزايد ولم يتناقص مبرأ من ذات ما ركب في ذات من جسمه وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ الواحد الأحد الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ منشئ الأشياء ومجسم الأجسام ومصور الصور لو كان كما تقول المشبهة لم يعرف الخالق من المخلوق ولا الرازق من المرزوق ولا المنشئ من المنشأ لكنه المنشئ فرق بين من جسمه وصورة وشيأه وبينه إذا كان لا يشبهه شيء.

قلت فالله واحد والإنسان واحد فليس قد تشابهت الوجدانية قال أحلت ثبتك الله إنما التشبيه في المعاني وأما في الأسماء فهي واحدة وهي دلالة على المسمى وذلك أن الإنسان وإن قيل واحد فإنه يخبر أنه جنة واحدة وليس باثنين والإنسان نفسه ليس بواحد لأن أعضائه مختلفة وألوانه مختلفة غير واحدة وهو أجزاء مجزى ليس سواء دمه غير لحمه ولحمه غير دمه وعصبه غير عروقه وشعره غير بشره وسواده غير بياضه وكذلك سائر جميع الخلق فالإنسان واحد في الاسم لا واحد في المعنى والله جل جلاله واحد لا واحد غيره ولا اختلاف فيه ولا تفاوت ولا زيادة ولا نقصان فأما الإنسان المخلوق المصنوع المؤلف فمن أجزاء مختلفة وجواهر شتى غير أنه بالاجتماع شيء واحد.

قلت فقولك اللطيف فسر له لي فإني أعلم أن لطفه خلاف لطف غيره للفصل غير أنني أحب أن تشرح لي فقال يا فتح إنما قلت اللطيف للخلق اللطيف ولعلمه بالشيء اللطيف ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف وفي الخلق اللطيف من أجسام الحيوان من الجرجس والبعض وما هو أصغر منهما مما لا يكاد تستبينه العيون بل لا يكاد يستبان لصغره الذكر من الأنثى والمولود من القديم فلما رأينا صغر ذلك في لطفه واهتدائه للسفاد والهرب من الموت والجمع لما يصلحه مما في لجج البحار وما في لحاء الأشجار والمفاوز والقفار وإفهام بعضها عن بعض منطقها وما تفهم به أولادها عنها ونقلها الغذاء إليها ثم تأليف ألوانها حمرة مع صفرة وبياض مع حمرة علمنا أن خالق هذا الخلق لطيف وأن كل صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللطيف الجليل خلق وصنع لا من شيء.

قلت جعلت فداك وغير الخالق الجليل خالق قال إن الله تبارك وتعالى يقول ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ (١) فقد أخبر أن في عباده خالقين وغير خالقين (٢) منهم عيسى خلق من الطين كهيشة الطير بإذن الله فنفع فيه فصار طائرا بإذن الله والسامري خلق لهم عجلًا جسداً لهُ حَوَارٍ.

قلت إن عيسى خلق من الطين طيرا دليلا على نبوته والسامري خلق عجلا جسدا لنقض نبوة موسى وشاء الله أن يكون ذلك كذلك إن هذا لهو العجب فقال ويحك يا فتح إن لله إرادتين ومشيتين إرادة حتم وإرادة عزم ينهى وهو يشاء ويأمر وهو لا يشاء أو ما رأيت أنه نهى آدم وزوجته عن أن يأكلا من الشجرة وهو شاء ذلك ولو لم يشأ لم يأكلا ولو أكلا لغلبت مشيتهما مشية الله (٣) وأمر إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل (٤) وشاء أن لا يذبحه ولو لم يشأ أن لا يذبحه لغلبت مشية إبراهيم مشية الله عز وجل.

قلت فرجت عني فرج الله عنك غير أنك قلت السميعُ السميعُ سمع بأذن وبصير بالعين فقال إنه يسمع بما يبصر ويرى بما يسمع بصير لا يعين مثل عين المخلوقين وسميع لا يمثل سمع السامعين لكن لما لا تخفى عليه خافية من أثر الذرة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء تحت الثرى والبحار قلنا بصير لا يمثل عين المخلوقين وسميع بما لم تشتهه عليه ضروب اللغات (٥) ولم يشغله سمع عن سمع قلنا سميع لا يمثل السامعين (٦).

(١) المؤمنون: ١٤. (٢) في التوحيد: إن في عباده خالقين.

(٣) وفي نسخة: لو لم يشأ أن يأكلا لغلبت مشيتهما مشية الله.

(٤) في الكافي: وأمر إبراهيم أن يذبح اسحق ١٥١:١ ب ٤٩ ح ٤ وهو خلاف المشهور من مروياتنا.

(٥) في المصدر: بصير لا يمثل عين المخلوقين، ولما لم تشتهه عليه ضروب اللغات.

(٦) في المصدر: يمثل سمع السامعين.

قلت جعلت فداك قد بقيت مسألة قال هات لله أبوك قلت يعلم القديم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون قال ويحك إن مسألتك لصعبة أما سمعت الله يقول ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١) وقوله ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي ثَمُودَ نَارًا﴾^(٢) وقال يحكي قول أهل النار ﴿أَخْرَجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾^(٣) وقال ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٤) فقد علم الشيء الذي لم يكن أن لو كان كيف كان يكون فقلت لأقيل يده ورجله فأدنى رأسه فقبلت وجهه ورأسه فخرجت وبي من السرور والفرح ما أعجز عن وصفه لما تبينت من الخير والحظ.^(٥)

بيان: فمن بالتحريك وكسر الميم أيضا أي خليق وجدير قوله مغذى بغذاء أي كل جسم ذي روح له غذاء يقويه ولو كان التسييح والتقديس و يحتمل أن يكون الغذاء شاملا لكل شيء يعقوي الجسم ويربيه ويقيه فلا حاجة إلى تخصيص الجسم قوله ﷺ من ذات ما ركب أي هو مبرأ من كل حقيقة وماهية و عارض ركب في ذوات الأجسام.

قوله و بينه يحتمل التشديد والتخفيف فلا تغفل والحاء بكسر اللام ممدودا قشر الشجر قوله ﷺ لله أبوك قال الجزري إذا ضيف الشيء إلى عظيم شريف اكتسى عظما و شرفا كما قيل بيت الله و ناقة الله فإذا وجد من الولد ما يحسن موقعه و يمدح قيل لله أبوك في معرض المدح والتعجب أي أبوك لله خالسا حيث أنجب بك و أتى بمثلك انتهى^(٦) و قد مضى شرح أكثر أجزاء الخبر و سياطي شرح بعضها في كتاب العدل إن شاء الله تعالى.

٢٢- يد: [التوحيد] أخبرني أبو العباس الفضل بن العباس الكندي فيما أجازه لي بهمدان سنة أربع و خمسين و ثلاث مائة قال حدثنا محمد بن سهل يعني العطار البغدادي لفظا من كتابه سنة خمس و ثلاث مائة قال حدثنا عبد الله بن محمد البلوي^(٧) قال حدثنا عمارة بن زيد^(٨) قال حدثني عبيد الله بن العلا^(٩) قال حدثني صالح بن سبيع عن عمرو بن محمد بن صعصعة بن صوحان قال حدثني أبي عن أبي المعتمر مسلم بن أوس قال حضرت مجلس علي ﷺ في جامع الكوفة فقام إليه رجل مصفر اللون كأنه من متهودة اليمن فقال يا أمير المؤمنين صف لنا خالقك و انتبه لنا كأننا نراه و نظفر إليه فسيح علي ﷺ ربه و عظمه عز و جل و قال الحمد لله الذي هو أول لا بدئي مما و لا باطن فيما و لا يزال مهما و لا مازج مع ما و لا خيال وهما ليس بشبح فيرى و لا بجسم فيتجزأ و لا بذئ غاية فيتناهي و لا بمحدث فيبصر و لا بمستتر فيكشف و لا بذئ حجب فيحوى كان و لا أماكن تحمله أكتافها و لا حملة ترفعه بقوتها و لا كان بعد أن لم يكن بل حارت الأوهام أن يكيف المكيف للأشياء و من لم يزل بلا مكان و لا يزول باختلاف الأزمان و لا يتقلب شأنًا بعد شأن البعيد من حدس القلوب المتعالي عن الأشياء و الضروب الوتر علام الغيوب فمعاني الخلق عنه منفية و سرائرهم عليه غير خفية المعروف بغير كيفية لا يدرك بالحواس و لا يقاس بالناس و لا تُدرَكُ الْأَبْصَارُ و لا تحيطه الأفكار و لا تقدره العقول و لا تقع عليه الأوهام فكلما قدره عقل أو عرف له مثل فهو محدود و كيف يوصف بالأشباح و ينعت بالألسن الفصاح من لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن و لم يتنا عنها فيقال هو عنها بائن و لم يخل منها فيقال آين و لم يقرب منها بالالتزاق و لم يبعد عنها بالافتراق بل هو في الأشياء بلا

(١) الانبياء: ٢٢. (٢) المؤمنون: ٩١.

(٣) فاطر: ٣٧. (٤) الانعام: ٢٨.

(٥) التوحيد: ٦٠ - ٦٥ ج ١ ح ١٨. (٦) النهاية في غريب الحديث والاثر ١٩١.

(٧) ضعفه النجاشي و قال في ترجمة محمد بن الحسن بن عبدالله الجعفي: البلوي رجل ضعيف مطعون عليه «رجال النجاشي» ٢: ٢٠١ رقم ٨٨٥ و قال الشيخ في الفهرست: عبدالله بن محمد البلوي، و بلى قبيلة من أهل مصر، و كان واعظا فقيها له كتب منها كتاب الأبواب، و كتاب المعرفة، و كتاب الذين و فرائض، ذكره النديم. الفهرست ص ١٠٣ رقم ٤٣٣ و نقل الإمام الغوثي عن ابن الغضائري قوله: أبو محمد المصري كذاب وضاع الحديث لا يلتفت إلى حديثه و لا يعابه «معجم رجال الحديث» ١٠: ٣٠٣ رقم ٧٠٩٩ و نقل الذهبي عن الدارقطني قوله أنه: كان يضع الحديث «ميزان الاعتدال» ٢: ٤٩١ رقم ٤٥٥٨.

(٨) عمارة بن زيد، أبو زيد الخيرياني الهمداني - كذا قال النجاشي - و اضاف لا يعرف من امره غير هذا. و نقل عن الغضائري - ر - استاذة قوله: أنه سمع بعض اصحابنا يقول سئل عبدالله بن محمد البلوي، عن عمارة بن يزيد، هذا الذي حدثك قال: رجل نزل من السماء حدثني ثم عرج و نسب إليه عدة كتب قال بعدها و اشياء كثيرة تنسب إليه والله أعلم «رجال النجاشي» ٢: ١٦٠ - ١٦١ رقم ٨٢٥ و نقل الإمام الغوثي عن ابن الغضائري تنمة لما قاله والده الذي ذكر النجاشي و فيه ان اصحابنا يقولون عن عمارة: أنه اسم ما تحته احد و كل ما يرويه كذب والكذب بين في وجه حديثه «معجم رجال الحديث» ١٢: ٢٧٥ رقم ٨٦٦٧. (٩) في المصدر: عبدالله بن العلا.

كيفية وهو أقرب إلينا من جبل الوريد وأبعد من الشبهة من كل بعيد لم يخلق الأشياء من أصول أزلية ولا من أوائل كانت قبله بديّة بل خلق ما خلق وأتقن خلقه وصور ما صور فأحسن صورته فسبحان من توحّد في علوه فليس شيء منه امتناع ولا له بطاعة أحد من خلقه انتقام^(١) إجابته للداعين سريعة والملائكة له في السماوات والأرض مطيعة كلم موسى تكليما بلا جوارح وأدوات ولا شفة ولا لهوات سبّحانه وتعالى عن الصفات فمن زعم أن إله الخلق محدود فقد جهل الخالق المعبود.

والخطبة طويلة أخذنا منها موضع الحاجة^(٢).

بيان: قوله ﷺ لا بدّي على فعل أي لا يقال بدأ الأشياء مما إذا لم يخلقها من شيء، وكونه فعلا بمعنى المفعول أو فعلا على بناء المجهول بعيد قوله ﷺ ولا يزال مهما كلمة مهما هنا ظرف زمان جيء بها لتعميم الأزمان أي لا يزول أبداً ويحتمل أن يكون حرف نفي آخر مقدرا أو يكون معطوفاً على المنفي سابقاً أي ليس لا يزال مقيدا بهما يكن كذا ويمكن أن يكون سقوط أحدهما من النسخ لتوهم التكرار ولا مآزج مع ما أي لا يمكن أن يقال مع أي شيء مآزج.

قوله ﷺ ولا خيال وهما أي غير متخيل بالوهم قوله ﷺ ليس بشيء أي شخص قوله ﷺ ولا يحدث فيصير أي لو كان مبصراً لكان محدثاً فلا يتوهم منه أن كل محدث مبصر قوله فيحوى أن تكون الحجب حاوية له أو يكون جسماً محوياً بالحدود والنهايات قوله ﷺ والضروب وهي جمع الضرب بمعنى المثل أو المراد ضرب الأمثال قوله ﷺ بالأشباح أي الصور الخيالية والعقلية أو بصفات الأشخاص.

قوله ﷺ من أصول أزلية رد على الفلاسفة القائلين بالعقول والهيولي القديمة^(٣) قوله كانت قبله أي قبل خلق هذا العالم أي لم يكن خلق هذا العالم على مثال علم آخر كانت بديّة أي مبتدأة مخلوقة قبله أو مبتدأة بنفسه من غير علة بل خلق ما خلق ابتداءً من غير أصل مع غاية الإتيان والإحكام وصور ما صور بعلمه من غير مثال على نهاية الحسن.

قوله انتقام أي لا يحتاج في الانتقام عن العاصين إلى طاعة أحد من خلقه بل قدرته كافية أو لا ينتقم مع الطاعة فيكون ظالماً والأظهر أنه تصحيف انتفاع كما سيأتي مما سننقله من النهج^(٤).

٢٣- يد: (التوحيد) أبي وابن عبدوس عن ابن قتيبة عن الفضل بن شاذان عن ابن أبي عمير قال دخلت على سيدي موسى بن جعفر ﷺ فقلت له يا ابن رسول الله علمني التوحيد فقال يا أبا أحمد لا تتجاوز في التوحيد^(٥) ما ذكره الله تعالى ذكره في كتابه فتهلك وأعلم أن الله تبارك وتعالى واحد أحد صمد لم يلدْ فيورث ولم يُولَدْ فيشارك ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً ولا شريكا وأنه الحي الذي لا يموت والقادر الذي لا يعجز والقاهر الذي لا يغلب والحليم الذي لا يعجل والدائم الذي لا يبيد والباقي الذي لا يفنى والثابت الذي لا يزول والغني الذي لا يفقر والعزیز الذي لا يذل والعالم الذي لا يجهل والعدل الذي لا يجور والجواد الذي لا يبخل وأنه لا تقدره العقول ولا تقع عليه الأرواح ولا تحيط به الأفقار ولا يحويه مكان ولا تُذكرُكُ الأَبْصارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ وَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ زَايِعُهُمْ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا وَهُوَ الْأَوَّلُ الَّذِي لَا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالْآخِرُ الَّذِي لَا شَيْءَ بَعْدَهُ وَهُوَ الْقَدِيمُ وَمَا سِوَاهُ مَخْلُوقٌ مَحْدَثٌ تَعَالَى عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ عُلُوًّا كَبِيرًا^(٦).

(١) في المصدر: لا له بطاعة من خلقه انتفاع، وهو الصحيح وسيأتي كلامه الذي يظهر فيه أن كلمة انتقام هي تصحيف كلمة انتفاع.

(٢) التوحيد: ٧٧- ٧٩ ب ١٢ ح ٣٤ وفيه: ولا تحيط به الأفكار. كذا: وهو أقرب إلينا من جبل الوريد، وأبعد من الشبهة.

(٣) قال السيد الطباطبائي - أعلى الله مقامه - الكلام يصلح رداً على المادة الثابتة القدسة وعلى القائلين بتركيب الخلق من النور والظلمة و أمثال ذلك، وأما العقول المجردة التي قيل بها فلا يشملها لأن كلمة «من» نشوتية تدل على المادية، ولا يقال: إن الأشياء خلقت من العقول. وأما التوسط في السببية فالكلام لا يشمل نفى الأسباب من الوجود بلا شبهة.

(٤) نهج البلاغة خ ١٦٣ ص ١٦٦.

(٥) وفي نسخة: لا تتجاوز في التوحيد.

(٦) التوحيد: ٧٦ ب ٢ ح ٣٢.

٢٤- يد: [التوحيد] الطالقاني عن الجلودي عن الجوهري عن الضبي عن أبي بكر الهذلي عن عكرمة قال بينما ابن عباس يحدث الناس إذ قام إليه نافع بن الأزرق فقال يا ابن عباس تفتي في التملة والقملة صف لنا إلهك الذي تعبد به فأطرق ابن عباس إعظاما لله عز وجل وكان الحسين بن علي عليه السلام جالسا ناحية فقال إلهي يا ابن الأزرق فقال لست إياك أسأل فقال ابن عباس يا ابن الأزرق إنه من أهل بيت النبوة وهم ورثة العلم فأقبل نافع بن أزرق نحو الحسين عليه السلام فقال له الحسين عليه السلام يا نافع إن من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الارتماس مائلا عن المنهاج طاعنا في الاعوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل يا ابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه وأعرفه بما عرف به نفسه^(١) لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس فهو غريب غير ملتصق وبعيد غير متقصر يوحد ولا يبعض معروف بالآيات موصوف بالعلامات لا إله إلا هو الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِي^(٢)

بيان: على القياس أي مقايضة الرب تعالى بالخلق أو الأعم أي الحكم بالعقل في الله تعالى ودينه والتقصي غاية البعد.

٢٥- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن الصفار عن ابن عيسى عن علي بن سيف بن عميرة عن محمد بن عبيد قال دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي قل للعباسي كيف عن الكلام في التوحيد وغيره ويكلم الناس بما يعرفون وكيف عما ينكرون وإذا سألوك عن التوحيد فقل كما قال الله عز وجل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ وإذا سألوك عن الكيفية فقل كما قال الله عز وجل ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(٣) وإذا سألوك عن السمع فقل كما قال الله عز وجل ﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤) كلم الناس بما يعرفون.^(٥)

٢٦- يد: [التوحيد] ابن عصام عن الكليني عن علان عن سهل وغيره عن محمد بن سليمان عن علي بن إبراهيم الجعفري عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال إن الله عظيم رفيع لا يقدر العباد على صفته ولا يبلغون كنه عظمته لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْغَيْبِ وَلَا يوصف بكيف ولا أين ولا حيث وكيف أصفه بكيف وهو الذي كيف الكيف حتى صار كيفا فعرفت الكيف بما كيف لنا من الكيف أم كيف أصفه بأين وهو الذي أين الأين حتى صار أين فعرفت الأين بما أين لنا من الأين أم كيف أصفه بحيث وهو الذي حيث حيث حيث حتى صار حيث فعرفت حيث بما حيث لنا من حيث فالله تبارك وتعالى داخل في كل مكان وخارج من كل شيء لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْغَيْبِ^(٦)

بيان: حيث تأكيد للأين أو هو بمعنى الجهة أو الزمان كما مر سابقا.

٢٧- يد: [التوحيد] ابن الوليد عن محمد العطار عن ابن أبان عن ابن أورمة عن يحيى بن يحيى عن عبد الله بن الصامت عن عبد الأعلى عن العبد الصالح يعني موسى بن جعفر عليه السلام قال إن الله لا إله إلا هو كان حيا بلا كيف ولا أين ولا كان في شيء ولا كان على شيء ولا ابتدع لمكانه مكانا^(٧) ولا قوي بعد ما كون الأشياء ولا يشبهه شيء مكون ولا كان خلوا من القدرة على الملك قبل إنشائه ولا يكون خلوا من القدرة بعد ذهابه كان عز وجل إله حيا بلا حياة حادثة ملكا قبل أن ينشئ شيئا ومالكا بعد إنشائه وليس لله حد ولا يعرف بشيء يشبهه ولا يهزم للبقاء ولا يصعق لذعرة شيء ولخوفه تصعق الأشياء كلها فكان الله حيا بلا حياة حادثة ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أين موقوف ولا مكان ساكن بل حي لنفسه ومالك لم تزل له القدرة أنشأ ما شاء حين شاء بمشيئته وقدرته كان أولا بلا كيف ويكون آخرًا بلا أين وكل شيء هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ^(٨)

بيان: الذعر بالضم الخوف قوله عليه السلام ولا أين موقوف أي موقوف عليه كما في الكافي^(٩) أي أين استقر الرب تعالى عليه أو المعنى أنه لو كان له أين لكان وجوده متوقفا عليه محتاجا إليه ويحتمل

(١) في «أ» وعرفه بما عرف به نفسه.

(٣) الشورى: ١١.

(٥) التوحيد: ٩٥ ح ٤ ج ١٤.

(٧) في نسخة: ولا ابتدع لمكانه مكانا.

(٨) التوحيد: ١٤١ ح ١١ ج ٦ وفيه: يكون ولا كان. وكذا: ولا يصعق لدعوة شيء.

(٩) الكافي: ٨٩ ب ٢٩ ح ٣.

(٢) التوحيد: ٧٩ - ٨٠ ح ٢ ج ٣٥.

(٤) البقرة: ١٣٧ وغيرها.

(٦) التوحيد: ١١٥ ب ٨ ح ١٤.

على ما في الكتاب أن يكون الموقوف بمعنى الساكن وتقييد المكان بالساكن مبني على المتعارف
الغالب من كون المكان المستقر عليه ساكنا قوله ﷺ له الخلق أي خلق الممكنات مطلقا والأمر أي
الأمر التكليفي وقيل المراد بالخلق عالم الأجسام والماديات أو الموجودات العينية وبالأمر عالم
المجردات أو الموجودات العلمية.

٢٨- يد: [التوحيد] العطار عن أبيه عن ابن عيسى عن الحسين بن سعيد عن القاسم بن محمد عن علي بن أبي
حمزة عن أبي بصير قال جاء رجل إلى أبي جعفر ﷺ فقال له يا أبا جعفر أخبرني عن ربك متى كان فقال ويحك إنما يقال
لشيء لم يكن فكان متى كان إن ربي تبارك وتعالى كان لم يزل حيا بلا كيف ولم يكن له كان ولا كان لكونه كيف و
لا كان له أين ولا كان في شيء ولا كان على شيء ولا ابتدع لكانه مكانا ولا قوي بعد ما كون شيئا ولا كان ضعيفا
قبل أن يكون شيئا ولا كان مستوحشا قبل أن يبدع شيئا ولا يشبه شيئا مكونا ولا كان خلوا من القدرة على الملك
قبل إنشائه ويكون منه خلوا بعد ذهابه لم يزل حيا بلا حياة وملكا قادرا قبل أن ينشئ شيئا وملكا جبارا بعد إنشائه
للكون فليس لكونه كيف ولا له أين ولا له حد ولا يعرف بشيء يشبهه ولا يهرم لطول البقاء ولا يصعب لشيء ولا
لا يخوفه شيء تصعب الأشياء كلها من خيفته كان حيا بلا حياة حادثة^(١) ولا كون موصوف ولا كيف محدود ولا أثر
مقفو ولا مكان جاور شيئا بل حي يعرف وملك لم يزل له القدرة والملك أنشأ ما شاء بمشيئته لا يحد ولا يبعض
لا يفنى كان أولا بلا كيف ويكون آخر بلا أين وكل شيء هالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
ويحك أيها السائل إن ربي لا تغشاه الأوهام ولا تنزل به الشبهات ولا يحار من شيء ولا يجاوره شيء^(٢) ولا تنزل
به الأحداث ولا يسأل عن شيء يفعله ولا يقع على شيء ولا تأخذه سنة ولا نوم كُما في السَّائِغَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى.^(٣)

بيان: قوله بلا كيف أي بلا حياة زائدة ولا كيفيات تعد من لوازم الحياة في الممكنات قوله ﷺ لم
يكن له كان الظاهر أن كان اسم لم يكن لأنه ﷺ لما قال كان أوهمت العبارة أن له زمانا فنفي ﷺ
ذلك بأنه كان بلا زمان والتعبير بكان لضيق العبارة وقيل كان اسم بمعنى الكون أي ليس له وجود
زائد ولم نظفر به في اللغة لكن نقل عن بعض أهل العربية قلب الواو والياء ألفا مع انفتاح ما قبلهما
مطلقا وقيل أي لم يتحقق كون شيء له من الصفات الزائدة.

وقوله ولا كان لكونه كيف أي لم يكن وجوده زائدا ليكون انضافه به مكيفا بكيفية أول لم يكن
وجوده مقرونا بالكيفيات ومنهم من فصل ولم يكن له عن كان أي لم يكن الكيف ثابتا له بأن
يكون الواو للعطف التفسيري أو للحال وكان ابتداء كلام وهي تامة والتي بعدها ناقصة حالا عن
اسم كان أي كان أزلا والحال أنه ليس له كيف قوله ولا ابتدع لكانه لعل إضافته إلى الضمير بتأويل
أو أنه اسم بمعنى الكون وفي بعض النسخ لمكانه كما في الكافي^(٤) أي ليكون مكانا له.

قوله ﷺ ولا يصعب أي لا يفرغ أو لا يغشى عليه للخوف من شيء قوله كون موصوف أي يمكن أن
يوصف أو زائد أو موصوف بكونه في زمان أو مكان وقيل المراد بالكون الموصوف الوجود
المتصف بالتغير أو عدمه عما من شأنه التغير المعبر عنهما بالحركة والسكون قوله يعرف أي أنه
حي بإدراك آثار يعد من آثار الحياة قوله ولا يحار بالحاء المهملة من الحيرة أو بالجميم على بناء
المجهول أي لا يبيهر أحد من شيء.

٢٩- ف: [تحف العقول] عن الحسين بن علي صلوات الله عليهما أيها الناس اتقوا هؤلاء المارقة الذين يشبهون
الله بأنفسهم يَظَاهِرُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بَلْ هُوَ اللَّهُ لَا يَسْ كَيْفُهُ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ استخلص الوجدانية والجبروت وأمضى المشية والإرادة والقدرة

(١) قال الجوهري: قوت اثره، قفوا وقفوا أي اتبعته «الصالح» ٢٤٦٦.

(٢) وفي نسخة: لا يحار من شيء ولا يجاوره شيء.

(٣) التوحيد: ١٧٣ - ١٧٤ ب ٢٨ ح ٢ وفيه: ولا ابتدع لكونه مكانا وكذا: ولا كان مستوحشا قبل أن يبدع شيئا. وكذا: كان حيا بلا حياة

حادثة. (٤) الكافي ٨٨:١ ب ٢٨ ح ٣.

والعلم بما هو كائن لا منازع له في شيء من أمره ولا كفو له يعادله ولا ضد له ينازعه ولا سمي له يشابهه ولا مثل له يشاكله لا تتداوله الأمور ولا تجري عليه الأحوال ولا تنزل عليه الأحداث ولا يقدر الواصفون كنه عظمتهم ولا يخطر على القلوب مبلغ جبروته لأنه ليس له في الأشياء عديل ولا تدركه العلماء بألبابها ولا أهل التفكير بتفكيرهم إلا بالتحقيق إيقانا بالغيب لأنه لا يوصف بشيء من صفات المخلوقين وهو الواحد الصمد ما تصور في الأوهام فهو خلافه ليس برب من طرح تحت البلاغ ومعبود من وجد في هواء أو غير هواء هو في الأشياء كائن لا كينونة محظور بها عليه ومن الأشياء بائن لا بينونة غائب عنها ليس بقادر من قارنه ضد أو ساواه ند ليس عن الدهر قدمه ولا بالناحية أمه احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار وعن في السماء احتجابه عن في الأرض قربه كرامته وبعده إهانتة لا يحل في ولا توقته إذ ولا توأمه إن علوه من غير نوقل^(١) ومجيئه من غير تنقل يوجد المفقود ويفقد الموجود ولا تجتمع لغيره الصفتان في وقت يصيب الفكر منه الإيمان به موجودا ووجود الإيمان لا وجود صفة به توصف الصفات لا بها يوصف وبه تعرف المعارف لا بها يعرف فذلك الله لا سمي له سبحانه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(٢)

بيان: استخلص الوجدانية أي جعلها خالصة لنفسه لا يشاركه فيها غيره ولتحقيق التصديق والاستثناء منقطع أي ولكن يدرك بالتصديق بما أخبر عنه الأنبياء والحجج إيمانا بالغيب قوله ﷺ تحت البلاغ لعل المعنى أنه يكون محتاجا إلى أن يبلغ إليه الأمور أو يكون تحت ثوب يكون قدر كفايته محيطا به ويحتمل أن يكون تصحيف التلاع جمع التلعة فإن الأصنام تحت من الأحجار المطروحة تحتها أو البراع وهو شيء كالبعوض يغشى الوجه أو النقاغ جمع النقع بالكسر وهو الغبار أو السماء أو البلاء أو البناء بقرينة قربتها وهي الهواء.

قوله ﷺ محظور بها عليه أي بأن يكون دخلا فيها فتحيط الأشياء به كالحظيرة وهي ما تحيط بالشيء خشيا أو قصبا قوله ﷺ ليس عن الدهر قدمه أي ليس قدمه قدما زمانيا يقارنه الزمان دائما^(٣) والأمم بالتحريك القصد أي ليس قصده بأن يتوجه إلى ناحية مخصوصة فيوجد فيه بل قَائِمًا تَوَلَّوْا فَنَمَّ وَجْهَ اللَّهِ.

قوله ﷺ ولا توأمه إن أي ليست كلمة إن التي يستعملها المخلوقون عند تردددهم بقوله إن كان كذا فأى شيء يكون سببا لمشاورته ومؤامراته في الأمور ونوقل فوعل من النقل ولم أجده فيما حضر عندي من كتب اللغة^(٤) قوله ﷺ في وقت أي في وقت من الأوقات والتقييد بالاجتماع لعله وقع تنزلا لما يتوهم من أن الأعدام يتأتى من غيره تعالى.

قوله ﷺ يصيب الفكر أي لا يصيب منه تعالى التفكير فيه إلا أن يؤمن بأنه موجود وأن يجد صفة الإيمان ويتصف به لأن ينال منه وجود صفة أي كنه صفة أو صفة موجودة زائدة فقوله وجود معطوف على الإيمان وقوله لا وجود أي لا يصيب وجود والأصوب أن العاطف في قوله وجود زائد فيستقيم الكلام قوله به توصف الصفات أي هو موجد للصفات وجاعل الأشياء متصفة بها فكيف يوصف نفسه بها وبإفاضته تعرف المعارف فلا يعرف هو بها إلا يعرف الله بمخلوقه كما مر.

٣٠- ف: [تحف العقول] عن أبي الحسن الثالث ﷺ قال إن الله لا يوصف إلا بما وصف به نفسه وأنى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه والأوهام أن تتأله والخطرات أن تحده والأبصار عن الإحاطة به نأى في قربيه وقرب في نأيه كيف الكيف بغير أن يقال كيف وأين الأين بلا أن يقال أين هو منقطع الكيفية والأينية الواحد الأحد جل جلاله وتقدس أسماؤه^(٥)

(١) في المصدر: علوه من غير توقل (بشديد القاف) وهو الصحيح، قال في اللسان، و قل في الجبل، و يقل و قلا و توقل توقلا: صعد فيه «لسان العرب ١٥: ٣٧٦».

(٢) قال السيد الطباطبائي (قده): الجملة من جوامع الكلم، بها يفسر موارد كثيرة من الخطب والروايات الدالة على تقدمه تعالى على الكل، و تأخره عن الكل، و احاطته بالكل، و ان ليس معه في ازلية ذاته قديم آخر، والا كان إلها مثله - تعالى عن ذلك و انه ازالى ابدى كل ذلك من غير تطبيق على امتداد غير متناه زمني، و الا لكان زمانيا فهو محيط بالجميع بعين احاطته بكل جزء منه، فلو فرض قديم زمني كنفس الزمان كان تعالى قبله و متقدما عليه بعين تقدمه على اجزائه فامل و تبصر في موارد كثيرة تكرر عليك.

(٤) قد عرفت صحيحه وهو التوقل. (٥) تحف العقول: ٤٨٢.



٣١-م: [تفسير الإمام] عن أبي محمد عن آبائه قال قال أمير المؤمنين لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولا تغلوا وإياكم والغلو كغلو النصارى فإني بريء من الغالين قال ققام إليه رجل فقال له يا ابن رسول الله صف لنا ربك فإن من قبلنا قد اختلفوا علينا فقال الرضا إنه من يصف ربه بالقياس لا يزال الدهر في الالتباس مائلا عن المنهاج طاعنا في الاوجاج ضالا عن السبيل قائلا غير الجميل.

ثم قال أعرفه بما عرف به نفسه أعرفه من غير رؤية وأصفه بما وصف به نفسه من غير صورة لا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس معروف بالآيات بعيد بغير تشبيه ومدان في بعده لا بنظير لا يتوهم ديمومته ولا يمثل بخلقه ولا يجوز في قضيته^(١) الخلق لما علم منه متقادون وعلى ما سطر في المكنون من كتابه ماضون لا يعلمون بخلاف ما علم منهم ولا غيره يريدون فهو قريب غير ملتزق وبعيد غير متقص يحقق ولا يمثل ويوحده ولا يبعض يعرف بالآيات ويثبت بالعلامات فلا إله غيره الكبير المتعال.

ثم قال الإمام حدثني أبي عن جدي عن رسول الله أنه قال ما عرف الله من شبهه بخلقه ولا عدله من نسب إليه ذنوب عباده^(٢).

٣٢-ج: [جامع الأخبار] سئل أمير المؤمنين بم عرفت ربك قال بما عرفني نفسه لا يشبهه صورة ولا يقاس بالناس قريب في بعده بعيد في قربه فوق كل شيء ولا يقال شيء تحته وتحت كل شيء ولا يقال شيء فوقه أمام كل شيء ولا يقال شيء خلفه وخلف كل ولا يقال شيء أمامه داخل في الأشياء لا كشيء في شيء سبحانه من هو هكذا لا هكذا غيره^(٣).

٣٣-ج: [جامع الأخبار] دخل علي بن الحسين مسجد المدينة فرأى قوما يختصمون فقال لهم فيما تختصمون قالوا في التوحيد قال اعرضوا علي مقاتلكم قال بعض القوم إن الله يعرف بخلقه سمواته وأرضه وهو في كل مكان قال علي بن الحسين قولوا نور لا ظلام فيه وحياة لا موت فيه وصمد لا مدخل فيه ثم قال من كان ليس كميثله شيء وهو السميع البصير كان نعتا لا يشبه نعت شيء فهو ذاك^(٤).

٣٤-يد: [التوحيد] الدقاق عن الأسدي عن البرمكي عن الحسين بن الحسن عن عبد الله بن داهر عن الحسين بن يحيى الكوفي عن قثم بن قتادة عن عبد الله بن يونس عن أبي عبد الله قال بينا أمير المؤمنين يخطب على منبر الكوفة إذ قام إليه رجل يقال له ذعلب ذرب اللسان بليغ في الخطاب شجاع القلب فقال يا أمير المؤمنين هل رأيت ربك فقال ويلك يا ذعلب ما كنت أعبد ربا لم أره قال يا أمير المؤمنين كيف رأيته قال يا ذعلب لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأيته القلوب بحقائق الإيمان ويلك يا ذعلب إن ربي لطيف اللطافة فلا يوصف باللفظ عظيم العظمة لا يوصف بالعظم كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر جليل الجلالة لا يوصف باللفظ قبل كل شيء لا يقال شيء قبله وبعد كل شيء لا يقال له بعد شاء الأشياء لا بهمته دراك لا بخديعة هو في الأشياء كلها غير متمازج بها ولا بائن عنها ظاهر لا بتأويل المباشرة متجل لا باستهلال رؤية بائن لا بمسافة قريب لا بمدانة لطيف لا بتجسم موجود لا بعدم فاعل لا باضطرار مقدر لا بحركة مريد لا بهمامة سميع لا بآلة بصير لا بأداة لا تحويه الأماكن ولا تصحبه الأوقات ولا تحده الصفات ولا تأخذه السنين سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله بتشعبه المشاعر عرف أن لا مشعر له وبتجهيره الجواهر عرف أن لا جوهر له وبمضادته بين الأشياء عرف أن لا ضد له وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ضاد النور بالظلمة والجسوء بالبلل والصد بالحرور مؤلف بين معتادياتها مفرق بين متدانياتها دالة بتفريقها على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها وذلك قوله عز وجل «وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^(٥) ففرق بها بين قبل وبعد ليعلم أن لا قبل له ولا بعد شاهدة بغايرها أن لا غريزة لمفرزها مخبرة بتوقيتها أن لا وقت لموقيتها حجب بعضها عن بعض ليعلم أن لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه كان ربا ولا مربوب

(١) كذا في «أ» والمصدر وفي «ط» ولا يجوز في قضيته.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام: ٥٠ - ٥٢ ح ٢٤ بفارق يسير.

(٣) جامع الأخبار: ٨ ف ١ وفيه: قوى فوق كل شيء مع فوارق ضئيلة أخرى.

(٤) جامع الأخبار: ٩ ف ٢ وفيه: قولوا: نور وحياة لا موت فيه. (٥) الذاريات: ٤٩.

وإلها و لا مألوه و عالما إذ لا معلوم و سميعا إذ لا مسمع ثم أنشأ يقول: (١)

و لم يزل سيدي بالحمد معروفا
و كان إذ ليس نور يستضاء به
فربنا بخلاف الخلق كلهم
و من يرده على التشبيه ممثلا
و في المعارج يلقى موج قدرته
فاترك أبا جدل في الدين منعقا
و اصحب أبا ثقة حبا لسيده
أسمى دليل الهدى في الأرض مبتسما (٢)

و لم يزل سيدي بالجود موصوفا
و لا ظلام على الأفق معكوفا
و كل ما كان في الأوهام موصوفا
يرجع أبا حصر بالعجز مكتوفا
موجا يعارض طرف الروح مكفوفا
قد باشر الشك فيه الرأي مأوفا
و بالكرامات من مولاه محفوفا
و في السماء جميل الحال معروفا (٣)

٣٠٦
٤

قال فخر ذعلب مغشيا عليه ثم أفاق و قال ما سمعت بهذا الكلام و لا أعود إلى شيء من ذلك.

قال الصدوق رحمه الله في هذا الخبر ألفاظ قد ذكرها الرضا عليه السلام في خطبته و هذا تصديق قولنا في الأئمة عليهم السلام أن علم كل واحد منهم مأخوذ عن أبيه حتى يتصل ذلك بالنبي صلى الله عليه وآله (٤)

بيان: ذرب اللسان حدثه قوله معكوفا أي محبوسا أبا حصر أي مصاحبا للعي و العجز و كتفت الرجل أي شددت يديه إلى خلفه بالكتاف و هو حبل و الطرف العين و مكفوفا حال منه أي يجعل عين الروح عمياء قوله مأوفا أي مأوفا حال عن الرأي و يمكن أن يقرأ على الأصل بالواوين لضرورة الشعر أو بإشباع فتحة الميم.

قوله حبا لسيده الحب بالكسر المحبوب و يمكن أن يقرأ بالضم أيضا بأن يكون مصدرا مؤولا بمعنى المفعول و يمكن أن يكون مفعولا لأجله لكن عطف قوله و بالكرامات يحتاج إلى تكلف أي و لكونه محفوفا و قوله دليل الهدى بالرفع و يحتل النصب بالخبرية فيكون الاسم ضميرا راجعا إلى الأخ و لعله نظرا إلى المصرع الثاني أظهر.

٣٥- نهج: [نهج البلاغة] و من خطبة له عليه السلام الحمد لله خالق العباد و ساطع المهاد و مسيل الرهاد و مخصب النجاد ليس لأوليته ابتداء و لا لأزليته انقضاء هو الأول لم يزل و الباقي بلا أجل خرت له الجباه و وحدته الشفاء حد الأشياء عند خلقه لها إبانة له من شبهها (٥) لا تقدره الأوهام بالحدود و الحركات و لا بالجوارح و الأدوات لا يقال له متى و لا يضرب له أمد بحتى الظاهر لا يقال مما و الباطن لا يقال فيما لا شيع فيقتضى و لا محبوب فيحوى لم يقرب من الأشياء بالتصاق و لم يبعد عنها باقتراق لا يخفى عليه من عباده شخوص لحظة و لا كرور لحظة و لا ازدلاف ربوة و لا انبساط خطوة في ليل داج و لا غسق ساج يتفأ عليه القمر المنير و تعقبه الشمس ذات النور في الأفول و الكرور و تقلب الأزمنة و الدهور من إقبال ليل مقبل و إدبار نهار مدبر قبل كل غاية و مدة و كل إحصاء و عدة تعالى عما ينحله المحدودون من صفات الأقدار و نهايات الأقطار و تأثل المساكين و تمكن الأماكن فالحد خلقه مضروب و إلى غيره منسوب لم يخلق الأشياء من أصول أزلية و لا من أوائل أبدية بل خلق ما خلق فأقام حده و صور ما صور فأحسن صورته ليس لشيء منه امتناع و لا له بطاعة شيء انتفاع علمه بالأموات الماضين كعلمه بالأحياء الباقين و علمه بما في السماوات العلى كعلمه بما في الأرضين السفلى (٦)

٣٠٧
٤

إيضاح: ساطع المهاد أي باسط الأرض التي هي بمنزلة الفراش للخلق و الوهد المكان المنخفض

(١) قال السيد الطباطبائي: الاشعار من احسن الدليل على ان الخلقة غير منقطعة من حيث اولها كما أنها كذلك من حيث آخرها.

(٢) في نسخة من الكتاب و التوحيد: في الارض منتشرا.

(٣) بين المصدر والديوان المنسوب إلى الإمام على عليه السلام و بين ما في المتن اختلاف يسير.

(٤) في «ا» إبانة لها من شبهها.

(٥) في «ا» إبانة لها من شبهها.

(٦) نهج البلاغة خ ١٦٣ ص ١٦٥ و فيه: هو الاول و لم يزل. وكذا: الظاهر لا يقال: مم، والباطن لا يقال: فيم، لاشيع فيقتضى وكذا: و تقلب الأزمنة والدهور.



والتجاذب ما ارتفع من الأرض أي مجرى السيول في الوهاد ومنبت العشب والنبات والأشجار في التجاذب قوله انقضاء أي في طرف الأبد ويحتمل أن يكون المراد بالأولية العلية أي ليست له علة وليس لوجوده في الأزل انقضاء والأول أوفق بالفقيرتين الآتيتين لفا ونشرا وشخصا اللحظة مد البصر بلا حركة جفن وكروور اللفظة رجوعها وقيل ازدلاف الربوة صعود إنسان أو حيوان ربوة من الأرض وهي الموضع المرتفع وقيل ازدلاف الربوة تقدمها في النظر فإن الربوة أول ما يقع في العين من الأرض عند مد البصر من الزلف بمعنى القرب.

قوله ﴿دَاجٍ﴾ أي مظلم والغسق محركة ظلمة أول الليل وقوله سَاجٍ أي ساكن كما قال تعالى ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾ (١) أي سكن أهله أو ركذ ظلامه من سجي البحر سجا إذا سكنت أمواجه قوله ﴿يَتَّبِعُ﴾ يتفيا هذا من صفات الغسق ومن تمة نعته ومعنى يتفيا عليه يتقلب ذاهبا وجائيا في حالتي أخذه في الضوء إلى التبادر وأخذه في النقص إلى المحاق والضمير في عليه للغسق.

وقوله وتعبه أي تتعبه فحذف إحدى التاءين والضمير فيه للقمر وقوله من إقبال ليل متعلق بتقليب والمعنى أن الشمس تعاقب القمر فتطلع عند أفوله ويطلع عند أفولها قوله ﴿قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ﴾ أي هو سبحانه قبل كل غاية قوله عما ينحله أي ينسبه إليه.

قوله ﴿وَتَأْتِلُ الْمَسَاكِينُ﴾ يقال مجد مؤتل أي أصبل وبيت مؤتل أي معمور وأتل ملكه عظمه وتأتل عظم وتمكن الأماكن ثبوتها واستقرارها أقول يحتمل أن يكون المعنى التأتل في المساكن والتمكن في الأماكن قوله ﴿وَلَا مِنْ أَوَائِلِ أَبَدِيَةٍ﴾ أقول على هذه النسخة الأصول الأزلية هي الأوائل الأبدية إذ ما ثبت قدمه امتنع عدمه قوله ﴿فَأَقَامَ حُدُودَ الْأَشْيَاءِ﴾ أي أنقن حدود الأشياء على وفق الحكمة الإلهية من المقادير والأشكال والنهايات والآجال.

٣٦-نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له ﷺ الحمد لله الذي بطن خفيات الأمور ودلت عليه أعلام الظهور وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ولا قلب من أثبته يبصره سبق في العلو فلا شيء أعلى منه وقرب في الدنو فلا شيء أقرب منه فلا استعلاؤه بأعده عن شيء من خلقه ولا قربه ساوَاهم في المكان به لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له أعلام الوجود على إقرار قلب ذي الجود تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علوا كبيرا. (٢)

بيان: بطن خفيات الأمور أي علم بواطنها وقيل أي دخل بواطن الأمور الخفية أي هو أمسى عند العقول منها قوله ﷺ فلا عين من لم يره أي لا تنكر وجوده عين من لم يره لشهادة قطرته على ظهور وجوده وأنه لا سبيل من جهة عدم إبصاره إلى إنكاره إذ كان حظ العين إدراك ما صح إدراكه بها لا مطلقا.

قوله ﷺ يبصره أي يحيط بكنهه قوله ﷺ على إقرار أي تشهد أعلام وجوده لغاية ظهورها ووضوحها على أن الجاحد إنما يجحد بلسانه لا بقلبه كما مر مرارا.

٣٧-نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له ﷺ الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا فيكون أولا قبل أن يكون آخرا ويكون ظاهرا قبل أن يكون باطنا كل مسمى بالوحدة غيره قليل وكل عزيز غيره ذليل وكل قوي غيره ضعيف وكل مالك غيره مملوك وكل عالم غيره متعلم وكل قادر غيره يقدر ويعجز وكل سميع غيره يصم عن لطيف الأصوات ويصم كبريها ويذهب عنه ما بعد منها وكل بصير غيره يعمي عن خفي الألوان ولطيف الأجسام وكل ظاهر غيره غير باطن وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ولا تخوف من عواقب زمان ولا استعانة على ند مشاور ولا شريك مكاثر ولا ضد منافر ولكن خلّاق مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الأشياء فيقال هو فيها كائن ولم ينأ عنها فيقال هو منها بائن لم يشوّه خلق ما ابتدأ ولا تدبير ما ذرأ ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت

عليه شبهة فيما قضى و قدر بل قضاء متقن و علم محكم و أمر مبرم المأمول مع النقم المروهب مع النعم.^(١)

بيان: قوله ﷺ لم تسبق له حال حالا إما مبني على ما مر من عدم كونه تعالى زمانيا فإن السبق و التقدم و التأخر إنما تلحق الزمانيات المتغيرات و هو تعالى خارج عن الزمان أو المعنى أنه ليس فيه تبدل حال و تغير صفة بل كل ما يستحقه من الصفات الذاتية الكمالية يستحقها أزلا و أبدا فلا يمكن أن يقال كان استحقاقه للأولية قبل استحقاقه للآخية أو كان ظاهرا ثم صار باطنا بل كان أزلا متصفا بجمع ما يستحقه من الكمالات و ليس محلا للحوادث و التغيرات أو أنه لا يتوقف اتصافه بصفة على اتصافه بأخرى بل كلها ثابتة لذاته بذاته من غير ترتيب بينها و لعل الأوسط أظهر.

قوله ﷺ كل مسمى بالوحدة غيره قليل قيل المعنى أنه تعالى لا يوصف بالقلّة و إن كان واحدا إذا المشهور من معنى الواحد كون الشيء مبدأ لكثرة يكون عادا لها و مكيفا و هو الذي تلحقه القلّة و الكثرة الإضافيتان فإن كل واحد بهذا المعنى هو قليل بالنسبة إلى الكثرة التي تصلح أن تكون مبدأ لها و لما كان تعالى منزها عن الوصف بالقلّة و الكثرة لما يستلزمه من الحاجة و النقصان اللازمين لطبيعة الإمكان أثبت القلّة لكل ما سواء فاستلزم إثباتها لغيره في معرض المدح له فيها عنه و قيل إن المراد بالقليل الحقيق لأهل العرف يحقرون القليل و يستعظمون الكثير.

٣١٠
٤

أقول: الأظهر أن المراد أن الوحدة الحقيقية مخصوصة به تعالى و إنما يطلق على غيره بمعنى مجازي مؤول بقلّة معاني الكثرة فإن للكثرة معاني مختلفة الكثرة بحسب الأجناس أو الأنواع أو الأصناف أو الأفراد و الأشخاص أو الأعضاء أو الأجزاء الخارجية أو العقلية أو الصفات العارضة فيقال للجنس جنس واحد مع اشتماله على جميع أنواع التكررات لكون كثرتة أقل مما اشتمل على التكرر الجنسي أيضا و هكذا فظهر أن معنى الواحد في غيره تعالى يرجع إلى القليل و لذا قال ﷺ كل مسمى بالوحدة إشارة إلى أن غيره تعالى ليس بواحد حقيقة هذا ما خطر بالبال و الله يعلم و قد مر تفسير سائر الفقرات و نظائرها مرارا.

٣٨- نهج: [تهج البلاغة] من خطبة له ﷺ المعروف من غير رؤية^(٢) و الخالق من غير روية الذي لم يزل قائما دائما إذ لا سماء ذات أبراج و لا حجب ذات إرتاج و لا ليل داج و لا بحر ساج و لا جبل ذو فجاج و لا فج ذو عوجاج و لا أرض ذات مهداد و لا خلق ذو اعتماد ذلك مبتدع الخلق و وارثه و إله الخلق و رازقه و الشمس و القمر داثبان في مرضاته يبيان كل جديد و يقربان كل بعيد قسم أرزاقهم و أحصى آثارهم و أعمالهم و عدد أنفاسهم و خاتمة أعينهم و ما تخفي صدورهم من الضمير و مستقرهم و مستودعهم من الأرحام و الظهور إلى أن تنتهي بهم الغايات هو الذي اشتدت نعمته على أعدائه في سعة رحمته و اتسعت رحمته لأوليائه في شدة نعمته قاهر من عازيه و مدمر من شاقه و مذل من ناواه و غالب من عاداه من توكل عليه كفاه و من سأله أعطاه و من أقرضه قضاه و من شكره جزاه عباد الله زنوا أنفسهم من قبل أن توزنوا و حاسبوها من قبل أن تحاسبوا و تنفسوا قبل ضيق الخناق و اتقادوا قبل عنف السياق و اعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ و زاجر لم يكن له من غيرها زاجر و لا واعظ.^(٣)

٣١١
٤

بيان: الروية التفكير و القائم في صفاته تعالى بمعنى الدائم الثابت الذي لا يزول أو العالم بالخلق الضابط لأحوالهم أينما كانوا أو قيامه توكيله الحفظة عليهم أو حفظه للخلق و تدبيره لأموهم أو مجازاته بالأعمال أو قهره لعباده و اقتداره عليهم و الأبراج قيل هو جمع البرج بالضم بمعنى الركن و أركانها أجزاءها و تدويرها و خوارجها و متمماتها أو البرج بالمعنى المصطلح أي البرج الاتني عشر و الأظهر عندي أنه جمع البرج بالتحريك أي الكواكب قال الفيروز آبادي البرج الجميل الحسن الوجه أو المضيء البين المعلوم و الجمع أبراج.^(٤)

قوله ﷺ ذات إرتاج إما بالكسر مصدر أرتج أي أغلق أو بالفتح جمع الرتاج و هو الباب المغلق و

(١) نهج البلاغة خ ٦٥ ص ٥٤ و فيه: و كل ظاهر غيره باطن، و كذا لم يحل في الأشياء فيقال: هو كائن.

(٢) في نسخ من نهج: الحمد لله المعروف من غير رؤية.

(٣) نهج البلاغة خ ٩٠ ص ٨١.

(٤) القاموس المحيط ١: ١٨٥.

فيه أنه قلما يجمع فعال على أفعال و روي ذات رتاج على المفرد والداجي المظلم والساجي الساكن والفجاج بالكسر جمع فج بالفتح وهو الطريق الواسع بين الجبلين والهاد الفراه أي أرض مبسوطة ممكنة للتعيش عليها كالمهاد.

قوله ﷺ ذو اعتماد أي ذو قوة وبطش أو يسعى برجلين فيعتمد عليهما وذاب في عمله أي جد و تعب والشمس والقمر دائبان لتعاقبهما على حالة واحدة لا يفتران ولا يسكنان و روي دائبين بالنصب على الحال ويكون خبر المتبدل بيبيان. قوله ﷺ وأحصى آثارهم أي أثار أقدامهم و وطنهم في الأرض أو حركاتهم وتصرفاتهم أو ما يبقى بعدهم من سنة حسنة أو سيئة كما فسر به قوله تعالى ﴿وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾^(١) و روي عدد أنفاسهم على الإضافة وخائنة الأعين ما يسارق من النظر إلى ما لا يحل أو أن ينظر نظرة بريية.

قوله ﷺ من الأرحام متعلقة بمستقرهم ومستودعهم بياناً لهما على اللف والنشر ولما كان تحقق الغرض وكمال الذات وحلول الروح في الرحم عبر عنه بالمستقر وعن الظاهر بالمستودع ويكون الظرف أعني قوله إلى أن تنتهي متعلقاً بالأفعال السابقة أي قسم وأحصى وعدد وتكون تنافي الغاية بهم كناية عن موتهم ويحتمل أن يكون المراد مستقرهم ومأواهم على ظهر الأرض ومستودعهم في بطنها بعد الموت ويكون من بمعنى مذأي مذل زمان كونهم في الأرحام والظهور إلى أن تنافي الغاية أي إلى أن يحشروا في القيامة وصاروا إلى النعيم أو إلى الجحيم ويحتمل أن يكون المراد بالمستقر والمستودع من استقر فيه الإيمان ومن استودع الإيمان ثم يسلب كما دلت عليه الأخبار الكثيرة وتوجيه الظرفين بعد ما مر غير خفي.

قوله ﷺ في سعة رحمته أي في حال سعة رحمته على أوليائه واتسعت رحمته لأوليائه في حال شدة نعمته على أعدائه فالمراد تنزيهه تعالى عن صفة المخلوقين فإن رحمته لا تكون في حال غضبه وبالعكس أو اشتدت نعمته على أعدائه في حال سعة رحمته عليهم فإن رحمته تعالى شاملة لهم في دنياهم وهم فيها يستعدون للنعمة الشديدة ولا يخفي بعده والمعازة المغالبة والمدمر المهلك والمشاقة المعادة والمنازعة.

قوله ﷺ وتنفسوا قبل ضيق الخناق استعمار لفظ التنفس لتحصيل الراحة والبهجة في الجنة بالأعمال الصالحة في الدنيا واستعمار لفظ الخناق من الحبل المخصوص للموت أي انتهبوا الفرصة للعمل قبل تعذره بزوال وقته قوله ﷺ قبل عنف السباق أي السوق العنيف عند قبض الروح أو في القيامة إلى الحساب.

قوله ﷺ من لم يعن على بناء المجهول أي لم يعنه الله على نفسه حتى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم يمنعه المنع والزجر من غيرها أو على بناء المعلوم كما روي أيضاً أي من لم يعن الواعظين له والمنذرين على نفسه لم ينتفع بالوعظ والزجر لأن هوى نفسه يغلب وعظ كل واعظ.

٣٩- نهج: [نهج البلاغة] ومن خطبه له ﷺ لا يشغله شأن ولا يغيره زمان ولا يحويه مكان ولا يصفه لسان ولا يعزب عنه قطر الماء ولا نجوم السماء ولا سواني^(٢) الريح في الهواء ولا ديبب النمل على الصفا ولا مقيل الذر في الليلة الظلماء يعلم مساقط الأوراق وخفي طرف الأحداق.^(٣)

بيان: مقيل الذر أي نومها أو محل نومها.

٤٠- نهج: [نهج البلاغة] روي عن نوف البكالي قال خطبتنا بهذه الخطبة أمير المؤمنين ﷺ وهو قائم على حجارة نصبها له جعدة بن هبيرة المخزومي وعليه مدرعة^(٤) من صوف وحمائل سيفه ليف وفي رجله نعلان من ليف و

(١) يس: ١٢.

(٢) مشتقة من سف، والمسفسة والسفاسة: الريح التي تجري فوق الأرض. «لسان العرب ٦: ٢٨٤».

(٣) نهج البلاغة: خ ١٧٨ ص ١٨٥.

(٤) المدرعة: ضرب من الثياب التي تلبس، وقيل: جبة مشقوقة المقدم. المدرعة: ضرب آخر ولا تكون إلا من الصوف خاصة «لسان العرب ٤: ٣٣١».

كان جبينه نفة بعير فقال ﷺ الحمد لله الذي إليه مصائر الخلق وعواقب الأمر نحمده على عظيم إحسانه ونير برهانه ونوامي^(١) فضله وامتنانه حمدا يكون لحقه قضاء ولشكره أداء وإلى ثوابه مقربا ولحسن مزيده موجبا ونستعين به استعانة راج لفضله مؤمل لنفعه واثق بدفعه معترف له بالطول مدعن له بالعمل والقول ونؤمن به بإيمان من رجاه موقنا وأتاب إليه مؤمنا وخنق له مدعنا وأخلص له موحدا وعظمه ممجدا ولا به راغبا مجتهدا لم يولد سبحانه فيكون في العز مشاركا ولم يلد فيكون موروثا هالكا ولم يتقدمه وقت ولا زمان ولم يتعاوره زيادة ولا نقصان بل ظهر للعقول بما أُرانا من علامات التدبير المتقن والقضاء المبرم فمن شواهد خلقه خلق السماوات ومطدات بلا عمد قائمات بلا سند دعاهن فأجبن طائعات مدعنات غير متلكئات ولا مبططات ولو لا إقرارهن له بالربوبية وإذعانهن بالطوعية لما جعلهن موضعا لعرشه ولا مسكنا لملائكته ولا مصعدا للكلم الطيب والعمل الصالح من خلقه جعل نجومها أعلاما يستدل بها الحيران في مختلف فجاج الأفطار لم يمنع ضوء نورها ادلهام سجف الليل المظلم ولا استطاعت جلابيب^(٢) سواد الحنادس أن ترد ما شاع في السماوات من تلاكؤ نور القمر فسبحان من لا يخفى عليه سواد غسق داج ولا ليل ساج في بقاع الأرضين المتطاطئات ولا في يفاع السفح المتجاورات وما يتجلجل به الردع في أفق السماء وما تلاشت عنه بروق الغمام وما تسقط من ورقة تزيلها عن مسقطها عواصف الأنواء وانهاطال السماء ويعلم مسقط القطرة ومقرها ومسحب الذرة ومجرها وما يكفي البعوضة من قوتها وما تحمل الأنثى في بطنها والحمد لله الكائن قبل أن يكون كرسي أو عرش أو سماء أو أرض أو جان أو إنس لا يدرك بوهم ولا يقدر بفهم ولا يشغله سائل ولا ينقصه نائل ولا ينظر بعين ولا يحد بأين ولا يوصف بالأزواج ولا يخلق بعلاج ولا يدرك بالحواس ولا يقاس بالناس الذي كلم موسى تكليما وأراه من آياته عظيما بلا جوارح ولا أدوات ولا نطق ولا لهوات بل إن كنت صادقا أيها المتكفل لوصف ربك فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقربين في حجرات القدس مرجحين متولهة عقولهم أن يحدوا حسن الخالقين وإنما يدرك بالصفات ذوو الهيئات والأدوات ومن ينقضني إذا بلغ أمد حده بالفناء فلا إله إلا هو أضاء بنوره كل ظلام وأظلم بظلمته كل نور.^(٣)

بيان: البكالي بفتح الباء وتخفيف الكاف منسوب إلى بكال قبيلة كذا ذكره الجوهري^(٤) وقال الراوندي رحمه الله منسوب إلى بكالة وهو اسم حي من همدان وقال ابن أبي الحديد إنما هو بكال بكسر الباء اسم حي من حمير^(٥) والثفة بكسر الفاء من البعير الركبة المصاير جمع المصير وهو مصدر صار إلى كذا ومعناه المرجع قال تعالى ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^(٦).

قوله ﷺ مدعن له من أذعن له أي خضع وذل والخنوع أيضا الخضوع والذل قوله ﷺ ولا زمان تأكيد للوقت وقيل الوقت جزء الزمان ويمكن حمل أحدهما على الموجود والآخر على الموهوم والتعاور التناوب ويقال أبرم الأمر أي أحكمه قوله ﷺ موطلات أي مثبتات.

قوله ﷺ ولو لا إقرارهن قبل إقرارهن له بالربوبية راجع إلى شهادة حالهن بالإمكان والحاجة إلى الرب والالتقياد لحكم قدرته وظاهر أنه لو لا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدييره لم يكن فيها عرش ولم يكن أهلا لسكنى الملائكة وصعود الكلم الطيب والأعمال الصالحة ولفظ الدعاء والإقرار والإذعان مستعارة وربما يقال إنها محمولة على الحقيقة نظرا إلى أن لها أرواحا والادلهام شدة ظلمة الليل والسجف الستر والهندس من الليل الشديد الظلمة والمتطاطى المنخفض واليفاع ما ارتفع من الأرض والسفح الجبال وسماها سفعا لأن السفحة سواد مشرب حمرة وكذلك لونها في الأكثر والتجلجل صوت الردع.

قوله ﷺ وما تلاشت عنه قال ابن أبي الحديد قال ابن الأعرابي لشا الرجل إذا اتضع وخس بعد رفعه وإذا صح أصلها صح استعمال الناس تلاشى بمعنى اضمحل وقال القطب الراوندي تلاشى

(١) جمع نامى وهو الزائد «لسان العرب ١٤: ٢٩٦».

(٢) جمع جلاب وهو القميص، أو الثوب الأوسع من الخمار للمرأة لسان العرب ٢: ٣١٧.

(٣) نهج البلاغة خ ١٨٢ ص ١٨٨.

(٤) شرح نهج البلاغة ١٠: ٧٦-٧٧ ذيل خ ١٨٣ لابن أبي الحديد.

(٦) آل عمران: ٢٨، النور: ٤٢، فاطر: ١٨.

مركب من لا شيء و لم يقف^(١) على أصل الكلمة أي يعلم ما يصوت به الرعد و يعلم ما يضمحل عنه البرق فإن قلت هو سبحانه عالم بما يضيئه البرق و بما لا يضيئه فلم خص الله ما يتلاشى عنه البرق^(٢) قلت لأن علمه بما ليس يضيء^(٣) أعجب و أغرب لأن ما يضيئه البرق يمكن أن يعلمه أولو الأبصار الصحيحة^(٤).

قوله عواصف الأنواء الأنواء جمع نوء و هو سقوط نجم من منازل القمر الثمانية والعشرين في المغرب مع الفجر و طلوع رقبه من المشرق مقابلا له من ساعته و مدة النوء ثلاثة عشر يوما إلا الجهة فإن لها أربعة عشر يوما و إنما سمي نوءا لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق أي نهض و طلع و قبل أراد بالنوء الغروب و هو من الأضداد قال أبو عبيدة و لم يسمع في النوء أنه السقوط إلا في هذا الموضع و إنما أضاف العواصف إليها لأن العرب تضيف الرياح الأمطار و الحر و البرد إلى الساقط منها أو لأن أكثر ما يكون عصفا فيها و الانهطال الانصباب و سحبه كمنعه جره على وجه الأرض و أكل و شرب أكلا و شربا شديدا.

قوله لا يشغله سائل أي عن سائل آخر و النائل العطاء أي لا ينقص خزانته عطاء قوله لا يوصف بالأزواج أي بالأمثال أو الأضداد أو بصفات الأزواج أو ليس فيه تركب و ازدواج أمرين كما مر تحقيقه أو بأن له صاحبة.

قوله تكليما مصدر للتأكيد لإزالة توهم السامع التجوز في كلامه تعالى و المراد بالآيات إما الآيات التسع أو الآيات التي ظهرت عند التكليم من سماع الصوت من الجهات الست و غيره و يؤيد الثاني قوله لا جوارح إلى قوله و لا لهوات إذ الظاهر تعلقه بالتكليم و يحتمل تعلقه بالجميع على الف و النشر غير المرتب.

قوله مرجحين أي مانلين إلى جهة التحت خضوعا لجلال الباري عز سلطانه و يحتمل أن يكون كناية عن عظمة شأنهم و رزاة قدرهم أو عن نزولهم وقتا بعد وقت بأمره تعالى قال الجزري أرجحن الشيء إذا مال من ثقله و تحرك^(٥) قوله أمد حده الإضافة بيانية و حمل الحد على النهايات و الأطراف بعيد جدا.

قوله أضاء بنوره كل ظلام الظلام إما محسوس فإضاءته بأنوار الكواكب و النيرين أو معقول و هو ظلام الجهل فإضاءته بأنوار العلم و الشرائع قوله و أظلم بظلمته كل نور إذ جميع الأنوار المحسوسة أو المعقولة مضمحلة في نور علمه و ظلام بالنسبة إلى نور براهينه في جميع مخلوقاته الكاشفة عن وجوده.

و قال ابن أبي الحديد تحت قوله معنى دقيق و سر خفي و هو أن كل رذيلة في الخلق البشري غير مخرج عن حد الإيمان مع معرفته بالأدلة البرهانية غير مؤثرة نحو أن يكون العارف بخيلا أو جبانا و كل فضيلة مع الجهل به سبحانه ليست بفضيلة في الحقيقة لأن الجهل به يكشف تلك الأنوار نحو أن يكون الجاهل به جوادا أو شجاعا^(٦) و يمكن أن يكون الظلام و النور كنايةتين عن الوجود و العدم و يحتمل على بعد أن يكون الضمير في قوله بظلمته راجعا إلى كل نور لتقدمه رتبة فيرجع حاصل الفقرتين حينئذ إلى أن النور هو ما ينسب إليه تعالى فيتلك الجهة نور و أما الجهات الراجعة إلى الممكنات فكلاهما ظلمة.

٤١- نهج [البلاغة] في وصيته للحسن المجتبي صلوات الله عليهما و اعلم يا بني أنه لو كان لربك شريك لأنتك رسله و لرأيت آثار ملكه و سلطانه و لعرفت أفعاله و صفاته و لكنه إله واحد كما وصف نفسه لا يضاده في ملكه أحد و لا يزول أبدا و لم يزل أولا قبل الأشياء بلا أولية و آخرها بعد الأشياء بلا نهاية^(٧) عظم عن أن تثبت

(١) في «ط» اقف. و ما اثبتناه من «أ» والمصدر. و ضمير يقف يعود إلى الراوندي لأن الكلام مازال لابن أبي الحديد.

(٢) كذا في النسخ. و في المصدر: فلماذا خص بالعلمية ما يتلاش عنه البرق. و هو الانسب.

(٣) كذا في «أ» و في المصدر: إما في «ط» بما ليس يضيء. (٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٨٧.

(٥) النهاية في غريب الحديث والإثر ١٩٨: ٢. (٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ٩١ بتصرف و اختصار.

(٧) كذا في النهج و نسخة من الكتاب و في «ط»: أولا قبل الأشياء بلا أولية و آخر بعد الأشياء بلا نهاية.

٤٢- نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له ﷺ الحمد لله الذي انحسرت الأوصاف عن كنه معرفته ورددت عظمت العقول فلم تجد مساعا إلى بلوغ غاية ملكوته هو الله الْحَقُّ الْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبِينُ مما تراه العيون^(٢) لم تبلغه العقول بتحديد فيكون مشبها ولم تقدر عليه الأوهام بتقدير فيكون ممثلا خلق الخلق على غير تمثيل ولا مشورة مشير ومعونة معين فتم خلقه بأمره وأذن لطاعته فأجاب ولم يدافع وانتقاد ولم ينازع^(٣)

٤٣- نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له ﷺ كل شيء خاشع له وكل شيء قائم به غني كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف ومفرغ كل ملهوف من تكلم سمع نظفه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فإليه منقلبه لم ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لوحشة ولا استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت ولا يفلتك من أخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك ولا يزيد في ملكك من أطاعك ولا يرد أمرك من سخط قضاءك ولا يستغني عنك من تولى عن أمرك كل سر عندك علانية وكل غيب عندك شهادة أنت الأبد لا أمد لك وأنت المنتهى لا محيص عنك وأنت الموعد لا منجي منك إلا إليك بيدك ناصية كل دابة وإليك مصير كل نسمة سبحانه ما أعظم ما نرى من خلقك وما أصغر عظمه^(٤) في جنب قدرتك وما أهول ما نرى من ملكوتك وما أحقر ذلك فيما غاب عنا من سلطانك وما أسبع نعمتك في الدنيا وما أصغرها في نعم الآخرة^(٥)

بيان: قوله فإليه منقلبه أي انقلابه قوله ﷺ بل كنت قبل الواصفين قيل أي لما كان سبحانه قبل الموجودات قديما أزليا لم يكن جسما ولا جسمانيا فاستحال رؤيته وقال بعض الأفاضل يحتمل أن يكون المراد أن العلم بوجودك ليس من جهة إخبار العيون بل من جهة أنك قبل الأشياء ومبدأ الممكنات أقول يمكن أن يكون المعنى أنه لو كان العلم بوجودك من جهة الرؤية لما علم تقدمك على الواصفين إذ الرؤية إنما تفيد العلم بوجود المرئي حين الرؤية فلا تفيد للمراءين الواصفين العلم بكونه موجودا قبلهم.

قوله ﷺ ولا يسبقك أي لا يفوتك هربا قوله ﷺ ولا يفلتك أي لا يفلت منك فإن أفلت لازم قوله ﷺ أمرك أي قدرك الذي قدرت قوله ﷺ عن أمرك أي الأمر التكليفي قوله ﷺ وأنت المنتهى أي في العلية أو ينتهي إليك أخبارهم وأعمالهم أو ينتهون إليك بعد الحشر وقال الجزري كل دابة فيها روح فهي نسمة وقد يراد بها الإنسان^(٦)

٤٤- ما: [الأمالي للشيخ الطوسي] أحمد بن محمد بن الصلت عن ابن عقدة عن محمد بن عيسى بن هارون الضير عن محمد بن زكريا المكي عن كثير بن طارق عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه ﷺ قال خطب علي بن أبي طالب بهذه الخطبة في يوم الجمعة فقال الحمد لله المتوحد بالقدم والأولية الذي ليس له غاية في دوامه ولا له أولية أنشأ صنوف البرية لا من أصول كانت بدية وارتفع عن مشاركة الأنداد وتعالى عن اتخاذ صاحبة وأولاد هو الباقي بغير مدة والمنشئ لا بأعوان ولا بألة فطن ولا بجوارح صرف ما خلق لا يحتاج إلى محاولة التفكير ولا مزاولة مثال ولا تقدير أحدتهم على صنوف من التخطيط والتصوير لا بروية ولا ضمير سبق علمه في كل الأمور ونفذ مشيئته في كل ما يريد من الأزمنة والدهور انفرد بصنعة الأشياء فأثقتها بلطائف التدبير سبحانه من لطيف خبير لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ^(٧)

٤٥- نهج: [نهج البلاغة] من خطبة له ﷺ وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأول لا شيء قبله والآخر لا غاية له لا تقع الأوهام له على صفة ولا تعقد القلوب منه على كيفية ولا تناله التجزئة والتبعض ولا تحيط به الأبصار والقلوب^(٨)

(١) نهج البلاغة ك ٣١ ص ٢٩٥.

(٢) نهج البلاغة خ ١٥٥ ص ١٥٤.

(٣) نهج البلاغة خ ١٠٩ ص ١١١ وفيه: أنت الأبد فلا أمد لك، وأنت المنتهى فلا محيص عنك، وأنت الموعد فلا منجا منك بيدك ناصية كل دابة وإليك مصير كل نسمة سبحانه ما أعظم شأنك سبحانه ما أعظم ... الخ.

(٤) النهاية في غريب الحديث والاثار ٥: ٤٩.

(٥) نهج البلاغة خ ٨٥ ص ٧٥.

(٦) أمالي الشيخ الطوسي: ٧١٣ م ٢٣.

(٧) نهج البلاغة خ ٨٥ ص ٧٥.



وقال ﷺ قد علم السرائر وخبر الضمائر له الإحاطة بكل شيء والغلبة لكل شيء^(١) والقوة على كل شيء. وقال الحمد لله العلي عن شبه المخلوقين الغالب لمقال الواصفين الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزته عن فكر المتوهمين العالم بلا اكتساب ولا ازدياد ولا علم مستفاد المقدر لجميع الأمور بلا روية ولا ضمير الذي لا تغشاه الظلم ولا يستضيء بالأنوار ولا يرهقه ليل ولا يجري عليه نهار ليس إدراكه بالإبصار ولا علمه بالإخبار^(٢)

باب ٥ إبطال التناسخ^(٣)

٣٢٠
٤
١-ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] تميم القرشي عن أبيه عن أحمد بن علي الأنصاري عن الحسن بن الجهم قال قال المأمون للرضا ﷺ يا أبا الحسن ما تقول في القائلين بالتناسخ فقال الرضا ﷺ من قال بالتناسخ فهو كافر بالله العظيم يكذب بالجنة والنار.^(٤)

٢-ن: [عيون أخبار الرضا ﷺ] ابن المتوكل عن علي عن أبيه عن علي بن معبد عن الحسين بن خالد قال قال أبو الحسن ﷺ من قال بالتناسخ فهو كافر.^(٥)

٣-ج: [الإحتجاج] عن هشام بن الحكم أنه سأل الزنديق أبا عبد الله ﷺ فقال أخبرني عنمن قال بتناسخ الأرواح من أي شيء قالوا ذلك وبأي حجة قاموا على مذاهبهم قال إن أصحاب التناسخ قد خلفوا وراءهم منهاج الدين وزينوا لأنفسهم الضلالات وأمرجوا^(٦) أنفسهم في الشهوات وزعموا أن السماء خاوية ما فيها شيء مما يوصف وأن مدبر هذا العالم في صورة المخلوقين بحجة من روى أن الله عز وجل خلق آدم على صورته وأنه لا جنة ولا نار ولا بعث ولا نشور والقيامة عندهم خروج الروح من قلبه ولوجه في قالب آخر إن كان محسنا في القالب الأول أعيد في قالب أفضل منه حسنا في أعلى درجة الدنيا^(٧) وإن كان مسينا أو غير عارف صار في بعض الدواب المتعبة في الدنيا أو هوام مشوهة الخلقة وليس عليهم صوم ولا صلاة ولا شيء من العبادة أكثر من معرفة من تجب عليهم معرفته وكل شيء من شهوات الدنيا مباح لهم من فروج النساء وغير ذلك من نكاح الأخوات والبنات والخالات وذوات البعولة وكذلك الميتة والخمر والدم فاستقبح مقاتلتهم كل الفرق ولعنهم كل الأمم فلما سئلوا الحجة زاغوا وحادوا فكذب مقاتلتهم التوراة ولعنهم الفرقان وزعموا مع ذلك أن إلههم ينتقل من قالب إلى قالب وأن الأرواح الأزلية هي التي كانت في آدم ثم هلم جرا تجري إلى يومنا هذا في واحد بعد آخر فإذا كان الخالق في صورة المخلوق فيما يستدل على أن أحدهما خالق صاحبه قالوا إن الملائكة من ولد آدم كل من صار في أعلى درجة من دينهم خرج من منزلة الامتحان والتصفية فهو ملك فطورا تخالهم نصارى في أشياء وطورا دهرية يقولون إن الأشياء على غير الحقيقة فقد كان يجب عليهم أن يأكلوا شيئا من اللحمان لأن الدواب عندهم كلها من ولد آدم حولوا في صورهم فلا يجوز أكل لحوم القربات.^(٨)

بيان: قوله ﷺ إن إلههم ينتقل أي الطبيعة ولذا قال ﷺ فطورا تخالهم نصارى للقول بحلول إلههم في المخلوق وطورا دهرية لأن الطبيعة ليست بألة فهم نافون للصانع حيث يقولون إن الأشياء على غير الحقيقة أي خلقت بالإهمال من غير أن يكون لها صانع راعى الحكمة في خلقها.

٤-كش: [رجال الكشي] طاهر بن عيسى عن جعفر بن محمد عن الشجاعى عن الحمادى رفعه إلى أبي عبد الله ﷺ سئل عن التناسخ قال فمن نسخ الأول.^(٩)

(١) في «أ» والغلبة على كل شيء.

(٢) التناسخ: انتقال النفس الناطقة من بدن إلى بدن آخر، والذين يعتقدون ذلك يسمون (التناسخية).

(٣) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢١٨ ب ٤٦ ح ١.

(٤) امرجها: تركها تذهب حيث شاءت لسان العرب ١٣: ٦٥.

(٥) في «أ»: في أعلى درجة الدنيا. وفي المصدر: في أعلى درجته من الدنيا.

(٦) الإحتجاج: ٣٤٤ وفي «أ»: لحوم القربات.

(٧) إختيار معرفة الرجال: ٥٧٨ ح ٥١٤ وفيه: فمن نسخ الاول.

بيان: لعله مبني على حدوث العالم واستحالة غير المتناهي والحاصل أن قولهم بالتناسخ إذا كان لعدم القول بالصانع فلا يتفهم إذ لا بد لهم من القول ببدن أول لبطان لا تنتهي الأفراد المترتبة فيلزمهم القول بصانع للروح والبدن الأول فهذا الكلام لدفع ما هو مبني قولهم بالتناسخ حيث يزعمون أنه يتفهم القول به لعدم القول بالصانع.

وقال السيد الداماد قدس الله روحه هذا إشارة إلى برهان إبطال التناسخ على القوانين الحكيمية والأصول البرهانية تقريره أن القول بالتناسخ إنما يستطع^(١) لو قيل بأولية النفس المدبرة للأجساد المختلفة المتعاقبة على التناقل والتناسخ وبلا تنافي تلك الأجساد المتناسخة بالعدد في جهة الأزل كما هو المشهور من مذهب الذاهبين إليه والبراهين الناهضة على استحالة اللانهاية العددية بالفعل مع تحقق الترتب والاجتماع في الوجود قائمة هناك بالقسط بحسب متن الواقع المعبر عنه بوعاء الزمان أغني الدهر وإن لم يتصحح إلا الحصول التعاقبي بحسب ظرف السيلان والتدرج والقوت وللحق أغني الزمان وقد استبان ذلك في الأفق المبين والصرط المستقيم وتقويم الإيمان وقبسات حق اليقين وغيرها من كتبنا وصحفنا فإذن لا محيص لسلسلة الأجساد المترتبة من مبدأ متعين هو الجسد الأول في جهة الأزل يستحق باستعداده المزاجي أن تتعلق به نفس مجردة تعلق التدبير والتصرف فيكون ذلك مناط حدوث فيضاتها عن وجود المفيض الفيض الحق جل سلطانه وإذا انكشف ذلك فقد انصرح أن كل جسد هيولاني بخصوصية مزاجه الجسماني واستحقاقه الاستعدادي يكون مستحقا لجوهر مجرد بخصوصه يديره ويتعلق به ويتصرف فيه ويتسلط عليه فليثبت.^(٢)

باب ٦ نادر

١- كاش: [رجال الكشي] حمدويه^(٣) عن محمد بن عيسى عن جعفر بن عيسى^(٤) عن علي بن يونس بن بهمن قال قلت للرضا عليه السلام جعلت فداك إن أصحابنا قد اختلفوا فقال في أي شيء اختلفوا فتدخلني من ذلك شيء فلم يحضرنني إلا ما قلت جعلت فداك من ذلك ما اختلف فيه زرارة وهشام بن الحكم فقال زرارة النفي ليس بشيء وليس بمخلوق وقال هشام إن النفي شيء مخلوق فقال لي قل في هذا بقول هشام ولا تقل بقول زرارة.^(٥)

قد تم المجلد الثاني من كتاب بحار الأنوار على يد مؤلفه ختم الله له بالحسن في غرة شهر ربيع الثاني من شهور سنة سبع وسبعين بعد الألف من الهجرة المقدسة النبوية على هاجرها وآله الطاهرين ألف ألف صلاة وتحية.

(١) في المصدر: يستطع وهو الانسب.

(٢) تعليقه المحقق الداماد على رجال الكشي، المطبوع في هامش اختيار معرفة الرجال هامش ص ٥٧٨ - ٥٧٩.

(٣) حمدويه بن نصير، شيخ الكشي، وروى عنه كثيرا في كتابه وهو يروى في أحيان عديدة عن محمد بن مسعود العياشي ذكره الشيخ في (لم) وقال: حمدويه بن نصير بن شاهي، سمع يعقوب بن يزيد، روى عن العياشي، يكنى أبا الحسن، عديم النظر في زمانه، كثير العلم والرواية، ثقة حسن المذهب «رجال الشيخ» لـ ص ٤٦٣ رقم ٩.

(٤) جعفر بن عيسى بن عبيد، ذكر الشيخ في رجال الرضا عليه السلام «رجال الشيخ» ٣٧٠ رقم ٢، وروى الكشي لسانه عن الإمام الرضا عليه السلام دخل هو وجماعة معه منهم يونس بن عبد الرحمن وهشام بن إبراهيم المشرقي عام ١٩٩ هـ فقال له جعفر بعد أن اشتكى له من اتهام الناس إياه وأصحابه بالبعد عن طريق الهدى: يا سيدي نستعين بك على هذين الشيخين، يونس وهشام، وهما حاضران، وهما أدبانان، وعلمانا الكلام، فإن كنا يا سيدي على هدى ففرتنا - وإن كنا على ضلال فهدانا أضلانا فمترنا بتركه - وترب إلى الله منه يا سيدي فداعنا إلى دين الله نتيك فقال عليه السلام: ما أعلمكم إلا على هدى جزاكم الله عن النصيحة القديمة والحديثة خيرا «اختيار معرفة الرجال» ٧٨٩ ح ٩٥٥، وقد صحح الإمام الخوئي الرواية، وقال: دلالتها على حسن جعفر ظاهرة: «معجم رجال الحديث» ٩٠ رقم ٢٢١٥، وجعفر هذا يسمى بجعفر بن عيسى بن يقطين، وكذا بجعفر بن عيسى بن عبد الله.

(٥) اختيار معرفة الرجال: ٥٤٤ ح ٤٨٢.



فهرست الجزء الثاني: كتاب التوحيد

- باب ١ ثواب الموحدين و العارفين و بيان وجوب المعرفة و علمته و بيان ما هو حق معرفته تعالى..... ٥
- باب ٢ علة احتجاب الله عز و جل عن خلقه..... ١٢
- باب ٣ إثبات الصانع و الاستدلال بعجائب صنعته على وجوده و علمه و قدرته و سائر صفاته..... ١٣
- باب ٤ الخبر المشتهر بتوحيد المفضل بن عمر..... ٣٣
- باب ٥ الخبر المروي عن المفضل بن عمر في التوحيد المشتهر بالاهليلجة..... ٨١
- باب ٦ التوحيد و نفي الشريك و معنى الواحد و الأحد و الصمد و تفسير سورة التوحيد..... ١٠٤
- باب ٧ عبادة الأصنام و الكواكب و الأشجار و النيرين و علة حدوثها و عقاب من عبدها أو قرب إليها قربانا..... ١٢٧
- باب ٨ نفي الولد و الصاحبة..... ١٣٢
- باب ٩ النهي عن التفكير في ذات الله تعالى و الخوض في مسائل التوحيد و إطلاق القول بأنه شيء..... ١٣٤
- باب ١٠ أدنى ما يجزي من المعرفة في التوحيد و أنه لا يعرف الله إلا به..... ١٤٠
- باب ١١ الدين الحنيف و الفطرة و صبغة الله و التعريف في الميثاق..... ١٤٤
- باب ١٢ إثبات قدمه تعالى و امتناع الزوال عليه..... ١٤٨
- باب ١٣ نفي الجسم و الصورة و التشبيه و الحلول و الاتحاد و أنه لا يدرك بالحواس و الأهوام و العقول و الأفهام..... ١٥٠
- باب ١٤ نفي الزمان و المكان و الحركة و الانتقال عنه تعالى و تأويل الآيات و الأخبار في ذلك..... ١٦١

أبواب تأويل الآيات والأخبار الموهمة لخلاف ما سبق

- باب ١ تأويل قوله تعالى خَلَقْتُ يَدَيَّ وَ جَنِبَ اللَّهِ وَ وَجْهَ اللَّهِ وَ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَأَمْثَالُهَا..... ١٧٧
- باب ٢ تأويل قوله تعالى وَ تَفَخَّتْ فِيهِ مِنْ رَوْحِي وَ رُوحٌ مِنْهُ وَ قوله ﷺ خلق الله آدم على صورته..... ١٨٣
- باب ٣ تأويل آية النور..... ١٨٦
- باب ٤ معنى حجة الله عز و جل..... ١٩٠
- باب ٥ نفي الرؤية و تأويل الآيات فيها..... ١٩١

أبواب الصفات

- باب ١ نفي التركيب و اختلاف المعاني و الصفات و أنه ليس محلا للحوادث و التغييرات و تأويل الآيات فيها و الفرق بين صفات الذات و صفات الأفعال..... ٢١٠

باب ٢ العلم وكيفيته والآيات الواردة فيه	٢١٧
باب ٣ البدء والنسخ	٢٢٩
باب ٤ القدرة والإرادة	٢٥١
باب ٥ أنه تعالى خالق كل شيء وليس الموجد والمعدم إلا الله تعالى وأن ما سواه مخلوق	٢٥٨
باب ٦ كلامه تعالى ومعنى قوله تعالى قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَاداً لِّلآيَةِ	٢٦٠

أبواب أسمائه تعالى وحقائقها وصفاتها ومعانيها

باب ١ المغايرة بين الاسم والمعنى وأن المعبود هو المعنى والاسم حادث	٢٦٢
باب ٢ معاني الأسماء واشتقاقها وما يجوز إطلاقه عليه تعالى وما لا يجوز	٢٧٢
باب ٣ عدد أسماء الله تعالى وفضل إحصائها وشرحها	٢٧٨
باب ٤ جوامع التوحيد	٢٩٣
باب ٥ إبطال التناسخ	٣٤٩
باب ٦ نادر	٣٥٠

